

١٧٨١
١٧٨١
١٧٨١

التصحيح في الشعر العباسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين

١٧٨١
١٧٨١

اعداد

الطالب / فرحان علي موسى القضاة

باشراف

الاستاذ الدكتور / محمود السمره ٢٧٨٣٦٦

محمد

(قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه
في تخصص الأنثروبولوجيا من كلية الدراسات العليا في
الجامعة الأردنية)

١٩٨٦ - ١٩٨٧ م

نوقدت هذه الرسالة بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨٧ م وأجيزت

الكتور / محمد الكمره

نوقدت هذه الرسالة بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨٧ م

وأجيزت
~~عبدالله~~
عبدالله صقر
٧

نوقدت هذه الرسالة بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨٧ م وأجيزت

~~عبدالله~~
عبدالله صقر

نوقدت هذه الرسالة بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨٧ م وأجيزت

د. زهير محمد
٩٧٤

شكر وعرفان

بعد أن وفقني الله سبحانه وتعالى الى انجاز هذه
الدراسة أحمده سبحانه على توفيقه سائلا اياه الهدي
والمغفرة .

ويسرني أن أتقدم بوافر الشكر وجميل العرفان وصانق
المحبة الى أستاذي ومشرفي الاستاذ الدكتور محمود السمرة
الذي أحاطني برعايته وعنايته منذ بداية دراستي وكان لي
خير عون وأمدني بتوجيهاته ونصائحه ومنحني من جهده ووقته
ما يعجز لساني وقلمي عن القيام بشكره ، الى جانب ما يتمتع
به من غزارة العلم، وفرط التواضع ، مما أحدث في نفسي
آثارا طيبة لايمحوها الزمن .

" فإليك يا أستاذي العزيز تحية محبة ووفاء " .

فرحان

فهرس الموضوعات

أ	هـ		المقدمة
١	٤٩		تمهيد

الفصل الاول

١٠٣	٥٠		أ - مبادئ الشيعة
٦٣	٥٠		١- التوحيد
٧٠	٦٣		٢- العدل
٧١	٧٠		٣- المعاد
٧٣	٧١		٤- النبوة
٩٣	٧٣		٥- الإمامة
٩٩	٩٤		* المهدي المنتظر
١٠٣	٩٩		* التقية
١٤٢	١٠٣		ب- فرّق الشيعة
٢١٩	١٤٢		ج- أغراض شعر الشيعة
١٦٤	١٤٢		١- العقائد الدينية في شعر الشيعة
٢١٩	١٦٤		٢- الأغراض التقليدية في شعر الشيعة
١٧٣	١٦٤		* المدح
١٨١	١٧٣		* الفخر
١٩٧	١٨١		* الوصف
٢٠٣	١٩٧		* الغزل
٢٠٨	٢٠٣		* الرثاء
٢١٢	٢٠٨		* الهجاء
٢١٥	٢١٢		* الإخوانيات
٢١٩	٢١٥		* الحكمة

الفصل الثاني

٢٤١	٢٢٠		شعراء الشيعة
٢٤٣	٢٢٠		أ - مجموعات شعراء الشيعة
٢٤٤	٢٤٤		ب - أشهر شعراء الشيعة
٢٦٨	٢٤٤		١- الشريف الرضي
٢٩٠	٢٦٩		٢- الشريف المرتضى
٢١٢	٢٩١		٣- أبو فراس الحمداني
٢٤١	٢١٢		٤- الصّاحب بن عبّاد

الفصل الثالث

٤٥١ - ٣٤٢ آثار التشيع في الشعر العباسي
٣٨٢ - ٣٤٢ أ - آثار التشيع في موضوعات الشعر وأفكاره
٤٥١ - ٣٨٢ ب - آثار التشيع في الشعر من حيث الخصائص الفنية

الفصل الرابع

٥٦٣ - ٤٥٢ الخصائص الفنية في شعر الشيعة
٤٧٠ - ٤٥٢ أ - بناء القصيدة
٥٠٢ - ٤٧١ ب - اللغة والأللوب
٥٢٩ - ٥٠٣ ج - الخيال والتصوير
٥٤٣ - ٥٢٩ د - المعاني
٥٤٣ - ٣٥٠ هـ - التأثير بالأقوال المعروفة عند العرب
٣٥٤ - ٣٥٤ و - التأثير بالشعراء السابقين
٥٥٩ - ٥٥٩ ز - التأثير بالقرآن الكريم والحديث الشريف
٥٦٠ - ٥٦٠ ح - الرمزية
٥٦٣ - ٥٦٠ ط - الألفاظ
٥٦٨ - ٥٦٤ خاتمة

الفهارس

٥٨٣ - ٥٦٩ أ - فهرس الأعلام
٥٩٣ - ٥٨٤ ب - فهرس الشعراء
٥٩٧ - ٥٩٤ ج - فهرس الفسوق
٥٩٨ - ٥٩٨ د - فهرس القبائل
٦٠٤ - ٥٩٩ هـ - فهرس المدن والأماكن
٦٤١ - ٦٠٥ المصادر والمراجع



مقدمة

لاحظنا من خلال مطالعتنا في بعض المصادر التي تبحث في العصر العباسي كثرة عدد الثائرين من الشيعة على الخلفاء من أمويين وعباسيين مطالبين بالحكم والخلافة ، وبأن يرد أولئك الخلفاء الحق إلى أصحابه آل أبي طالب . وقد كان مصير هؤلاء الثائرين - في الغالب - القتل والقضاء على ثوراتهم . وقد لاحظنا أن هذه الأحداث قد تركت صدى واسعة في الشعر ، فقد تحدث عنها الشعراء ، ورثوا القتلسى وبكوهم بكاء شديدا ، كما تبين لنا أن الشيعة كانت لهم مبادئ وأصول يقوم عليها مذهبهم ، وأنه ظهر منهم عدد كبير من الشعراء ، عبروا في قسم كبير من أشعارهم عن التشيع وحب آل البيت ، وكان عدد كبير منهم يعيش في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ولذا قمنا بهذه الدراسة التي نهدف منها الى بيان مدى انعكاس التشيع في الشعر في هذين القرنين ، وما خلفه في شعر التشيع بخاصة والشعر العباسي بعامة من الآثار ، ولهذا بحثنا في المصادر والمراجع المختلفة علنا نجد دراسة فيسه ، ولكننا لم نجد الا كتابا صغيرا للمحمد سيد كيلاني بعنوان " أثر التشيع في الادب العربي " ، وهو كتاب عام يتناول بعض جوانب تأثير الشيعة في الادب العربي بصورة عامة ، ولكنه لا يوضح حركة التشيع ومدى انعكاسها في الشعر العباسي .

وقد اتبعنا في هذه الدراسة منهاجا يقوم على دراسة عقائد الشيعة وفرقهم بما يخدم الجانب الادبي ويسهم في توضيح حركة التشيع ومدى وضوحها في الشعر ، وهو منهج يقوم - في الغالب - على استخلاص الاحكام من الاشعار ، وتوضيح مدى تغلغل المذهب الشيعي في اشعار الشيعة وغيرهم .

وقد جعلنا هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول . تحدثنا في التمهيد عن نشأة الشيعة ، وتطور هذه الفرقة السياسي حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، موضحين في أثناء ذلك أوقات القوة والازدهار وأوقات الضعف التي مرت بها .

وأما الفصل الاول فقد خصناه للحديث عن ثلاثة أمور ، هي :

الاول : مبادئ الشيعة ، فتحدثنا عن مبادئهم الخمسة ، وهي: العدل ، والتوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والامامة ، وما فرعه الشيعة عن هذه المبادئ من المسائل المختلفة كالجبر والاختيار ، والارزاق ، والعصمة والوصية ، والمهدى المنتظر والرجعة .

الثاني : فرق الشيعة ، حيث بينا أن الشيعة قد انقسموا الى فرق متعددة، ووضحنا بعض جوانب التعارض الذي وقع بين بعض الفرق في بعض الآراء .

الثالث : اغراض شعر الشيعة ، فبيننا مختلف الاغراض التي نظم فيها الشيعة أشعارهم بما في ذلك الاغراض الخاصة بالتشيع والاعراض التقليدية .

أما الفصل الثاني فقد تحدثنا فيه عن شعراء الشيعة الذين عاشوا في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، فقمنا باستقصائهم ، وذلك بالاعتماد على الروايات المختلفة التي تذكر أن الشاعر منهم كان شيعياً أو بالرجوع الى أشعارهم، وملاحظة اتضاح طابع التشيع فيها ، ثم ترجمنا لاربعة شعراء منهم ، هم : الشريف الرضي ، والشريف المرعشي ، وأبو فراس الحمداني ، والصابح بن عباد ، أما بقية الشعراء ، فقد عرفنا بكل منهم تعريفا موجزا ، وأثبتنا قوائم بأسماء المصادر التي يعكس للباحث أن يعود اليها في دراستهم .

وتحدثنا في الفصل الثالث عن الاثر الذي أوجده الشيعة في الشعر العباسي وقد تناولنا ذلك من جانبين :

الاول : أثر التشيع في موضوعات الشعر وأفكاره ، فتحدثنا عن مدى تردد مبادئ الشيعة وآرائهم في الشعر العباسي ، وما أثاره الشعراء الشيعة من القضايا التي وجدت طريقها الى غيرهم من الشعراء فأخذوا يتحدثون عنها في أشعارهم ، الى غير ما هنالك من الآثار الموضوعية .

الثاني : أثر التشيع في الشعر من الناحية الفنية ، فتحدثنا عن الآثار التي خلفها التشيع في لغة الشعراء وأساليبهم وصورهم وأخيلتهم ، وما أوجده

لدى الشعراء العباسيين من جوانب الاغراب والتجديد في هذه المائل ،
كما بينا أثر التشيع في معاني الشعر العباسي ، وما أوجده الشيعة
لدى الشعراء العباسيين من الميل الى النظم في الرموز والاحاجي
والالغاز .

أما الفصل الرابع فقد خصناه للحديث عن الخصائص الفنية في شعر الشيعة
فبحثنا في بناء القصيدة ، وفي اللغة والمصطلحات التي استخدمها الشعراء الشيعة
في أشعارهم ، والتي جعلت للشيعة لغة خاصة تميزهم عن غيرهم من الشعراء وبحثنا في
أسلوب شعراء الشيعة ، ومدى تأثرهم في ذلك بعلم الكلام ، وبيننا ما أمتاز به
الشعراء الشيعة من الصور والخيالة والمعاني ، وما أوجده في ذلك من التجديد
والابتكار ، كما بحثنا في مدى تأثر الشيعة بالقرآن الكريم والحديث الشريف في
أشعارهم ، ومدى تأثرهم بغيرهم من الشعراء ، واختتمنا الفصل بالحديث عن بعض
السمات الفنية الأخرى لدى شعراء الشيعة وهي الرمزية، والاحاجي والالغاز .

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مصادر مختلفة ، شيعية وغير شيعية ، وهي
مصادر في مجالات مختلفة ، يبحث بعضها في الأدب ، ويبحث بعضها الآخر في التاريخ ،
والفرق وعقائدها وغير ذلك .

ومن كتب الشيعة التي اعتمدنا عليها بعض كتب العقائد ، ومنها كتاب " علل
الشرائع " وكتاب " أمالي الصدوق " وكتاب " اكمال الدين واتمام النعمة " لابن
بابويه (- ٣٨١ هـ) ، وكتاب " أوائل المقالات " للشيخ المفيد (- ٤١٣ هـ) ، وكتاب
" جعل العلم والعمل " للشريف المرتضى (- ٤٣٦ هـ) وكتاب " الكافي " للكلييني
(- ٣٢٩ هـ) وهذه الكتب عظيمة الأهمية في بيان عقائد الشيعة وتوضيحها ، وتأني
أهميتها من كون مؤلفيها من الشيعة ، ولذا فهم ينقلون لنا آراء الشيعة وعقائدهم
بصورة واضحة صحيحة .

وقد اعتمدنا على بعض كتب العقائد لمؤلفين من غير الشيعة ، ومن تلك الكتب
كتاب " التبصير في الدين " للاسفراييني (- ٤٧١ هـ) وكتاب " الاقتصاد في الاعتقاد "

للغزالي (- ٥٠٥ هـ) ، وهما كتابان يبحثان في عقائد الشيعة ويعرضان مبادئهم بصورة جيدة .

وهناك بعض كتب الفرق اعتمدنا عليها في دراستنا ، ومنها " الملك والنحل " للشهرستاني (- ٥٤٨ هـ) ، وهو كتاب مفصل يبحث في فرق الشيعة بشكل واسع مفصلا في الحديث عن كل فرقة وما تعتقده في الاثمة وغيرهم .

ومن المصادر التاريخية التي اعتمدنا عليها كتاب " تاريخ الطبري " لابن جعفر محمد بن جرير الطبري (- ٣١٠ هـ) وكتاب " الكامل في التاريخ " لابن الاثير ، أبي الحسن ، علي بن محمد (- ٦٣٠ هـ) ، وهما كتابان لهما أهمية عظيمة في توضيح نشأة التشيع وتطور الشيعة السياسي .

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على بعض المصادر الشعرية ، ومنها دواوين شعراء شيعة ومنها ما هو لشعراء من غير الشيعة . ومن دواوين الشيعة : ديوان الصنوبري (- ٣٣٤ هـ) وديوان كشاجم الرملي (- ٣٦٠ هـ) ، وديوان صاحب بن عباد (- ٣٨٤ هـ) وديوان عبد المحسن الصوري (- ٤١٩ هـ) وغيرها ، وأهمية هذه الدواوين تكمن في أنها توضح لنا الخصائص الفنية في أشعار الشيعة ، ومدى تردد مبادئهم وأفكارهم في الشعر الشيعي .

أما الدواوين الشعرية لغير الشيعة فمن أهمها ديوان أبي الطيب المتنبي (- ٣٥٤ هـ) ، ولزوم مالايلزم ، وشرح التنوير على سقط الزند لابي العلا المعمرى (- ٤٤٩ هـ) ، وهذه الدواوين توضح لنا مدى الاثر الذي تركه الشيعة في الشعر العباسي من الناحيتين الموضوعية والفنية .

وقد اعتمدنا على بعض كتب التراجم ومنها " معجم الادباء " لياقوت الحموي (- ٦٢٦ هـ) ، ووفيات الاعيان لابن خلكان (- ٦٨١ هـ) وقصائد الوفيات (لابن شاعر الكتبي (- ٧٦٤ هـ) ، وقد افدنا من هذه المصادر في الترجمة لعدد كبير من شعراء الشيعة ، وفي الاطلاع على قدر كبير من أشعارهم .

وفي النهاية يسرني أن أوجه الشكر الجزيل الى أستاذي الدكتور محمود السمرة
الذي تفضل برعاية هذه الدراسة منذ بدايتها الى نهايتها ، كما أشكر أساتذتي
الذين تكرموا بمناقشتي في هذه الرسالة .
وبعد فأننا نحمد الله ان أصبنا ، ونسأله تعالى الهدى والتوفيق ان أخطأنا ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فرحان علي موسى القضاة

الجامعة الاردنية

١٩٨٢ م

تمهيد

يختلف الباحثون في الفرق الإسلامية من قداما، ومحدثين في نشأة التشيع، ولهم في ذلك آراء متباينة، ولتحديد نشأة التشيع ومعرفة آراء الباحثين فيها لابد من أن نعرف معنى كلمة "الشَّيعة".

الشَّيعة لغة تعني الأتباع والأَنْصار، فشِيعَةُ الرَّجُلِ أتباعه وأنصاره، ويقال لكل قَوْمٍ اجتمعوا على أمرٍ شِيعَةٌ، وبهذا فأصلُ الشَّيعة هو الفِرقةُ من النَّاسِ على حدة.

أما في الاصطلاح فقد غلبَ هذا الاسمُ على كُلِّ من يتولَّى علماً - كرم الله وجهه - وآل بيته حتى صار اسماً خاصاً لهم، فإذا قيل: فلانٌ من الشَّيعةِ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وأصل ذلك من المشايعة، وهي المطاوعة والمُتَابَعَةُ (١).

يقول أبو الحسن الأشعري (٢): "وإنما قيلَ لهم شِيعٌ لأنهم شايَعوا علماً - رضوان الله عليه - ويقدّمونَه على سائرِ أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٣).

ويقول الشيخ المفيد (٤) وهو من علماء الشَّيعة الإمامية في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري: "التشيع في أصل اللغَةِ الاتِّباعُ على وجه التَّدْبِينِ والولاءُ للمتبع على الإخلاصِ، قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: "فَاسْتَفَعْتُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ" (٥)، ففرق بينهما بالاسمِ بما أُخْبِرَ به من فرق ما بينهما في الولاية والعداوة، وجعل موجب

- (١) لسان العرب: مادة شيع، وتاج العروس مادة شيع.
- (٢) علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري، مُتَكَلِّمٌ، له مصنَّفاتٌ كثيرةٌ، وُلِدَ سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ (انظر: شذرات الذهب: ج ٢، ص ٣٠٣).
- (٣) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٦٥.
- (٤) محمد بن محمد بن النعمان، أبو عبد الله، كان شيخ الإمامية وعالمها، يُكنى ر من عقد مجالس العلم، وتوفي سنة ٤١٣ هـ، ورثاه تلميذه الشريف المرتضى بأشعار كثيرة. (انظر: المنتظم في تاريخ الطوك والأمم: ج ٨، ص ١١-١٢).
- (٥) سورة القصص: الآية ١٥.

التشيع لأحدِهما هو الولاية بصريحِ الذِّكْرِ له في الكلام . . . لَكِنَّ لِمِسْ كُلِّ مَنْ يُشَيِّعُ غَيْرَهُ عَلَى حَقِيقَةٍ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِتِّبَاعِ بِسُحْقِ السَّيِّئَةِ بِالتَّشْيِيعِ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ بِأَنَّهُ مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَإِنْ كَانَ مَتَّبِعُهُ مُحِقًّا أَوْ مُبْطِلًا إِلَّا بِأَنْ تَسْقَطَ " أَلِ التَّعْرِيفِ " وَتُضَافَ إِلَيْهِ " مِنْ " لِلتَّبَعِيَّةِ ، فَيُقَالُ : هُوَ لَا مِنْ شَيْعَةِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ ، فَأَمَّا إِذَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ عِلْمُ عِلْمِ عِلْمِ التَّعْرِيفِ ، فَهُوَ عَلَى التَّخْصِصِ لِإِتِّبَاعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - عَلَى سَبِيلِ الْوَلَاةِ وَالْإِعْتِقَادِ لِإِمَامَتِهِ بَعْدَ الرَّسُولِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بِمَا فَضَّلَ ، وَنَفَى الْإِمَامَةَ عَنْ تَقَدُّمِهِ فِي مَقَامِ الْخِلَافَةِ ، وَجَعَلَهُ فِي الْإِعْتِقَادِ مَتَّبِعًا لَهُمْ غَيْرَ تَابِعٍ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِقْتِدَاءِ (١) .

ويعرّفُ الشَّهْرِ سِتَانِي (٢) الشَّيْعَةَ تَعْرِيفًا أَكْثَرَ شُمُولًا وَإِحَاطَةً ، فَيَقُولُ : " الشَّيْعَةُ هُمُ الَّذِينَ شَافَعُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْخُصُوصِ ، وَقَالُوا بِإِمَامَتِهِ وَخِلَافَتِهِ نَصًّا وَوَصَايَةً ، إِمَّا جَلِيًّا وَإِمَّا خَفِيًّا ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَخْرُجُ عَنْ أَوْلَادِهِ ، وَإِنْ خَرَجَتْ فَيُظَلَمُ بِكُلِّ مَنْ مِنْ غَيْرِهِ أَوْ بِتَقَدُّمِهِ مِنْ عِنْدِهِ (٣) ، وَإِلَى هَذَا الرَّأْيِ يَذْهَبُ الْكِرْمَانِي (٤) ، وَإِلَى قَرِيبٍ مِنْهُ يَذْهَبُ نَشْوَانُ بْنُ سَعِيدِ الْحِمْصِيِّ (٥) ، فِي كِتَابِهِ " الْحُورُ الْعَيْنِ " (٦) ، وَابْنُ الْمَرْتَضَى (٧) فِي كِتَابِهِ " الْمُنِيَّةُ وَالْأَمَلُ " (٨) .

- (١) أوائل المقالات : ص ٣٧-٣٨ .
- (٢) محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشافعي متكلم ، صاحب تصانيف منها : **الِبِلُّ والنحل** ، كان يعظ الناس ببغداد ، وتوفي سنة ٤٨٥ هـ . (انظر مُشَدَّرَاتِ الذَّهَبِ : ج ٤ ، ص ١٤٩) .
- (٣) **الِبِلُّ والنحل** : ج ١ ، ص ١٥١ .
- (٤) محمد بن يوسف بن علي الكرماني ، أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَبِيهِ وَتَنَقَّلَ فِي بِلْدَانِ عِدَّةٍ وَاسْتَوَظَنَ بَغْدَادَ ، وَتَوَفِّي رَاجِعًا مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ ٧٨٦ هـ (انظر : الدرر الكامنة : ج ٥ ، ص ٧٧) .
- (٥) نشوان بن سعيد بن نشوان ، عَلَّامَةٌ بِمَعْنَى ، كَانَ فَقِيهًا عَارِفًا بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّارِيخِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ شَاعِرًا بَلِيغًا مُجِيدًا ، وَتَوَفِّي سَنَةَ ٥٧٣ هـ . (معجم الأرباب : ج ١٩ ، ص ٢١٧-٢١٨) .
- (٦) انظر : **الحور العين** : ص ١٧٨ .
- (٧) أحمد بن يحيى بن المرتضى ، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، وَلِدَ سَنَةَ ٧٧٥ هـ بِمَدِينَةِ زَمَارٍ فِي الْبِلْدَانِ ، وَاتَّقَنَ عُلُومَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَعَلِمَ الْكَلَامَ ، وَفِي سَنَةِ ٨٠١ هـ سَجِنَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، وَتَوَفِّي سَنَةَ ٨١٦ هـ . (انظر البدر الطالع : ج ١ ، ص ١٢٢-١٢٦) .
- (٨) انظر : **المنية والأمل** : ص ٨٠ .

وبزید ابن ابيك الصَّفَدَيِّ المُتَوَفَّى سنة ٧٦٤ هـ مفهوم التشيع توضيحاً فيقول :
" والتشيع هو الدخول في الشيعة ، وهم كلُّ قوم أمرهم واحد ، وتشيع الرجل إذا ادعى
دعوى الشيعة وقال بمقالتهم . . . وكل من أحبَّ علماً وبنيته بسنن شيعتنا (١) .

يتضح لنا من الآراء السابقة أنَّ التشيع بالمعنى الاصطلاحي يعود أساسه إلى
الاعتقاد بأنَّ علماً كان أحقَّ الناس بالخلافة ، ومعنى ذلك أنه أحقُّ بها من أبي بكرٍ
وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وأنَّ الرسول الكريم عهد إليه بالخلافة من بعده .

وقد اختلف الباحثون في تحديد الحقبة التي نشأ فيها التشيع ، وكان هذا الاختلاف
أكثر وضوحاً بين مؤرخي الشيعة ومؤرخي السنة ، ونستطيع أن نوجز آراء الباحثين في
ذلك بما يلي :-

أولاً : فئة ذهب إلى أنَّ التشيع ظهر زمن الرسول الكريم ، وهم علماء الشيعة
قدما* ومحدثين ، ومنهم القمي المتوفى سنة ٣٠٠ هـ والشيخ الصدوق (٢) من القدماء .
يقول القمي : " أول الفرق الشيعة ، وهم فرقة علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ،
المستون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده ، معروفون بانقطاعهم إليه
والقول بإمامته ، منهم المقداد بن الأسود الكندي (٣) وسلمان الفارسي (٤) . . . وعمار
بن ياسر المذحجي (٥) ، المؤثرون طاعته ، المؤثرون به ، وغيرهم ممن وافق مودته

(١) تمام المتن : ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، كان حافظاً للأحاديث ، ولله
مصنفات كثيرة ، وتوفي سنة ٣٨١ هـ بمدينة الري . (انظر : روضات الجنات ج ٦ ،

ص ص ١٢٢-١٤٤) .

(٣) مقداد بن الأسود الكندي ، صحابي جليل شهد معركة بدر وغيرها ، وكان شجاعاً ،
توفي سنة ٣٣ هـ ، وعمره سبعون سنة . (الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ، ص ص

٤٥٤-٤٥٥) .

(٤) سلمان ، أبو عبد الله الفارسي ، أصله من رام هرمز ، وقيل من أصبهان ، خرج
بطلب النبي عند ما علم أنه سيبعث ، ثم أسلم ، وشهد الخندق وفتوح العراق ،

وتوفي سنة ٣٢ هـ أو ٣٣ هـ . (المصدر نفسه : ج ١ ، ص ص ٦٢-٦٣) .

(٥) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك ، كان من السابقين إلى الإسلام ، قاتل مع علي في
صفين واستشهد فيها . (انظر : المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ص ٥١٢) .

مودة عليّ بن أبي طالب. وهم أوّل من سُمّوا باسم التّشيع من هذه الآفة، لأنّ اسم التّشيع قديم، شيعة نوح وإبراهيم وموسى وهنيس الأنبياء عليهم السّلام (١).

ويُعبدُ الشّيخُ الصّدوقُ التّشيعُ إلى بداية الرّسالة المحمّديّة منذ أمر الله تعالى رسولَه الأمينَ أن يُنذرَ أقرباهُ بقوله: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (٢)، فيذكر أنّه عليه الصّلاة والسّلامُ دعا بني عبد المطلب، وكانوا حوالي أربعين رجلاً، وسألهم أنّهم يَكُونُ أخاه ووصيّه ووارثه ووزيره وخليفته فيهم بعدَه عليه الصّلاة والسّلامُ، فكُلّهم أبى ذلك. فلما وصل إلى عليّ قال: «أنا يا رسولَ الله» فقالَ عليه الصّلاة والسّلامُ: «هذا أخي ووارثي ووصيّي ووزيرِي وخليفتي فيكم بعدِي»، وهداها قاموا بهضكون ويقولون لعبد المطلب: «إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ هَذَا الْغَلَامَ وَتَطِيعَهُ» (٣).

أما علماءُ الشّيعة المحدثونَ فمنهم مُخسِن الأمين العامليّ، وهو يرى أنّ التّشيع يعود إلى عهد الرّسولِ الكريم، وفي ذلك يقول: «القول بتفضيلِ عليّ عليه السّلام وموالاته الذي هو معنى التّشيع كان موجوداً في عهد الرّسول» (٤). ويقول: «فما يظهر من فهرست ابن النّديم من أنّ تسمية أتباعِ عليّ عليه السّلام باسم الشيعة كان ابتداءً من يوم الجمل ليس بصواب، بل تسميتهم بذلك من زمن الرّسول» (٥). وإلى هذا الرأي يذهب علماءُ شيعةٍ آخرونَ منهم محمد جواد مَنِينِيَّة (٦)، ومحمد حسين المظفر (٧) ومحمد حسين الزين (٨)، ومحمد مرعي الأمين الانطاكي (٩) ومحمد الحسين آل كاشغري.

-
- (١) العقالات والفرق: ص ١٥، وانظر: فرق الشيعة: ص ١٥-١٦.
- (٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
- (٣) علل الشرائع: ج ١، ص ١٧٠.
- (٤) أعيان الشيعة: ج ١، ص ١٣.
- (٥) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٢.
- (٦) انظر: الشيعة والحاكمون: ص ١٧، والباري العامة للفقهِ الجعفريّ: ص ٧.
- (٧) انظر: تاريخ الشيعة: ص ١٣، والشيعة والإمامة: ص ١٠.
- (٨) انظر: الشيعة في التاريخ: ص ٢٩.
- (٩) انظر: لماذا اخترت مذهب الشيعة: ص ٢٧٢، ص ٢٩٢.

الغطاء (١) . وقد بلغ الأمر بالشيخ محمد جواد مغنّية أن يقول : « إِنَّ الْمَصْدَرِ
الْأَوَّلَ وَالْأَخِيرَ لِلشَّيْعَةِ وَالتَّشْيِيعِ هُوَ النَّبِيُّ دُونَ سِوَاهُ ، فَإِنَّ كَانَ التَّشْيِيعُ هُوَ السَّبَبُ لِمُتَزَيِّقِ
المسلمين وتفريقِ كلمتهم كما زعم بعض السُّنَّةِ فالمسؤول عن ذلك هو النبي وحده دون
سواها (٢) .

فحين سرى أن محمد جواد مغنّية يبالح في ردّ التشيع إلى زمن الرسول الكريم ،
وهو يريد من ذلك أن ينفي عن التشيع تهمة تمزيق وحدّة المسلمين ، ولذا نجده يعبّر
عن ذلك بتحميل الرسول الكريم مسؤولية تمزيق المسلمين ، لأنّه هو الذي أسس التشيع ،
وهذه جرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم غير مقبولة منّا كان الهدف منها ،
ونحن نعلم أنّه عليه الصلاة والسلام وحدّ المسلمين على عقيدة واحدة ، وأخرجهم من
الظلمات إلى النور .

ويذهب بعض الباحثين إلى الاستدلال على نشوء التشيع زمن الرسول الكريم
بأنّ بعض المؤرخين ردّوا التشيع إلى سقيفة بني ساعدة ، وما جرى فيها من خلاف بعد
وفاة الرسول الكريم ، وهذا يدلّ - كما يقولون - على أنّ التشيع كان موجوداً من قبل ،
لأنّه لا يُعقل أن يتبلور التشيع خلال هذه الفترة الوجيزة (٣) .

ثانياً : وفئة ثانية من الباحثين ذهبوا إلى أنّ التشيع ظهر بعد وفاة الرسول
الكريم مباشرة بسبب الخلاف الذي نشب بين المسلمين فيمن يخلفه في الخلافة . وممن
هو «ابن خلدون (٤) من القدماء ، وأحمد أمين من المُحدّثين .

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها : ص ٣-٥٤ .

(٢) الشيعة في الميزان : ص ١٩-٢٠ .

(٣) هوية التشيع : ص ٣٠ .

(٤) وليّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المالكي ، ولد
سنة ٧٣٢ هـ بمدينة تونس ، وطلب العلم ، وتنقل في بلاد مختلفة ، وتولّى القضاء
عدة مرات إلى أن توفّي سنة ٨٠٨ هـ . (انظر : شذرات الذهب : ج ٧ ، ص
٧٦-٧٧) .

فابن خلدون يرى أنّ التّشيعَ ظهرَ بعدَ وفاةِ الرّسولِ الكريمِ، فقد كانَ أهْلُ البيتِ يروونَ أنّهمَ أحقُّ بالخِلافةِ من سائرِ الناسِ، والشّيعَةُ وضَحَ أمرها أيامَ الشُّورى، فقد كانَ جماعةٌ من الصّحابةِ يتشتمونَ لعليّ رضي اللهُ عنه، ويروونَ استحقاقه للخِلافةِ دونَ غيره، ولَمّا جُعِلَتِ الخِلافةُ إلى سِواه تَأَقَفَتِ تِلْكَ الجَماعَةُ، وكانَ من هؤلاءِ الزهريُّ بنُ العوّامِ (١) وعقارُ بنُ ياسرٍ ومقدادُ بنُ الأسودِ (٢).

وأما أحمدُ أمينٌ فيقولُ: "كانتِ البذرَةُ الأولى للشّيعَةِ الجماعةُ الذينَ رأوا بعدَ وفاةِ النّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلّمَ أنّ أهلَ بيتهِ أوّلَى أن يخلّفوه، وأوّلَى أهلَ البيتِ العباسُ عمُّ النّبِيِّ وعليّ ابنُ عمِّه، وعليّ أوّلَى من العباسِ (٣)"، ويرى أحمدُ أمينٌ أنّ هذا الحِزبَ نما بعدَ ذلكَ بمرورِ الرّزْمِ، وبالطّاعينِ في عثمانَ رضي اللهُ عنه (٤). وقد وافقَ أحمدُ أمينٌ على رأيه هذا باحثونَ آخرونَ منهمَ يحيى هويدى (٥)، وعباسُ الجراري (٦)، فهما يرجعانَ نشأةَ التّشيعِ إلى ذلكَ النزاعِ الذي جرى يومَ السقيفةِ، ومعلومٌ أنّهُ أوّلُ خلافٍ جرى بينَ المسلميّنَ بعدَ وفاةِ الرّسولِ عليه الصّلاة والسّلام (٧).

ثالثاً: والفئةُ الثالثةُ من الباحثينَ تردُّ نشأةَ التّشيعِ إلى عهدِ عُثمانَ بنِ عفّانَ رضي اللهُ عنه، ومنهمُ المقرئُ (٨) من القداماءِ، والمستشرقُ الألمانِيّ فلهوزن من الّخَدَثينَ.

-
- (١) الزهريُّ بنُ العوّامِ بنُ خويلدِ بنِ أسدٍ، ابنُ عمّةِ الرّسولِ الكريمِ، أحدُ السّبّةِ أصحابِ الشُّورى، جاهدَ معَ الرّسولِ الكريمِ في بدرٍ وغيرها، وقاتلَ في معركةِ اليرموكِ، وخرجَ لقتالِ عليّ يومَ الجَمَلِ، ولكنه رجعَ، فقتله عمرو بنُ جرْموز سنة ٣٦ هـ. (انظر: الإصابة في تمييز الصّحابة: ج ١، ص ٥٤٥-٥٤٦).
- (٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ١٧١.
- (٣) فجر الإسلام: ص ٢٦٦.
- (٤) المرجع نفسه: ص ٢٧٨.
- (٥) انظر: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلاميّة: ص ٨٤.
- (٦) انظر: في الشّعر السياسيّ: ص ١٣.
- (٧) الحور العين: ص ٢١٢.
- (٨) أحمدُ بنُ عليّ بنِ عبد القاهر المقرئُ، وليدٌ بعدَ سنة ٧٦ هـ، وتوفي سنة ٨٤٥ هـ في القاهرة. (انظر: الهدر الطالع: ج ١، ص ٧٩-٨١).

فالمقريزي يذكر أنّ عبد الله بن سبأ (١) هو الذي بدأ التشيع في زمن عثمان ، وكان يكيد للإسلام والمسلمين ، فأخذ ينتقل من مكان إلى آخر ويوَلِّب الناس على عثمان ، ويُشعل الفتنة حتى انتهى الأمر بمقتل عثمان رحمه الله (٧) . وقد تابع المقريزي على رأيه هذا في أنّ التشيع ظهر زمن عثمان باحثون مُحَدِّثُونَ منهم محمد أبو زهرة (٣) ، ومحمود الشيبيني (٤) ، والمستشرق فلهوزن الذي يرى أنّه " بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى حزبين : حزب عليّ وحزب معاوية (٥) .

ولابن النديم (٦) رأي آخر في تحديد نشأة الشيعة ، فهو يرى أنّ التشيع كحركة سياسية ظهر بعد عهد عثمان بمدة وجيزة ، وذلك في عهد عليّ ، ففند ما خرج طليحة والزبير لقتال عليّ مُطالبين بدم عثمان قصد هما عليّ لبقائهما حتى يفئسا إلى أمر الله تعالى ، وقد تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان عليّ يقول : شيعتني ، وسماهم طبقات ، منها : طبقة الأوصياء ، وطبقة الأولياء ، وطبقة الأصحاب (٧) .

والآن نتساءل : متى ظهر التشيع ؟ أظهر زمن الرسول الكريم أم ظهر فيما بعد ومتى ؟

نحن لا نعتقد بوجود شيعة في زمن الرسول الكريم بالمعنى الاصطلاحي الذي فهم فيما بعد ، فربما كان بعض المسلمين يشعر بمقتل عاطفي نحو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام نظراً لقربه من الرسول الكريم ، ولأنه ربيّ في حجره ، ولكن ذلك لم يظهر منهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن هنا فإننا نعتقد أنّ محاولة بعض الباحثين

-
- (١) عبد الله بن سبأ ، يهودي من غلاة الزنادقة ، أصله من اليمن ، كان يسبّ أبا بكر وعمر ، وله أتباع يستقون السبئية حرقهم عليّ بالنار . (لسان الميزان : ج ٣ ، ص ٢٨٩-٢٩٠) .
 - (٢) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ، ص ٣٣٤ .
 - (٣) انظر : تاريخ المذاهب الإسلامية ج ٢ ، ص ٤٧ .
 - (٤) انظر : الفرق الإسلامية ، ص ٢٧ .
 - (٥) أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام : ص ١٤٦ .
 - (٦) محمد بن إسحاق النديم ، صاحب الفهرست ، شيعي معتزلي ، توفي سنة ٣٨٠ هـ . (انظر : الوافي بالوفيات ج ٢ ، ص ١٩٧) .
 - (٧) الفهرست لابن النديم : ص ٢٢٣ .

ردّ نشأة التشيع إلى عهد الرسول عليه السلام إنما هي من أجل رتب دعوى خصومهم التي ترجع معتقدات الشيعة إلى أصول أجنبية، كما فعل المقرئ وابن خلدون، فكما رأينا ردّ المقرئ الغلو في التشيع إلى عبد الله بن سبأ ووافقه في ذلك ابن خلدون (١). ومحاولة إرجاع التشيع إلى زمن الرسول الكريم فيها خطر عظيم أيضاً، وهو أنه لم يكن بين يدي الرسول شيعة ولا سنة، وقد أعلن القرآن "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (٢). لا التشيع ولا التسنن، وأتى الإسلام لكي يرفع الحزب بين الناس، فلا هاشمي ولا قرشي، ولا ثمي ولا غيره، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى (٣). وهكذا يتضح أنه لم يكن في حياة الرسول شيعة بالمعنى السياسي ولا بالمعنى الروحي، فلم تظهر كلمة التشيع كمصطلح في ذلك العهد.

وبعد وفاة الرسول الكريم جرت أحداث سقيفة بني ساعدة، فقد أراد الأنصار مبايعة زعيمهم سعد بن عباد (٤)، ولكنهم عندما سمعوا من أبي بكر ما أخبر به الرسول الكريم من أن الأئمة من قريش رجعوا (٥). وتخلّف عن أبي بكر جماعة مالوا مع عليّ، وكان منهم عمار بن ياسر وأبو ذرّ الغفاري (٦) وسلمان الفارسي، والبراء بن عازب (٧)، وأبي بن كعب (٨)، والزبير بن العوام (٩).

- (١) انظر: تاريخ ابن خلدون ج ٣، ص ١٧١.
- (٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
- (٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ج ٢، ص ٣٠.
- (٤) سعد بن عباد بن دلم بن حارثة الأنصاري، كان سيد الخزرج، شهد العقبة، وقيل شهد معركة بدر، وكان كريماً، مات بحوران سنة ٥١ هـ وقيل سنة ٦١ هـ. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢، ص ٣٠).
- (٥) البدء والتاريخ: ج ٥، ص ٦٥.
- (٦) جندب بن جنادة، كان من السابقين إلى الإسلام، وتوفي بالريذة سنة ٣١ هـ، وقيل في التي بعدها. (الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٤، ص ٦٤).
- (٧) البراء بن عازب بن الحارث بن هدي، كانت له صحبة مع الرسول الكريم، وشهد مع عليّ الجمل وصقين وتوفي سنة ٧٢ هـ. (انظر: المصدر نفسه: ج ١، ص ١٤٢).
- (٨) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وتوفي سنة ٣٠ هـ في أصح الأقوال. (انظر: المصدر نفسه: ج ١، ص ١٩-٢٠).
- (٩) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١١٤.

وَبَلَّحَظَ أَنَّ هُوَ لَا يَتَخَلَّفِينَ كَانُوا نَفَرًا قَلِيلًا ، وَلَمْ يَكُونُوا يُشَكِّلُونَ فِرْقَةً ، وَلَسُو
فَرَضْنَا جَدَلًا أَنَّ هُوَ لَا يَكُونُوا - كَمَا بَرَى بَعْضُ الْبَاحِثِينَ - نَوَاةَ التَّشْيِيعِ ، فَالْفَرْقُ جَلِيٌّ بَيْنَ
أَفْكَارِهِمُ الْبَسِيطَةِ الْمَبْنِيَةِ عَلَى الزُّهْدِ ، وَبَيْنَ الْأَفْكَارِ الشَّيْعِيَّةِ فِيمَا بَعْدَ الَّتِي تَأَثَّرَتْ بِتَقَارَاتِ
فِكْرِيَّةٍ مُتَبَايِنَةٍ . وَقَدْ كَانَ مَعْظَمُ هُوَ لَا يَزِي مَبُولَ عَاطِفِيَّةٍ مَعَ عَلِيٍّ ، لَكِنَّا نَلَاظُ أَنَّ مِنْهُمْ
الزُّهْرِيَّ بِنَ الْعَوَّامِ وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ لِمَقَاتَلَةِ عَلِيٍّ فِيمَا بَعْدَ (١) ، كَمَا كَانَ مِنْهُمْ أَبُو سَفْيَانَ بِنُ
حَرْبٍ الَّذِي كَانَتْ عِدَاوَتُهُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَاضِحَةً ، وَقَدْ أَخَذَ بِحَرْضِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى
أَبِي بَكْرٍ وَبَدَعُو عَلِيًّا إِلَى بَسْطِ يَدِهِ كِي يَهَابِعَهُ (٢) ، فَهَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعُدَّ أَبَا سَفْيَانَ شَيْعِيًّا ،
وَقَدْ كَانَتْ عِدَاوَتُهُ لِلْإِسْلَامِ غَيْرَ خَافِيَةٍ عَلَى أَحَدٍ ؟ لَوْ كَانَ شَيْعِيًّا لَأَحْدَثَ تَغْيِيرًا فِي مِشَاعِرِ
ابْنِهِ مَعَاوِيَةَ نَحْوَ عَلِيٍّ ، وَلِغَرَسَ فِي نَفْسِهِ التَّشْيِيعَ لِعَلِيٍّ أَيْضًا ، وَلَمَا شَقَّ مَعَاوِيَةَ عَصَا
الطَّاعَةِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ الَّذِي يَذْهَبُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْحَقِّ
فِي حَرْبِ صِيقِينَ . وَلَمْ يَكُنْ لِمَعَاوِيَةَ الْحَقُّ فِي أَنْ يَتَّهَمَهُ بِقَتْلِ عِثْمَانَ (٣) .

وَيُزَوِّي أَنَّ عَلِيًّا طَلِبَ إِلَى جَمَاعَةٍ أَرَادُوا مَهَابِعَتَهُ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ أَنْ يَأْتُوهُ فِي الْفِئْدِ
مَحَلَّتِي الرُّوَسِ ، فَلَمْ يَأْتِهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ (٤) . كَمَا أَنَّ الْمَعْقُوبِيَّ وَهُوَ مَوْجُوعٌ شَيْعِيٌّ قَدْ يَسْمُ
لَمْ يَذْكَرْ لَفْظَ الشَّيْعَةِ حَتَّى هَذِهِ الْحِقَّةُ .

وَهَكَذَا فَقَدْ غَضِبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ مَالِبَتُوا أَنْ
يَاهَبِعُوا عِنْدَمَا رَأَوْا عَدَلَ أَبِي بَكْرٍ وَاتِّبَاعَهُ سُنَّةَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ (٥) ، وَمِنْ هَذَا يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ
تَشْيِيعَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِعَلِيٍّ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ كَانَ تَشْيِيعًا عَاطِفِيًّا مَحْضًا ، وَلَمْ يَكُنِ التَّشْيِيعَ
قَدْ ظَهَرَ كَفِرَةً أَوْ مِصْطَلَحًا .

وَعِنْدَمَا تَوَلَّى عَمْرُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يَظْهَرَ التَّشْيِيعُ فِي عَهْدِهِ عَلَى شَكْلِ
فِرْقَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَشْيِيعٌ ، بَدَلْنَا عَلَى ذَلِكَ بَعْضَ الْأُمُورِ ، مِنْهَا : تَزْوِجُ عَلِيٍّ عَمْرًا بِنَ الْخَطَّابِ

(١) انظر : الفتح : ج ٢ ، ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٨ .

(٢) تاريخ المعقوبي : ج ٢ ، ص ١١٦ .

(٣) المواصم من القواصم : ص ١٦٤ .

(٤) تاريخ المعقوبي : ج ٢ ، ص ١١٦ .

(٥) انظر : المصدر نفسه والجزء والصفحة يفسهما .

من ابنته أم كلثوم، فأمرها عمر عشرة آلاف دينار (١) . ومنها أن عمر ولي سنة ٢١ هـ عمار ابن ياسر على الكوفة وعبد الله بن مسعود (٢) على بيت المال (٣) ، كما كان سلمان الفارسي عامل عمر على المدائن ، وبقي كذلك حتى توفي في خلافة عثمان (٤) . فلم يكن في عهد عمر تشييع سياسي ولا روحي ، فلو كان هؤلاء الرجال من أمثال عمار وابن مسعود وسلمان الفارسي يتشيعون سياسياً أو روحياً ، لما وافقوا على أن يتولوا الأعمال لعمر ، ولو كان علي يعتقد أن عمر غصبه الخلافة فإنه ما كان ليروجه من ابنته ، وما كان لأحد أن يجبره على ذلك .

وفي عهد عثمان نجد أن سلمان الفارسي بقي والياً على المدائن حتى وفاته ، وهذا دليل على أن سلمان ومعه بقية المسلمين كانوا راضين بحكم عثمان ، لأنه كان بوسعه أن يترك المدائن بعد وفاة عمر . وبعد ذلك أخذ المسلمون على عثمان بعض المآخذ ، واختلفوا معه ، وكان منهم أبو ذر الغفاري . فقد ذكر المعقوبي أن أبا ذر كان يجلس في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويظعن في عثمان ، ويورد المعقوبي بعض ما قاله أبو ذر ومنه : ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون ، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه ، أيتها الأئمة المتحيرة بعد نبيها ، أما لو قدّمتم من قدم الله وأخرتم من آخر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله فأما إذ فعلتكم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا آبي منقلب ينقلبون (٦) .

- (١) تاريخ المعقوبي ج ٢ ، ص ١٣٩ .
- (٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، هاجر الصجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، وحدث عن الرسول الكريم كثيراً من الأحاديث ، وتوفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ . (الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ، ص ٣٦٨ - ٣٧٠) .
- (٣) الكامل في التاريخ ج ٣ ، ص ٢٠ .
- (٤) انظر : مشاكلة الناس لزمانهم : ص ١٢ ، والهدى والتاريخ ج ٥ ، ص ١١٠ .
- (٥) في الأصل : "فضلت" .
- (٦) تاريخ المعقوبي ج ٢ ، ص ١٦١ .

وهذا النَّصُّ - إنَّ صَحَّحَتْ نَسْبَتَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ - يُعَدُّ أَوَّلَ نَعْرِصْرِيحٍ مِنْ أَحْسَدِ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ أَحَقُّ بِالْخِلاَفَةِ مِنْ غَيْرِهِ . وَلَكِنَّا نَرَى أَنَّ هَذَا النَّصْرَ ضَعِيفٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعَقَّبِيَّ نَفْسَهُ يَقُولُ بَعْدَهُ بِمَآشِرَةٍ : " وَبَلَغَ عِثْمَانَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ يَقَعُ فِيهِ ، وَبِذِكْرِ مَا غَبَّرَ وَيَدُلُّ مِنْ سَنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَسَنَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَسَوَّرَهُ إِلَى الشَّامِ إِلَى مَعَاوِيَةَ (١) . فَهَذَا النَّصْرُ صَرِيحٌ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ أَبَا ذَرٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ يَتَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَيَأْخُذُ بِسُنَّتَيْهِمَا وَيُعِيبُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْدِيلَهُ فِيهِمَا .

وعند ما جاء عليٌّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - إِلَى الْخِلاَفَةِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ظَهَرَ مِصْطَلَحُ " الشَّيْعَةِ " بِالْمَفْهُومِ السِّيَاسِيِّ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَبَلَّوْا بِشَكْلِ مُتَكَامِلٍ . وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ ، كَمَا يَرَوِي ابْنُ النَّدِيمِ ، عِنْدَ مَا خَرَجَ عَلِيٌّ لِقِتَالِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ عِنْدَ مَا خَالَغَاهُ وَخَرَجَا مُطَالِبِينَ بِدَمِ عُثْمَانَ ، فَتَسَعَى أَتْبَاعُهُ الشَّيْعَةَ ، وَكَانَ هُوَ يَقُولُ : شَيْعَتِي (٢) . وَرَبَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا الْقَوْلِ مَبَالِغَةٌ ، يَدُلُّنَا عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ نَشْوَانُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَمَيْرِيُّ مِنْ أَنَّ الشَّيْعَةَ الَّذِينَ شَايَعُوا عَلِيًّا عَلَى قِتَالِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَمَعَاوِيَةَ وَالْخَوَارِجِ فِي حَيَاةِ عَلِيٍّ كَانُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ : الأولى ، وَهِيَ جُمْهُورُهُمُ الْأَعْظَمُ يَرَوْنَ إِمَامَةَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ إِلَى أَنْ غَبَّرَ السِّيْرَةَ . وَالثَّانِيَةُ : وَهِيَ أَقَلُّ عَدَدًا مِنَ الْأُولَى يَرَوْنَ إِمَامَةَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عَلِيٍّ وَلَا يَرَوْنَ لِعُثْمَانَ إِمَامَةً . وَالثَّلَاثَةُ وَهِيَ أَقَلُّهُمْ عَدَدًا يَرَوْنَ أَنَّ عَلِيًّا أَوْلَى بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، وَأَنَّ إِمَامَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ النَّاسِ وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَشْهُورَةِ وَالرَّأْيِ ، وَهُمْ مُصَوِّبُونَ فِي آرَائِهِمْ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ إِمَامَةَ عَلِيٍّ كَانَتْ أَصُوبَ وَأَصْلَحَ (٣) . وَمَعَ ذَلِكَ فَهَذَا الْخُرُوجُ مَعَ عَلِيٍّ ضِدَّ أَصْحَابِ الْجَمَلِ يُعْتَلُّ مَوْقِفًا سِيَاسِيًّا ، وَمَا يَذْكُرُهُ نَشْوَانُ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّشْيِيعَ الرَّوْحِيَّ الْقَائِمَ عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ عَلِيًّا أَحَقُّ بِالْخِلاَفَةِ مِنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ لَمْ يَكُنْ قَدْ ظَهَرَ حَتَّى زَمَنِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ . وَيَرَى مِصْطَفَى الشُّكْعَةَ أَنَّ الَّذِينَ بَايَعُوا عَلِيًّا لِقِتَالِ أَصْحَابِ صِفِّينَ لَمْ يَبَايَعُوهُ لِأَنَّهُ رَمَزَ دِينِيَّ وَإِنَّمَا بَايَعُوهُ لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ أَحَقَّ

(١) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٢) الفهرست : ص ٢٢٣ .

(٣) الحور العين : ص ص ١٨٠ - ١٨١ .

من معاوية بالخلافة، كما رأى من قبلهم أحقية الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان، فالتشبيح كان في ذلك الوقت تشيماً سياسياً وليس بتشيعاً روحياً. (١)

وبعد استشهاد علي وتولي معاوية الخلافة، نجد كلمة "الشيعة" تظهر، وذلك عند ما كتب الشيعة إلى الحسين بن علي - رضي الله عنه - يعزونه بوفاة أخيه الحسن ابن علي، ومن ذلك قولهم من كتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعة وشيعة أبيه أمير المؤمنين، سلام عليك... أما بعد، فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي. ما أعظم ما أصيبت به هذه الأمة عاتقاً، وأنت وهذه الشيعة خاصة، بهلاك الحسن الرضي وابن النبي، ونحن شيعةك العصاة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك" (٢)

ويلاحظ الناظر في هذا الكتاب أن كلمة "الشيعة" لم تُستخدم فيه للدلالة على فرقة دينية أو طائفة معينة، وإنما هو يذكّر شيعة علي وشيعة الحسين. فقد كان الناس حتى تلك الفترة مسلمين فقط لا سنة ولا شيعة، وإنما كان الخلاف فيما بينهم يدور حول حق الأشخاص، ولم تظهر بينهم فكرة الإمامة بصورة فكرة أو سياسة.

وقد تعقّق ظهور الشيعة السياسي بعد استشهاد الحسين بن علي رحمه الله، وظهرت الشيعة كفرقة دينية تحاول أن تتدبر الأمر الناجم عن استشهاد ه، ويتضح ذلك ممّا يذكره المسعودي بقوله: "وفي سنة خمس وستين، تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتناؤم حين قتل الحسين فلم يغيثوه، ورأوا أنهم قد أخطأوا كثيراً بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه، ولما قتلوا إلى جانبهم فلم ينصروه، ورأوا أنه لا يفسل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه، ففزعوا إلى خمسة نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي... (٣) . وقد التقى هؤلاء الشيعة في عين الورد (٤) بجيش عبيد الله

(١) إسلام بلا مذهب: ص ١٦٣.

(٢) تاريخ المعقوبي: ج ٢، ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) مروج الذهب: ج ٥، ص ٢١٣.

(٤) موضع على مقربة من الكوفة (انظر: الروض المعطار: ص ٤٢٣).

ابن زياد، فاستشهد سليمان بن سرد وكثير من أصحابه، ورجع الباقر إلى الكوفة والبصرة (١). وقد أشار العقوبي إلى هذا فذكر أن سليمان بن سرد خرج بجماعة من الشيعة للطلب بدم الحسين (٢).

ثم ظهر المختار بن أبي عبيد، وظهرت فرقة المَخْتَارِيَّة وسميت "بالكيسانية" أيضا وقد جاء من الحجاز بعد أن نفاه عبيد الله بن زياد إلى هناك، فظهر في الكوفة وأخبر الشيعة أن محمد بن الحنفية (٣) بعثه إليهم أميراً، وأنه سيطلب بدم الحسين وسيقتل قتلته، فصدقوه معظمهم وبأيموه. فأرسل جيشاً سنة ٦٦هـ بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي (٤) فقتل عبيد الله بن زياد سنة ٦٧هـ وتتبع قتلة الحسين ومنهم عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي قاد جيش الأمويين في قتل الحسين (٥)، وبعد ذلك أخذت الشيعة تظهر فرقة رينية كلامية توضع مبارى التشيع وأصوله.

بعد هذا العرض لنشأة التشيع نرى أن التشيع نشأ نشأة عاطفية فطرية بعد وفاة الرسول الكريم، وهي نشأة تقوم على أساس القرى من الرسول عليه الصلاة والسلام والتسبب إلى الإسلام، فقد شعر نفر من المسلمين أن علياً رضي الله عنه كان له من الصفات ما يؤهله لأن يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه، ثم ظهر هذا التشيع على صورة موقف سياسي بعد مقتل عثمان رحمه الله وذلك في أيام الجعل وصفين حين انحاز قسم كبير من الصحابة إلى جانب علي في القتال، وتعمق هذا الاتجاه السياسي بعد استشهاد الحسين - رضي الله عنه - في كربلاء، وذلك عندما قام الشيعة للطلب بدمه لأنهم شعروا بالندم والأسى لعدم نصرتهم إياه في القتال. وأما التشيع كعقيدة روحية ومذهب فكري في الإمامة والسياسة فلم يتكامل بُنْيَانُهُ إلا في نهاية القرن

(١) انظر: مروج الذهب: ج ٢، ص ٢١٤-٢١٩.

(٢) تاريخ العقوبي ج ٣، ص ٤.

(٣) محمد بن الحنفية، وهو محمد بن علي بن أبي طالب، كان عالماً زاهداً عابداً، شديد القوة، توفي سنة ٨١هـ. (انظر: شذرات الذهب: ج ١، ص ٨٨-٩٠).

(٤) إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، قتل عبيد الله بن زياد سنة ٦٧هـ، وقتل فسي لقائه مع مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ (سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٥).

(٥) تاريخ العقوبي ج ٣، ص ٥-٧.

الأول الهجريّ عندما ظهر القول بنظرية النعق والتعيين التي أكسبته ملامح ومميزات تميّز بها عن غيره من المذاهب، إذ ارتبط التشعُّع بهذه النظرية، فيوصف بالتشعُّع من وافق الشيعة في أنّ علماً وصيّ الرسول الكريم وأحقّ الناس بالإمامة بعده، فمَن وافقهم في ذلك فهو شيعيٌّ وإن ضمَّ إلى ذلك معتقدات يُنكرها الشيعة وبأبوتها، ولا يستحقُّ اسم التشعُّع من لم يدنْ بهذه النظريّة، وإن وافق الشيعة في جميع الجوانب الأخرى للتشعُّع (١). وما يُعزِّزُ هذا الرأي لدينا ما يقوله ابن المرتضى وهو من علماء الشيعة الزيدية وأئمّتها: "وأما الرافضة فحدّث مذهبهم بعد مضي الصدر الأول ولم يسمع عن أحد من الصحابة مَن يذكر أن النعق في "علي" جلّي متواتر، ولا في اثني عشر إماماً كما زعموا، فإن زعموا أنّ عقاراً وأباً ذرّ الغفاريّ والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسيّ كانوا سلفهم لقولهم بإمامة عليّ عليه السلام كذبهم كونه هو لا لم يُظهروا البراءة من الشنخين ولا السبّ لهما، أو لا ترى أن عقاراً كان عاملاً لِعمر بن الخطّاب في الكوفة، وسلمان الفارسيّ في المدائن" (٢). ويعزِّزُ هذا الاتجاه لدينا أيضاً ما ذكر من أن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عندما سُئل عن أبي بكر وعمر قال فيهما خيراً وأجاب بأنّهما صحبا الرسول الكريم بأحسن الصحبة، ولم يسمع أحداً من أهل بيته تهرأ منهما، ولا قال فيهما إلاّ خيراً (٣). وهذا يدلُّنا على أنّ مبدأ النعق والتعيين والقول بإمامة عليّ، وأنّ الخلفاء الثلاثة الأوائل مغتصبون للخلافة لم يظهر إلاّ في أواخر القرن الأول الهجريّ، وقبل ذلك كان أهل البيت خاصّةً والمسلمون بعامة يصحّحون خلافة الخلفاء الراشد بين الثلاثة، وإن كان لبعضهم ما أخذ على عثمان رحمه الله، ويوافقنا في رأينا هذا الدكتور محمد علي أبو ريان (٤)، وذلك على النقيض ممّا يراه

(١) أوائل المقالات: ص ٤

(٢) طبقات المعتزلة: ص ٥-٦

(٣) الحُجُور العيين: ص ١٨٤

(٤) انظر: تاريخ الفكر الفلسفيّ في الإسلام: ص ١٢٧

عبد الله فتأخر حين يذهب إلى أن التشيع الروحي لعلّي والقول بإمامته أسبق عهداً من التشيع السياسي، إذ إنه بدأ زمن الرسول الكريم (١) ونحن لا نتفق معه في قوله هذا، ونستدل على عدم صحة هذا الرأي بالإضافة لما ذكرناه في السابق بما روي عن عليّ نفسه من أقوال تدل على فضل الخلفاء قبله وصحة خلافتهم، مثل قوله: "لا أجد أحداً فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جليده حذّ المفترين" (٢)، ومن ذلك ما روي عن أحد الشيعة الثقات واسمه سالم بن حفصة من أنه دخل على جعفر بن محمد (٣) وهو مريض فسمعه يناجي الله تعالى ويقول: "إنه حبيب أبابكر وعمر ويتولاهما، وإن كان في نفسه غير هذا فلا نالته شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم" (٤).

وهكذا يتضح للباحث أن التشيع كان عربياً في نشأته، ولم يكن فارسياً كما حلّو لبعض الباحثين أن يصرّوه، ومنهم ألبير نصري نادر (٥)، فالتشيع بمعناه ومفهومه موجود في لغة العرب، والذين أظهروا الميل لعلّي زمن السقيفة كان معظمهم من العرب، كما أن الذين قاتلوا معه في معركة الجمل وحرب صفين كانوا أيضاً من العرب. ومن الأمور الطبيعية أن يكون للفرس أثر في مجال التشيع، ونحن نعتقد أنهم تبنوا التشيع فيما بعد لأنهم رأوا في المبادئ التي كان الأئمة يدعون إليها انسجاماً مع روح الإسلام وتجسداً للمساواة التي قررها بين الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وذلك ما لم يوجد لدى خلفاء بني أمية، فقد خرجوا على هذه المبادئ في كثير من الأحيان.

(١) تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة: ص ٤٤، ٣٨٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ٦.

(٣) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب
أحد الأئمة الاثني عشر، وليد سنة ٨٠ هـ وتوفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ. (وفيات

الأعيان: ج ١، ص ٣٢٨).

(٤) الصواعق المحرقة: ص ٦.

(٥) انظر: أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية: ص ٢٣.

ومنذ استشهاد عليّ - كرم الله وجهه - بدأ آل أبي طالب يتعرضون لضروب كثيرة من الاضطهاد والظلم، ففي سنة أربعين هجرة بايع الناس الحسن بن علي بعد استشهاد والده، وقد سار سنة ٤٤ هـ لقتال معاوية (١)، ولكن أصحابه تخاذلوا وسلبوه بيئاته وطعنه أحدُهم في فخذه ما جعله على الصلح مع معاوية (٢)، وكان رحمه الله يكره القتل وسفك الدماء، فأحب أن يُصلح بين المسلمين ويحقن دماءهم (٣) وأن يحفظ شيعته من القتل والتشريد (٤) وقد صالح الحسن معاوية بعد أن اشترط عليه شروطاً وافق عليها معاوية، منها: أن يجعل للحسن الخلافة من بعده (٥) وألا يُشتم عليّ وهو يسمع (٦) وألا يُسميه الحسن أمير المؤمنين (٧)، وشروط أخرى كثيرة (٨).

وقد تعرض الحسن للظلم ويتمكّل ذلك في عدم وفاء معاوية له بأي شيء ولا تنفيذه أي شرط مما شرط عليه (٩). ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل إن الحسن رحمه الله دفع حياته ثمناً لذلك الصلح، فقد قيل إنّه توفي مسموماً، وإن زوجته هي التي سقته السم لأن يزيد بن معاوية وعدها أن يتزوجها إن هي سمّت الحسن، فعندما فعلت فعلها المنكر وتوفي الحسن رفض يزيد الزواج منها (١٠). وقد خلع الحسن نفسه من

-
- (١) انظر: تاريخ الطبري ج ٥، ص ١٥٨-١٦٢.
- (٢) انظر: المحبّر: ص ١٩، والأخبار الطوال: ص ٢١٦-٢١٧، ومختصر التاريخ: ص ٧٩-٨٠، وتتمّة المختصر في أخبار البشر ج ١، ص ٢٥١.
- (٣) محاضرة الأبرار ج ١، ص ٦٦.
- (٤) علل الشرائع ج ١، ص ٢١٢.
- (٥) الشذرات الذميمة: ص ٥٦، والإصابة في تمييز الصحابة ج ١، ص ٢٣١.
- (٦) تاريخ ابن خلدون ج ٢، ص ١٨٦.
- (٧) علل الشرائع ج ١، ص ٢١٢.
- (٨) انظر: الأخبار الطوال: ص ٢١٨.
- (٩) علل الشرائع ج ١، ص ٢١٢، والكامل في التاريخ: ج ١، ص ٢١١.
- (١٠) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ: ص ١٠٦.

الخلافة وسلّمها إلى معاوية وبإيعاز خليفته للمسلمين ، وبذلك كان - رحمه الله - أول خليفة يخلع نفسه ويسلم الأمر إلى غيره (١) فعَلَّ ذلك من أجل مصلحة المسلمين ، ولا غرو فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وكان معاوية بعد أن أصبح خليفة ، بأمر سب أمير المؤمنين عليّ على المنابر ، وكان عماله يقومون بذلك ، ويتتبعون شيعة عليّ ومن يُناصرهم بالقتل والتشريد . وقد لامة أصحابه على ذلك وطلبوا إليه أن يكف عنه ولكنه رفق (٢) . وقد ذكر صاحب نهج البلاغة أن معاوية كان يكره علياً لأنه قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد بن عتبة في معركة بدر (٣) .

وعند ما عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة من بعده تألم الحسين بن عليّ رحمه الله لأنه رأى في ذلك خروجاً على ما كان تعهّد به للحسن ، ولذا امتنع عن المبايعة ليزيد في حياة معاوية وبعد وفاته (٤) .

وبعد تولّى يزيد بن معاوية الحكم حدثت النكبة المفجعة التي هزت وما زالت تهز ضمائر المسلمين ، وهي فاجعة استشهاد الحسين بن عليّ سبط الرسول العظيم ، وكانت أكبر مصيبة تعرّض لها آل أبي طالب ، فقد أرسل إليه أهل الكوفة يستقدهم إليه ، وكانوا يحضرونه وألحوا عليه في ذلك ، وفي نهاية الأمر توجه نحو العراق يريد الكوفة ، وعند ما وصل إلى كربلاء قابله جيش الأمويين بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص وجرت أحداث تقشعر لها الأبدان ، فقد منع الحسين الشرب من ماء الفرات (٥) ، وقتل أصحابه ،

(١) التنبية والإشراف : ص ٢٦٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ٤ ، ص ٥٧ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٣٣٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ج ٣ ، ص ٢٩٥ ، وتاريخ الطبري : ج ٥ ، ص ٣٣٨ .

(٥) انظر : تاريخ الطبري : ج ٥ ، ص ٤٠٩ - ٤١٣ ، وآمالى الصدوق : ص ١٤٠ .

وقد قاتل رحمه الله بشجاعة فائقة حتى استشهد يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ، فأرسلت نساؤه وبناته إلى عبد الله بن زياد، ومن هناك أرسل الجميع إلى يزيد بن معاوية بالشام (١)، وهناك أخذ يزيد ينكت رأس الحسين بقضيب كان في يده (٢)، وبعد هذا أرسل بنات الحسين ونساءه إلى المدينة (٣) وقد تجلّى في قصة استشهاد الحسين كسل معاني التضحية والفداء والابتناء، إذ رفض أتباعه التخلي عنه عندما أباح لهم أن يتركوه لأنهم لا طاقة لهم بجيش الأمويين (٤).

وقد كان لاستشهاد الحسين أثر كبير في نفوس المسلمين بعامة والشيعة بخاصة، فقد أذكى نيران التشيع في نفوس الشيعة ووحد صفوفهم، فتعمق التشيع السياسي وأصبح عقيدة راسخة في الأذهان، كما أدى إلى تكثف الشيعة حول أئمتهم وزاد الأسى والشجى في نفوسهم. وقد علّق صاحب النجوم الزاهرة على استشهاد الحسين بقوله: وقصته طويلة تجرح ذكورها القلوب (٥). ويذكر أحمد أمين أن قتل الحسين كان غلظة عظيمة من يزيد استحاله لإصلاحها، فظل أثرها قائماً على مر الأزمان إذ أخذ الشئون يقتلون كل إمام طالبي يظهر (٦)، فجرمة قتل الحسين كانت قضية عظيمة لم تحدث في الإسلام أكثر فحشا منها، وتغشعر لها الأبدان (٧)، بحيث كان من نتائجها إشارة موجة عنيفة من الشعور بالإثم في نفس كل مسلم كان باستطاعته أن ينصر الحسين فلم ينصره بعد أن عاهدوه على النص والتأييد (٨)، مما أدى إلى قيام الشيعة بشعيرات للأخذ بثأر الحسين وقتل قتلته، كما رأينا في حركة التوابين بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي سنة ٦٥ هـ وحركة المختار بن أبي عبيد سنة ٦٧ هـ، وقد كانت حركة التوابين حركة انتحارية من جانب الشيعة تهدف إلى ملاحقة الأمويين أينما وجدوا (٩).

-
- (١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٣٤٨ وما بعدها، ودرر السمط، ص ٤٢-٥٧، وانظر: الأرواح النوافخ، ص ٤٥٤، وتذكرة الخواص: ص ٢٤١-٢٤٢، وإعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٢٢٦-٢٤٦.
 - (٢) ينابيع العود: ج ٢، ص ٣٩١.
 - (٣) تاريخ الخلفاء لمؤرخ مجهول من القرن الحادي عشر: ص ١٩٤.
 - (٤) درر السمط: ص ٥٤.
 - (٥) النجوم الزاهرة: ج ١، ص ١٥٤-١٥٥.
 - (٦) المهدي والمهدوية، ص ٨٥.
 - (٧) تاريخ الدول الإسلامية: ص ١١٣-١١٤.
 - (٨) الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٦.
 - (٩) في ظلال التشيع: ص ٣٤٩.

وكانت هذه الحركات دليلاً على أثر استشهاد الحسين في النفوس الذي أذى إلى بلورة الشيعة سياسياً ودينياً حتى إنه لم يكن القول إن حركة الشيعة ظهرت منذ استشهاد الحسين سنة ٦١هـ (١) ، وهذا يوضح لنا الخطأ الذي وقع فيه محمود إسماعيل عندما ذهب إلى أن استشهاد الحسين وبطش الأمويين باليهود حمل الشيعة على التخلي عن أسلوب الثورات، ولذا لجأوا إلى العمل السري المنظم في نضالهم (٢) ، فكما لاحظنا كان استشهاد الحسين حافزاً للشيعة على الثورة من أجل الطلب بدم الحسين ، فقامت حركة التواهيين وحركة المختار ، وقد استطاع المختار بن أبي عبيد أن يأخذ بثأر الحسين ، ولم ينج من قتلته إلا نفر يسير (٣) .

وقد تعرّض الشيعة سنة ٦٧هـ لنكبة على يد ابن الزبير (٤) ، فعندما علم ابن الزبير أن المختار غلا في آرائه وأدعى أن الوحي يأتيه بعث إليه جيشاً بقيادة أخيه مصعب فقاتل المختار جيش مصعب إلى أن قتل وقُطِعَ أَعْضَاءُ ، وقتل مصعب من الشيعة سبعة آلاف وسأهم الخشبية ، وتتبع الشيعة بالقتل والتنكيل داخل الكوفة وخارجها ، وطلب مصعب من زوجته المختار تكفيره ، فكفرته واحدة ، ورفضت الأخرى فقُتِلَتْ (٥) .

وينقل صاحب كتاب "أخبار الدولة العباسية" جانباً مما تعرّض له الشيعة من الاضطهاد على يد ابن الزبير ، فيذكر أنه لما قام عبد الله بن الزبير بمكة بعد وفاة يزيد بن معاوية دعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية إلى بيعته ، ورفض أن يبايعاه إلا إذا اجتمعت الأمة على بيعته ، فوضعها في حجرة زمزم وأقسم أن يحرقهما عليهما إذا أصرا على عدم المبايعه ، فكتبنا إلى المختار بخبرانه بما جرى ، ويستغيثان به من أجل أن ينقذهما ، فأرسل إليهما رجلاً فكسروا أعواد زمزم ودخلوا معهم

- (١) جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول : ص ٢٧٠ .
- (٢) الحركات السرية في الإسلام : ص ٦٧٠ .
- (٣) تاريخ الخلفاء لمؤرخ مجهول من القرن الحادي عشر : ص ٢٣٢-٢٣٧ ، وانظر : تاريخ ابن خياط ج ١ ، ص ٢٥٩ .
- (٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، وليد عام الهجرة ، وقتله جيش الحجاج سنة ٧٣هـ . (انظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ج ٣ ، ص ٣٠٩-٣١١) .
- (٥) مروج الذهب : ج ٥ ، ص ٢٢٦-٢٢٩ .

الخشب ولذا سُموا الخشبيّة، وتمكنوا من إخراجيها (١) .

وقد تحسّنت حال الشّيعيّة بعد أن قُتل مصعب بن الزّبير واستولى عبدالمك
على العراق سنة ٧١هـ (٢) ، فقد كتب عبدالمك إلى الحجّاج (٣) أن يجتنب رماء
أهل البيت، وبعث إلى الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ دراهم
وكسوة مع خادمه (٤) ، وبقي الإمام زين العابدين كغيره من أتقأ أهل البيت راغباً
في الموارعة ، مبتعداً عن الشّياسة إلى الدّين وعبادة الله تعالى ، وبذلك أصبح
زعيماً روحياً وآثر البقاء في المدينة حتى توفي سنة ٩٤هـ (٥) .

وفي نهاية القرن الأول الهجريّ وعندما تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة
تحسّنت أحوال الشّيعيّة فقد منع سب عليّ كرم الله وجهه وكتب إلى الافاق بتسرك
ذلك (٦) ، وقد استحسّن الناس منه ذلك ومدحه الشعراء ، ومنهم كثير عزة (٧) ، وممن
ذلك قوله :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتِمِ عَلَيًّا وَلَمْ تُخْرِفْ بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ إِشَارَةَ مُجْرِمِ
تَكَلَّمْتَ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَأَنْعَمَا تُبَيِّنُ آيَاتِ الْهُدَى بِالتَّكْلِمْ (٨)

- (١) أخبار الدّولة العبّاسيّة : ص ٩٩-١٠٠ .
- (٢) الكامل في التّاريخ : ج ٤ ، ص ٣٢٣ .
- (٣) الحجّاج بن يوسف بن أبي عقيل الثّقفي ، كان شجاعاً مقداماً مهيباً مفوهاً فصيحاً ، ولي الحجاز والعراق وخراسان ، وقتل الكثيرين وسجن آخرين ، وتوفي سنة ٩٥هـ . (انظر : شذرات الذهب : ج ١ ، ص ١٠٦-١١٠) .
- (٤) الصواعق المحرقة : ص ٢٠ .
- (٥) تاريخ الطبريّ : ج ٦ ، ص ٤٩١ .
- (٦) الكامل في التّاريخ : ج ٥ ، ص ٤٢ .
- (٧) كثير بن عبد الرّحمن الخزاعيّ ، أحد العشاق العرب المشهورين ، كان شيعياً شديداً التعصّب لآل أبي طالب ، وتوفي سنة ١٠٥هـ . (انظر : وفيات الأعيان : ج ٤ ، ص ١٠٦-١١٠) .
- (٨) ديوان كثير عزة : ص ٣٣٤ .

وعند ما قامت الدَّعوة العباسية في أواخر القرن الأول الهجري كان للشَّيعة دور كبير فيها ، فقد كان النَّاس يعطفون على آل عليّ وعلى استعداد لتتابعهم وذلك لما لحق بآل عليّ من الظلم والحيف ، ولذا نجد العباسيين قد اعتمدوا على الدَّعوة الشيعية في بداية الأمر ، فقد ذهب أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى سليمان بن عبد الملك (١) بالشَّام وأُعجِبَ سُلَيْمَانُ بِفصاحته وبلاغته ، ولكنّه خاف منه ، فدَسَّ إليه مَنْ سَمَّه في الطريق ، وعند ما أحسَّ أبو هاشم بما حلَّ به ذهب إلى الحميمة (٢) من أرض الشَّراة ، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأخبره أن الخلافة صائرة إلى ولده وأعلمه ما يجب عليه أن يفعل ، وكان أبو هاشم قد أخبر شيعته أن الأمر صائر إلى ولد مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وأمرهم أن يقصدوه بعد وفاته ، فلما تُوفِّي ذهبوا إلى محمدٍ ودَعَوْا النَّاسَ إليه فأجابهم (٣) . وتوفي أبو هاشم سنة ٩٨ هـ ، ولم يكن له ولد ، ولذا فقد نقل الخلافة إلى العباسيين بإبصاره إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، وعندما حضرت فجَّذا الوفاة أوصى إلى ابنه إبراهيم المعروف بالإمام ، فلَمَّا حبسه مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين أوصى إلى السَّفَّاح (٤) وهو أول خلفاء بني العباس (٥) . وفي البداية كان العباسيون يدعون إلى آل البيت بعاقبة ، وبهذه الخِدَعَةِ - كما يرى نكلسون - استطاعوا أن يحلُّوا محلَّ العلويين وأن يتغلغلوا في خراسان (٦) .

- وفي أواخر العهد الأموي تجددت ثورات الشَّيعة ، ففي سنة ١٢١ هـ خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة بعد أن وعدة الشَّيعة بالنَّصر (٧) ، وقد نصحه بعض أقاربه بالآبِثِقَ بأهل الكوفة ، ولكنّه لم يستمع إليهم
-
- (١) سليمان بن عبد الملك ، خليفة أمويّ ، كان فصيحاً مهيباً ، عاليّ الرِّبَّة ، توفي سنة ٩٩ هـ (انظر : شذرات الذهب ج ١ ، ص ١١٨) .
- (٢) الحميمة : بلد من أرض الشَّراة من أعمال عمان في أطراف الشَّام بها كان منزل بني العباس : (معجم البلدان : ج ٢ ، ص ٣٠٧) .
- (٣) الكامل في التاريخ ج ٥ ، ص ٥٣ .
- (٤) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، بويح له بالخلافة سنة ١٢٢ هـ وتوفي سنة ١٣٦ هـ بالأنبار (انظر : تاريخ الطبري : ج ٧ ، ص ٤٢١ ، ٤٢٢) .
- (٥) شذرات الذهب ج ١ ، ص ١١٣ .
- (٦) تاريخ الأدب العباسي : ص ١٩ .
- (٧) تاريخ الطبري ج ٧ ، ص ١٦٠ ، وانظر : العبر في خبر من غير نج ١ ، ص ١٥٤ .
- (٨) الكامل في التاريخ ج ٥ ، ص ٢٣٥ .

نصائحهم (١) ، وقد تخلّى عنه معظم أصحابه لأنّه لم يطعن في أبي بكر وعمر عند ما سئل عنهما ، وتبيّن لأصحابه أنّه يقاتل الأُمويّين لأنّهم ظالمون لأنفسهم ، وهو يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله . ولكن أصحاب زيد فارقه ، فسأهم الرافضة (٢) ، ومن ذلك الوقت استموا الرافضة وسُمّيت شيعته الزيدية (٣) . وخرج زيد بمن بقي معه ، وقاتل قتالاً شديداً حتى استشهد ، ثم دُفِنَ في حفرة وأُجْرِيَ عليه الماء ، ولكن الأُمويّين عَلِمُوا بمكانه فاستخرجوه ، وقطع رأسه ثم صُلِبَ بالكناسة ، وأُرسل إلى دمشق وصُلِبَ على بابها ، ثم أُرسِلَ إلى المدينة ، وبقي بدنه مَصلوباً إلى أن مات هشام (٤) ووليد الوليد بن يزيد (٥) فأمر بإينزاله وأُحْرِقَ (٦) .

وفي سنة ١٢٥ هـ خرج ابنه يحيى بن زيد بخراسان ، وأنكر الظلم والجور ، فأرسل إليه الأُمويّون جيشاً ، فقاتلهم حتى قُتِلَ (٧) .

وعندما جاء العباسيون إلى الحكم قاصي الشيعة الكثير من الظلم والاضطهاد ، والقتل والتشريد ، حتى لقد أنساهم ذلك ملاقوه في العصر الأمويّ .

-
- (١) الكامل في التاريخ : ج ٥ ، ص ٢٣٥ .
 - (٢) العيون والحدائق : ج ٣ ، ص ٩٦-٩٧ ، وانظر : الدليل والبرهان : ج ٣ ، ص ٧٨ .
 - (٣) العبر في خبر من غير نج ١ ، ص ١٤٥ .
 - (٤) هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأمويّ ، ولي الخلافة سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة ١٢٥ هـ (انظر : تاريخ الطبري : ج ٧ ، ص ٢٥ ، ص ٢٠٠) .
 - (٥) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، خليفة أمويّ ، ولي الخلافة سنة ١٢٥ هـ وقتله .
 - (٦) يزيد التاقص سنة ١٢٦ هـ (انظر : المصدر نفسه : ج ٧ ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٣١) .
 - (٧) المصدر نفسه : ج ٧ ، ص ١٨٠-١٨٩ ، والكامل في التاريخ : ج ٥ ، ص ٢٤٢-٢٤٦ ، وانظر : خلاصة الذهب المسبوك : ص ٤٣ .
 - (٨) مروج الذهب : ج ٦ ، ص ٢-٣ .

وفي عهد الخليفة المنصور (١) حدث لهم شيء كثير من ذلك . ففي سنة ١٤٠ هـ حجَّ المنصور ، فقسم أموالاً خَصَّ بها آل أبي طالب ، ولم يأتهم محمد وإبراهيم ولدا عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، فسأل والدهما عنهما فأجاباه بأنَّه لا يعرف عنهما شيئاً ، وبعد ما حبسه المنصور وأمر ببيع متاعه ورقيقه ، فلم يشتريه منه أحد ومكث في الحبس عدة سنين (٢) .

وقد اتَّصف رجال آل أبي طالب بمرضى الله عنهم - بالتَّسامح وعدم التَّغيبَة في سفك الدِّماء ، ومن ذلك أنَّ بعض النَّاس هُمُّوا بِقَتْلِ المنصور عندما حجَّ سنة ١٤٠ هـ لولا أن نهاهم عبد الله بن حسن عن ذلك (٣) .

وفي سنة ١٤٤ هـ بالغ المنصور في ظلم آل عليّ بن أبي طالب ، فقد حجَّ ، وأمر عند مُنْصَرَفِهِ بِحَمَلِ عِدَدٍ من أهل بيت عبد الله بن حسن بن حسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفَّان أخو عبد الله بن حسن لأُمَّه ، فَحُطِّبُوا ، وعند ما صاروا بالربذة على بعد ثلاثة أميالٍ من المدينة ضربه المنصور بالسَّياط ، وهناك أُوثِقُوا وأُرْسِلُوا إلى الكوفة (٤) " وحَبِسُوا في سِرْدَابٍ تحت الأرض لا يُفْرَقُونَ بين ضِمَاكِ الشَّهَارِ وسواير الليل . . . حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة . . . وقد كان هُدِيمَ عليهم الموضع ، وكانوا يتوصَّأون في مواضعهم حتى اشتدَّت عليهم الرَّاحَةُ . . . وكان المرض يبيدو في أقدامهم ، فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموتون (٥) .

-
- (١) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ ، بويح بالخلافة سنة ١٣٦ هـ ، وتوفي سنة ١٥٨ هـ ، وكان مهيباً زاهياً ، وفيه جبروت وظلم (انظر : تاريخ الطبري ج ٧ ، ص ٤٧١ ، وشذرات الذهب : ج ١ ، ص ٢٤٤) .
 - (٢) تاريخ الطبري ج ٧ ، ص ٣٢٢-٣٢٥ .
 - (٣) المصدر نفسه : ج ٧ ، ص ٥٢٧ .
 - (٤) مروج الذهب : ج ٦ ، ص ١٩٩ ، وتاريخ الطبري : ج ٧ ، ص ٥٤٠-٥٤٢ .
 - (٥) مروج الذهب : ج ٦ ، ص ٢٠١ .

وَيُرْوَى أَنَّ الْمَنْصُورَ قَتَلَ بَعْضَ آلِ أَبِي طَالِبٍ بِصُورَةٍ بِشَعْمَةٍ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ، وَكَانَ جَمِلاً جَدّاً وَيُقَالُ لَهُ الدَّهْبُجُ الْأَصْفَرُ فَأَحْضَرَهُ
الْمَنْصُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ: لَا قَتَلْتَنِي قَتْلَةً مَا قَتَلْتُهَا أَحَدًا، ثُمَّ أَلْقَاهُ بَيْنَ أَسْطُوَانَتَيْهِ
وَسَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ (١). وَقَدْ مَاتَ بَنُو الْحَسَنِ إِلَّا عَدْرًا قَلِيلاً مِنْهُمْ (٢). وَكَانَ الْمَنْصُورُ
يُمَارِسُ بَعْضَ الْأَسَالِبِ النَّفْسِيَّةِ لِلضَّفْطِ عَلَى بَنِي الْحَسَنِ وَإِذْ لَاهِمُ وَمَضَابِقَتِهِمْ، مِنْ
ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ بَعْضَ الْحُضُورِ إِلَى الْأَسْتِهْزَاءِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ (٣) قَبْلَ
أَنْ يَسْجُنَهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ فِي السِّجْنِ سَنَةَ ١٤٥ هـ (٤).

وَفِي سَنَةِ ١٤٥ هـ حَدَّثَتْ ثَوْرَةٌ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفَ بِالنَّفْسِ الرَّزْكَةِ، خَرَجَ بِالْمَدِينَةِ، وَأَخْرَجَ النَّاسَ مِنَ السِّجْنِ، وَسَجَنَ
أَمِيرَ الْمَنْصُورِ عَلَيْهَا (٥). وَخَرَجَ مَعَهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ إِلَّا نَفَرًا بِسِيرًا، وَقِيلَ إِنَّ مَالِكََ
ابْنَ أَنَسٍ (٦) شَجَّعَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَ مُحَمَّدٍ وَالزَّمِيمِ بَيْعَتِهِ، وَبَعَثَ لَهُمْ أَنْتَهُمْ بِأَهْوَا
الْمَنْصُورِ مُكْرَهِينَ، وَلَيْسَ عَلَى مُكْرَهٍ بَيْعٌ (٧). وَقَدْ عَمَّنَّ مُحَمَّدُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالْبَيْتِ
وَقَاضِيًا، ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَنْصُورُ ابْنَ أَخِيهِ عَيْسَى بْنَ مُوسَى (٨) لِقِتَالِهِ، فَذَهَبَ عَيْسَى وَرَاسَلَ

(١) البداية والنهاية: ج ١٠، ص ٨٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٥٤٩.

(٣) انظر الأغاني: ج ٢١، ص ١٣٩.

(٤) منتقلة الطالبية: ص ٢٦٤.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٥٥٢-٥٥٦، وتاريخ اليعقوبي: ج ٣، ص ١١٥.

(٦) الإمام مالك بن أنس، كان فاضلاً كما كان عظيم المحبة للرسول الكريم، وتوفي

سنة ١٢٩ هـ (انظر: شذرات الذهب: ج ١، ص ٢٨٩-٢٩٢).

(٧) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٥٦٠.

(٨) عيسى بن موسى، ابن أخي المنصور، كان قائداً شجاعاً، وتوفي سنة ١٦٧ هـ.

(الكامل في التاريخ: ج ٦، ص ٧٥).

محمداً ودعاه إلى الرجوع عما هو فيه، ولكنَّ محمدًا رفض، ودعاه عيسى إلى الأمان ولكنه رفض أيضاً، ونشب القتال، فقاتل محمد حتى استشهد واحتز رأسه، وأتى به عيسى بن موسى، ثم أرسل رأسه إلى المنصور بالكوفة، فطيف به في طبق أبيض، وكان ذلك سنة خمس وأربعين ومائة (١).

ولقد كانت ثورة النفس الزكية من أشد الثورات التي هدّت سيادة العبّاسيين، وما كاد المنصور يقضي على تلك الثورة حتى ثار أخوه إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بالبصرة، وقد ارتاع المنصور كثيراً لظهور إبراهيم، فقد ذكر أنه بقي على مُصَلَّاه خمسين يوماً ينام عليه (٢). وعظّم أمر إبراهيم بالبصرة فتحول المنصور عنها إلى الكوفة، وبعث إبراهيم عملاً إلى البصرة والكوفة وغيرهما، ولما رجع عيسى بن موسى من المدينة بعد قتل النفس الزكية وجّهه المنصور إلى البصرة لقتال إبراهيم، وقد كان بمقدور إبراهيم أن مهاجم المنصور بالكوفة قبل رجوع عيسى ابن موسى، ولكنه امتنع عن ذلك خشية أن يُستباح النَّاسُ كبيرهم وصغيرهم. وقد نشبت معركة حامية بين جند عيسى بن موسى وجند إبراهيم انتهت بهزيمة جيش إبراهيم ومقتله بهاخرى (٣)، وبعث رأسه إلى المنصور (٤).

وهكذا فقد كان عهد المنصور من أقسى العهود على الشيعة، ولعل ما حمله على البطش بهم هو خوفه منهم، لما يعلم من منزلتهم في نفوس النَّاس، لأنهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كان آل أبي طالب يشعرون بمنزلتهم وبمكانة

(١) انظر: الكامل في التاريخ: ج ١٧، ص ٥٧٧ وما بعدها، وتاريخ الدول

الإسلامية: ص ١٦٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ١٥، ص ٥٦٦.

(٣) باخرى: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب، وقيل إنه يبعد

عن الكوفة ١٧ فرسخاً (معجم البلدان: ج ١، ص ٣١٦).

(٤) شذرات الذهب: ج ١، ص ٢١٤-٢١٥، وتاريخ الدول الإسلامية: ص ١٥٧،

وتتمة المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٩٤.

أسرتهم، من ذلك ما ذُكر من أنَّ المنصورَ قال لجعفرِ بنِ محمدٍ إنَّ العباسيينَ وآل أبي طالبٍ سواهُ في الرسولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فبيَّنَ له الإمامُ جعفرُ أنَّ آلَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ أكثرُ قرابةً إليه عليه السَّلَامُ، وذلكَ لأنَّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لا يستطيعُ أنْ يخطبَ من آلِ عليٍّ، ولا يتزوجَ منهم، بينما يستطيعُ ذلكَ من بني العباسِ (١).

وعند ما توفِّي المنصورُ وجاءَ المهديُّ (٢) إلى الحكم تحسنت أحوالُ الشيعةِ، فقد تولَّى يعقوبُ بنُ داودَ بنِ طهْمَانَ الوزارَةَ للمهديِّ. وقد استطاع يعقوبُ فسِي سنة ١٦٠ هـ أنْ يأخذَ أماناً من المهديِّ لأحدِ أبناءِ عبدِ اللهِ بنِ حَسَنِ بنِ حَسَنِ واسمُه حسنٌ، فقد حَجَّ يعقوبُ بصحبةِ المهديِّ، وهناك أحضَرَ الحَسَنَ إليه، فوصله المهديُّ، ثم تفرَّدَ يعقوبُ سنة ١٦٣ هـ بتدبيرِ الأمورِ للمهديِّ وأصبح وزيراً له (٣) وعند ذلك أرسل إلى الرِّشيدِ فأتى بهم من كلِّ ناحية، وولَّاهم أمورَ الخلافةِ في مناطقٍ مختلفة، وقد عُتِبَ عليه بسبب ذلك (٤). ويهدو وأنَّ تحسُّنَ أوضاعِ الشيعةِ لا يرجعُ إلى تسامحِ المهديِّ، وإنما يرجعُ إلى براعةِ يعقوبَ. ويؤيِّد ذلك ما ذكره الجهشباريُّ (٥) من أنَّ المهديِّ امتحنَ يعقوبَ في مِثْلِهِ للعَلَوِيِّينَ، وعند ما تحقَّق من ذلك سَجَنَهُ، وبقي مسجوناً إلى زمن الرِّشيدِ (٦)، فأمر بإخراجه فأخرجَ وقد ذهب بصره، فأحسن الرِّشيدُ إليه، وردَّ إليه مالَه، وبقي يعقوبُ بمكَّةَ حتى توفِّي سنة ١٨٧ هـ (٧).

-
- (١) محاضرات الأرباب: ج ١، ص ٣٤٤.
 - (٢) محمد المهديُّ بن الخليفة عبد الله المنصور، ولد سنة ١٢٧ هـ وولي الخلافة سنة ١٥٨ هـ، وتوفِّي سنة ١٦٩ هـ. (انظر: تاريخ بغداد: ج ٥، ص ٣٩١ - ٤٠٠).
 - (٣) الوزراء والكتاب: ص ١٥٧.
 - (٤) المصدر نفسه: ص ١٥٨.
 - (٥) الجهشباريُّ، أبو عبد الله محمد بن قهْدُوس، توفِّي سنة ٣٣١ هـ (الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٤٠٥).
 - (٦) هارون الرِّشيد بن المهديِّ بن المنصور، كان شجاعاً شهماً متديناً، تولَّى الخلافة سنة ١٧٠ هـ وتوفِّي سنة ١٩٣ هـ (انظر: شذرات الذهب: ج ١، ص ٣٣٤ - ٣٣٧).
 - (٧) الوزراء والكتاب: ص ١٦٢.

وقد تابع الشيعة ثوراتهم، ففي سنة ١٦٩ هـ ثار الحسين بن عليّ بن الحسن ابن عليّ بن أبي طالب، وقد خرج بسبب الاضطهاد الذي تعرّض له آل أبي طالب في المدينة من واليها للهادي (١)، ونشبت بين أتباع الحسين وجيش العباسيين معارك عديدة انتهت بهزيمة الحسين ومقتله يفتح (٢)، وقد أُسر بعض أتباع الحسين وجرى الهادي بستة أسرى، فقتل بعضهم، وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، فذهب إلى مصر ومنها إلى المغرب، فأقام في نواحي طنجة واستجاب له عددٌ من البربر، وقيل إنّ الرّشيد دسّ إليه من سقته (٣).

وفي سنة ١٧٦ هـ ثار يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بالدّهلم (٤) فأرسل إليه الرّشيد جيشاً، وكتب له أماناً وأشهد عليه القضاة والفقهاء، فجاء يحيى مع الجيش إلى بغداد، فأكرمه الرّشيد وأحسن إليه. ثم سأل قاضيّين من أمان يحيى، فأجاب أحدهما بأنه صحيح، وأجاب الآخر بأنه مُنتَقَضٌ من بعض الوجوه، فمَرَقه الرّشيد، وسجن يحيى حتى مات في الحبس (٥). وقد بلغ من ظلم الرّشيد أن تجرأ على الأئمة من آل البيت، ومنهم موسى بن جعفر بن عليّ بن الحسين، ففي سنة ١٧٩ هـ ذهب الرّشيد إلى العمرة، وحمل معه موسى بن جعفر إلى بغداد وحبسه فيها إلى أن تُوفي سنة ١٨٣ هـ (٦). وهكذا نجد أن أحوال الشيعة بقيت سيئة حتى نهاية القرن الثاني الهجريّ، ولم تُرفع عنهم الظلم إلا في فترات قليلة.

-
- (١) الهادي : الخليفة العباسيّ موسى بن محمد بن عبد الله، تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ، وتوفي سنة ١٧٠ هـ (انظر: تاريخ الطبريّ ج ٨، ص ١٨٧، ٢٠٥٣)
- (٢) فتح : واد بعلّة، دُفِنَ فيه عبد الله بن عمّار وبعض الصحابة (انظر: معجم البلدان ج ٤، ص ٢٣٧-٢٣٨).
- (٣) انظر: الكامل في التاريخ : ج ٦، ص ٩٣، وأحسن التقاسيم : ص ٢٤٣-٢٤٤.
- (٤) الدّهلم اسم إقليم في الجبال خلف طبرستان ينسب إليها جبل عظيم من الناس معروفون المشترك وضعا والمفترق صقلاً : ص ١٩٣.
- (٥) تاريخ الطبريّ : ج ٨، ص ٢٤٤-٢٤٧.
- (٦) تاريخ بغداد : ج ١٣، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

ولم يرتفع شأن الشيعة إلا عندما جاء المأمون إلى الحكم في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، وقد قام الشيعة في زمنه ببعض الثورات، ففي سنة ١٩٩ هـ خرج ابن طباطبا العلوي محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علي بالكوفة، وقام بأمره أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، وقد قيل إن أبا السرايا سقى ابن طباطبا السم، وانتهت الثورة بقتل أبي السرايا (١)، بعد أن قام بقتل العباسيين في الكوفة ونهب دورهم (٢).

وفي سنة ٢٠١ هـ بلغ مجد الشيعة غايته، وذلك عندما عهد المأمون لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بولاية العهد وخلافة المسلمين من بعده، وسماه الرضا من آل محمد، وأمر جنده بطرح السواد ولبس الخضرة، وكتب بذلك إلى الأفاق (٣). وقد وضع المؤرخون تفسيرات عديدة لفعل المأمون هذا، فقد قيل إنه "فعل ذلك لأنه كان مُفرطاً في التشعُّع حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويغوض الأمر إلى علي بن موسى الرضا (٤)، وقيل إنه فعل ذلك لأنه لم يجد في بني العباس وبني علي من هو أفضل ولا أروع ولا أكثر علماً منه (٥) وقيل إنه إنما فعل ذلك كي يرتد الجميل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لأنه كان قد ولّى عبد الله بن العباس البصرة وولّى غيره من ولد العباس (٦).

وكل هذه الأسباب يمكن أن تكون دفعت المأمون إلى تولية علي بن موسى الرضا من بعده، ويمكننا أن نضيف سبباً رابعاً فنقول: لقد فعل المأمون ذلك عطفاً منه على آل أبي طالب ورحمة بهم بسبب ما تعرّضوا له في عهد الأمويين والعباسيين

(١) العبر في خبر من قبر: ج ١، ص ٣٢٨-٣٣١.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٦، ص ٣٠٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٥٤٤ وانظر: تنقيح المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٣١٨.

(٤) تاريخ الخلفاء: ص ٢٧.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٥٤٤، وخلاصة الذهب المسبوك: ص ١٩٩.

(٦) مروج الذهب: ج ٨، ص ٣٣٣-٣٣٥.

من الظلم والاضطهاد والإذلال، فأراد أن يرفع من روحهم المعنوية وأن يحلّهم
العزلة العالية التي يستحقونها .

وقد بلغ من حبّ العامون لعلّي بن موسى الرضا أنّه عاتب الشاعر أبا نواس^(١)
في أحد المجالس لآته لم يمدح عليّاً كما فعل بقية الشعراء فقال له : يا أبا نواس،
أنت مع تشييعك وميلك إلى أهل هذا البيت تركت مدح عليّ بن موسى الرضا مع اجتماع
خصال الخير فيه^(٢) فاعتذر أبو نواس بأته فعل ذلك لأنّ الشعر لا يوفي عليّاً حقّه
من المديح^(٣) .

وقد غضب العباسيون على العامون لآته عهد لعلّي بن موسى الرضا من بعده،
فخلعوه وباعوا إبراهيم بن المهدي^(٤) وذلك سنة ٢٠٢ هـ^(٥)، وقد ظفر العامون
بإبراهيم سنة عشر ومائتين لكنّه عفا عنه^(٦) .

وفي سنة ٢٠٣ هـ توفي عليّ بن موسى الرضا^(٧) وبعد وفاته أعار العامون
لبس السواد بعد ترّد^(٨)، فأعاد بذلك العهد إلى بني العباس .
وقد بقي العامون شديد المحبة للعلويين، ففي سنة ٢٠٤ هـ استعمل أحدهم
وهو عبّيد الله بن الحسن بن عبّيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب على الحرمين،

(١) الحسن بن هاني*، وليد بالأهواز ونشأ بالبصرة، وكان شاعراً كبيراً، وتوفّي

سنة ١٩٨ هـ . (انظر: تاريخ بغداد: ج ٧، ص ٤٣٦-٤٥٠) .

(٢) بشارة المصطفى لشعبة المرتضى: ج ٣، ص ٨٠ .

(٣) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسهما .

(٤) إبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي، كان بارعاً وشاعراً فصيحاً، وتوفّي

سنة ٢١٨ هـ . (انظر: وفيات الأعيان: ج ١، ص ٣٩-٤٠) .

(٥) العبير في خبر من غير: ج ١، ص ٣٣٥، وخلاصة الذهب المسبوك: ص ٢٠٠ .

(٦) بغداد: ص ١٠١ .

(٧) تاريخ مختصر الدول: ص ٢٣٣ .

(٨) تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٧ .

وفي تلك السنة أيضا حجَّ عبد الله بالناس (١) .

وفي سنة ٢١٢ هـ أعلن المأمون تشييعه، فقد نادى مناديه * برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، وأن أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم عليٌّ رضي الله عنه (٢) . وهكذا فضل المأمون الإمام علياً كرم الله وجهه على جميع الصحابة . ولكنه مع شدّة تشييعه لم يتكلم في الشيخين بشيء، بل كان يترضى عنهما، ويعتقد إمامتهما (٣)، وقد اشمازت نفوس الناس عند ما أظهر المأمون القول بالتشييع وبخلق القرآن في تلك السنة (٤) .

وبذهب نلكسون إلى أن المأمون كان ذا ميولٍ إلحاديّةٍ لأنّه جنح إلى الحرب الشيعيّة، وعهد بولاية العهد إلى رجل علويّ هو عليّ بن موسى الرضا مما جعل أفراد أسرته ينفرون منه ويخلعونهم مؤقتاً (٥).

ونحن لا نتفق مع نلكسون فيما يراه، ونسأل: كيف بعد ميل المأمون إلى آل أبي طالب بخاصّة والشيعيّة بعامة عملاً إلحادياً، ونحن نعرف أن مجرّد إقرار المرء بالشهادتين يُخرجه عن دائرة الإلحاد ويضعه في دائرة الإيمان، فتعيين المأمون للرضا من بعده ليس إلا شعوراً من المأمون بالاضطهاد الذي تعرّض له الشيعة في أيام الأمويين وأجداد العباسيين، ومحاولة منه للتكفير عن ذلك الاضطهاد الذي تعرّضوا له. وربما كان المأمون يشعر في أعماقه أنّ آل عليّ بن أبي طالب أحق بالخلافة من الفرع العباسيّ، ولهذا كان يعطف على العلويين ويحسن إليهم. وأما خلق أفراد أسرة المأمون إتياء من الخلافة، فهو - كما نرى - ليس غضباً على المأمون

(١) الكامل في التاريخ: ج ٦، ص ٣٥٨.

(٢) شذرات الذهب: ج ٢، ص ٢٥، وانظر: العبر في خبر من غير نوح، ص ٣٥٩.

(٣) النجوم الزاهرة: ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤) العبر في خبر من غير: ج ١، ص ٣٦١.

(٥) تاريخ الأرب العباسيّ: ص ٣١-٣٢.

لسبب ديني يتمثل في اعتقادهم أنه بعمله هذا أصبح مُجِداً، وإنما هو غضبٌ لهدف ديني، هو رغبتهم في الاحتفاظ لأنفسهم بالخلافة، وعدم خروجها من بيت العباس.

وبعد وفاة المأمون الخليفة الشيعي هوى العباسي نسباً سنة ٢١٨ هـ (١) عاود الشيعة ثوراتهم على الخلافة العباسية، كما حدث في سنة ٢١٩ هـ، عندما ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في خراسان وأخذ يدعو إلى الرضا من آل محمد وتبعه خلق كثير، وخاض معارك مع جيش العباسيين انتهت بأن قبض عليه وسُجن، ثم قُرب من السجن ولم يُعثر له على أثر (٢).

وعندما جاء الخليفة المتوكل إلى الحكم سنة ٢٣٢ هـ (٣)، بدأ يمارس على الشيعة أشد وسائل القهر والإرهاب والاضطهاد، فقد تتبع الشيعة وأرهقهم، وقام بإعدام أول شيعي لشتمه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وشتمه عائشة رحمها الله، وهو عيسى بن جعفر بن عاصم صاحب خان عاصم، فُضِرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ لَأَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِ الثَّقَاتِ بِشْتَمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَقَدْ فِي عَائِشَةَ، وَلَمْ يَنْكُرْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَبَرَأْ مِنْهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ تُسْرِكُ فِي الشَّمْسِ حَتَّى مَاتَ ثُمَّ رُمِيَ بِهِ فِي نَهْرِ بَجَلَةَ (٤). وقد كان المتوكل على صواب فسي إعدام هذا الرجل، وذلك لأنه تجرأ على شتم خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فة عائشة أم المؤمنين وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن يُقدم على هذا العمل يستحق مثل هذا العقاب أياً كان مذهبه.

وفي سنة ٢٣٦ هـ أقدم المتوكل على ارتكاب عملٍ قبيح وفعلٍ شنيع، وذلك عندما أمر بهدم قبر الحسين بن علي سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبهدم ما حوله من الدور، وأن يُهدر موضع القبر ويحترق ويسقى، وأمر بمنع الناس من زيارته، وقد نفذ

-
- (١) العبير في خبر من غير: ج ٢، ص ٣٧٥.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٩، ص ٧-٨ وانظر: الكامل في التاريخ: ج ٦، ص ص ٤٤٢-٤٤٣.
(٣) انظر: تاريخ الطبري: ج ٩، ص ١٥٤.
(٤) تاريخ بغداد: ج ٧، ص ٣٥٧.

ذلك الأمر، ولم يَجْرُوه النَّاسُ علي زيارته (١) . وكانَّ المتوكِّل لم يُرضِهِ ما فعله عبيدُ الله ابنُ زياد بالخسِين رضي الله عنه حتى تتبَّعه هو في قبره . وقد تألم النَّاس لهذا الحادث وكتبوا سَبَّ المتوكِّلِ على الحِيطان ، وهجاء الشعراء (٢) .

وتتَبَّع المتوكِّلُ كُلَّ من بَلَغَه عنه أَنه يوالي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فعاش الشيعة في خوف على دماهم وأموالهم ، كما كان كثير السخرية من أمير المؤمنين علي ، ومن ذلك ما يروى من أَنه كان للمتوكِّل مِعْنٌ يُدعى عُبَادَةَ المَخَنَّث ، وكان يكشف رأسَهُ وهو أصْلَع ، ويشدُّ مَخْدَةَ علي بطنه ، ويرقص بين يدي المتوكِّل ، والمغنسُونَ يَمْنُون قائلين : أَقْبَل الأَصْلَعُ البَطِينُ خَلِيفَةُ المَسْلَمِينَ ، يتشبهه في ذلك بعلي رضي الله عنه ، والمتوكِّل يشرب ويضحك مِنْ فِعْلِهِ ، وكان المنتصر (٣) من المتوكِّل يَنْهَسُ أياه عن ذلك (٤) ، إِذْ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّشْجِعُ وَحُبُّ أَمْرِ المَوْضِين ، فَأَخَذَتْهُ الغيرة مِمَّا كان يقوم به والده من سَبِّ علي والاستهزاء به ، ممَّا كان سبباً في إقْدَامِهِ على المِشَارَكَةِ في قَتْلِ والده المتوكِّل (٥) . وبهذا فلاحظ أَنَّ الله تعالى قد انتقم لعلي كرم الله وجهه - من المتوكِّل وذلك بأن سَخَّرَ ابْنَهُ المَنْتَصِرَ لِقَتْلِهِ . وتولَّى المنتصر الخلافة سنة ٢٤٧ هـ بعد مقتل أبيه (٦) ، وقد كان تَشْيِيعُهُ وَحُبُّهُ آلَ أَبِي طَالِبٍ سَبَباً في قُوَّةِ الشَّيْعة وارتِفَاعِ شَأْنِهِمْ ، فقد أَمَّنَ النَّاسَ وَطَلَبَ الكَفَّ عن الشَّيْعة ، وَعَدَمَ تَتَبُّعِ أخبارهم ، كما طلب أن يُسْمَحَ لهم بزيارة قبر الحسين وقبور غيره من آل أبي طالب ، وأمر برَدِّ قَدَكِ (٧) إلى أولادِ الحسن والحسين ، وأطلقَ أَوْقَافَ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَدَفَعَ الأَذَى عَنْهُمْ وَعن شِيَعَتِهِمْ (٨) ، كما

(١) انظر : تاريخ الطبري ج ٩ ، ص ١٨٥ ، والكامل في التاريخ : ص ٥٥٥ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

(٣) محمد بن جعفر المتوكِّل ، كان مهيباً توفي سنة ٢٤٨ هـ وقيل إِنَّهُ سُمِّ بِكُثْرَى وقيل إِنَّهُ قُصِدَ بِرَيْشٍ مَسْمُومَةٍ . (شذرات الذهب ج ٢ ، ص ١١٨) .

(٤) الكامل في التاريخ : ج ٧ ، ص ٥٥-٥٧ .

(٥) خلاصة الذهب المسبوك : ص ٢٢٩ .

(٦) مروج الذهب : ج ٧ ، ص ٣٠٢ .

(٧) ضيعة قرب المدينة ، وهبها الرسول الكريم لفاطمة ، وقيل إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقْسِمُهَا ، فاقْتَدَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ ، فَكَانَ يَعْطِي فاطمة وزوجها وأبنائها ما يكفيهم ويقسم الباقي ، وكذلك فعل عمر وعثمان وعلي ، ولكنَّ معاوية قسَمَهَا في الأموال ، وعند ما جاء عمر بن عبد العزيز رَدَّهَا على بني علي ، ثم جعل الخلفاء بعضهم يأخذها وبعضهم يرَدُّهَا حتى رَدَّهَا العامون . (انظر : الأوائل : ص ٣٧٥ ،

ومروج الذهب : ج ٧ ، ص ٣٠٢-٣٠٣) .

(٨) مروج الذهب : ج ٧ ، ص ٣٠٢-٣٠٣ .

أمر بتفريق مال كثير في العلويين (١)

وبعد ذلك نجد أنَّ الشيعة عادوا إلى الثورة على العبَّاسيين، ففي سنة ٢٥٠ هـ ثاروا في الكوفة والريِّ والدَّيْلَم (٢). ومن تلك الثورات ثورة الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فقد ثار بِطَبْرِسْتَانَ (٣) وبقيت في يده إلى أن توفي سنة ٢٧٠ هـ، فلحقه أخوه محمد بن زيد الذي دخل الدَّيْلَم وصارت في يده سنة ٢٧٧ هـ (٤)، وبقي في الحكم إلى أن قُتِلَ سنة ٢٨٧ هـ (٥).

وقد كان بعض الثائرين من الشيعة من آل عليِّ كرم الله وجهه يتصفون بسوء السيرة وقُبْح الأفعال، فقاموا بقتل الحُجَّاج، وأخذوا أموال الناس بمكة وإحراق دورهم وإخراجهم منها (٦).

وقد كان للمعاصي التي تعرَّض لها آل أبي طالب آثارها منها: أنَّ التَّشْيِعُ أَصْبَحَ ملجأً يلجأ إليه بعض أصحاب الأطماع الشَّخِصِيَّة، وذوو الرِّغْبَةِ في القَتْلِ وَالْفَسَادِ، ومثال ذلك صَاحِبُ الزَّنج. ففي سنة ٢٥٥ هـ ظهر رجل في سواد البَصْرَةِ يزعم أنَّه ينتمي إلى عليِّ بن أبي طالب، وأنَّه عليُّ بن محمَّد بن أَحْمَد بن عيسى بن زيد بن عليِّ ابن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، ونسبه غير صحيح، وجمهور النَّسَابِيْنَ متفقون على أنَّه من عبد القيس، وأنَّه عليُّ بن محمَّد بن عبد الرحيم، وليس كما زعم (٧). وقد تَنَقَّلَ بين

-
- (١) تمام العتون: ص ٢٤٩.
- (٢) انظر: مروج الذهب: ج ٧، ص ٣٣٠-٣٣٧، ص ٣٤٤-٣٤٦، وتاريخ الطبري: ج ٩، ص ٢٧١-٢٧٦.
- (٢) طَبْرِسْتَانَ: بفتح أوله وثانيه من بلاد خراسان، بلاد منيعة، افتتحت سنة ١٤٢ هـ، وأكبر مدنها الجبل، وتشتهر بأكسية الصُّوف (انظر: الروض المعطار ص ٣٨٣-٣٨٥، ومعجم ما استعجم: ج ٣، ص ٨٨٧).
- (٤) مروج الذهب: ج ٧، ص ٢٤٢-٢٤٣.
- (٥) الكامل في التاريخ: ج ٧، ص ٥٠٤.
- (٦) المصدر نفسه: ج ٧، ص ١٦٥-١٦٦، وانظر: تاريخ الطبري: ج ٩، ص ٣٤٦-٣٤٧.
- (٧) شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ١٢٦-١٢٧.

بلدان كثيرة مثل البصرة وبغداد والبحرين وهو في كل ذلك يسيي ويتهب وبأخذ الأموال وبقاتل العباسيين حتى قُتل سنة ٢٧٠هـ (١). وقد طعن بعض الناس في دينه واتهموه بالإلحاد والزندقه، وقد كان هذا واضحاً من أمره، لأنه كان في بداية حياته متشغلاً بالسحر والتنجيم (٢)، وبلغ غاية أعماله الشبهة بقتل أهل البصرة بعد أن أعطاهم الأمان، واجتمعوا في إحدى الدور، فقتل كل من حضر ذلك الموقف (٣).

والواضح لنا من سيرة صاحب الزنج أنه ليس من أهل البيت، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب نهج البلاغة من الاضهان والإذلال الذي تعرّضت له النساء من ولد الحسن والحسين في معسكره، فقد كانت الواحدة تُباع بالدرهمين وثلاثة الدراهم، فأخذ الزنجي شهرين العشرين والثلاثين، يَطْوُوهنَّ الزنج ويخدرن الزنجيات كما تخدم الإماء (٤).

ولم يتوقف الأمر على ملاقاة الشيعة من غيرهم من الأضطهارة، وإنما كان الشيعة أنفسهم تقع بينهم الفتن والخلافات، ففي سنة ٢٦٦هـ حدثت فتنة في المدينة بمسج الجعفرية والعلوية (٥)، وفي سنة ٢٦٩هـ وقعت فتنة بين الحسينيين والحسينيين من جهة والجعفرية من جهة أخرى، قُتل فيها من الجعفرية ثمانية أشخاص (٦).

(١) انظر: تاريخ الطبري ج ٩، ص ٤١١-٤٢٤، ص ٤٣٠-٤٣٧، ص

٤٧٠-٤٧١، ص ٥٤٦-٥٥٧، والنجوم الزاهرة ج ٣، ص ٢٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٤٦.

(٤) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٥٠.

(٥) تاريخ الطبري ج ٩، ص ٥٥٢-٥٥٣.

(٦) المصدر نفسه: ج ٩، ص ٦٢١، والكامل في التاريخ ج ٧، ص ٢٩٧.

وقد كانَ بعضُ آلِ المهديِّ من الشيعةِ يرتكبونَ أعمالاً مُنكرةً، من ذلك أنَّه في سنة ٢٧١ هـ دخل اثنان من الحُسينيينَ المدينةَ، وقتلَا جماعةً من أهلها، وأخذوا من بعضهم مالا^(١).

وعندما تولَّى المعتضدُ الخلافةَ تحسَّنتْ حالُ الشيعةِ وارتفعَ شأنهم، ففي سنة ٢٨٢ هـ وَجَّهَ محمدُ بنُ زيدٍ العلويُّ من طبرستانِ اثنين وثلاثين ألفَ دينارٍ إلى أحدِ العلويينَ ليورثها على أهلِهِ ببغدادَ والكوفةَ والمدينةَ ومكةَ، فأخبرَ المعتضدُ بذلكَ، ولكنهَ أمرَ بأنْ يُسمحَ ل محمدِ بنِ زيدٍ بأن يرسلَ الأموالَ التي يريدُها بحرِّيةٍ وأنْ يُوزعَ ذلكَ العلويُّ واسمَهُ محمدُ بنُ وردٍ العطارَ ماشاءَ من الأموالِ بصورةِ عَليَّةٍ، وأنْ تُقدِّمَ له المساعدةُ التي يحتاجُ إليها، وقيلَ إنَّ المعتضدَ فعلَ ذلكَ لأنَّه رأى عليًّا في المنامِ، وطَلَبَ عليًّا إليه ألاَّ يتعرَّضَ لولدهِ بسوءِ^(٢).

وبعدَ ذلكَ ارتفعَ شأنُ الشيعةِ عندما بدأتِ إمارةُ بنيِ حمدانَ بالموصلِ سنة ٢٩٣ هـ، فقد ولىَ المكتفي باللهِ^(٣) أبا الهيجاءَ عبدَ اللهِ بنَ حمدانَ بنِ حمدونَ التغلبيَّ العدويَّ الموصلِ وأعمالها فقاتلَ الأكرادَ وتغلَّبَ عليهم ثم استقامتْ له أمورُ الموصلِ سنة ٢٩٤ هـ^(٤).

وبعدَ ولنا أنَّ ابنَ حمدانَ كانَ يُقدِّمُ السياسةَ والمصلحةَ الخاصَّةَ على التَّشيعِ في بعضِ الأحيانَ، من ذلكَ ما يذكره ابنُ الأثيرِ من أنَّه في سنة ٢٩٦ هـ خُلِعَ المُقتدِرُ^(٥) وبُويغَ لابنُ المُعتزِّ، ولكنَّ الأمورَ عادتْ بِسرعةٍ إلى المُقتدرِ، ويذكر ابنُ الأثيرِ

(١) تاريخ الطبري ج ١٠، ص ٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ١٠، ص ٤١، والكامل في التاريخ ج ٧، ص ٤٧٤.

(٣) المكتفي باللهِ علي بنِ المعتضدِ، خليفة عباسيٍّ وليَ الخلافةِ سنة ٢٨٩ هـ وتوفى سنة ٢٩٥ هـ (انظر: الكامل في التاريخ ج ٧، ص ٥١٦ ج ٨، ص ٨).

(٤) المصدر نفسه ج ٧، ص ٥٣٨-٥٤٠.

(٥) المُقتدر باللهِ، جعفر بنِ المعتضدِ بويغَ بالخلافةِ سنة ٢٩٥ هـ، وخُلِعَ سنة

٢٩٦ هـ وتولَّى الخلافةَ ابنُ المُعتزِّ، ثم أعيدَ إلى الحُكمِ، وخُلِعَ سنة ٣١٧ هـ

لمدةِ يومين، ثم أعيدَ إلى أن قُتِلَ سنة ٣٢٠ هـ (انظر: الكامل في التاريخ ج

٨، ص ٨، ص ٢٠٠، ص ٢٤٨).

أنه كانت في هذه الحادثة عَجَائِبٌ * منها أن ابن حمدان على شِدَّةِ تَشَبُّعِهِ وميلِهِ إلى عليٍّ عليه السلام وأهل بيته يسمي في البَيْعَةِ لابن المعتز علي انحرافه عن عليٍّ وَعُلُوِّهِ في النصب (١) .

وفي القرن الرابع الهجري قام الشيعة بعدد من الثورات، من أهمها ثورة الأطروش، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن مُعَمَّر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ظهر في طبرستان، وكان ذا علم وفهم ومعرفة بالآراء والنحل، وقد أقام بين الذيلم سنوات ودعاهم إلى الإسلام، فأسلّموا بعد أن كانوا مجوساً (٢)، وفي عام ٣٠١ هـ استولى على طبرستان، فأصبح قسم كبير من أهلها شيعة، وكان هو شاعراً زهيداً في المذهب، وبقيت طبرستان في أيدي الشيعة إلى سنة ٣١٦ هـ (٣) عندما قُتِلَ صِهْرُ الأطروش واسمه الحسن بن القاسم وبه انتهت دولة العلويين، وقد قُتِلَ عند ما انهزم أصحابه هزيمة مُتَعَمِّدَةً لآته كان يأمرهم بالابتعاد عن الفواحش وشرب الخمر (٤). واستمر الشغب على العباسيين من الشيعة وغيرهم حتى سنة ٣٢٢ هـ (٥).

وقد بقيت أمور الشيعة على هذا الحال من الثورات التي كانت في أغلب الأحيان تنتهي بالفشل، فشكّل الثائرين واضطهاد غيرهم من الشيعة، إلى أن قامت الدولتان الشيعيتان العظيمتان وهما: الدولة الحمدانية في حلب وما حولها، والدولة البويهية في العراق وبلاد فارس، وكان بنو بويه مغالين في التشيع، وقد أشار إلى ذلك القرمانئي فقال: " وكان بنو حمدان شيعةً، ولكن كان تشيعهم خفيفاً، ولم يكونوا كبنو بويه، فإن بني بويه كانوا في غاية القباحة سباً (٦) .

-
- (١) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ١٨٠ .
 - (٢) مروج الذهب: ج ٨، ص ٢٢٩-٢٨٠ .
 - (٣) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ١٠٥ .
 - (٤) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٨٩ .
 - (٥) انظر: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ص ١٥٢-١٥٩ .
 - (٦) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ: ص ٢٦٥ .

أَمَّا الدَّوْلَةُ الحَمْدَانِيَّةُ فقد قامت في حلب سنة ٣٣٣هـ بدخول سيف الدولة الحمدانيَّ إليها وأَخَذَهُ إِتَاهَا من الإخشيديين، ثم استولى على دمشق، واستقرت ولاية حلب له سنة ٣٣٦هـ (١). وكان لهذه الدَّوْلَةُ بقيادة سيف الدولة شرف الدفاع عن بلاد المسلمين في الشَّام، فقد خاض سيف الدولة مَعَارِكَ عديدةً مع الروم، وكان بعضها له وبعضها عليه، ومن ذلك معركة سنة ٣٣٧هـ وسنة ٣٣٩هـ، وسنة ٣٤١هـ وسنة ٣٤٣هـ وسنة ٣٤٥هـ (٢)، وسنة ٣٤٩هـ " وفيها أُسِرَ أَبُو فِرَاسِ الحَارِثِ بنُ سَعِيدِ ابْنِ حَمْدَانَ وَتُرِكَ بِخَرَشَنَةَ (٣)، وكانت أعظم المصائب على سيف الدولة والحمدانيَّيين دخول الروم حلب سنة ٣٥١هـ (٤).

ونحن نعتقد أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اعتنق مذهب التَّشَيْعِ رغبة منه في ذلك، وَحُبًّا في آل البيت ومذهبيهم الشَّيعيِّ، لا كما يذهب إليه المستشرقون الذين كثيراً ما يُفشرون الأمور وفقاً لأهوائهم وآرائهم، وعلى غير حقيقتها، ومنهم بروكلمان الذي يذهب إلى أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اعتنق المذهب الشَّيعيَّ طاعةً للفاطميين وإرضاءً لهم، عندما نشروا سلطانهم على مصر (٥). وما يراه بروكلمان غير صحيح، لِأَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ توفي سنة ٣٥٦هـ (٦) والفاطميون دخلوا مِصرَ بعد ذلك بسنتين سنة ٣٥٨هـ (٧).

ويبدو للناظر أَنَّ سيف الدولة كان شيعياً متسامحاً، فلم يُعرف عنه أَنَّهُ أكره النَّاسَ على مذهب التَّشَيْعِ، وهو بذلك يختلف عن المأمون الذي - كما رأينا - كان قد أظهر التَّشَيْعِ وَأَكْرَه النَّاسَ عليه، وقال بتفضيل الإمام عليٍّ على جميع الصحابة.

-
- (١) زبدة الحلب: ج ١، ص ١٢٠.
 - (٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٢٠-١٢٨.
 - (٣) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٣١.
 - (٤) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٣٣-١٤٠.
 - (٥) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص ٢٤٢.
 - (٦) انظر: البداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٦٣-٢٦٤.
 - (٧) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٥٩٠.

وتبدلنا على ذلك أيضاً أنه عندما قام بغداد أسرى المسلمين لدى الروم، فدى جميع الأسرى سنة وشيعة، ولم يبق أحداً منهم، ويروى أنه عندما لم يبق بين يديه أحد من أسرى الروم اشترى بقية الأسرى المسلمين بالمال (١)، فلم يفرق في ذلك بين أسير وآخره. ويرى محمد جواد مغنبة أن تسامح الحمدانيين وإتاحتهم حرية التفكير للناس جعلهم ملجأً وملازماً للعلماء والفلاسفة والأرباء (٢). ونحن نشاركه رأيه هذا، إذ لو كان الحمدانيون من المتعصبين لمذهب التشيع لما وجد في بلاط سيف الدولة الشعراء والأرباء والعلماء والفلاسفة وغيرهم.

وقد كان مذهب أهل حلب مذهب السنة والجماعة، ولم يكن بها رافضٍ إلى أن هاجمها الروم سنة ٣٥١ هـ وقتلوا معظم أهلها، فنقل إليها سيف الدولة الحمداني جماعة من الشيعة، فانتشر التشيع بين أهلها (٣). وفي سنة ٣٦٧ هـ غير سعد الدولة ابن سيف الدولة الأذان بحلب وزار فيه حتى على خير العمل، محمداً وعليّ خيبر الهشري (٤).

أما الدولة الشيعية الثانية وهي الدولة البويهية، فقد بدأ عهداًها بشكل واضح حين دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤ هـ (٥)، وقد ارتفع شأن الشيعة في زمانهم ارتفاعاً كبيراً، وكانت السلطة الفعلية في أيديهم، فكانوا يخلعون الخلفاء ويولّون آخرين (٦). ومع ذلك فقد كانوا حريصين على أن يُظهِروا أنهم على السمع والطاعة للخليفة (٧) ولم يقوموا بإعلان الخلافة العلوية مكان الخلافة العباسية، ولعل ذلك

-
- (١) زبدة الحلب ج ١، ص ١٤٦.
 - (٢) الشيعة في العيزان: ص ١٧٣.
 - (٣) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ج ١، ص ٢٧٩-٢٨٠.
 - (٤) زبدة الحلب: ج ١، ص ١٧٢.
 - (٥) المواعظ والاعتبار: ج ٢، ص ٣٥٧.
 - (٦) انظر: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ: ص ١٦٩.
 - (٧) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٢٧٧.

راجع إلى رغبتهم في الإبقاء على رضی الناس وثقتهم، وعدم إثارة سخطهم، وفي ذلك محافظة على دولتهم من التصدع والانحيار.

وقد بلغ الشيعة في عهد البويهيين درجة عظيمة من القوة وهزة الجانب، حتى لقد كان ادعاء الانتساب إلى آل البيت كافياً للصفح عن المرء مهما قبّح فعله أو قوله، ومن ذلك ما روي أنه في سنة ٣٤١ هـ "أطلع الوزير المهلبى (١) على جماعة من التناسخية فيهم رجل يزعم أن روح علي بن أبي طالب رضي الله عنه انتقلت إليه، وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدعي أنه جبريل، فضربهم فتعزّوا (٢) بالانتفاء إلى أهل البيت، وكان ابن بويه شهماً فأمر باطلاقهم (٣)، وقد أورد صاحب النجوم الزاهرة هذه الحادثة وعلق عليها بقوله: "قلت: والمشهور عن بني بويه التشييع والرفض (٤)، وتولّى رجال الشيعة بعض الأعمال في عهد البويهيين، ومن ذلك تسيير الحجاج كما حدث سنة ٣٤٢ هـ (٥).

ومن مظاهر قوة الشيعة في عهد البويهيين تلك الفتن التي أخذت تقع بينهم وبين السنة، فقد أخذ الشيعة يجهرون ببعض الأشياء التي تلهب مشاعر السنة، فكانوا في كثير من الأحيان هم المسوءولين عن الفتن، كما حدث سنة ٣٤٦ هـ، إذ وقعت بينهم وبين السنة فتنة بسبب الشتم والسب، قُتل فيها كثيرون من الفريقين (٦). ووقعت فتنة أخرى سنة ٣٤٨ هـ، قُتل فيها خلق كثير (٧). كما وقعت فتنة أخرى سنة ٣٤٩ هـ،

(١) حسن بن محمد المهلبى، من ذرية المهلب بن أبي صفرة، وزير معز الدولة

ابن بويه، كان يتصف بالحزم والكرم والشهامة، وكان شاعراً جيداً الشعر، وتوفى

سنة ٣٥٢ هـ (انظر: شذرات الذهب ج ٣، ص ٩٠).

(٢) يقال: عزّ فلان نفسه إلى بني فلان، واعتزى وتعرّى انتسب صدقاً أو كذباً

(انظر: لسان العرب: مادة عزّ).

(٣) العبر في خبر من غير: ج ٢، ص ٥٦.

(٤) النجوم الزاهرة ج ٣، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٥) الكامل في التاريخ ج ٨، ص ٥٠٦.

(٦) البداية والنهاية ج ١١، ص ٢٣٢.

(٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٦، ص ٣٩٠.

وَتَعَطَّلَتِ الْجُمُعَةَ فِي جَمِيعِ الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ إِلَّا فِي مَسْجِدِ الشَّيْبَةَ الْمَعْرُوفِ بِمَسْجِدِ بَرَّانَا، وَقَدْ أُلْقِيَ الْقَبْضُ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا السَّبَبَ فِي حَدِيثِهَا وَأُظْلِفُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِي (١) .

وفي سنة ٣٥١ هـ جَهَرَ الشَّيْبَةَ بِالسَّبِّ، فَكَتَبُوا عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ لَعْنًا مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَعْنًا مَنِ أَغْضَبَ فَاطِمَةَ، وَمَنْ مَنَعَ الْحَسَنَ أَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ جَدِّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي اللَّيْلِ حَكَكَ ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ، فَأَشَارَ الْوَزِيرُ الْمُهَلَّبِيُّ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيِّ أَنْ يَكْتُبَ لَعْنَةَ الظَّالِمِينَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَا يَصْرِّحَ بِاسْمِ أَحَدٍ فِي اللَّعْنِ، إِلَّا بِاسْمِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَجَهَرَ الشَّيْبَةَ فِي مَسْجِدِ الْكَرْخِ بِحَقِّي عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ (٢) .

وقد أخذ الْبُوَيْهِيُّونَ يُخَيِّمُونَ الْمُنَاسِبَاتِ الشَّيْبَةَ، وَاخْتَرَعُوا بَعْضَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْهَا الْفَاطِمِيُّونَ وَغَيْرُهُمْ، فِي سَنَةِ ٣٥٢ هـ فِي عَاشِرِ الْمَحْرَمِ: "أَمْرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ النَّاسِ أَنْ يَخْلُقُوا دَكَكِيْنَهُمْ وَيَبْطَلُوا الْأَسْوَاقَ وَالْبَيْعَ وَالشَّرَاءَ، وَأَنْ يُظْهِرُوا التَّبَاحَةَ وَيَلْبَسُوا قِبَابًا عَطِطُوهَا بِالْمُسُوحِ، وَأَنْ يَخْرُجَ النِّسَاءُ مَنْشُرَاتِ الشُّعُورِ، قَدْ شَقَقْنَ شِيَابَهُنَّ بِدُزْنٍ فِي الْبَلَدِ بِالنَّوْاحِ، وَيَلْطَمْنَ وَجُوهَهُنَّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَفَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ لِلسَّنَةِ قُدْرَةٌ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ لِكثْرَةِ الشَّيْبَةِ لِأَنَّ السُّلْطَانَ مَعَهُمْ (٣) .

ويذكر صاحبُ شذرات الذهب أنَّ ما أمر به مُعِزُّ الدَّوْلَةِ (٤) كَانَ أَوَّلَ مَا نَحَى بِهِ عَلَى الْحَسَنِ (٥)، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ صَحِيحٍ، إِذْ إِنَّا نَجِدُ لَذَلِكَ سَابِقَةً جَرَتْ زَمَنَ بَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَعِنْدَ مَا قُتِلَ الْحَسَنُ وَأُرْسِلَ نِسَاؤُهُ إِلَى بَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ أَمْرًا بِالنِّسَاءِ، فَأَذْجَلْنَ عَلَى نِسَائِهِ، فَأَمْرُ نِسَاءِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ فَأَقَمْنَ الْعَاتِمَ عَلَى الْحَسَنِ

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٦، ص ٣٩٤-٣٩٥ .

(٢) المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٨ .

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٥٤٩، وانظر: الميبر في خبر من غير: ج ٢،

ص ٢٩٤ .

(٤) أبو الحسن أحمد بن حنبل بن هبة الديلمي، كان من أمراء الديلم، وتوفي سنة ٣٥٦ هـ .

(٥) انظر: البداية والنهاية ج (١)، ص (٢٦٢) .

(٥) انظر شذرات الذهب ج ٣، ص ٩٠ .

ثلاثة أيام، وبكت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، فقال يزيد - وهو زوجها - حُق لها
أن تُعولَ على كبير قريش وسيد هاشم (١)

وفي العاشر من ذي الحجة سنة ٣٥٢ هـ نفسها، أمر معز الدولة بني بويه بإظهار
الزينة في بغداد، وأن تُفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تُشعل الثيران،
وأن تُضرب البوقات قرحاً بعيد غدِير حَم (٢) وقد كان هذا العمل الذي سنّه معز
الدولة سبباً في إثارة كثير من الفتن بين السنة والشيعة، كما حدثت سنة ٣٥٣ هـ، وسنة
٣٥٤ هـ (٣)، وأصبح هذا النوع من التوجُّح تقليداً سارَ عليه الشيعة في كلِّ سنة،
كما حدثت في سنة ٣٥٦ هـ (٤)، سنة ٣٥٧ هـ، سنة ٣٥٩ هـ، سنة ٣٦٠ هـ، وسنة
٣٦١ هـ (٥).

وفي سنة ٣٥٩ هـ استولى الفاطميون على دمشق وأقيمت فيها الخطبة لخلفائهم
وقطعت الخطبة العبّاسية (٦) واستقر أمر دمشق للفاطميين سنة ٣٦٠ هـ (٧)، وأعلن
المؤذنون بدمشق بحمّي على خمر العمل، وبعد ذلك أمرُوا بفعل ذلك في الإقامة
وقد تألم الناس لذلك (٨). وقد استُخدم رجال الشيعة في مناصب الدولة العبّاسية،
ففي سنة ٣٦٠ هـ أصبح الصّاحب بن عبّاس وزيراً لمؤيد الدولة السبّويّ، وأصبح
مؤيد الدولة أمور ابن عبّاس كلها (٩) وقد تجرأ السبّويّون على مقام الخلافة إلى حدِّ

-
- (١) سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٠٣-٣٠٤.
 - (٢) البداية والنهاية ج ١١، ص ٢٤٣، والكامل في التاريخ ج ٨، ص ٥٤٩-٥٥٠.
 - (٣) انظر: البداية والنهاية ج ١١، ص ٢٥٣-٢٥٤.
 - (٤) انظر: شذرات الذهب ج ٣، ص ١٨.
 - (٥) انظر النجوم الزاهرة ج ٤، ص ١٧، ص ٢٥، ص ٥٥، ص ٦٢، والمنظّم في تاريخ
الملوك والأمم ج ٧، ص ٤٣، ص ٤٧، ص ٥١، ص ٥٣، ص ٥٧.
 - (٦) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٥٩١.
 - (٧) المصدر نفسه: ج ٨، ص ٥٩١-٥٩٢.
 - (٨) النجوم الزاهرة ج ٤، ص ٦٢.
 - (٩) الكامل في التاريخ ج ٨، ص ٦١٧.

كبير، وأصبحوا يطلبون من الخلفاء الأموال وينفقونها في مصالحهم الخاصة فسي
أحيان كثيرة (١) .

وقد كان البويهيون يتصرفون وفقاً لما تُعليه عليهم مصلحتهم بالدرجة الأولى ،
ولذا نجد أنهم قد أحقوا الأذى بعدد من زعماء الشيعة وأرهقوهم، من ذلك أنه
في سنة ٣٦٩ هـ قبض على بعض زعمائهم وأرسلوا إلى بلاد فارس (٢) .

وكان للفاطميين دور في إيقاع الأذى بالشيعة واضطهادهم، من ذلك أن أحد
الأشراف من آل البيت وهو أبو الحسن العلوي الدمشقي حمزة بن أحمد بن الحسين
كان رئيساً شريفاً يسكن أحد أبواب جامع دمشق وهو باب الفراديس، وكان قد استهزأ
بتسبب خلفاء مصر الفاطميين عند ما قرى على منبر دمشق فبعث إليه الوزير الفاطمي
ابن بكس (٣) من قبض عليه وسجنه في الإسكندرية إلى أن توفي سنة ٣٨٠ هـ (٤) .

وفي هذه السنة نفسها - سنة ٣٨٠ هـ - قُتل أبو أحمد الحسين بن موسى
والد الشريفيين الرضي والمرتضى نقابة الطالبين، والنظر في المظالم، وإمارة الحج، وأصبح
ولداه الرضي والمرتضى على النقابة (٥) وقد قُتلوا جميعاً سنة ٣٨٤ هـ (٦) .

وعادت الفتنة إلى الظهور بين الشيعة والسنة في بغداد كما حدث سنة ٣٨٠ هـ
وسنة ٣٨١ هـ، وقد نُهبَت فيها الأموال، وقُتِلَت الأنفس (٧) .

(١) انظر: الكامل في التاريخ : ج ٨، ص ٦١٩-٦٢٠ .

(٢) انظر: المصدر نفسه : ج ٨، ص ٧١٠ .

(٣) كان يهودياً من أهل بغداد، ذهب إلى الرملة وخسر أموالاً كثيرة، ثم هرب
إلى مصر وتاجر لكافور، ثم هرب إلى المغرب وتوقفت به الحال، إلى أن أصبح
وزيراً سنة ٣٦٥ هـ للمعز الفاطمي، وتوفي سنة ٣٨٠ هـ (النجوم الزاهرة : ج ٤،
ص ١٥٨) .

(٤) المصدر نفسه : ج ٤، ص ١٥٧ .

(٥) المنتظم في تاريخ الطوك والأمم : ج ٧، ص ١٥٣ .

(٦) المصدر نفسه : ج ٧، ص ١٧٤ .

(٧) انظر: المصدر نفسه : ج ٧، ص ١٥٣ (ص ١٥٤) .

وَقَدْ لَجَأَ السُّنَّةُ إِلَى ابْتِدَاعِ أَعْيَادٍ خَاصَةٍ بِهِمْ يَوازُونَ بِهَا أَعْيَادَ الشَّيْعَةِ ، فَفِي سَنَةِ ٣٨٩ هـ عَمِلَ أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ - وَهِيَ سَنَةٌ - زِينَةً عَظِيمَةً يَوْمَ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَعَمِلُوا فَرِحًا كَثِيرًا ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ مُحَرَّمٍ عَمِلُوا كَمَا يَعْمَلُ الشَّيْعَةُ فِي عَاشُورَاءَ ، وَبِذَلِكَ فَقَدَ قَوَّلُوا يَوْمًا بِمَقَابِلِ عِيدِ الْغَدِيرِ بَعْدَهُ بِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَقَالُوا : هُوَ يَوْمٌ دَخَلَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَأَبُو بَكْرٍ الْغَارِيُّ وَعَمِلُوا بَعْدَ عَاشُورَاءَ بِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مَا يَفْعَلُ الشَّيْعَةُ مِنَ الْحُزَنِ وَالْبُكَاءِ ، وَقَالُوا إِنَّهُ يَوْمٌ مَقْتَلُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ (١) .

وَاسْتَمَرَّتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ ، وَقَدِ عَانِيَ السُّنَّةُ مِنَ التَّعَصُّبِ الَّذِي كَانَ يَهْدِيهِ الشَّيْعَةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ وَبَلَغَ التَّعَصُّبُ قِمَتَهُ عِنْدَ الْفَاطِمِيَّينَ إِذْ يَلِغُ مِنْ تَعَصُّبِهِمْ أَنَّ الْوَالِيَّ دِمَشْقَ الْفَاطِمِيَّ " أَطَافَ إِنْسَانًا مَقْرِبِيًّا وَشَهْرَهُ ، وَنَادَى عَلَيْهِ : هَذَا جِزَاءٌ مِنْ حُبِّ أَبِي بَكْرٍ وَفَعَّرَ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ عَنْهَا (٢) .

وَفِي الْقَرْنِ الْخَاصِ الْهَجْرِيِّ تَحَالَفَ الشَّيْعَةُ فِي الْعِرَاقِ مَعَ الْفَاطِمِيَّينَ ضِدَّ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَحْدَاثُ عَلَى دَرَجَةِ عَظَمَةٍ مِنَ الْخَطَرِ عَلَى الدَّوْلَةِ فِي سَنَةِ ٤٠١ هـ أَظْهَرَ أَبُو الْمُنِيعِ قُرَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ الطُّقَيْبِيُّ بِمَعْتَمِدِ الدَّوْلَةِ (٣) بِالْمَوْصِلِ طَاعَةَ الْفَاطِمِيَّينَ بِمِصْرَ ، وَأَجَابَهُ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ ، مُكْرَهِيْنَ ، وَخُطِبَ لِلْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ . وَقَدْ أَرَعَجَ هَذَا الْعَمَلُ الْخَلِيفَةَ الْقَائِرَ (٤) ، فَكَتَبَ إِلَى عَمِيْرِ الْجَيْشِ (٥)

(١) الكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ١٧٨ .

(٣) معتمد الدولة قُرَاشُ بْنُ الْمُقَلَّدِ بْنِ الْمُسَيْبِ كَانَ شَهْمًا كَرِيمًا ، تَوَفِّيَ سَنَةَ ٤٤٤ هـ .

(المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٥٨٧) .

(٤) أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر ولد سنة ٣٣٦ هـ وتولى الخلافة سنة

٣٨١ هـ وتوفي سنة ٤٢٢ هـ (انظر : تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٣٧-٣٨) .

(٥) أبو علي الحسين بن جعفر توفي سنة ٤٠٠ هـ وعمره ٥١ سنة ، تولى أمر العراق

فأحسن سياستها . (انظر : شذرات الذهب : ج ٣ ، ص ١٦٠-١٦١) .

أَنْ يُجَهِّزَ الجيوشَ، فلما عَلِمَ قرواش اعتذر إلى الخليفة وأبطل دعوة الحاكم الفاطمي في الموصل وأعادها للقادر (١).

وفي سنة ٤٠٢ هـ كُتِبَتْ في بغدادَ مَحَاضِرُ تَتَضَعَنَ القَدَحِ. ينسب الفاطميون حُكَّامَ مِصرَ وفي مذاهبهم، وَذَكَرَ فِيهَا أَنَّ الفاطميين منسوبون إلى رِيحَانَ بنِ سَعِيدِ الخَرَمِيِّ، وهم أَرَعِيَاءُ خَوَاجٍ لَا نَسَبَ لَهُمْ فِي وَلَدِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَأَنَّهُ مَنزَلُهُ عَمْسَنُ بَاطِلِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يُعَلِّمُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَهْرَتَانَ الطَّالِبِينَ تَوَقَّفَ عَنِ القَوْلِ فِي هَـؤُلَاءِ الفاطميين أَنَّهُمْ أَرَعِيَاءُ، وَهَؤُلَاءِ الفاطميون بِمِصرَ كَفَّارُ أَرَعِيَاءُ مُعَظَّلُونَ لِلإِسْلَامِ أَحَلُّوا الخُمُورَ وَأَبَاحُوا الفُرُوجَ، وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ وَسَبَّوْا الأَنْبِيَاءَ وَلَعَنُوا السَّلَفَ. وَقَدْ وَرَقَ عَلَيْهِ الفُقَهَاءُ والأَشْرَافُ والعُلَمَاءُ مِنَ الشَّيْعَةِ والسُّنَنِ (٢)، وَمِنْهُمُ الشَّرِيفَانِ الرُّضَيْيُّ والعُرْتَضِيُّ، وَجَمَاعَةٌ آخَرُونَ مِنْ كِبَارِ العَلَوِيَّةِ (٣).

وفي سنة ٤٠٤ هـ استولى الفاطميون على حلب وزالَ حُكْمُ بَنِي حَمْدَانَ مِنْهَا (٤)، وَبَقِيَ الحَالُ كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ ٤١٥ هـ، حَيْثُ خَضَعَتْ حَلِبُ لِحُكْمِ دَوْلَةِ شَيْمِيَّةِ أُخْرَى هِيَ دَوْلَةُ بَنِي مِرْدَاسٍ. فَقَدْ دَخَلَتْهَا جِيُوشُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ، وَلَكِنَّهُ قُتِلَ سَنَةَ ٤٢٠ هـ (٥) وَجَاءَ بَعْدَهُ ابْنُهُ شَهْلُ الدَّوْلَةِ نَصْرُ بْنُ صَالِحٍ، وَبَقِيَ السَّنَةَ ٤٢٩ هـ (٦) ثُمَّ خَضَعَتْ حَلِبُ لِحُكْمِ مَعْرِ الدَّوْلَةِ ثَمَالِ بْنِ صَالِحٍ حَتَّى تَوَفِيَ سَنَةَ ٤٥٤ هـ (٧).
أَمَّا فِي العِرَاقِ وَغَيْرِهَا فَقَدْ ظَهَرَ اسْتِمْاءُ بَعْضِ الأَمْرَاءِ مَا يَقُومُ بِهِ أَرْبَابُ الفِرَاقِ كَالشَّيْعَةِ وَالمُعْتَزَلَةِ، فِي سَنَةِ ٤٠٨ هـ اسْتَبَانَ القَادِرُ بِاللَّهِ المُعْتَزَلَةَ وَالشَّيْعَةَ وَغَيْرِهَا

- (١) النجوم الزاهرة ج ٤، ص ٢٢٧.
- (٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٧، ص ٢٥٥، وانظر: النجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٢٢٩-٢٣٠.
- (٣) شذرات الذهب: ج ٣، ص ١٦٣.
- (٤) المصدر نفسه ج ٤، ص ٢٣٥.
- (٥) زبدة الحلب: ج ١، ص ٢٢٨، ص ٢٣١-٢٣٢.
- (٦) المصدر نفسه ج ١، ص ٢٥١.
- (٧) المصدر نفسه ج ١، ص ٢٨٨.

مِنْ أَصْحَابِ الْعَقَلَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِمَا يَمْتَقِدُهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَنَهَى هُنَا مِنَ الْمُنَاطَرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ (١)، وَكُتِبَ إِلَى مَحْمُودِ بْنِ سَبِكْتِكِينَ (٢) فَبَتَّ الدُّعَاةَ بِخِرَاسَانَ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ الشَّيْعَةِ وَالْمَعْتَزِلَةَ وَنَفَى آخَرِينَ (٣)، وَقَدْ تَتَبَعَهُمْ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ سَنَةَ ٤٢٠ هـ وَأَخَذَ أَمْوَالًا مِنْهُمْ (٤).

وَفِي سَنَةِ ٤٢٨ هـ عَادَ شَيْخُ الْفَاطِمِيِّينَ يُحْتَمِ عَلَى بَغْدَادَ إِذَا دَخَلَهَا الْبَسَائِيرِيُّ أَبُو الْحَارِثِ أَرْسَلَانُ بِرَايَاتِ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَخَذَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ تَبِعَهُ أَهْلُ الْكُرْخِ لِأَتَمِّ شَيْعَةٍ، وَنَاصِرُوهُ، وَأَعْلَنُوا الْأَذَانَ بِحَقِّ عَلِيِّ بْنِ خَيْرِ الْعَمَلِ بِبَغْدَادَ وَجَرَّتْ أَحْدَاثُ جَسِيمةٌ، وَعَاتِ الْبَسَائِيرِيُّ فَسَادَ، وَقَطَعَ الْخُطْبَةَ لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، وَنَقَلَهُ إِلَى مَعْسُكِهِ (٥). وَتَجَدَّدَتِ الْفِتْنُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ فِي بَغْدَادَ حَتَّى سَنَةِ ٤٥٠ هـ، وَكَانَتْ فِي مَعْظَمِ الْأَحْيَانِ تَعُودُ إِلَى مَا يَقُومُ بِهِ الشَّيْعَةُ مِنَ السَّبِّ لِلْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَلِذَا يَكْتُبُونَهُ عَلَى جُدْرَانِ الْمَسَاجِدِ، وَقَدْ وَصَفَهُمُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ (٦) - وَهُوَ شَيْخِي مَعْتَزِلِيٌّ - بِقَوْلِهِ مَتَحَدِّثًا عَنْ أَهْلِ الْكُرْخِ: "هَذِهِ طَائِفَةٌ نَشَأَتْ عَلَى سَبِّ الْعَصَابَةِ، وَمَا مُنِعَتْ مِنْهُ إِلَّا وَجَدَتْ بِهِ وَلَا كَانَ لِدَارِ الْخِلَافَةِ أَمْرٌ عَلَيْهَا" (٧). وَكَانَ مِنْ أخطرِ هَذِهِ الْفِتَنِ فَتْنَةُ سَنَةِ ٤٤٣ هـ، حَيْثُ حُفِرَتِ الْقُبُورُ وَنُهَشَتْ (٨). حَتَّى لَقَدْ فَكَّرَ الشَّيْعَةُ بِنَيْشِ قَبْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ لَوْلَا أَنَّ مِنْعَهُمْ نَقِيهِمْ خَوْفًا يَمَاقِدُ بَحْدُكُ (٩).

-
- (١) الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٣٠٥.
 (٢) السلطان محمود بن سبكتكين، كان سُنيًّا شافعيًّا، وُلِدَ سَنَةَ ٣٦١ هـ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٤٢١ هـ (انظر: شذرات الذهب: ج ٣، ص ٢١٩).
 (٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٨٦.
 (٤) البداية والنهاية: ج ١٢، ص ٢٦.
 (٥) انظر: النجوم الزاهرة: ج ٥، ص ٥-١١.
 (٦) عليُّ بنُ المُحَسِّنِ بنِ عليِّ التَّنُوخِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٧٥ هـ، كَانَ صَدُوقًا ثِقَّةً فِي الْحَدِيثِ وَتُوفِيَ سَنَةَ ٤٤٧ هـ (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٦٨، ومعجم الأدباء: ج ١٤، ص ١١٠-١١٤).
 (٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٤٣.
 (٨) انظر: الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٥٧٦-٥٧٧، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٤٩-١٥٠.
 (٩) البداية والنهاية: ج ١٢، ص ٦٢.

وفي سنة ٤٥٠ هـ حدثت الثورة الشيعية الكبرى على يد البساسيري، فقد دخل بغداد مستغلاً غياب السلطان طغرلبيك (١) لقتال أخيه إبراهيم، فدعا البساسيري للفاطميين، وفرح أهل الكرخ بذلك، ونهبوا دور السنة، وهدوا إلى الأذان به حتى على خبير العمل بعد أن كانوا أجبروا على ترك ذلك سنة ٤٤٨ هـ (٢)، وأذن به في سائر نواحي بغداد (٣)، وأخرج الخليفة من بغداد، وقد قام البساسيري بأسوأ الأفعال وأقبحها، ومن ذلك أنه أخصر الوزير ابن المسلمة الطقب برئيس الروساء، فأركبه جملاً، وطبق به في البلد، ووراءه أناس يضربونه بقطعة جلد، ثم ألبيس جلد ثور يقرنهم ويعلق في كلاب يشد قوته، ورفع إلى خشبة، فأخذ يضرب السبي آخر النهار حتى توفي رحمه الله (٤)، وبقي البساسيري يغمد في بغداد إلى أن رجع السلطان طغرلبيك من قتال أخيه فالتقى بالبساسيري، فقتل البساسيري واختر رأسه، وبعث به إلى طغرلبيك، فرفع على رصع وطبق به في بغداد، ثم أعيد الخليفة إلى دار الخلافة في بغداد (٥).

وهكذا بدأ نفوذ الشيعة وسلطانهم يتراجع بعد زوال حكم الدولة البويهية، ففي سنة ٤٦٢ هـ تراجع شأن الشيعة، ففيها أسقطت بمكة خطبة الحكام الفاطميين بمصر، وأقيمت للخليفة القائم بأمر الله (٦) والسلطان ألب أرسلان (٧)، وكذلك فقد

-
- (١) محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن رفاق، تركي الأصل، كان جواداً كريماً حليماً، توفي بالري سنة ٤٥٥ هـ. (انظر: وفيات الأعيان ج ٥، ص ٦٣-٦٨).
- (٢) انظر: النجوم الزاهرة: ج ٥، ص ٥٩.
- (٣) البداية والنهاية: ج ١٢، ص ٧٧.
- (٤) المصدر نفسه: ج ١٢، ص ٧٩.
- (٥) المصدر نفسه: ج ١٢، ص ٨٣.
- (٦) عبد الله بن القادر بالله، ولد سنة ٣٩١ هـ، وتولى الخلافة سنة ٤٢٢ هـ، وتوفي سنة ٤٦٧ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ ج ٩، ص ٤١٧، ج ١٠، ص ٩٤-٩٥).
- (٧) ألب أرسلان: أخو السلطان طغرلبيك تولى الحكم سنة ٤٥١ هـ وقتل سنة ٤٦٥ هـ. (انظر: المصدر نفسه ج ١٠، ص ٦٤، ص ٧٤).

صَعَفَ نَفُودَ الشَّيْخَةِ فِي حَلَبٍ، فِي سَنَةِ ٤٦٣ هـ خَطَبَ مَحْمُودُ بْنُ نَصْرِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ (١) بِحَلَبٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَاللِّسْلَطَانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى قُوَّةَ دَوْلَةِ السَّلَاجِقَةِ، فَجَمَعَ زَعَمَاءَ حَلَبٍ وَمَشَايِخَهَا، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَوَاقَعُوا، وَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَتِ الْعِمَاءَةُ حُصْرَ الْجَامِعِ، وَقَالُوا: هَذِهِ حُصْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّاتِ أَبُو بَكْرٍ بِحُصْرِ بَيْتِي عَلَيْهَا (٢) .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - سَنَةِ ٤٦٣ هـ - نَفَسَهَا زَهَبَ السُّلْطَانُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ إِلَى حَلَبٍ، وَدَخَلَهَا، وَأَنْكَرَ عَلَى أَهْلِهَا - أَنَّهُمْ يُوَدِّعُونَ بَحْرِيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَأَحْسَنِ إِلَى مَحْمُودِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعَادَهُ إِلَى بَلَدِهِ حَلَبٍ (٣) . وَفِي سَنَةِ ٤٦٥ هـ تَوَفَّى السُّلْطَانُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، وَتَوَلَّى الْحُكْمَ ابْنُهُ السُّلْطَانُ طَلْكَشَاهُ (٤) .

وَبَعْدَ وَفَاةِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَنَةَ ٤٦٧ هـ، قَطَعَ أَمِيرُ مَكَّةَ الْعُلُوِّيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ (٥) الْخُطْبَةَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي (٦) وَخَطَبَ لِلْفَاطِمِيِّينَ بِحُصْرٍ (٧) . وَقَدْ أَوْقَعَ مُحَمَّدٌ هَذَا ظُلْمًا كَبِيرًا بِالسَّنَةِ، وَأَلْحَقَ بِهِمْ أَزَى كَثِيرًا عِنْدَمَا كَانَ أَمِيرًا عَلَى مَكَّةَ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ هَيَّاجَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ أبا مُحَمَّدِ الْحَطِّينِيِّ الزَّاهِدِ (٨) ، لِأَنَّ بَعْضَ الشَّيْخَةِ شَكَاَ إِلَى مُحَمَّدٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَسْتَطِيلُونَ عَلَيْهِمْ بِهَيَّاجٍ، فَأَخَذَهُ وَضَرَبَهُ

(١) مَحْمُودُ بْنُ نَصْرِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ حَكَّمَ حَلَبَ سَنَةَ ٤٥٤ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٨ هـ (انظر: الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٢٣٤) .

(٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ص ٦٣ .

(٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ص ٦٤ .

(٤) مَلْكَشَاهُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، تَوَلَّى الْحُكْمَ بَعْدَ مَقْتَلِ وَالِدِهِ سَنَةَ ٤٦٥ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٥ هـ (انظر: المصدر نفسه: ج ١٠، ص ٧٦، ص ٢١٠) .

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَاشِمِ الْعُلُوِّيِّ، كَانَ أَمِيرَ مَكَّةَ، ظَالِمٌ جَبَّارٌ يَحِبُّ سَفْكَ الدِّمَاءِ كَمَا كَانَ سَبَابًا خَبِيثًا رَافِضِيًّا، وَكَانَ يَقْتُلُ الْحُجَّاجَ وَيَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٧ هـ (انظر: النجوم الزاهرة: ج ٥، ص ١٤٠) .

(٦) عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَائِمِ بُوَيْعِ سَنَةَ ٤٦٧ هـ بَعْدَ وَفَاةِ الْقَائِمِ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٧ هـ (انظر: الكامل في التاريخ: ج ١٠، ص ٩٦، ص ٢٢٩) .

(٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ص ٩٧-٩٨ .

(٨) هَيَّاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَطِّينِيُّ، نَسَبُهُ إِلَى حِطِّينَ - وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبٌ طَبْرِيًّا - كَانَ زَاهِدًا بَارِعًا فِي الْحَدِيثِ، جَاوَرَهُ مَكَّةَ وَصَارَ مَفْتِيهَا . (النجوم الزاهرة: ج ٥،

صُرْبًا شَدِيدًا وَكَانَ هَمَّاجٌ كَبِيرَ السِّنِّ ، فَبَقِيَ أَيْمَانًا وَمَاتَ وَقَدْ نَفَى عَلَى الثَّمَانِيَيْنِ سَنَةً ، وَعِنْدَ مَا تَوَفَّى قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : * لَوْظَفَرَتِ النَّصَارَى بِهَمَّاجٍ مَا فَعَلُوا فِيهِ مَا فَعَلَهُ بِهِ صَاحِبُ مَكَّةَ هَذَا الْخَبِيثِ (١) .

وبعد ذلك انتهى النُفُوزُ الشَّيْعِيُّ بِدُخُولِ السُّلْطَانِ مُلْكشَاهِ حَلَبَ سَنَةَ ٤٧٩ هـ (٢) وَبِذَلِكَ قُضِيَ عَلَى تِلْكَ الدَّوْلَةِ الشَّيْعِيَّةِ فِي حَلَبٍ وَمَا جَاوَرَهَا ، فَضَعُفَ الشَّيْعَةُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ . وَأَسْقَطَ اسْمُ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ عَنِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَذُكِرَ اسْمُ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِيِّ بِأَمْرِ اللَّهِ (٣) . وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَتِ الْفِتْنُ تَتَجَدَّدُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ سَنَةَ ٤٨٣ هـ ، فَقَعَتِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ انْتَصَرَ فِيهَا السُّنَّةُ ، وَذَلَّ الشَّيْعَةُ وَاسْتَكَانُوا وَلِزَمُوا التَّقِيَّةَ ، وَكَتَبُوا عَلَى مَسَاجِدِ الْيَرِخِ : خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ (٤)

وَفِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ وَفِي سَنَةِ ٤٩٤ هـ عَمَّتِ النَّاسَ بِأَصْحَابَانَ مَضَائِبَ عَظِيمَةٍ بِسَبَبِ ظُهُورِ بَعْضِ الْبَاطِنِيَّةِ فِيهَا ، حَيْثُ أَخَذُوا وَيُفْسِدُونَ وَيَخْرَبُونَ وَيَتَذَرَعُونَ بِعَقَالَاتِ آلِ الْبَيْتِ وَحُبِّهِمْ كَيْ يَتَّخِذُوا مِنْ ذَلِكَ وَسِيلَةً لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمْ ، وَقَسَدَ قَتَلَ عَدَدٌ مِنْهُمْ (٥) .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٥ ص ١٠٩ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ١٠ ص ١٤٨-١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ص ٤٦٧ .

(٤) المعبر في خبر من غير : ج ٣ ص ٣٠١ ، وشذرات الذهب : ج ٣ ص ٣٦٧ .

(٥) البداية والنهاية : ج ٢ ص ١٥٩ .

وقد بقيت الفتن تثور بين السنة والشيعة حتى سنة ٥٠٢ هـ، وفيما تمّ الصلح بين الجانبين بغير وساطة، فأخذ السنة مذهبون لزيارة قبر مصعب بن الزبير ويمتزون في الكرخ ولم يعترضهم أحد من الشيعة، بل إنهم كانوا يظهرُونَ السُّرورَ بقدمهم، ثم خرج الشيعة لزيارة مشهد موسى بن جعفر وغيره، دون أن يعترضهم أحد من السنة، فعجب الناس من ذلك (١).

(١) الكامل في التاريخ: ج ١٠، ص ٤٦٩-٤٧٠.

الفصل الاول

- أ - مبادئ الشيعة
- ب - فرق الشيعة
- ج - أغراض شعر الشيعة



مبادئ الشيعة

الشيعة فرقة كبيرة من الفرق الإسلامية، لها مبادئ وأصول تقوم عليها، وقد انقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة لكل فرقة منها مبادئ خاصة انفردت بها أو شاركت غيرها في بعضها.

ويلاحظ الناظر في المؤلفات التي كتبت حول الشيعة أن معظم مؤلفيها يذكرون أن للشيعة عدة مبادئ، هي: الوصية والرجعة والتقية والعصمة. وهذه المبادئ هي مبادئ فرعية تتعلق بمبدأ أو أصل واحد من أصول الشيعة وهو الإمامة.

وقد اتضح لنا من مطالعتنا كتب أئمة الشيعة مثل كتب ابن بابويه والطوسي والكليني (١) أن للشيعة أصولاً أخرى غير هذه الأصول التي يذكرها الباحثون، وهذه الأصول هي: التوحيد، والعدل، والمعاد، والنبوّة، والإمامة.

(١) التوحيد :

التوحيد مبدأ أساسي عند الشيعة، فقد كانوا حريصين على توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن مشابهة ما سواه، ولذا فقد تعمقوا في الحديث عن توحيد الله عز وجل، وقرعوا عن ذلك عدة مسائل تتصل بهذا المبدأ.

يؤمن الشيعة أن الله سبحانه وتعالى قديم وما سواه محدث، فليس معه سبحانه شيء يشاركه في القدم، ويعتبر الشريف المرتضى عن ذلك بقوله: "ويجب أن يكون تعالى واحداً لا ثاني له في القدم، لأن إثبات ثاني يؤول إلى إثبات ذاتين لا حكم لهما يزيد على حكم الذات الواحدة، ويؤدي أيضاً إلى تعدد الغل على القادر من غير جهة منع المعقول، وإذا بطل قديم ثان بطل قول الثنوية والنصاري والمجوس (٢). وقد استدلل الشيعة على قدم الله سبحانه وتعالى، وبينوا أنه

(١) محمد بن يعقوب الكليني، كان يكنى أبا جعفر الأعور، جليل القدر، عالم بالأخبار، له مصنفات من أشهرها كتابه المعروف بالكافي، وتوفي سنة ٣٢٩ هـ، ودفن بهاب الكرخ (رجال الطوسي، ص ٤٩٥-٤٩٦)، وكان من متكلمي الشيعة والمصنفين على مذهبهم (الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٢٦. وانظر: الفهرست للطوسي، ص ١٦٥-١٦٦).

(٢) جمل العلم والعقل، ص ٣١.

" يجب أن يكون تعالى قديماً موجوداً في الأزلي لأنه لو كان مُحدثاً لاحتاج إلى مُحدث، والكلام في محدثه كالللام فيه، فكان يؤدي إلى مُحدثين، ومحدثي المُحدثين إلى... مالا نهاية له، وذلك فاسد. وكذلك فهو فاعل الأجسام والأعراض المخصوصة كالطعموم والألوان، والمُحدث لا يَصِحُّ منه فعل مثل هذه الأمور، فوجب أن يكون فاعلها قديماً (١) .

فإنه تعالى قديم لا أول لوجوده وما سواه مُحدث، فجميع الأجسام مخلوقة، ومُحدثها هو الله تعالى، وذلك لأنه لا بد لكل مُحدث من مُحدث، كالصناعة والكتابة، فهما تحتاجان إلى مُحدث، ويجب أن يكون سبحانه وتعالى قديماً لأن جميع الحوادث منتبهة إليه (٣) .

وذهبت الشيعة إلى أن الله تعالى عالم قادر وحق بنفسه، وليس له قدرة ولا حياة ولا علم، وهذا هو رأي الإمامية وجهود الزيدية بينهم، وهم بذلك يتفقون مع معظم الممتزلة (٢)، وهم يستدلون على ذلك بما رواه ابن بابويه (الشيخ الصدوق) عن أن رجلاً قال: "سمعت الرضا علي بن موسى يقول: لم يزل الله تبارك وتعالى عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً، فقلت له: يا ابن رسول الله: إن قوماً يقولون إن الله عز وجل لم يزل عالماً (٤) يعلم بقادراً بقُدرة، وحياً بحياة وقديماً بقدم وسميعاً بسمع وبصيراً ببصر، فقال عليه السلام: من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وليس من ولا يتنا على شيء، ثم قال (ع): لم يزل الله عز وجل عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً لذاته، تعالى عما يقول المشركون والمشبهون علواً كبيراً (٥) .

- (١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٥٩ .
- (٢) جمل العلم والمعل: ص ٢٩ .
- (٣) أوائل المقالات: ص ٥٤ .
- (٤) في الأصل: "عالم" .
- (٥) أمالي الصدوق: ص ٢٤٧ .

وهذا النص يوضح لنا نظرة الشيعة إلى صفات الله تعالى ، فهم ينفون هذه الصفات خشية تعدد القدماء ، فيرون أنّ معنى قولنا إنّ لله علماً أنّه عالم ، ومعنسى قولنا إنّ لله قدرة أنّه قادر ، وهكذا فهم ينظرون إلى صفات الله تعالى على أنّها اعتبارات عقلية تمثل وجوهاً في النظر إليه تعالى ، ولا تدلّ على صفات قديمة قائمة بالذات . فالصفات عندهم هي عين الذات ، فالله سبحانه عالم بذاته لا يعلم ، قادر بذاته لا يقدر (١) ، وهذه الصفات الذاتية لا يمكن سلبها عن الله تعالى ، فمثلاً لا يمكن القول إنّ الله سبحانه عالم وليس بعالم ، وقادر وليس بقادر ، وحتى وليس بحي (٢) . وقد شدّد عن القول بالآراء السابقة بعض الزيدية ، إذ قالوا إنّ الله تعالى عالم بعلم لا هو هو ولا هو غيره ، وعلمه شيء ، وقدرة الله شيء ، وهي لا هي هو ولا هي غيره ، وكذلك قولهم في سائر صفات الله لنفسه كالحياة والسَّمع والبصر (٣) .

وقد خالف الشيعة في بعض الصفات الأخرى قولهم في الحياة والقدرة والعلم ، ومن هذه الصفات الإرادة ، فلم يقولوا فيها إنّ الله تعالى مُريد بذاته ، بل قالوا إنّ الله سبحانه مُريد بإرادة مُحدّثة مخلوقة لاني محلّ (٤) ، يقول أحد علماءهم ، وهو الشيخ العقيد : " إنّ إرادة الله تعالى لأفعاله هي نفس أفعاله وإرادة لأفعال خلقه أمره بالأفعال ، وبهذا جاءت الآثار عن أئمة الهدي من آل محمد (ص) ، وهو مذهب سائر الإمامية إلا من شدّد منها عن قرب ، وفارق ما كان عليه الأسلاف (٥) .

ومن سائل التوحيد الأخرى التي بحث فيها الشيعة مسألة كلام الله تعالى ، وخلق القرآن ، فقد كان الشيعة شديدي الحرص على التوحيد ، ولذا رفضوا الفصل بين ذات الله تعالى وصفاته كما رأينا . كما نفّوا وجود شيء قديم مع الله تعالى خشية

(١) انظر : الأصول من الكافي : ج ١ ، ص ١٠٧ ، وجامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص ١٥

(٢) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم : ص ٢٨٠ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٦٥ ، وانظر : الأصول من الكافي : ج ١ ،

ص ١١٠ .

(٥) أوائل المقالات : ص ٥٥ .

تَعْدِيرِ الْقُدَمَاءِ، وَلِذَا فَهَمَّ يَرَوْنَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَدَّثٌ، وَنَسِبُونَ ذَلِكَ إِلَى
الْإِنْفِ، وَمِنْهُمْ جَعْفَرُ الصَّادِقُ. فَيَذَكُرُونَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحَدَّثَةٌ
لَيْسَتْ بِأَرْزَلِيَّةٍ، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمًا (١) .

فإن الله سبحانه وتعالى متكلم بكلامٍ مُحدَّثٍ، وبذلك جاءت الأخبار عن آل الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو رأي الإمامية وأكثر الزيدية، والمعتزلة جميعها، وجماع
من أصحاب الحديث وشيوخهم (٢)، وهم - أي الشيعة - يوافقون المعتزلة بهذا
القول، فهم يرون أن القرآن الكريم كلامُ الله لم يكن ثم كان (٣).

وقد استدلت الشيعة على أن القرآن الكريم محدث بأدلة منها قوله تعالى:
" مَا بِأَتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ (٤) ، وهم يرون أن الذكر هو
القرآن الكريم بدليل قوله تعالى: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ (٥) " وقوله: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦) ، فهم يستدلون بهذه الآيات على أن القرآن الكريم
محدث (٧)، ويقولون إن القرآن الكريم يوصف بأنه مُحدثٌ ومَجْعُولٌ ومنزَّلٌ ولا يوصف
بأنه مخلوقٌ، لأن ذلك يوهم بأنه مَكْدُوبٌ أو مضافٌ إلى غير قائله، لأن هذا هو
المعتاد من هذه اللفظة كما تدل على ذلك الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى: " إِنْ
هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٨) ، فالكلام لا يوصف بالخلق إلا إذا أريد به الكذب أو الانتحال

-
- (١) الأصول من الكافي: ج ١، ص ١٠٧ .
(٢) أوائل المقالات: ص ٥٤، وانظر: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٦٥ -
٦٦ .
(٣) مقالات الإسلاميين: ج ٢، ص ٢٥٦ .
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢ .
(٥) سورة النحل: الآية ٤٤ .
(٦) سورة الحجر: الآية ٩ .
(٧) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٦٧ .
(٨) سورة ص: الآية ٧ .

كما يقال في القصيدة عندما تكون مُنْتَحَلَةً أو مضافَةً إلى غير قائمها إنها مخلوقة (١) .

وهكذا نجد أنّ موقف الشيعة الإمامية من مسألة خَلْقِ القرآن يلتقي مع موقف المعتزلة من جهة أنّ القرآن الكريم مُحدَث كغيره من الكائنات ، ويخالفونهم في عدم إطلاق هذا الوصف على كلام الله تعالى ، لأنّ كلمة "مخلوق" توّدي بالإضافة إلى معنى المُحدَث معنى آخر هو الاختلاق .

ونتساءل : لماذا قال الشيعة إنّ القرآن الكريم مُحدَث؟

لقد قال الشيعة إنّ القرآن مُحدَث لأنّ ذلك يتضمّن انفراد الله تعالى بالقدم ، ولو كان القرآن قديماً لشارك الله تعالى في القدم ، وهذا غير جائز ، لأنّه يوّدي إلى تعدّد القدماء ، ممّا يوّدي في نهاية الأمر إلى تعدّد الالهة ، وهكذا فقد أراد الشيعة من القول بحدوث القرآن المحافظة على التّوحيد وعلى العقيدة ، ودليلنا على ذلك ما يروونه من أنّ الامام عليّاً - كرم الله وجهه - قال من خطبة متحدثاً عن صفات الله تعالى : " . . . يقول - لِمَا أَرَادَ كَوْنُهُ - : كُنْ ، فيكون ، لا بصوت يقرع ولا نداً يُسمع ، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه ، أنشأه ومثله ، لم يكن من قبل ذلك كائناً ، ولو كان قديماً لكان إليها ثانياً (٢) .

لقد أخلص الشيعة الثّبة في نفي قِدَمِ القرآن محافظةً منهم على التّوحيد ، والتّوحيدُ ركن أساسي من أركان العقيدة الإسلامية ، ولكنّ هذه المسألة خفيت على أذهان كثيرين من النّاس ، ما دعاهم إلى التعامل على الشيعة في هذه المسألة ، وخالفوهم فيها ، وشجّمهم على معارضة الشيعة في ذلك اعتقادهم أنّ كلّ مخلوق لا بدّ أن يموت ، ومن ذلك ما يرويه ياقوت في معجم الأدباء من أنّ جماعة من أهل أَصْبَهَانَ قالوا للمصاحب ابن عباد : لو كان القرآن مخلوقاً لجاز أن يموت ، ولو مات القرآن في آخر شُعْبَانَ بما إذا كنّا نصلي التراويح في رَمَضَانَ ؟ فأجابهم بأنّه لو مات القرآن الكريم لكان رمضان يموت أيضاً ويقول : لا حياة لي بعدك ، ولا يصلّون التراويح ويستريحون (٣) .

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٦٨

(٢) الاحتجاج : ص ٣٠٢ .

(٣) معجم الأدباء : ج ٦ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

ولهذا فقد انبرى كثيرون من العلماء ليعرضوا أفكار الشيعة في خلق القرآن والرد عليهم، ومن هؤلاء أبو الحسن الأشعري إذ رد عليهم بقوله: "إن سأل سائل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قيل له: الدليل على ذلك قول الله عز وجل: "ومن آياته أن تقوم السماوات والأرض بأمره (١)، وأمر الله هو كلامه (٢)، كما يستدل الأشعريُّ بدليل آخر من كتاب الله هو قوله تعالى: "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" (٣). فلو كان القرآن الكريم مخلوقاً لوجب أن يقال له كن فيكون، ولو كان الله سبحانه وتعالى قائلاً للقول "كن" كان للقول قولاً، وذلك يؤدي إلى أحاديث أمرين: إما إلى أن قول الله غير مخلوق أو أن يكون كل قول واقعاً بقول آخر، لا إلى غاية وهذا محال، ولذا ثبت أن قول الله سبحانه وتعالى غير مخلوق (٤). كما رد على الشيعة بعض العلماء الآخرين (٥).

وبيحت الشيعة في مسألة أخرى تتعلق بالتوحيد وهي مسألة نفي رؤية الله سبحانه وتعالى، ولا غرابة في ذلك، لأنهم يؤكدون أصل التوحيد ويتمقنون، ولهذا أنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار، لأنه كان يجب مع ارتفاع الموانع من الرؤية ومع صحة أبصارنا أن نراه، وبذلك يعلم أنه سبحانه وتعالى لا يدرك بمسائر الحواس (٦). ويقول الشيعة إن الرسول الكريم لم ير الله تعالى، وإنما أراه الله سبحانه بقلبه من نور عظمته ما أحب (٧). وينقلون عن الأئمة أنهم كانوا يرون أنه لا يعقل أن يأتي الرسول الكريم من عند الله تعالى بالقرآن الكريم القائل "لا تدركه الأبصار" (٨).

-
- (١) سورة الروم: الآية ٢٥.
 - (٢) الإبانة عن أصول الديانة: ص ١٩٠.
 - (٣) سورة النحل: الآية ٤٠.
 - (٤) الإبانة عن أصول الديانة: ص ٢٠.
 - (٥) انظر: لمع الأدلة: ص ٨٩، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة: ص ٢٤، والتهنيد: ص ٢٣٧.
 - (٦) جمل العلم والعمل: ص ٣١.
 - (٧) الأصول من الكافي: ج ١، ص ٩٥.
 - (٨) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

و" لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" (١) و" ليس كمثل شيء" (٢) ثم بعد ذلك كله يرى الله سبحانه وتعالى ، فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به عِلْمًا ووقعت المعرفة به ، وكانوا يُكذِّبُونَ الروايات إذا كانت مخالفة للقرآن الكريم (٣) ، ولذلك فقد كانوا يقولون إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى : " لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رآه بحقائق الإيمان (٤) ، ويقصدون بحقائق الإيمان أركانه من التصديق بالله تعالى ووحدهانيته ، واعتبارات أسمائه وصفاته . وهم يُرجِعُونَ الْقَوْلَ بِنَفْيِ الرُّوْيَةِ إِلَى الْأَيْتَةِ ، ومنهم الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَام (٥) .

وقال الشيعة إِنَّ الْعَقْلَ يشهد بعدم جواز الرواية بالأبصار، كما أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَطَقَ بِامْتِنَاعِ ذَلِكَ ، وتواتر الخبر عن الأئمة من آل الرِّسُولِ الْكَرِيمِ ، وعلى هـذا الإِمامِيَّةِ وَالزَّيْدِيَّةِ (٦) . وينقل ابنُ أَبِي الْحَدِيدِ نَصًّا مِنْ خُطْبَةٍ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ مِنْهَا قَوْلُهُ : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَطْرُقُ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَمْسِ الْمَصِيرِ ، فَلَا عَيْنَ مِنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، وَلَا قَلْبَ مِنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ (٧) .

وقد نفى الشيعة الرواية بالبصر لأن من شروط صحتها أَنْ يَكُونَ الْعَرِثِيُّ نَفْسَهُ أَوْ مَحَلَّهُ مَقَابِلًا لِلرَّائِي بِحَاسَةِ أَوْ فِي حَكْمِ الْمَقَابِلَةِ ، وَالْمَقَابِلَةُ تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ سَهْمَهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ ، كَمَا تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مَقَابِلَةُ مَحَلِّهِ أَيْضًا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِعَرَضٍ ، وَلَوْ كَانَ مَرْتَبًا لِرَأْيِنَاهُ سَهْمَانَهُ مَعَ صِحَّةِ حَوَاسِنَا وَارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ الْمَقْصُودَةِ مَعَ وَجُودِهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرِثِيَّ إِذَا وَجَدَ وَزَالَتِ الْمَوَانِعُ الْمَعْقُولَةُ وَجِبَ أَنْ نَرَاهُ ، وَإِنَّمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَاهُ إِذَا لَبِغَهُ الْمُفْرَطُ أَوْ لَقِرَهُ الْمُفْرَطُ أَوْ لَوْجُودِ حَائِلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّمَا لَا نَرَاهُ لِصِغَرِهِ وَلَطَافَتِهِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ (٨) . وَيَحْتَلُّ الشَّيْخَةُ عَدَمَ رُوْيَةِ

(١) سورة طه : الآية ١١٠ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٣) الأصول من الكافي : ج ١ ، ص ٩٦ .

(٤) المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ٩٧ ، وانظر : أمالي الصدوق : ص ٢٤٦ .

(٥) انظر : علل الشرائع : ج ١ ، ص ٩ .

(٦) أوائل المقالات : ص ٦٠ .

(٧) شرح نهج البلاغة : ج ٣ ، ص ٢١٦ .

(٨) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٧٥ .

الله تعالى بالأبصار كي يفرّق بذلك بينه وبين خلقه الذين تدركهم الأبصار، وهو غير محدود لأنّ كل محدود متناهٍ إلى حدّ، فإذا احتلّ التعديد احتلّ الزيادة، وإذا احتلّ الزيادة احتلّ النقصان (١).

ويستدل الشيعة على نفي الرؤية بقوله تعالى: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" (٢)، فهم يرون أنّ هذا دليل على استحالة رؤيته تعالى، لأنّ نفسه تمدّح بنفي الإدراك عن نفسه، وكلّ تمدّح تعلّق بنفي فإشباته نقص (٣)، والإدراك في هذه الآية معناه الرؤية، لأنّه سبحانه نفى عن نفسه ما أشبهت لنفسه بقوله: وهو يدرك الأبصار (٤).

ومن أجل نفي الرؤية لجأ الشيعة إلى تأويل كثير من الآيات التي تدلّ على الرؤية، ومنها قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناظرة، إلى ربّها ناظرة" (٥)، فقالوا إنّها لا يوجد تناقض بين هذه الآية وبين قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار، وذلك لأنّ النظر في الآية معناه الانتظار، فكأنّ الله تعالى قال: إلى ربّها منتظرة، ولم يستعمل العسربّ النظر بمعنى الرؤية، فهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أراه، وبذلك فهم يشبّهون النظر وينفون الرؤية، ولو كان معناه الرؤية لكان في ذلك تناقض واضح، وتقول العرب: ما زلت أنظر إليه حتى رأيت (٦). ولو سلم أنّ النظر في الآية بمعنى الانتظار، لجاز أن يكون معناه إلى ثواب ربّها رائية، لأنّ ثواب الله تعالى تصحّ رؤيته (٧)، ويحتمل أن تكون "إلى" في الآية واحدة الآلاء، وإلّا لم ينون لأنّها مضاف إلى كليم ربّها، وبذلك تكون "إلى" في الآية أسماً وليست حرفاً، وبذلك تسقط شبه المخالفيين (٨).

-
- (١) علك الشرايع: ج ١، ص ١١٩.
 - (٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
 - (٣) الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد: ص ٧٥.
 - (٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
 - (٥) سورة القيامة: الآية ٢٢.
 - (٦) الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد: ص ٧٦.
 - (٧) المصدر نفسه: ص ٧٦-٧٧.
 - (٨) المصدر نفسه: ص ٧٧.

وقد ردّ ابن قتيبة (١) على القائلين بنفي الروية بقوله : " فأما دَفْعُهُمْ نظير
العين بقول الله تعالى : " لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار " . . . فإنه أراد
لا تدركه الأبصار في الدنيا . . . لأنه تعالى احتجب عن جميع خَلْقِهِ في الدُّنْيَا ،
وتجلّى لهم يوم الحساب ، ويوم الجزاء والقصاص ، فَيَرَوْنَهُ كما يَرَى القمر في ليلة البدر
لا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر (٢) .

يتّضح لنا ممّا تقدّم أنّ الشّيعَةَ قالوا بنفي روية الله تعالى لأنها تستلزم
أن يكون سبحانه في جهة معيّنة من الراي ، وهذا يوئى إلى كونه جسماً ، والجسم
لا بدّ له من خالق وموجد ، وهذا لا يجوز في حقّه تعالى لأنه ليس بجسم ، وقد عبّر
الكليّني عن تشدّد الشّيعَة في مجال الرّؤية بأنّ الله تعالى لا يُدْرِكُ بأوهام القلوب ،
وهي أكبر من أبصار العيون ، فلا يمكن للمرءٍ مهما تخيّل أن يدرك حقيقة الباري
تعالى ، وعليه أن يتوهّم الله تعالى مخالفاً لكلّ ما يتوقّعه من الأشياء (٣) .

وقد بحث الشّيعَةُ في كلّ مسائل التشبيه الأخرى كالوجه واليد والجنب واليمين
فَرَأَوْا أنّ الله تعالى واحد وليس كمثله شيءٌ ، ونسبوا القول في ذلك إلى أئمتهم ،
مثل جعفر بن محمد رحمه الله (٤) ، قاله تعالى " شيءٌ بخلاف الأشياء . . . غير أنّه
لا جسم ولا صورة ، ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ ، ولا يُدْرِكُ بالحواسّ الخاصّة ، لا تدركه الأوهام
ولا تنقصه الدهور ، ولا تغييره الأزمان (٥) .

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، كان ثقةً فاضلاً ، سكن بغداد ،
وحدّث بها ، ولِدَ سنة ٢١٣ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٦ هـ (انظر : وفيات الأعيان :

ج ٣ ، ص ٤٢ - ٤٣) .

(٢) الاختلاف في اللفظ والردّ على الجهميّة والمشيّهة : ص ٣١ .

(٣) الأصول من الكافي : ج ١ ، ص ١٠١ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٩٢ .

(٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٨١ .

وقد ردّ أئمة الشيعة على ما ذكروا لهم من قول هشام بن الحكم (١) إنّ الله جسم، بقولهم : " إنّ الله تعالى لا يشبهه شيء، ولا يفتش أو تخنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة، أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (٢) . ويروى أنّ خارجياً سأل الإمام أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر عن الله تعالى : فبين له أن الله تعالى لا يُعَرَّفُ بالقياس ولا يُشَبَّه بالناس، فخرج الرجل وهو يقول : " الله أعلم حيث يضع رسالاته (٣) . ويروى أيضاً أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر رضي الله عنه كتب لمن سأله عن قول هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة : " دع عنك حيرة الجيران، واستمد بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهشامان (٤) .

ويذكر الشيخ الصدوق (ابن بابويه) تعليلاً لكون الله تعالى ليس كمثله شيء، فبين أن لذلك أسباباً منها أنّ المسلمين إذا لم يعلموا أنّ الله ليس كمثله شيء لم يدروا من صانعهم، فلعلّه يكون هذه الأصنام التي نصّبها لهم آباؤهم، والشمس والقمر، وبذلك يكون الفساد وترك طاعة الله تعالى على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب ونهيبها وأمرها . ومن هذه الأسباب أن المسلمين لو لم يعلموا أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، لجازعندهم أن يجري عليه ما يجري على مخلوقات من الجهل والمعجز والتغيير والفناء والكذب، ومن جازت عليه هذه الأمور لم يؤمن فناؤه، ولم يوثق بعدله، ولم يحقق قوله وأمره ونهيه وثوابه وعقابه (٥) .

وقد قال الشيعة بنفي الجسمية عنه تعالى لأنّه لو كان جسماً لأدّى ذلك إلى كونه محدثاً أو كون الأجسام قديمة، وكلا الأمرين فاسد، وكذلك فلو كان الله سبحانه

(١) هشام بن الحكم، كان من خواصّ موسى بن جعفر عليه السلام، وكان ينزل الكرخ من بغداد، وله مصنّفات كثيرة، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة على الأرجح

(انظر : الفهرست للطوسي : ص ٢٠٢-٢٠٩) .

(٢) الأصول من الكافي : ج ١، ص ١٠٥ .

(٣) أمالي الصدوق : ص ٢٤٦، وانظر : الاحتجاج : ج ٢، ص ٥٤ .

(٤) الأصول من الكافي : ج ١، ص ١٠٥ .

(٥) علل الشرائع : ج ١، ص ٢٥٦ .

وتعالى جسماً لما صحَّ منه فعل الأجسام (١)، ولا يجوز وصفه تعالى بأنه جسمٌ وذلك لا تتفاء حقيقة الجسم عنه، لأنَّ هذا نقض اللغة، فأهل اللغة، يطلقون اسم "الجسم" على ما له طولٌ وعرضٌ وعمقٌ، بدلالة قولهم: هذا أطول من هذا، إذا زاد عليه في الطول. وهذا أعرض من هذا إذا زاد عرضاً، كما أنه لا يجوز أن يُقال إنَّ الله سبحانه وتعالى جسمٌ لا كالأجسام لأنَّ هذا تناقض واضح، فعندما نقول: جسم، فقد أثبتنا له طولاً وعرضاً وعمقاً، وعندما نقول: لا كالأجسام، اقتضى نفي ذلك عنه، ونفي هذا مناقضة، لكنَّ يجوز أن يُقال إنَّه تعالى شيءٌ لا كالأشياء، لأنَّ قولنا: شيءٌ، لا يقتضي أكثر من أنه معلوم، وليس فيه بيان الجنس، فإذا قيل بعد ذلك، لا كالأشياء المُحدَّثة، لم يكن في هذا القول تناقض (٢).

وهكذا لجأ الشبهة إلى القول إنَّ الله تعالى لا شبه له من مخلوقاته (٣)، كسي يُزِيلُوا آيَةً مُشَابِهَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ، ولهذا نجد أنَّهم أولوا الآيات الكريمة التي يُفهم من ظاهرها أنَّ الله تعالى وجهاً وبدناً وجنحاً وعيناً... إلخ وفسروها بما لا يدلُّ على التشبيه، فبيَّنوا أنَّ قوله تعالى: "الرحمنُ على العرشِ استوى" (٤) معناه استوى عليه (٥). ويردُّ ابن قتيبة عليهم بأن تفسير الاستواء بالاستيلاء ليس معروفاً في اللغة، وإنما يقال: استوى في هذا المكان بمعنى استقرَّ، كما في قوله تعالى: "فإذا استويت أنتِ ومن مَعَكَ على الفلك" (٦) أي استقرت، وقد يقول المرء لصاحبه إذا راه متهيئاً للوثب أو للسفر: استو، أي استقر (٧).

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الأصول من الكافي: ج ١، ص ٨٦.

(٤) سورة طه: الآية ٥.

(٥) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٧١، والهداية: ج ١، ص ٤-٥، والأصول

من الكافي: ج ١، ص ١٢٧.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٢٨.

(٧) الاختلاف في اللفظ والتردُّد على الجبهة والمشبهة: ص ٢٦-٢٧.

وَأَوَّلَ الشَّيْخَةِ بِمَعْنَى الآيَاتِ الأُخْرَى ، وَضَمًّا قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ ^(١) ، فَقَالُوا إِنَّهُ مَعْنَى كُرْسِيِّهِ عَلَيْهِ ^(٢) ، وَأَوَّلُوا قَوْلُهُ تَعَالَى : " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتَ بِهَيْدِي ^(٣) ، بِمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى تَوَلَّى خَلْقَهُ بِنَفْسِهِ ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : هَذَا
مَا عَمِلْتَ بِدَاك ، أَيْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ ، وَقَالُوا إِنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ بِهِ لَمَّا خَلَقْتَ لِنَعْمَتِي الدَّيْنِيَّةَ
وَالدَّيْنِيَّةَ ^(٤) ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى جَنْبٌ ، فَفَسَّرُوا الْجَنْبَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " مَا حَسْرَتَا
عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ^(٥) بِمَعْنَى ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ
مَطْوِيَّاتٍ بِهَيْمِنِهِ ^(٦) بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّخَّاحِ بْنِ ضِرَّارٍ ^(٧)
ذَاكِرًا الْيَمِينِ ^(٨) :

إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عِرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

وَأَوَّلُوا " الْأَعْيُنُ " فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ^(٩) " بِمَعْنَى الْعِلْمِ ، أَيْ وَنَحْنُ عَالِمُونَ ^(١٠) ،
وَأَوَّلُوا التَّوَجُّهَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ^(١١) " بِمَعْنَى ذَاتِهِ تَعَالَى ^(١٢) .

وَمِنْ أَجْلِ نَفْيِ الْجِسْمِيَّةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَتِ الشَّيْخَةُ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ الْحُلُولُ ،
لَأَنَّ ذَلِكَ يُوْجِبُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَهُ الَّذِي يَحُلُّ فِيهِ قَدِيمًا فِي الْأَزَلِ ، وَهَذَا يُوْثِقُ إِلَى مِشَارَكَةِ

-
- | | |
|------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (١) | سورة البقرة : الآية ٢٥٥ . |
| (٢) | الهداية : ج ١ ، ص ٥٥ . |
| (٣) | سورة المائدة : الآية ٦٤ . |
| (٤) | الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٧٢ . |
| (٥) | سورة الزمر : الآية ٥٦ . |
| (٦) | السورة نفسها : الآية ٦٧ . |
| (٧) | الشَّخَّاحِ بْنِ ضِرَّارِ بْنِ حَرْمَلَةَ ، كَانَ شَاعِرًا مَشْهُورًا ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَتَوَفَّى
زَمَنَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ . (انظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ج ٢ ،
ص ١٥٤ ، والأغاني : ج ١٩ ، ص ١٥٤) . |
| (٨) | ديوان الشَّخَّاحِ بْنِ ضِرَّارٍ : ص ٣٢٥ - ٣٢٦ . |
| (٩) | سورة القمر : الآية ١٤ . |
| (١٠) | الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٧٢ . |
| (١١) | سورة القصص : الآية ٨٨ . |
| (١٢) | انظر : جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص ٢٠٩ . |

الله تعالى في القدم (١)، وبذلك فهو يؤدي إلى تعدد القدماء، وفي النهاية إلى تعدد الآلهة. ولهذا كانوا يرون أن من يزعم أن الله تعالى من شيء يجعله محدثاً، ومن زعم أنه في شيء فقد أخبر بأنه محصور، ومن قال إنه على شيء فقد جعله سبحانه محمولاً (٢).

ونجد تصويراً واضحاً لمبدأ التوحيد عند الشيعة في قول الشيخ الصدوق (ابن بابويه) في بداية أحد كتبه: "الحمد لله الواحد القديم الأزلي الذي لا يوصف بحادث ولا نهاية، الذي لا ابتداء لكونه ولا غاية لبقائه، الدال على وجوده بخلقه، وإحداث خلقه على أزمته، وبأشباههم على أنه لا شبه له، المستشهد بأياته على قدرته، الممتعة مسن الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، الذي ليس كمثل شيء...".
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد على طاعته ثوابه، وعلى معصيته عقابه،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بكتاب فضله وحكمة فأيدّه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكم خبيره (٣). كما نجد نظرة الشيعة إلى التوحيد لنا مفهوم التوحيد لديهم (٤).

وهكذا يتضح لنا أن الشيعة قد حرصوا على توحيد الله عز وجل وتنزيهه عن مشابهة الأشياء والمخلوقات، كما أولوا الأيات التي تدل في ظاهرها على التشبيه والتجسيم فلم يأخذوها على علاتها، وإنما أولوها بما يتفق مع وحدانية الله تعالى، وكانوا في ذلك حريصين على روح الإسلام وجوهره، يدلنا على ذلك ما يذكره الكليني من أن جماعة من أهل العراق كانوا يصفون الله سبحانه وتعالى بالصورة، فهين أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أن التوحيد الصحيح هو ما نزل به القرآن من صفات الله تعالى، فوجب أن يُنفى عن الله تعالى البطلان (أي التعطيل) والتشبيه، وعلى

(١) الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٧٣.

(٢) الهداية: ج ١، ص ٥٥.

(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ١.

(٤) انظر: الاحتجاج: ج ١، ص ٣٠٢.

المسلمين ألا يَعُدُّوا ما ذكره القرآن الكريم فيضُلُّوا (١)، والمراد بذلك ألا نعطل الصفات فننفيها عن الله تعالى، ولا أن تثبت له صفات غير لائقة بذاته فنشبهه بخلقه (٢).

٢ - العَدْلُ :-

الأصل الثاني من أصول الشيعة هو العَدْلُ، وهو مقرون بمبدأ التَّوْحِيدِ فهو مبدأ أساسي لديهم. وقد تحدَّثَ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ عن ذلك بقوله: "الذي يلزم المكلف أمران: عِلْمٌ وَعَمَلٌ، فالعَمَلُ تابعٌ لِلْعِلْمِ ومهنيٌّ عليه، والذي يلزم العِلْمُ به أمران: العَدْلُ والتَّوْحِيدُ" (٣).

ويُقَدِّمُ الشَّيْخُ المَعْنِيُّ توضيحاً لِمَعْنَى العَدْلِ عند الشيعة وبخاصة الإمامية منهم فيقول: "إنَّ الله عزَّ وجلَّ عدلٌ كَرِيمٌ خَلَقَ الخَلْقَ لعبادته وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته ومعهم بمبدأه، بدأهم بالنعم والتفضل عليهم بالإحسان، لم يكلف أحداً إلا ما دون الطاقة ولم يأمره إلا بما جعل له عليه الاستطاعة، لإعيت في صنعته، ولا تفاوت في خلقه، ولا تبيح في فعله، جَلَّ عن مشاركة عبادة في الأفعال، وتعالى عن اضطرارهم إلى مظالم ذرَّة، فإنَّ تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنهِ أجراً عظيماً" (٤)، وقد بيَّنَ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ أنَّ قِسْماً من الزَّيْديَّة، وجمهور المعتزلة يذهبون إلى هذا القول، وخالف بعض الناس فيه، ويهدو الطوسي ناقماً على هؤلاء المخالفين، فذكر أنَّهم ذهبوا إلى أنَّ الله تعالى خَلَقَ أفعالَ جميع النَّاسِ، وعَدَّبَ العصاة على ما فَعَلَهُ نبيهم من معصيته وأمرهم بما لم يرد ونهاهم عما أراد وكلفهم ما لا يطيقون تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً (٥). ومن هذا القول للشَّيْخِ المَعْنِيِّ نرى التَّشَابُهَ الكَبِيرَ في أصل العَدْلِ بين الشيعة والمعتزلة، إذ يذهب المعتزلة إلى ما يذهب إليه الشيعة (٦)، وقد فرَّع الشيعة عن هذا الأصل

- (١) الأصول من الكافي ج ١، ص ١٠٠.
- (٢) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام: ١٢٩.
- (٣) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٤.
- (٤) أوائل المقالات: ص ٦٠-٦١.
- (٥) المصدر نفسه: ص ٦١.
- (٦) انظر: شرح الأصول الخمسة: ص ١٣٣-١٣٤.

بعض المسائل ، وهي :

(أ) مسألة الجبر والاختيار وهل الإنسان مُجَبَّرٌ عَلَى أفعاله من الله تعالى ؟ أي :
مَنْ خَالِقُ أفعالِ العِبَادِ ؟ أهو الله تعالى أم العِبَادُ أَنْفُسُهُمْ يَخْلُقُونَهَا بِمَحْضِ
حريتهم وإرادتهم ؟

قال الشَّيْخَةُ بِتَوْسُطِ الْإِنْسَانِ فِي أفعاله بين الجبر والاختيار ، فالله تعالى لم
يجبر النَّاسَ عَلَى أفعالهم ولم يَفُوضِ الْأَمْرَ إِلَيْهِمْ تَمَامًا (١) . وَيُرْوَوْنَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا لِلْأئِمَّةِ
مِنْهَا قَوْلُ الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنِ الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ
فَقَالَ : " لَا جَبْرَ وَلَا قَدْرَ ، وَلَكِنْ مَنزِلَةٌ بَيْنَهُمَا فِيهَا الْحَقُّ . . . " (٢) ، وَكَانَ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ
أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يَجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا ، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَرِيدَ
شَيْئًا فَلَا يَكُونُ " (٣) . وَتَعُودُ حَقِيقَةُ قَوْلِ الشَّيْخَةِ بِالتَّوَسُّطِ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ إِلَى أَنَّ
أفعال الإنسان الحارثة لها أسباب قريبة وهي مباشرة الإنسان للفعل وقيامه به كالقتل
وغيره ، ولها أسباب بعيدة لا يملكها الإنسان كالقدرة على القتل والآلة التي بها باشر
القتل ، وهي ليست من فعله ، فباعتبار السبب القريب وهو مباشرة الإنسان للفعل يصحَّ
نَسْبُهُ إِلَيْهِ ، وباعتبار الأسباب البعيدة التي ليست تحت قدرة الإنسان ولا تحت اختياره ،
لَا يَصِحُّ نِسْبَتُهُ إِلَيْهِ ، وبهذا يكون الإنسان مضطراً من جهة ، ومختاراً من جهة أخرى ، وهذا
حال الإنسان في أفعاله ، فبِهِ تَنْسَبُ إِلَيْهِ بِإِعْتِبَارِ أَنَّهُ فَعَلَهَا بِإِرَادَتِهِ ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهَا بِإِخْتِيَارِهِ ،
وَلَا تَنْسَبُ إِلَيْهِ بِإِعْتِبَارِ أَنَّ هُنَاكَ أَسْبَاباً فِي طَرِيقِ الْفِعْلِ لَا يَمْلِكُهَا الْإِنْسَانُ وَلَا تَقَعُ تَحْتَ
قدرته وإرادته (٤) .

ومع قول الشَّيْخَةِ بِتَوْسُطِ الْإِنْسَانِ فِي أفعاله بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ فَهِيَ يَمْلِكُونَ
إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرَ فِي أفعاله بِفَعْلِهَا بِإِرَادَتِهِ ، فَالنَّاسُ هُمُ الْمُخَيَّرُونَ لِأفعالهم وَنَ الْوَنَ اللَّهُ
تعالى ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحْكَامَهَا مِنْ مَدْحٍ وَذَمٍّ رَاجِعَةٌ إِلَيْهِمْ ، فَهِيَ يُذَمُّونَ عَلَيْهَا وَيُمدَّحُونَ عَلَيْهَا ،
وَهَذَا يَنْطَبِقُ أَيْضاً عَلَى الْأفعالِ الْمُتَوَلَّدَةِ (٥) ، فَالنَّاسُ خَالِقُوا أفعالهم بِالقُوَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا

(١) انظر : الهداية : ج ١ ، ص ٥ ، وخير الزاد ليوم المعاد : ج ١ ، ص ٤٨ .

(٢) انظر : الأصول من الكافي : ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) فلاسفة الشيعة : ص ١٤٩ .

(٥) جمل العلم والعمل : ص ٣٣ .

الله سبحانه وتعالى فيهم (١)، ومن هنا جاء ما نسبوه إلى الإمام عليّ رحمه الله من أنه كان يرى أنّ قضاء الله تعالى على الإنسان ليس قضاءً حتماً ولا قدراً لازماً، لأنّه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي من الله تعالى، وسقط معنى الوعد والوعيد، ولتساوى المذنب والمطيع فلم تكن مذمّة للأول، ولا حمدة للثاني، ولكن المذنب أولى بالإحسان من المطيع، ولكن المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، فالقول بالجبر هو قول عبدة الأوثان وحزب الشيطان، فالله تعالى كلف تخييراً، ونهى تحذيراً (٢)، فالإنسان مختير في أعماله حتى في أفعاله المتولدة، كالآلم المتولد عن الضربة، والصوت المتولد عن اصطكاك الحجرين، فهي فعل للإنسان الذي تولدت عن فعله (٣)، فالله تعالى أقدر الإنسان على فعل أعماله وتركها، والخير والشر واقعان باختياره، لأنّه بقدر على فعلهما وعلى تركهما، والقدرة إن منحها الله تعالى للإنسان لا تتعدى طلب الخير والأمر به والنهي عن الشر وطلب تركه (٤). وقد عبّر الشيخ الطوسي - أحد زعماء الإمامية - عن رأيه في حرّية الإرادة الإنسانية فقال: "يجوز أن يقال ثأفعالنا بقدر الله بمعنى أنّه قدّر ما عليها من الثواب أو العقاب، فينبغي أن يُقيد القول فسي ذلك، ولا يُطلق به" (٥).

وقد استدلل الطوسي على أنّ الإنسان مُحدث أفعاله بإدلة منها: أنّه يحسن مدح الإنسان على بعض الأفعال وذمّه على بعض، لأنّ من فعل الطاعة يحسن مدحه، ومن فعل الظلم يحسن ذمّه، ولا يحسن مدحه ولا ذمّه على طول أو قصره وحسنه وقبحه، وإنّما كان يحسن ذلك لأنّ الأوّل واقع تحت إرادتنا وبإستطاعتنا القيام به أما الثاني فليس كذلك (٦). وكذلك الإنسان لا يحسن مدحه ولا ذمّه إلا إذا كانت أعماله بمقدوره، ويقوم بها بحريّة.

-
- (١) انظر: الأصول من الكافي ج ١، ص ١٥٧.
- (٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٥٥-١٥٦.
- (٣) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ١١٩.
- (٤) الشّبيحة بين الأشاعرة والمعتزلة: ص ١٨٣.
- (٥) الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٩٦.
- (٦) المصدر نفسه: ص ٩٩.

وتوجد أدلة من القرآن الكريم أوردها الشيخ الطوسي، منها: قوله تعالى: ﴿جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)، و﴿فَمَنْ يَحْمِلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَحْمِلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهَا﴾ (٢)
و﴿مَنْ يَحْمِلْ سُوءَ بُحْرَيْنِ﴾ (٣). وذهب الطوسي إلى أن أهل الآخرة أيضا مختارون
لأفعالهم وليسوا مضطرين ولا ملجئين إلى ذلك وإن كان لا يقع منهم الكفر
والفساد (٤).

ولما كان الشيعة يقولون بحرية الإنسان في أفعاله، فقد بحثوا في الاستطاعة
أو القدرة، فقالوا إن الفرد منا قادر على الفعل بدليل صحة الفعل منه، والقدرة
قبل الفعل، وليست مصاحبة له، بدليل أن المرة يحتاج إليها لُخْرِجَ بها الفعل من
العدم إلى الوجود، فلو وجد مقدورها قبلها لاستغنى عنها (٥)، فهم يرون أن القدرة
يستحيل أن تتعلق بالفعل حال حدوثه، لأن ذلك يترتب عليه وجوب حدوث قدرة الله
تعالى أو قدم مقدوره، وهذا كله باطل.

وقد ذهب الشيعة إلى نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى قادر على
الظلم والقبايح والمعاصي (٦)، ولكنه لا يريد ها ولا يجوز أن يفعلها ليعلمه بقبحها وبأنه غني
عنها، وهو سبحانه لا يجوز أن يريد القبح، لأنه إن أراد به إرادة مُحدثة فهي قبيحة،
وهو سبحانه لا يفعل شيئاً من القبايح، وإن أراد به لنفسه ويجب أن يكون سبحانه على
صفة النقص، وصفات النقص عنه منفية (٧).

ومن أجل تأكيد عدل الله تعالى، بحث الشيعة في مسألة الأرزاق، فقالوا إن الأرزاق
ليست محدودة مقدورة، وإنما هي تزيد بالطلب وتنقص بالتواني، ولذا فهم يبحثون على
طلب الرزق، ويروون عن الأئمة أحاديث في ذلك، منها أنه جاء رجل إلى أبي عبد الله

-
- | | |
|-----|----------------------------------------------------------------------|
| (١) | سورة الواقعة: الآية ٢٤. |
| (٢) | سورة الزلزلة: الآية ٧. |
| (٣) | سورة النساء: الآية ١٢٣، وانظر: الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ١٠٠. |
| (٤) | أوائل المقالات: ص ١٠٤. |
| (٥) | الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ١٠٤. |
| (٦) | انظر: أوائل المقالات: ص ٦٠، وجمل العلم والعمل: ص ٣٢. |
| (٧) | جمل العلم والعمل: ص ٣٢. |

جعفر بن محمد وطلب إليه أن يدعو الله أن يرزقه، فرفض أبو عبد الله وقال : " لا أدعو لك ، أطلب كما أمرك الله (١) وجاءه رجل " فقال : لَأَقْعُدَنَّ فِي بَيْتِي وَلَا صُومَنَ ، وَلَا عِدَنَ رَيْبِي ، فَأَمَّا رِزْقِي فَمَسْأَلَتِي ، فقال أبو عبد الله عليه السلام ، هذا أحد الثلاثة الذين لا يُسْتَجَابُ لَهُمْ (٢) . وروى عن أبي جعفر أنه كان يوصي أصحابه بطلب الرزق إذا صلوا الصبح ، وَأَنْ يَهْجُرُوا فِي ذَلِكَ ، فَإِذَا فَعَلُوا فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُهُمْ (٣) .

وبحث الشيعة أيضاً في مسألة الصّلاح والأصلح ، وقد قالوا بهذه النظرية انسجاماً مع آرائهم في عدل الله تعالى ، ولينفوا عنه الظلم . ومعنى الصّلاح والأصلح عندهم هو أن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم في دينهم ودنياهم (٤) . ولا بدّ من صلاحها ولا نفعاً ، فمن أغناه الله تعالى فقد فعل به الأصلح في التدبير ، وكذلك من أفقره ومن أمرضه ومن أصحّاه ، فالله تعالى إنّما يفعل ذلك من أجل مصلحتهم (٥) . كما بحث الشيعة في مسألتين أخريين من مسائل العدل هما : الخلق والتكليف .

ففيما يتعلق بمسألة الخلق كان الشيعة يرون أنّ الله سبحانه وتعالى خلّق الخلق لأنّ في ذلك منفعة لهم وصلاحاً ، لأنّ خلق ما لا عبرة فيه لأحدٍ من العكّفين ولا صلاح فيه لأحد من المخلوقين عيب لا يجوز على الله سبحانه وتعالى (٦) ، فالله تعالى لا يفعل بالعباد إلا ما فيه صلاحهم ، بل ما فيه الأصلح لهم ، ولذا فإنّ من علم الله سبحانه وتعالى أنّه إذا خلّقه وكلفه لم يؤمن ، ولا آمن أحد من الخلق لخلقه أو بقائه أو تكليفه أو فعّله بأفعاله ولا انتفع به في دينه أحد من الناس لم يجوز أن يخلقه ، ومن علم أنّه إنّ أبغاه تاب من معصيته لم يجوز أن يخترمه ، وعدلّ الله سبحانه وتعالى يقتضي ذلك ، ولا يجوز منه خلافه ، لأنّه لا يجوز عليه سبحانه العبث ولا الهخل والحاجة ، وهذا مذهب جمهور الإماميّة

-
- (١) الفروع من الكافي : ج ٥ ، ص ٧٨ .
 - (٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .
 - (٣) المصدر نفسه : ج ٥ ، ص ٧٩ .
 - (٤) علل الشرائع : ج ١ ، ص ١٦ ، وأوائل المقالات : ص ٦٢ .
 - (٥) أوائل المقالات : ص ٦٢-٦٣ .
 - (٦) المصدر نفسه : ص ١٢٨ .

والزبدية وبعض المعتزلة (١) ، فَخَلَقَ مَنْ لَا يُنْتَفَعُ بِخَلْقِهِ وَإِمَاتُهُ مَنْ تَقْتَضِي مصلحته البقاءَ
 عمراً طويلاً غير جائز على الله تعالى لأنه لا يكون فيه مصلحة المكلف، وفي ذلك ظُلْمٌ
 وَعَبَثٌ لا ينسجم مع رعاية الله سبحانه وتعالى العباد ، وما هو أصلح لهم ، والله سبحانه
 وتعالى قد يُؤَلِّمُ الأطفالَ والبهائمَ والبالغين ، وذلك قد يكون شيئاً حسناً ، ووجهُ حسنه
 أنه يتضمَّن اعتباراً يخرج به من أن يكون ظُلماً (٢) . فالله تعالى يؤلِّمهم لغرض خاص مثل
 اعتبار الآخرين بهم ثم يعوِّضهم عن ذلك ، ويعوِّض الله البهائم عما أصابها واجب علمه
 سبحانه لأنه خلقها لمنفعتيها ، فلو حرمتها العوض عن ألمها لكان قد خلقها لمضرتها ،
 والله تعالى يجزئ عن خلق شيءٍ لمضرته وإيلاؤه ، دون أن يكون وراء ذلك نفعٌ يوصله إليه ،
 لأن ذلك لا يقع إلا من سفة ظالم ، والله تعالى عدلٌ كريمٌ حكيمٌ ، ولا يجوز أن يقتصر
 سبحانه وتعالى من البهائم لأنها غير مكلفة ، ولا مأمورة ، ولا عالمة بقبح القبح (٣) .

أما فيما يتعلق بالتكليف ، فقد ذهب الشيعة إلى أن الله تعالى يحسن أن يكلف
 العباد ، وذلك لأنه سبحانه خلق العباد لمنفعتهم ، ولأن في هذا التكليف تعريضاً لمنزلة
 عظيمة لا يمكن الوصول إليها إلا به (٤) . وقالوا : إن الله تعالى عادل ، لذا فهو لا يكلف
 البشر فوق ما يطيقون ، وإنما يكلفهم ما يستطيعون (٥) ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى :
 " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " (٦) ، وهذا طبيعي لأن الغاية من التكليف هي مصلحة
 المكلف ، فكيف يكلف الله سبحانه وتعالى الناس فوق ما يطيقون ؟ ووضع الشيعة شروطاً
 لصحة التكليف منها : أن يكون المكلف قادراً لمتكّن من فعل ما كلف به ، ولا يكون مكلفاً
 بما لا يطيق ، وأن يكون عالماً أو متكناً من العلم به ، وذلك كي يستحق الثواب على فعله ،

-
- (١) أوائل المقالات : ص ١٢٨ .
 (٢) جمل العلم والعمل : ص ٣٤-٣٥ .
 (٣) المصدر نفسه : ص ١٣١ .
 (٤) الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ١١٦ ، وانظر : جمل العلم والعمل :
 ص ٣٣ .
 (٥) الهداية : ج ١ ، ص ١٠٦ ، والأصول من الكافي : ج ١ ، ص ١٦٢ .
 (٦) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

وكذلك لمستحق الثواب على القبيح إذا تركه لقبَّه (١) . ومن تلك الشروط أيضاً أنَّه يجب ألا يكون هناك موانع تحول دون الفعل، لأنَّ الفعل يتعذر مع المنع كتمذره مع فقد القدرة، ولا فرق بين أن يكون المنع من جهته سبحانه أو من جهة غيره في قبح تكليفه إذا لم يكن المكلف قادراً على إزالة المنع من نفسه (٢) ، ويجب ألا يكون المكلف ملجأً فيما كُلف لأنَّه لا يثبت مع الإلجاء استحقاقُ شيءٍ من المدح أو الثواب، فالإنسان لا يمدح على أنَّه لا يقتل نفسه وأولاده، ولا يحرق داره وماله فإتية ملجأً إلى فعله مع زوال اللبس والشبهة، لأنَّ مع دخول الشبهة يجوز أن يقوم بفعل ذلك كما يقوم الهنود بقتل نفوسهم وإحراقها لمن اعتقد أنَّه يتقرب إلى الله تعالى بفعل ذلك (٣) وهكذا يرى الشيعة أنَّ على الله تعالى إذا ما كلف المباد أن يُمكنهم من فعل ما كلفهم بفعله، وذلك بإزالة علبهم (٤) فيقدرهم على العمل، فإذا لم يتوفر ذلك قبح تكليفه إياهم (٥) . فالتكليف في مصلحة المكلفين، ولذا يرى الشيعة أنَّه يحسن أن يكلف الله تعالى مَنْ علم أنه يكفر، لأنَّ وجه الحُسن ثابت في ذلك التكليف، وهو التعمير للثواب، وعلم المسلم تعالى بأن ذلك المكلف يكفر ليس بوجه قبيح، لأنَّه يحسن أن ندعو إلى الدين جميع الكفار في وقت واحد لو جمعوا لنا، علماً بأنهم لن يؤمنوا جميعاً، وإنما سيبقى بعضهم على كفرهم، وتعرض الطعام على مَنْ يغليب على ظنوننا أنَّه لن يأكل منه شيئاً، ونرشيد إلى الطريق من نعتقد أنَّه لن يقبل منا (٦) .

وبحث الشيعة في مسألة أخرى من مسائل التوحيد هي مسألة اللطف، وهم يعرفونه بأنه "عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرِّف عن قبيح" (٧) ، وذهبوا إلى أنَّ اللطف

-
- | | |
|-----|-----------------------------------------|
| (١) | الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ١١٦ . |
| (٢) | المصدر نفسه : ص ١١٩ . |
| (٣) | المصدر نفسه : ص ١٢٠ . |
| (٤) | المصدر نفسه : ص ٢٦٣ . |
| (٥) | انظر : المصدر نفسه : ص ١٠٦ ، ص ١١٨ . |
| (٦) | جمل العلم والعمل : ص ٣٤ . |
| (٧) | الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ١٣٠ . |

واجبٌ على الله سبحانه وتعالى (١) ، فيجب عليه سبحانه أن يفعل ما يهلم أن المكلف يختار عنده الطاعة أو يكون إلى اختيارها أقرب ، ولولا له لم يكن ذلك ، لأن التكليف يُوجب ذلك قياساً على الإنسان الذي يدعو إلى طعامه ويغلب على ظنه أن المدعو لا يحضر إلا ببعض الأفعال التي ليست فيها مشقة (٢) على الداعي كأن يُكلمه بكلام لطيف أو أن يُرسل إليه رقعة أو أن يرسل إليه علامة مما لا مشقة فيه على الداعي ولا يحط من قدره ، ومتى لم يفعل ذلك لم يحضر المدعو ، وجب عليه أن يفعل ذلك ، ومتى لم يفعله استحق الذم من العقلاء كما يستحق لو أُلقي بآبته في وجهه ، ولهذا صار منع اللفظ قبيحاً كمنع التمكين ، وهذا يدل على أنه يجب على الله سبحانه وتعالى أن يفعل اللطف لأن العلة واحدة (٣) ، والذي يمنع اللطف يستحق الذم كالذي يمنع التمكين (٤) ، والله تعالى يجب عليه أن يفعل اللطف من حيث الجود والكرم منه تعالى لأنه لا يفعل بعبارة إلا ما فيه الأصلاح لهم (٥)

٣ - المَعَارُ :-

والأصل الثالث من أصول الشيعة هو المعار ، فقد رأى الشيعة أن الله تعالى يعيد الخلائق ويحييهم بعد الموت للجزاء والحيايب يوم القيامة (٦) ، ويوضح ذلك ما يروونه من أن الإمام جعفر الصادق قال : " من أنكر ثلاثة فليس من شيعتنا : المعراج ، والمسألة في القبر ، والشفاعة (٧) .

(١) جمل العلم والعمل : ص ٣٤ ، والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ١٣٥-١٣٦ .

(٢) جمل العلم والعمل : ص ٣٤ .

(٣) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ١٣٦ .

(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٧ .

(٥) أوائل المقالات : ص ٦٣ ، والشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة : ص ١٨٩ .

(٦) أصل الشيعة وأصولها : ص ٨٨ .

(٧) أمالي الصدوق : ص ٢٦١ .

وَمِنْ هَذَا النَّصْرِ نَلْمَسُ أَنَّ الْمَعَادَ مَبْدَأُ أَسَاسِيٍّ لَدَى الشَّيْعَةِ ، فَاللَّهُ لَا يَدَّ مِنْ أَنْ يُعِيدَ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَدَّ مِنْ أَنْ يُسَائِلَهُمْ فِي الْقَبْرِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنَ الشَّيْعَةِ أَنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ صِنْفَانِ : صِنْفٌ فِي الْجَنَّةِ وَصِنْفٌ فِي النَّارِ ، أَهْلُ الْجَنَّةِ يُؤْمَرُونَ بِمَا هُوَ سَهْلٌ خَفِيفٌ عَلَى طَبَاعِهِمْ ، وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ شُكْرِ الْمُنْعَمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَحَمْدُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَعْظِيمِهِ ، وَالصَّنْفِ الْآخَرَ فِي النَّارِ وَفِي عَذَابٍ شَدِيدٍ (١) ، فَالنَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ تَبَعاً لِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا إِنْ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ فَشَرٌّ .

ومبدأ المعاد وثيق الصلة عند الشيعة بمبدأ العدل الإلهي ، إذ إن عدل الله تعالى يقتضي أن يُعِيدَ الله سبحانه النَّاسَ كي يحاسبهم على ما قَدَّمُوا ، وَكِي يُفَرِّقَ بَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ .
٤ - النُّبُوَّةُ :-

الأصل الرابع من أصول الشيعة هو النُّبُوَّةُ ، وهي عندهم على درجة عظيمة من الأهمية ، وذات صلة وثيقة بمبدأ العدل الإلهي . وهي عندهم سفارة إلهية ووظيفة ربانية يجعلها الله تعالى عند من يختاره من عباده الصالحين ليقوموا بإرشاد النَّاسِ وتوعيتهم وحثهم على طاعة الله سبحانه وتعالى ، وهدئوتهم على مصالحهم ومانعهم ، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم ، و ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى خالقٌ حكيمٌ صانعٌ متعالٍ عن جميع مخلوقاته ، لا يجوز أن يشاهده خلقه وبلا مسوه ، ولا أن يحاجَّهم ويحاجَّجوه ، لذا كان لا بدَّ من إرسال سُفَرَاءَ إِلَى خَلْقِهِ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ (٢) - فَهَيْئَةُ الْأَنْبِيَاءِ - كما يرى الشيعة - واجبة على الله تعالى ، وذلك لأنَّهم يؤثرون إلينا ما فيه مصلحتنا ، ولا يمكننا معرفة ذلك بالعقل ، ويجب على الله تعالى إزاحة العيلة عن المكلف ، ولا يمكن إعلام النَّاسِ ما فيه مصلحتهم إلا بأن يبعث الله تعالى الرُّسُلَ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَهُمْ إِيَّاهُ لِأَنَّهم لا يمكنهم الوصول إليه بضرورة العقل ولا بالاستدلال (٣) . وكذلك فالشرع لا يأتي إلا بما يوافق العقل على طريق الجُمْلَةِ

(١) أوائل المقالات : ص ١٠٤ .

(٢) علل الشرائع : ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٣) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٢٤٦ .

لا على طريق التفصيل ، ولا يُمكن أن يعرف البشر تفصيلاً بالعقل ، ولذا كان لا بُدَّ من أن يبعث الله تعالى نبيّاً ليعرّفنا تفصيلاً ذلك ، وأما ما يُعَلِّم مُفَصَّلاً بالعقل فلا يحتاج الناس فيه إلى بعثة الأنبياء (١) . ويجوز أن يبعث الله سبحانه نبيّاً ليوكِّد ما في العقول وإن لم يَكُنْ معه شَرعٌ ، ولا يكون ذلك من العيب ، لأنه لا يمتنع أن يكون بعثته لطفاً للمكلفين ، وعلى هذا وجب إظهار المعجزات على يده لأنَّ في بعثته لطفاً (٢) . وإذا عَلِمَ الله تعالى أن بعض الأفعال فيها مصالح للناس والطف أو فيها ما هو فساد في الدِّين ، والعقل لا يدُلُّ عليها وجب عليه تعالى أن يبعث الرُّسلَ لتعريف الناس إِيَّاه ، ولا سبيلَ إلى تصديقِهِ هـو إلا الرُّسلُ إلا بالمُعْجِز ، ومشرط في هذا المُعْجِز أن يكون خارقاً للعادة ومطابقاً لدَعْوَى الرُّسول ، وإن كان في جنسه أو في صِفته متعذراً على الخلق ، ويكون من فعل اللـه تعالى أو جارياً مجرى فعله ، وإذا وَقَعَ من البشر مَوْقِعَ التَّصْدِيقِ فلا بُدَّ من دلالته على الصِّدْقِ وَالْإِثْبَاتِ قَبِيحاً (٣) .

ويرى الشيعة أن الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى هُم المُعْتَبَرُونَ عن الله سبحانه ، وهم صفوة من خلقه ، حكما ، مؤدبون بالحكمة مبعوثون بها لا يشاركون الخلق في شيء من أحوالهم ، وأثبت ذلك في كل الأزمان ما أتت به الرُّسل والأقبياء من البراهين والدلائل كي لا تتخلو الأرض من حُجَّةٍ يكون معه علم على صِدْقِ ما يقول وجواز عدله ، وهو سبحانه بعث النبيين مبشرين ومنذرين لِيُهْذِلَ من أهلك عن بئنة يحيي من يحيي عن بئنة ، وليفهم العباد عن الله سبحانه وتعالى ما جهلوا وعرفوه بهويهم بعدما أنكروا (٤) ، ولا يكون للناس عليه سبحانه وتعالى حجة بعد الرُّسل ، فلا يقولون إنه لم يأتهم رسول يُعَلِّمُهُمْ شريعة الله سبحانه وتعالى (٥) .

وقد بعث الشيعة في عدد الأنبياء الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ، فقالوا إنه يجب على المرء الاعتقاد بأن النبوة حق ، وأن الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٢٤٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٤٧ .

(٣) جمل العلم والعمل : ص ٤٢ .

(٤) علك الشرائع : ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٢١ .

مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، جاءوا بالحق من عند الله تعالى، وأن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصيته، وأن سادة الأنبياء خسة، هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأن محمد أصلى الله عليه وسلم أفضلهم وسيدهم جاء بالحق، والذين اتبعوه ونصروه هم الفلاحون الفاضلون، والذين كذبوه وخذلوه سيدوقون العذاب الأليم (١)، وقالوا: إن هؤلاء الرسل سئوا بأولسي العزم لأن الله تعالى عهد إليهم في الرسول محتمر عليه السلام والأوصياء من بعده والمهدي، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك (٢). والأنبياء جميعاً معصومون (٣) بعثوا بالحق وهم أفضل من الملائكة فقد فضلهم الله تعالى على ملائكته المقربين (٤) وفضل سيدنا محمداً عليهم أجمعين (٥). قاله تعالى لم يخلق خلقاً أحب إليه من الرسول الكريم، فهو عليه السلام أكرم الخلق على الله وأولهم إقراراً به، ولولا الرسول وآل بيته الكرام لما خلق الله سبحانه وتعالى السماء والأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم، ولا شيئاً مما خلق (٦).

٥ - الإمامة -

الأصل الخامس من أصول الشيعة هو الإمامة. ونستطيع القول إنه أهم الأصول لديهم، وإنه هو الذي يميزهم عن الفرق الأخرى تمييزاً واضحاً. وقد اتفق جميع المسلمين بمن فيهم السنة والشيعة على وجوب الإمامة، وأن الأئمة يجب عليها الانقياد لإمام عادل، يعينهم أحكام الله سبحانه وتعالى، وينفذ فيهم أحكام الشريعة التي أتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا بعض الخوارج فإنهم

(١) الهداية: ج ١، ص ٥-٦.

(٢) علك الشرائع: ج ١، ص ١٢٢.

(٣) الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ١٤٤.

(٤) انظر: علك الشرائع: ج ١، ص ٥.

(٥) انظر: أمالي الصدوق: ص ٢٠٩، وأصل الشيعة وأصولها: ص ٧٧.

(٦) الهداية: ج ١، ص ٦، وانظر: في ظلال التشيع: ص ٢٤.

قالوا إنّه لا يُلزَمُ النَّاسُ فرض الإمام (١) . فالإمامة فرض واجب من الله تعالى ، وليس ذلك واجب على المسلمين إقامتها ، ولا تصلح أمورهم إلا بوجود الإمام الذي يقيم فيها — العدو ، ويغزو بالجيوش ، ويقسم بينهم الغنائم والفيء والصدقات (٢) .

ويذكر ابن خلدون أنّ الإمامة هي الخلافة ، ويحدده مفهومها بقوله : " فهي نسي الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به " (٣) .

وقد اختلف الشيعة والشيعة في الطريقة التي تبيّن بها الإمامة ، فأهل السنة يرون أنّ الإمامة تبيّن بالاختيار ، فالمسلمون هم الذين يختارون الإمام أو الخليفة ، والصحابه مرتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة (٤) . وذهبوا إلى أنّ الإمامة لا تجوز إلا في قرين ، ووافقهم في ذلك جميع الشيعة وبعض المعتزلة ومعظم الخوارج ، وقالوا إنها لا تجوز في حليف ولا في مولى (٥) . أما الشيعة فقد قالوا : الإمامة لا تجوز في غير ولي عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه (٦) .

ونحن إذ نتحدث عن الإمامة عند الشيعة فإننا لن نهتمّ بالخلافات التي جرت بين المسلمين بشأنها ، تلك الخلافات التي وصفها الشهرستاني بأنّها كانت أعظم خلاف بين الأئمة ، لأنّه لم يسئل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سلّ على الإمامة في كلّ زمانٍ وأوان (٧) ، ولكننا سنركّز حديثنا على رأي الشيعة في تلك المسألة .

(١) الغُصَل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ، ص ٧٢ .
(٢) الحُور العين : ص ١٥ ، والأربعين في أصول الدين : ص ٤٢ .
(٣) تاريخ ابن خلدون : ج ١ ، ص ٥٩ .
(٤) الملل والنحل : ج ١ ، ص ٨٩ .
(٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧٤ .
(٦) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧٦ .
(٧) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٥ .

خَاصَّ الشَّيْعَةَ فِي سَأَلَةِ إِمَامَةِ وَبَحْثِهَا مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا ، وَهَمَّ بِتَفْقُوحِهَا عَلَى أَنَّ
الإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ الَّتِي تُنَوِّضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَيَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا بِتَعْيِينِهِمْ
بَلْ هِيَ رُكْنُ الدِّينِ وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَجُوزُ لِنَسِي إِغْفَالُهُ ، وَلَا تَفْوِضُهُ إِلَى الْأُمَّةِ ، بَلْ يَجِبُ
عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ (١) .

وَرَوَى الشَّيْعَةُ أَنَّ إِمَامَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي وَجْهِ وَجُوبِهَا ،
أَهِيَ وَاجِبَةٌ عَقْلًا أَمْ هِيَ وَاجِبَةٌ شَرْعًا ، فَقَالَتِ الزَيْدِيَّةُ إِنَّهَا وَاجِبَةٌ بِالسَّمْعِ دُونَ الْعَقْلِ ، وَوَأَفْقَهُمْ
عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزَلَةِ (٢) ، وَقَالَتِ الْإِمَامِيَّةُ إِنَّهَا وَاجِبَةٌ عَقْلًا ، وَوَأَفْقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْبَغْدَادِيُّونَ
مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ (٣) ، فَهَمَّ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِمَامَةَ وَاجِبَةٌ عَقْلًا سِوَاهُ أَكَانَ هُنَاكَ شَرْعًا أَمْ لَمْ يَكُنْ ، وَكَدُلَّ
عَلَى ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ مَعْصُومِينَ ، وَجُوزَ عَلَيْهِمُ الْخَطَا ، وَمَتَى كَانَ لَهُمْ رَيْسٌ يَرُدُّ عَنِ الْمَعَانِدِ
وَيُؤَدِّبُ الْجَانِي ، وَيُنْتَصِفُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ كَانُوا أَقْرَبَ إِلَى وَقُوعِ الصَّلَاحِ وَقَلَّةِ الْفَسَادِ ،
وَمَتَى خَلَوْا مِنْ رَيْسٍ كَانُوا عَرِضَةً لِقُوعِ الْفَسَادِ ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ فِي الْعَقُولِ ، وَمَعْلُومٌ لِلنَّاسِ
أَنَّ الْفَسَادَ يَكْثُرُ مَعَ وَجُودِ الرَّئِيسِ الضَّعِيفِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ وَالنَّاسُ بِهَذَا رَيْسٍ (٤) . وَهَذِهِ
الْأُمُورُ الَّتِي تَحْصُلُ بِوُجُودِ الْإِمَامِ كِزْوَالِ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ ، وَقِيَامِ الصَّلَاحِ أُمُورٌ دِينِيَّةٌ يَجِبُ
اللُّطْفُ لِأَجْلِهَا (٥) ، وَقَدْ يَفِيقُ بَعْضُ الْفَسَادِ عِنْدَ نَصَبِ رَيْسٍ بِعَيْنِهِ ، وَذَلِكَ نَاتِجٌ عَنِ كِرَاهِيَةِ
النَّاسِ ذَلِكَ الْإِمَامَ ، وَلَا يَقْدَحُ فِي جِنْسِ الْإِمَامَةِ أَوْ الرَّئِيسَةِ . وَهَكَذَا فَلَا إِمَامَ لَطَفَ لِلْأُمَّةِ
جَمِيعًا لِأَنَّهَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا أَخَذُ مَعَالِمِ الدِّينِ عَنْهُ (٦) ، وَلِذَا وَجِبَ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى نَصَبُ الْإِمَامِ لِلنَّاسِ لِيَحْفَظَ الدِّينَ مِنْ أَنْ يُزَادَ فِيهِ أَوْ يُنْقَصَ مِنْهُ (٧) . وَقَالَ
الْإِمَامِيَّةُ أَيْضًا إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْإِمَامَ وَيُوجِبَ طَاعَتَهُ عَلَى النَّاسِ

(١) تاريخ ابن خلدون : ج ١ ، ص ٦٤ .

(٢) الأربعين في أصول الدين : ص ٤٢٦ .

(٣) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٢٩٧ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) المصدر نفسه : ص ٢٩٨ ، وإعلام الورى بإعلام الهدى : ص ١٥٢ .

(٦) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٢٩٩ .

(٧) الأربعين في أصول الدين : ص ٢٤٧ .

لَيْتَمَكَّنَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَفُقَّ مَا يَرِيدُ لِمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنُوهُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَجِبْ سَقُوطُ التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ أُتُوا مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ، وَبِذَلِكَ لَا يَسْقُطُ التَّكْلِيفُ عَنِ الْبَشَرِ إِذَا كَانَ الْإِمَامُ غَائِبًا، لِأَنَّهُمْ أُتُوا مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ بِأَنْ أَخَافُوهُ وَأَيُّوجِبُوهُ إِلَى الْاسْتِثْنَاءِ، وَلَوْ أَطَاعُوهُ لظَهَرَ وَتَصَرَّفَ فَحَصَلَ اللَّطْفُ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَظْهَرَ لَهُ الْإِمَامُ لَا يَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْعَلَّةُ رَاجِعَةً إِلَيْهِ، لِأَنَّهَا لَوْ رَجَعَتْ إِلَى غَيْرِهِ لَأَسْقَطَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْلِيفَهُ (١)، وَجَوِزٌ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ غَائِبًا وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْدُومًا (٢)، وَوُجُودُهُ لُطْفٌ لِدَوْبِهِ لِأَنَّهُ يَرَوُهُ عَنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْمُنْكَرَاتِ، كَمَا أَنََّّهُمْ لَا يَأْمَنُونَ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ فِيخَافُونَ تَأْدِيبَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي بِلَادٍ آخَرَ بِعِيدًا عَنْهُمْ (٣)، وَرَبَّمَا تَكُونُ الْغَيْبَةُ أَلْبَعًا لِأَنَّهُ يَجُوزُ مَعَهَا أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مُوجُودًا بَيْنَ النَّاسِ يَشَاهِدُونَهُ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَهُ بِعَيْنِهِ (٤).

وَيَرَى الشَّيْعَةُ أَنَّهُ لَا يَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ بَعْدَ قُرُونِ الشَّرْعِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَتَأَخِّرِينَ عَنِ زَمَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ يَلْزِمُهُمُ الْعَمَلُ بِشَرِيْعَتِهِ كَمَا لَزِمَ الَّذِينَ عَاشَرُوا فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَامُ وَالسَّلَامُ، وَبِذَلِكَ كَانَ لَا يَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ عَلَّةً هُوَ لِأَنَّ الْمَتَأَخِّرِينَ مُزَاحَةً كَمَا كَانَتْ عِلَّةُ الْمَتَقَدِّمِينَ، وَلَا تَكُونُ هَذِهِ الْعَلَّةُ مُزَاحَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ شَرِيْعَةُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مَحْفُوظَةً، وَهِيَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا بِوُجُودِ إِمَامٍ مَعصُومٍ يَجْرِي قَوْلُهُ كَقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٥).

وَهَكَذَا يَرَى الشَّيْعَةُ أَنَّ الْإِمَامَةَ ضَرْبٌ مِنْ لَازِمَةٍ لِأَنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ لَا يَعْرِفُ جَمِيعَ أُمُورِ الشَّرِيْعَةِ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مِنْهَا مَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ أَوْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ مِنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ اجْتَمَعَتْ الْأَثَرُ عَلَيْهِ، وَبِذَلِكَ فَلَا يَدَّ مِنْ وَجُودِ إِمَامٍ مَعصُومٍ يَحْفَظُ النَّقْلَ الْمَتَوَاتَرَ الَّذِي يَصِلُ بِهِ الشَّرْعُ إِلَى مَنْ هُوَ فِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ وَفِي زَمَنِ الْإِمَامِ، وَهَذَا الْإِمَامُ يَتَلَفَى مَا قَدْ يَحْدُثُ فِي هَذَا النَّقْلِ الْمَتَوَاتَرَ مِنَ التَّغْرِيطِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِمْ وَيَنْقَطِعُ عَذْرُهُمْ،

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه : ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤) المصدر نفسه : ص ٣٠١.

(٥) المصدر نفسه : ص ٣٠٣.

وبدون هذا الإمام لا يؤمن أن يكون هذا النص المتواتر لم يصل كُله إلى الناس، وهذا هو حال الناس في زمن الغيبة فتى علموا بقاؤ التكاليف واستمرار الغيبة عرفوا أن عذرهم منقطع ولطفهم حاصل لأنه لو لم يكن حاصلًا لسقط التكليف أو أظهر الله تعالى الإمام، ليبين لهم ما وقع فيه من الخلل، ولذا لا يمكن التسوية بين نقل من وراء إمام معصوم ونقل ليس من وراء إمام معصوم (١).

صِفَاتُ الْإِمَامِ :-

وقد بحث الشيعة في الصفات التي يجب أن تتوافر في الإمام، ووضعوا لـ عدة صفات، هي :

(أ) العِصَّة :

يسرى الشيعة أن الإمام لا بد من أن يكون معصومًا من الكبائر والصغائر (٢)، ومعظمهم على هذا القول، وخالف في ذلك الزيدية، فقالوا إنه لا يجب أن يكون الإمام معصومًا (٣)، وحدد الشيخ المفيد مفهوم العِصَّة لدى الشيعة فيقول : " والعصية من الله تعالى هي التوفيق الذي يسلم به الإنسان ما يكره إذا أتى بالطاعة ، وذلك مثل إعطاءنا رجلاً غريقاً حبلاً ليتشبَّث به فيسلم، فهو إذا أمسكه واعتصم به سُتِيَ ذلك الشيء عِصَّةً له لما تشبَّث به فسلم من الغرق، ولو لم يعتصم به لم يُسَمَّ عِصَّةً . . . وقد بين الله ذكر هذا المعنى في كتابه بقوله : " واعتصموا بحبل الله جميعاً (٤) . وحبل الله هو دينه ، ألا ترى أنهم بامثال أمره يسلمون من الوقوع في عقابه (٥) ، فالعِصَّةُ إذن قوة تمنع صاحبها عن الوقوع في المعصية والخطأ ، بحيث لا يترك واجباً ولا يفعل محرماً مع قدرته على التَّرك والفِعل ، وإلا لما استحقَّ مدحاً ولا ثواباً ، ويكون المعصوم قد بلغ درجة عالية من التَّقْوَى

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣٠ ، وانظر: الأربعين في أصول الدين :

ص ٤٣٤ .

(٢) تاريخ ابن خلدون : ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٣) الأربعين في أصول الدين : ص ٤٣٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

(٥) أوائل المقالات : ص ١٥٦ .

بحيث لا تتغلب معها عليه الشهوات والأهواء، ويكون قد بلغ من العلم بالشريعة وأحكامها درجة لا يمكن معها وقوع الخطأ منه (١)، ولهذا قال الشيعة إن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأئمة بعده طالمون بكتاب الله وسنة رسوله، ولا يجوز عليهم في شيء من ذلك الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب (٢)، وجميع المؤمنين من الملائكة والنبئين والأئمة معصومون لأنهم متمسكون بطاعة الله سبحانه وتعالى (٣)، ويجب أن يكون الأنبياء والأئمة معصومين عن الكهاتر والصغائر وذلك لأنَّ عليهم واحدة وهي بهتان التكليف وإبقاؤه على الأمة وأرشادهم إلى الله تعالى في السر والعلاني لأنَّ الأئمة إذا لم يكونوا معصومين لم يأمن الناس من فسادهم ولم يطيعوهم، فكانوا بذلك مُخلين بالواجب محرومين من اللطف، وحرمانهم من اللطف غير جائز لأنه واجب على الله تعالى، وذلك لأنَّ طاعة الإمام كطاعة الله ورسوله، وهي واجبة لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" (٤).

وهكذا فالأئمة لدى الشيعة معصومون لا يجوز عليهم وقوع الخطأ شأنهم في ذلك شأن الأنبياء (٥)، وقد استدلت الشيعة على هذه العِصَّة بأدلة منها: أنَّ الناس يحتاجون إلى إمام لجواز الخطأ عليهم، فلو جاز الخطأ على الإمام لا فتقر إلى إمام آخر، وهذا يؤدِّي إلى التسلسل وهو محال (٦). وبذلك نجد أنَّ الشيعة يجمعون خطأ الأئمة سبباً رئيسياً في ضرورة تنصيب الإمام وعِصِّته.

-
- (١) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: ص ١٤٤، والشيعة في الميزان: ص ٣٨.
 - (٢) إكمال الدين وأتمام النعمة: ص ٩٠.
 - (٣) أوائل المقالات: ص ١٥٦، ٧١.
 - (٤) سورة النساء: الآية ٥٩، وانظر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار: ص ٣٤٥.
 - (٥) الشيعة في إيران: ص ١١٥.
 - (٦) الأربعين في أصول الدين: ص ٤٣٣-٤٣٤.

ومن أدلة الشيعة على عصية الإمام أيضاً أنّ الناس بحاجة إلى الإمام، وعلة الحاجة هي ارتفاع العصية، ولذا وجب أن يكون الإمام معصوماً، لأنّه ليس له رئيس معصوم، ولا يجوز أن يكون الشيء محتاجاً إلى غيره في وقت يحتاج ذلك الغير إليه بعينه، لأنّ ذلك يؤدّي إلى حاجة الشيء إلى نفسه، وهو شيء مستحيل (١).

واحتج الإمامية أيضاً للتدليل على العصية ببعض الأدلة النقلية، ومنها قوله تعالى: "قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال: لا ينال عهد عبيد الظالمين" (٢)، فقالوا إنّ الآية دلّت على أن عهد الله لا يصل إليه من كان ظالماً، وكلّ من كان مذنباً فإنّه ظالم، لقوله تعالى: "فمنهم ظالم لنفسه" (٣). فصارت الآية نصّاً في أنّ كلّ من كان مذنباً سواء كان ذنبه ظاهراً أو باطناً فإنّه لا يكون إماماً، وهذا يثبت أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الذنوب (٤).

ونحن نرى أنّ قول الشيعة هذا فيه غلوّ وجأفة للحقيقة والواقع، إذ إنّه ليس كلّ مذنب ظالماً، وإنما الظالم هو من يتنادى في الذنوب ويصرّ عليها، ولا يتوب إلى الله سبحانه وتعالى، والله تعالى يحبّ التوبة من عباده، ولو كان الأمر كما يراه الشيعة لأصبحت الأمة الإسلامية جميعها أمة ظالمة، لأنّه لن يكون فيها رجل واحد لا تقع منه الذنوب صغيرها أو كبيرها.

(ب) الأفضلية :-

والصفة الثانية التي جعلها الشيعة الإمامية للإمام هي الأفضلية، ويقصدون بذلك أنّ الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته في الفضل الظاهر وفي كونه أكثر ثواباً عند الله،

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٣٠٦، وانظر: إعلام الوري بأعلام الهدى:

ص ١٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٤) الأربعين في أصول الدين: ص ٤٣٦.

ويجب أن يكون الإمام أكثر ثواباً عند الله من سائر الرعية لأنه واجب العصاة، ولأنه حجة في الشرع^(١)، وهو أفضل من غيره في الظاهر بدليل أن الناس يعلمون بالضرورة قبح تقديم المفضول على الفاضل، مثل تقديم رجل من عامة الناس من يكتب خطوط الصبيان والبهالين على رجل مشهور بجمال الخط مثل ابن مقلة^(٢) فهذا الأمر قبيح، وليس له علة إلا تقديم المفضول على الفاضل، ويجب أن يكون الإمام أفضل من غيره فيما هو إمام فيه، لأنه يجوز أن يكون في رعيته من هو خير منه في بعض الأمور الأخرى كالصنائع وغيرها، ولذلك يجوز تقديم من يحسن إدارة الجيوش والمعارك على من هو خير منه في خصال أخر دينية أو دنيوية^(٣)، ولهذا، لا يجوز تقديم المفضول على الفاضل لسبب عارض، لأن هذا وجه قبح، كما أن الظلم لا يحسن وإن عرض فيه بعض النفع للآخرين، لأنه مع كونه ظلماً لا يحسن بحال من الأحوال، ولو جاز ذلك لجاز أن يتقدم الفاسق على ذي الصلاح والتقوى، وهذا باطل^(٤). وقالت الزيدية إن إمامة المفضول جائزة، وهي هدى وصواب، غير أن إفاقة الفاضل أصلح وأصوب^(٥).

وقد روى الشيعة بعض الأقوال للرسول الكريم لتأييد ما ذهبوا إليه من أفضلية الإمام، ومن ذلك ما يروونه من أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر لعلي رضي الله عنه أن الله تعالى فضله على جميع الأنبياء والمرسلين، وأن الفضل بعد الرسول الكريم لعلي وللأئمة من بعده، وأن الملائكة خدام آل البيت وخدام محبيهم^(٦). ولا غرابة

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) ابن مقلة : محمد بن علي بن الحسن بن مقلة الكاتب، استوزره المقتدر بالله سنة

٣١٦ هـ ثم قبض عليه ونفاه إلى فارس، ثم سجن وأخرج، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ.

(انظر : وفيات الأعيان : ج ٥، ص ١١٢-١١٨.)

(٣) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه : ص ٣١٠.

(٥) الحور العين : ص ١٥١-١٥٢.

(٦) عك الشرائع : ج ١، ص ٥٥.

بعد ذلك أن نجد الأملق - وهو شيعي إمامي - يقول : " والذي اتفق أصحابنا الشيعة عليه هو أن أمير المؤمنين أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، وأولاده المعصومون كذلك" (١) .

ج) العلم :-

قال الشيعة إن الإمام يجب أن يكون أعلم الخليفة، لأنه إن لم يكن عالماً قد يقلب الشرائع والأحكام (٢) . فوجب أن يكون عالماً بتدبير ما هو إمام فيه من سياسة الرعية، والنظر في مصالحهم، وغير ذلك . وهذا الأمر واجب بحكم العقل . ويجب أن يكون الإمام عالماً بجميع الشريعة لأنه يحكم بجميعها . ولا يطلب منه أن يكون عالماً بما ليس هو إماماً فيه كالحرّ في المختلفة، فالقاضي الذي يلي القضاء لا يجب أن يكون عالماً بالحرب وسياسة الجند، وكذلك فإنه يجب على الإمام أن يكون عالماً بما أسند إليه في حالة كونه إماماً . ولا يجب عليه ذلك قبل أن يصبح إماماً، ولذا لا يلزم أن يكون علي عالماً بجميع أمور الشريعة في حياة الرسول الكريم، ولا أن يكون الحسن والحسين عالماً بذلك كله في حياة أبيهما، وإنما يأخذ المؤهل للإمامة العلم من قبله بصورة تدريجية، ويتكامل هذا العلم عند انتهاء حياة الإمام المتقدم عليه (٣) ، ولو جاز أن يعلم الإمام بعض الأحكام ويستفتي فيها العلماء لجاز أيضاً ألا يعلم شيئاً منها (٤) . ونحن نتفق مع الشيعة في قولهم إن هناك من هو أعلم من الإمام في بعض العبادات، ولكننا نلاحظ أنهم قالوا في قولهم بمعرفة الإمام بجميع أمور الشريعة، فالإمام قد يحتاج إلى غيره، ودليلنا على ذلك أن أبا بكر رحمة الله طلب من المسلمين أن يعينوه إذا أحسن وأن يقوموه إذا أساء، وإن كان الشيعة يتخذون من ذلك دليلاً على عدم صلاحية أبي بكر للخلافة (٥) .

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ص ٢٨٧ .

(٢) مروج الذهب : ج ٦، ص ٢٢٩ .

(٣) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣١١ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٣١١، وانظر تلخيص الشافي : ص ٨ .

(٥) انظر : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(د) الشَّجَاعَةُ :-

من صفات الإمام لدى الشيعة الشَّجَاعَةُ ، فهم يَرَوْنَ أَنَّ الإمام يجب أن يكون أشجع الرعية لأنه إذا لم يكن شجاعاً ، جاز أن ينهزم في المعركة فينهزم المسلمون بانهزاه ، ويكون في ذلك هلاكهم (١) .

(هـ) حُسْنُ الرَّأْيِ :-

وقال الشيعة إن الإمام يجب أن يكون اعقل الرعية وأجودهم رأياً وأعلمهم بالسياسة (٢) .

(و) وجوب النص :-

قال الشيعة إن الإمامة لا تكون إلا نعمة من الرسول الكريم على عين الإمام ، وعلى الأوصياء من بعده ، والله تعالى لا يخلي الأرض من إمام - والوصية واجبة ، وذلك لأن الإمام معصوم ، والعصمة لا يدركها أحد ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولذا يجب أن ينص سبحانه وتعالى على الإمام ، وأن يبيته من غيره على لسان نبي ، فالنص هو الأصل ، ولا يجوز أن يكلف الله سبحانه وتعالى الأمة باختيار الإمام ، وإن علم سبحانه أنهم لن يختاروا إلا المعصوم (٣) ، وهذه كما نلاحظ نقطة الخلاف الأساسية مع السنة الذين يرون - كما قلنا - أن الإمامة تتم بالاختيار ، فالمسلمون هم الذين يختارون الخليفة أو الإمام ، وهو ليس منصوباً عليه من الله تعالى .

وقال الإمامية إنه يجوز النص من الله تعالى على الإمام بالصفة ، شريطة أن يكون هناك طريقة إلى معرفة تلك الصفة (٤) .

ذِكْرُ أَعْيَانِ الْأَيْمَّةِ :-

قالت الشيعة إن علياً كرم الله وجهه كان أولى بمقام الرسول صلى الله عليه وسلم بعده ، وأحق المسلمين بإمامة الأئمة والقيام بأمرها ، وأجمعوا على ذلك (٥) ، وقالوا

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣١٢ ، وانظر : مروج الذهب : ج ٦ ، ص ٢٩ .

(٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣١٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٣١٣ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٣١٥ .

(٥) الحور العين : ص ١٥٠ .

إِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْإِمَامُ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ بِمَا فَصَّلَ (١) . وهذا يعني عدم اعتراف الإمامية
منهم - بشكلٍ خاص - بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويدلنا على ذلك
ما يورد ابن بابويه من آداب زيارة قبر الإمام علي ، ومن ذلك أن يقول الزائر : " السلام
عليك يا ولي الله ، أنت أول مظلوم نُصِبَ حقُّه (٢) " ، فالخليفة أبو بكر وعمر رضي الله
عنهما - كما يرى الشيعة - فاصبان لحق علي رضي الله عنه في الإمامة .

وقد حاول الشيعة التذليل على إمامة علي كرم الله وجهه ، وعلى أحقيته بالإمامة
بعد الرسول الكريم ، وكان كلامهم في ذلك يدور على أمر منها :

١ - الأول أن الإمام يجب أن يكون معصوماً ، وأبو بكر لم يكن معصوماً ، ولا العباس
نشئت إمامة علي رضي الله عنه . ويرد الإيجي على ذلك بأن العصمة غير واجبة (٣) .

٢ - الثاني : أن علياً كرم الله وجهه أفضل الخلق بعد الرسول الكريم ، ولا يجوز
إمامة المفضول (٤) مع وجود الفاضل ، ونفى صلاحية أبي بكر رضي الله عنه للخلافة
من وجوه ، منها : أن أبا بكر كان ظالماً لأنه منع فاطمة فدك وهي قرية بخير كانت للنبي
عليه السلام والسلام ، ولذا كانت فاطمة تستحق نصفها (٥) .

ونحن نرى أن هذا القول مبني على مخالطة عظيمة ، فالرسول الكريم نص نصاً
صريحاً على أن الأنبياء لا يورثون ، فقال : " لا تُورث ، ما تركنا صدقة (٦) " ، فأبو بكر رحمه
الله عندما حرّم فاطمة من فدك نفذ بذلك ما أمر به الرسول الكريم ، ولم يفعل ذلك
لأي هدف خاص أو مصلحة ذاتية . وما طعن الشيعة في خلافة أبي بكر من جهته

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٣١٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٣) المواقف : ج ٨ ، ص ٣٥٤ .

(٤) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسهما .

(٦) مسند أحمد بن حنبل : ج ١ ، ص ١٠ .

وَيَتَّبِعُوا عِدَمَ صَلَاحِيَّتِهِ لِلإِمَامَةِ قَوْلُهُمْ إِنَّ الرِّسُولَ الكَرِيمَ لَمْ يُؤَلِّهِ شَيْئاً مِنَ الأَعْمَالِ المُتَعَلِّقَةِ بِإِقَامَةِ قَوَانِينِ الشَّرْعِ وَالسِّيَاسَاتِ العَامَّةِ، وقد بَعَثَ لِبِقْرَاءِ سُورَةِ بَرَاءَةِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَلِكَيْتِه عَزَلَهُ عَنْهَا وَأَتْبَعَهُ عَلِيّاً، وَقَالَ : لَا يَمْلِكُ عَلِيٌّ إِلاَّ رَجُلٌ مِنِّي وَلَمْ يَزَلْ أَهْلًا لِتَبْلِيغِ ذَلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا يَكُونُ أَهْلًا لِلإِمَامَةِ؟ (١) - وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ هَذَا القَوْلَ مَدْفُوعٌ بِمَا يَرُودُ مِنْ أَنَّ الرِّسُولَ الكَرِيمَ كَانَ قَدْ أَمَّرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الحِجَّ سَنَةَ ١ هـ وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ سَنَةَ ٨ هـ، وَأَمْرَهُ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ، وَإِنَّمَا أَتَّبَعَ الرِّسُولُ الكَرِيمُ عَلِيّاً فِي تِلْكَ السَّنَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مُبْلَغٌ مَا اعْتَادَهُ العَرَبُ مِنْ أَنَّ يَتَوَلَّى أَخَذَ العُيُودِ وَنَهَذَا الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ أَوْ أَحَدِ أَقَارِبِهِ، وَلَمْ يَعْزَلْهُ عَنَّا وَلَا هُناكَ مِنْ أَمْرِ الحِجَّاجِ (٢) .

وَأَمَّا قَوْلُ الإِمَامَةِ بِشَكْلِ خَاصٍّ بَعْدَ جَوَازِ إِمَامَةِ المَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ القَاضِلِ، فَنَحْنُ نَرَى أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ، فَمِنْ الجَائِزِ إِمَامَةُ المَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِإِجْمَاعِ العُلَمَاءِ بَعْدَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَلَى إِمَامَةِ بَعْضِ رِجَالِ قُرَيْشٍ مَعَ وَجُودِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ مَا يَزُودُ بِهِ ابنُ حِبْرَةَ البَيْهَقِيُّ مِنْ أَنَّ عُمَرَ جَعَلَ الخِلاَفَةَ بَيْنَ سَيِّدِي مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْهُمْ عِشَاءُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَهِيَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِمَا بَعْدَ عُمَرَ، فَلَوْ وَجِبَ تَعْيِينُ الأَفْضَلِ لَعَيَّنَ عُمَرُ عِشَاءُ، فَدَلَّ عِدَمَ تَعْيِينِهِ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ نَصَبُ غَيْرِ عَلِيٍّ وَعِشَاءُ مَعَ وَجُودِهِمَا (٣) .

وَمِنْ أَدَلَّةِ الشَّيْخَةِ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَوْلُهُمْ إِنَّ الرِّسُولَ الكَرِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَّ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً (٤)، وَنَحْنُ نَجِدُ أَقْوَالَ كَثِيرَةً لَهُمْ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا بَعْضُ الأَدْعِيَةِ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّ عَلَى مَن يَزُودُ قَبْرَ الإِمَامِ عَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَقُولُ: ٣ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أكرمَنِي بِمَعْرِفَتِهِ وَمَعْرِفَةِ

(١) المواقف: ج ٨، ص ٣٥٦ .

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفساً ههنا، وانظر: الصواعق المحرقة: ص ٣٢ .

(٣) الصواعق المحرقة: ص ٩ .

(٤) المواقف: ج ٨، ص ٣٥٦ .

رسوله . . . الحمد لله الذي جعلني من زوّار قبر وصي رسول الله صلى الله عليه وآله . . . (١) .
وهم يقولون إنّ من الأدلّة على نصّ الرسول على إمامة عليّ أنّه كان يستخلفه على
الناس عندما يغيّب، فكيف نتصور أنّه لم يستخلف عليهم عليّاً عندما شعر بدنو أجله
فتركهم عرضة للتنازع والفوضى دون أن يكون لهم إمام يرجعون إليه، ومعروف أنّ الرسول
الكرّم كان قد استخلف عليّاً على المدينة في تهوك، ولم يعزله عنها وهذا يستوجب
كونه خليفة له بعد موته (٢) .

ونحن نرى أنّ هذا الاستخلاف ربّما كان محدوداً ومقدوراً بمدة السفر خارج
المدينة، ينتهي بانتهاؤها وكذلك فإنّ ما يُضعفه ما ذكرناه من أنّ الرسول الكرم كان
قد استخلف أبا بكر على المسلمين أثناء فترة مرضه، وهذا يدلّ على أن الاستخلاف
لفترة مُعيّنة وفي حال مُعيّنة لا يقتضي الاستخلاف في الإمامة .

ويستدلّ الشيعة على وصية الرسول الكرم لعليّ بالإمامة بأدلة تفصيليّة من
الكتاب والسنة، ومنها : قوله تعالى : "إنا وليكم الله برسوله والذين آمنوا الذين
يقومون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون" (٣) ، وقالوا : معنى الولي في الآية من كان
ستحقاً للأمر، وأولى للقيام به، وتجب طاعته، والله تعالى عني بالذين آمنوا من
كان مؤثماً للزكاة في حال الركوع، وهو عليّ بن أبي طالب، لأنّه تصدّق للسائل
بخاتمة وهو راع (٤) .

ونحن نرى أنّ هذه الآية ليست حجة في إمامة أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه،
ولا تُعدّ نصّاً على إمامته إذ أنّ كونها نازلة في حق عليّ لا يمنع من أن يشمل حكمها
جميع الذين يشتركون معه في هذه الصفة وهي التصدّق وهم راكعون، كما أنّ كلمة

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢، ص ٣٥٢ .

(٢) الأرحميين في أصول الدين، ص ٤٥١-٤٥٢، والمواقف : ج ٨، ص ٣٥٢ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص ٣٢٠، وانظر : الإرشاد : ص ١١، وتلخيص

الشافعي : ص ١، والنور الساطع في الفقه النافع : ج ١، ص ٣٢٠ .

"الولي" في الآية ليست بمعنى التصرف في الأمر والاشتقاق له، فذلك لا يناسب نظم السياق القرآني السابق واللاحق لهذه الآية، فقول هذه الآية قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض" (١) والآية اللاحقة هي قوله تعالى: "ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" (٢) فكلمة أولياء في الآية الأولى بمعنى الأنصار، وكلمة "يتول" في الآية الثانية بمعنى يحب ويخصر (٣) ولا تدل على التصرف، ولذا كان لا بد من أن تكون كلمة "الولي" في الآية بمعنى الناصر والمعين وذلك من أجل الاتساق والانسجام بين هذه الآيات الكريمة.

وهناك أدلة من الحديث الشريف استدلت بها الشيعة على إمامة عليّ واعتبروها خصوصاً دالة على إمامته، ومنها حديث غدير خم، وهو ما يروى من أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أحضر المسلمين بعد رجوعه من حجة الوداع. ولما وصل إلى غدير خم وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة نزل ونادى بالناس بالصلاة جامعة، وعندما اجتمعوا خطب فيهم خطبة فقال: "أستأذي بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله - فقالوا - عاطفاً على ذلك - من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وآل من وآله، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله" (٤) فقالوا إن هذا الحديث يدل على أن علياً كان مفترض الطاعة كما كان الرسول مفترض الطاعة، وفرض الطاعة يفيد الإمامة، وهذا يدل على أن علياً - كرم الله وجهه - يجب أن يكون إماماً (٥). ولفظ "المولى" يفيد الإمامة والطاعة لأن اللغويين يستعملونه بهذا المعنى فهم يقولون مثلاً إن السلطان أولى بتدبير الرعية من غيره، وقول الرسول الكريم أولى بالمؤمنين من أنفسهم المراد به أولى بتدبيرهم وفرض طاعتهم

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) سورة انفصاف: الآية ٥٦.

(٣) تفسير الجلالين: ص ١٥٤.

(٤) الاقتصاف فيها يتعلق بالاعتقاد: ص ٣٤٤.

(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ولا يكون أحد أولى بتدبير الأمة إلا من كان نبياً أو إماماً والرسول الكريم كان مفترض الطاعة على المسلمين، وقد جعل علياً بمنزلة ولذا وجب أن يكون عليٌّ مفترض الطاعة على المؤمنين وبذا وجب أن يكون إماماً (١) .

وقد رت بعض العلماء على ذلك ومفهم الإيجي، فبين أن الحديث غير صحيح، وهو ليس متواتراً كما يدعي الشيعة لأن أكثر أصحاب الحديث لم ينقلوه كالبخاري وسليم وغيرهما، وطعن فيه بعضهم، ولأن علياً لم يكن آنذاك مع الرسول الكريم وإنما كان باليمن، ولو سلم بأن الحديث صحيح فإن أغلب الرواة لم يرووا مقدمته وهي: "أست أولى بكم من أنفسكم، ولذا لا يمكن التصك بأن الأولى بمعنى المولى"، والمراد بالمولى هو الناصر، وإن سلم أن الأولى بمعنى المولى فما الدليل على أن المقصود الأولى بالتصريف والتدبير؟ إذ أنه يجوز أن يراد الأولى في أمر من الأمور كما قال الله سبحانه: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه" (٢) وأراد بذلك الأولوية بالتباعد لا الأولوية بالتصريف والتدبير (٣) .

وقد روى ابن حنبل في مسنده حديث غدیر خم بإسناده أن البراء بن عازب قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فلما بلغنا غدیر خم فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر، وأخذ بيدي علي رضي الله تعالى عنه فقال: أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أنني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: فأخذ بيدي علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من وآله وعااد من عااده، قال: فلقبه عمر بعد ذلك فقال له هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة" (٤) .

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص ٢٤٧-٢٤٨ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٨ .

(٣) المواقف: ج ٨، ص ٣٦٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٢٨١ .

ونحن نشكك في صحّة هذا الحديث، إذ اتنا لم نجد في صحيح البخاري
ومسلم وهما أصح كتب الحديث، ولا يُعقل من هذين الإمامين أن يُغفلا حديثاً
كهذا الحديث لو كان صحيحاً ونقله متواتراً، وما يُضعفه ما ذكرناه من أن علياً كان
باليمن في ذلك الوقت ولم يكن مع الرسول الكريم.

وهناك أدلة أخرى اعتمد عليها الشيعة من أجل إثبات نص الرسول الكريم علي
إمامة عليّ من بعده (١). وقد قال الشيعة إنّ الذي منع علياً من الاحتجاج بالنص
على أبي بكر الخوف، لأنّه علم أنّ أبا بكر ومناصره مصّمون على الاستبداد بالأمر
ولذا لم يمد للحجّة جدوى، فينس من ذلك، كما خاف أن ينكروا ما ذكره من النص
على إمامته فتكون المصيبة أعظم، ولذا لم ينكر عليّ عليهم ذلك لأنّه خاف أن يودّي إلى وقوع
فتنة يكون فيها قتله وقتل أهل بيته، لأنّه لم يجد ناصراً ولا معيناً، وقد عبّو عليّ عن
ذلك مرات كقوله: "أما والله لو وجدت أعواناً لقاتلتهم" (٢)، يضاف إلى ذلك أنه خشي
أن يرتد كثير منهم إذا قاتلهم، وقد عبّو عن ذلك في إحدى خطبه فقال: "لولا قرب
عهد الناس بالكفر لقاتلتهم" (٣)، وقد صوّح عليّ بلسانه أنّ الصحابة فضوه حقه فقال
فيما بعد: "لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله (ص)، اللهم إني أستعديك على
قرشي فقد ظلموني حقّي ونموني إرثي... وقوله: والله لقد تخطّتها أبو قحافة
وإته ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّيح ينحدر عنّي السيل ولا يرقى
إليّ الطير" (٤).

ونحن نرى أنّه لم يكن هناك نص صريح على إمامة عليّ كرم الله وجهه، وقد رجّحنا
ذلك لأمر هي:

- (١) انظر: المواقف؛ ج ٨، ص ٣٦٢، وجامع الأسرار ومنبع الأنوار؛ ص ٢٥١، ونهاية
الاقdam في علم الكلام؛ ص ٤٩٤، وأمالى الصدوق؛ ص ٥١.
- (٢) الاقتصار فيما يتعلق بالاعتقاد؛ ص ٣٣٥.
- (٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٤) المصدر نفسه؛ ص ٣٣٦.

١ - الأول : إِنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ كَانَ حَرِيصاً عَلَى الشَّيْعَةِ وَالَّذِينَ، لَا تَأْخُذُهُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِمَاماً مِنْ بَعْدِهِ لَمَا لَجَأَ إِلَى الْإِبْهَامِ وَالْتِمُوهِ فِي كَلَامِهِ، وَلَا عَلَّنَهَا صَرِيحَةً مَدْقِيَّةً، فَيَقُولُ لِلْمُسْلِمِينَ: لَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا. وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَمَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا عَدَلَ إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ.

٢ - لو كان هناك نص جلي واضح على إمامة علي كرم الله وجهه لاحتج به علي بن أبي بكر والمسلمين ولمنع به أبابكر كما منع أبو بكر الأنصار عندما أخبرهم عن الرسول عليه السلام أن الآية لا يكونون إلا من قرئ، وهو خير آحاد، فكيف يتصور أن يكون هناك نص جلي متواتر في علي كرم الله وجهه، وهو في المسلمين الأقوياء في دينهم الذين استجابوا لخبر الواحد في الإمامة وهاجروا من مكة إلى المدينة تاركين الأهل والأولاد، ثم يحتج علي بهذا النص المتواتر المعروف ولا يطعمونه، ولم يقل أحد من المسلمين بذلك.

ويؤيد رأينا هذا ما ذكره ابن كثير رحمته الله وأما ما يحتج به كثير من جهة الشيعة والقصاص الأتقياء من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وإفتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير، من تخوين الصحابة ومحاليتهم بعده على ترك إنقاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الادعاء لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القرآن (١).

٣ - الثالث : إِنَّ مَا نَسَبَهُ الشَّيْعَةُ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَحْتَجَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالنُّصُوصِ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يُقْتَلَ لَيْسَ مَقْبُولاً وَإِنَّمَا هُوَ طَعْنٌ فِي عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ،

(١) البداية والنهاية: ج ٧، ص ٢٢٥.

فقد كان معروفاً بشجاعته منذ الصغر، وعُرف بحسن الهلاء مع الرسول الكريم في الغزوات المختلفة، فكيف نتصور أنه يجبن عن المطالبة بحقه الذي أوصى به إليه الرسول الكريم؟ وهو شجاع قاتل معاوية فيما بعد، قاتله دِفاعاً عن حقه عندما انتخب أميراً للمؤمنين، وعندما شق معاوية عصا الطاعة، وخرج على عليّ الخليفة الشرعي للمسلمين، علماً بأن معاوية كانت معه جموع أهل الشام الكثيرة، وكذلك الحال بعد وفاة الرسول الكريم، فلو كان معه كرم الله وجهه نصّ على إمامته لما جبن عن المطالبة بحقه، وحيث لم ينزع أبا بكر دليلاً على اعترافه بخلافته.

٤ - الرابع ما ذكره الرّازي - ٦٠٦ هـ من أنّ إمامة أبي بكر هي الإمامة الحقيقية، واستدلّ على ذلك بـ "أنّ المسلمين جميعاً تابعوا وانقادوا له، وقالوا له: يا خليفة رسول الله، وراينا ظلياً والعباس رضي الله عنهما بايعاه... وأقرّاه بالإمامة (١)، وهذا القول صحيح كما نرى فلو أن عليّاً لم يكن راغباً في بيعة أبي بكر لما استطاع أحد من المسلمين أن يجبره على المبايعة، وكذلك العباس عم الرسول الكريم، فبما يعتمدهما أبا بكر دليل على رضاها بخلافته وكونه حاكماً للمسلمين.

٥ - الخامس ما يرويه ابن خلدون، من أنّ عمر رضي الله عنه عندما طعن وسئل أن يعهد إلى أحد المسلمين بعده قال: "إنّ أعهد فقد عهد من هو خير مني يعني أبا بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد، وكذلك قول عليّ للعباس رضي الله عنهما حين دعاه للدخول إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه عن شأنهما في العهد، فأبى عليّ ذلك وقال: "إنّه إنّ منعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل عليّ أنّ عليّاً علم أنّه لم يوص ولا عهد إلى أحده (٢).

٦ - السادس: لو نصّ الرسول الكريم على إمامٍ بعينه لوجب على كلّ المسلمين إطاعته، وكان كلّ مكفّف يجد من نفسه العلم بوجوب طاعته، وإلا لزمه ديناً كما لزمه الصلوات

(١) الإمامة عن أصول الديانة: ص ٦٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٧٧.

الخصس، ولما جاوزوه إلى غيره، ولو سمع المسلمون نصاً لنقلوه - كما هي عادتهم - خصوصاً وأنهم في بداية الدولة الإسلامية ذوي صفات تشجع على النقل من التصانيف وتأكسيف القلوب، ولما لم تكن هناك موانع تمنع من النقل، ولم يرد ذلك دليلاً على عدم وجود نص في الأصل (١).

ولم يقف الشيعة عند القول بالنص على إمامة عليّ كرم الله وجهه وإنما قالوا - وبخاصة الإمامية منهم - بالنص على الإمام عليّ وعلى الأئمة من بعده (٢)، وهم يرون أن هذه الوصية تمت من آدم عليه السلام ويقولون إن الرسول الكريم بين أن آدم سأل الله تعالى أن يجعل له وصياً صالحاً، فأوصى إليه أن يوصي إلى شيث وهو هبة الله بن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان، وأخذ كل واحد يوصي إلى الآخر بعده حتى وصلت الوصية إلى الرسول الكريم فدفعها إلى عليّ ثم أمره أن يدفعها إلى وصيّه ووصيّه يدفعها إلى وصيّه وهكذا تدفع في ولد عليّ من واحد إلى آخر حتى تدفع إلى خير أهل الأرض من بعده (٣). فعليّ نص عليّ الحسن ثم الحسين، والحسين نص عليّ بن عليّ بن الحسين وكل من بعده نص الواحد منهم على الآخر إلى المهدي المنتظر (٤).

ويعتقد الشيعة - وبخاصة الإمامية - أن الأئمة اثنا عشر هم حجج الله تعالى على خلقه بعد الرسول الكريم أولهم عليّ بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عليّ ابن الحسين، ثم محمد بن عليّ (٥) ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر (٦) ثم الرضا

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام : ص ٤٨٠-٤٨٢.

(٢) مروج الذهب : ج ١، ص ٧٠.

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة : ص ٢٠٦.

(٤) مروج الذهب : ج ٦، ص ٣٠.

(٥) أبو جعفر الهاقر، محمد بن علي، ولد بالمدينة سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٤ هـ.

(انظر : إعلام الوري بأعلام الهدى : ص ٢٦٤).

(٦) موسى بن جعفر الكاظم، ولد بالأهواز بين مكة والمدينة سنة ١٢٨ هـ وتوفي في سجن السندي بن شاهك سنة ١٨٣ هـ (انظر : المصدر نفسه : ص ٢٩٤).

عليّ بن موسى ، ثم محمّد بن عليّ (١) ثم عليّ بن محمّد (٢) ثم الحسن بن عليّ (٣) ثم الحجة القائم صاحب الزّمان (٤) خليفة الله في أرضه (٥) ، وهم معصومون طهّرتهم الله تعالى من الرّجس ، وهم أمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء ، ومثلهم في هذه الآية كمثل سفينة نوح ، ويجب على الناس طاعتهم ، فولّيتهم وليّ الله وعدّوهم عدوّ الله ، وهم معصومون لا يجوزُ منهم صغيرةٌ إلّا ما يجوز على الأنبياء ، ولا يجوز عليهم التّسيان ولا السّهو في شيءٍ من أمور الدّين ، وسائر الإماميّة يقولون بهذا إلّا قليل منهم خالفوا في ذلك (٦) .

والتّفقت الإماميّة على عدد الأئمة الاثني عشر واستدلّوا على ذلك بأحاديث قالوا إنّ الرّسول الكريم تحدّث فيها عن عدد الأئمة من ذلك ما روّوه من أنّ ابن سمويه قال إنّ الرّسول الكريم قال " الخلفاء من بعثوني اثنا عشر خليفة بعدد نساء بني إسرائيل " ، ومن ذلك ما ذكره من أنّ الرّسول الكريم أخبر عليّاً أنّه عند ما صعد إلى السّماء بيّن له تعالى أنّه أوجب كرامته لأوصيائه ، فسأله الرّسول عنهم ، فنودي أنّهم هم المكتوبون على ساق عرش الله ، فنظر إلى ساق العرش فرأى اثني عشر اسماً أوّلهم اسم عليّ بن أبي طالب

- (١) القتيبي : محمّد بن عليّ ، وليد سنة ١٩٥ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٢ هـ (انظر : إعلام الوري بأعلام الهدى : ص ٣٤٤) .
- (٢) أبو الحسن عليّ بن محمّد ، وليد بالمدينة سنة ٢١٢ هـ ، وتوفي بسرّ من رأى سنة ٢٥٤ هـ (انظر : المصدر نفسه : ص ٣٥٥) .
- (٣) أبو محمّد الحسن بن علي المسكري ، وليد سنة ٢٣٢ هـ وتوفي في بسرّ من رأى سنة ٢٦٠ هـ (انظر : المصدر نفسه : ص ٣٦٧) .
- (٤) محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا ، وليد بسرّ من رأى سنة ٢٥٥ هـ (انظر : المصدر نفسه : ص ٤١٨) .
- (٥) الهداية : ج ١ ، ص ٧ .
- (٦) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٧ - ٨ .
- (٧) ينابيع المودّة : ص ٣٠٨ .

واخرهم اسم مهديّ أمته ، وهم اولياء الله واحباؤه ، واوصياؤه وحججه بعد الرسول
على الناس (١) .

وقد كذب الزيدية رواية الاثني عشر إماماً وقالوا : إنّ الرسول الكريم لم يقل
ذلك ، وإنّما ابتدعها الإمامية فيما بعد ، وروّوا في ذلك أحاديث كاذبة ، وقال الزيدية :
إذا كان الرسول الكريم قد عرف الناس أسماء الأئمة الاثني عشر ، فلم حاد الناس عنهم
ولم يتبعوهم ؟

وبعد ما تقدّم لا نجدُ غرابةً في أن يعتبر الشيعة الإمامة ركناً من أركان الدين
الإسلامي ، من ذلك ما يرويه ابن بابويه أنّ الصادق جعفر بن محمد قال : " بُني الإسلام
على خمسٍ دعائم ، على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وولاية أمير المؤمنين والأئمة
من ولده عليهم السلام (٢) ، ولا غرابة في أن يؤدّوا كثيراً من الآيات بما يدلّ على
الإمامة ، كقوله تعالى : " ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً (٣) ، وأكوانك بمعنى
" طاعة الله ومعرفة الإمام (٤) ، وقوله تعالى : " اتقوا الله وكونوا مع الصّادقين (٥) ،
ولا نجد غرابة أيضاً في أن يعتبروا من أنكر نصّ الرسول صلى الله عليه وسلّم على إمامة
عليّ مُنكراً لغرض من فرائض الدين ودافعاً له (٦) ، وأن يقولوا إنّ الأرض لا تخلو ساعة من
إمامٍ لأنّها لو خلت لساخت بأهلها ، ولأضلّ إلهي الناس (٧) .

وقد كان للشيعة عدّة مبادئ أو تعاليم تتصلّ بالإمامة وهي قولهم بالعصّة ،
والمهدي المنتظر ، والتقية . والعصّة تحدّثنا عنها فيما سبق .

(١) انظر : علك الشرائع : ج ١ ص ٦٠ .

(٢) أمالي الصدوق : ص ٢٣٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٧٣ .

(٤) الأصول من الكافي : ج ١ ص ١٨٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ١٢٠ .

(٦) أوائل المقالات : ص ٤٤ .

(٧) علك الشرائع : ج ١ ص ١٩٦-١٩٧ .

المَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ :-

تَعَدَّ فِكْرَةَ المَهْدِيِّ المُنْتَظَرِ من أَهَمِّ المَبَادِيءِ لَدَى الشِّيْعَةِ ، فَهَمَّ بِمُتَقَدِّمِ دُونَ
أَنَّ هُنَاكَ إِمَامًا سَيُظْهِرُ وَسَيَمْلَأُ الأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ أَنْ مُلِكَتْ جَوْرًا ، وَهَذَا الإِمَامُ حَتَّى غَائِبٌ
عَنِ الأَنْظَارِ (١) . وَهَذَا أَدَّى بِهِم إِلَى البَحْثِ فِي مَسْأَلَةِ غَيْبِهِ . وَقد غَلَطَتْ بَعْضُ فِرْقِ
الشِّيْعَةِ فِي أَمْرِ الغَيْبَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَاهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ الحَنْفِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا لِمُجْتَمِعِ
مُحَمَّدِ الصَّادِقِ حَتَّى أَهْطَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُمْ بِأَنْ تُوْفِيَ جَعْفَرُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَقَدَ هُنَا
فِي مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ فَتُوْفِيَ وَظَهَرَ مَكَانَ قَبْرِهِ ، وَقَامَ ابْنُهُ الرِّضَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ، ثُمَّ ادَّعَى
بَعْضُهُمْ أَنَّ الغَيْبَةَ وَقَعَتْ فِي الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَقَالُوا إِنَّه القَائِمُ المَهْدِيُّ ، فَلَمَّا
تُوْفِيَ ثَبَتَ أَنَّ الإِمَامَةَ وَاقِعَةٌ بِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ دُونَ غَيْرِهِ (٢) .

وَهَكَذَا اعْتَقَدَ الشِّيْعَةُ - وَخَاصَّةً الأَثْنِي عَشْرِيَّةُ - أَنَّ الإِمَامَ الثَّانِي عَشَرَ مُحَمَّدَ بْنَ
الحَسَنِ غَابَ عَنِ الأَنْظَارِ مِنْذُ الصَّغَرِ وَهُمْ يَسْتَنْدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ يَنْسُبُونَهَا إِلَى
الرَّسُولِ الكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ ذَلِكَ مَا يُزَوِّدُهُ مِنْ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ :
* قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : المَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِي اسْمُهُ اسْمِي وَكُنِيهِ كُنِيَتِي أَشْبَهَ
النَّاسَ بِى خُلُقًا وَخَلْقًا تَكُونُ بِهِ غَيْبَةٌ وَحَبِيرَةٌ تُضِلُّ فِيهَا الأُمَّمُ ، ثُمَّ يَقْبَلُ كَالشَّهَابِ النَّاقِصِ
يَمْلَأُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِكَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا (٣) ، وَقَالُوا إِنَّ وَالدَّ تُوْفِيَ وَلَمْ يَحْقُبْ غَيْرُهُ ،
وَلَهُ غَيْبَتَانِ صَغِيرَى وَكَبِيرَى ، وَقَالُوا إِنَّهُ دَخَلَ فِي سُرْدَابٍ وَغَابَ فِيهِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ ٢٥٥ هـ ،
وَعُمُرُهُ تِسْعُ سِنَوَاتٍ ، وَقِيلَ أَرْبَعٌ ، وَقِيلَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، وَأَنَّهُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَامِرَاءَ (٤)
هَذَا فِي الغَيْبَةِ الصُّغْرَى ، أَمَّا فِي الغَيْبَةِ الكَبِيرَى فَقَدْ كَانَ فَقْدُهُ سَنَةَ ٢٩٦ هـ ، فَلَمْ يُدْرَ
أَيُّنَ نَزَّهَ ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ فغَابَ (٥) .

-
- (١) انظر : الملك والنحل : ج ١ ، ص ٣٢ .
 - (٢) إكمال الدين وإتمام النعمة : ص ٣٨ .
 - (٣) المصدر نفسه : ص ٤٩ - ٥٠ .
 - (٤) الصواعق المحرقة : ص ١٦٧ - ١٦٨ .
 - (٥) المصدر نفسه : ص ١٦٧ .

وقد علل الشيعة الغيبة، وقالوا إنها تعود إلى خوفه على نفسه من أن يقتل، ويروون في ذلك الأحاديث منها: ما روى من أن جعفر الصادق قال: "قال رسول الله (ص) لا بد للغلام من غيبة، فقبل له: ولم يارسول الله؟ قال: يخاف القتل" (١)، وكذلك رَوَوْا عن الأئمة أقوالاً مشابهةً لذلك (٢).

ويُعَلَّل الشيعة الغيبة بسبب آخر هو أنها جرت تطبيقاً لِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ، كما جرت في الأديان السماوية الأخرى، فلا بد من حدوثها في الإسلام أسوةً بتلك الأديان، كما أن الله تعالى أجرى في الأئمة سنن الخلفاء، فالأنبياء منذ وفاة آدم كان لهم أوصياء معروفون وستخفون، فلما كان وقت ظهور إبراهيم ستر الله تعالى شخصه وأخفى ولاده، لأنه كان يتعذر إمكان ظهور الحجة في زمانه لأنه كان تحت سلطان نمرود الذي كان يقتل أولاد الرعية في طلبه، إلى أن دلّهم إبراهيم على نفسه بعد أن طال الغيبة ووجب إظهارها من الله عز وجل، فلما توفي إبراهيم كان له أيضاً أوصياء معروفون وستخفون، وهكذا إلى زمن ظهور الرسول الكريم، فأقام الله تعالى الأوصياء كما أقامهم للرسل والسابقين، فأخبر الرسول الكريم أن المهديّ خاتم الأئمة وأنه يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً (٣)، وأن ما جرى على الأنبياء يجري على الأئمة (٤).

ولم يكن في سيرة الإمام المهديّ شبهةً بالأنبياء الأديان الأخرى وحسب، بل فيها شبهة بسيرة نبيّ الإسلام أيضاً، فقد رَوَى الطبرسيّ أن محمد بن عليّ بن موسى قال إنّه "يباع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة وثيف، عدّة أهل بدر" (٥).

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ٢٤٣.

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٢٣.

(٥) الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٥٠.

ونستنتج مما سبق أنّ الشّعبة الإماميّة بتشبيهم غيبة الإمام المهديّ بسيرة الأنبياء الآخرين جعلوا لغيبة الإمام مفهوماً يتجاوز حدود الدّين الإسلاميّ الرّسالة الإلهيّة بكاملها، وكأنّما أرادوا أن يجعلوا من المهديّ المنتظر حامياً للرّسالة الإلهيّة التي تحدّرت تعاليها من زمن آدم عليه السلام إلى وقتنا الحاضر.

وتحدّث الشّعبة في طول مدة الغيبة، فقالوا إنّّه يجوز للإمام أن يستتر إمامته، كما يجوز أن يستتر شخصه متى أوجبت الحكمة ذلك (١)، وإذا جاز للإمام أن يغيّب يوماً لعلّة موجبة جاز له أن يغيّب سنة، وعندئذ جاز له أن يغيّب مائة سنة، وعند هذا جاز له أن يغيّب إلى الوقت الذي توجب الحكمة ظهوره (٢). والإمام لا يقوم بما يفعل من الاختفاء والظهور إلا بعهد من الرسول الكريم بذلك، ويروون أنّ عليّاً قال: "قال النبيّ (ص)، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيّبني القائم من ولدي بعهد معهود إليه متى حتى يقول أكثر الناس: مالّه في آل محمّد حاجة، وبشكّ آخرون في ولايته، فمن أدرك زمانه فليتمسك به، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه فيزيله عنّ بلّتي...". (٣).

وقد ذكر الشيعة أنّ ظهور المهديّ المنتظر يعود إلى مشيئة الله تعالى، ويروون أن شخصاً كتب إلى المهديّ المنتظر يسأله عن خروجه وقرّجه متى يكون، فبأنّ له أن ذلك إلى الله تعالى (٤).

ومسألة الغيبة ورجوع المهديّ على جانب عظيم من الأهمية لدى الشيعة، يدلّنا على ذلك ما يرويه الصدوق من أنّ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق فسّر قول الله تعالى: "هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيّب" (٥) بمعنى "من أقرّ بقيام القائم عليه السلام أنّه حقّ" (٦).

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤٩-٥٠، وانظر: جمل العلم والعمل: ص ٤٦.

(٤) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤٥١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢-٣.

(٦) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٧.

وَقَدْ عَرَفَ الشَّيْعَةُ عَقِيدَةَ الرَّجْعَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ رَجِيعُ اللَّهِ، وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ
بْنِ سَبَأِ الْيَهُودِيِّ دَوْرٌ بَارِزٌ فِيهَا، فَقَالَتْ السَّيِّئَةُ إِنَّ عَلِيًّا لَمْ يَمُتْ وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَمْلَأَ
الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا، وَهَرَبَتْ النَّاسُ جَمِيعًا عَلَى سَبْعِينَ وَاحِدٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)،
ثُمَّ اخْتَلَفَتِ الْفِرْقُ فِي الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ رَأْيُ الْإِثْنِي عَشْرِيَّةِ عَلَى رَجْعَةِ مُحَمَّدِ
ابْنِ الْحَسَنِ (٢).

وَنَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ مَا آدَى بِالشَّيْعَةِ إِلَى هَذَا الْاِعْتِقَادِ بِالْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ
وَالْقِيَّةِ وَالرَّجْعَةِ هُوَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْأَذَى وَالظُّلْمِ زَمَنِ الْأُمَوِيِّينَ، وَمَا نَالَهُمْ مِنَ الْأَضْطِّهَارِ
اِثْرَ اسْتِشْهَارِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَا أَحَقَّهُ بِهِمُ الْعَبَاسِيُّونَ مِنَ الْمِحَنِ وَالْفِكَاتِ
مَا جَعَلَهُمْ بِأَسْوَى مِنْ جَدْوَى الْمَاهِظَةِ لِلسُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ بِهِمُ الْبَأْسُ أَوْجَهُ غَابِ
الإِمَامُ الثَّانِي عَشَرَ، وَرَبَّمَا كَانُوا يُخْتَرُونَ بِفِكْرَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي بَعْثِ الْأَمَلِ
فِي نَفُوسِ الشَّيْعَةِ بِإِمْكَانِيَّةِ الْخِلَاصِ مِنَ الْوَضْعِ السَّيِّئِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ، فَلَا يَدَّ مَنْ
رَجُوعَ هَذَا الْمَهْدِيِّ الَّذِي سَيَقْضِي عَلَى أَعْدَائِهِ وَسَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَأَتْ جَوْرًا.
وَقَدْ عَيَّنَّ مَرْتَضَى مُطَهَّرِي مِنْ أَهَمَّةِ سَأَلَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ،
فَقَالَ: "سَأَلَةُ الْمَهْدِيِّ فِي الْإِسْلَامِ وَخَاصَّةً عِنْدَ الشَّيْعَةِ لَهَا سَأَلَةٌ فِلْسُفِيَّةٌ كَبِيرَةٌ.
الإِنْقَازُ الْمُرْتَقِبُ لَا يَنْحَصِرُ فِي آتَةٍ مَعْيَنَةٍ أَوْ مَنطِقَةٍ مَشْخُصَةٍ، أَوْ جِنْسٍ بِالذَّاتِ. بَلْ
إِنَّ الإِنْقَازَ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ الْبَشَرِيَّةَ جَمْعًا، وَلِيَسِيرَ بِهَا نَحْوَ مَدَارِجِ الرَّقِيِّ وَالقَّالِحِ
وَالسَّامِرَةِ (٣)، فَالْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ سَيَمُوتُ لِإِنْقَازِ النَّاسِ جَمِيعًا مِنَ الشَّرِّ وَالْإِثْمِ،
وَيَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

وَمَا يَتَّصِلُ بِرَجْعَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ مَا قَالَتْهُ الإِمَامَةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
سَيُعِيدُ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَوْمًا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَيُرْجِعُهُمْ بِصُورِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا،

(١) الحُورُ الْعِيْنُ : ص ١٥٤ .

(٢) انظر : تاريخ ابن خلدون : ج ١ ، ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) نهضة المهدي والإمداد الغيبي في حياة البشرية : ص ٧٨ .

وَسَيُعِزُّ مِنْهُمْ فَرِيقًا وَيُذِلُّ فَرِيقًا، وَيُنْتَصِرُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنْهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ (١) وذلك عند قيام المهدي المنتظر الذي سيعود إلى الأرض وسيملأها عدلاً كما طُفِتَ جَسوراً (٢)، وترى الإمامة أنَّ الراجعين إلى الدنيا فريقان: أحدهما من ارتفعت درجته في الإيمان، وكثر صالح عمله وخرج من الدنيا مجتنباً للكبائر والموبقات، فيريه الله تعالى دولة الحق ويمرّه به ويعطيه ما كان يتمنّى من الدنيا. والفريق الثاني هم الذين بلغوا الغاية في الفساد وكثر ظلمهم لأولياء الله واقترفوا السيئات، فينتصر الله تعالى منهم لمن اعتدوا عليه قبل الموت، ويُجِلُّ بهم النكبات ثم يموت الفريقان بعد ذلك، ثم بصيران إلى النشور وما يستحقّان من ثواب الله تعالى وعقاب الله، والقرآن الكريم جاء بهذا وتواترت فيه الأخبار، والأمامة بأجمعهم على ذلك إلا قليلاً منهم تأولوا الأخبار (٣). وقالت الإمامة إنَّ الذي يتولّى حساب أهل المعاصي من أهل الإيمان وحساب الكفار هم الرسول الكريم ووليّ بن أبي طالب يكرم الله وجهه والأئمة من ذريتهما، وذلك تركة لهم، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: "وقل اعطوا فسيري الله عملكم ورسوله والعوا منون" (٤)، والعوا منون هم الأئمة (٥).

وهي بعض علماء الشيعة المحدثين أن الرجعة ليست من أصول المذهب عند الإمامية، وإنّما اعتقادهم بها تبعاً للأثار الصحيحة التي رويت عن أهل البيت، ولو كانت من أصول الدين لما اختلفت الإمامية فيها (٦). ونحن نرى أنّ هذا القول غير صحيح، بدلتنا على ذلك ما يذكره أحد زعماء الإمامية وهو الشيخ المفيد بقوله: "واتفقت

(١) أوائل المقالات: ص ٨٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٨.

(٣) أوائل المقالات: ص ٨٨-٨٩.

(٤) سورة التوبة، آية ١٠٥.

(٥) أوائل المقالات: ص ٨٩.

(٦) انظر: الشيعة في الميزان: ص ٥٥، وتاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة:

الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلافاً^(١)، وقد خالفت الزيدية الإمامية، فلم يقولوا برجعة بعض الأموات إلى الدنيا قبل يوم البعث والحساب^(٢).

التقية :

التقية من مبادئ الشيعة ومعتقداتهم، ويحدد لنا الشيخ الطوسي مفهوم التقية فيذكر أنها : "الإظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس إذا كان ما يبطنه هو الحق، فإن كان ما يبطنه باطلاً كان ذلك نفاقاً"^(٣).

ويرى علي عمر فريج أن معنى التقية عند الشيعة هو أن يظهر الشيعي خلاف ما يعتقد، وأن يتظاهر أمام غير الشيعي بأنه يوافق في آرائه ومعتقداته واتجاهاته في حين أنه يضر له العداوة والمخالفة^(٤). ونحن لا نتفق مع الأستاذ علي فريج فيما يقول، ونرى أن كلامه غير دقيق إذ إنه جاء بأحكام مطلقة بينما نرى أن الشيخ الطوسي قيد التقية واشترطها في حال الخوف على النفس، أما في حال الأمن فلا تقية، كما أن الشيخ الطوسي لم يذكر أن يبطن الشيعي لمخالفة العداوة، وإنما الواضح من كلام الطوسي هو ألا يكون متفقاً مع هذا المخالف في الآراء، وأضاف الشيخ الطوسي شرطاً جوهرياً، وهو أن يكون ما يبطنه الشيعي في نفسه ويعتقده فسي سريره هو الحق فإذا كان ما يعتقد باطلاً فالتقية عنده تكون نفاقاً، وهذا ما لم يشر إليه الأستاذ علي فريج في تحديده مفهوم التقية.

فالتقية عند الشيعة واجبة عند الخوف على النفس^(٥)، وهم يستدلون على وجوبها بأمور، من ذلك ما يروى من "أن مسيلة الكذاب أخذ رجلاً من أصحاب رسول الله (ص). فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال:

-
- (١) أوائل المقالات: ص ٤٨.
 - (٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
 - (٣) تفسير التبيان ج ٢، ص ٤٣٤.
 - (٤) الشيعة في التصور الإسلامي: ص ١٥٠.
 - (٥) تفسير التبيان: ج ٢، ص ٤٣٥.

أفتشهد أنني رسول الله؟ قال: نعم. ثم دعا بالآخر، قال: أفتشهد أنني محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فقال له: أفتشهد أنني رسول الله؟ قال: إني أصم، قالها ولاناً - كل ذلك تقية - فتقول ذلك، فضرب عنقه، فبلغ ذلك (١)، فقال: أما هذا المقتول، فمضى على صدقه وتقوته، وأخذ بفضله، فهينئاً له. وأما الآخر فقبل رخصة الله، فلا تبعه عليه (٢) ويعلق الطوسي على هذه الرواية بقوله: "فعلى هذا التقية رخصة، والإفصاح بالحق فضيلة. وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة وخلافها خطأ" (٣).

واستدلَّ الشيعة بالآيات القرآنية على التقية، ومن ذلك قوله تعالى: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" (٤)، وقد روى الطوسي أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر عندما أكرهه مشركو مكة بالعذاب الشديد على أن يلفظ الكفر وكان قلبه مطمئناً بالإيمان، واستثنى عمار من حكم الآية لأنه كفر بلسانه، ولا يجوز ذلك للإنسان إلا في حال التقية (٥).

فالتقية - كما يلاحظ - تستخدم عند الشيعة دبراً للخطر والشر، والمفصل الإنسان يحنم الأخذ بالتقية في موطن الخوف والخطر (٦). ولعل قول الشيعة بالتقية يعود إلى طبيعة الظروف التي مروا بها وإلى ما تعرضوا له من الملاحقة والظلم والاضطهاد أثناء حكم الأمويين والعباسيين، فوجدوا أن التقية آخر ملاذ لهم ويفضلها تمكن المذهب الشيعي من المقاومة على مر العصور، كما أنه يفضلها انتشار (٧).

(١) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفساهما.

(٣) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفساهما.

(٤) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٥) تفسير التبيان: ج ٦، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٦) نسيم وزوبعة: ص ٣٤١.

(٧) تاريخنا القومي: ص ٥٥.

ونظراً لأهمية التقية عند الشيعة فقد لجأوا إلى القول إنّ الأئمة عليهم السلام قد حثوا على التقية وشجعوا عليها (١) ، ومن ذلك ما يروونه من أنّ الإمام جعفر بن محمد قال إنّهُ ليس شيء على الأرض أحبّ إليه من التقية ، فمن كانت له تقية رفعه الله ، ومن لم تكن له تقية وضعه الله (٢) ، وروواً عنه أنّه قال في قوله تعالى : " ارفع بالتي هي أحسن " (٣) التي هي أحسن التقية (٤) ، وأنّه قال : ما عبد الله شيءاً أحبّ إليه من الخبء ، فسئل عن الخبء ، فقال : التقية (٥) . وغير ذلك من الأحاديث (٦) .

وقد لجأ الشيعة إلى تفسير كثير من الآيات القرآنية بمعنى التقية ، ومن ذلك قوله تعالى : " ويدرؤن بالحسنة السيئة ، فقالوا : الحسنة التقية ، والسيئة الإذاعة (٧) . كما لجأوا إلى تفسير كثير من أفعال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه على أنّها من قبيل التقية ، فقالوا إنّهُ عدل عن المناوأة والمطالبة وأظهر التسليم والانقياد بسبب التقية ، ومن ذلك أنّه عندما عيّن عمر مجموعة من المسلمين لخلافته وكان منهم عليّ قبل ذلك لأنّ السبب في دخوله كان التقية والاستصلاح لأنه أشفق من أن يمتنع مما يورث به إلى زوال التقية وإظهار المكاشفة ، وأشفق من أن يُفسر تأخره عن الدخول في الشورى على أنّه ناجم عن اعتقاده بأنّه صاحب الأمر دون من انضمّ إليه ، ولذا دخل في الشورى (٨) . ونحن لا نتفق مع الشيعة في هذا ، وقد بينّا من قبل عند حديثنا عن الإمامة أنّ علمياً بايع مختاراً ، ولم يكن أحد يستطيع أن يُجبره على شيء لا يريد .

-
- (١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج ١ ، ص ٥٥ .
 - (٢) الأصول من الكافي ج ٢ ، ص ٢١٧ .
 - (٣) سورة المؤمنون : الآية ٩٦ .
 - (٤) الأصول من الكافي ج ٢ ، ص ٢١٨ .
 - (٥) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٢١٩ .
 - (٦) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٢١٧ .
 - (٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها .
 - (٨) تلخيص الشافي : ص ١٥٤ .

وبلاحظ على مبدأ التقية عند الشيعة أنهم حرصوا فيها على الجانب الديني ، فلم يتعمدوا حدود الدين ، يبدلنا على ذلك قول الشيخ المفيد متحدثاً عن التقية ولا يجوز في الأفعال في قتل المؤمنين ، ولا فيما يعلم أو يظن أنه استفسار في الدين (١) . ويمكننا أن نستنتج من النص أن التقية عند الشيعة مقيدة فهي لا تجوز في الأفعال والظروف التي تؤدي إلى ضرر عملي يحل بالمسلمين بل هي ممتنعة لا تجوز ، وكذلك فهي ممتنعة إذا كان فيها فساد في الدين ومساس بالمعقيدة . فالتقية عند بعض علماء الشيعة جائزة ومنهم الشيخ المفيد (٢) وعند بعضهم واجبة ، ومنهم الشيخ الصدوق ، وهي واجبة عنده في دولة الظالمين ، ومن تركها فقد خالف مذهب الإمامية وفارقه ، ولذا لا غرابة أن يستدل الصدوق على التقية بقوله تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة " (٣) .

وقد ردّ الذهبي على الشيعة في التقية ، فبيّن أنّ شعارهم الذلّ وآثارهم النفاق والتقية ، ورأس مالهم الكذب والأيمان الفاجرة ، وهم كاذبون فيما نسبوه إلى الإمام جعفر الصادق من حثه على التقية ، وقد نزه سبحانه أهل البيت عن التقية ولم يحوجهم إليها فكانوا من أصدق الناس وأعظمهم إيماناً ، فكان دينهم التقوى لا التقية ، أمّا الآية : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة " (٤) فهذا أمر الله تعالى بالالتقاء من الكفار ، والله تعالى أمر عند الإكراه على الكفر بالتلفظ به وأهل البيت لم يكرههم أحد على شيء ، حتى أنّ علماء آل البيت كانوا يثنون على الصحابة بإيرادتهم ولم يكرههم أحد على ذلك (٥) ،

-
- (١) أوائل المقالات : ص ١٣٩ .
 - (٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
 - (٣) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .
 - (٤) السورة نفسها والآية نفسها .
 - (٥) ينتقى من منهاج الاعتدال : ص ٦٨ .

ثم إنَّ أسرى المسلمين الذين كانوا يقعون في أيدي النَّصاري كانوا يجهرون بدنيهم، فكيف يُظنُّ بعليٍّ وبنيه أنهم كانوا أضعفَ ديناً من الأسرى، علماً بأنَّ علياً وبنيه لم يكن يجبرهم أحد على ذكر الخلفاء الثلاثة، وإنما كانوا يذكرونهم ويترحمون عليهم دون إكراه (١).

ومن الأمور الأخرى التي بحث فيها الشيعة مسألة شُكْرِ المُنعم، وهي واجبة عندهم، فهم يرون أنَّ ولاية العبد لله تعالى هي الانطواء على طاعته والاعتقاد لوجوب شكره وترك معاصيه، وأما إذا ما جحد العبد نعمة ربه وإحسانه وارتكب معاصيه فإنه يكون معادياً له كافرأً به (٢).

وهروي الشيعة أخباراً عن الأئمة تدلُّ على ضرورة شكر النعم، فقد روى عن جعفر الصادق أنه قال: "مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ أَطْعِمَ الزِّيَادَةَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَنْ شُكْرْتُمْ لَأَزِيدَ نِكْمًا" (٣) وهروون عنه أنه قال: "مكتوب في التوراة: اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكر، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغيرة" (٤).

فِرْقُ الشَّيْعَةِ :-

الشيعة فرقة من كبار الفرق الإسلامية (٥)، وقد انقسمت بعد وفاة عليٍّ -كرم الله وجهه- إلى عدة فرق، وقد ازداد عددها بمرور الزمن، وظهر منها فرق غالبية يعتبرها الشيعة أنفسهم فرقا كافرة، وتعود فرق الشيعة إلى أربع فرق تعد أصولاً لكل فيرَّق الشيعة، وهي: الكيثانية، والزيدية، والإمامية، والخلاة (٦).

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال: ص ٦٩.

(٢) أوائل العقالات: ص ١٣٧.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٧، وانظر: الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٩٥.

(٤) الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٩٤.

(٥) المواقيف: ج ٨، ص ٣٨٤.

(٦) الطلل والنحل: ج ١، ص ١٥١.

١ - الكَيْسَانِيَّةُ :-

أصحابُ كَيْسَانَ مولى علي بن أبي طالب، وقيل إنه تلميذ لمحمد بن الحنفية (١)، وهم يقولون إنَّ الإمامة بعد علي - كرم الله وجهه - كانت لابنه محمد بن الحنفية (٢) لأنَّه كان صاحب رأيته يوم البصرة دون أخويه الحسن والحسين (٣)، وهم ينقسمون إلى عدَّة أقسام :

أ) الكريمية : أتباع أبي كرب الضرير (٤) زَقُّوا أنَّ الإمام بعد علي هو محمد بن الحنفية، وهو لم يست وإنما هو في جبل رضوى (٥) يعيش، وعن يمينه أسد، وعن يساره نمر (٦)، وبأبيه رزقه في الصَّباح والمساء، والسبب في صبره على هذا الحال هو أن يكون مفيداً لأمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى (٧)، وهو المهدي المنتظر عندهم (٨).

ب) المختاروية : وهم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، كانوا يقولون إنَّ الإمام بعد الحسين - وقيل بعد علي - هو محمد بن الحنفية، وكان زعيمهم المختار خارجياً ثم صار زُبيريّاً ثم صار شيعياً وكيسانياً، وكان يدعو الناس إلى محمد بن الحنفية (٩)، ويذكر علوماً مزخرفة ينسبها إليه، ولتألم محمد بن الحنفية بذلك تبرأ منه، وأظهر ذلك لأصحابه ليصرف الناس عنه، وأدعى المختار أنه نائب محمد بن الحنفية، وأراد محمد أن يقصد

-
- (١) الطلل والنحل : ج ١، ص ١٥٢ .
 - (٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٦٢، والمقالات والفرق : ص ٢١ .
 - (٣) المقالات والفرق : ص ٢١ .
 - (٤) أبو كرب الضرير زعيم الكريمة من الكيسانية (انظر : التبصير في الدين : ص ٣٥) .
 - (٥) جبل بقرب ينبع وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية، رآه الإصطخري من ينبع أخضر اللون . (انظر : مسالك المهالك : ص ٢١) .
 - (٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٦٢، وانظر : التبصير في الدين : ص ٣٥ .
 - (٧) مقالات الإسلاميين : ج ١، ص ٩٢، وانظر : التبصير في الدين : ص ٣٨ .
 - (٨) التبصير في الدين : ص ٣٥ .
 - (٩) الطلل والنحل : ج ١، ص ١٥٢ .

نحوه و يحنعه عن أن يقول بذلك، فلما علم المختار بذلك صعد المنبر، وقال لأصحابه :
إِنَّ مِنْ عِلْمَاتِ الْإِمَامِ الْآيُوتَرُ فِيهِ السِّيفُ، فَإِذَا جَاءَ إِمَامَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ فَعَلَيْهِمْ
أَنْ يَجْرَبُوا هَذَا، عَلَيْهِ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ بِذَلِكَ هَرَبَ (١) .

وكان للمختار آراءٌ منحرفة، من ذلك قوله: إِنَّهُ يَجُوزُ الْبِدْءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
والبدءُ يعني البداءَ في العِلْمِ، وهو أن يعلم ثم يظهر له خلاف ما علم، والبداءُ فسي
الإرادة، وهو أن يظهر له صوابٌ على خلاف ما حكم، والبداءُ في الأمر، وهو أن يأمر
بشيء ثم يأمر بخلافه، وقد قال المختار بهذا لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأمور
والأحوال إتماماً بوحى من الله وإتماماً برسالة من الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بشيء وأخبرهم
بأن أمراً ما سيحدث إن حَدَّثَ يَجْعَلُهُ زَلِيلًا عَلَى صِدْقِي دَعْوَاهُ، وَإِنْ لَمْ يُوَاقِقْ مَا قَالَ لَهُمْ
قَالَ: قَدْ بَدَأَ لِرَبِّكُمْ، وكان لا يفرق بين التسخ والتبدؤ، فإذا جاز النسخ في الأحكام
جاز البدء في الأخبار (٢)، ولذلك كفر المختار بتهمة كل من لا يجهز البداء على الله
تعالى (٣) .

ومن ضلالات المختار المنسوبة إليه أنه كان عنده كرسيٌ قديم زينه بالذهب، وقال :
إِنَّهُ مِنْ زَخَائِرِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وكان يضعه في القتال أمام الصف ويقول : قَاتِلُوا
وَلَكُمْ النَّصْرَ، وَيَسْتَنُّ لأصحابه أن محل هذا الكرسي فيهم محل التابوت من بني إسرائيل،
وفيه السكينة، وهو - أي الكرسي - يجعل الملائكة ينزلون مَدَدًا لأصحاب المختار،
وقد أخبر أصحابه أن الملائكة تنزل على شكل الحمامات البيض، وكان الذي دعاه إلى
الانتساب لابن الحنفية هو حسن ظن الناس فيه لأنه كان كثير العلم غزير المعرفة
عظيم الفضل، وقيل إنه كان مستودعاً على الإمامة، وقد تبرأ من المختار حين علم
دعواه بأنه من رجاله وعلم باكان به وأضاليله (٤) .

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٦٢ .

(٢) البطل والتحل : ج ١، ص ١٥٣ .

(٣) الفرق بين الفرق : ص ٢٦ .

(٤) البطل والتحل : ج ١، ص ١٥٤ .

وكان المختار بلقب بكيسان، وقيل إنّه أخذ ذلك من مولى لعلّي بن أبي طالب اسمه كيسان (١). ونحن نلاحظ أنّ مؤرّخي الفرق وقعوا في خطأ كبير حين خلطوا بين المختار بن أبي عبيد وشخصيّة أخرى معاصرة له هي شخصيّة كيسان، فقد ذهب أبو خلف القمي - وهو مؤرخ شيعيّ قديم - وتابعه النوبختي إلى أن الكيسانية لقبوا بذلك لأنّ رئيسهم الذي دعاهم إلى ذلك هو المختار بن أبي عبيد، وكان لقبه كيسان، وهو لقب صاحب شرطته (٢)، وإلى قريب من هذا ذهب البغداديّ حين ذكر أنّ المختار كان يقال له كيسان، وإنّه أخذ مقالته عن مولى لعلّي بن أبي طالب اسمه كيسان (٣)، ولم يلبث صاحب المقالات والفرق أن كشف من حقيقة كيسان هذا، فهو أبو عمرة السائب بن مالك، كان يجاور المختار في سكنه وكان صاحب سرّه، فلما قام المختار بحركته جعله صاحب شرطته، وقد غالى في القتل أكثر من المختار (٤). وقد وصف بعض مؤرّخي الشيعة أصحاب المختار بأنهم كانوا أول من شدّ من فرق الإمامية، وذلك بسبب قولهم إنّ الإمام بعد الحسين هو محمد بن الحنفية (٥).

ونحن نلاحظ أنّ المختار كان ذا ضلال بعيد لقوله بالبداية على الله، وقصد لجأ إلى ذلك مضطراً ليبرّر بعض الكذب الذي كان يبدو منه من حين لآخر، ومن ذلك أنّ القائد إبراهيم بن الأشتر تعدد عن نصرته المختار عندما ادّعى أنّ الوحيّ ينزل عليه، وخرج جيش مُصعب بن الزبير وعدده سبعة آلاف مقاتل من البصرة لقتال المختار، فأرسل المختار جيشاً عدده ثلاثة آلاف لقتال مصعب، وزعم لهم أن الوحيّ نزل عليه مخبراً بنصرهم، فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار، فرجعت قلوبهم إلى المختار وسألوه لماذا لم ينتصروا وقد وعدهم النصر؟ فقال: إنّ الله تعالى كان قد وعدني ثمّ بداله، ثم استدلّ بقوله تعالى: "يحو الله ما يشاء" ويثبت (٦) من أجل تبرير كذبه.

(١) الفرق بين الفرق: ص ٢٦، والتبصير في الدين: ص ٣٤.

(٢) المقالات والفرق: ص ٢١، وفرق الشيعة: ص ٢٣.

(٣) الفرق بين الفرق: ص ٢٦.

(٤) المقالات والفرق: ص ٢١-٢٢.

(٥) رجال الخاقانيّ: ص ١٢٨.

(٦) سورة الرعد: الآية ٣٩، وانظر: الفرق بين الفرق: ص ٣٣، والتبصير في الدين:

ونحن نتشكك في ما قيل من أَنَّ المختار جعل نفسه في منزلة أعلى من الإمام وآته
أخذ يدعو إلى نفسه وآته أمر أتباعه بأن يُجَرَّبُوا السيف على الإمام مدعياً أَنَّهُ لا يُوَثِّرُ فيه
السيف، فذلك مُسْتَبَعِدٌ وغيرُ معقولٍ، والدليل على ذلك ما يذكره الشهرستاني في العِطَلِ
والنَّحْلِ من أَنَّ المختارَ استطاع أن يَجْمَعَ الناسَ عليه بأمرين : الأول : انتسابه إلى محمد بن
الْحَنْفِيَّةِ عِلْمًا ودَعْوَةً، والثاني قيامه بشارِ الحسينِ عليه السلام وقتله قَتَلَتَهُ (١).

ح - الهاشمية : أتباع أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية قالوا إن الإمام
بعد محمد هو ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد، وأن ابن الحنفية أفضى لابنه أبي هاشم
بأسرار العلوم وأطلعته على أمور كثيرة . وقالوا إِنَّ لِكُلِّ شيءٍ ظاهراً وباطناً، ولكنَّ تنزِيلَ
تأويلها، وقد استأثر عليٌّ بالعلم ابنته محمد بن الحنفية، وأفضى محمد ذلك السرَّ إلى
ابنه أبي هاشم (٢)، والإمام الحقُّ هو كُلُّ من اجتمع فيه هذا العلم (٣) . وقد غَلَّوْا في
أبي هاشم وقالوا إِنَّهُ يُحيي الموتى (٤) . وبعد وفاة أبي هاشم تفرقت شيعته إلى عدة
فِرَقٍ :

فرقة قالت إنَّ أبا هاشم توفي بأرض الشراة وهو عائد من الشام، وأوصى إلى
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأنجزت في أولاده الوصية حتى صارت الخلافة
إلى أبي العباس، وقالت إنَّ لأولاده حقاً في الخلافة، وقد توفي الرسول الكريم وعمه
العباس أولى بالوراثة (٥) . وعندما وصل هوّلاء إلى خراسان ودَعَوْا بتلك الدعوة
كان أبو مسلم الخراساني حاضراً فقبل دعوتهم، ولما اشتد أمره دعا الناس إلى بني
العباس، وجعل الخلافة فيهم بعد أن انتزَعها من بني أُمَيَّة (٦) وقد رجع بعض هوّلاء عن

(١) العِطَلِ والنَّحْلِ ج ١، ص ١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١، ص ١٥٥ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٤) فِرْقُ الشَّيْعة : ص ٢٧، والمقالات والفرق ج ٣٨ .

(٥) العِطَلِ والنَّحْلِ : ج ١، ص ١٥٦ .

(٦) اعتقادات فِرْقِ المسلمين والمشركين : ص ٦٣ .

هذا القول وزعموا أنّ الرسول الكريم نَحَى العباس إماماً ثم نَحَى العباس على ابنه عبد الله وساقوا الإمامة إلى أن انتهت إلى المنصور، وهم الراوندية (١). وفرقة قالت إنّ الإمامة بعد أبي هاشم لابن أخيه الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية، وفرقة قالت إنّ أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن مُحَمَّدٍ، وعليّ أوصى إلى ابنه الحسن، وبذلك تكون الإمامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج عنهم إلى غيرهم (٢). وفرقة قالت بوصية أبي هاشم إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وتحوّلت روح أبي هاشم إلى عبد الله هذا، وهو رجل لم يكن ذا علم وديانة، فعرف بعض القوم كذبه فأعرضوا عنه، وقالوا بإمامة عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان من مذهب عبد الله أنّ الأرواح تتناسخ من شخص إلى آخر (٣) وروح الله تعالى تناسخت حتى وضلت إليه (٤)، وحلت فيمنه وأدعى الألوهية والنبوّة معاً، وأدعى أنه يعلم الغيب، وقد تابعه شيعته وعهدوه لاعتقادهم أنّ التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الأشخاص (٥). وقد اختلف هؤلاء الذين تابعوا عبد الله بن معاوية فيه ثلاث فرق: الأولى ادّعت أنه مات، والثانية زعمت أنه بجبال أصفهان، وأنه لم يموت ولا يموت حتى يقود بنواصي الخيل إلى رجل من بني هاشم، والثالثة زعمت أنه حيّ بجبال أصفهان لم يموت ولا يموت حتى يلي أمور الناس، وهو المهدي الذي بشر به الرسول الكريم (٦).

وزعمت فرقة أنّ الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧) وزعمت فرقة من الكيسانية أنّ عليّاً في السحاب، وأنّ معنى قوله تعالى: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة" (٨)

-
- (١) مقالات الإسلاميين ج ١، ص ٩٦، وانظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص ٦٣.
 - (٢) فرق الشيعة: ص ٢٨، والمقالات والفرق: ص ٣٨.
 - (٣) البطل والتحل: ج ١، ص ١٥٦.
 - (٤) المصدر نفسه ج ١، ص ١٥٦-١٥٧، وانظر: المقالات والفرق: ص ١٢٦-١٢٧.
 - (٥) البطل والتحل: ج ١، ص ١٥٧.
 - (٦) مقالات الإسلاميين ج ١، ص ١٩٧، وانظر: فرق الشيعة: ص ٣١-٣٢.
 - (٧) المقالات والفرق: ص ٤٤.
 - (٨) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٩٧.
 - (٩) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

إنّما يعني ذلك علماً ، وقد لزموا القول بتناسخ الأرواح في النبيّ وعلقيّ والحسن والحسين وابن الحنفية وأبي هاشم (١) .

ونحن نلاحظ أنّ معظم هذه الفرقة من الكفرة وذلك لقولهم إنّ أبا هاشم يُحيي الموتى ، ولقولهم بالتناسخ ، تناسخ الأرواح وبخاصة أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب ، إنّ لهم آراءً منحرفة تدلّ على الكفر عدداً قولهم بالتناسخ ، وهي ما ذكره القميّ في نسي المقالات والفرق بين أنّهم يزعمون أنّ الصلاة في اليوم والليلة خمس عشرة صلاة كلّ صلاةٍ سبع عشرة ركعة ، وكلّهم لا يصلّون (٢) فهم - كما نلاحظ - غيروا الصلاة المشروعة التي جاء بها الرسول الكريم من عند الله تعالى ، فجاءواً ببدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، يضاف إلى ذلك أنّهم لا يصلّون ، وبذلك فقد أنكروا الصلاة عماد الدين الإسلاميّ .

٢ - الزيدية :-

الفرقة الثانية من فرق الشيعة هم الزيدية ، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، سُمّوا زيدية لتشكّهم بقوله (٣) . وحدثنا الشيخ المفيد عن الزيدية فيقول : " وأما الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وزيد بن علي عليهم السّلام ، وبإمامة كلّ فاطميّ دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ، ومن أهل العلم والشجاعة ، وكانت بيعته على تجريد السيوف للجهاره (٤) ، ومن هذا النصّ يتضح لنا أنّ الزيدية يخالفون الإمامية في الإمامة فبينما يحصرها الإمامية في أولاد الحسين نجد الزيدية يجعلونها في جميع أبناء علي وفاطمة رحيهما الله سواءً أكانوا من أبناء الحسن أم من أبناء الحسين ، فكّل فاطميّ خرج وهو عالم زاهد شجاع سخيّ كان إماماً واجب الاتّباع (٥) ، وكان قد بويع لزيد بالكوفة

(١) المقالات والفرق : ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٦-٢٧ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ١٣٦ ، والمواعظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٤) أوائل المقالات : ص ٤٢ .

(٥) الطلل والتحل : ج ١ ، ص ٣١ ، وانظر : الفهرست للندم : ص ٢٢٦ .

أبام هشام بن عبد الملك، وكان زيد يُفضّل علي بن أبي طالب ويتولّى أبا بكر وعمير ويرى الخروج على أئمة الجور، وعند ما خرج بالكوفة سمع بعض أتباعه يطعنون على أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منهم، فتفرّق عنه معظم الذين بايعوه، فقال لهم: فزتموني، وبقي معه نفر قليل فسمعوا لذلك الرافضة على ما قيل، وقد قاتل زيد بمن بقي معه جيش الأمويين حتى استشهد (١). وقد زم زيد الرافضة فقال: "الرافضة حريسي وحرب أبي في الدنيا والآخرة، مرقت علينا الرافضة كما مرقت الخوارج على علي" (٢).

وفرقة الزيدية بشكل عام معتدلة في آرائها، وهم أشبه فوق الشيعة بأهل السنة وأقربهم إلى جماعتهم (٣). فمعظم الفرق الشيعية الأخرى تغلو في الأئمة وترفعهم إلى درجة الأنبياء أما الزيدية فلم يفعلوا ذلك، ولعلّ اعتدال الزيدية في آرائهم - كما يرى الأستاذ أنور الرفاعي - يعود إلى أنّ زيدا إمامهم الأول قد تتلمذ لواصل ابن عطاء رأس المعتزلة، أخذ عنه كثيراً من الآراء مما أثر في معتقداته وعقليته (٤)، ونحن نتفق مع الأستاذ أنور الرفاعي فيما ذهب إليه، لكننا نرى أنّ هذا التفسير وحده لا يكفي، ونضيف إلى ذلك فنقول: إن جمع الأئمة من أبناء علي - كرم الله وجهه - كانوا يتسمون بالاستقامة في العقيدة والشبات على الحق، ومنهم الحسن والحسين وابن الحنفية وغيرهم ولكن أولئك الأئمة لم يكونوا يتولّون بأنفسهم قيادة جماعتهم، فابن الحنفية - كما رأينا عند الحديث عن الكيسانية - كان المختار هو الذي يدعو إليه، فجاء بالكذب والباطل، أمّا الإمام زيد - رحمه الله - فقد تولّى قيادة أتباعه بنفسه ولقنهم رأيه في الخلفاء الراشدين بصورة صحيحة، ولم يتولّ أحدٌ من الدعاة أمره، ولذا كان أتباعه معتدلين في آرائهم وأقوالهم.

(١) مقالات الإسلاميين ج ١، ص ١٢٢.

(٢) العلم الشامخ: ص ٦٢.

(٣) انظر: الدليل والبرهان ج ١، ص ٣٣، وإسلام بلا مذاهب: ص ٢١.

(٤) الإنسان العربي والحضارة: ص ٢٦.

وقد قال الزيدية بإمامة زعيمهم زيد وإمامة من اجتمعت فيه ست خصال هي :
 العِلْمُ، والزُهْدُ، والشجاعةُ، وأن يكونَ من أولادِ فاطمةَ الزَّهْرَاءِ رضي الله عنها حَسَنِيًّا
 أو حَسَنِيًّا، ومنهم من زاد صباحةَ الوجه في الإمام، وألَّا يكونَ فيه آفةٌ، وهم يوافقُونَ
 المعتزلةَ في أصولهم جميعها، إلا في مسألة الإمامة (١).

وهم يرونَ أَنَّهُ لا نَصَّ في إمامةِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه فالرسول الكرم لم يَنْصَ عليَّ عليَّ
 بالإمامة (٢) إلا الجارودية منهم . وتنقسم الزيدية إلى فرقتين متعدديتين، وهي :

(أ) الجارودية : وهم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي (٣) ، قال
 إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَّ عَلِيَّ عَلِيٍّ بِالْوُضْفِ لا بالتسمية، فكان هو الامام
 من بعده ، وقالوا إِنَّ النَّاسَ قَدْ كَفَرُوا لِتَرْكِهِمْ مَابِيعَةَ عَلِيٍّ رضي الله عنه والاقتداء به (٤) .
 ونحن نلاحظ من هذا القول أَنَّ أبا الجارود قد خالف إمامة زيد رحمه الله إذ ان زياداً
 لم ينكر خلافة أبي بكر وعمر وأنكر - كما رأينا - عليَّ بقض أصحابه طعنهم فيهم -
 ولذا لا غرابة أن يسمي الباقر أبا الجارود سرحوباً ، وفَسَّرَه بأنه شيطان يعمي -
 في البحر (٥) .

وقال الجارودية إِنَّ الإمام بعد عليٍّ ابنه الحسن، وبعد الحسن أخوه الحسين ،
 وبعدهما تكون الإمامة شورى في أولادهما ، فمن خرج منهم يشهر السيف ويدعو إلى الدين ،
 وكان وَرِعاً شُجَاعاً عَالِماً فهو الإمام (٦) .

(١) المواعظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٣٥١ .

(٣) أبو الجارود : زياد بن المنذر، زيدي المذهب، وقد روي عن أبي جعفر الباقر
 عليه السلام، وهذا يرجح أَنَّهُ توفي في حوالي منتصف القرن الثاني الهجري .
 (انظر : الفهرست للطوسي : ص ١٠٢)

(٤) التبصير في الدين : ص ٣١ ، والفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٥٨ ، والفرق
 بين الفرق : ص ٢٢ ، ومقالات الإسلاميين ج ١ ، ص ١٤١ ، والمواعظ والاعتبار ج ٢ ،
 ص ٣٥٢ ، والملك والنحل : ج ١ ، ص ١٦٣ ، والمواقف : ج ٨ ، ص ٣٩٢ .

(٥) المواقف ج ٨ ، ص ٣٩١ .

(٦) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٥٨ ، والتبصير في الدين : ص ٣١ ، والمواقف :

وقد اختلفت الجاروية فرقتين : فرقة زعمت أنّ علياً نزع على إمامة الحسن وأنّ الحسن نزع على إمامة الحسين ، وفرقة زعمت أنّ النبي الكريم هو الذي نزع على إمامة الحسن بعد علي وإمامة الحسين بعد الحسن ليقوم واحد بعد واحد (١) . واختلفت الجارودية في المهدي المنتظر ، فمنهم من لم يعبثوا واحداً بالانتظار ، وقال : إنّ كلّ من شهّر السيف ودعا إلى الدين من أولاد الحسن والحسين فهو الإمام . ومنهم من قال إنّ المهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (النفوس الزكية) ، ولا يصدّق بقتله ولا بموته ، ويقول إنّ سيخرج فيملك الأرض . ومنهم من ينتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان (٢) ، ويقول : إنّ حبي لم يموت ، ومنهم من ينتظر يحيى بن عمر صاحب الكوفة (٣) ، ولا يصدّق بموته (٤) .

ب - السلمانية : وهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي (٥) ، قالوا إنّ الإمامة شوري ، وهي تتعقد بعقد رجلين من خيار الأئمة ، وإنها تصلح للمفضول مع وجود الأفضل ، وأثبتوا إمامة أبي بكر وعمر ، وقالوا إنّ الأمة تركت الأصلاح في البيعة لهما ، لأنّ علياً كان أولى بالإمامة منهما ، وكان إعراض الصحابة عنه خطأ لا يوجب كفراً ولا فسقاً ، وكفروا عثمان رضي الله عنه بالأحداث التي نغمها عنه بعض الناس (٦) ، كما كفروا طلحة والزبير

-
- (١) الفرق بين الفرق : ص ٢٣ ، ومقالات الإسلاميين ج ١ ، ص ١٤١ .
 - (٢) محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قام في الطالقان أيام المعتصم ، ثم أسروا وأخذوا إلى المعتصم . (انظر : مقاتل الطالبين : ص ٣٨٢-٣٩٢) .
 - (٣) يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي صاحب الكوفة ، خرج ودعا إلى نفسه وتبعه أناس كثيرون ، وقتل في أيام المستعين ، وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر . (الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٥٩) .
 - (٤) الفرق بين الفرق : ص ٢٣ ، والفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٥٨-٥٩ .
 - (٥) لم نجد له ذكراً إلا ما ذكر عنه أعلاه .
 - (٦) مقالات الإسلاميين ج ١ ، ص ١٤٢ ، والفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٥٩-٦٠ ، والتبصير في الدين : ص ٣٣ .

وعائشة أيضاً (١) ، وقد كفرهم أهل السنة لتكفيرهم عثمان (٢) ، وكانوا يرون أنّ عليها لم ينص على أحد ، وصار الأمر شورى من بعده (٣) .

ويذكر المقرئ أنّ هذه الفرقة يكفرون الجارودية لتكفيرهم الصحابة (٤) . وهذا يدلنا على اعتدال هذه الفرقة في آرائها ، فقد صححوا خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقد يتساءل السائل فيقول : كيف يكفرون الجارودية لتكفيرهم الصحابة ، وهم أنفسهم - أي السليمانية - يكفرون عثمان وعائشة ؟ فنقول : لقد كفروا عثمان وعائشة بناءً على ما أخذ يعتبرونها من وجهة نظرهم صحيحة ، فعثمان أخذ عليه كثيرون بعض المآخذ حتى استشهد رحمه الله ، وعائشة كانت قد خرجت لقتال أمير المؤمنين عليّ . ومع ذلك فنحن نرى أنّه لا ينبغي لأحد أن يصل به الحد إلى تكفير عائشة أم المؤمنين وزوجة الرسول الكريم ، وتكفير الخليفة عثمان ذي النورين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، فهذا من الشطط والفسق ومجانبة الصواب .

ح - البترية : والفرقة الثالثة من الزيدية هم البترية ، وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي (٥) ، قالوا إنّ عليّاً كان أفضل الناس بعد الرسول الكريم ، وأولاً لهم بالإمامة وإنّ بيعته أبي بكر وعمر كانت صحيحة لأنّ عليّاً ترك لهم ذلك ، ويتوقعون في عثمان رحمه الله ولا يكفرونه ، فلم يذمّوه ولم يمدحوه (٦) . وهم يُنكرون رجعة الأموات إلى الدنيا ،

(١) الموافق : ج ٨ ، ص ٣٩٢ ، والفرق الإسلامية دليل كتاب المواقف : ص ٦٠ .

(٢) التبصير في الدين : ص ٣٣ ، والفرق بين الفرق : ص ٢٤ .

(٣) الموعظ والاعتبار : ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) الحسن بن صالح بن حي كان من ثورهمذان ، وكنيته أبو عبد الله توفي سنة ١٦٧ هـ .

(٦) الفرق بين الفرق : ص ٢٤ . وكانت ولادته سنة ١٠٠ هـ . (الفهرست للنديم :

ص ٢٢٧) .

(٦) التبصير في الدين : ص ٣٣ ، والموعظ والاعتبار : ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

ويقولون إنه لإمامة لعليّ إلا بعد أن يبيع (١) . والبهترية والسليمانية يُكفرون الجارودية لتكفيرهم أبا بكر وعمر ومن تابعهما من الصحابة (٢) ، والجارودية يكفرون السليمانية والبهترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر (٣) . وهذه الفرقة كما نلاحظ هي أكثر فرق الزيدية اعتدالاً ، فهم يُصنّحون بيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا يُكفرون عثمان رضي الله عنه ولا يذمونه ولا يُكفرون أحداً غيره من المسلمين .

د - النعمية : أصحاب رجل يدعى نعم بن اليمان ، قالوا إن علياً كان مستحقاً للإمامة وإنه أفضل الناس بعد الرسول الكريم ، والأئمة أخطأت خطأ عظيماً في تترك الأفضل وهو بيعة علي ، وما بيعتها أبا بكر وعمر ، ولكنه ليس خطأ إنهم ، وقد تبرأوا من عثمان ومن الذين حاربوا علياً وشهدوا عليه بالكفر (٤)

هـ - والفرقة الخامسة من الزيدية فرقة منحرفة ، فهم يبتزّون من أبي بكر وعمر ، ولا يُنكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة (٥) .

و - المعقوبية : والفرقة السادسة من الزيدية هم المعقوبية ، أتباع رجل اسمه يعقوب يقولون بإمامة أبي بكر وعمر ، ولكنهم لا يبتزّون ممن تبرأ منهما (٦) ، وينكرون رجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، ويبتزّون ممن دان بها ، وهم يتفقون على تقدّم عليّ وتقدّمه على أبي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنهما ، ولا الطعن على أحد من الصحابة رضي الله عنهم (٧) .

-
- (١) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ١٤٤ .
 - (٢) التبصير في الدين : ص ٣٣ .
 - (٣) الفرق بين الفرق : ص ٢٤ .
 - (٤) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ١٤٥ .
 - (٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها .
 - (٦) الفرق بين الفرق : ص ٢٤ ، ومقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ١٤٥ .
 - (٧) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، وانظر : مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ١٤٥ .

هذه هي فرقة الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ، تبتدو معتدلة في آرائها بصورة عامة ، وزعيمها زيد بيدولنا رجلاً مستقيماً لم يثر على الأموهين لهسدف رنيوتى وإنما غضباً لدين الله وللمسلمين بدُّنا على ذلك أنه قال لأتباعه عندما سأله عن رأيه في أبي بكر وعمر : " إني لا أقول فيهما إلا خيراً ، وما سمعتُ أبي يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار " (١) .

ولما كان زيد زعيم الزيدية أخذ آراءه من واصل بن عطاء وتلمذ له كثيراً ، فقد عدَّ الملقب معتزلة بغداد من الزيدية ، وبتن أنهم يقولون بإمامة المفضول مع وجود الأفضل ، وأن علياً كرم الله وجهه أفضل الناس بعد الرسول الكريم ، لا يسبقه بالفضل أحد من الأئمة (٢) ، وهم يخالفون غيرهم من الشيعة مخالفة جوهرية ، وذلك بقولهم إن الرسول الكريم لم ينص على علي ، بينما يرى غيرهم من الشيعة أن الرسول عليه الصلاة والسلام نص على علي على أنه الخليفة بعده وأن الصحابة اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبي ، وهذا حمل المسلمين على أن يطلقوا على هؤلاء اسم الروافض (٣) . ولعل هذه الصلة الوثيقة بين الزيدية والمعتزلة هي ما حمل آدم منز على القول : " أما من حيث العقيدة والمذهب فإن الشيعة هم ورثة المعتزلة " (٤) .

٣ - الإمامية :-

الفرقة الثالثة من الشيعة هم الإمامية . ويتضح لنا مدلول هذه الفرقة ما يقوله الشيخ المفيد وهو من زعماء الامامية " فأما السنة للمذهب بالإمامة ، ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية ، فهو علم على من دان بوجود الإمامة ووجودها في كل زمان ،

- (١) الفرق بين الفرق : ص ٢ ، وانظر : التبصير في الدين : ص ٣٣ - ٣٤ .
- (٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : ص ٣٤ .
- (٣) الفضل في الطل والأهواء والتحل : ص ٧٦ .
- (٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ج ١ ، ص ١٠٦ .

وأوجب النَّصَّ الجَلِّيَّ والعصَّةَ والكمالَ لكلِّ إمام، ثم حصر الإمامة في وُلْدِ الحسين بن عليٍّ عليهما السلام، وساقها إلى الرضا عليٍّ بن موسى (١)، فهم يقولون بإمامة عليٍّ بعد الرسول الكريم، وذلك بنص ظاهر جليٍّ من الرسول، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، ولم يكن في الدِّين شيءٌ أهم من تعيين الإمام، لأن الرسول الكريم لا يجوز أن يترك الأُمَّة هملًا يرى كلَّ واحدٍ منهم رأياً، ويسلك كلَّ واحدٍ منهم سبيلاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يمتنَّ شخصاً هو المرجوع إليه، وقد عيَّن الرسول الكريم عليّاً في مواضعٍ تعريضاً وفي مواضعٍ تصریحاً، أمّا التعريض فمِثْلُ إرْسَالِ الرسول الكريم أبا بكر ليقرأ سورة براءة، ثم أتبعه بعليٍّ ليقراها (٢)، ومنها أدلة أخرى ذكرها الرسول الكريم بصورة صريحة، ومنها حديث غدبرختم، وقد سبق أن تحدّثنا عنه في موضوع الإمامة.

وقد كَفَّرَ الإمامية الصحابة ووقموا فيهم، ومعظمهم يسوقون الإمامة إلى الأئمة الاثني عشر، وهم يروون أنّ الدار دار كفر حتى لو أن رامياً رمى بجامع من الجوامع لم يقع على مسلم، وأنّ سكوتهم للتقية والمداراة (٣).

ونلاحظ ظلم الإمامية للصحابة بطعنهم فيهم وتكفيرهم، علماً بأنّ القرآن الكريم شهد بعقد النبيّ عندما قال تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة (٤)" وأثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار عندما قال: "لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين أتبعوه في ساعة العسرة (٥)"، وهذا دليل على عظم قدرهم عند الله تعالى (٦).

-
- (١) أوائل المقالات: ص ٤٢.
 - (٢) الملوك والنحل: ج ٢، ص ٢.
 - (٣) البدء والتاريخ: ص ١٢٧.
 - (٤) سورة الفتح: الآية ١٨.
 - (٥) سورة التوبة: الآية ١١٧.
 - (٦) الملوك والنحل: ج ٢، ص ٤.

وقد اختلف الإمامية في تعيين الأئمة بعد عليّ والحسن والحسين وعليّ بسنن الحسين، وكثرت اختلافاتهم، وهم يتفقون في سؤقي الإمامة إلى جعفر الصادق، ولكنهم يختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده الستة، محمد وإسحاق وعبد الله وإسماعيل وموسى وعليّ (١). وقد انقسمت الإمامية إلى فرقتين عديدة هي :

١ - الباقرية والجعفرية الواقعة : هؤلاء قالوا إنّ الإمامة كانت في ولد عليّ كرم الله وجهه، فهم يسوقونها من عليّ في أولاده إلى محمد بن عليّ بن الحسين المعروف بالباقر، ويقولون إنّ عليّاً نصّ على إمامة ابنه الحسن والحسن نصّ على إمامة أخيه الحسين، ونصّ الحسين على إمامة ابنه عليّ بن الحسين زين العابدين، ونصّ عليّ على إمامة محمد بن عليّ المعروف بالباقر، وزعموا أنّه هو المهديّ المنتظر بما زعموه من أنّ الرسول الكريم أخبر جابر بن عبد الله أنّه سيطول عمره ويدرك أئامه، وقال لجابر اقرأ مني عليه السلام، وقالوا إنّ جابراً قد عمي في آخر عمره، فناولته جارية صبيّاً صغيراً بينما كان يمشي في المدينة، وقالت له هذا محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ فقبّل جابر رأسه وأبلغه سلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومات جابر في تلك الليلة (٢)، وبمردّ البغداديّ على هؤلاء بأنّ الرسول الكريم قال لعمر وعليّ : أقرنا أو نساغني السلام، ولم يوجب ذلك كونه المهديّ المنتظر، فإنّه استشهد في حرب صفين، وقد تواترت الروايات بموت الباقر، والتسليم عليه لا يوجب كونه المهديّ المنتظر، فأويس والباقر توفيا، ولا يصحّ انتظار أحد منهما بعد وفاته (٣).

وقد توقّف بعض الباقرية على وفاة الباقر، وقال برجعتهم، وتوقّف بعضهم على إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، وهو ذو علم وبرين وورع وزهد في الدنيا،

(١) الجليل والنحل : ج ٢، ص ٤-٥٥.

(٢) القرقي بين الفرق : ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه : ص ٣٨، والتبصير في الدين : ص ٤٠.

مكت في المدينة مدة يفيد الشيعة المنتسبين إليه، وبعد ذلك ذهب إلى العراق ومكث به مدة، ولم يناع في الإمامة والخلافة، وتبرأ ما كان ينسبه الرافضة إليه (١) وقد تبرأ أيضاً من مقالات الرافضة من القول بالقيية والرجعة والبدع والتناسخ وغيرها، وقد نسب الشيعة إليه مقالات هو منها بربى (٢)، كما اعتبره الباقرية المهدي المنتظر، وقالوا إنّه لم يموت ولن يموت ولكنه غائب (٣).

٢ - الناووسية : هم أتباع رجل يقال له ناوس، وهو من أهل البصرة قيل إنّه كان يُنسب إلى ناوس فيها (٤)، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنصر الباقر عليه، ويزعمون أنّه لم يموت، وأنه المهدي المنتظر (٥)، ورووا عنه أنّه قال : " لو رأيتم رأسي يدهسه عليكم من الجبل فلا تصدقوا فإني صاحبكم صاحب السيف (٦)، ومنهم من زعم أنّ علياً حيّ وستنشق الأرض عنه فيملأها عدلاً (٧). وقد انضم إليهم جماعة من السبئية وزعموا جميعاً أنّ جعفرًا كان يعلم جميع ما يحتاج إلى علمه من الدين أو الدنيا فسي العقلية والشرعية، فإذا سُئل الواحد عن رأيه في القرآن أو الرواية أو غيرها يقول : أقول فيها ما كان يقول جعفر الصادق . وكانوا لا يعرفون ما كان يقول (٨).

(١) الملل والنحل : ج ٢، ص ٥٠.

(٢) المصدر نفسه : ج ٢، ص ٦٠.

(٣) اعتقادات فرقة المسلمين والمشرّكين : ص ٥٣.

(٤) الملل والنحل : ج ٢، ص ٦٠، والفرق بين الفرق : ص ٣٩.

(٥) الفرق بين الفرق : ص ٣٩، والتبصير في الدين : ص ٤٠، واعتقادات فرق المسلمين

والمشرّكين : ص ٥٣.

(٦) الملل والنحل : ج ٢، ص ٦٠.

(٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .

(٨) الفرق بين الفرق : ص ٣٩، والتبصير في الدين : ص ٤٠ - ٤١.

٣ - الأفضحية : قالت هذه الفرقة بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفتح ، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه ، فأثمها هي فاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن علي ، وكان أكبر أولاد الصادق سناً وزعموا أنه قال : الإمامة في أكبر أولاد الإمام ، وقال : الإمام من مجلس مجلسي . وهو الذي جلس مجلسه ، والإمام لا يفسله ولا يهتلي عليه ، ولا يأخذ خاتمه ، ولا يواريه إلا الإمام ، وهو الذي تولى ذلك كله ، ورفع الصادق إلى بعض أصحابه رديعة ، وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه ، وأن يتخذها إماماً ، وما طلبها منه أحد إلا عبد الله ، ومع ذلك لم يعش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ، ومسات ولم يعقب ولداً ذكراً (١) .

ونجد لهذه الفرقة أسماءً أخرى ، فالخنداري يسميهم العمارة (٢) ، وكذلك يسميهم الإسفراييني أيضاً (٣) .

٤ - الشَّهْبِطِيَّة : وهم أتباع يحيى بن شبيب ، قالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه محمد بن جعفر (٤) . وقد ساقوا إليه الإمامة من طريق النخس ، وأقرؤا بموت الصادق ، وقالوا إنّه أوصى بالإمامة إلى ابنه محمد . وقد أداروا الإمامة في أولاد محمد بن جعفر ، وزعموا أنّ المهدي المنتظر من ولده (٥) .

٥ - الموسوية أو المفضلية : هذه الفرقة قالت إن الإمامة صارت بعد جعفر إلى ابنه موسى بن جعفر تماً عليه بالاسم ، حيث قال الصادق : سابعكم قائمكم ، وقيل صاحبكم قائمكم ، ألا وهو سمي صاحب التوراة ، وعندما رأى الشيعة أنّ أولاد الصادق متفرقون - فبعضهم مات في حياة أبيه لم يعقب ، وبعضهم مُخْتَلَفٌ في موته وبعضهم قائم بعد موته

(١) الطلل والنحل ج ٢ ، ص ٧٠ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق : ص ٣٩ .

(٣) انظر : التبصير في الدين : ص ٤١ .

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٥٤ ، والطلل والنحل ج ٢ ، ص ٧٠ .

(٥) الفرق بين الفرق : ص ٣٩ ، والتبصير في الدين : ص ٤١ .

مُدَّةً قَلِيلَةً وَلَمْ يَمُتْ - رَجَعُوا إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ لِأَنَّهُ كَانَ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى الْأَمْرَ، وَقَامَ بِهِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَتَرَوِي الْمَوْسِيَّةُ أَنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَصَّ عَلَى أَنَّ ابْنَهُ مُوسَى هُوَ الْقَائِمُ وَهُوَ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ، وَقَالُوا إِنَّ مُوسَى لَمَّا خَرَجَ وَطَلَبَ الْإِمَامَةَ حَمَلَهُ الرَّشِيدُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَحَبَسَهُ عِنْدَ عَيْسَى بْنِ جَعْفَرٍ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى بَغْدَادَ، وَحَبَسَهُ فِيهَا، وَقِيلَ إِنَّ بَحِيثَ بْنَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ سَمَّهُ فِي رُطْبٍ فُتِلَّ بِهِ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ، ثُمَّ أُخْرِجَ وَدُفِنَ فِي بَغْدَادَ فِي مَقَابِرِ قَرِيشٍ، ثُمَّ اخْتَلَفَ الشَّيْخَةُ بِمَعْدِ مَوْتِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا نَدْرِي أَمَاتَ أَمْ مَا زَالَ حَيًّا، وَهُوَ لَا يُقَالُ لَهُمُ الْمَطْوُورَةُ، وَقَدْ سَاهَمَ بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَلَابٌ مَطْوُورَةٌ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْكَلَابِ الَّتِي ابْتَلَتْ بِالْمَاءِ وَالنَّاسَ يَطْرُدُونَ وَنَهُمُ (١). وَيُعْتَبَرُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بِذَلِكَ عَنْ ذُلِّهِمْ وَهُوَ فِيهِمْ عَلَى النَّاسِ.

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ شَكَّ هُوَ لَا الْمَطْوُورَةَ فِي إِمَامَةِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ جَهْلٌ وَضَلَالٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَشْهُورَ بَيْنَ الْمَوْرُثِينَ - وَكَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ - أَنَّ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ تَوَفَّى وَدُفِنَ فِي بَغْدَادَ فِي مَقَابِرِ قَرِيشٍ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَشْهُورًا مَشْهُورًا بِبُزَارٍ، كَمَا أَنَّ شَكَّهُمْ فِي مَوْتِ مُوسَى يُحْتَمُّ عَلَيْهِمْ أَنَّ يَشْكُو فِي إِمَامَتِهِ كَمَا شَكُّوا فِي حَيَاتِهِ.

٦ - الْقِطْعَةُ: سَمَّوْا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ سَاقُوا الْإِمَامَةَ بَعْدَ جَعْفَرٍ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى، ثُمَّ قَطَعُوا بِمَوْتِ مُوسَى وَقَالُوا إِنَّ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الرَّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاسِمِ، وَهُوَ لَا يُدْعَوْنَ الْإِثْنِي عَشْرَةَ لِأَنَّهُمْ ادَّعَوْا أَنَّ الْإِمَامَ الْمُنْتَظَرَ هُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ أَبْنَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي سَيِّئِهِ عِنْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، فَبَعْضُهُمْ قَالَ: كَانَ عَمْرُهُ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَقَالَ آخَرُونَ كَانَ عَمْرُهُ ثَلَاثِينَ أَعْوَامًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ كَانَ إِمَامًا، وَأَدَّى الطَّاعَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَانَ عَالِمًا بِجَمِيعِ مَعَالِمِ الدِّينِ وَقَدْ غَابَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِالْخُرُوجِ فَيَخْرُجُ حَيًّا (٢)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ

(١) الطَّلُّ وَالنَّحْلُ: ج ٢، ص ٧، وانظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٥٥.

(٢) التبصير في الدين: ص ٤٢.

الوقت إماماً بمعنى أنّ الإمام لا يكون غيره، وكان العلماء من أهل مذهبه هم الذين يتولّون الأحكام أنثني إلى أوان بلوغه، فلما بلغ تحققت إمامته، وبذلك فهو الآن الإمام الواجب الطاعة وإن كان غائباً (١) .

وقد ساق هؤلاء الاثنا عشرية الإمامة بعد موسى في أولاده، فقالوا: الإمام بعد موسى علي الرضا ومشهده بطوس وبعده محمد التقي، وهو في مقابر قریش، ثم بعد عليّ ابن محمد التقي ومشهده بقم، وبعده الحسن العسكري الزكي وبعده ابنه القائم المنتظر، وهو يستر من رأى وهو الثاني عشر، وهناك اختلافات جرت بينهم. فمن الشيعة من قال بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه عليّ الرضا، ومنهم من قال بإمامة علي بن موسى الرضا، وهؤلاء شكوا في محمد بن عليّ لأن أباه مات وهو صغير غير مستحق للإمامة، ولا يعلم مناهجها، فثبت قوم على إمامته واختلفوا بعد موته، فقال قوم بإمامة موسى بن محمد، وقال قوم بإمامة علي بن محمد، ويقولون هو العسكري (٢) .

ومنهم من قال إنّ الإمامة انتقلت بعد الحسن العسكري إلى أخيه جعفر (٣) ، وقالوا: إنهم امتحنوا الحسن فلم يجدوا عنده علماً، ولقبوا من قال بإمامة الحسن الحماريّة، وقوّوا أمر جعفر بعد موت الحسن، واحتجوا لذلك بأن الحسن مات ولم يعقب، فبطلت إمامته، لأن الإمام لا يكون إلا وله عقب، وأخذ جعفر ميراث الحسن، وتشتتت كلمة من قال بإمامة الحسن، وتفرقوا أصنافاً كثيرة، فثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر، ورجع إليه كثيرون من الذين قالوا بإمامة الحسن، وقالوا بعد الحسن بإمامة عليّ بن جعفر وفاطمة بنت عليّ، وقال آخرون بإمامة عليّ بن جعفر دون فاطمة (٤) .

وهناك فرقة أخرى قالت إنّ للحسن ابناً، وليس الأمر على ما ذكر من أنه مات ولم يعقب، وقد ولد قبل وفاة أبيه بسنتين، فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الأعداء، واسمه

(١) الفرق بين الفرق: ص ٤٠ .

(٢) الملل والنحل: ج ٢، ص ٨ .

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص ٥٥ .

(٤) الملل والنحل: ج ٢، ص ٩٠ .

محمد، وهو الإمام القائم المنتظر. وقالت فرقة أخرى إنَّ للحسن ابناً، ولد بعد موته
بثمانية أشهر، وقول من ادعى أنه مات وله ابن غير صحيح لأنَّ ذلك لم يخف - وفرقة
أخرى قالت إنَّ الحسن توفي ولا ولد له، وكذبوا ما ادعى من الحمل في سرية له، وشبهت
أنَّ لا إمام بعد الحسن، وهذا أمر معقول وجائز، وهو أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض
وهي حقيمية لا إمام فيها، والأمر اليوم بلا إمام كما كان الحال قبل مبعث الرسول عليه.
الصلاة والسلام. وقالت فرقة أخرى إنَّ الحسن قد مات، واختلف الناس ههنا -
الاختلاف، وقد ولد له ولد، وقالوا إنَّهم لا يدرون أوليد قبل موته أم بعده إلا أنَّهم يعلمون
علم اليقين أنَّ الأرض لا تخلو من حجة، وهو الإمام الغائب، ولذا فهم يتولَّونه ويتمسَّكون
باسمه حتى يظهر. وقالت فرقة أخرى إنَّ الحسن قد مات، ولا بدَّ للناس من إمام، لكنَّهم
لا يدرون أهو من ولده أم من ولد غيره، وهناك فرقة أخرى قالت إنَّهم يقطعون في الرضا
ويقولون بإمامته، وإنَّهم يتوقفون في كل موضع اختلف الشيعة فيه إلى أن يُظهر الله تعالى
الحجة بصورته فلا يشكَّ في إمامته من رآه ولا يحتاج إلى كرامة ومعجزة. بل معجزته في
اتباع الناس بأسرهم إمامه من غير منازعة فاعفة، فهذه جُطبة فرقة الاثني عشرية (١).

ويتحدَّث الشهرستاني عن رأي الاثني عشرية في غيبة المهدي المنتظر، فيذكر
أنَّ العجيب هو أنَّهم قالوا إنَّ الغيبة امتدت مائتين ونيّف وخمسين سنة، وصاحبنا قال :
إن خرج القائم وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم، ويقول الشهرستاني : ولسنا
ندري كيف ينقضي مائتان وخمسون سنة في أربعين، وهو لاء إذا سُئلوا عن مدّة الغيبة
قالوا إنَّ الخضر والياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف السنين دون طعام
أو شراب، فلماذا لا يجوز ذلك على أحد من أهل البيت؟ ويؤمن الشهرستاني أنَّه
يمكن الرد عليهم في ذلك بأن يقال لهم إنَّه مع اختلافهم هذا لا يصحُّ لهم دعوى الغيبة،
ثم الخضر عليه السلام مكلف بضمان جماعة والإمام عندهم ضامن مكلف بالهداية والعدل،
والجماعة مكلفون بالاعتداء به والاستئان بسنته، وكيف يُقتدى بمن لا يرى؟ ولهذا صارت
الإمامية متمسكين بالعدل في الأصول، وبالمشبهة في الصفات، حائرين كما يرى الشهر
ستاني (٢). ويضيف إلى ذلك أنَّ هؤلاء القائلين بإمامة المهدي لا يستحيون منهم

(١) العبد والنحل : ج ٢، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه : ج ٢، ص ١١.

يَدْعُونَ فِيهِ أَحْكَامَ الْإِلَهِيَّةِ ، فَأَوْلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : " وَقُلْ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ -
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرَدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ (١) " بقولهم هو الإمام المنتظر
الذي يُرَدُّ إِلَيْهِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيَدْعُونَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَغِيبُ عَنَّا وَيُخْبِرُنَا بِأَحْوَالِنَا حَيْثُ
يَحَاسِبُ الْخَلْقَ (٢) .

ونحن نلاحظ من آراء الاثني عشرية هذه أنهم وقعوا في الضلال حين قالوا
إنَّ الإمام هو الذي سيحاسب الخلق وإته يرد إليه علم الساعة ، علماً بأن الرسول الكريم
لم يكن يعلم الساعة ، وقد قرّر الله تعالى هذا بقوله مخاطباً الرسول الكريم : " يسألونك
عن الساعة أيّان مرساها ، فيم أنت من ذكرها . إنّما أنت منذر من يخشاها (٣) " ، فهين
لرسوله الكريم أنّ علم الساعة بما اختصّ به الله تعالى وليس ذلك لأحد من خلقه ، ومعلوم
أنّه لو كان بشراً يعلم علم الساعة لكان الرسول صلى الله عليه وسلّم أولى الناس بذلك .
ولم يتوقف الأمر عند قول الاثني عشرية بعلم الإمام المنتظر علم الساعة وإنّما
يقول بعضهم - كما يذكر السمعاني - إنّ الإمام المنتظر هو الله ، ويقولون إنّ المهديّ
المنتظر إذا خرج لا يُقبل إيمان من لم يكن قد آمن به من قبل ، ويدلّلون على ذلك بقوله
تعالى : " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (٤) " .

٧ - الإسماعيلية الواقفية : والفرقة السابعة من الإمامية هم الإسماعيلية الواقفية ،
وهم يقولون إنّ الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر نصّاً عليه باتفاق من أولاده ، ولكنهم
اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال إنّ له لم يموت ، ولكنه أظهر موته تقيّة
من خلفاء العبّاسيين (٥) ، وإسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ، وهو القائم لأنّ أباه
أشار إليه بالإمامة بعده ، والإمام لا يقول إلّا الحق ، فلما ظهر موته علمنا أنّه قد صدق ،

(١) سورة التوبة : الآية ٩٤ .

(٢) العنكبوت والنحل : ج ٢ ، ص ١١١ .

(٣) سورة النازعات : الآيات ٤٢-٤٥ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥٨ ، وانظر : الأنساب ، ص ١١٦ .

(٥) العنكبوت والنحل : ج ٢ ، ص ٥٣ ، والفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقيت : ص ٥٣ .

وأنه لم يمت، وأنه القائم، وهذه الفرقة هم الإسماعيلية الخالصة (١)، وقال بعضهم إنَّ إسماعيل مات في حال حياة أبيه، ونص الإمام عليه كي تنتقل الإمامة منه إلى أولاده (٢). وقد استدلت الإسماعيلية الخالصة القائلون بعد وفاته على أنَّ إسماعيل لم يمت بما روي من أنَّ محمداً كان صغيراً، وهو أخوه لأمه، ذهب مرة إلى السرير الذي كان إسماعيل نائماً عليه ورفع الملاءة عن وجهه فأبصره، وقد فتح عينيه، فمضى نحو والده فرعاً وهو يصيح، ويقول: عاش أخي، عاش أخي، فقال والده: إنَّ أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة. قالوا: والإمام بعد إسماعيل هو محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدأ منه دور الأئمة الصتورين الذين كانوا يسلمون في البلاد ويظلمون — الدعاة جَهراً. وقالوا إنَّ الأرض لن تخلو أبداً من إمام حتى قاهر، إنما ظاهر مكشوف وإمام باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهراً يجوز أن يكون دعائه مستورين، أما إذا كان مستوراً فيجب أن يكون دعائه وحجته ظاهرين (٣).

ومن آراء الإسماعيلية أنَّ الله تعالى ليس بموجودٍ ولا معلوم، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع صفاته تعالى لأنَّ إثبات شيء منها يؤدِّي إلى الاشتراك بينه وبين سائر الموجودات، وهو تشبيه، والنفي العطلق يفضي إلى مشاركته للمعدومات، بل الله تعالى هو واهب هذه الصفات وربِّ المتضادات، ولذا كان بعض زعمائهم يحرصون على ألا يقرأ العائنة كتبهم خشية أن يطلعوا على فضائحهم (٤)، ولإسماعيلية سبعة ألقاب هي:

أ — الباطنية: وجاءت تسميتهم هذه من زعمهم أنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنَّ المراد منه الباطن لا الظاهر، وأنَّ باطنه يقتضي ترك العمل بالظاهر وموَدَّة إليه (٥).

(١) فِرَق الشيعة: ص ٥٨، والبطل والنحل ج ٢، ص ٢٥٥.

(٢) البطل والنحل: ج ٢، ص ٢٥٥.

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما.

(٤) الفِرَق الإسلامية، ذيل كتاب المواقف ص ٥٦.

(٥) المصدر نفسه: ص ٤٩.

ب - القرامطة : وقد سُموا بذلك لأن أوَّل من أسرَّ دعوتهم كان حمدان بن قرمط (١)، وقد وصف الشيخ الصدوق القرامطة بقوله : " وأما القرامطة فقد نقضت الإسلام حرفاً حرفاً لأنها أبطلت أعمال الشريعة، وجاءت بكلِّ سفسافية، وإنَّما الإمام إنَّما يُحتاج إليه للدين وإقامة حُكْمِ الشريعة، فإذا جاءت القرامطة تدَّعي أنَّ جعفر بن محمد أو وصيه استخلف رجلاً دعا إلى نقض الإسلام والشريعة والخروج عما عليه طبائع الأئمة لم تحتج في معرفة كذبهم إلى أكثر من دعوهم المتناقض الفاسد الركيك (٢) .

فهذا - كما نلاحظ - هجوم من الشيخ الصدوق على القرامطة وبيان خروجهم على الإسلام وكذبهم على الأئمة الأطهار من آل البيت، ولا يستطيع الواحد منا أن يتصور أو يصدِّق أن يقوم أحد هؤلاء الأئمة بتعيين من يهدم عرى الإسلام . فأصل دعوة القرامطة يقوم على هدم الإسلام ودخض نواميس الدين (٣) .

ج - الخرمية : وهو اللقب الثالث من ألقاب الإسماعيلية، وقد سُموا بذلك لأنهم أباحوا المحرمات ونكاح ذوات المحارم، وخرموا قواعد الشرع وخالفوها، وكانوا يسمون خرمدينية وخرم لفظ أعجمي يدل على ما يرتاح إليه الإنسان برويته (٤) .

د - السبعية : وقد سُمي الإسماعيلية بذلك لأنهم قالوا إن الرسل الناطقين بالشرائع سبعة وهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدي سابع النطقاء، وأنَّ بيِّن كلِّ اثنين من هؤلاء سبعة نطقاء يتمون شريعة من سبقهم من النطقاء، وأنه لا بد للناس في كلِّ عصر من سبعة بهم يُعرف الدين وبهم يُقتدى ويُهتدى وهم متفاوتون في الرتبة . وأولهم الإمام وهو غاية الأدلة إلى دين الله تعالى، والسذي

(١) حمدان بن قرمط، زعيم القرامطة، ظهرها بسواد الكوفة سنة ٢٧٨ هـ، ولهم

آراء منحرفة . (انظر: الكامل في التاريخ : ج ٧، ص ٤٤٤-٤٤٩) .

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة : ص ١٠٠ .

(٣) الفرق الإسلامية، ذيل كتاب المواقف : ص ٥٣، وانظر : كشف أسرار الباطنية وأخبار

القرامطة : ص ١٩٨ .

(٤) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٩-٥٠ .

يُؤْتَى عن الله تعالى . وثانيهم : الحجة وهو الذي يُؤْتَى عن الإمام وبِحَمَلِ علمه . وثالثهم ذو العصّة ، وهو الذي يعتصم العِلْم من الحجة، أي يأخذه منه والباقي الأبواب، والباب هو الداعي . والمؤمن هو الذي يتبع الداعي ويدخل في حزب الإمام وشيعته (١).

هـ - البابكية : عُرِفَ الإسماعيلية بهذا الاسم لأن طائفةً منهم خَرَجُوا مع بابك الخُرَمي (٢) في ناحية أذربيجان .

و - المحمّرة : وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأنّهم لبسوا الحمرة في أيام بابك الخُرَمي وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لسبب آخر هو أنّهم يستقون مخالفيهم من المسلمين حمراً (٣).

ز - والاسم الأخير لهم هو الإسماعيلية : وقد قال بعض الإسماعيلية إنّ الإمامية انتهت بعد وفاة إسماعيل إلى ابنه محمد بن إسماعيل ، وهو لا يُسمون المباركة .

والإمامية بشكل عام يزعمون أنّ المصنومين منهم أربعة عشر، وأن الأئمة اثنا عشر، ويقولون إنّ الخلق كفروا بعد الرسول الكريم إلا علماً وفاطمة والحسن والحسين والزبير وعماراً وسلمان الفارسي وأبا ذرّ وقليلاً غيرهم (٤) . وبعد أن يذكر الرازي بعض آرائهم قال : " وهذا الذي ذكرناه في الإمامة قطرة من بحر (٥) . وهذا يدلنا على كثرة الخلط في الآراء والمعتقدات الذي وقع فيه الإمامية ، وعلى أنّ فرقهم كانت تتميز في معتقداتها وآرائها بعضها عن بعض .

(١) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص (٥٥) .

(٢) بابك الخُرَمي : ابتداء أمره سنة (٢٠١ هـ) وقد ثار على الدولة العباسية ، وعم شرّه إلى أنّ أرسل إليه المعتصم قائد الأفشين حيث انتصر عليه وقدم به إلى المعتصم فقتله وصلبه سنة ٣٢٣ هـ (انظر : الكامل في التاريخ : ج ٦ ، ص ٣٢٨ ، ٤٧٧ هـ) .

(٣) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص (٥٥) .

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين : ٥٦ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٤ - الغلاة :-

والفئة الرَّابِعَةُ الأَخِيرَةُ من فِرْقِ الشَّيْعَةِ الأَصُولِ هم الَّذِينَ يُطَلَقُ عَلَيْهِمُ اسْمُ الغُلَاةِ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِمُ هَذَا الاسْمُ لِأَنَّهم عَلَّوْا فِي أَثْمَتِهِمْ فَأَخْرَجُوهم إِلَى حَسَدِ الأُلُوهِةِ، فَرِيماً شَبِهُوا الوَاحِدَ مِنْهم بِالإِلهِ، وَأَحْيَاناً بِشَبِيهِونِ الإِلهِ بِالْخَلْقِ، وَقَدْ نَشَأَتْ شُبُهَاتِهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ التَّنَاسُخِةِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَالْيَهُودُ شَبَّهتِ الخَالِقَ بِالْخَلْقِ، وَالنَّصَارَى شَبَّهتِ الخَلْقَ بِالْخَالِقِ، فَسَرَى ذَلِكَ إِلَى غِلَاةِ الشَّيْعَةِ حَتَّى جَعَلُوا لِلأَسْمِ بَعْضَ الأحْكَامِ الإِلَهِيَّةِ. وَلِهَوِّءِ الغِلَاةِ بَدَعَ أَرَبَعٌ هِيَ: التَّشْبِيهِ، وَالبِدَاعُ، وَالرَّجْمَةُ، وَالتَّنَاسُخُ، وَلِهِمُ ألقَابٌ مُخْتَلِفَةٌ تَطْلُقُ عَلَيْهِمُ مِنْهَا المَبِيضَةُ، وَهم يُسَمَّوْنَ بِهَذَا الاسْمِ فِيمَا وَرَاءَ النَهْرِ^(١) وَيُنْقَسِمُ الغِلَاةُ إِلَى فِرْقٍ مُتَعَدِّدَةٍ هِيَ:

١ - السَّيِّئِيَّةُ: وَهم أَتْبَاعُ عَبْدِاللهِ بْنِ سَبَأٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الطَّمَنَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالصَّحَابَةَ وَتَبَرَّأَ مِنْهم، وَقَدْ ادَّعَى أَنْ عَلِيّاً أَمْرُهُ بِذَلِكَ^(٢)، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَهُودِيّاً فَأَسْلَمَ وَوَالَى عَلِيّاً، وَكَانَ وَهُوَ عَلَى دِينِ اليَهُودِيَّةِ يَقُولُ فِي يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَصِيٍّ مُوسَى بِمِثْلِ مَقَالَتِهِ فِي عَلِيٍّ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ شَهِدَ بِالقُرْضِ فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ وَكَفَّرَ مُخَالَفِيهِ وَأَظْهَرَ البِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِهِ^(٣)، وَلِهَذَا قَالَ مُخَالَفُو الشَّيْعَةِ إِنَّ أَسْلَ الرِّقْضِ مَأْخُودٌ مِنَ اليَهُودِيَّةِ^(٤).

وَهَكَذَا كَانَ ابْنُ سَبَأٍ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالعُلُوِّ فِي أَيَّامِ عَلِيٍّ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ وَهُوَ يَخْطُبُ: أَنْتَ أَنْتَ، بِعَمْنَى أَنْتَ إِلهُ، فَنَفَاهُ عَلِيٌّ إِلَى المَدَائِنِ، وَقَدْ اسْتَبَابَ عَلِيٌّ قَوْمًا كَانُوا عَلَى رَأْيِ ابْنِ سَبَأٍ لِأَنَّهم اتَّخَذُوا عَلِيّاً رَبّاً وَهِيَ، وَتَوَعَّدَهُمُ لِأَنَّهم قَالُوا لَهُ أَنْتَ خَالِقُنَا وَرَازِقُنَا وَمُحِبُّنَا وَمَمِيتُنَا، فَحَفَرَ لَهُمُ عَلِيٌّ حَفراً، وَحَرَّقَهُمُ بِالنَّارِ وَقَالَ:

(١) الملل والنحل: ج ٢، ص ٢١٢.

(٢) المقالات والفرق: ص ٢٠.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها، والملل والنحل: ج ٢، ص ١٢.

(٤) المقالات والفرق: ص ٢٠، والملل والنحل: ج ٢، ص ١٢، والمواقف: ج ٨،

أَلَا تَرَوْنَ قَدْ حَفَرْتُ حَفَرًا إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا
وَقَدَّتْ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا (١)

وعندما حرقهم صاحوا قائلين " الآن ظهر لنا ظهوراً بيّناً أنك أنت الإله ، لأن ابن عمك الذي أرسلته قال : لا يحدّب بالنار إلا ربّ النار (٢) . وقد زعم أنصارهم بعد ذلك أنّ النّار لم تمسّهم، وإنّما صارت عليهم برداً وسلاماً كما صارت على إبراهيم (٣) .

ولم يُصدّق السبئية بوفاة عليّ - كرم الله وجهه - عند ما بلغتهم ، وقالوا إنّ عليّاً لم يموت ولن يموت حتى يملك الأرض ثم ذهبوا وأناخوا بباب عليّ واستأذنوا ، فقال لهم أهله وأصحابه أما علمتم أنّ أمير المؤمنين قد استشهد ، فقالوا إنّّه لن يموت حتى يسوق العرب بعصاه وسوطه كما ساقهم بحجته وبرهانه ، وهو يسمع النجوى ويلمع في الظلام كالسيف المصقول (٤) . ولم يُصدّق هؤلاء بوفاة عليّ - كرم الله وجهه - ، فعند ما أخبرهم بعض الناس بوفاته " قالوا : لو أتيتونا بدماعه في سبعين قارورة لم نُصدّق بموته ، فبلغ ذلك الحسن بن عليّ رضي الله عنهما فقال : فليم ورثنا ماله وتزوج نساءه (٥) .

وقد حاول السبئية أن يُفسّروا قتل عليّ - كرم الله وجهه - وذلك كي يوافقوا ما بين قتله الذي ثبت وعلم من المسلمين ، وادّعاهم بأنّه لم يقتل ولن يموت حتى يملك الأرض ، فقالوا إنّ الذي قتله ابن مُلجم كان شيطاناً تصوّر للناس بصورة عليّ ، أما عليّ فهو نسي السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وسينزل بعد هذا إلى الأرض فيملاؤها عدلاً كما مُلئت جوراً ، وهم يقولون لدى سماعهم الرقعة : وعليك السلام يا أمير المؤمنين (٦) . وبهذا كان السبئية أول من قال بالفية والرجعة ، كما قالوا بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة

-
- (١) شرح نهج البلاغة : ج ٥ ، ص ٥ ، وانظر : البدّ والتاريخ : ج ٥ ، ص ١٢٥ ، والتنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع : ص ١٨ .
(٢) شرح نهج البلاغة : ج ٥ ، ص ٦ ، والبدّ والتاريخ : ج ٥ ، ص ١٢٥ .
(٣) البدّ والتاريخ : ج ٥ ، ص ١٢٥ .
(٤) المقالات والفرق : ص ٢١ .
(٥) التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع : ص ١٨ .
(٦) المواقف : ج ٨ ، ص ٣٨٥ .

بعد عليّ ، وأنّ التناسخ كان يعرفه الصحابة وإن كانوا على خلاف في مراده ، فعمّر قال في عليّ عندما فقأ عين واحد في الحرم وبلغه ذلك : ماذا أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله ، وبذلك أطلق عليه عمر اسم الإلهية عندما عرف ذلك منه (١) .

وقد غالى السبئية في الأئمة فقالوا إنهم آلهة وملائكة ورسول وأنبياء ، كما قالوا بتناسخ الأرواح وإبطال البعث والحساب والقيامة والجنة والنار ، وقالوا إنّ القيامة إنّما هي خروج الروح من بدن ودخولها في آخر إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهم مسرورون في هذه الأبدان ومعذبون فيها ، والأبدان هي الجنات ، وهي النيران ، ومن الناس من يتحوّل في الأبدان المشوّهة وينقل فيها كلاباً وقردةً وخنازير وحيات ، فالأجسام هي جهنّمهم ونارهم وذلك على ما يكون منهم من عظيم الذنوب وكبرها مثل إنكارهم الأئمة ومعصيتهم ، ثم تسقط الأبدان وتخرّب ، وتتلاشى وتغنى ، وترجع الروح في قالب آخر منعم أو معذب ، وهذا هو معنى الرجعة عندهم ، فالأبدان قوالب ومنازل بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس فتبلى وتترك ، ولا يكون عليها ثواب ولا عقاب لأن ذلك يقع على الأرواح وحدها (٢) .

ولا يخفى على أحد كفر هذه الفرقة وضلالها لاؤها المنحرفة ، مثل إنكار البعث والحساب والجنة والنار وإنكار موت عليّ رحمه الله ، وإيمانهم بالتناسخ ، وتأليههم الأئمة .

٢ - الحربية : الفرقة الثانية من الغلاة هم الحرّية وهم أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ، كان مذهبهم في عليّ كمنهّب السبئية ، وقالوا في عليّ بعد ذلك إنّ إله الكون ، وإنّه اختفى عن أتباعه وتوارى من خلقه سخطاً عليهم (٣) ، وبعد ذلك زعموا أنّ روح أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية تحولت في زعيمهم ، وأنّ أبا هاشم نصر عليّ إمامته (٤) .

(١) الطيّل والنحل : ج ٢ ، ص ١٣ .

(٢) المقالات والفرق : ص ٤٥ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢١ .

(٤) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ٦٩ .

٣ - الكاطية : وهم أتباع رجل كان يعرف بأبي كامل ، وكان يزعم أنّ الصحابة كفروا بتركهم بيعة عليّ ، وكفّر عليّ بتركه قتالهم ، لأنّه كان يجب عليه أن يُقاتلهم كما قاتل أصحاب صفين (١) ، وكان يرى أنّ الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ، وهو فيني شخص يكون نُبوّة ، وفي آخر يكون إمامة ، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نُبوّة ، كما قال الكاطية بتناسخ الأرواح وقت الموت وهم بذلك يوافقون جمع الغلاة في هذا القول ، وهم يروون أنّ الله تعالى قائم بكلّ مكان ، ناطق بكلّ لسان ، ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنسى الحلول عندهم وعند الغلاة بصورة عامة ، وهو حلول قد يكون بجزء ، وذلك مثل إشراق الشمس في كوة ، وقد يكون بكلّ شيء وذلك كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان (٢) ، وهو لا كفرة ليتكفبرهم الصحابة ومنهم عليّ كرم الله وجهه .

٤ - البهانية : وهم أتباع بهان بن سميان النهديّ ، الذي كان يعمل تباّنا بالكوفة ، ثم ادّعى أنّ محمد بن علي بن الحسين أوصى إليه ، فقتله خالد بن عبد الله القسريّ القائد الأمويّ ، وصلبه وحرق خمسة عشر رجلاً من أصحابه (٣) . وقد زعم كثير من أصحابه أنّ أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نصّ عليّ إمامته . ونصّبه إماماً (٤) . وقد كانت لبهان وأتباعه آراء منحرفة مزلّلة ، منها قوله إنّ روح الله تعالى حلّت في عليّ ، ثم في ابنه محمد بن الحنفية ، ثم في ابنه أبي هاشم وأخيراً في بيان نفسه (٥) . وكان يقول هو وأصحابه إنّ الله سبحانه وتعالى يُشبه الإنسان ، وهو يهلك جميعه إلا وجهه ، مؤولين في ذلك قوله تعالى : " كلّ شيء هالك إلا وجهه (٦) .

(١) البطل والنحل : ج ٢ ، ص ٢١٣ ، والتبصير في الدين : ص ٣٨ ، والمعاصم والاعتبار :

ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٦٠ ، والمواقف : ج ٨ ، ص ٣٨٥ .

(٢) البطل والنحل : ج ٢ ، ص ١٣ .

(٣) المقالات والفرق : ص ٣٣ .

(٤) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ٦٨ .

(٥) المواقف : ج ٨ ، ص ٣٨٥ .

(٦) سورة القصص : الآية ٨٨ ، وانظر : المقالات والفرق : ص ٣٣ .

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْبَيْهَانِيَّةِ إِنَّ الْإِمَامَ الْمُنْتَظَرَ هُوَ أَبُو هَاشِمٍ وَلَا وَصِيَ بَعْدَهُ، وَقَدْ مَاتَ
وَسِيرَجُ فَيْمَلِكِ الْأَرْضِ، وَقَالُوا فِي ذَلِكَ فَادَّعَوْا أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ نَبَأٌ بَيْهَانًا عَنِ اللَّهِ، فَبَيَّانٌ نَبِيُّهُ،
وَتَأْوَلُّوا فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: « هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ » (١) وَأَدَّعَى بَيَّانُ النُّبُوَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي
هَاشِمٍ، وَكُتِبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ رَسُولَ
بَيَّانٍ فَأَكَّلَ كِتَابَهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ (٢). وَنَحْنُ نَلَاظِظُ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ مَدَى حِرْصِ آلِ الْبَيْتِ
الْكَرَامِ عَلَى نَقَاةِ الْعَقِيدَةِ وَصَفَائِهَا وَعَدَمِ رِضَاهُمْ عَمَّا يَأْتِي بِهِ الْعِلَاةُ الْكَاذِبُونَ مِنْ آرَاءِ
فَاسِدَةٍ وَأَكَاذِيبٍ كَثِيرَةٍ.

٥ - الْجَنَاحِيَّةُ : أَتْبَاعُ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ ذِي الْجَنَاحَيْنِ يَدْعِي عَبْدِ اللَّهِ بْنَ
مَعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالُوا إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا كَانَ يَدْعِي أَنَّ الْعِلْمَ بِنَبِيِّتِ فِئْتِ
قَلْبِهِ كَمَا تَنْبِتُ الْكُمَاةُ وَالْعُشْبُ، وَأَنَّ رُوحَ اللَّهِ تَعَالَى تَنَاسَخَتْ مِنْ آدَمَ حَتَّى حَلَّتْ فِيهِ،
وَقِيلَ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ نَبِيُّ وَآتِي إِلَاهٍ، وَلِذَلِكَ عَبَدَتْهُ شَيْعَةٌ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ تَكْفُرُ بِالْقِيَامَةِ وَتَسْتَحِلُّ
الْمَحَارِمَ كَالْمَيْتِ وَالخَمْرَ وَيَدَّعُونَ أَنَّ الدُّنْيَا لِأَخِيهِ، وَكَانُوا يَتَأْوَلُّونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: « لَيْسَ
عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِذَا مَا اتَّقَوْا وَأَمَنُوا » (٣). فَرَزَعُوا أَنَّ الْمَعْرِفَةَ
إِذَا حَصَلَتْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الطَّاعَاتِ وَاجِبًا (٤)، وَقَالُوا إِنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَحْرِيمِ
الْمَيْتِ وَاللَّدْمِ وَلَحْمِ الْخَنزِيرِ كِنَايَةٌ عَنِ قَوْمٍ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ بَغْضُهُمْ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ،
وَعُمَانَ وَمَعَاوِيَةَ، وَكُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا كِنَايَةٌ عَنِ يَلِزِمِ
مَوَالِيهِمْ مِثْلَ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَأَوْلَادِهِمْ (٥).

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٨ .

(٢) فِرْقَةُ الشَّيْعَةِ : ص ٣٠، والمقالات والفِرْق : ص ٣٧ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٩٣، وانظر : مقالات الإسلاميين : ج ١، ص ٦٨ .

(٤) اعتقادات فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ : ص ٥٩ .

(٥) المواعظ والاعتبار : ج ٢، ص ٣٥٢ .

٦ - المغيرة : أتباع المغيرة بن سعيد العجلي ، قيل إنّه كان يزعم أنّه نبيّ ، وأنّه يعلم اسم الله الأعظم (١) ، وقال إنّ الإمام المنتظر هو محمد بن غيد اللعين الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وكان ينتظر عودته ، وذكر لأتباعه أنّ جبريل وميكائيل يهايمسان محمداً بين الركن والمقام ، ويحيي لهم سبعة عشر رجلاً يعطي كلّ رجل بعض الحروف من الاسم الأعظم ، فهزموه الجيوش وملكون الأرض فلما قتل محمد قال بعض أصحاب المغيرة إنّ الخارج لم يكن محمداً ، وإنما هو شيطان تمثل للناس في صورة ، ومحمد هذا سيخرج ومالك الأرض (٢) .

هكذا جعل المغيرة الإمامة بعد محمد بن عليّ بن الحسين لمحمد بن عبد الله ابن الحسن ، وزعم أنه حتى لم يمّت ، وبعد الإمام محمد ادّعى المغيرة الإمامة لنفسه ، ثم ادّعى النبوة ، وفلا في حق الإمام عليّ ، ثم قال بالتشبيهة ، فقال إنّ الله سبحانه وتعالى صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء ، وهو على صورة رجل من نور على رأسه تساج من نور ، وله قلبٌ تنبع منه الحكمة (٣) ، وقال إنّ الله سبحانه وتعالى خلق المؤمنين من البحر النور والكفار من البحر المظلم ، وخلق ظلال الناس وأول ما خلق هو ظلّ محمد وعليّ ، ثم إنّ الله سبحانه وتعالى عرض الأمانة وهي منع عليّ من الخلافة على السماوات والأرض والجهال فابين ذلك ، فأمر عمر أبا بكر أن يتحمّل منع عليّ ذلك ، وأن يُعيّنه على الغدر به ، على أن يجعله خليفة من بعده ، فقبل منه أبو بكر ذلك (٤) .

وكان المغيرة قد خرج على خالد بن عبد الله القسريّ ، فارتبك خالد ، وخاف خوفاً شديداً ، حتى إنّّه قال وهو يخطب على المنبر - أطعموني ماءً (٥) . وبعد ذلك وعندنا علم خالد بأكاذيب المغيرة وضلالاته السابقة ، إضافة إلى ما زعم من أنّه يحيي الموتى ،

(١) مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٤ .

(٣) الليل والنّجوم : ج ٢ ، ص ١٤ ، وانظر : مقالات الإسلاميين : ج ١ ، ص ٢٢ .

(٤) الليل والنّجوم : ج ٢ ، ص ١٥ ، والمواقف : ج ٨ ، ص ٢٥٨ .

(٥) الحيوان : ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

وأكان يسيبه في كيفية ابتدائ الخلق، قتله خالد (١). وبعد وفاة المغيرة اختلف أصحابه، فمنهم من انتظر رجوعه، وبعضهم انتظر رجوع إمامه محمد بن عبد الله (٢).

وهكذا نجد أن هذه الفرقة كافرة، وهي من المشبهة الذين يصوّرون الله على أنه إنسان فيشبهونه بمخلوقاته. ويمكن الرد على المشبهة بأن الله تعالى لا يشبه مخلوقاته لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحوادث حكمها. وفي رأينا أن أقوى الأدلة على كذب المشبهة في دعواهم هو قوله تعالى: "ليس كمثل شيء" (٣).

٧ - المنصورية: وهم أصحاب رجل يقال له أبو منصور العجلي (٤)، دعا إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر، فتبرأ منه الباقر وطردته، وعند هذا دعا إلى نفسه وزعم أنه الامام (٥). وبعد وفاة الباقر، ادعى أن الامامة قد انتقلت إليه وتظاهر بذلك، وخرجت جماعة من أتباعه بالكوفة (٦). وكانت له أضراب وأكاذيب، من ذلك زعمه أنه عُجْر به إلى السماء ورأى معبوده، فأرسله إلى الأرض كي يبلغ الناس، وزعم أيضاً أن الرُّسُل لا تنقطع، وأن الجنة رجل أمرنا بموالاة وهو الإمام، والنار رجل أمرنا بمعاداة وهو خصم الإمام (٧). وزعم أن أول من خلقه الله تعالى هو عيسى عليه السلام، وبعد عيسى خلق علياً كرم الله وجهه، وكفر بالجنة والنار، واستحل المحارم كالخمر والميسر والتبتيق والدّم، وقال إن هذه أسماء رجال حرم الله علينا ولا يتهم، وأسقط الفرائض، واستحل

(١) مقالات الاسلاميين: ج ١، ص ٧٢-٧٣.

(٢) الملل والنحل: ج ٢، ص ١٦.

(٣) سورة الشورى: الآية ١١.

(٤) زعيم فرقة المنصورية، وببدا وأنه كان يعيش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، لأنه كان قد دعا إلى أبي جعفر الباقر، (انظر: مقالات الاسلاميين:

ج ١، ص ٧٤-٧٥).

(٥) مقالات الاسلاميين: ج ١، ص ٧٤-٧٥، والملل والنحل: ج ٢، ص ١٥.

(٦) الملل والنحل: ج ٢، ص ١٥.

(٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما.

خفق المنافقين وأخذ أموالهم (١).

وقد كان مصير أبي المنصور كمصير كثيرين غيره من أصحاب الضلالات والكفر، فقد قتلَه يوسف بن عمر الثقفي والي هشام بن عبد الملك، وكان ذلك بعد أن عَلِمَ بأضاليلِهِ وَخُبَيْثِ دَعْوِهِ (٢).

٨ - الخطابي: هم أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب، وهم يزعمون أن الأئمة أنبياء محدثون، ورسَل الله وحججه على خلقه، لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق هو محمد صلى الله عليه وسلم، والصامت هو عليّ كرم الله وجهه، وهم يعلمون كل شيء؛ كان وسيكون، ويجب على الخلق طاعتهم. وقالوا إن أبا الخطاب نبيٌّ، وإن أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعته، وقالوا إن الأنبياء آلهة، وولد الحسين أبناء الله وأحبائِهِ. ثم قالوا مثل ذلك في أنفسهم، وعهدوا أبا الخطاب، وزعموا أن جعفر ابن محمد إليهم أيضا (٣)، إلا أن أبا الخطاب أعظم منه ومن عليّ (٤). وقد خرج أبو الخطاب على أبي جعفر المنصور، فقتله عيسى بن موسى في سبخة الكوفة (٥).

وكان أبو الخطاب قد عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، فلما عرف الصادق غلوّه في حقّه تبرأ منه، وأمر أصحابه بالبراءة منه، وعندئذ ادّعى أبو الخطاب الأمر لنفسه (٦) وقال إن الأئمة أنبياء ثم آلهة، فجعفر بن محمد إله، وآباؤه آلهة (٧).

-
- (١) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٧٥.
 - (٢) المصدر نفسه، والجزء والهيئة نقسأه والليل والنحل: ج ٢، ص ٥٥.
 - (٣) المصدر نفسه: ج ١، ص ٧٦-٧٧.
 - (٤) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٧٧-٧٨.
 - (٥) المصدر نفسه: ج ١، ص ٧٨، والليل واليَّجِل: ج ٢، ص ١٦.
 - (٦) الليل والنحل: ج ٢، ص ١٦، والفرق بين الفرق: ص ١٥، والفرق الإسلامية: نيل كتاب المواقف: ص ٤٠-٤١.
 - (٧) الليل والنحل: ج ٢، ص ١٦، والفرق بين الفرق: ص ١٥٠-١٥١.

والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الأنوار، وقال إن جعفرًا هو الإمام في زمانه، وليس هو المحيوس الذي يروونه، ولكنَّه لما نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ تلك الصورة التي يراه الناس بها، ولما قَتَلَ عيسى بن موسى أبا الخطاب افتقرت الخطابة بعده عدة فرق:

أ - فرقة زعت أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر، وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب، وقد زعم هؤلاء أن الجنة لا تغني، وأنها هي ما يصيب الإنسان من الخير والنعمة، والنار ما يصيبهم من خلاف ذلك، واستحلوا المحرمات كالزنا والخمر وقالوا بالتناسخ وأنهم لا يموتون، وسميت هذه الفرقة المعمرية (١).

ب - وفرقة قالت إن الإمام بعد أبي الخطاب رجل اسمه بزغ بن موسى، وكان يزعم أن جعفر بن محمد هو الله، وهو غير الذي يروونه، ولكنه تشبه للناس في هذه الصورة، وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه (٢)، وأن في أصحابه من هو أفضل من محمد وميكائيل وجبرائيل، وأنه لا يموت منهم أحد، فإذا ما بلغت عبادة أحدهم النهاية قيل: رُفِعَ إِلَى الْمَلَكُوتِ (٣). وهم يروون المرفوعين منهم في الصباح وفي المساء، وزعموا أنهم هم الحواريون المذكورين في قوله تعالى: وَإِنْ أَوْحَيْتَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ (٤)، وهذه الطائفة تسمى البيضية (٥).

ج - وطائفة قالت إن الإمام بعد أبي الخطاب هو عمير بن بيان العجلي، وهم يُكَدِّبُونَ من يقول إنهم لا يموتون، ويقولون إنهم يموتون، وسيبقى منهم في الأرض خلق هم أئمة الأنبياء، وقد عبدوا جعفرًا الصادق وزعموا أنه إلههم، وقد اجتمعوا في خيمة في كناسة الكوفة لعبادة جعفر، فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة عميرا وصلبه (٦)، وهم

-
- (١) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٧٨، والملك والنحل: ج ٢، ص ١٦١، والفرق بين الفرق: ص ١٥١.
- (٢) مقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٧٨، والوافي بالوفيات: ج ١، ص ١٢٧.
- (٣) الملك والنحل: ج ٢، ص ١٦١، والفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف: ص ٤١، والوافي بالوفيات: ج ١٠، ص ١٢٧-١٢٨.
- (٤) سورة المائدة: الآية ١١١. وانظر الفرق بين الفرق: ص ١٥١.
- (٥) الملك والنحل: ج ٢، ص ١٧.
- (٦) المصدر نفسه، والجزء والصفة نفاها، ومقالات الإسلاميين: ج ١، ص ٧٩، والفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف: ص ٤٢.

يسمون العجلية (١) والعصيرية (٢).

د - والطائفة الرابعة من الخطّابيّة هم الغضّبيّة، وكانوا يقولون برهوبيّة جعفر الصادق، وقد خالفوا الغلاة الآخرين بأن برئوا من أبي الخطاب لأنّ جعفرًا تبرأ منه (٣).

٩ - الكياليّة : وهم أتباع أحد الرافضة يدعى أحمد الكيال، وكان ضالًّا مُضِلًّا، صنّف كتبًا كثيرة في الضلالات والتّزهات، كان يدعو إلى أحد أئمة أهل البيت المستورين بعد جعفر بن محمد الصادق، وعندما عرفوا أضاليله وبدعته تبرأوا منه ولعنوه، وأمروا شيعتهم بذلك، وعندنا صرف الدعوة إلى نفسه، فادعى الإمامة، ثم ادعى أنه هو القائم ومقولاته مردودة عُرْفًا وشرعًا (٤). وله يدع كثيرة منها قوله إنّ الأنبياء هم قادة أهل التقليد، وأهل التقليد عيان، والقائم قائد أهل البصيرة، وأهل البصيرة أولو الألباب (٥).

١٠ - الهشامية : هو «أصحاب الهشاميين هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي الذي اتّبعه في التشبيه (٦). وقد شبه هشام بن الحكم معبوده بالإنسان فزعم أنّه سبعة أشبار بشير نفسه، وأنّه جسم ذو حدّ ونهاية، وأنه طويل عريض عميق لسه لون وطعم ورائحة، وقد روي عنه أنّه قال إنّ معبوده كسبيكة الفضة وكاللوثة المستديرة (٧). وكان يقول إنّ الله تعالى عالم بنفسه يعلم الأشياء بعد كونها لا قبل كونها يعلم لا يوصف بأنّه قديم ولا حادث لأنّه صفة، والصفة لا توصف (٨). وقال إنّ الأنبياء غير معصومين

- (١) الملل والنحل : ج ٢، ص ١٧.
- (٢) مقالات الإسلاميين : ج ١، ص ٧٩.
- (٣) مقالات الإسلاميين : ج ١، ص ٧٩، والملل والنحل : ج ٢، ص ١٧، والفرق بين الفرق : ص ١٥٢.
- (٤) الملل والنحل : ج ٢، ص ١٧.
- (٥) المصدر نفسه : ج ٢، ص ١٩.
- (٦) الملل والنحل : ج ٢، ص ٢٠، والفرق الإسلامية دليل كتاب المواقف : ص ٤٤.
- (٧) الفرق بين الفرق : ص ١٣٩، والتبصير في الدين : ص ٤٢، وانظر : نهاية السالكين للإقدام في علم الكلام : ص ١٠٣.
- (٨) الملل والنحل : ج ٢، ص ٢٠.

لأنَّ النَّبِيَّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فَيَتَقَرَّبُ أُمَّتًا إِيَّامًا فَلَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ ، ولذا وجب أن يكون معصوماً ،
وكان هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ صَوْتَهُ الْإِنْسَانَ لَهُ حَوَاسٍ يَدُ رَجُلٍ وَفَمٌّ وَأَنْفٌ وَأُذُنٌ وَعَيْنٌ نَضْفَهُ
الْأَعْلَىٰ مَجُوفٌ وَالْأَسْفَلَ مُمْتَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لِحْمًا وَلَا دَمًا (١) ، وله شِعْرَةٌ سَوْدَاءٌ وَقَلْبٌ
تَنْبَعُ مِنْهُ الْحِكْمَةُ (٢) .

وَقَدْ غَلَا هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي حَقِّ عَلِيٍّ ، فَقَالَ إِنَّهُ إِلَهٌ وَاجِبُ الطَّاعَةِ (٣) . وما
بعد هذا الغلو من غلو.

وَمَعَاوِلُ بَعْضِ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّ مُكْذَّبًا مَا يُنْسَبُ إِلَىٰ أَيْتَةِ الرَّافِضَةِ
مِنَ الْأَضَالِيلِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ عَبْدِ الْحُسَيْنِ شَرَفُ الدِّينِ ، فَهُوَ يَذْكَرُ أَنَّ
مَا نَسَبَهُ الشَّهْرِسْتَانِيُّ فِي الْبَطَلِ وَالنَّحْلِ إِلَىٰ عَدِيٍّ مِنْ رُؤَسَاءِ فِرْقِ الشَّيْعَةِ كَهِشَامِ
ابْنِ الْحَكَمِ وَهِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَغَيْرِهِمَا أُمُورٌ غَيْرُ صَحِيحَةٍ ، وَيُضِيفُ إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الشَّهْرِسْتَانِيَّ
ادَّعَىٰ مَعْرِفَةَ آرَاءِ أَوْلِيَاءِ الْأَعْلَامِ ، بَيْنَمَا لَا يَجِدُ السَّيِّدُ عَبْدِ الْحُسَيْنِ شَرَفُ الدِّينِ - وَهُمْ
أَسْلَفُهُ - تِلْكَ الْأَقْوَالَ وَالْآرَاءَ ، وَلَوْ وَجَدَهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ مَا عَزَاهُ الشَّهْرِسْتَانِيُّ إِلَيْهِمْ
لَبَرَىٰ مِنْهُمْ ، فَالشَّهْرِسْتَانِيُّ تَابِعُ أَعْدَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَىٰ أَكْثَرِ مَا فِيهِمْ الَّتِي لَفَّقُوها لِلْحَطِّ مِنْ
مَنْزِلَتِهِمْ (٤) .

ويحق لنا الآن أن نتوقف عند هذا القول ونتساءل : هل كان السيد عبد الحسين
شرف الدين مصيباً فيما ذهب إليه ؟ ومعنى آخر هل كان الشهرستاني مخطئاً فيما
نسبه إلى الهشامين وغيرهما ؟

نحن نرى أن السيد عبد الحسين كان مخطئاً فيما أخذه على الشهرستاني . وهو
لم يطلع على الكتب الأصول لدى الشيعة فهي التي تعطينا القول الفصل في هذا ، ففي
هذه الكتب نجد كثيراً من الأقوال للأئمة من آل البيت مهاجمون فيها الهشامين وغيرهما

(١) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٥ .

(٢) الفرق بين الفرق : ص ١٣٩ .

(٣) البطل والنحل : ج ٢ ، ص ٢١ .

(٤) مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام : ص ٦٧-٦٨ .

من أئمة الضلال والفساد ، ومن ذلك ما يرويه أحد علماء الإمامية وهو الشيخ الصدوق (ابن بابويه) من أن رجلاً سأل أبا الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى الرضا عن التوحيد ، وأخبره أنه يقول بقول هشام بن الحكم ، فغضب أبو الحسن وقال له : " ما لكم ولقول هشام ؟ إنه ليس بنا من زعم أنّ الله جسم ، نحن منه براء في الدنيا والآخرة . . . إن الجسم محدث ، والله محدثه وجسمه (١) .

وكذلك فالسيد عبد الحسين لم يرجع إلى كتاب الكافي للكليني ، وهو من أئمة الكتب في عقائد الشيعة ، ولم يطلع على ما ذكره الكليني من أقوال للأئمة بها جسمون فيها أقوال الهشامين في التشبيه والصورة . ومن ذلك أن رجلاً كتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب أبو الحسن : " دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال الهشامان (٢) .

هذا هو رأي أئمة آل البيت في الهشامين ، لقد اعتبروها من الكفرة الفاسقين وتبرأوا منها كما في قول أبي الحسن الأول الذي رواه الشيخ الصدوق ، وليس الأمر كما يذكر السيد عبد الحسين الذي يدعي أنه لم يجد للهشامين مثل هذه الأقوال التي ينسبها إليهما الشهرستاني .

١٠ - الزرارية : وهم أتباع زرارة بن أعين الرافضي - ١٥٠ هـ ، قالوا إنّ الله تعالى صفات كلها مُحدثة ، وهي من جنس صفاتنا ، فزعموا أنّ الله تعالى لم يكن في الأصك عالمياً ولا حياً ولا قادراً ولا مُريداً ولا سميعاً ولا بصيراً ، وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه قدرة وحياة وعِلماً وإرادة (٣) . كما يصير الفرد ميتاً حياً قادراً سميعاً بصيراً مُريداً عند حدوث الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر فيه ، وقال بعضهم إنّ الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد ما يكون ، وبذلك فقد أوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم من البشرية (٤) .

(١) أمالي الصدوق : ص ٢٤٦ .

(٢) الأصول من الكافي : ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٣) الفرق بين الفرق : ص ١٤١ ، وانظر : الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف :

ص ٤٥ .

(٤) الفرق بين الفرق : ص ١٤١ .

١٢ - اليونانية : وهم أتباع رجل اسمه يونس بن عبد الرحمن القمي ، قال إن الله سبحانه وتعالى على عرشه تحمله الملائكة ، وهو أقوى منها كالكركي تحيله رجلاه وهو أقوى منها (١) ، وكانوا يزعمون أن الله تعالى له نصفان الأعلى مجوف والأسفل صمت (٢) . وهذه الفرقة كافرة مضلة ، مما دفع أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا إلى أن يأمر الناس بعمد الصلاة خلف من يقول بقولها ، ويعدم إعطائهم من الزكاة ، وأن يبرأوا إلى الله منهم (٣) .

١٣ - النعمانية : أصحاب أبي جعفر الأحول محمد بن النعمان الملقب بشيطان الطاق (٤) ، ولذا يسميهم الكرمانى بالشيطانية (٥) ، كان شيطان الطاق هذا يرى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً حتى يكون ، وأنه تعالى نور على شكل إنسان (٦) ، وهو تعالى ليس جسماً ، ولكنه قد ورد في الخبر أن الله تعالى خلق آدم على صورته ، فلا يُسَدَّد من تصديق الخبر (٧) .

١٤ - التَّصَيَّرِيَّةُ وَالْإِسْحَاقِيَّةُ : هم من غلاة الشيعة ، يقولون إنَّ الله تعالى يظهر بصورة أشخاص ، ولما كان لا يوجد بعد الرسول الكريم من هو أفضل من علي وبعده أبنائه المخصوصون الذين هم خير البرية فقد ظهر الله تعالى بصورتهم ، ونطق بلسانهم ، وأخذ بأيديهم ، ولذا أطلقت هذه الفرقة الإلهية عليهم (٨) . وقالوا إنَّ علياً كرم الله وجهه

(١) الفرق بين الفرق : ص ١٣٩ ، والفرق الإسلامية نيل كتاب المواقف : ص ٤٦ .

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٦٥ .

(٣) أمالي الصدوق : ص ٢٤٦ .

(٤) شيطان الطاق ، أبو جعفر الأحول ، محمد بن النعمان ، يُلقَّب بشيطان الطاق ، والشيعة يلقبونه بمؤمن الطاق ، كان من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد ، وكان متكلماً حاذقاً ، وله كتب منها كتاب الإمامة ، كتاب المعرفة (الفهرست للنديم : ص ٢٢٤) .

(٥) انظر : الفرق الإسلامية نيل كتاب المواقف : ص ٤٦ .

(٦) الطل والنحل : ج ٢ ، ص ٢٢ ، والفرق الإسلامية نيل كتاب المواقف : ص ٤٦ .

(٧) الطل والنحل : ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٨) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما ، وانظر : المواقف : ج ٨ ، ص ٣٨٨ ،

والتحقيق التام في علم الكلام : ص ٨٨ .

كان مخصوصاً بتأييد من الله فيما يتعلق بباطن الأسرار، فالرسول الكريم ذكر أتمه
يحكم بالظاهر، وأنَّ الله تعالى يتولَّى السرائر، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة
والسلام هو الذي يتولَّى قتال المشركين، بينما كان عليّ رحمه الله هـ
الذي يتولَّى قتال المنافقين (١) . وأضافوا إلى ذلك أنَّ عِلْمَ عليّ بالتأويل
وقلعة باب خيبر لم يكن بقوة جسدية، وهذا دليل على أنَّ فيه جزءاً إلهياً وقوة ربانية
أو يكون هو الذي ظهر إله بصورة، ولهذا قالوا إنَّ علياً كان موجوداً قبل خلق السموات
والأرض (٢) ، وكان بعض الإسحاقية يرون أنَّ علياً هو الله وأنه يظهر في كلِّ وقت، فهو
الحسن في وقت الحسن، وهو الحسين في وقت الحسين، وهو واحد (٣) .

١٥- الرزائية : أصحاب رجل اسمه رزام، قالوا إنَّ الإمام بعد عليّ هو ابنه محمد
ابن الحنفية وبعده ابنه أبو هاشم عبدالله ثم إلى علي بن عبدالله بن العباس ثم ساقوها
إلى ولد المنصور، وقد ظهر هؤلاء في خراسان زمن أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة،
وكانوا يزعمون حلول روح الله في أبي مسلم، ولهذا نصرهم علي بن أبي أمية حتى قتلوا عن
آخرهم . وزعموا أنَّ أبا مسلم لم يُقتل واستحلوا المحرمات (٤) .

وقد كان الأئمة من آل البيت غير راضين عن أبي مسلم هذا لأنَّه كان كيسانياً،
فعندما قام أبو مسلم بأمر الدعوة العباسية كتب إلى جعفر الصادق رحمه الله يخبره
أنَّه قد أظهر الكلمة ودعا النَّاسَ عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت، وأنَّه سينصره
ويؤيِّه الأمر، فرفض الصادق ذلك ولم يقبل منه النصر ما حمله على تقليد العباسيين
الخلافة (٥) . وهذا يوضح لنا مدى تمسك الأئمة من آل البيت الظاهرين بأحكام الشريعة
ومدى بعدهم عن دعوات المشبوهين ذوي الآراء المنحرفة ولو كان في متابعتهم لأولئك

(١) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٨-٤٩ .

(٢) الليل والنحل : ج ٢، ص ٢٣ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد : ج ٦، ص ٣٨٠ .

(٤) الفرق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٧ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

الفاستدين ما يمكنهم من الوصول إلى الخلافة والحكم.

١٦- المعفوضة : هم فرقة غالية من الإمامية ، قالوا إن الله سبحانه وتعالى خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفوض إليه خلق العالم وتدبيره ، فهو الخلاق له بما فيه . ومنهم من قال إن الله تعالى فوض أمر خلق العالم إلى عليّ كرم الله وجهه .^(١)

١٧- الغرابية : تُعدُّ هذه الفرقة من أشدِّ فِرَقِ الغلاة كُفْراً وِضْلاً ، وقد سُمِّيت بهذا الاسم لأنهم كانوا يَرَوْنَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم كان أشبه بعليّ من الغراب بالغراب والذباب بالذباب ، وقالوا إنَّ الله تعالى بعث جبريل بالرسالة إلى عليّ فغلط جبريل وأدأها إلى محمّدٍ عليه الصلاة والسلام لعشائبه له ، ولذا فهم يلعنون صاحب الريش ويقصدون به جبريل عليه السلام^(٢) . فهم كفار لأنهم يُنكروْنَ أن يكون الرسول محمد عليّ الله عليه وسلم رسولا من الله^(٣) .

١٨- الذنمية : لقبت هذه الفرقة بهذا الاسم لأنهم كانوا يَرَوْنَ ذنم الرسول الكريم ، ويرغمون أنَّ علياً إله ، وأنه أرسل محمداً عليه الصلاة والسلام كي يدعو إليه ، فادعى الأمر لنفسه^(٤) . ومنهم من قال إنَّ مُحَمَّدًا وعلياً إلهان ، ومنهم من يُقدِّم علياً في أحكام الإلهية ومنهم من يقدم محمداً ، ومنهم من قال إنَّ روح الله حالة في خمسة أشخاص بالتساوي ولا فضل لأحدهم على الآخر ، وهم محمّدٌ وعليٌّ وفاطمةٌ والحسنُ والحسينُ^(٥) . وكانوا

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ، ص ٣٥١ ، والفِرَق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٨ .

(٢) المواقف : ج ٨ ، ص ٣٨٧ ، والفِرَق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٣ .

(٣) الفِرَق الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٣ ، والمواعظ والاعتبار : ج ٢ ،

ص ٣٥٣ .

(٤) الانتصار مَن عدل عن الاستبصار : ص ٧٧ ، والمواقف : ج ٨ ، ص ٣٨٧ ، والفِرَق

الإسلامية ذيل كتاب المواقف : ص ٤٣ .

(٥) الانتصار مَن عدل عن الاستبصار : ص ٧٧ .

يقولون في فاطمة (فاطم) ويحذفون التاء المربوطة تحاشياً منهم لوصة التأنيث لأنهم كانوا يزعمون أن فاطمة ليست امرأة (١) . وقد عُرف هؤلاء باسم المختصة ، ولم يقولوا بالهيئة أحد من هؤلاء الخمسة . (٢)

وهكذا نرى أن الشيعة كانوا - فرقةً عديدة متباينة في آرائها ومعتقداتها ، فكان منها الفرق المعتدلة التي لم تشتم أحداً من الصحابة ولم تقل بالهيئة أحد من البشر ، ولم تشبه الخالق سبحانه وتعالى بالمخلوق ، وقد كان الأئمة من آل البيت الكرام كلهم يناصرون مثل هذه الفرق ويؤيدونها ، وكانت هناك فرق أخرى من الشيعة جاءت ببعض الآراء المضللة وغلبوا في الأئمة ، ولم يصدّقوا بموتهم ، وقالوا بالبداية على الله تعالى ، وقال بعضهم في الأئمة إنهم يحيون الموتى ، وقد تبرأ أئمة آل البيت الكرام من هؤلاء ، ولم يرضوا عنهم كما فعل ابن الحنفية مع المختار . ووجدت فئة أخرى من فرق الشيعة ، وهي فرق غالبية كافرة لا تعتبر من المسلمين وإن نسبت إلى الإسلام ، وهم فرق القلاة وجاه تكفيرهم من الأئمة ، وعلى السنة علماء الشيعة أنفسهم .

(١) الانتصار من عدل عن الاستبصار: ص ٧٧

ذيل كتاب المواقف : ص ٤٣ .

(٢) الانتصار من عدل عن الاستبصار: ص ٧٧ .

ج - أغراض شعر الشيعة :-

نلاحظ من دراسة شعر الشيعة المتوفّر بين أيدينا أنّ شعراء الشيعة شاركوا غيرهم من الشعراء في النظم في الأغراض الشعرية التقليدية المعروفة، مثل المدح، والفخر والوصف، والغزل، والرثاء، والهجاء، والإخوانيات، والحكمة. ولكننا نجد عند بعض شعرائهم وبخاصة صاحب بن عباد حديثاً عن مبادئ الشيعة في المدح والتوحيد والثبوت والإمامة، كما نجد في أشعار الشيعة مديحاً لآل البيت ورثاء لهم، وقد أفردوا لذلك بعض القصائد الطويلة وتلج ذلك عند صاحب بن عباد والشريف الرضي والشريف المرتضى، وأبي فراس الحمداني والصنوبري وكشاجم، والسري الرفاء وغيرهم، وقد أودعوا هذه القصائد آراءهم في آل البيت، وحققهم في الخلافة، كما رثوهم رثاء مريباً وبكوهم بكاء حاراً عبّروا فيه عن حزنهم وأساهم لآل البيت من التثليل والتشريد وتحدث الآن عن أغراض شعرهم بادئين بشعر التشيع باعتباره الشعر الذي يميّز الشيعة عن سواهم.

المعانيد الدينية في شعر الشيعة:

قال الشيعة أشعاراً كثيرة تتعلّق بمدّ هيبتهم في التشيع، والسبب في ذلك أنّهم كانوا فخوريين بمدّ هيبتهم ومتحمسين له، وسنستطيع أن نقسم شعر التشيع إلى قسمين: الشعر الخاص بآل البيت والأئمة، الذي تحدث فيه الشعراء عنهم وبينوا مناقبتهم وآثارهم. والشعر المتعلّق بأصول الشيعة ومبادئهم التي يقوم عليها مذهبهم. وهذا الشعر الذي قيل في غرض التشيع شعر كثير، ولذا فإننا نكتفي بإيراد أمثلة دالة منه، توضّح لنا مدى تعبير الشعراء الشيعة من آرائهم ومعتقداتهم في أشعارهم.

ونلاحظ من مطالعة الشعر المتعلّق بالأئمة أنّ الإمام عليّاً كرم الله وجهه.

أفرد بمعظم قصائد الشعراء، فتحدثوا في فضائله ومناقبه، ومنها:

١ - رث الشّمس على عليّ كرم الله وجهه : يذكر ابن شهر آشوب ما روي عن ابن

عباس وأبي هريرة أنّ الرسول الكريم كان مع المسلمين خارج المدينة، فصلّى بالمسلمين،

فلما سلم نزل عليه جبريل، وجاء عليّ فأسنده إلى ظهره، وبقي كذلك إلى أن غابت الشمس، فلما ذهب جبريل سأل الرسول الكريم علياً أصلياً أم لا، فقال: لا، وأخبره بما جرى، فقال له صلى الله عليه وسلم: ادع الله ليرتد عليك الشمس، فسأل عليّ الله تعالى، فرددت عليه بيضاء نقية^(١)، وقد ذكر شعراء الشيعة هذه الحادثة في أشعارهم ومنهم الصحابيُّ بن عبّاد، فقال:

لَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ مِنْ تَائِبٍ
إِلَّا بِحُتْبِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
أَخِي رَسُولَ اللَّهِ بِلِصْبِهِ
وَالصَّهْرُ لَا يَمْدُلُ بِالصَّاحِبِ
بِقَوْمٍ مِثْلِ عَلِيٍّ وَقَدْ
رَدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ غَائِبٍ^(٢)
وَقَالَ الْمُفَجَّحُ الْبَصْرِيُّ:

وَعَلَيْهِ إِذْ نَالَ رَأْمُ رَسُولِ اللَّهِ
إِذْ يُحَالُ النَّبِيُّ لَمَّا أَتَاهُ الْـ
فَتَرَاخَتْ عَنْهُ الصَّلَاةُ وَلَمْ يُسْوَ
فَدَعَا رَبَّهُ فَأَنْجَزَهُ الْمِيْمَ
قَالَ هَذَا أَخِي بِحَاجَةِ رَبِّي

فَارْدُ بِ الشَّمْسِ كَيْ يُصَلِّيَ فِي الْوَقْدِ - تَفَعَّادَ الْعَيْشِيُّ بَعْدَ مَضِيَّتِهَا^(٣)

ب - والمنقبة الثانية هي تكليم الشمس علياً، فابن شهر آشوب يذكر أنه عندما فتح الرسول الكريم مكة وانتهى إلى هوازين قال لعليّ: "قم يا عليّ وانظر كراستك على الله ككلم الشمس إذا طلعت، فقام عليّ فقال: السلام عليك أيّتها العبد الدائب في طاعة ربّه، فأجابته الشمس، وهي تقول: وعليك السلام يا أخا رسول الله ووصيّهم وحجّة الله

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما، والأبيات غير مثبتة في ديوان الصحابي ابن عبّاد.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٤٤.

على خلقه، فسجد عليّ شكراً لله تعالى^(١).

وقد تحدّث شعراء الشيعة في هذه المسألة، ومنهم الزاهي، فقال :

مَلَّكُمُ الشَّمْسُ وَمَنْ رُدَّتْ لَكُ	بِهَابِلٍ وَالغَرْبُ مِنْهَا قَدْ قَهَطُ ^(٢)
بَحْرٌ لَدَيْهِ كُلُّ بَحْرٍ جَدُّ وَلُ	يَغْرَفُ مِنْ تَبَارِهِ إِذَا اغْتَمَطُ ^(٣)
بَاسِطُ عِلْمِ اللّٰهِ فِي الأَرْضِ وَمَنْ	يُحِبُّ الرِّحْمَنُ لِلرِّزْقِ بَسَطُ
سَيْفٌ لَوْ أَنَّ الطِّفْلَ يَلْقَى سَيْفَهُ	يَكْفَهُ فِي يَوْمِ حَرْبٍ لَشَمَطُ
يَخْطُو إِلَى الحَرْبِ بِوُدِّ عَا	فَكَمْ بِوَقْدٍ قَدْ مِنْ رِجْسٍ وَقَطُ ^(٤)

فالشاعر هنا يُشير إلى تكليم الشمسِ عليّاً، ثمّ يمدّحه بأنّه كالبحر العظيم بل أعظم من البحار كلّها ثمّ يصفه بالعلم الواسع والشجاعة الفايقة في الحروب والمعارك.

ومن ماثر عليّ التي تحدّث عنها شعراء الشيعة إلقاءه عصاه حيةً، وتتلخّص هذه الحادثة في أنّ رجلاً يُقال له العَدَوِيّ، رأى عليّاً يوماً وفي يده قوسُ الرسول الكريم، فسخر منه، فرماها عليّ في يده، وقال: خذ عدوّ الله، فتحوّلت إلى شعبان مُبين يمشي نحوه، فاستحوّلف عليّاً حتى أخذها، وصارت قوساً. وقد ذكّر شعراء الشيعة هذه الحادثة ومنهم مِهيار الديلمي، فقال :

وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللّٰهَ أَخْرَآيَةَ	لَهُ يَكُ فِي إِظْهَارِ مُعْجِزَاتِهَا سِرُّ
فَكُنْتُ عَصَى مُوسَى هَوَتْ فَتَلَقَّتْ	بِأَيْتِهَا البَيْضَاءُ مَا أَفَكَ السَّحْرُ ^(٥)

ح - والمتنبّية الثالثة هي خَصَفَ عليّ - كرم الله وجهه - حذاء الرسول الكريم، إذ كان الرسول الكريم قد أعطاه نعله ليخصفها^(٦)، فقال ابن الحجاج :

- (١) مناقب آل أبي طالب : ج ٢، ص ١٤٩.
- (٢) قهط: من القبط أي الجمع. (انظر: لسان العرب: مادة قهط، والقاموس المحيط: مادة القبط).
- (٣) اغتمط: اغتمطه بالكلام أي علاه وقهره. (انظر: لسان العرب: مادة غمط).
- (٤) مناقب آل أبي طالب : ج ٢، ص ١٥٤.
- (٥) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٤٩. وديوان مِهيار الديلمي: ج ٢، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٦) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٤٤.

أَنَا مَوْلَا يَعْلِيٍّ ذُو الْعَلَاءِ لِمَسْ مَوْلَايَ عَشِيْقًا وَدَلَامَا
أَتَوَالِي خَاصِّ النَّعْلِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ الْيَتَامَى (١)

فالشَّا عَرِيْبَتَيْنِ هُنَا أَنَّهُ يَمُوَالِي عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ الَّذِي خَصَفَ نَعْلَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ .
وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ :

أَفِي خَصْفِهِ لِلنَّعْلِ لَمَّا أَحَلَّهُ بِحَيْثُ تَرَاهُ تَهُ النَّجُومُ النَّوَابِ (٢)

د - وَمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَكَرَهُ شِعْرَاءُ الشَّيْخَةِ ، مَا رَوَاهُ ابْنُ شَهْرَاشُوبَ مِنْ
أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخَدْرِيَّ قَالَ : إِنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ قَالَ " عَلِيٌّ أَفْضَلُ أُمَّتِي " وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى :
عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلُ أُمَّتِي (٣) ، وَيُذَكِّرُ ابْنَ شَهْرَاشُوبَ أَيْضًا عَنْ سُلَيْمَانَ الْفَارَسِيِّ
أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ
عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤) . وَقَدْ عَمَّرَ شِعْرَاءُ الشَّيْخَةِ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ الْحَجَّاجِ فَقَدْ
صَرَّحَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ هُوَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذَا
مَذْهَبٌ رَاسِخٌ لَدَيْهِ لَا يَحِيدُ عَنْهُ ، يَقُولُ :

أَبَعَدَ سَبْعِينَ مَا شَوَّقْتَنِي أَمْلِي إِلَّا غُرُورًا بِتَعْلِيلِ النَّصِ أَمْلِي (٥)
هَيْهَاتَ قَدْ أَبْصَرْتَ عَيْنِي بِحُجْبَتَيْهَا فِي قَصْدِ أَخْرَائِي فِيهَا لَوْ عَلِيٌّ وَوَلِي
فَمَذْهَبِي أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ بَعْدَ النَّبِيِّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ (٦)
وَيَقُولُ الْمُفَجَّعُ الْبَصْرِيُّ :

أُمُّهَا اللَّائِي لِحُبِّي عَلِيًّا قُمْ ذَمِيمًا إِلَى الْجَحِيمِ خَرِيًّا
أَبْخَيْرِ الْأَنَامِ عَرَّضَتْ لِزَلِّ سَتَ مَدُّ وَدَا عَنِ الْهُدَى مَرْوِيًّا

(١) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٢) ريوَان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ١٨٧ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٤) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ : ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : " أَمْلًا " ، وَقَدْ أَصْلَحْنَاهَا لِمُنَاسَبَةِ الْقَافِيَةِ

(٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ : ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

أَشْبَهَ الْأَنْبِيَاءَ كَهَيْلًا وَزَوْلًا
 كَانَ فِي عِلْمِهِ كَادَمَ إِذْ عَلَّمَ
 وَكُنُوحٍ نَجَّى مِنَ الْهَلِكِ مَنْ سَمِعَ
 وَجَفَا فِي رِضَا إِلَهِ أَبَاهُ
 كَلَّمَ عِزَّالَ الْخَلِيلِ آزَرَ فِي الدَّلَا
 وَعَلَى لَمَّا رَعَاهُ أَحْسَنُوهُ
 وَدَعَا قَوْمَهُ فَأَمَّنَ لُطُوفُ
 وَلَهُ مِنْ أَبِيهِ زِي الْأَيْدِي إِسْمَا
 إِنَّهُ عَاوَنَ الْخَلِيلَ عَلَى الْكَعْبِ
 وَلَقَدْ عَاوَنَ الْوَصِيَّ حَبِيبَ الْ
 رَامَ حَمَلَ النَّبِيَّ كَيْ يَمْقُطَعَ الْأَرْضَ
 فَحَنَاهُ ثَقُلَ الثُّبُورُ حَسْبِي
 فَأَرْتَقَى مَنَكِبَ النَّبِيِّ عَلَيَّ
 فَأَطَاطَ الْأَوْثَانَ عَنْ ظَاهِرِ الْكَعْبِ
 وَلَوْ أَنَّ الْوَصِيَّ حَاوَلَ مَسَّ الذُّ
 أَفْهَلُ تَعْرِفُونَ غَيْرَ عَلَيَّ

وَفَطِيمًا وَرَاضِعًا وَغَدِيَّتًا (١)
 لِمَ شَرَحَ الْأَسْمَاءُ وَالْمَكْنِيَّتَا
 بِرَفِي الْفُلْكِ إِذْ عَلَا الْجُودِيَّتَا
 وَاجْتَوَاهُ وَعَدَّهُ أَجْنَبِيَّتَا
 وَهَجْرَانِهِ أَبَاهُ قَلْبِيَّتَا
 سَبَقَ الْحَاضِرِينَ وَالْيَدَوِيَّتَا
 أَقْرَبَ النَّاسِ مِنْهُ رَحْمًا وَرَبِيَّتَا
 عَمِلَ شَيْبُهُ مَا كَانَ عَنِّي حَقِيَّتَا
 بَعْدَ إِذْ شَادَ رُكْنَهَا الصَّبِيَّتَا
 لَهُ إِذْ يَمْفِيلَانِ الصَّفِيَّتَا (٢)
 سَامَ مِنْ سَطْحِهَا الْمَثُولَ الْحَبِيَّتَا (٣)
 كَادَ مَنَارُ تَحْتَهُ مَشْنِيَّتَا
 صِنُوهُ مَا أَجَلَّ ذَا الْمُرْتَقِيَّتَا (٤)
 بَعْدَ يَنْفِي الرَّجَاسَ عَنْهَا نَفِيَّتَا
 نَجَّمَ بِالْكَفِّ لَمْ تَجِدْهُ قَصِيَّتَا
 وَابْنِهِ اسْتَرْحَلَ النَّبِيَّ مَطِيَّتَا (٥)

فالشاعر في هذه الأبيات يُعَبِّرُ عن تشييعه، فهو يرى أَنَّ الإمامَ عَلِيًّا خَيْرَ الْأَنَامِ، ثم يصفه
 بِأَنَّهُ يَشْبِهُ الْأَنْبِيَاءَ، فَيَشْبِهُه بَادَمَ فِي عِلْمِهِ، وَبَنُوحَ فِي هِدَايَةِ النَّاسِ وَنِجَاتِهِمْ، ثُمَّ يَمُقَدِّمُ
 مَقَارَنَةً طَرِيفَةً، فَاسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَاوَنَ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَهَذَا

- (١) الزَوْلُ : الفلام الطَّرِيفُ (انظر : لسان العرب : مادة زول) .
 (٢) الصَّفِيَّتَا : جَمْعُ صِفَاةٍ وَهُوَ الْحِجْرُ الصَّلْدُ الصَّخْمُ (انظر : المصدر نفسه : مادة صفا) .
 وهو يريد إِذْ يَحْطَمَانِ الْأَصْنَامَ .
 (٣) الْحَبِيَّتَى جَمْعُ حَابٍ، أَيِ الْمُرْتَفَعَةِ الْمُنَاكِبِ إِلَى الْأَعْنَاقِ . (انظر : المصدر نفسه :
 مادة حبا) .
 (٤) صِنُوهُ : الصُّو : الْأَخُ الشَّقِيقُ، وَالْعَمُّ وَالْإِبْنُ، وَالْمِثْلُ . (انظر : المصدر نفسه :
 مادة صنا) .
 (٥) معجم الأرباء : ج ١٧، ص ٢٠١-٢٠٢ .

يشبه ما قام به عليّ من معاونة الرسول الكريم في تنظيف الكعبة من الأصنام عندما ما
فُتحت مكة ، وبذكر أنّ عليّاً لم يستطع حملَ الرسول عندما أراد الصعود إلى سطحها
لتحطيم الأصنام فصعد عليّ على كتف الرسول الكريم وأزال الأصنام عنها .

ونحن نلاحظ أنّ هذه القصيدة تنمّ عن تشبّع قويّ لدى الشاعر، ويتجلى ذلك
في تشبيهه عليّاً بالأنبياء ومساواته بهم، ثم ما عبر به في آخر القصيدة عن عليّ ، فلو
أراد أن يمسّ النجم بكفه لتحقق له ذلك ، ثم يدلّ على مكانة عليّ بأنّه لم يعرف أحدا
ارتقى كتف الرسول الكريم إلا عليّاً وابنه .

وقد ذهب الشيعة إلى أنّ عليّاً رحمه الله هو المقصود بقوله تعالى : " هل أتى
على الإنسان حينٌ من الدهر (١) ومعنى ذلك - كما يرون - ما أتى على الإنسان
زمان من الدهر إلا وكان فيه شيئاً مذكوراً ، وهو دائماً مذكوراً لأن اسمه مكتوب على ساق
العرش وعلى باب الجنة ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى : "إنا خلقنا الإنسان من نطفة (٢)
ومعروف آدم لم يكن مخلوقاً من نطفة (٣) ، وقد عبّر شعراء الشيعة عن هذا ، ومنهم
أبو فراس الحمداني ، فقال :

لَوْ لَمْ يُنَزَّلْ فِيهِ إِلَّا هَلْ أَتَى	مِنْ دُونَ كُلِّ مُنَزَّلٍ لَكَفَاهُ
مَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ حَكَى الْقُرْآنَ مِنْ	نُطْقِ النَّبِيِّ وَلَفْظِهِ وَحَكَاهُ
مَنْ بَاتَ فَوْقَ فِرَائِضِهِ مُتَنَكِّراً	لَمَّا أَظَلَّ فِرَائِضَهُ أَعْدَاهُ
مَنْ خَصَّهُ جِبْرِيلُ مِنْ رَبِّ الْعُلَى	بِحَبِيبَةٍ مِنْ جَنَّةٍ وَحَبَّاهُ
أَنْسَيْتُمْ يَوْمَ الْكِسَاءِ وَأَنْسَاهُ	يَقْنُ حَوَاهُ مَعَ النَّبِيِّ حَوَاهُ (٤)

فالشاعر هنا يتحدث عن عليّ كرم الله وجهه ، فيبين أنّ القرآن الكريم قد ذكره في
سورة الدهر . ثم يشير إلى نوم عليّ على فراش الرسول الكريم عندما هاجر مع أبي بكر ،

-
- (١) سورة الدهر : الآية ١ .
 (٢) السورة نفسها : الآية ٢ .
 (٣) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
 (٤) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ ، والأبيات غير مثبتة في شرح ديوان
 أبي فراس الحمداني .

وقد بقي عليّ على فراش الرسول الكريم حتى الصباح ، فسأله كفار قريش عنه ، فأخبرهم أنه خرج ، فضربوه، ثم أخرجوه، وحبسوه ساعة، ثم أطلقوه (١).

وفي البيت الأخير يتحدث الشاعر عما روي من أنّ الرسول الكريم جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين ثم وضع عليهم كساءً ثم قال : اللهم أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (٢) . وبهذا يتجلى لنا تشيخ الشاعر بأجلى صورة .

ومما تحدث عنه الشعراء الشيعة غزوات أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه ، ومنها غزوة خيبر، وفيها أرسل الرسول الكريم علياً كرم الله وجهه ، بعد أن أرسل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى حصن خيبر، ولكنهما لم يفتحاها ، فأخبر المسلمين أنه سيعطي الراية في الغد رجلاً يحبّ الله ورسوله فدعا علياً ودفع إليه الراية ، فذهب مسرعاً مع بعض المسلمين إلى الحصن فبرز إليه مرحب اليهودي ، فقتله عليّ ، ولم يتكامل المسلمون حتى دخلوا حصن اليهود (٣) . فقال الشريف المرتضى :

لِلَّهِ دَرُّ فَوَارِسٍ فِي خَيْبَرٍ	حَمَلُوا عَلَيَّ الْإِسْلَامَ يَوْمًا مُنْكَرًا
عَصَفُوا سُلْطَانَ الْيَهُودِ وَأَوْلَجُوا	تِلْكَ الْجَوَانِحَ لَوْعَةً وَتَحَشُّرًا
وَاسْتَلْحَمُوا أَبْطَالَهُمْ وَاسْتَخْرَجُوا آلَ	أَزْلَامٍ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَالْمَسِيرًا
وَبِمَرْحَبِ أَلْوَى فَتَى ذُو جَمْرَةَ	لَا تُصْطَلَى وَيَسْأَلُ لَا تُعْتَرَى
إِنَّ حَزْرَ مَطِيقًا أَوْ قَالَ قَا	لَمَصَّدًا أَوْ رَامَ رَامَ مَطَهَّرًا (٤)

وقارن شعراء الشيعة في أشعارهم بين عليّ - كرم الله وجهه - ويعقوب عليه السلام ، فيمقوب - كط بروي ابن شهر آشوب - كان له اثنا عشر ولداً ، منهم مطيع ومنهم عاص ،

- (١) تاريخ الطبري : ج ٢ ، ص ٣٧٢ .
 (٢) ينابيع المودة : ج ١ ، ص ١٢٥ ، والفصول المهمة : ص ٨ ، ونهاية الأرب : ج ٢ ، ص ٥ .
 (٣) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٣١٨ - ٣٢٠ ، وانظر : زبدة البیان : ص ١١ ، وتهذيب خصائص الإمام عليّ : ص ٢٣ ، وتذكرة الخواص : ص ٢٥ - ٢٦ .
 (٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

وكان لعلق اثنا عشر ولدا كلهم معصومون مطهرون ، ومن الشعراء الذين تحدّثوا
في ذلك المفجّع البصري ، فقال :

وَلَهُ مِنْ نُعُوتٍ بِعُقُوبٍ نَعَتْ لَمْ أَكُنْ فِيهِ ذَا سُكُوكِ عَتَمَا
كَانَ أَسْبَاطُهُ كَأَسْبَاطِ بِعُقُوبِ بَ وَإِنْ كَانَ نَجْرُهُمْ نَبَوَّسَا
أَشْبَهُوهُمْ فِي النَّاسِ وَالْعَدِّ وَالْعَدِّ مَ فَأَقْبَهُمْ إِنْ كُنْتَ نَدْبَاهَا ذَكِيمَا
كُلُّهُمْ فَاضِلٌ وَحَازَ حُسَيْنٌ وَأَخُوهُ بِالسَّبْقِ فَضْلًا سَنِيمَا (١)

وقد روى الشيعة بعض الأقوال لعلق كرم الله وجهه منها أنه قال : أنا صراط
الله ، أنا جنب الله ، فعبّر شعراؤهم عن ذلك ، ومنهم الزاهي فقال :

مُفَقِّهُ الْأُمَّةِ وَالْقَاضِي الَّذِي أَحَاطَ مِنْ عِلْمِ الْهُدَى مَا لَمْ يُحِطْ
وَالنَّبَأُ الْأَعْظَمُ وَالْحُجَّةُ وَالنُّ مِثْبَاحُ وَالْمِحْنَةُ فِي الْخَطْبِ الْوَرِثِ
وَالْقَدَمُ الصَّدُوقِ الَّذِي نَسِطَ بِهِ قَلْبُ أَمْرِي بِالْحُطُوتِ لَمْ يَسْطِ
وَنَهْرُ طَالُوتٍ وَجَنبُ اللَّهِ وَال عَمِينَ الَّتِي يَنْوِرُهَا الْعَقْلُ خُلِطَ (٢)

ولم يقتصر شعراء الشيعة في شعرهم على الحديث عن علي ، وإنما تحدّثوا
عن غيره من آل البيت ، فدكروا فاطمة الزهراء ، فها هو الزاهي يمدح فاطمة الزهراء ، عاداً
مدحها نوراً يميز له ظلم يوم القيامة ، يقول :

وَيَمْدَحُ فَاطِمَةَ الْبَتُولِ تَنْبِيرُ لَيْسِي ظَلَمَ الْقِيَامَةَ يَوْمَ يَنْفَعُ صُورَهَا (٣)
وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ مَعْتَبِرًا بِنِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَادَةَ النَّاسِ وَجُوهَرَهُمْ :
قَدْ قُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا بَيِّنًا وَلَيْسَتْ النَّفْسُ بِهِ أَيْمَنَةً
لِكُلِّ شَيْءٍ فَاضِلٍ جَوْهَرٌ وَجُوهَرُ النَّاسِ بَنُو فَاطِمَةَ (٤)

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٦٥-٦٦ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ١٠٦ .

(٤) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٧٤ .

وفي مجال حديث شعراء الشيعة عن آل البيت زكروا الأئمة، ومنهم أبو جعفر الباقر، وقال الشيعة إن معاً يدل على إمامته تواتر الإمامة بالنصوص عليه من أبيه وجدّه وكذلك الأخبار الواردة عن الرسول الكريم على الاثنى عشر إماماً، وقد قال ابن الحجاج في ذلك :

إِذَا غَابَ بَدْرُ الدُّجَى فَانظُرِ إِلَى ابْنِ النَّبِيِّ أَبِي جَعْفَرِ
تَرَى خُلُقًا مِنْهُ يُزِي بِبِهِ وَيَا لِفَرْقَدَيْنِ وَيَا لِمُشْتَبِرِي
إِمَامٌ وَلَكِنْ بِلَا شِيعَةٍ وَلَا بِمُضَلِّي وَلَا مُنَوَّرِ (١)

وأكثر شعراء الشيعة أن يكون لعماري عليّ وآله آية فضائل، وفي ذلك يقول أبو العباس الضبي مشيراً إلى نزول آية: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ (٢) فِي عَلِيٍّ؟"

"هَلْ أَتَى" أَنْزَلَتْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ فَعَمَارِيهِ هَلْ أَتَى لِرِشِيمِدِ (٣)

أما شعر الشيعة الذي تحدّثوا فيه عن مباراتهم فهو شعر كثير، فقد زكروا مباراتهم التي كانوا حريصين عليها، وعبروا عن آرائهم في الإمامة والعدل والتوحيد، ولا غرابة فحُبُّهم آل البيت كان يملك عليهم مشاعرهم وأحاسيسهم، ومن الأمور الطبيعية المعروفة أنه لا يمكن الفصل بين فكرنا لأرباب ومعتقداتنا وبين نتاجه الأدبي، فهو يعتبر بشعره عن الآراء والأفكار التي توارثها وتشغل فكره.

الإمامة:

لَقَدْ تَحَدَّثَتِ الشَّيْعَةُ عَنِ الْإِمَامَةِ، وَرَكَزُوا فِي ذَلِكَ عَلَى النُّصُوصِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ، كَمَا بَرُونَ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢، ص ٣١٥.

(٢) سورة الدهر: الآية ١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢، ص ١٥٢.

الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (١) ، فقال الشيعة إن الأتمة قد اجتمعت على أن هذه الآية نزلت في عليٍّ - كرم الله وجهه - عندما تصدق بخاتمه وهو راكع (٢) . قال الشريف الرضي :

وَمَنْ سَمَحَتْ بِخَاتَمِهِ يَمِينُهُ تَضُنُّ بِكُلِّ عَالِيَةِ الْكِمَابِرِ
أَهَذَا الْبَدْرِ يُكْسِفُ بِالذَّيَّاجِي وَهَذَا الشَّمْسُ تُطْمَسُ بِالضَّبَابِ (٣)

ومن النصوص الدالة على إمامة عليٍّ أيضاً ما روي عن جعفر الصادق أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر المسلمين في مرضه الذي توفي فيه أنه ستنزل في الغد نجم في دار أحد الصحابة ، وهو خليفته فهمم والقائم بأمره ، فلما كان الغد جلس كل واحد في حجرته ، فانفض نجم من السماء حتى وقع في دار علي ، فضج الناس وقالوا : إن الرسول قد غوى ، وما ينطق في ابن عمه إلا بالهوى ، فأنزل الله تعالى قوله : " وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (٤) " الآيات ، وقد عرّف شعراء الشيعة عن ذلك فقال ميهيار الديلمي :

أَنَا الَّذِي لَوْ سَجَدَ النَّجْمُ لَكُمْ مَا كُنْتُ مُرْتَاباً وَلَا مُسْتَكْبِراً (٥)

ونحن نرى أن هذا الخبر الذي رواه ابن شهر آشوب غير صحيح ، إذ كيف يتصور المرء أن يسيء الصحابة الظن بالرسول الكريم ، أو أن يتهموه بالغواية والضلال ، وأن يتكلموا بهذا التكالب الشديد على الخلافة والحكم ، وهم الذين كانوا يطعمون الرسول الكريم في كل ما أمر به ، وهاجروا من مكة إلى المدينة مخلفين وراءهم الأموال والأرض ، وابن شهر آشوب يسيء إلى الإمام الصالح جعفر الصادق رضي الله عنه عندما ينسب إليه مثل هذا الخبر ، إذ إنه لا يمكن أن تصدّر عنه مثل هذه الأقاويل .

(١) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢١٢ ، وديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ١١٦ .

(٤) سورة النجم : الآية ١ .

(٥) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢١٥ ، وديوان ميهيار الديلمي : ج ٢ ، ص ٣٢ .

ويروي الشيعة أقوالاً للرسول الكريم تدل على أن علياً كرم الله وجهه وصيبي
 للرسول الكريم، فيذكر ابن شهر آشوب أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "أنا
 سيّد النبيين وعليّ سيّد الوصيين" (١) وقد ذكر شعراء الشيعة ذلك، فقال الصاحب
 ابن عباد:

سَيِّدُ النَّاسِ حَيِّدَرُهُ هَذِهِ حَيْرٌ تَذَكِيرُهُ
 لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ رَدَّ هَذَا وَأَنْكَرَهُ
 هُوَ غَيْظٌ لِنَاصِيْبِي مَنْ وَحْتَفَ لِمُجَبَّرٍ (٢)

وهناك دليل آخر على إمامة عليّ يذكره الشيعة، وهو أن الرسول الكريم
 عندما خرج إلى غزوة تبوك في أربعين ألف مقاتل خلف علياً بالمدية فلما صار في
 بعض الطريق لحق به عليّ وهو حزين، وذكر له أن المنافقين يزعمون أن الرسول الكريم
 خلقه تخففاً منه فقال له الرسول الكريم: "كذبوا إنما خلقتك لِمَا ورايَ فأرجع، فأخلفني
 في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانيبي
 بعدى" (٣).

وقد ذكر شعراء الشيعة هذه المسألة في شعرهم، ومنهم الزاهي، فقال:

غَدَاةَ دَعَاهُ الْمُصْطَفَى وَهُوَ مُزْمِعٌ لِقَصْرِ تَبُوكٍ وَهُوَ لِلشَّيْرِ مُضْمِرٌ
 فَقَالَ: أَيْمٌ رُونِي بِطَيْبَةٍ وَأَعْلَمَنَّ بِأَنَّكَ لِلْفَجَّارِ بِالْحَقِّ مُبْهِرٌ
 فَلَمَّا مَضَى الظُّهُرُ النَّبِيُّ تَطَاهَرَتْ عَلَيْهِ رِجَالٌ بِالْعُقَالِ وَأَجَهَّـرُوا
 فَقَالُوا عَلِيُّ قَدْ قَلَاهُ مُحَمَّـدٌ وَذَاكَ مِنَ الإِزْجَاءِ إِفْكٌ وَمُنْكَرٌ
 فَأَلْفَيْتَهُ رُونَ الْمُعَشَّكَرِ فَأَنْتَنَسَى وَقَالُوا عَلِيُّ قَدْ أَتَاكَ مُكْفَّرٌ
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا إِمَامُكُمْ لَهُ اللَّهُ تَاجِي أَيْهَا الْمُتَحَيَّرُ (٤)

- (١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٢١٧.
- (٢) ديوان الصاحب بن عباد: ص ٢١٩-٢٢٠.
- (٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٢١٩-٢٢٠.
- (٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٢١.

يَوْمَ غَدِيرِ حُجْمٍ وَوَجِيهَةَ الرَّسُولِ لِعَلِيِّ بِالْإِمَامَةِ : -

ومما ذكره الشيعة في أشعارهم حديثُ يوم الغدير (١) ، فقالوا إِنَّهُ مِنَ الْأَرْدَةِ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ ، وفيه أمر الله تعالى الرسول الكريم أَنْ يَنْصِبَ عَلِيًّا إِمَامًا ، فتوقف عليه الصلاة والسلام في ذلك لأنه - كما يقول الشيعة - كره أن يُكذِّبَهُ النَّاسُ فِيهِ ، فنزل قوله تعالى " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ (٢) " فأمر الرسول الكريم المسلمين أن يُسَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وذلك بعد نزول : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ (٣) " . قال المرتضى :

وَدَرُّهُ كَانَ بِهِ أَعْرَفَا	لِلَّهِ دَرُّ الْيَوْمِ مَا أَشْرَفَا
مَا أَمْرَضَ الْأَعْدَاءَ أَوْ أَتَلَفَا	سَاقِ إِلَيْنَا فِيهِ رَبُّ الْعُلَسَا
بَدَّلَ مَنْ بَدَّلَ أَوْ حَسَّرَفَا	وَخَذَّرَ بِالْأَمْرِ عَلِيًّا وَإِنْ
قَالَ يَحْمُ وَخَدَّهُ قَدْ كَفَسَا	إِنْ كَانَ قَوْلًا كَافِيًا فَالَّذِي
مُبَلِّغًا عَنِ رَبِّهِ مَا وَقَسَا (٤)	قَبْلَ لَهُ بَلِّغْ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ

نلاحظ في هذه الأبيات مهاجمة المرتضى للصحابة متهمًا إياهم بتبديل ما أوصى به الرسول لعليٍّ من الإمامة ، وفي البيت الأخير يشير إلى الآية الكريمة السابقة .

وقال الزاهي :

بِالنَّقْلِ فِي خَبَرٍ بِالصِّدْقِ مَا سُورِ	مَنْ قَالَ أَحْمَدُ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ لَسَهُ
وَاسْعَدُ بِمُنْقَلَبٍ فِي الْبَعَثِ مَحْبُورِ	تُمْ يَا عَلِيُّ فَكُنْ بِعَدِي لَهُمْ عِلْمًا
نَجِيٍّ يَوْحِي عَلَى الْأَفْهَامِ سَسْطُورِ	مَوْلَاهُمْ أَنْتَ وَالْمَوْفِي بِأَمْرِهِمْ
بَلِّغْ وَكُنْ عِنْدِي بِتَاخِيرٍ مَا سُورِ	وَذَاكَ أَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ قَالَ لَسَهُ
بَلِّغْتَ أَمْرِي وَلَمْ تَصْدَعْ بِتَأْمِينِي (٦)	فَإِنْ عَصَيْتَ وَلَمْ تَفْعَلْ (٥) فَإِنَّكَ مَا

- (١) انظر : تذكرة الخواص : ص ٢٩ ، وتهذيب خصائص الإمام علي : ص ٢٤ ، والاحتجاج : ج ١ ، ص ٧٦ ، وكشكول الفقيه : ص ١١ ، وجامع الأدعية والزيارات : ص ٣١ .
- (٢) سورة الكهف : الآية ٦ .
- (٣) سورة المائدة : الآية ٦٧ .
- (٤) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٤٥ ، والأبيات غير مثبتة في ديوان الشريف المرتضى .
- (٥) في الأصل : " فَإِنْ عَصَيْتَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ " ، ولكن حذفنا " إِنْ " ليستقيم الوزن .
- (٦) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

وقال مهيار الدِّلميُّ :

واسألهم يوم حُجِّمَ بعد ما عقداً وا
قَوْلٌ صَحِيحٌ وَنِيَّاتٌ بِهَا نَفَلٌ
لَهُ الْوَلَايَةُ لِمَ خَانُوا وَلِمَ خَلَعُوا
لَا يَنْفَعُ السَّيْفُ صَقْلٌ تَحْتَهُ طَبَعٌ
بَعْدَ اعْتِرَافِهِمْ عَارٍ بِهِ اذْرَعُوا
وَنَكَارُ هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا
شَرَعٌ لَعَمْرُكَ ثَانٍ بَعْدَهُ شَرَعُوا (١)

نلاحظ في الأبيات السابقة مهاجمة مهيار للصَّحابة، فيصفهم بأنهم خَوَنُوا خَانُوا الإمام عليّاً وخالعوه بعد ما عقداً له البيعة، ويصفهم بأن نياتهم منطوية على الحقد ولذا أنكروا إمامة عليّ، وهذا عار اذرعوا به ولبسوه . وقال الصَّاحِبُ بن عبَّاد :

وَقَالُوا : عَلِيٌّ عَلَا قُلْتُ : لَا
فَإِنَّ الْعُلَى بِعَلِيٍّ عَالَا
وَلَكِنْ أَقُولُ كَقَوْلِ النَّبِيِّ
وَقَدْ جَمَعَ الْخَلْقُ كُلَّ الْمَالَا
أَلَا إِنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَى لَهُ
يُؤَالِي عَلِيًّا وَالْآقِلَا (٢)

وقال أبو العلاء السُّرُورِيُّ :

عَلِيٌّ إِمَامِي بَعْدَ الرَّسُولِ
وَلَا أَدْعِي لِعَلِيٍّ سِوَى
سَيَشْفَعُ فِي عَرِصَةِ الْحَقِّ لِي
فَضَائِلُ الْعَقْلِ لَمْ تَشْكَلِ
وَلَكِنْ إِمَامِي بِنَصِّ جَلِيْسِي
وَقَوْلِ الرَّسُولِ لَهُ إِنْ أَتَيْسِي
لَهُ سَيِّمًا الْفَاضِلِ الْمُفْضِلِ
أَلَا إِنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَى لَهُ
فَمَوْلَاهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ عَلِيْسِي (٣)

فالأبيات السابقة للصَّاحِبِ والسُّرُورِيِّ تدور حَوْلَ حديث غدِيرِ حُجِّمَ، وما رُوِيَ مِنْ أَنَّ الرِّسُولَ الْكَرِيمَ قَالَ فِيهِ : " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّسْمُ وَالْآلُ مِنْ وَالَاهُ وَعَادُ مِنْ عَارَاهُ (٤) . وَنَجِدُ ذَلِكَ عِنْدَ آخَرِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الشُّبُعَةِ ، وَمِنْهُمْ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ ، يَقُولُ :

- (١) ديوان مهيار الدِّلميِّ : ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ومناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٢٩ .
- (٢) ديوان الصَّاحِبِ بن عبَّاد : ص ٢٦٠-٢٦١ .
- (٣) مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٣١ .
- (٤) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٢٩ ، والفصول المهمة : ص ٢٤ .

وَزِيرُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَوَصِيَّهُ
وَمَنْ قَالَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ مُحَمَّدٌ
أَمَا إِنِّي أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ نَفْسِكُمْ
فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ مِنْكُمْ
أَطِيعُوهُ طَرًّا فَهُوَ مِنِّي بِضَرْبِ
وَمُشَبِّهُهُ فِي شَيْعَةٍ وَصَرَائِرِ
وَقَدْ خَافَ مِنْ عَدْرِ الْعُدَاةِ النَّوَاصِبِ
فَقَالُوا : بَلَىٰ ، رَبِّتَ الْمَرْيَبِ الْمَوَارِبِ
فَهَذَا أَخِي مَوْلَاهُ بَعْدِي وَصَاحِبِي
كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى الْكَلِيمِ الْمُخَاطَبِ (١)

والشاعر أبو فراس الحمداني كان له مشاركة في هذا الموضوع، فتحدث عن يوم الغدير، وذكر ما يراه الشيعة أنه نص على إمامة علي ووصية له بالخلافة والإمامة بعد الرسول الكريم، يقول :

تَبَّأَ لِقَوْمٍ بَايَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
أَتَرَاهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مَا خَصَّهُ
إِذْ قَالَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ مُعَالِنًا
فِيمَا يَسُوءُ فِي غَدِ عُقْبَاهُ
مِنْهُ النَّبِيُّ مِنَ الْمَقَالِ أَتَاهُ
مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَذَا مَوْلَاهُ (٢)

يلاحظ في هذه الأبيات أن أبا فراس يهاجم الصحابة رضي الله عنهم مبيناً أنهم أنكروا ما نص به الرسول الكريم على إمامة علي، واتبعوا أهواءهم.

وقال الشريف المرتضى في ذلك :

أَمَا الرَّسُولُ فَقَدْ أَبَانَ وَلَاهَهُ
أَمْضَى مَقَالًا لَمْ يَقْلَهُ مَعْرُضًا
وَتَنَى إِلَيْهِ رِقَابَهُمْ وَأَقَامَهُ
وَلَقَدْ شَفَى يَوْمَ الْغَدِيرِ مَعَاشِرًا
فَلَقَّبَتْ بِهِ أَحْقَادَهُمْ فَمَرَجَّعُ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُ جَائِرًا أَنْ يُنْذَرَا
وَأَشَارَ زِكْرًا لَمْ يُشِدَّهُ مَفْرَرًا
عَلِمَا عَلَى تَابِ النَّجَافِ مُشَهَّرَا
تَلَجَّتْ نَفُوسُهُمْ وَأَدْوَى مَعَشَرَا
نَفْسًا وَمَانِعًا أَنَّهُ أَنْ تَجَهَّرَا (٣)

- (١) مناقب ال أبي طالب : ج ٢ ، ص ٢٣١ .
(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٣٢ ، والأبيات غير مثبتة في شرح ديوان أبي فراس الحمداني .
(٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٣٦-٣٧ .

وهذه الأبيات أيضاً تدور حول قصة يوم الغدير، ونلاحظ فيها إيمان الشاعر بأن الرسول الكريم قد جعل علماً إماماً للمسلمين من بعده، حين أوصى إليه معاً أرى إلى فرح كثير من المسلمين وحزن بعضهم وغضبهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يبذوا ذلك للرسول الكريم.

العَدْلُ والتَّوْحِيدُ :

لقد تحدّث الشيعة عن مباراتهم الأخرى عدا مبدأ الإمامة ووصية الرسول لمليّ بالخلافة وللأئمة النضر على إمامته التي تحدّثنا عنها، فنجدهم قد تحدّثوا عن مبدأ العدل ومبدأ التوحيد بمسائلهما المختلفة، وهذا يؤكّد لنا عمق اعتزازهم بمباراتهم وفخرهم بها وأكثر ما نجد ذلك لدى الشاعر صاحب بن عبّاد، ومن الأمثلة التي توضح لنا ذلك قوله من قصيدة مطلعها :

لَقَدْ رَحَلَتْ سَعْدَى فَهَلْ لَكَ مُسْعِدٌ وَقَدْ أَنْجَدَتْ عَلَوًّا فَهَلْ لَكَ مُنْجِدٌ (١)

يبدأها بمقدمة غزليّة فيتحدّث عن حبه لسلمى وانتظاره طيفها، ثمّ يتحدّث عن بكائه الشديد، وسهره الطويل ثمّ يتحدّث عن جمال النجوم ويصف الرياض والأزهار والرياحين، ويتحدّث عن دهشته لجمال الطبيعة، فشرب الخمر المصفّاة التي تشبه اللجين، ثمّ يتحدّث عن رحلة صيد قام بها، فقتل جماراً وحشياً برمحه وصاد سرباً من الطيأء.

ويعد ذلك يبيّن أنّه سيّتحّدث عن نهج الحقّ ويوضحه، فيذكر رأي الشيعة في عدل

الله وتوحيده يقول :

سَأَوْضِحُ نَهْجَ الْحَقِّ إِنْ كَانَ سَامِعٌ وَأُرْسِدُ مَنْ يُصْفِي إِلَيْهِ وَيُرْسِدُ
وَمَنْ كَانَ يُخْفِيهِ فَإِنِّي مُظْهِرٌ وَمَنْ لَمْ يُجَرِّدْهُ فَإِنِّي مُجَسِّرٌ
وَمَنْ كَانَ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرَةِ إِئْسَاءً فَإِنِّي فِي التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ أَوْحَدٌ
أَنْزَهُ رَبَّ الْخَلْقِ عَنْ حَدِّ خَلْقِهِ وَقَدْ زَاغَ رَأْيُ فِي الصِّفَاتِ وَمُسْنِدُ

(١) ديوان الصّاحب بن عبّاد : ص ٢٧ .

فَهَذَا يَقُولُ اللَّهُ يَهْوَى وَيُصْعِدُ
تَبَارَكَ رَبُّ الْعَرْشِ وَالشَّيْبِ، إِنَّهُمْ
وَأَخْرُ قَالَ: الْعَرْشُ يَفْضُلُ قَدْرَهُ
وَأَخْرُ قَالَ: اللَّهُ جِسْمٌ مُجَسَّمٌ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ حُدَّ لَا بُدَّ مُحَدَّثٌ
لَقَدْ زَعَمُوا مَا لَيْسَ بِهِدْ وَهُ مُشْرِكٌ

وَهَذَا لَدَيْهِ اللَّهُ - مَذْكَانَ - أَمْرٌ
لَا كُفْرَ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيهِ وَأَعْتَقَدُ
وَأَوْهَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ مُجَسَّمٌ
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْجِسْمَ شَيْءٌ مُحَدَّثٌ
إِذَا مَيَّزَ الْأَمْرَ اللَّيْبُ الْمُؤَيَّزُ
وَقَدْ أَتَيْتُوا مَا لَيْسَ بِحَطْوُهُ مُلْحِدٌ (١)

في هذه الأبيات نلاحظ أَنَّ الشاعر يتحدث من مبدأ التوحيد بصورة خاصة، فيذكر أَنَّ الله تعالى لا يشبه خلقه، وَأَنَّ بعض الناس يُشَبِّهُونَ الله تعالى بالبشر الذين خَلَقَهُمْ وهذا كفر عظيم يفوق كفر فرعون . ثم يهاجم الصاحب الذين يقولون إنَّ الله تعالى جِسْمٌ، ويشبهونه بالأجسام، ويبين أَنَّ هذا غير صحيح، فالله تعالى ليس بجسم لأنَّ الجسم شيءٌ مُحَدَّثٌ معروف، وبذلك فهو مُحَدَّثٌ، والله تعالى قديم، وهو خالق المُحَدَّثَاتِ، وهو إله الذين يثبتون الجسمية لله كفرًا مُلْحِدُونَ .

ثم ينتقل الصاحب إلى توضيح رأي الشيعة في التوحيد، فيذكر أَنَّ الله تعالى ليس كمثله شيءٌ، ولا فصل بين ذاته تعالى وبين صفاته، فصفاته عين ذاته، فمثلاً هو عَالِمٌ بذاته لا يعلم مُنْفَصِلٌ، وهو سبحانه قديم وما سواه مُحَدَّثٌ، وكلامه تعالى مُحَدَّثٌ مخلوق، وليس قديماً، لأنه لو كان قديماً لشارك الله تعالى في القِدَمِ، ويبين الصاحب أَنَّ الذين يدعون أَنَّ القران قد يهتبهون اليهود والنصارى في شركهم بالله سبحانه وتعالى، يقول :

وَقُلْنَا بَأَنَّ اللَّهَ لَشَيْءٌ مِثْلُهُ
هُوَ الْعَالِمُ الذَّاتُ الَّذِي لَيْسَ مُحْوَجًا
هُوَ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْعَلِيُّ الْعَمَّجِدُ
إِلَى الْعِلْمِ وَالْأَعْلَامِ تَبَدُّو وَتَشَبَّهُدُ
وَلَيْسَ قَدِيمًا سَابِقًا غَيْرُ ذَاتِهِ
وَإِنْ كَانَ أَهْنَاءُ الضَّلَالِ تَبَدُّدًا
أَتَانَا بِذِكْرِ مُحَدَّثٍ مِنْ كَلَامِهِ
هُوَ الْحُجَّةُ الْعُلْيَا لِمَنْ يَتَسَدَّدُ
وَإِنَّ قَالَ أَقْوَامٌ: قَدِيمٌ لَأَنَّهُ
كَلَامٌ لَهُ فَانظُرْ إِلَى أَيْنَ صَعَّدُوا

(١) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٣١-٣٢ .

كَذَلِكَ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ مَقَالُهَا وَقَدْ سَرَدُوا عَنْ رِيئِنَا فَتَشَرَّدُوا
فَتَبَّأَ لَهُمْ إِذْ عَانَدُوا فَتَنَصَّصَرُوا وَوَيْلًا لَهُمْ إِذْ كَانُوا وَافْتَهَوُوا (١)

وبعد أن حدّثنا الصّاحِبُ في الأبياتِ السّابِقَةِ عن مَبْدَأِ التَّوْحِيدِ بمسائله المختلفة
ينتقل في قصيدته إلى الحديث عن مبدأ العدل الإلهي فيها جم الغائلين بالجبر ،
ويوضح رأي الشيعة في عدل الله تعالى يقول :

وَإِنْ سُقَّتْ مَا قَالُوهُ فِي الْجَبْرِ ضَلَّةً خَشِيتُ جِبَالَ الْأَرْضِ مِنْهُ تَهَدُّدُ
يَقُولُونَ : إِنْ اللَّهُ يَخْلُقُ سَبَبَهُ لِيُشْتَمَ كَلًّا فَهَوَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
وَقَالُوا : أَرَادَ الْكُفْرَ وَالظُّلْمَ وَالزَّنَا وَقَتَلَ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ تَعَبَّدُوا
فَكَلَّفَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فِعْلَ مُخْنَقٍ عَلَى عَبْدِهِ حَاشَاهُ مَعَا تَزَيَّدُوا
وَعَاقِبَةُ عَنِ تَرْكِهِ الْفِعْلَ - لَمْ يُطِيقْ - عِقَابًا لَهُ مَنْ بِالْجَحِيمِ مُخَلَّدُ
يَقُولُونَ : عَدْلٌ أَنْ يُكَلَّفَ مُقْعَدًا قِيَامًا وَعَدْوًا مُسْرِعًا وَهُوَ مُقْعَدُ
وَقُلْنَا : بَأَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ وَأَنَّسُهُ يُكَلَّفُ دُونَ التَّطَوُّقِ مَا هُوَ أَحْمَدُ
وَأَنَّ زُنُوبَ النَّاسِ - أَجْمَعَ - كَسَبُهُمْ بِإِخْدَانِهَا مِنْ دُونِهِ قَدْ تَغَرَّدُوا
وَلَيْسَ يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا صَلَاحَهُمْ وَإِنْ أَفْسَدُوا فِي رِيئِهِمْ وَتَعَرَّدُوا
وَيُرْجَى نَا الْإِرْجَاءِ وَالْقَوْلُ وَارِدُ بِإِنْجَاذِهِ كُلِّ الَّذِي قَدْ تَوَعَّدُوا (٢)

فالصّاحِبُ في هذه الأبيات يوضح رأي الشيعة في العدل الإلهي ، فيها جم
الغائلين إِنْ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ الْمَعَاصِيَ كَالْكَفْرِ وَالظُّلْمِ وَالزَّنَا وَيَخْلُقُهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُكَلِّفُ الْعَبْدَ مَا لَا يُطِيقُ ، وَيَعَاقِبُهُ عَلَى تَرْكِ فِعْلٍ مَا لَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ ، فَهَمَّ يَقُولُونَ إِنْ مِنْ
الْعَدْلِ أَنْ يُكَلَّفَ اللَّهَ تَعَالَى الْمُقْعَدَ الْقِيَامَ وَالرُّكُضَ بِسُرْعَةٍ وَهُوَ مُقْعَدٌ . وَيَبَيِّنُ الصّاحِبُ
أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُنْكَرٌ تَكَادُ جِبَالَ الْأَرْضِ مِنْهُ تَهَدُّدٌ .

(١) ديوان الصّاحِبِ بن عبّاد : ص ٣١-٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٣-٣٤ .

ثُمَّ وَضَّحَ رَأْيَ الشَّيْعَةِ وَبِتَلَخُّصِ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَادِلٌ ، لَا يَكْلِفُ الْعِبَادَ مَا لَا يَطِيفُونَ ، وَإِنَّمَا يَكْلِفُهُمْ مَا هُوَ دُونَ قُدْرَتِهِمْ ، وَذُنُوبِ النَّاسِ كُلِّهَا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَخَلْقِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَحَدَتْهُمَا مِنْ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ يُعَبِّرُ الشَّاعِرُ عَنْ مَسْأَلَةِ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ فَيَذَكُرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرِيدُ بِعِبَادِهِ إِلَّا صَلَاحَهُمْ .

وبعد ذلك يمدح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ثم ينتقل إلى مدح أمير المؤمنين علي ، فيذكر أن الرسول الكريم قد أوصى له بالإمامة ، يقول :

وَأَوْصَى إِلَيَّ خَيْرَ الرَّجَالِ ابْنِ عَمِّهِ وَإِنْ نَاصَبَ الْأَعْدَاءُ فِيهِ فَعَاهِدُوا (١)

ثم يتحدث عن مزايا علي كرم الله وجهه وهي سبقه إلى الإسلام ، وكثرة مجاهدته الأعداء في معركة بدر وخيبر وأحد وحنين ، ثم يذكر بعض مواقفه ومنها نومه على فراش الرسول الكريم عندما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة ، وعدم سجوده لصنم ، واشتهاره بالعلم الواسع ، ثم يمدح زوجته الزهراء وابنيها الحسن والحسين ، ويختتم القصيدة بالفخر بقصائده التي يقولها في مدح آل البيت .

وتطرق صاحبني بعض أشعاره إلى مسألة أخرى من مسائل التوحيد ، وهي نفي رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار :

عَزَّ فَمَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ كَلَّا وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَفْكَارُ
وَلَا لَهُ كَيْفٌ وَلَا اسْتِقْرَارُ وَلَا لَهُ أَيْنٌ وَلَا أَقْطَارُ (٢)

فَالصَّاحِبُ هُنَا يَعْزِجُ الْحَدِيثَ عَنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْجِسْمِيَّةِ ، فَالصَّاحِبُ يَنْفِي رُؤْيَتَهُ تَعَالَى ، وَيَنْفِي الْجِسْمِيَّةَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُدْرِكُ بِالْبَصْرِ وَلَا يُتَوَهَّمُ بِالْفِكْرِ وَلَا يُحَدُّ بِمَكَانٍ وَلَا قُطْرٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ .

ونجد مسألة قدم الله تعالى تتردد في أشعار آخرين من الشيعة غير الصاحب بن عباد ، ومنهم ابن سنان الخفاجي ، فهو يقول :

(١) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٣٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٣ .

اسْتغْفِرِ اللَّهَ الْقَدِيمَ وَعُدْبِهِ مِنْ شَرِّ عَاوِي فِي الْحَطَامِ مُنَافِسٍ (١)

فالشاعر في هذا البيت مؤمن بأن الله تعالى قديم لا أول لوجوده، وبذلك يكون مساوياً مُخَدَّناً، وبهذا فهو يُعَبَّرُ عن آراء الشيعة في توحيد الله. ويقول أبو محمد الخازن في مدح صاحب بن عبَّاد :

كَذَاكَ تَوْحِيدُهُ الْوَلَّى بِأَرْبَعَةٍ كُفْرٍ وَجَبْرٍ وَتَشْبِيهِ وَإِرْجَاءٍ (٢)

فأبو محمد الخازن يمدح الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ بأنه موحد، وتوحيده أبطل أربعة مذاهب هي الكفر والجبر والتشبيه والإرجاء. وهذا يكشف لنا النقاب عن إيمان الخازن وحرصه على التوحيد والعدل، فهو يعمد إلى الجبر والتشبيه جِزْماً على وحدانية الله عزَّ وجلَّ .

ويقول الوزير المغربي :

وَكَنْ بِالَّذِي تَدْحُطُّ بِاللُّوحِ رَاضِيَاً فَلَا مَهْرَبُ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطَّاهُ
وَإِنَّ مَعَ الرِّزْقِ اشْتِرَاطَ التَّمَاسُهِ وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
وَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي قِمِّ الطَّيْرِ قُوَّتَهُ وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لِقَطْعَهُ (٣)

نلاحظ في هذه الأبيات انعكاساً لقضية من قضايا العدل الإلهي هي قضية الأرزاق، فالشاعر يرى أنَّ الأرزاق ليست مقدورة وإنما هي تزيد بالطلب والسعي وتنقص بالتواني والكسل، ولذلك فهو يصوِّر لنا رأي الشيعة في هذا، وهو من مقتضى العدل الإلهي كما يرون. ونجد هذا الرأي لدى شاعر شيعي آخر هو الظاهر الجزري، يقول :

يَلَاذُ اللَّهُ وَاسِعَةً فَضَاهَا يَزِرُّكَ إِلَهٌ فِي الدُّنْيَا فَيَسِيحُ
فَقُلْ لِلْقَاعِيدِينَ عَلَيَّ هَوَانٍ إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَيَسِيحُوا (٤)

(١) ديوان ابن سنان الخفاجي : ص ٥٧ .

(٢) معجم الأديب ج ٦، ص ٢٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ج ١٠، ص ٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ج ١١، ص ٢٧١-٢٧٢ .

فالشاعر هنا يعبر عن رأي الشيعة في إحدى مسائل العدل الإلهي وهي الأرزاق، فيرى أنه لا بُدَّ لكسب الرزق من العمل والسعي، ونجد حديثاً عن هذه المسألة عند شعراء آخرين منهم كشاجم، وهو يكرر الفكرة لدى المغربي والجزري في الأرزاق (١) وقد تحدّث بعض شعراء الشيعة عن العدل الإلهي بصورة عامة ومنهم الخبزأرزي يقول :

وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ الْقَصَاصَ بِعَدْلِهِ وَلِلَّهِ حُكْمٌ فِي الْعُقُوبَاتِ مُنْزَلٌ
وَعَدْلٌ مُكَافَأَةٌ لِلْمَسِيءِ بِفِعْلِهِ فَمَاذَا عَلَى مَنْ فِي الْقَضِيَّةِ يَعْدِلُ (٢)

فالشاعر هنا مؤمن بعدل الله تعالى، فالله تعالى عادل، ولذا أوجب معاقبة المسيء على ما جنت يداه.

المَعَادُ :-

ومن مبادئ الشيعة التي تحدّث عنها شعراءهم المعاد، فالله تعالى سيّمعيد الناس ليجازيتهم ويكافئهم كلّاً حسب عمله، ولنلمح ذلك واضحاً لدى شعرائهم، إذ نلاحظ في أشعارهم إيمانهم بالبعث والمعاد، وذلك كي يحاسب الله تعالى الناس على ما قاموا به من الأعمال ومن هؤلاء الشعراء النامي، فهو يقول في المدح :

وَلَقِيْتُ الْمَمْنُونَ (٣) تَحْتَ عَوَالِيهِ لَكَ مَقَرّاً ذُخْراً لِيَوْمِ نَشُورِي (٤)

فالشاعر مؤمن بالبعث والمعاد، لذا فهو يعبّر الموت إلى تجانب المقدر ذُخْراً ليوم القيامة والحساب.

ويقول الشريف المرتضى في رثاء أحد أصدقائه :

وَقَدْ وَاللَّيْتُ مَنْ فِي عَسْرِ صَوِّةِ الْبَعْثِ لَهُمْ شَانُ (٥)

-
- (١) انظر: ديوان كشاجم : ص ص ٦٦-٦٧ .
(٢) تاريخ بغداد : ج ١٣ ، ص ٢٩٨ .
(٣) المنون : الموت، والعالية : أعلى قناة الرّمح أو رأسه . (انظر : القاموس المحيط : مادة منّ ومادة علو) .
(٤) شعر النامي : ص ٦٢ .
(٥) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

ويقول :

يَا رَبِّ لَا تَجْعَلِ الْمَنْظُورَ مِنْ أَجْلِي
وَأَجْعَلْ مَسِيرِي إِلَى لُقْيَاكَ يَوْمَ تَرَى
فِي وَاضِحِ جَدِيدِ تَأْبَى الْعِثَارِ بِهِ
وَأَعْطِنِي الْأَمْنَ فِي يَوْمِ تَكُونُ بِهِ
كَمْ زَاوَالُ عَفْوًا لَسْتُ أَكْتَسِبُهُ
وَيَهْلُ لِيَجْلِدِي يَوْمَ النَّارِ مِنْ أَمْلِي (١)

ففي هذه الأبيات نلاحظ إيمان الشاعر بالمعاري والحساب، لذا فهو يدعو الله أن يمتحه
الأمّن يوم القيامة .

شُكْرُ الْمُنْعِمِ :

ومن المسائل التي بحثها الشيعة في أشعارهم مسألة شكر المنعم ، فقد حث شعراؤهم
على شكر الله تعالى ، ومن ذلك قول الشريف المرتضى في موت أحد أعدائه :

قَد كُنْتُ أَخْشَى مِيتَتِي قَبْلَهُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا كَفَى
فَجَنَّبَ اللَّهُ الَّذِي يُتَّقَى
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَكَى (٢)

فالمرتضى يشكر الله تعالى على نعمته ، وهي أنه أمات عدوه قبله .

ويقول كشاجم معرّيا الصنوبري عن ابنته من أبيات :

أَتَأْسَى يَا أَبَا بَكْرٍ
وَقَدْ زَوَّجْتَهَا الْقَبْرَ
رَفَافٌ أَهْدَيْتَ فِيهِ
فَتَاةً أُسْبَغَ اللَّهُ
وَقَدْ يُخْتَارُ فِي الْمَكْرُ
فَقَابِلُ نِعْمَةِ اللَّهِ
لِعَوْتِ الْحُرَّةِ الْبَكْرِ
وَمَا كَالْقَبْرِ مِنْ صَهْرٍ
مِنَ الْخِذْرِ إِلَى الْقَبْرِ
عَلَيْهَا أُسْبَغَ الشَّوْ
وَاللَّعْرُ وَمَا يَسْـُٔرِي
لَيْسِي أَوْلَاكَ بِالشُّكْرِ (٣)

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٣) ديوان كشاجم : ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .

يعزى كشاحم الصنوبري في هذه الابيات ، فيعتبر وفاة **ابن النعمة** من الله تعالى لانسه منحها السر ، ثم يحث الصنوبري على شكر الله تعالى على هذه النعمة التي أنعمها عليه .

وتحدث شعراء الشيعة عن وجوب شكر المنعم من زاوية أخرى وهي أن عدم شكر النعمة يؤدي إلى زوالها ، ومن هؤلاء الشريف المرتضى فقد بين أن النعمة لا تسدوم إلا مع الشكر. (١)

الاغراض التقليدية في شعر الشيعة :

قال الشيعة الشعر في الاغراض التقليدية المختلفة وهي المدح والفخر والوصف والغزل والرثاء والهجاء والاخوانيات والحكمة والزهد ، وكانت لهم في ذلك أشعار رقيقة عذبة .

(١) المدح :

يحتل المدح مكانة عظيمة في أشعار الشيعة ، فقد قالوا أشعارا كثيرة فيه شملت القصائد الطويلة والمقطوعات الشعرية ، وكانوا يمزجون المديح بغيره من الاغراض في بعض قصائدهم . وقد تنوع شعر المديح عند الشيعة ، فمدح شعراءهم الاقارب والاصدقاء ، وآل البيت عليهم السلام ، والملوك والامراء ، وكانت مدحهم في الغالب تدور حول الصفات التقليدية المعروفة في الشعر العربي منذ القدم ، ومنها الكرم والعلاء ، وعلو الهمة ، والشجاعة ، وعراقة النسب ، وكرم الاصل ، وأمثال ذلك من الصفات المعروفة .

يقول عبد المحسن الصوري في مدح الوزير أبي الفرج يعقوب بن يوسف من

قصيدة :

عَدَا عَلَى الْعَالِ فَتَاكَأَ بِهِ وَبِهِمْ يَهْتَمُّ بِاللَّهِمْ خَوْفًا أَنْ يُفَارِقَهُ حَتَّى لَقَدْ قَالَ قَوْمٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ رَدَّ الْكَاتِبَ فَاسْتَغْنَتْ سِيَاسَتُهُ	حَتَّى اسْتَجَابُوا لِمَرْغُوبٍ وَمَرْهُوبٍ فِي شَعْبٍ مُنْصَدِعٍ أَوْ صَدْعٍ مَنُذُوبٍ أَحَبَّذَا الْمَلِكُ شَيْئًا غَيْرَ مَحْبُوبٍ عَنْ نَصْرِ كُلِّ مَحَلِّي الْوَجْهِ مَكْتُوبٍ
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) انظر : ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢١٥ .

فَرَأَيْتُ فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ رَأَيْتُهُ وَجَيْشُهُ فِيهِمْ جَمِشُ التَّجَارِبِ
حَتَّى تَسَلَّمَ مِنْهُمْ مَا اسْتَحَقَّ وَمَا لَمْ مَغْضُوبٌ عِنْدِي عَلَى حَقِّ يَمَغْضُوبِ
رَأَوْهُ بَدْرًا وَكَمْ هَمَّوْا بِمَقْدَرَتِهِ غَزَوْا وَذَا الدَّهْرُ زُو وَعَكْسٌ وَتَغْلِيْبِ (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يمدح الوزير يعقوب بالكرم والشجاعة وشدة التماس، وعلو الهبة،
وحسن الرأي والسياسة وعزة الجانب، فهو يمتزج حقوقه من الآخرين بالقوة، ثم يمدح
بعلو المنزلة بين الناس. ويقول القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي في المدح:

مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَمْرٌ غَمَّرَ النَّدَى سَخَّ الْيَدَيْنِ مُوْطَلٌ مَرَّ هُوبِ
يُفْرِيه بِالْخُلُقِ الرَّفِيعِ وَالنَّدَى وَالْمَكْرَمَاتِ الْعَدْلُ وَالْتَأْنِيْبِ
فَلَهُ رَقِيبٌ مِنْ نَدَاهُ عَلَى الْوَرَى وَعَلَيْهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ رَقِيبُ (٢)

فالشاعر يمدح المدح وحسن فيصفهم بالكرم الغاير وعزة الجانب، وبأنهم ذوو طباع كريمية
تلازمهم، وكأننا هي رقيب عليهم، وهذا تصوير رقيق من الشاعر لتسامح هؤلاء القوم.

ونلمح في أشعار الشيعة أنهم لا يقتصرون على ما هو شائع لدى الشمراء الآخرين
من وصف المدح بالكرم والعطاء فقط، ولكنهم أضافوا بعض المعاني في التعبير عن كرم
المدح، بحيث يجعلون السامع أو القارئ يتصور أن الكرم سجيته فيه، بل يضيفون على
المدح ما يجعله مثالا للكرم والعطاء، ومن ذلك ما نجد لدى الشاعر عبد الحسين
الصوري، فهو يصف المدح بأنه لئن الجانب لطالبي العطاء، متهلل الوجه إليهم، حتى
إن المرء ليتوهم أن المدح هو الطالب لا الواهب، وهو يخفي عن عظمهم أنه
هو المانع للعطايا والقلات. يقول عبد الحسين الصوري:

أَلَسْتَ تَرَاهُ كُلَّمَا حَلَّ جَانِبَهَا مِنْ الْأَرْضِ حَلَّ الْجُودِ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ
فَتَى لِيْنَهُ لِلطَّلَابِينَ وَبِشْرُهُ مُتَعَيِّلٌ فِي أَوْهَامِهِمْ أَنَّهُ الطَّلَابِيبُ
مَنْ تَلَقَّ مَا بَيْنَهُمْ تَلَقَّ وَاحِدًا مِنْ النَّاسِ يُخْفِي عَنْهُمْ أَنَّهُ الْوَاهِبُ

(١) ديوان الصوري: ج ١، ص ٥٦.

(٢) معجم الأدباء: ج ١٤، ص ١٨٤.

وَيَسِيمُ عَن بَرْقِي فَيَنْشُو بِكَتِّهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ يَبْقَى عَلَى الْعَرَى بَعْدَهُ
وَهُمْ بِمَا نَابَ الْبَعِيدَ كَأَنَّهُ
سَنَاقِبُ الْقَاهَا عَلَيَّ عَطَاوُهُ
إِذَا الْجُودُ لَمْ يَعْجِزْ عَجَزَتْ بِشُكْرِهِ
وَقَابَلَتْهُ بِالْمَطْلِ وَالْمَوْعِدِ الْكَازِبِ (١)

والشاعر في هذه الأبيات يلتمس معياراً دقيقاً من معايير الكرم الحقيقي . وهو سرور المدوح بمطائه حتى ليطنَّ أنه هو الآخذ ، إذ إنَّ العرء قد بجودٍ ويعطي ولكنه يُتْبِعُ ما أنفق العن والأذى ، وليس الأمر كذلك فقط ، وإنما يصوِّر الصوريُّ سدوحه بأنه يتحمَّل أخطاء الغائبين ، ويؤدِّي عنهم ، وكأنه يعمدُّ نفسه السوءول عما أخذوا وارثكها ، وهذا هو الجود الحقيقي .

والجود الحقيقي يغلب على صاحبه من الحكام والملوك والعظماء ، ولذا نجد الفرد ينهم يكره أن يجعل على بابه الحُجَّاب الذين يحولون دون دخول الناس على المدوح بحرية تامة ، ولذا تكون أهوايه دائماً مُشرقةً لدخول ذوي الحاجات ، وهذا ما نجده لدى السلامي حين يقول ما ربحاً :

إِذَا زُرْتَهُ لَمْ تَلْقَ مِن دُونِ بَابِهِ
كَمَا الْفُرَاتِ الْجَمِّ أَعْرَضَ وَرْدُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً
حِجَاباً وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ بِشَافِعِ
لَيْكَلْ أَنَا فِي فَهْوَسَهُ الشَّرَائِعِ
تَهَلَّلْ أَبْكَارِ الْغُيُوثِ الْهَوَائِعِ (٢)

وما أجمل تشبيه الشاعر سدوحه بماء الفرات ، والمطر الغزير في الجود والكرم . ومن الصفات التي حرص شعراء الشيعة على التمدح بها الذكاء ، ولا شك أنَّ القنطنة من أهم الصفات في الإنسان فهي التي تُعرِّفه الصواب في أعماله . ونحن تمدح بهذه الصفة من الشيعة أبو الفتح الهشتي ، يقول :

(١) ديوان الصوري : ج ١ ، ص ٦٠ .

(٢) شعر السلامي : ص ٧٧ .

ولما تتابع صَرفُ الزَّمانِ فَرَعْنَا إلى سَيِّدِ نَابِهٍ
إِذَا كَثُرَ الدَّهْرُ عَن نَابِهٍ كَشَفْنَا الحَوَارِثَ عَنَابِهٍ (١)

وكان شعراء الشيعة في بعض الأحيان يمزجون مدح المدح في نفسه بمدح قومه وأجداده ونسبه ومن ذلك ما تجده لدى ابن سنان الخفاجي في قوله:

ومولف الأهل بعد شتاتها طوعاً فما بين القلوب شفاق
يسطو وقد برقت أسرة وجهه بشراً فمزج أمنه الإشفاق
كالسيف يسمر حده نار الوغى والماء في صفائه برأق
ما هزته طرب العقار وإنسا أعطته نشوة كأسها الأخلاق
هي في الهوى وعد الوصال وفي الكرى طيف الخيال وفي الوداع عناق
يئس إلى حسب تقدم ملهم فيه وعز على النجوم لحاق
بيت له الشرف القديم وعميره كالشيب جده مثله أخلاق
أحس الندى جدلان ثم بجلوه بشرؤها كأنه أطراق
وحس العواصم بعدما غاث العدى فيها وحاول سرحها المراق
ماضرها جذب وأنت ربهها ال حالي وكفك غيبتها الغيداق (٢)

ففي هذه الأبيات مدح الشاعر مدحه وقومه، فوصفه بالحزم والشجاعة وقوة السطوة، ونلاحظ براعة التشبيه في البيت الثالث فالمدح ضاحك متهلل الوجه ولكنه حازم ذو سطوة، فكأنه السيف البارق اللامع ذو الحد القاطع. وتلمس في هذا المدح بعض المعاني الإشلائية، فالمدح لم يهتز طرباً بسبب شرب الخمر، وإنما هزته الأخلاق الحميدة الرقيقة التي يتحلل بها، وهي أخلاق رقيقة كأنها وعد بالوصل أو طيف محبوب يزور المحب، أو عناق عند الوداع والفرقة، وهو أقصى درجات التعبير عن الوداد والحب، وبعد ذلك يمدح الشاعر مدحه بعراقة النسب وكرم الأصل، فهو ذو نسب رفيع يفسوق نجوم السماء أما البيوت الأخرى فكرّمها حارث، كأنها الشيب الطارئ بعد سواد الشعر فهو ليس جده وإنما هو إخلق للمعروء.

(١) ديوان أبي الفتح البستي: ص ٢٣١.

(٢) ديوان ابن سنان الخفاجي: ص ٧٦.

ويقول سهار:

وَنَيْتَ لَأَبَاٍ تَكَلَّتْ عَنْهُمُ
فَضَائِلَ مَا سَنُوا الْفَخَارَ وَسَيَّرُوا
وَجِئْتَ بِمَعْنَى زَائِدٍ فَكَأَنَّهُمْ - وَمَا قَصَرُوا عَنْ غَايَةِ الْمَجْدِ - قَصَرُوا (١)

فالشاعر يجتمع بين مدح المدوح ومدح آباءه، فهم أهل فخار ومجد لم يُقصرُوا فيهما، ولكن الشاعر زاد عليهم بمتأخر جديد حتى خجل للناس أنهم قَصَرُوا، وهذا معنى لطيف جعل صاحب كتاب الأفضليات يعتبر هذين البيتين من ملجح ما قيل في الجمع في المدح بين ذكر الآباء والأبناء (٢)

وقد مدح سُعْرَاءُ الشَّيْبَةَ الْخُلَفَاءَ وَالْعُكَّامَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ
يَمْدُحُ الْخَلِيفَةَ الطَّائِعَ وَهَيْئَتَهُ بِعَمِيدِ الْأَضْحَى سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ وَهِيَ قَصِيدَةٌ
طويلة معنا قوله :

عَلَى نِعَمٍ مَا تَنْقِضِي وَعَطَاءٍ	جَزَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثَنَائِي
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الْيَوْمَ غَيْرَ دِمَاءٍ (٤)	أَقَامَ اللَّيَالِي عَنْ بَقَايَا فَرِيَسْتِي
وَشَدَّ أَوْ أَحْيَى جُودِهِ بِرَجَائِي	وَأَذْنَى أَقَاصِي جَاهِهِ لَوْ سَائِلِي
وَكَيْفَ نَحِيمُ الْمَرْءِ بَعْدَ شَقَاؤِ	وَعَلَّمَنِي كَيْفَ الطَّلُوعِ إِلَى الْعُلَى
وَلَا رَاجِعُ عَنْ فُرْصَةٍ لِحِمَاؤِ	وَمِنْهَا : هُوَ اللَّيْثُ لَا مُسْتَنْهَضَ عَنْ فَرِيَسَةٍ
وَلَا مَشِيءٍ فِي فَتْكِهِ بِضَرَاؤِ (٥)	وَلَا عَزْمَةٍ فِي فِعْلِهِ بِمَذَلَّلِي
وَمَجْرِي دِمَاءِ الْكُومِ كُلِّ مَسَاؤِ (٦)	هُوَ النَّابِيُّ النَّيِّرَانِ فِي كُلِّ ظُلْمَةٍ
بِسَهْمٍ نِصَالٍ أَوْ بِسَهْمٍ غَلَاؤِ (٧)	وَمُعْلِي حَنِينِ الْقَوْسِ فِي كُلِّ غَارَةٍ

(١) ديوان سهار الديلمي : ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) الأفضليات : ص ١٧٤.

(٣) أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله، الخليفة قبض عليه بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ

فُسِّحَتْ عَنْهَا وَقُطِعَ جُزْءٌ مِنْ أُنْفِهِ، وَتَوَفِّي سَنَةَ ٣٩٣ هـ، وَكَانَ عَمْرُهُ ٧٣ سَنَةً .

(انظر : شذرات الذهب : ج ٣، ص ١٤٣ .)

(٤) الدِّمَاءُ : بَقِيَّةُ النَّفْسِ . (انظر : لسان العرب : مادة ذمي) .

(٥) الضَّرَاؤُ : الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ فِي الْوَادِي، وَيُقَالُ فُلَانٌ يَحْشِي بِضَرَاؤِ إِذْ مَشَى مُسْتَخْفِيًا

فِيهَا يُوَارِي مِنَ الشَّجَرِ، وَالضَّرَاؤُ الْإِسْتِخْفَاءُ أَيْضًا (انظر : المصدر نفسه : مادة

ضرا) .

(٦) الْكُومُ : جَمْعُ كُومَةٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامِ . (انظر : القاموس المحيط : مادة

كوم)

(٧) يُقَالُ : رَجُلٌ غَلَاؤٌ : أَيُّ بَعِيدٌ مَرَى السَّهْمِ . (انظر المصدر نفسه : مادة غلا) .

فَخَارَ لَوَانُ النِّجْمِ أُعْطِيَ مِثْلَهُ تَرَقَّعَ أَنْ يَأْوِي أُرَيْمَ سَمَاءِ
مَغَارِسُ طَالَتْ فِي رَيْسِ الْمَجْدِ وَالتَّعَتْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَالْخُلَفَاءِ
وَكَمْ صَارَ نَادَاكَ لَمَّا تَلَبَّهَتْ بِهِ الشُّرُوفُ فِي يَوْمِ بَغْيِهِ ذُكَاوُ (١)
رَدَدَتْ عَلَيْهِ النَّفْسَ وَالشَّمْسَ فَاثْنَى بِأَنْعَمِ رُوحٍ فِي أَعْمِ ضِيَاءِ
وَكَمْ صَدْرٍ مَوْثُورٍ تَطَّلَعَ غَمَظُهُ وَقَلَّبَ قَوْلًا عَنْ لِسَانِ سِرَاءِ (٢)
كَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْجِدْمَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِغْيِهِ طِعَانٍ فِي الْوَقَى وَرِقَاءِ
إِذَا حَمَلَ النَّاسُ اللَّوَاءَ عِلْمَةً كَفَاكَ مَثَارُ النَّعَمِ كُلِّ لِسَاوِ
وَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَدَّعِي الْبَأْسَ وَحَدَهُ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بِأَسِهِ بِسَخَاوِ
وَمَا أَنْتَ بِالْمَبْخُوسِ حَظًّا مِنَ الْعُلَى وَلَا قَانِعًا مِنْ عَمِيهِ بِكَفَاوِ
نَصِيحِكَ مِنْ ذَا الْعِمِيدِ يَبْثُكُ وَافِرُ وَسَعْدُكَ فِيهِ مُوَزَّنٌ بِبَقَاوِ
وَلَوْ كَانَ كُلُّ آخِذًا قَدَرٌ نَفْسِيهِ لَكَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِغْيِهِ سِرَاوِ
وَمَا هَذِهِ الْأَعْمَالُ إِلَّا كَوَاكِبُ تَعْمُرُ وَتُوَلِّينَا قَلِيلَ سِرَاوِ
فَخُذْ مِنْ شُرُوبِ مَا اسْتَطَعْتَ وَفُزْ بِهِ فَلِلنَّاسِ قِسْمًا شِدَّةً وَرَخَاوِ
وَمِنْهَا : فَلَا تَطْمَعَنَّ بِمَا تَهْوَى فِئَانَهُ مَلَانِي يَا رَاعِي وَوَقَائِي
أُرْدُهَا أَيْدِي الْأَعَادِي وَاتَّقِي نَوَافِذَ شَتَّى مِنْ أَدَى وَوَلَاوِ
وَمِنْهَا : حَدِّثُوا بِالْعَطَايَا يَوْمَ جَالَتْ غُرُوضُهَا وَيَوْمَ انْتَحَتْ رُكْبَانُهَا بِرِفَاوِ (٣)
إِذَا بَلَغَتْ نَادِيكَ نَالَ رِفَاقُهَا عَرِيضَ عَطَايَ مِنْ طَوِيلِ ثَنَاءِ
وَمِثْلُكَ مَنْ يُعْمَسُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ وَيُلْفَى قِرَاءَهُ عِنْدَ كُلِّ خِبَاءِ (٤)

يصف الشاعر المدوح بالصفات التقليدية المعروفة لدى الشعراء، فيصفه بالشجاعة والإقدام والجود، وكرم الأصل، وإشراق الوجه، فهو يجمع بين الجود والشجاعة، وهو ملائم للمحتاجين لأنه عزيز الجانب.

- (١) تلبهت : وقعت في لبهته، وهي موضع القلادة بين الصدور (انظر: القاموس المحيط: مادة ألب). والذكاو - بالضم - الشمس. (انظر: المصدر نفسه: مادة ذكت).
(٢) اليتور : من قتل له قتيل، فلم يدرك بدنه. (انظر: المصدر نفسه: مادة الوتر).
(٣) غروض : جمع غرض، والغرض للرجل كالحزام للسرور. (انظر: المصدر نفسه: مادة الغرض).
(٤) ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ٩-١٣.

وقد كان لِقَادَةَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ الْأَعْدَاءَ نَصِيبًا مِنَ الْمَدِيحِ ، وَكَانَ فِي طَلِبَتِهِمْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّ ، فَقَدْ صَارَ الرُّومُ كَثِيرًا ، وَلِذَا مَدَحَهُ شِعْرَاءُ كَثِيرُونَ مِنَ الشَّعْبَةِ ، فَذَكَرُوا غَزَايِهِ وَفَارَاجِهِ عَلَى الرُّومِ ، وَمَا كَانَ يُوقِعُهُ فِيهِمْ مِنْ خَسَائِرَ ، وَقَدْ كَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ هُوَ الْبِطْلُ الْمُدَافِعُ عَنْ حِيَاضِ الْإِسْلَامِ ، قَاتِلُ الرُّومِ بِشِدَّةٍ دَاخِلَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِ الرُّومِ (١) ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ فِي سَنَةِ ٢٤٣ هـ غَزَا أَرْضَ الرُّومِ وَقَتَلَ قَسْطَنْطِينَ بْنِ الدِّسْتَقِ (٢) كَمَا قَاتَلَهُمْ مَرَاتٍ أُخْرَى (٣) ، وَلِذَا نَجَّدَ الشُّعْرَاءُ بِمَدْحِهِ مَشِيدِينَ بِشَجَاعَتِهِ ، وَمِنْهُمْ الصَّنَوْبَرِيُّ ، فَقَالَ :

بِأَيْمَنِ طَائِرٍ وَأَصْحٍ فَسَالٍ	وَأَسْعِدِ كَوَكَبٍ يَخْرُؤُ الْأَمِيرُ
يُؤْتِيهِ جَيْشُهُ بِجَيْوشِ نَصِيرٍ	تَسِيرُ عَلَيَّ النَّجَاحُ إِذَا تَسِيرُ
فَتَبْلُغُ حَيْثُمَا بَلَغَتْ مُنْجَاهُ	وَتَبْلُغَانَا بِبُشْرَاهُ الْبَشِيرُ
أَمِيرٍ أَوْسَعُ الْأَمْرَاءِ صَدْرًا	إِذَا ضَاقَتْ بِمَا تَسَعُ الضُّدُورُ
أَيُّهَا ابْنُ الْقَائِمِينَ بِكُلِّ دَهْرٍ	إِذَا قَعَدَتْ وَلَمْ تَقُمْ الدُّهُورُ
مَتَى عَدَّ الْكَوَاكِبُ مِنْ مَعَدِّ	فَأَنْتُمْ شُمُوسٌ لَا يُسُدُّورُ
تَرَكْتَ الرُّومَ بَعْضَهُمْ قَتِيلًا	يَخْرُؤُ دَمًا وَيَخْضِبُهُمْ أَسِيرُ
وَلَمَّا طَارَ بِأَسْكَ أَسْرٍ فِيهِمْ	هَفُوا جَزَعًا كَمَا تَهْفُو الطُّيُورُ
فَقَدْ مَاتُوا وَمَا قُبُرُوا وَلَكِنَّ	كَانَ يَهُوتُهُمْ لَهُمْ قَبْرُورُ
لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّيْفِ الَّذِي لِلُّ	تَنَابًا فِي غِرَارِهِ زَيْبُورُ
قَرَاهُ جَنَّةَ خَضْرَاءٍ حَفَّتْ	بِحَدِيثِهِ وَحَدَاهُ السَّعِيرُ
وَمُجْتَاحٍ بِهَيْمَانِهِ الْأَعْرَابِي	كَمَا اجْتَاحَ الْكِرَاصِينَ الصَّقُورُ
وَقَالَ الشَّعْرُ لَيْسَ لَهُ تَسْرَاحٌ	تَوَاحَتْ أَوْ تَقَارَبَتْ الْأُمُورُ (٤)

- (١) انظر : الكامل في التاريخ : ج ٨ ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .
 (٢) انظر : المصدر نفسه : ج ٨ ، ص ٥٠٨ .
 (٣) انظر : المصدر نفسه : ج ٨ ، ص ٥١٧ ، ٥٢١ ، ص ٥٢٨ - ٥٤٢ .
 (٤) ديوان الصَّنَوْبَرِيِّ : ص ٧٤ .

فالشاعر يصور ما فعله سيف الدولة بالروم، فجيوشه مؤتدة بالنصر، وفي لقاءه مع الروم ترك بعضهم صرعى يمجّون الدماء، وبعضهم وقع في الأسر، ما أدى إلى جزعهم وضعف روحهم المعنوية ثم يمدحه بالشجاعة وقوة البأس، فهو صاحب سيف، تكمن العنايا فسي حده . ثم يصور الشاعر سطوة سيف الدولة على الأعداء فيشتبهها بسطوة الصقور على الكراوين . وهناك أشعار أخرى كثيرة تمدح فيها الشعراء بالصفات التقليدية (١).

وقد مدح الشعراء الشيعة آل البيت الكرام، وأكثروا من ذلك، وهذا طبيعياً من شعراء الشيعة، وذلك نظراً لمكانة آل البيت في نفوسهم وفي نفوس المسلمين بشكل عام، ولما لاقاه الشيعة من اضطهاد الأمويين والعباسيين، ولذا فقد تجد شعراء الشيعة آل البيت ومدحهم، ومن ذلك قول كشاجم الرملي حين نسب حب علي بن أبي طالب إلى البر والطهارة والعلم، يقول :

حُبِّ الوصِيِّ مَبْرَةٌ وَصِلَاةٌ وَطَهَارَةٌ بِالأَصْلِ مُكْتَفَلَةٌ
وَالنَّاسُ عَالِمُهُمْ بِبُرُوقِهِ حُبًّا وَجَهْلٌ حَقُّهُ الْجَهْلَانَةُ (٢)

ويقول :

آلِ الرَّسُولِ فَضَلْتُمْ فَضَلَ النَّجُومِ الزَّاهِرَةِ
وَبَهَرْتُمْ أَعْدَاكُمْ بِالمَأْثُرَاتِ السَّائِرَةِ
وَلَكُمْ مَعَ الشَّرَفِ المَهْلَا غَةُ وَالْحُلُومِ الوَافِرَةِ
فَإِذَا تُغْوِخِرَ بِالعُلَى فِيمَكُمُ عِلَاكُمُ فَاخِرَةِ
هَذَا وَكَمْ أَطْفَأْتُمْ عَن أَحْمَدٍ مِن نَائِرَةِ
بِالسُّمْرِ تَخَضُّبُ بِالنَّجْمِ سَعِ وَبِالسُّيُوفِ البَائِرَةِ
تَشْفَى بِهَا أَكْبَادُكُمْ مِن كُلِّ نَفْسٍ كَافِرَةِ
وَرَفَضْتُمْ الدُّنْيَا لَدُنْ فُرْتُمْ بِحِظِّ الأَخِيرَةِ (٣)

- (١) انظر : ديوان أبي الحسن التهامي : ص ص ٢٥-٢٨ ، ولطائف اللطف : ص ص ٣٩-٤٠ ، ودسية القصر : ج ١ ، ص ٣٩٩ ، ومعجم الشعراء : ص ٤٣٠ ، وديوان السري الرفاء : ص ص ٨٠-٨١ .
(٢) ديوان كشاجم : ص ص ٣٦٢-٣٩٣ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٢١٢ .

فالشاعر يمدح آل البيت فيضعهم في مكانهم الذي يستحقونه ، فهم ذوو فضل على الناس كفضل النجوم ، وهم ذوو مآثر ومكارم ، فهم أصحاب الشرف والبلاغة ، والمقبول الرجحة ، والشجاعة ، وفي البيت الأخير نلمس معنى إسلامياً ، فهم يرفضون الدنيا ومتاعها رغبة في الفوز بما عند الله في الآخرة . وقد مدح آل البيت شعراء آخرون منهم عبد المحسن الصوري ، فقد ذكر أنهم حماء وملجأه الذي يأوي إليه ، وهم المسلمون حقاً الذين تألفت قلوبهم على دين الله تعالى ، وذوو منزلة عظيمة ذكرها الرسول الكريم حين قرن ذكرهم بذكر كتاب الله تعالى مهيناً أنه ترك فيهم أمرين كتاب الله تعالى وعزته (١) ، وكثيراً ما كان شعراء الشيعة يركزون في مدحهم آل البيت على نعمتهم بالصفات والمعاني الإسلامية كالحفاظ على الدين ، ومجاهدة الأعداء ، والكرم والشجاعة (٢) .

ومع أن شعراء الشيعة كانوا يتسمون بالاعتدال في مدحهم في كثير من الأحيان ، إلا أنهم كانوا يبالغون في كثير منها ، ومن ذلك ما يقوله صاحب بن عبد في مدح علي كرم الله وجهه :

ما يعلي الملاء أشباه لا والذي لا إله إلاه
والقدر الحتم عند طاعته بامرؤ دايماً ومنهائه (٣)

ومن ذلك ما يقوله السلمي في مدح عضد الدولة :

ومدح غيرك ذنب لا يقال وما تصوفه فيك تهليل وتحميد

نعش أعش في ذرى رجب ودم تدم آل خيرات لي وابق يبق المجد والجود (٤)

فالمبالغة واضحة في هذين البيتين ، فالشاعر يعمد مدح عضد الدولة تهليلاً وتحميداً ويمدح غيره ذنباً لا يقال ، وهذه مبالغة يقيته تكاد تخرج المرء إلى الكفر ، لأن التسبيح والتهليل لا يكون إلا لله تعالى . ونجد مبالغة أيهاً في مدح صاحب بن عبد أبا الفضل ابن العميد حيث يقول :

(١) انظر : ديوان الصوري ج ١ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) انظر : ديوان صاحب بن عبد : ص ٣٤-٣٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٠ ، ص ٦٢ .

(٤) شعر السلمي : ص ٦١ .

قَدَمَ الرَّئِيسُ مُقَدَّمًا فِي سَبْقِهِ
وَكَانَا الدُّنْيَا جَوَتْ فِي طَوْقِهِ
فَجِبَالُهَا مِنْ حِلْمِهِ، وَبِحَارُهَا
مِنْ جُودِهِ، وَبِرِاضِهَا مِنْ خُلُقِهِ (١)

ومما نجد من ضروب المدح لدى الشعراء الشيعة مدح المذاهب الفقهية،
ومن ذلك ما قاله أبو الفتح البُستِيّ في مدح مذهب الإمامين أبي حنيفة والشافعيّ
حيث يقول :

رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَبِي حَنِيفَةَ
لَكِنِّي رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ
وَكِلَاهُمَا ذُو حِكْمَةٍ
جَهْدًا لِرَاحَتِنَا وَمَا
فَجَزَاهُمَا رَبُّ السُّورَى
رَأَيْتُ سَأَلَكَ لَطِيفَةَ
تَنَاجُجِ السَّنَنِ الْحَنِيفَةَ
وَتَقَى وَأَخْلَاقِ شَرِيفَةَ
حَذِرًا مِنَ الْكُلْفِ الْعَنِيفَةِ
فِي الْخُلُقِ بِالذُّجِ الْعَنِيفَةِ (٢)

فالشاعر في هذه الأبيات يثنى على مذهبي الشافعيّ وأبي حنيفة، فيصف الإمامين
بالحكمة والتقى وكرم الأخلاق، ثم يثنى على ملاقباه من المتاعب في سبيل إراحة المسلمين،
ويدعو لهما بحظم المنزلة عند الله تعالى .

وهكذا نجد أنّ الشيعة ساروا في مديحهم علي نهج الشعراء التقليديين من
حيث التركيز على الصفات التقليدية المعروفة، ولم يخرجوا عن ذلك في أشعارهم إلا بوجود
بعض القصائد المستقلة التي قالوها في مدح آل البيت الكرام، وقد مالوا في مدائحهم
إلى المبالغة وهو أمر غير مقبول إلا في مدح الرسول الكريم وآل البيت.

٢ - الفخر :-

الفخر غرض قديم في الشعر العربي، أكثر الشعراء منه منذ العصور الجاهليّة،
وهو يكون مقبولاً إذا ما التزم الشاعر فيه جانب الاعتدال . وقد أكثر الشعراء الشيعة منه،
وتنوع هذا الفن لديهم، فشمّل الفخر بالنفس، والفخر بالآباء والأجداد والقبيلة، والفخر
بالأفعال الحسنة وبالقصائد إلى غير ذلك .

(١) ديوان الصّاحب بن عباد : ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢) ديوان أبي الفتح البُستِيّ : ص ٢٧٦ .

ولكننا نجد لدى شعراء الشيعة بعض مظاهر الجدة وتمثّل ذلك في فخرهم
بالبيت الكرام، وخصوصاً لدى الشعراء الذين ينتسبون إلى آل البيت، ومنهم
الشريفان الرضيّ والمرتضى، كما يتمثّل ذلك أيضاً في الفخر بالدين، وبمذهب التشيّع .
وبلاحظ بشكل عام أن الفخر كثير في شعر الشيعة، وربما كان ذلك يعود إلى شعور
بعض شعرائهم بكرم أصلهم كما هي الحال عند الشريفين الرضيّ والمرتضى، أو لشعور
بعضهم بالعظمة والفروسية وعلو المنزلة كما هي الحال عند أبي فراس الحمداني .

ومن جوانب الفخر التي نجدها لدى شعراء الشيعة الفخر بالنفس، ووصفها
بالصفات المحببة كالثبات على الوعد والإخاء، والتسامح والكرم وحب الخير للناس، ومن
ذلك ما يقوله أبو الفتح البستي :

عَلَى مَعَشَرِ النَّاسِ حَانَ حَدِيثُ	يَقُولُ مَعَشَرَ النَّاسِ بِي إِتْنِي
فَلَا أَسْتَحِيلُ وَلَا أَضْطَرِبُ	أَقِيمُ عَلَى الْوَعْدِ ثَبَتَ الْجَنَانِ
أَلْظُ بِحَقِّي إِذَا مَا يَجِبُ (١)	وَأَسْخُو بِوَاجِبِ حَقِّي وَلَا
تَمَدَّحْتُ وَلِيَمْتَحِنَ مَنْ يُحِبُّ	إِلَّا فَيَقُولُوا بِي فَأَيْتِي كَمَا
وَلَا يَهْجُ قَلْبِي بِالْمُنْقَلِبِ (٢)	فَمَا كَوْنِي رَاجِعٍ فِي الْإِخَاءِ

ويقول قرواش بن المقلد بن السهيب في الفخر :

لِلْمَالِ مِنْ آهَائِهِ وَجُدُودِهِ	مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ مَوْثِقاً
شُكْرًا كَثِيراً جَالِياً لِعَزِيدِهِ	إِنِّي أَمْرُؤٌ لِلَّهِ أَشْكُرُ وَحَسَدَهُ
يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ	لِي أَشَقَّرَ سَمْعَ الْعَيْنَانِ مُفَاوِرُ
خَلَّتِ الْهَرُوقُ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ	وَمَهْنَدٌ عَضْبٌ إِذَا جَرَّدَتْ يَدَيْهِ
أُمُّ الْمَنَابِ رُكِبَتْ فِي عُدُودِهِ (٣)	وَمُتَقَفٌّ لَدُنَّ السَّنَانِ كَأَنَّمَا
سَلَطْتُ جُودَ يَدِي عَلَى تَبْدِيدِهِ	وَيْدَا حَوَيْتُ الْمَالَ إِلَّا أَنِّي

(١) أظ و لظ : لزم، والا لظاظ : لزوم الشيء، والمثابرة عليه . (انظر : لسان العرب :

مادة لظ).

(٢) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٢٤ .

(٣) دمية القصر : ج ١، ص ١٣١ .

فالشاعر يفخر بفروسِيَّتِهِ وشجاعته، فهو ليس عندَه مال، وإنما عندَه مهر سريع وسيِّف قاطع يلمع كأنَّه البرق وروح ماضي الشَّنان، وبفروسِيَّتِهِ وشجاعته حوى المال، ولكنَّه كريم جواد ينفق المال ويبدِّدُه .

ويقول أبو عثمان الخالديّ سعيدُ بنُ هاشم يفخر بنفسه :

لَوْلَمْ أَكُنْ مُشَبَّهًا لِلنَّاسِ فِي خُلُقِي لَقُلْتُ إِنِّي مِنْ جِبِلِّ سِوَى البَشَرِ
أَوْ لَمْ يَكُنْ مَا عَلِي قَاهِرًا فَكِرِي لِأَحْرَقْتَنِي فِي نِيرَانِهَا فَكِرِي
تَزِيدُنِي قَسْوَةَ الأَيَّامِ طِيبَ نَسَاءٍ كَأَنِّي المِسْكُ بَيْنَ القَهْرِ والحَجَرِ
أَلْعْتُ مِنْ حَارَاتِ الدَّهْرِ أَكْبَرَهَا فَمَا أَعُوجُ عَلَى أَطْفَالِهَا الأَخْرِ
ويقول : إِنِّي لَأَشْهَرُ فِي الأَفَاقِ مِنْ مَثَلِي سَارٍ وَأَعْلَى لِلأَبْصَارِ مِنْ قَمَرِ (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يفخر بنفسه مُعدِّدا صفاته الحسنة من عِلْمٍ وحُسنِ سيرةٍ بهنِّ النَّاسِ، ومصارعةٍ لنوابِ الدَّهرِ، وشهرةٍ بين النَّاسِ حتى كأنَّه المثلُّ السائر .

ونجد عند شعراء الشيعة فخراً بالصَّبرِ على مصائب الدَّهرِ، والإعراض عن الدُّنيا، ومن ذلك ما نجده عند القاضي أبي عليِّ المُحسِّنِ بنِ عليِّ التَّنُوخِيِّ، حيث يقول في مُلَمَّةٍ نزلت به :

وَمَا تَلَقَى الحَوَارِثُ إِذْ أَلَمَّتْ سِوَى قَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا سَخِيبي
وَصَبْرٍ لَيْسَ تَنْزُحُهُ اللَّيَالِي كَنَزَحِ الدَّلْوِ صَافِيَةَ النَّسْرِكِيبي
وليس بأيسٍ من كان يَخْشَى وَيَرْجُو اللهَ مِنْ صُنْعِ قَويِّ (٢)

فالشاعر يفخر بإعراضه عن زينة الدُّنيا وزخارفها، وهو شديد الصَّبرِ على مصائبها، وشديد الخشية لله تعالى .

والزهد في الدُّنيا والإعراض عن لذاتها من الأمور الدِّينية التي يحبُّها الإسلام، بل يُوجبها على المسلم كي لا يجعل همَّه منصرفاً إليها فينسى آخرته، ولذا نجد شعراء الشيعة ركزوا على هذا المعنى، ففضلوا الانصرافَ عن الدُّنيا فقرةً على الانصرافِ

(١) ديوان الخالديين : ص ١٢٨ .

(٢) الفرج بعد الشدة : ج ٢ ص ٢٢٩ .

بنيل لذاتها ، ومن ذلك ما يقوله أبو الفتح البستي مفتخراً بنفسه :

قَالُوا : رَضِيَتْ بَدُونِ حَقِّكَ وَالغِنْسِ
بَسَمُوا بِصَاحِبِهِ إِلَى الْعَلِيَاءِ
فَأَجَبْتَهُمْ وَالْقَوْلُ مِنِّي فَيَصَلُّ
يَحْكِي غِرَارَ السَّيْفِ وَقَتَ مَضَاءِ
حَسْبِي التَّكْثُرُ بِالْفَضَائِلِ إِنِّي
كُنْتُ الْأَحَقُّ بِسُوءِ دَرٍ وَعَلَاءِ
وَعِنَايَ عَن دُنْيَايَ أَشْرَفُ زِينَةً
مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيْنِيهَا اسْتِغْنَائِي (١)

وقد افتخر شعراء الشيعة بالقبيلة والقوم، وبذلك لم يبق الفخر مقتصراً على الفخر بالنفس، وبين الشعراء ما لقومهم من مزايا وصفات ، ومن ذلك ما قاله أبو الفتح البستي :

وَنَحْنُ أَنَا لَا نَذِلُّ لِحَاثِيفِ
عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُومَةَ حَاثِيفِ
مَلَكْنَا الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي فَجَارُنَا
عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُلُهُ بِغَيْرِ حَاثِيفِ
وَرَثْنَا عَنِ الْآبَاءِ عِنْدِ اخْتِرَائِهَا
صَفَائِحَ تُغْنِي عَن رُسُومِ الصَّحَائِفِ
تَوَمَّرْنَا أُسَيَافُنَا وَرِمَا حُنَا
إِذَا لَمْ يُوَقِّرْنَا لِيَاؤِ الْخَلَائِفِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيُحْشِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُهْلِنْ
قَمَا نَقَدْنَا إِنْ قَارَضُونَا بِرَافِيفِ (٢)
وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَطَائِفِ أَهْلَهَا
وَنَسْقِي زَعَاقَ السَّمِّ أَهْلَ الْكَنَائِفِ (٣)

فالشاعر - كما هو واضح - يفتخر بقومه ، فيصفهم بأنهم أمراء لا يذلون لظالم ، وبأنهم ذوو شجاعة وفروسية عزيزو الجانب ، جارهم عزيز محفوظ ، وقد وروثوا الفروسية عن آبائهم وهم أقوياء يأخذون حقهم بسيوفهم . ويلاحظ أن المعاني الإسلامية قد شاعت في فخر الشيعة ، فأصبح الشعراء يفخرون بقومهم زاكرين ما يتصفون به من الورع والتقوى والجهاد في سبيل الله تعالى ، ومن ذلك قول ابن سنان الخفاجي مفتخراً بقومه :

أَهْلُ الشُّعُورِ إِذَا تَلِمَتْ مُلِمَةٌ
لَمْ تَلَقِ إِلَّا مُكْرَمًا وَمُجَاهِدًا
وَأُولُو التَّقَى فَإِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِمُ

- (١) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢١٧ .
(٢) قارضونا أي بادلونا القرض ، والقرض هو ما يعطيه الإنسان لمتقاضه (انظر : لسان العرب : مادة قرض) ، ويريد الشاعر هنا أنهم يأخذون كما يعطون .
(٣) ديوان أبي الفتح البستي : ص ص ٢٧٦-٢٧٧ .

إِنْ حَارَبُوا مَلَأُوا الْبِلَادَ مَصَارِعاً
هَيْمَاتَ مَا تَرِدُ الْعَطَالِبُ نَائِمَةً
مَا كَانَ جَارِهِمْ كجَارِكَ مُسْلِمًا
بَيْتُهُ النَّسَبُ الْجَلِيُّ وَغَيْرُهُ
أَوْ سَالَمُوا عَمَرُوا الدِّيَارَ مَسَاجِدًا
عَنْهَا وَلَا تَصِلُ الْكَوَاكِبُ قَاعِدًا
يَوْمًا وَزَنْدُهُمْ كَزَنْدِكَ خَامِدًا
دَعْوَى تُرِيدُ أَدِلَّةً وَشَوَاهِدًا (١)

فالشاعر يركز في هذه الأبيات على هذه المعاني الدينية التي حرص شعراء الشيعة على ذكرها في فخرهم . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل إننا نجد أن بعض شعراء الشيعة كانوا يشعرون أن الولاء كله يجب أن يكون للدين ، لذا لا حاجة للتفاخر بالأحساب والأنساب والأصول ، ولذا فخرُوا بالدين وقدّموه على كل شيء ، ومن هذا ما نجده لدى الصّاحب بن عباد في قوله :

المَجْدُ أَجْمَعُ مَا حَوْتُهُ بِمِئِنِّي
وَالجُودُ يَرْكَعُ خَاضِعًا لِأَنَا مِئِنِّي
دُنْيَا تَنْجِي جَانِبًا عَنْهُمْ ، فِي
وَالفَخْرُ يَضْفُرُ أَنْ يَكُونَ خِدِئِي (٢)
وَالهَدْرُ يَسْجُدُ خَاشِعًا لِجِئِنِّي
فَمَنَايِبِي وَمَنَاشِبِي فِي رِئِنِّي (٣)
فالصاحب في هذه الأبيات يجعل الدين هو الأصل ويقدمه على كل ما سواه .

ويقول الصاحب أيضا :

لَعَمْرِكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ
فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسِ
وفي هذين البيتين أيضا يجعل الصاحب الدين أساس كل الفضائل ، والمرء دون دينه لا يساوي شيئا ، ويدلل الصاحب على صحة ما يقول بأن يأتي بدليل يثبت ذلك على طريقة علماء الكلام ، وهو أن الله تعالى قد رفع سلمان الفارسي على ضعف نسبه ، ووضع الكفر قدر أبي لهب على كرم أصله وعراقة نسبه .

(١) ديوان ابن سنان الخفاجي : ص ٢٣ .

(٢) الخديين : الصديق (انظر : لسان العرب : مادة خدن) .

(٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ص ١٢٨-١٢٩ .

(٤) المصدر نفسه : ص ١٨٣ .

وقد جمع بعض شعراء الشيعة بين الفخر بالنسب العربي والدّين الحنيف، ومن ذلك ما نجده عند مهيار الديلمي في قوله :

أُعِجِبْتُ بِي بَيْنَ نَادِي قَوْمِيهَا	أَمْ سَعِدٍ فَمَضَتْ تَسْأَلُ بِي
سَرَّهَا مَا عَلِمَتْ مِنْ خُلُقِي	فَأَرَادَتْ عَلِمَهَا مَا حَسِي
لَا تَخَالِي نَسَبًا يَخْفِضُنِي	أَنَا مَنْ يُرْضِيكَ عِنْدَ النَّسَبِ
قَوْمِي اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّهْرِ فَتَسَّ	وَمَشَوْا فَوْقَ رُؤُوسِ الْحَقِّبِ
عَمَّوْا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ	وَبَنَوْا أَيْمَانَتَهُمْ فِي الشُّهْبِ
وَأَبِي كِسْرَى عَلَى إِيوَانِيهِ	أَهْنَى فِي النَّاسِ أَبٌ مِثْلُ أَبِي
سُورَةُ الْمَلِكِ الْقَدَامِ وَعَلِي	شَرَفِ الْإِسْلَامِ لِي وَالْأَذَبِ
قَدْ قَبَسْتُ الْمَجْدَ عَنْ خَيْرِ أَبِي	وَقَبَسْتُ الدِّينَ عَنْ خَيْرِ نَبِيِّ
وَضَمَمْتُ الْفَخْرَ مِنْ أَطْرَافِيهِ	سُوءَ دَرِّ الْفَرْسِ وَدِينِ الْعَرَبِ (١)

فهيار يفخر في هذه الأبيات بنسبه الفارسي العربي ويمجد قومه العظيم، ويفضل أباه كسرى على غيره في المجد والعظمة، ولكنه لم يقتصر على ذلك، وإنما ألمّ بالمجد من أطرافه، وذلك حين فخر بالإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، فبيّن أنه أخذ الدّين الإسلامي الحنيف من خير الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام، فجمع عزة الفرس وسوء دهم إلى خير دّين وهو الإسلام، فحاز بذلك ما لم يحزه غيره .

وما يتصل بهذا الفخر من المعاني الإسلامية فخر شعراء الشيعة بأل البيت عليهم السلام، ولحل ذلك يعود إلى أنّ جد آل البيت هو الرسول الكريم صاحب رسالة الإسلام، رسالة الهداية، وأبوهم عليّ كرم الله وجهه، وأُمُّهم فاطمة الزهراء رضي الله عنها، لذا فقد حُبُّهم والفخر بهم ورتاؤهم يمثل تقرباً إلى الله تعالى، وبياناً لفضلهم على العالمين، ولذا أكثر شعراء الشيعة من الفخر بأل البيت، ومن ذلك ما يقوله الشريف الرضي :

مَا مَقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي	مَقُولٌ صَارِمٌ وَأَنْفٌ حَمِي
وَأَبَاءٌ مَخْلُقٌ بِي عَنِ الضُّمِّي	كَمَا رَاعَ طَائِرٌ وَحَشِي

(١) ديوان مهيار الديلمي ج ١، ص ٦٤ .

أَيُّ عُدْرٍ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ إِنْ ذُلُّ
أَلَيْسَ الذَّلُّ فِي دِيَارِ الْأَعَادِي
مَنْ أَبُوهُ أَبِي وَمَوْلَاهُ مَتَّوَلَا
لَقَاعِزِي بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا
إِنَّ ذُلِّي بِذَلِكَ الْجَوَّعِزُّ
قَدْ يَدُلُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يَشَمَّرُ
إِنَّ شَرًّا عَلَيَّ إِسْرَاعَ عَزْمِي
أُرْتَضِي بِالْأَذَى وَلَمْ يَقِفِ الْعَسْرُ
كَالَّذِي يَخْطِطُ الظَّلَامَ، وَقَدْ أَقْبَسُ
سَلْ غَلَامٌ فِي غَمْرِهِ الْمَشْرِفِي
وَبِمِصْرَ الْخَلِيفَةَ الْعَلَوِي
يَا إِذَا ضَاغَتِي الْبَمِيدُ الْقَصِي
سَ جَمِيعًا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ
وَأُوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعِ رِي
لَا نَطْلَاقٍ وَقَدْ هُضِمَ الْأَبِي
فِي طِلَابِ الْعُلَى وَحَقِّي بَطِي
مُ قَصُورًا، وَلَمْ تَعَزَّ الْمَطِي
مَرَّ مِنْ خَلْفِهِ الشَّهَارُ الْمُضِي (١)

فالشاعر هنا يفخر بنفسه وبنسبه، فيفخر بقدرته على قول الشعر، كما يفخر بعزته ورَفْضِهِ الذَّلَّ، وبفروسيته وشجاعته، ونلاحظ أَنَّ الشريف الرضي هنا يُعَبِّرُ عن موقفٍ سياسيٍّ، وهو عدم رضاه عن الخلافة العباسية، فكان يرى أَنَّ الخليفة الفاطمي بمصر أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بَغْدَادَ، لِأَنَّ الْبَلَدَ إِنَّهُ يَعُدُّ الْعِرَاقَ دِيَارًا لِلْأَعَادِي الَّذِينَ هُمُ الْعَبَّاسِيُّونَ، وَهَذَا يُنْبِئُنَا بِنَظَرَةِ الشَّيْعَةِ عَامَةً إِلَى الْعَبَّاسِيِّينَ، وَالْمُتَمَثِّلَةِ فِي أَنَّ الْعَبَّاسِيِّينَ مُفْتَصِحُونَ لِلْخَلِيفَةِ الَّتِي هِيَ حَقُّ لَالِ الْبَيْتِ. ثُمَّ يَفْخَرُ الشَّاعِرُ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَاصِفًا إِيَّاهُمَا بِسَيِّدِي النَّاسِ، وَيَفْخَرُ الشَّاعِرُ بِالْفَاطِمِيِّينَ، فَكَانَ يَرَى أَنَّ هُمُ أَمْتَادُ الْبَيْتِ.

ونجد الفخر بآل البيت عند شاعر آخر هو الشريف المرتضى، فهو يفاخر بالعباسيين مبيِّناً أَنَّ الْمَلُوكِيَّينَ أَكْثَمَ فَخْرًا وَفَضْلًا، وَالْأَجْدَرُ بِالْعَبَّاسِيِّينَ أَنْ يَحْتَرَفُوا لَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ مُتَسَاوِينَ، وَإِنَّمَا الْفَضْلُ كَانَ لِلْمَلُوكِيِّينَ، وَيَبِينُ أَنَّ الْمَلُوكِيِّينَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٢).

(١) ديوان الشريف الرضي، ج ٢، ص ٥٧٦.

(٢) انظر: ديوان الشريف المرتضى، ج ١، ص ٣٥-٣٦.

ونجد لدى شعراء الشيعة نوعاً آخر من الفخر هو الفخر بقصائد هم، فقد فخروا
بها وشبهوها بأشياء مختلفة وسمتها بصفات متعددة، ومن ذلك ما يقوله النامي في
مدحها قالها في بني حمدان :

فَتَحَيَّوْا بِمِدْحَتِي فَهِيَ رِيحًا نَسَةُ حَمْدٍ تَبْقَى بَقَاءَ الدُّهُورِ (١)
فالشاعر يصف مدحته بأنها ريحانة، ولكنها ريحانة من الحمد والثناء، وهي باقية أبد
الدهر.

ويقول السلمي من قصيدة يصف شعره :

وَأُرْوَرُ دَارَكَ وَهِيَ أَنْعَمُ جَنَّةٍ فَيَفِيضُ حَوْلِي مِنْ نَدَاكَ الْكَوْثَرَ
وَأَقُولُ فِيكَ فَلَا تُفَاخِرُ طَيْبِي إِلَّا وَتَسْجُدُ لِي وَتَرْكَعُ بِحُضْرِي (٢)
فالشاعر يفخر بقصيدته مبيهاً أنه يتفوق فيها على شعراء طيبي. ويقول الصاحب بن عباد :

إِلَيْكُمْ نَوِي طَهَ وَيَسُّ مِدْحَةً تَفُورُ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ وَتُسْجَدُ
قَدْ وَنَكَ بِأَمْكِي أَنْشُدُ مُجَبَّوْدًا فَلَيْسَ يَحُورُ السَّبَقُ إِلَّا الْمَجَبَّوْدُ (٣)
وقد شبه بعض شعراء الشيعة قصائد هم بالشمس في جمالها وإشراقها، ومن ذلك ما يقوله
الشريف المرتضى :

وَأَنَا الَّذِي وَاللَّيْتُ فِيكَ مَدَائِحًا كَالشَّمْسِ طَالِعَةً بِغَيْرِ بِلَادِ
يَبْتَرِّمُ الْخَالِي بِهِنَّ وَرُحَمَا وَنَتِ الرِّكَابُ فُكْنَ حَدَّ وَالْحَارِي (٤)
فقصائد الشاعر مشرقة جميلة، لذا تناقلها الناس على اختلاف أحوالهم، فتغنوا بها في
خلواتهم، وفي رحلاتهم مع نياقهم، وهذا دليل على جودة تلك القصائد، فالتناسل
يتفتنون إلا بالشعر الجيد، ولذا نجد بعض الشعراء الشيعة يفخرون بأن شعرهم
ألذ في الأسماع من استماع الفناء، ومنهم ابن الحجاج، فهو يقول :

- (١) شعر النامي : ص ٦٣ .
- (٢) شعر السلمي : ص ٦٥ .
- (٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٣٨ .
- (٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ١، ص ٢٦٢ .

فَإِنَّ شِعْرِي ظَرِيفٌ
مِنْ تَابَةِ الظُّرْفَاءِ
أَلَدٌ مَعْنَى وَأَشْهَى
مِنْ اسْتِمَاعِ الْغِنَاءِ (١)

وَلَمْ يَنْتَسِ شِعْرَاءُ الشَّيْعةِ أَنْ يَفْخَرُوا بِمَذْهَبِهِمْ، فَفَخَّرُوا بِالتَّشْبِيعِ وَحَبَّ آلِ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ هُوَ إِلَّا الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ، فَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَذْهَبِهِ مَفْتَخِرًا بِهِ، فَيَقُولُ :
قَالَتْ : فَمَا اخْتَرْتِ مِنْ رِيٍّ تَفُوزُ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي شَيْعِيٌّ وَمُعْتَزِلِيٌّ (٢)
وَيَقُولُ :

الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ كُلُّ مَعَاظِلِي
وَوَلَاءُ آلِ الطُّهْرِ جُلُّ حُصُونِي (٣)
فَالصَّاحِبُ يَفْخَرُ بِمَذْهَبِهِ، الْمَذْهَبِ الشَّيْعِيِّ، وَيَذْكَرُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مَبْدَأَيْنِ أُسَاسِيَيْنِ
لدى الشيعة هما العَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ، ثُمَّ يُبَيِّنُ أَنَّ وَلَائَهُ آلَ الْبَيْتِ وَحِبَّتَهُمْ هُوَ حِصْنُهُ
الَّذِي يَتَحَصَّنُ فِيهِ وَيَعْتَصِمُ بِهِ .

٣ - الوَصْفُ : -

لَيْسَ الْوَصْفُ فَنَاءً جَدِيدًا، وَإِنَّمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ
إِذْ وَصَفَ الشُّعْرَاءُ الْجَاهِلِيُّونَ الصَّحَارَى وَالْحَيَوَانَاتَ وَمَظَاهِرَ الطَّبِيعَةِ الْمَخْتَلِفَةَ . وَفِي
الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ أَهْتَمَّ الشُّعْرَاءُ الشَّيْعةُ بِالْوَصْفِ، فَوَصَفُوا الطَّبِيعَةَ بِمَخْتَلَفِ مَظَاهِرِهَا،
فَوَصَفُوا النُّجُومَ وَالْمِيَاهَ وَالْأَنْهَارَ وَالْبِهْرَكَ وَالرِّيَاضَ وَالْفَوَاكِهَ وَالشَّمَارَةَ، وَوَصَفُوا الشَّعْرَ وَالْقَصَائِدَ
وَأَرْوَاقَ الْكُتَابِ كَالْأَقْلَامِ وَالْكَتُبِ، وَوَصَفُوا الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الصَّحَارَى وَالْأُرْدَالِ
كَالْأَسَدِ وَالذَّبِّبِ، وَتِلْكَ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَنَازِلِ كَالْقِطَطِ، وَوَصَفَ بَعْضُهُمُ الْخَمْرَ، وَأَكْتَسَرَ
بَعْضُهُمْ مِنْ وَصْفِ الطَّيْفِ وَالشَّيْبِ، كَمَا فَعَلَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى الَّذِي بَرَزَ فِي هَذَا الْجَانِبِ .
وَقَدْ أَبْدَعَ الشُّعْرَاءُ الشَّيْعةُ فِي أَوْصَافِهِمْ وَتَشْبِيهِاتِهِمْ، فَجَاءُوا بِالتَّشْبِيهِاتِ
الْعَذْبَةِ الرَّفِيقَةِ، الَّتِي تَنَمُّ عَنْ خِيَالٍ وَاسِعٍ وَثِقَافَةِ وَاسِعَةٍ . وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ أَبُو بَكْرٍ
الْخَالِدِيُّ فِي وَصْفِ النُّجُومِ :

-
- (١) يتبعه الذَّهْرُ جُ ٣، ص ٣٠ .
(٢) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٣٩ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١٢٩ .

لو أشرقَتْ لك شمسُ ذاكَ اليهودِجِ لأرتكَ سالفَتِي غزالٍ أدعَجِ
أرعى النُّجُومَ كأنَّها في أفقِها زهرُ الأفاحي في رياضِ بنفسجِ
والعُشْتري وسطَ السَّماءِ تخالُهُ وسنَاه مثلَ الزَّئبقِ العتْرَجِجِ (١)

في هذه الأبيات تصوير جميل ، يتمثل في تشبيه النجوم البيضاء الجميلة وسط الأفق الأزرق بزهر الأقحوان الأبيض وقد تناثر بين رياض البنفسج الزرقاء ، وتشبيه العشتري وسط السماء في لمعانه وإشراقه وبهر سناه للعيون بالزئبق العترك الذي يبهر العيون بلمعانه وإشراقه .

ويقول القاضي أبو القاسم التنوخي :

وليلةٌ مشتاقٍ كأنَّ نُجُومَها قد اغتصبتُ عين الكرى وهي نُومُ
كأنَّ عيونَ السَّاهرينَ لَطولِها إذا شخصتُ للأنجمِ الزَّهرِ أنجمُ
كأنَّ سوادَ الليلِ والفجرِ ضاحِكُ يَلُوحُ ويخفى أسودٌ يَتَبَسَّمُ (٢)

يصف الشاعر النجوم من خلال حديثه عن ليلة طويلة عانى منها ، فقد كانت النجوم لا معة مشرقة ، وكانت الليلة طويلة جداً ، كأنما اغتصبت النوم من العيون ، ثم يأتي الشاعر بصورة جميلة لا متزاج سواد الليل مع بداية ضوء الفجر ، فيشبهه بالإنسان الأسود وقد ابتسم فظهرت أسنانه البيض . ووصف شعراء الشيعة السماء والهدر والنجوم مجتمعةً ومن ذلك ما يقوله النامي :

ليلةٌ بثَّها وحيَّيَّ أسقسس عاتقاً عتقت مدامها الدهورُ
وكأنَّ السَّماءَ والبدْرَ والأَنْس جُم روضٌ وترجسٌ وغديرُ (٣)

فالشاعر يقدّم لنا صورة السماء والهدر والنجوم كما زاها ، فيشبهها بالروض العليّ وبالترجس وقد جرى فيه غديرٌ صافٍ لامع . وقد وصف شعراء الشيعة الهلال أيضا ، ومن

(١) ديوان الخالدين : ص ٣٣ .

(٢) يتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٣٣٧ ، ومن غاب عنه المطرب : ص ٩٧ .

(٣) شعر النامي : ص ٨٠ .

ذلك ما يقوله أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا :

وَكَانَ الْهَيْلَالَ لَمَّا تَبَسَّدَى شَطْرُ طَوْقِ الصَّرَاقِ ذِي التَّدْهِيبِ
أَوْ كَقَوْسٍ قَدْ انْحَنَّتْ طَرْفَاهُ أَوْ كَتُونٍ فِي مُهْرَقٍ (١) مَكْتُوبٍ (٢)

فالشاعر هنا يصف الهلال فيشبّه في لعمانه وبريقه بشطر طوق المرأة العذوب، فهو بيد و متقوساً لأنّ بعضه يكون غائباً عن الأنظار . كما يشبّهه في انحنائه وتقوسه بالقوس المتني انحنّت طرفاها ويحرف النون الذي كتب على صحيفة بيضاء .

ووصف شعراء الشيعة الثريا أيضاً، وشبّهوها تشبيهاً رائعة جميلة، ومن

ذلك ما يقوله أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبيّ، يقول :

خَلَّتِ الثَّرِيَا إِذْ بَسَّدَتْ طَالِعَةً فِي الْجَنَدِيسِ
سُنْبُلَةً مِنْ لَوْلُؤٍ أَوْ بَاقِئَةً مِنْ تَرْجِيْسٍ (٣)

فالثريا كانت مُشعّة وسط الظلام كأنها السُّنْبُلَةُ من اللؤلؤ أو الباقّة من النرجس .

وتطرق الشعراء الشيعة إلى قوس قزح في أشعارهم، فوصفوه، وكان الأمير سيف الدولة الحمدانيّ ذا علو في ذلك، حيث جاء بتشبيهه وصفه الشعاليّ بأنّه من التشبيهاً الملوكيّة، وقال إنّّه أحسن ما سمعه في قوس قزح على كثرتّه :

وَسَاقٍ صَبِيحٍ لِلصُّبُوحِ دَعْوَتُهُ فَقَامَ وَفِي أَجْفَانِهِ سِمَةٌ الْغَمَضِي
يَطُوفُ بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ كَأَنْجُمٍ فَمِنْ بَيْنِ مَنْقَضِ عَلَيْنَا وَمَنْقَضِ
وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْجَبِّ دُكْنًا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ الْعَمَامِ بِأَصْفَرٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ تَحْتَ مُبَيَّضِ
كَأَنَّيَالِ حَوْبٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَابِلٍ مُصَبَّغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ (٤)

- (١) المهرق : الصحيفة البيضاء يُكتب فيها (انظر : لسان العرب : مادة هرق) .
(٢) زهر الآداب : ج ٣ ص ٧٧٦ .
(٣) يتيمة الذهر : ج ٣ ص ٢٩٢ .
(٤) المصدر نفسه : ج ١ ص ٣٠ ، ووفيات الاعيان : ج ٣ ص ٤٠٢ ، والأبيات مثبتة في ديوان ابن الرومي : ج ٤ ص ١٤١٩ .

فسيف الدولة يشبه قوس قزح بألوانه المختلفة بالفتاة الناعمة الجميلة وقد أقيمت
في ثياب مصبغة بالألوان المختلفة وبعضها أقصر من بعض .

ووصف الشيعة بعض مظاهر الطبيعة العلوية الأخرى ، وهو الجو والبرق ، فصور
بعضهم الجو وقد غطته السحب ولمعت فيه البروق تصويرا جميلا اذ جعله يرتدى حلقة
جميلة وقد طرزت بالذهب . (١)

ووصف شعراء الشيعة الحالة الجوية لبعض المناطق ، ومن ذلك ما يقوله ابن
خالويه في وصف برد همدان :

برغمك أيلول وأنت مقسيم	إذا همدان اعثارها القر وانقضى
ووجهك مسود البياض بهيم	فعينك عمثاء وأنفك سائل
على السيف تحبو مرة وتقوم	وأنت أسير البرد تمثي بعلية
ولكنها عند الشتاء جسيم (٢)	بلاد إذا ما الصيف أقبل جنة

فالشاعر يقدم لنا وصفا رائعا لبرد همدان ، فعندما ينقضي الصيف يحصل
البرد ، ويكون له آثار تظهر على المرء ، فتدمع عينه ويسيل أنفه ، وتتجمد
حركة المرء ، فهمدان جنة في الصيف وجحيم في الشتاء .

وقد اتخذ بعض الشعراء الشيعة من الطبيعة صورة لفؤاده المعذب ، فأخذ يبثها
آلامه ويضفي عليها شجونه وأحزانه ، ومن هؤلاء أبو العباس النامي ، فهو يقول
في وصف المزن :

أتم النار في أحشائها وهي لا تدرى	خليلي هل للمزن مقلة عاشق
وكاللولؤ المبتول أدمعها تجرى	أشارت الى أرض العراق فأصبحت
مطارفها طرزا من البرق كالسكر	تسربل وشيا من خروز تطرزت

(١) انظر بيتية الدهر : ج ١ ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٠٧ .

سَحَابٌ حَكَتْ تَكَلُّهُ أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ
فَهَا جَتُّ لَهُ نَحْوَ الرِّيَاضِ عَلَى قَبْرِ
فَوْشِيٍّ بِلَا رَقْمٍ، وَنَقَشُ بِلَا يَدٍ
وَدَمْعٌ بِلَا عَيْنٍ وَضَحْكٌ بِلَا شَفْرِ (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يصف السحب وإفزالها المطر، فيعبّر عن ذلك تعبيراً رقيقاً فيشبهها بعقلة العاشق التي ترسل الدُموع كاللؤلؤ والمنثور ثم يشبهها وقد أنزلت المطر الغزير بالأم التكلّي بوحيدها، فذهبت إلى قبره وسكبت عليها الدُموع الغزيرة، ونلاحظ في البيت الأخير حُسن التقسيم، فالدموع بلاعين، والبرق يضحك بلا شفر، والتطيريز بلا أثر، والصُور تنفُض ر و ن ما يد . وقد وصف بعض شعراء الشيعة السحاب أيضاً فشبهه في بياضه ببطن الحُر والوخشية، وجعله بصيراً بالأماكن التي هي بحاجة إلى المطر، فأنزل عليها مطره الغزير مما أزال القُطوب عن وجه الأرض وجعله ضاحكاً مستبشراً (٢). وهنا تبد ولديه روح التأمل الطبيعي (٣).

وقد وصف الشعراء الشيعة المطر في أشعارهم، ونظّموا في ذلك قصائد تتوافر فيها الجدة في الفكرة، والابتكار و الخلق، ومن ذلك أرجوزة لكشاجم ضمّنها كثيراً من المعاني المبتكرة، يقول فيها :

غَيْثٌ أَنَا مُؤَزِنًا بِخَفْضِ
يَقْضِي بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا يَقْضِي
يُضْحِكُ عَنِ بَرَقِ خَفِيِّ التَّبْضِ
دَنَا فَخِلْنَاهُ فَوَيْقُ الْأَرْضِ
إِلْفًا إِلَى الْفِيسْرِ يُقْضِي
فَالْأَرْضُ تَحْكِي بِالنَّبَاتِ الْفَضِ
مِنْ سَوَسِ أَحْوَى وَوَرِيٍّ غَضِ
وَأَقْحُوَانِ كَاللُّجَيْنِ الْمَحْضِ
مِثْلَ الْعُيُونِ رَنَقَتْ لِلْغَمِّضِ
مُتَّصِلُ الْوَيْلِ حَيْثُ الرَّكْضِ
كَالْجَيْشِ يَتَلَوُّ بَعْضُهُ لِبَعْضِ
كَالْكَفِّ فِي انْسَاطِهَا وَالْقَبْرِ
مُتَّصِلًا بِطُولِهَا وَالْعَرْضِ
ثُمَّ هَمَى كَاللُّوْلُؤِ الْمُرْفَضِ
فِي حَلِيهَا الْمُحَمَّرِّ وَالْمُبَيَّضِ
مِثْلَ الْخُدُودِ نَقِشَتْ بِالْعَضِ
وَنَرَجَمِ ذَاكِي النَّسِيمِ بِسَفْرِ
تَرْنُو وَيَفْشَاهَا الْكَرَى فَتُقْضِي (٤)

(١) شعرا التامي : ص ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) انظر : ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) شعر الطبيعة في الأدب العربي : ص ١٩٨ .

(٤) ديوان كشاجم : ص ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

نلاحظ في هذه الأبيات جمال التشبيهات عند كشاجم، فالغيث يشبه الجيش الذي يتلو بعضه بعضاً، وهو يضحك من البرق الذي يومض بين لحظة وأخرى، وقطراته المتساقطة على الأرض كالمجيبين كل قطرة تُسِرُّ إلى الأخرى بأسرارها الدفينة وهواها المكتوم، ولا يكاد يجري على وجه الأرض حتى يكسوها بالأزهار المختلفة من سوسن ونرجس وأقحوان . وقد أكثر كشاجم في هذه المقطعة من الصور الجميلة، كتشبيهه الأرض وقد زينت بها الأزهار الحمراء والبيضا، من ورد ونرجس بالخدود بدت عليها آثار العفر، كتشبيهه النرجس بالعيون المرترقة بالغمض . ويلاحظ الناظر في شعر كشاجم أنه " عمد في أغلب قصائده السحابية والغيثية إلى بحر الرجز كي يلائم بين سرعة السحاب والغيث وبين البحر الذي يتفق مع الحركة السريعة (١) .

ولم يقتصر الشعراء الشيعة على وصف الماء عندما يسقط على الأرض وإنما وصفوه عندما يجري على سطحها أنهاراً أو يتجمع في بعض منخفضاتها بركاً ومستنقعات . وما قيل في وصف الأنهار قصيدة القاضي أبي القاسم الشنوشي في وصف نهر معقل في البصرة، وهي قصيدة تمتاز بجمالها مما حمله صاحب بن عبّاد على أن يُفَضِّلَهَا على سائر شعره، ويرى أنها من أمهات قصائده، ومنها :

أَحِبِّ الْبَيْتِ بِنَهْرِ مَعْقِلِ الَّذِي	فِيهِ لِقَلْبِي مِنْ هُمُومِي مَعْقِلُ
عَذْبٌ إِذَا مَا عَتَبَ فِيهِ نَاهِيْلُ	فَكَأَنَّهُ مِنْ رَيْقِ حَبِّبِنَهْرِيْلُ
مُسَلْسِلٌ وَكَأَنَّهُ لِيَصْفَائِيْلُ	رَمَعٌ بِخَدَّيْ كَأَعْبِ يَتَسَلْسَلُ
وَإِذَا الرِّيحُ جَرَيْنَ بَيْنَ مَتُونِيهِ	فَكَأَنَّهُ رِزْعُ جَلَاهَا الصَّيْقِلُ
وَكَأَنَّ رَجُلَةً إِذْ يُنْظِمُ مَوْجَهَا	مَلِكٌ يُعْظَمُ خَيْفَةً وَيُجَجَلُ
وَكَأَنَّهَا يَا قُوَّةً أَوْ أَعْيُنُ	زُرْقٌ تُلَاقِمُ بَيْنَهَا وَتُوصَلُ
عَلَيْتَ فَمَا تَدْرِي أَمَاءُ مَا وَهَهَا	عِنْدَ الْمَذَاقَةِ أَمْ رَحِيْقُ سَلْسَلُ
وَلَهَا يَمَعِي بَعْدَ جَزْرِ ذَاهِبِ	جَيْشَانِ يُقْبَلُ ذَا وَهَذَا يُقْبَلُ (٢)

(١) فنون الشعر في مجمع الحمدانيين : ص ٣٥٥ .

(٢) بتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

يصف التنوخيّ في هذه الأبيات نهر مَعْقِل وَصَفًا راعياً، فماؤه عَذْبٌ كَأَنَّهُ رِيْقُ الحبيب، وهو صافٍ لامعٌ، فإذا ما هبَّت عليه الريح فإنتهاصنَع من سطحه أمواجاً لا ممةً متلاحقةً كالدرع التي صُنعت منذ فترة وجيزة، هذا في حال الهدوء؛ وأما فسي حال ثورة أمواجه وشدتها فإنه يصبح مَخُوفاً مَهِيئاً كَأَنَّهُ العَلِكُ الذي يُعْظَمُ وَيَجْسَلُ . وأمواجه صافية كاللياقوت ، وماؤه عَذْبٌ كالرَّحِيقِ ، وأمواجه تمتد وترجع كأنها جيشان هذا يقبل تارة ، والثاني يقبل أخرى ، وحسبنا هذا دليلاً على رهافة حصر التنوخيّ وسعة خياله . وهناك أشعار أخرى للشيعية وَصَفُوا بها الأنهارَ وشَبَّهوها تشبيهاً بدعةً (١) .

ومن مظاهر الطبيعة التي وصفها الشيعة الثلج ، وقد برعوا في وصفه، وكان منهم الوزير المهلبيّ (٢) والصاحب بن عباد (٣) ، وكشاجم ، ومن أبرز ما قيل في وصف الثلج قولُ كشاجم الرمليّ :

أَمْ زَا حَصَى الكَا فُورِ ظَلٌّ يُفْرِكُ ؟	أَلْتَلْجُ يَسْقُطُ أَمْ لُجَيْنٌ يُشَبِّكُ
مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ يَنْفِرُ تَضَحَكَ	رَاحَتٌ بِهِ الأَرْضُ الفَعَا كَأَنَّهَا
طَرِبًا وَعَهْدِي بِالْمَشِيبِ يُنْسَكُ	شَابَتْ زَوَائِبُهَا فَبَيَّنَ ضِحْكُهَا
كَالدَّرِّ فِي قَضِيبِ الزَّبْرِجِدِ يُسَلَكُ	أَوْ فِي عُلَى خَضِرِ الفُصُونِ فَأَصْبَحَتْ
عَمَّا قَلِيلٍ بِالرَّيَاحِ تَهْتَكُ	وَتُرَيِّنُ الأشْجَارَ مِنْهُ مُسْلَاةٌ
ثَوْبٌ يَخْتَنِرُ تَارَةً وَيَمَسُّكَ	وَالجَوُّ مِنْ أَرْجِ الهَوَاءِ كَأَنَّهُ
تَتَحَرَّكُ الأَطْرَابُ حِينَ تَحْرَكُ	فَخَذِي مِنْ الأَوْتَارِ حَطَّكَ إِنَّمَا
سَيُطَلُّ فِيهِ دَمُ الدَّانِ وَيُسْفَكُ (٤)	فَاليَوْمَ يُؤَدِّنُ بِالمَلَاةِ إِنَّمَا

يبدو كشاجم بارعاً في تصوير ذلك اليوم المثلج ، فقد صور الأرض ضاحكةً مستبشرة لكثرة الثلج الذي ازدانت به ، كما صور الفصون بالدر على قُضْبِ الزَّبْرِجِدِ ، وقد عُلقت على الأشجار ملاءة رقيقة من الثلج ، لالتفت الريح إلا قليلاً وتهتكتها ، ولعلَّ هذه البراعة

(١) انظر : ديوان كشاجم : ص ص ١٧٦-١٧٩ .

(٢) انظر : من غاب عنه المطرب : ص ٨٢ .

(٣) انظر : ديوان الصاحب بن عباد : ص ص ٢٢٩ ، ص ٢٤٠ .

(٤) ديوان كشاجم : ص ص ٣٧٨-٣٧٩ .

في الوصف ، هي ما حمل الشعاليّ على أن يعتبر كشاحماً الإمام في وصف الثلج (١) .

ووصف الشعراء الشيعة الشواقبي (الدواليب) ، والبرك (٢) . ومعلوم أن البحتريّ

كان قد أحرز قصب السبق في وصف البرك عند ما وصف بركة العتوكل بقصيدة مطلعها :

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مَنْ لَيْلَى نُحَيِّبَهَا نَعَمْ، وَنَسَأُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا (٣)
ولكننا نجد الصنوبريّ في القرن الرابع يصف البركة وصفاً رائعاً لا يقل عن وصف البحتريّ
من ذلك قوله :

سَقَى حَلْبًا سَافِكٌ دَفَعَهُ	بَطِيءُ الرُّقُوءِ إِذَا مَا سَفَكَ
مَيَادِينُهُ بُسْطُهُنَّ الرَّيَاضِ	وَسَاخَاتُهُ بَيْنَهُنَّ الْبِرَكِ
تَرَى الرِّيحَ تَنْسُجُ مِنْ مَائِهِ	دُرُوعًا مُضَاعَفَةً أَوْ شَبَّكَ
كَأَنَّ الرَّجَاجَ عَلَيْهَا أُرِيْبُ	وَمَا اللَّجِينِ بِهَا قَدْ سُبِكَ
هِيَ الْجَوُّ مِنْ رِقَّةٍ غَيْرَ أَنْ	مَكَانَ الطَّيُورِ يَطِيرُ السَّمَكُ
وَقَدْ نَظِمَ الزَّهْرُ نَظْمَ النَّجُومِ	فَمُفْتَرِقُ النَّظْمِ أَوْ مُشْتَبِكُ
كَمَا رَجَّحَ المَاءُ مَرَّ الصَّبَا	وَدَفَّحَ وَجْهَ السَّمَاءِ الحُبْلُ (٤)

يلاحظ الناظر في هذه الأبيات جمال الوصف ودقّة التصوير ، فهذه البركة تهبّ عليها
الريح فتنسج من مائها دروعاً . وهي صافية كأنّها السماء ، غير أن السمك يطير فيها مكان
الطيور ، وهي محاطة بالأزهار المختلفة الألوان ، منها العُشْبَاكُ ومنها المتفَرِّقُ .

وبعد أن وصف الشعراء الشيعة الماء من مبدئه وهو في المزن إلى أن يجسرى
على الأرض أو يتجمّع على سطحها وصفوا الأثر الناتج عن سقوط هذا الماء على الأرض ،
متمثلاً ذلك بالأزهار والورود التي يكتسي بها وجه الأرض ، فوصفوا الورد الأحمر (٥) وغيره
من أنواع الورد (٦) ، ووصفوا شقائق النعمان وشبههوها تشبيهاً رقيقةً (٧) . ومن أجمل

(١) انظر من غاب عنه المطرب : ص ٧٩ .

(٢) انظر : ديوان السري الرفاء : ص ٢٨٠ .

(٣) ديوان البحتريّ : ج ٤ ، ص ٢٤١٤ .

(٤) ديوان الصنوبريّ : ص ٤٨٤ .

(٥) انظر : ديوان السري الرفاء : ص ١٣٥ .

(٦) انظر : ديوان كشاحم : ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

(٧) انظر : ديوان الخالديين : ص ٩٩ .

ما قيل في وَصْفِ الْأَزْهَارِ مَا قَالَه الصَّنَوْبَرِيُّ وَاصِفًا الرَّوَابِي، وَقَدْ كَسَتْهَا الطَّبِيعَةُ
حُلَّةً جَمِيلَةً مِنَ الْأَزْهَارِ مَا بَيْنَ بَاقِلَاءَ وَوَرْدٍ وَنَرَجِسٍ، وَيَشْبَهُ الرَّبَا قَبْلَ الرَّبِيعِ بِحَسَنَاءَ
مَحْجَبَةٍ، فَإِذَا مَا أَهَلَّ الرَّبِيعَ عَلَيْهَا بِأَزْهَارِهِ كَشَفَ عَنْهَا حِجَابَهَا، فَبَدَتْ فَاتِنَةً رَائِعَةً
الْجَمَالَ، يَقُولُ :

يَارِيمُ قُومِي الْآنَ وَيَحْكُ فَاظْطَرِي	مَا لِلرُّبَى قَدْ أَظْهَرَتْ إِعْجَابَهَا
كَانَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهَا مَحْجُوبَةً	فَالْآنَ قَدْ كَشَفَ الرَّبِيعُ حِجَابَهَا
وَرْدٌ بَدَا يَحْكِي الْخُدُودَ وَنَرَجِسٌ	يَحْكِي الْعُيُونَ إِذَا رَأَتْ أَحْبَابَهَا
وَنَبَاتٌ بَاقِلَاءَ يُشْبِهُ تَسْوِيرَهُ	بُلُقُ الْحَمَامِ مُشْبِلَةً أَنْ تَابَهَا
وَالرَّزْغُ شَيْبُهُ عَسَاكِرُ مُصْطَفَّةٍ	قَدْ فَوَّقَتْ عَنْ قَسِيهَا نُشَابَهَا
وَكَانَ خَرْمَةُ الْبَدِيعِ وَقَدْ هَسَدَا	رُوسُ الطَّوَاوِسِ إِذْ تُدِيرُ رِقَابَهَا
وَالسَّرُّ تَحْسَبُهُ الْعُيُونَ غَوَانِيًا	قَدْ شَعَرَتْ عَنْ سَوْفِهَا أَثْوَابَهَا
وَكَانَ إِحْدَاهُنَّ مِنْ نَفْعِ الْقَبَا	خُودًا تَلْعَابُ مَوْهِنًا أَتْرَابَهَا
وَالنَّهْرُ قَدْ هَزَّتْهُ أَرْوَاحُ الصَّبَا	طَرَبًا وَجَرَّتْ فَوْقَهُ أَهْدَابَهَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ لِلرَّبَا ضِصِيَانَةً	يَوْمًا لَمَا وَطِئَ اللَّثَامُ تَرَابَهَا (١)

نلاحظ في هذه الأبيات جمال التشبيهات كتشبيه أشجار السرو المشوقة بالفوانيس
وقد شمرت ثيابهن، وتشبيه شجرة السرو مترنحة يمينا ويسارا بالفتاة العذلة الجميلة وهي
تلعب أترابها في تيه ودلال، وفي البيت الأخير يبلغ الشاعر أقصى درجات الإجلال للربا،
حيث يضمن بها على أن يدوسها اللثام وتطأها أقدامهم.

ووصف الشيعة الفواكه والثمار، ومنها الليمون (٢) والتين الأسود (٣)، والعنب (٤)،
والبطيخ، وممن برع في وصف البطيخ كشاجم، فقد وصفه ظاهراً وباطناً ورائحةً، فشبهه
ظهر البطيخة بجدار القنفذ في الخشونة، ولكن داخله لين كالزبد، ورائحته طيبة
كالخمر التي تفتح بها الطيب الهندي (٥)

- (١) ديوان الصنوبري : ص ٤٥٤ .
- (٢) انظر : ديوان السري الرفاء : ص ١٣٣ .
- (٣) انظر : ديوان كشاجم : ص ٩٦ .
- (٤) انظر : ديوان الصاحب بن عمار : ص ١٩٢ .
- (٥) انظر : ديوان كشاجم : ص ١٥٤ - ١٥٥ .

وَمِمَّا وَصَفَهُ شُعْرَاءُ الشَّيْعَةِ فُصُولَ السَّنَةِ وَبَرَعَ فِي ذَلِكَ السَّرِيِّ الرَّفَاءُ وَالصَّنَوْبَرِيُّ بِشَكْلِ خَاصِرٍ، وَقَدْ فَضَّلَهُ الصَّنَوْبَرِيُّ فِي بَعْضِ شِعْرِهِ عَلَى الْفُصُولِ الْأُخْرَى وَتَقَصَّبَ لِسَهِّ تَقْصُّبًا شَدِيدًا، وَهُوَ يَمْتَرِفُ بِفَضْلِ تِلْكَ الْفُصُولِ، فَالصَّيْفُ فِيهِ رِيحَانٌ وَفَاكِهَةٌ، وَالخَرِيفُ فِيهِ النَّخِيلُ، وَالشِّتَاءُ فِيهِ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ، وَلَكِنَّ مَسَاوِيءَ هَذِهِ الْفُصُولِ تَفُوقُ حَسَنَاتِهَا (١). وَلَكِنَّا نَجِدُ مِنْ شُعْرَاءِ الشَّيْعَةِ مَنْ فَضَّلَ الْخَرِيفَ عَلَى الرَّبِيعِ، وَهَذَا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّجَدُّدِ فِي الْمَوْضُوعِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ السَّابِقِينَ، فَهِيَ هُوَ عَبْدَانُ الْأَصْفَهَانِيُّ يَقُولُ :

رَبَّ الرَّبِيعِ عِيُونَ قَوْمٍ أَغْفَلُوا	طَيْبَ الْخَرِيفِ وَسَجَسَجَ الْأَشْجَارِ
وَخَلَا الرَّبِيعُ مِنَ النَّعِيمِ فَمَا لَنَا	فِيهِ سِوَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْطَارِ
وَمَخَافَةِ الْهَدَارِ إِنْ صَوَاعِقِ	تَرْمِي الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا بِالنَّارِ
فَأَسْعَدُ بِتَشْرِيئَيْنِ وَأَنْعَمُ فِيهِمَا	مُتَعَوِّذًا بِاللَّهِ مِنْ آذَارِ
وَأَشْرَبَ عَلَى وَرْدَيْهَا مَشْمُولَةً	مِنْ زَعْفَرَانٍ طَالِعٍ وَبَهَارِ
يُفْنِيكَ عَنْ وَرْدِ الرَّبِيعِ وَعَرَفُهُ	عَنْ شَمِّ عَرَفِ لَطِيمَةِ الْعَطَارِ (٢)

فَالشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يُفَضِّلُ الْخَرِيفَ عَلَى الرَّبِيعِ، فَيَذْكُرُ عُيُوبَ الرَّبِيعِ، وَهِيَ أَنَّهُ مَلِيءٌ بِالرِّيَّاحِ الْعَاتِيَةِ وَالْأَمْطَارِ الْغَزِيرَةِ، وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ، وَيُثْنِي الشَّاعِرُ عَلَى الْخَرِيفِ رَامِزًا لَهُ بِتَشْرِيئَيْنِ، فَهِيَمَا شَهْرَا الْمُتَعَمَّةِ وَالْجَمَالِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، فَالْخَرِيفُ فَصْلٌ جَمِيلٌ يَفْنِي الْعُرَى عَنْ وَرْدِ الرَّبِيعِ وَعَنِ الْعَطُورِ زَوَاتِ الرَّايِحَةِ الزَّكِيَّةِ.

وَطَرَقَ الشَّيْعَةُ فِي أَشْعَارِهِمْ بَعْضُ الْأَشْيَاءِ الْعَلَمِيَّةِ، فَوَصَفُوا الْكُتُبَ، وَأَدْوَاتِ الْكِتَابَةِ كَالْأَقْلَامِ (٣)، كَمَا وَصَفُوا الْخَطَّ (٤)، وَدَوَاةَ الْحَبِيرِ، وَمِمَّنْ بَرَعَ فِي وَصْفِ الدَّوَاةِ مِهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ، يَقُولُ :

-
- (١) انظر: ديوان الصَّنَوْبَرِيِّ: ص ٤٢-٤٣.
(٢) سرور النفس بعد ارك الحوائس الخمس: ص ٢٣٣.
(٣) انظر: ديوان السَّرِيِّ الرَّفَاءِ: ص ١٤١.
(٤) انظر: من غاب عنه العُطْرِبُ: ص ٩.

وَحَرْفَاءُ مُعْرِقَةٍ فِي الضَّالَّا
إِذَا سُقِيَتْ فِيهَا أُطْعِمَتْ
وَلِنْ رَشَفَتْ رِيْقَهَا أَلْسُنُ
تُقَطَّعُ مِنْهَا فَلَا تَرَعُ وَيُوي

لِ شَاقَكَ فِي الْقَصْرِ إِرْشَادُهَا
مُرْتَقَّةٌ مَاؤُهَا زَادُهَا
وَقَاءَتْ فِي الْقِيءِ أَكْبَارُهَا
وَتُعَدِّي بِهَا وَهِيَ عَوَادُهَا (١)

فَهَذِهِ الدَّوَاءُ سُودَاءُ مُظْلِمَةٌ، وَلَكِنَّهَا تَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ بِمَا يُكْتَبُ مِنْ حَبْرِهَا، وَهِيَ لَيْسَ لَهَا زَادٌ إِلَّا حَبْرُهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي تَرْتَشِفُهُ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ ثُمَّ تَعْجُهْ عَلَى هَيْئَةِ كَلَامٍ مَكْتُوبٍ. وَأَمَّا بَعْضُ شِعْرَاءِ الشَّيْعةِ فِي وَصْفِهِمُ لِلدَّوَاءِ بِتَشْبِيهِاتٍ غَرِيبَةٍ جَمِيلَةٍ، فَقَدْ شَبَّهَهَا كِشَاجِمُ بَطْلِكٍ مُتَرَبِّعٍ عَلَى الْعَرْشِ، وَبِقَابِلَةِ سُودَاءِ تَمَجُّ رِيْقَهَا الَّذِي يَبْنِي الْمُلُوكَ حِينًا وَيَهْدِيهِمْ حِينًا آخَرَ (٢).

وَوَصَفَ شِعْرَاءُ الشَّيْعةِ الْكُتُبَ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَبَّاطَبَا
فِي وَصْفِ كِتَابٍ:

صَدَقُ شَقٌّ عَنِ لَالِئِ دُرِّ
وَقَوَافِي مَقَوِّمَاتٍ لِيذِي الْأَبْيَـ

أَمْ كِتَابٌ فَدَفَقَ عَنْ نَظْمِ شِعْرِ
مِيَانِ مَوْزُونَةٍ بِقِسْطِاسٍ فِكْـ (٣)

وَقَدْ وَصَفَ شِعْرَاءُ الشَّيْعةِ الْأَطْعِمَةَ وَالْمَأْكُولَاتِ الْمَخْتَلِفَةَ، وَقَدْ بَرَعَ فِي ذَلِكَ كِشَاجِمُ وَالسَّرِي الرَّفَاءُ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، وَلَعَلَّ كِشَاجِمَ بَرَعَ فِي ذَلِكَ لِكُونِهِ طَبَّاحًا، وَلِذَا كَانَ يَصِفُ الْأَطْعِمَةَ وَصَفَ مُجَرَّبٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ وَصَفَ سَمَكَةً قَبْلَ أَنْ تُشْوَى وَيَعْدُ شَيْهَا، فَقَدْ كَانَتْ بَيْضَاءً ثُمَّ وَضَعَهَا فِي التَّنُورِ فَخَرَجَتْ حَمْرَاءَ اللَّوْنِ (٤). وَوَصَفَ الشَّيْعةُ بَعْضُ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ كَمَا هَرَّةُ مَجَالِسِ الطَّرْبِ وَالغِنَاءِ وَالرَّقْصِ، وَوَصَفُوا آتِ الْمَوْسِيقِيِّ، وَمِنْهَا الطَّنْبُورُ (٥) وَالْعُودُ (٦). كَمَا وَصَفُوا الْأَدْوَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَعْمَدُ فِي الْمَنَازِلِ، فَوَصَفُوا الشَّمْعَةَ (٧).

(١) ديوان مهيار الديلمي: ج ١، ص ٢٩٨.

(٢) انظر: ديوان كشاجم: ص ٤٣٣.

(٣) انظر: تقييد العلم: ص ١٢٨.

(٤) انظر: ديوان كشاجم: ص ٢٦-٢٧.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ص ٢٥٤.

(٦) انظر: المصدر نفسه: ص ٨٣.

(٧) انظر: سرور التفسر بمدارك الحواس الخمس: ص ٣٧٨-٣٧٩.

وشبّهوها تشبيهاً رقيقةً، ووصفوا صيد السمك (١)، وممن وصفوا الشمعة السري الرفاء،
فهو يشبه طولها بعنق ذكر النعام، ويشبه قطراتها المنصهرة بدمع من التبر أجراه
الحزن، كما يشبهها بنخلة بلا سعف يقول :

وَسَمَعِي فِي يَدِ الْغُلَامِ حَكَتْ
تَبْكِي إِذَا نَارُ شَوْفِهَا اضْطَرَمَّتْ
عُنُقَ الظِّلِيمِ بِفَيْرٍ مِنْ قَارِ
كَأَنَّهَا نَخْلَةٌ بِلَا سَعْفٍ فِي
يَدِ مَعِ تَبْرٍ مِنَ الْأَسَى جَارِ
تَحْمِلُ أُتْرُجَةً مِنَ النَّارِ (٢)

فالتخيل أرسق الأشجار، والأترج من أكبر الثمار الصقر المذهبة، فلا غرو إذ ن أن يُنوه
الشاعر بهذا التخيل الغريب الذي يثمر الأترج (٣).

ومما أبدع الشعراء الشيعة في وصفه الحرب والمعارك، ونلح هذا الأمر بصورة
خاصة لدى الشعراء الذين كانوا في بلاط سيف الدولة ولا غرابة في ذلك فقد كان
سيف الدولة هو الحاكم العربي المسلم الذي نذر نفسه للجهاد، ووقف سداً منيعاً
في وجه الأطماع الرومية في بلاد العرب المسلمين، ولذا استحلهم شعراؤه منه روح
البطولة والتضحية فكانوا يشهدون معه المعارك أو يسمعون عنها فيصفونها كأنهم
يرونها، ومن ذلك أنه في سنة ٣٤٢ هـ - كما ذكر ابن العديم - انتصر سيف
الدولة على الروم وأسر قسطنطين بن بردس ملك الروم، وبقي قسطنطين في الأسر
حتى مات من علة، واستتر الدمستق في تلك الموقعة في القنطرة ثم دخل فترهب (٤). فقال
أبو العباس التامي من قصيدة :

وَقَدْ سَارَ فِي الرُّومِ الدَّمِستِقُ بَاعِيباً
وَكَمَنْ قُسطنطِينُ تَحْتَ صَلِيبِهِ
لَهُ سَاعَةٌ نَكَرَاءُ فِي نَوْبِ نَكْدِ
وَمَدَّ القَنَا مِنْ قَوْقِ أَرَعَنْ مُمْتَدِّ
وَأَسْلَمَ قُسطنطِينُ لِلْأَسْرِ بِرُدَيْسِ
وَوَلَّى وَقَدْ خَدَّتْهُ قَوْهَاءُ فِي الخَدِّ (٥)

(١) انظر: ديوان السري الرفاء: ص ١٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٣٦.

(٣) الشموع والقناديل في الشعر العربي: ص ٣٢.

(٤) انظر: زبدة الحلب: ج ١، ص ١٢٣-١٢٤.

(٥) شعر التامي: ص ٥٢-٥٣.

وبذكر النامي حادثة تَمَنُّقِ الدَّسْتَقِ وَدُخُولِهِ الدَّيْرَ، وَتَمَنُّقِهِ بِالزَّنَارِ بَعْدَ أَنْ
كَانَ يَتَشَبَّحُ بِالْمِنَطَقَةِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى الْعَمَّازِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَسْتَلُّ نَصْلًا لَامِعًا، يَقُولُ :

لَبَكَّةُ طَلَبَ التَّرَهَّبَ خَيْفَةً يَمَّنُّ لَهُ تَتَقَصَّرُ الْأَعْمَارُ
فَمَكَانُ قَائِمِ سَيْفِهِ عَكَّازُهُ وَمَكَانُ مَا يَتَمَنُّقُ الزَّنَارُ (١)

وَوَصَفَ سُفْرَاءَ الشَّيْعَةِ مَا أَوْقَعَهُ الْقَوَادُ الْمَسْلُومُونَ وَمِنْهُمْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِالرُّومِ، وَمِنْ ذَلِكَ
مَا قَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَمَّا تَرَأَى لَكَ الْجَمْعَ الَّذِي نَزَحَتْ أَقْطَارُهُ وَنَأَتْ بَعْدًا جَوَانِبُهُ
تَرَكْنَهُمْ بَيْنَ مَصْبُوغِ تَرَائِبِهِ مِنَ الدَّمَاءِ وَمَخْضُوبِ ذَوَائِبِهِ
فَحَائِرٌ وَشِيَهَابُ الرُّشْحِ لَا حِقُّهُ وَهَارِبٌ وَدَبَابُ السَّيْفِ طَالِبُهُ
يَهْوِي إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ السَّيْفِ طَاعِنُهُ وَيَنْتَجِعُوهُ بِمِثْلِ الْبَرْقِ ضَارِبُهُ
يَكْسُوهُ مِنْ دَيْهِ ثَوْبًا وَيَسْلِبُهُ شِيَابَهُ فَهِيَ كَأَسِيهِ وَسَالِبُهُ (٢)

هذه صورة حية لِمَا صَنَعَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِالرُّومِ، فَقَدْ أَوْقَعَ بِهِمْ فَلَمْ يَعْرِفُوا أَيْنَ يَذْهَبُونَ
فَخَضَبَ بَعْضُهُمْ بِدَمَائِهِمْ فَسَقَطُوا قَتْلَى، وَحَاطَلَ بَعْضُهُمُ الْهَرَبَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا لِأَنَّ الشَّجَاعَانَ
مِنْ رِجَالِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَا حَقَّوَهُمْ بِسَيْوفِهِمْ وَرَمَاحِهِمْ، وَقَدْ سَلَبَ جُنُودُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَعْدَاءَ
مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَلَابِسٍ وَدُرُوعٍ وَكَسَوْهُمْ بِدَلَالٍ مِنْهَا مَلَابِسَ مِنَ الدَّمَاءِ.

ونجد الحديث عن الحرب وأحوالها عند شاعر آخر غير سيف الدولة وهو القاضي
أبو القاسم التنوخي، فهو يقدم لنا صورة حية لمعركة، فوصف مشاعر الخوف التي تسيطر
على النفوس، وكثرة من يسقط من القتلى وما يراق من الدماء، وذلك في قوله :

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْجَمَامُ وَلَمْ يَزُغْ عَنِ سَاحَتِهِ وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ
فَقَنَّا تَسْبِيلُ مِنَ الدَّمَاءِ عَلَى قَنَانَا يَطْوِي إِلَيْهِنَّ تُقْصِرُ الْأَعْمَارُ
فَرُؤُوسُ أَبْطَالٍ تَطَايَرُ بِالظُّهْبَانَا فَكَانَتْهَا تَحْتَ الْغُبَارِ غُبَارُ (٣)

(١) شعر النامي : ص ٥٧، وانظر : زبدة الحلب : ج ١، ص ١٢٤.

(٢) ديوان السري الرفاء : ص ١٨.

(٣) ديوان المعاني : ج ٢، ص ٥٤، ونهاية الأرب : ج ٦، ص ١٩٢.

هذه الأبيات ترسم لنا لوحةً فنيةً وتجعلنا أمام مشهدٍ متحركٍ يفيض بعناصرٍ متعدّدةٍ من الألوان والحركات، وتُعبّر عن معرفة عميقة بطباع النفس البشرية، فالأبصار زائفة، والدّماء الحمراء تسيل، والرّماح الطّوال مشرعات، والسيوف تحصد الرؤوس، والغبار يتصاعد فيلق ساحة المعركة بظلام شديد لا يرى ما تحته، وهذا الوصف يذكرنا بالتصوير البارعي الذي جاء به بشار في وصف المعركة يقول :

كَانَ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَشْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (١)

وقد وصف شعراء الشيعة أدوات الحرب، فوصفوا السيف وتحدّثوا عن لمعانه وبريقه وقطعه، وكان منهم أبو بكر الخالدي (٢)، وأبو المعاسن إسماعيل بن حيدر العلوي (٣)، كما وصفوا الدرع، ومن ذلك ما يقوله السلمي :

يَارُبَّ سَابِقَةِ حَمَتِنِي نِعْمَةً كَأَنَّهُ بِالسُّهُودِ غَيْرُ مُفْتَسِدٍ
أَضَحَّتْ تَصَوُّنٌ عَنِ الْمَنَايَا مُهَجَّتِي وَظَلَلْتُ أَبْذُلُهَا لِكُلِّ مُهَسِّدٍ (٤)

فالشاعر يصف الدرع ذكراً فذلّها عليه، ولكنّه كأنّها مكافأة سيّئة، فهي تحمي مهجته من كلّ الأخطار وهو يبذلها لكل سيف صارم.

ووصف شعراء الشيعة القلاع الحربية ومين برع في ذلك الخالد تان، فقد وصفنا قلعةً بالارتفاع والمناعة والاستعماء على كلّ من رام احتلالها، ولكنّها لم تستطع الصمود في وجه سيف الدولة، فقد هدمها وسوّاها بالأرض (٥). وممن برع في وصف القلاع أيضاً أبو بكر الخوارزمي وله في ذلك أشعار (٦).

-
- (١) ديوان بشار بن برد : ج ١، ص ٣١٨ .
 (٢) ديوان الخالديين : ص ١٠٠ .
 (٣) انظر : دمية القصر : ج ١، ص ٢٧١ .
 (٤) شعر السلمي : ٦١ .
 (٥) انظر : ديوان الخالديين : ج ٥٥٥ .
 (٦) انظر : نهاية الأرب : ج ١، ص ٤٠٥ .

ولم ينسَ شعراء الشيعة أن يصفوا الخمر، فقد وصفوها أوصافاً رقيقة تسدل على سعة خيالهم ورقة أذواقهم، وقد صورها بعضهم مشرقة منيرة تزيل الظلام حتى ليُخيل إلى المرء أنّ الفجر قد لاح، ومن ذلك قول الخباز البلديّ:

وَمُدَامِ كَسَبِ الْكَأِ سَمِ مِنَ النُّورِ وَشَا حَا
ظَهَرَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ فَكَأَنَّ الْفَجْرَ لَاحَا
لَمْ يَكُنْ وَقْتٌ صَبَّاحٍ فَحَسِبْنَا هُ صَبَا حَا (١)

ومن شعراء الشيعة أبو بكر الخالديّ، فقد تفتن في وصف الخمر فشبهها بالخدّ الأحمر الجميل الذي يلوح من تحت الثقب (٢) وقد أغرم بعض شعراء الشيعة بالخمر،

وظلبوا أن يُسقوا منها حتى يفقدوا عقولهم، ومن هؤلاء يُقَطِّوهُ، يقول:

قَمَرٌ طَالِعٌ وَكَأْسٌ تَسُدُّ رُؤُ وَنَعِيمٌ وَلَذَّةٌ وَسُـرُورُ
فَأَقْلُوا الْمِرْجَاحَ، وَاسْتَعْمِلُوا الضَّرَّ فَ، وَهَاتُوا الْكَبِيرَ هَذَا صَغِيرُ
قَدْ مَضَى اللَّيْلُ وَالْعُقُولُ صِحَاحُ وَرَقَا الدَّيْكَ وَالْكَلامُ كَثِيرُ
أَفْقِدُوا وَنَا عُقُولَنَا سَاعَةً إِنْ فِي انْتِقَابِ الْعُقُولِ عَيْشٌ غَيْرُ (٣)

ولا هتام الشيعة بالخمر وغرامهم بها فقد وصفوا أذوايتها، ومن ذلك إبريقها، ونجد ذلك عند الشاعر الزاهي حيث يشبه إبريق الخمر بالحمامة عند ما تمدُّ جناحها وتبدأ بالتفريد، يقول:

كَأَنَّ إِبْرِيقَهَا فِينَا مُطَوَّقَةٌ مَدَّتْ جَنَاحَهَا وَقَدْ غَمَّتْ بِتَفْرِيدِ (٤)

وكثيراً ما مزج شعراء الشيعة وصف الخمر بوصف الرياض، ذلك لأن جمال الطبيعة يأخذ بالألباب ويدعو إلى اللهو والاستمتاع بالطبيعة الجميلة، مما يحمل على الشرب، وممن فعل ذلك الخباز البلديّ، فقد وصف جمال روضة حلَّ بها، وقد سقاها الغيث العميم، وهي مليئة بالأزهار المختلفة، وقد تمتع الشاعر بجمالها وشرب الخمر الملتهبة التي تشبه النار في تلتهبها وتوقدُّها (٥).

- (١) شعر الخباز البلديّ: ص ٢٠.
(٢) ديوان الخالديين: ص ٢٠.
(٣) قطب السرور: ص ص ٦٢٥-٦٢٦.
(٤) محاضرات الأدباء: ج ٢، ص ٧١٢.
(٥) انظر: شعر الخباز البلديّ: ص ٢٩.

وقد وصف شعراً الشيعة الحيوانات التي تعيش في البراري والقفار، ونحسب نلمس من ذلك أنهم كانوا حريصين على الصدق الفني فهم يذكرون قصة جرت بينهم وبين الحيوان، وقد تكون هذه القصة قصة خيالية، ولكنها مع ذلك ممكنة الوقوع وليست بعيدة عن عالم الواقع، ومن ذلك ما وصف به الشريف المرتضى الذئب في قصيدته التي مطلعها:

أَيَا حَارِي الْأَطْعَامِ لِمَ لَا تُعَرِّسُ لَمَلِّكَ أَنْ تَحْظَى بِقُرْبِكَ أَنْفُسُ (١)

فالمرتضى يحطينا وصفاً رائعاً للذئب فيصفه بأنه شديد الجوع بارز عظام الصدر، هزيل الجسم، أغبر الظهر وكأنه قطعة من الأرض. وقد اقترب من الشاعر وأقصى منتظراً أن ينام كي يأخذ مطينته ولكنه عندما رأى صبر الشاعر ويقظته عوى ثم ولى هارباً.

وللشريف الرضي قصيدة تشبه قصيدة أخيه المرتضى، وقد ركز فيها على الصفات التي ذكرها المرتضى وتتمثل في أنه هزيل الجسم من الجوع، أغبر اللون... الخ ويضيف الرضي إلى تلك الصفات صفات أخرى هي أنه حاد السمع، حاد البصر، فسوي حاسة الشم، ويذكر الرضي أنه عوى وولى هارباً (٢).

ولم يقتصر شعراء الشيعة على وصف الحيوانات البرية المفترسة التي تعيش في البراري، وإنما وصفوا الحيوانات الأليفة التي تعيش في المنازل، وبينوا محاسنها، ومن ذلك ما يقوله أبو الفرج الأصفهاني في وصف الهر من قصيدة بعد أن ذكر الفئران وما تفعله من الإضرار بالمنازل، يقول:

زَالَ هَمِّي مِنْهُنَّ أَرْقُ تُرْكِيهِ	يُ السَّيَالِيْنَ أَنْعَرُ الْجِلَابِ (٣)
لَيْتَ غَابَ خَلْقًا وَخُلِقًا فَسَنَ لَا	حَ لِعَيْنَيْهِ (٤) خَالَهُ لَيْتَ غَابِ
نَاصِبٌ طَرَفُهُ إِزَاءَ الزَّوَابِيَا	وَإِزَاءَ السُّقُوفِ وَالْأَبْوَابِ
يَنْتَضِي الظُّفْرَ حِينَ يَطْفُرُ لِلصَّيْدِ	بِذِ وَإِلَّا فَظْفُورُهُ فِي قِرَابِ

- (١) انظر: ديوان الشريف المرتضى: ج ٢، ص ١١٢-١١٩.
- (٢) انظر: ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ٦٦١-٦٦٢.
- (٣) السجلات: جمع سبلة، وهو الشارب. (انظر: لسان العرب، مادة سبل).
- (٤) في الأصل: "لعينه" وإنما أصلحناها كي تستقيم الوزن.

لا يُرِي أَحَبَّتِيو عَيْنًا وَلَا يَعْنُ
قَرَطْنُوهُ ، وَشَدَّقُوهُ وَحَلَّتْهُ
فَهُوَ طَوْرًا يَمْشِي بِحَلِي عَرُوسِ
حَبْدًا ذَاكَ صَاحِبًا وَهُوَ فِي الصُّحُ
لَمْ مَا جَنَّتَاهُ غَمْرُ التُّرَابِ
هُ أَحْيِرًا وَأَوْلًا بِالْخِصَابِ
وَهُوَ طَوْرًا يَمْخُطُو عَلَى عُنَابِ
سَهْمِ أَوْقَى مِنْ أَكْثَرِ الْأَصْحَابِ (١)

فهذا المهر - كما يصفه الأصفهاني - ذو جلد كجلد النمر، وهو شجاع كاللبيث، حذرٌ
جِدًّا ، متحفزٌ للانقضاض على فريسيه ، له أظفارٌ جارحةٌ ، وهو نظيفٌ جِدًّا لا يُرِي شيئاً من
برازها أو بوله ، وهو وفِيٌّ ، وأكثر وفاءً من كثير من الأصحاب .

كما وَصَفَ الشُّعْرَاءُ الشَّيْعةَ الطَّيِّيرَ مِثْلَ الزَّرَقِ (٢) ، وَالْقَطَاةِ (٣) وغيرها وبيَّنوا
ما تَتَمَيَّزُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ - وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ شُعْرَاءَ الشَّيْعةِ قَدِ بَرَعُوا فِي الوِصْفِ ، وَلَمْ يَتْرَكُوا
شَيْئاً مِنْ مَوْجُودَاتِ البَيْئَةِ إِلَّا وَصَفُوهُ .

٤ - الغَزَلُ -

قَالَ شُعْرَاءُ الشَّيْعةِ شِعْراً كَثِيراً فِي الغَزَلِ ، وَلَكِنَّا نَجِدُ أَنَّ مَعْظَمَ مَا قَالُوهُ كَانَ
مَقْطَعَاتٍ غَزَلِيَّةً قَصِيْرَةً ، فَلَا نَجِدُ قِصَائِدَ طَوِيْلَةً إِلَّا قَلِيْلاً ، وَكَثِيراً مَا كَانَ الغَزَلُ عِنْدَهُمْ
جُزْأً مِنْ قِصِيْدَةٍ طَوِيْلَةٍ تَشْتَلِ عَلَى أَغْرَاضٍ أُخْرَى كَالْمَدْحِ أَوِ الْفَخْرِ وَغَيْرَهُمَا ، وَلَعَلَّ طَابِعَ
الحُزْنِ الَّذِي اتَّسَمَ بِهِ شِعْرُ الشَّيْعةِ نَتِيجَةٌ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ
الظُّلْمِ وَالاضْطِهَادِ الَّذِي بَلَغَ ذُرُوعَهُ بِمَقْتَلِ الحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ هُوَ الَّذِي أَبْعَدَ الشَّيْعةَ
عَنْ نِظْمِ قِصَائِدِ طَوِيْلَةٍ فِي الغَزَلِ .

وَنَلَاخِظُ أَنَّ الشَّيْعةَ سَارُوا فِي مَعْظَمِ غَزَلِهِمْ عَلَى النِّهْجِ التَّقْلِيْدِيِّ الَّذِي كَانَ
سَائِداً عِنْدَ الشُّعْرَاءِ العَرَبِ ، فَكَانُوا يَذْكُرُونَ صِفَاتِ المَحْبُوبِ الجِسْمِيَّةِ المَعْرُوفِ نَفْسَةً .
وَمِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِيْنَ تَغَزَّلُوا أَبُو بَكْرٍ الصَّنَوْبَرِيُّ فَإِنَّا نَجِدُ لَهُ قِصِيْدَةً تَعْتَلُّ لَنَا الغَسَزَلُ
الحِسِّيَّ الَّذِي كَانَ شُعْرَاءُ الشَّيْعةِ يَرْكُزُونَ عَلَيْهِ فِي قِصَائِدِهِمْ ، يَقُولُ :

- (١) معجم الأدباء : ج ١٣ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٢) انظر : الأنوار ومحاسن الأشعار : ص ٢٩٦ .
- (٣) انظر : نهاية الأرب : ج ١٠ ، ص ٢٦٢ .

يَا جَبَانًا عَلَى الصُّدُورِ تَجَبَّرًا
 حَسَنٌ أَنْ أَكُونَ أَزْدَادُ ذُلًّا
 مَا أَمْرَ الْهَوَى إِذَا كَانَ حُلُومًا
 بِأَبِي مِنْ لَوْ أَنَّ نِيْ زُبْتُ هُورًا
 مَنْ لَهُ الْجَلَنَارُ أَصْبَحَ حَسَدًا
 طَرَّةٌ قَدْ يَخَالُهَا اللَّيْلُ لَيْسَالًا
 أَكْعَلُ طَرْفُهُ وَمَا مَسَّ كُحْمَالًا
 جَانِبَ الْخَصْرِ رَدْفُهُ إِنَّ مِنْ أَحَدٍ
 فَهُوَ يُخْفِي تَحْتَ الْعَلَائِلِ عُضْنًا
 لَيْقَ فِي الرِّدَاءِ يَرْفَعُ شَطْبًا
 قَائِكُ الزَّيِّ قَدْ لَوَى فَرْدَكُكُمْ
 حَلَّ عَنِّي تَرَكَ لَمْ تَرَ أَضْحَى
 كُنْتُ غَرًّا لَمَّا أَتَيْتَ مُغِيذًا
 لَمْ تَلَا حِطْ هَذَا السِّنَانُ بِكَفِّي
 ذَاكَ ظَنِّي رُبِّي بِبَابِ الرَّوَابِي
 طَافَ هَذَا الْجَمَالَ فِي الْخَلْقِ حَتَّى
 سَاءَ نِي طَرْفَكَ الْبَسِيمُ وَسَرًّا
 كَلَّ يَوْمَ وَأَنْتَ تَزْدَادُ كَيْسَرًا
 عِنْدَ مِثْلِي فَكَيْفَ إِذَا كَانَ سُرًّا
 فِيهِ مَا قُلْتُ إِنِّي زُبْتُ ضَرًّا
 وَلَهُ الْأَقْحَوَانُ أَصْبَحَ تَغْفَرًا
 وَجَبِينُ يَخَالُهُ الْفَجْرُ فَجَعْرًا
 عَطِرَ جَمِيهٌ وَمَا مَسَّ عَطْرًا
 مِنْ شَيْءٍ رَدْفٌ بِجَانِبِ خَصْرًا
 وَهُوَ يُهْدِي فَوْقَ الْعَلَائِلِ بَدْرًا
 حِينَ يَحْشِي بِهِ وَيَسْحَبُ شَطْرًا
 فَإِذَا تَرَّ مَرَّ بِخَطْرٍ خَطْرًا
 حِينَ جَاءَ يُهْتَنِي وَلَمْ تَرَ فِطْرًا
 لِيخْدَاعِي كَأَنْتِي كُنْتُ غَرًّا
 وَالْمَنِيَا مِنْهُ يَلَا حِطْنَ شَرًّا
 مِنْ أَجْلِ الظَّهَائِرِ عِنْدِي قَدْرًا
 حِينَ صَارَ الْجَمَالَ فِيهِ اسْتَقْرًا (١)

نلاحظ ان هذا الفزل يدور حول المعاني التقليدية الشائعة ، وهو غزل رقيق ، فالمحبيب هـ جر الشاعر ، ومع ذلك فالشاعر يفديه بأبيه ، وهو محبوب جميل خده أحمر كزهرة الزمان ، وأسنانه بيض كأنها الأقحوان ، وشعره أسود كقطع الليل ، وجبينها بهيف كالنجم ، وجمالها طبيعي ، فهو مستغن عن استعمال أدوات التجميل ، فطرفه أكحل دون وضع الكحل ، ورائحة طيبة دون أن يمس العطر ، وقامه كالغصن في الاعتدال . وقد حرص الشاعر على أن يصف حركات المحبوب وهيئته في مشيته ، فهو حين يحشي يرفع طرفاً من رداءه ويسحب طرفاً آخر ، وهذا دليل على لهافته وكبرياءه ، فهذا المحبوب هو مثال الجمال ، لأن الجمال استقر فيه بعد أن طوف في الناس جميعهم .

وَلَمَّحُ التَّرْكِيزِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ عِنْدَ شِعْرَاءِ آخَرِينَ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ
الْخَالِدِيُّ (١)، وَأَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِيُّ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ :

أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي يَجْلُو الدَّجَا إِنَّ رُوحِي فِي هَوَاكُمُ تَحْتَسْرِقُ
أَنَا مِنْ جُمْلَةِ أَحْرَارِ السُّورَى غَيْرَ أَنِّي فِي هَوَاكُمُ تَحْتَ رِقِّ (٢)

ويقول :

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ وَوَكَّلَ أَجْفَانِي بِرُغْيِ كَوَاكِبِهِ
فَمَا مُهَجَّتِي لَا تَجْزَعِي مِنْ جَفَائِهِ وَيَا كَيْدِي صَبْرًا عَلَى مَا كَوَاكِبِهِ (٣)
فَنَزَّلَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ تَقْلِيدِيًّا يَقُومُ عَلَى تَشْبِيهِ الْمَحْبُوبِ بِالْبَدْرِ، وَنَحْنُ نَلْمَسُ
الصَّنَاعَةَ اللَّفْظِيَّةَ الَّتِي حَرَصَ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ، وَتَنَحَّلَ فِي الْجِنَاسِ بَيْنَ "كَوَاكِبِهِ" وَ"كَوَاكِبِهِ"
وَ"تَحْتَسْرِقُ" وَ"تَحْتَ رِقِّ".

وَقَدْ اسْتَعْمَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ التَّمْبِيرَاتِ الْجَمِيلَةَ فِي غَزَلِهِمْ، فَهَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ
الْخَالِدِيُّ يَجْعَلُ مِنْ قَلْبِهِ وَعَيْنِهِ رَقِيبَيْنِ عَلَى قَلْبِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَمِيلَ عَنِ الْمَحْبُوبِ إِلَى غَيْرِهِ،
فَيَقُولُ :

لَا تَحْسَبُوا أَنَّنِي بَاغٌ بِكُمْ بَسَدًا وَلَوْ تَمَكَّنْتُ مِنْ صَبْرِي وَمِنْ جَسَدِي
قَلْبِي رَقِيبٌ عَلَى قَلْبِي لَكُمْ أَهْدًا وَالْمَيْنُ عَمَّنْ عَلَيْهِ آخِرُ الْأَسْرِ (٤)

وَقَدْ لَجَأَ بَعْضُ شِعْرَاءِ الشُّبُعَةِ فِي غَزَلِهِمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ بَعْضِ التَّشْبِيهَاتِ الْغَرِيبَةِ، وَمِنْ
ذَلِكَ مَا نَجَدُهُ عِنْدَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى فِي قَوْلِهِ :

تَقَلَّدَ حُسْنَ زَانَهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَعْمَيْنَا مَا لَمْ تَزِنَهُ الْقَلَائِدُ
وَمَا شَفَرُهُ إِلَّا حَصَى مِنْ غَمَامَةٍ وَمَا فَرَعُهُ فِي الْمَيْنِ إِلَّا أَسَاوِدُ
وَقَالُوا لِقَلْبِي خَلَّ عَنْهُ وَقَارُهُ وَمَا قَادَهُ إِلَّا الصَّبَاهَةُ قَائِدُ

- (١) انظر : ديوان الخالد بن سنان : ص ٨٢ .
(٢) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٨٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٢٢٨ .
(٤) ديوان الخالد بن سنان : ص ٥١ .

فالمرتضى هنا يأتي بتشبيهه غريب هو تشبيهه شعر محبوبه الأسود بالشعبان الأسود (١).
وقد شاع بين شعراء الشيعة - وبخاصة الذين كانوا في بلاط سيف الدولة
الحمداني - الغزل بالجوّاري، ولعل ذلك يعود إلى كثرة مجالس اللهو والشراب،
والتقدم الاجتماعي الذي اتسم به عهد الحمدانيين، وشيوع ظاهرة الرق وكثرة الرقيق
نتيجة للحروب التي كانت تنشب بين المسلمين بقيادة سيف الدولة وبين الروم، مد لنا
على ذلك ما رواه الثعالبي من أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات الروم، ذات منزلة
عظيمة عنده، فحسدتها سائر جواريه فأمر بنقلها إلى أحد الحصون حفظاً لها، وقال في
ذلك متغزلاً؛

راقبتني العيونُ فيكِ فأشفقتُ
ورأيتُ المذولَ يحسدُ نسي فيهِ
رَبَّ هَجْرٍ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ هَجْرٍ
تُ ولم أخلُ قطُّ من إشفاقِ
كِ مُجِدًّا بِأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
وَفِرَاقِ يَكُونُ خَوْفَ فِرَاقِ (٢)

سيف الدولة يعتبر جاريته أغلى ما يملك، ولذا فهو أبعدّها وهجرها كي يبقى عليها
ويحفظها من شر جواريه.

ولقد شاعت لدى الشيعة ظاهرة غزلية أخرى هي الغزل بالمدّكر، وقد كثرت هذا
الغزل عند بعضهم حتّى كان يغلب على غزلهم، كما هي الحال عند عبد المحسن البصري.
واقدر أكثر شعراء الشيعة من الغزل بالغلمان ومن ذلك ما يقوله أبو الفضل بن العميد
متغزلاً بغيّلام قام يُظلّله من الشمس:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ
كَمْ قُلْتُ: يَا عَجَبِي، وَمِنْ عَجَبِ
نَفْسُ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي
شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ (٣)

فالشاعر يشبه الغلام بالشمس فضي جماله وإشراق وجهه. وكان للشاعر الفجع البصري
نصيب من الغزل بالمدّكر، يقول في غلام مغن:

(١) ديوان الشريف المرتضى: ج ١، ص ٢٣٢.

(٢) بيتية الدهر: ج ١، ص ٣٢.

(٣) الإعجاز والإيجاز: ص ٢٢٦.

يا قمرًا جَدْرَ حينَ استَسَوَى
كأننا غنى ليدُرِ الصُّحَى
فزادَهُ حُسْنًا وزَادَتْ هُمُومُ
فَنَقَطَهُ طَرَبًا بِالنُّجُومِ (١)

فهذا غزلٌ رقيقٌ يُظهِرُ لنا براعةَ الشاعرِ في تحسينِ صورةِ قبيحةٍ، فهذا الغلامُ ازدادَ جمالهَ عندما جُدِرَ وجهه، فكأننا نُقِطُ وجهه بالنُّجومِ البيضاءِ الجميلةِ . وكانَ بعضُ شعراءِ الشيعةِ يذكرونَ اسمَ الغلامِ في أشعارهم، ومنهم عبدُ المُحسنِ الصُّوريُّ ، يقولُ مُتغزلاً بغلامِ اسمه سَلَامَةٌ :

ظَمِي أَقَامَ قِيَامَتِي
عَطَبَ الْقُلُوبِ جُفُونَتِي
مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَ الْقِيَامَةُ
فَقَلَامَ سَعْوُهُ سَلَامَتُهُ (٢)

وَمِنَ تَغَزُلِ الْمَذْكُورِ أَبُو الْحَسَنِ الْأُقْسَائِيَّ ، يَقُولُ مُتغزلاً بغلامِ اسمه بَدْرٌ :

يَا بَدْرُ وَجْهَكَ بَدْرُ
وَمَا حَدَّيْكَ وَرْدُ
وَنَجَّ عَيْنَيْكَ سَحَرُ
وَمَا شَفْرِكَ خَمَرُ
أَمْرٌ عَنْكَ بِصَبْرٍ
وَلَيْسَ لِي عَنْكَ صَبْرُ (٤)

في هذه الأبيات يجانس الشاعر بين "بدر" و "بدر" مشبهاً وجةَ المحبوبِ بالبدر، ويشبهه ريقه بالخمرِ في عذوبته . وقد شاعَ الغزلُ بالمذكورِ عند شعراءِ الشيعةِ حتى شارك فيه الوزراءُ والأمراءُ، مثلُ الوزيرِ المغربيِّ (٥) ، وسيفِ الدولةِ (٦) ، وغيرهما .

وقد بلغَ من حُبِّ شعراءِ الشيعةِ للمحبوبِ أنهم كانوا يُحِبُّونَ كلَّ من كان يشبهه ولذا أصبحت أجسامهم هزيلةً ناحلةً كأنها مسروقةٌ من جفني المحبوب، ومن ذلك ما قاله أبو بكر الصُّوليُّ :

أَحْبَبْتُ مِنْ أَجْلِ مَنْ كَانَ يُشْبِهُهُ
حَتَّى حَكَيْتُ بِجِسْمِي مَا بِمَقْلَتِهِ
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَعْشُوقِ مَعْشُوقُ
كَأَنَّ جِسْمِي مِنْ جَفْنَيْهِ مَسْرُوقُ (٧)

- (١) المحمدون من الشعراء: ص ٣٣ .
- (٢) ديوان الصوري: ج ٢، ص ٣٣ .
- (٣) محمد بن الحسن الأقسائي العلوي، من ولدِ محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليٍّ حجَّ بالناسِ مرَّاتٍ كثيرةً، نهايةً عن الشريف المرتضى، وله أشعار كثيرة، وتوفي سنة ٤١٥ هـ (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٨، ص ١٩ - ٢٠).
- (٤) المصدر نفسه: ج ٨، ص ٢٠ .
- (٥) انظر: وفيات الأعيان: ج ٢، ص ١٧٤ .
- (٦) انظر: بيتية الدهر: ج ١، ص ٣٢ - ٣٣ .
- (٧) نزهة الألباء في طبقات الأرباب: ص ٢٠٥ .

ولم يكن غزلُ الشيعة كُله تَقْلِيدِيًّا ، وَإِنَّمَا كَانَ هُنَاكَ بَعْضُ مَظَاهِرِ التَّجَرُّدِ ، وَيَتِمُّ نَظْمُ ذَلِكَ فِي حِرْصٍ بَعْضِ شِعْرَائِهِمْ عَلَى أَنْ يَصْبُغُوا غَزْلَهُمْ بِصِبْغَةٍ مَذْهَبِيَّةٍ شِيعِيَّةٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ :

تَعَرَّفْتُ بِالْعَدْلِ فِي مَذْهَبِي
فَكَلَّفْتُ فِي الْحُبِّ مَالِمَ أُطِيقُ
وَدَانَ يَحْسِنُ جِدَالِي الْعِرَاقُ
فَقُلْتُ بِتَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ (١)

فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يُقِيمُ الصَّاحِبُ غَزْلَهُ عَلَى مَبْدَأِ أُسَاسِيٍّ لَدَى الشَّيْخَةِ هُوَ مَبْدَأُ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ ، وَمِنْ مَسْأَلِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَكْلِفُ الْمَرْءَ فَوْقَ مَا يُطِيقُ ، وَلَكِنَّ الصَّاحِبَ يَعِدُ أَنْ عَشِقَ أَصْبَحَ يَقُولُ بِتَكْلِيفِ مَا لَا يُطِيقُ ، وَتَرَكَ قَوْلَهُ السَّابِقَ . وَقَدْ مَرَّ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ غَزْلَهُمْ بِالتَّشْيِيعِ ، وَذَلِكَ حِرْصًا مِنْهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِمُ الَّذِي كَانَ يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أَحَاسِيْسَهُمْ وَمَشَاعِرَهُمْ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْخَبَّازِ الْبَلَدِيِّ :

أَنَا إِنْ رُقْتُ سُلُوبًا
كُنْتُ فِي الْإِثْمِ كَمَنْ شَا
عَنْكَ يَا قُرَّةَ عَيْنِي
رَكَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ
لَكَ صَوَلَاتٌ عَلَى قَلْبِي
بِي يَقْلِبُ كَالرَّدِّ لِي
مِثْلُ صَوَلَاتِ عَلِيٍّ
يَوْمَ بَدْرٍ وَحَنْبَيْنِ (٢)

وقوله :

أَنَا فِي قَبْضَةِ الْغَرَامِ رَهِيْنٌ
فَكَأَنَّ الْهَوَى فَنَى عَلَّسُوِيٌّ
بَيْنَ سَهْفَيْنِ أُرْهِفَا وَرَدَّ يَنْبِي
ظَنَّ أَنِّي وَلِيْتُ قَتْلَ الْحُسَيْنِ
وَكَأَنِّي (بِزَيْدٍ) بَيْنَ يَدَيْهِ
فَهُوَ يَخْتَارُ أَوْجَعَ الْفِتْلَتَيْنِ (٣)

فَالْتَّشْيِيعُ وَاضِحٌ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، إِذْ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى الْقَوْلِ إِذْ إِثْمُهُ إِذَا مَا سَلَا مَحْبُوبَهُ كَأَنَّهُ مِنْ شَارِكٍ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهَذَا الْمَحْبُوبُ لَهُ سَطْوَةٌ وَقُوَّةٌ عَزْمٌ عَلَى قَلْبِ الشَّاعِرِ كَسَطْوَةِ عَلِيٍّ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ وَحَنْبَيْنِ . وَيُشِيرُ فِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ

(١) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٥٤ .

(٢) شعر الخباز البلدي : ص ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

الأخيرة إلى تمكن الهوى من قلبه، معبراً عن ذلك بالإشارة إلى قتل الحسين، فالهوى، مستحكماً فيه يريد أن يقتله وكأنه فتى علوي أمسك يزيد بن معاوية فهو يريد أن يقتله شرقتة.

٥ - الرثاء :-

الرثاء غرض معروف في الشعر المرثي منذ الجاهلية، ويهدف الشاعر منه إلى بيان مناقب العرشي، وتصوير حزن الشاعر عليه، وما أصابه بفقد ه . وقد احتل الرثاء مكاناً بارزاً في أشعار الشيعة، ولعل قتل الحسين رحمه الله قد ألهم عواطف الشيعة وأجج نيران الحزن والألم في نفوسهم، وجعل الرثاء والحزن، وسفح الدموع، والبكاء طابعاً مميزاً لأشعارهم.

تنوع الرثاء عند الشيعة، فشمل رثاء الأقارب، وهذا الشعر كان يتسم بصدق العاطفة، وبغلبة الألم والحزن عليه . وبأنه نابع من قلوب مكلومة تشعر بعظم المصيبة . ووجد لديهم رثاء الأصدقاء، ورثاء الأمراء والحكام، وهذا كان أقل صدقاً في العاطفة، وأكثر تصنعاً وتكلفاً .

وقد أكثر شعراء الشيعة من رثاء الأقارب وبخاصة الوالدين ، ومن ذلك ما يقوله

كشاحم في رثاء والده :

أهلكت صبري إذ هلك	أي أب رزقتسُهُ
مجدٍ ولمجدٍ فلك	شمسي هوت من فلك الـ
رجا ظلامي وحلك	وكوكبي باخ فقتد
لم تبق لابن ثلك	يا أبتي أي أسسى
إلى المعالي سُبلك	خلفته مقتفياً
شارفت فيه أملك	من بعد أن أدركت أو
كنت احتطت علىلك	ودرت لو يجسدي
يا كنت يوماً بدلك	ودرت أني للمنا
إنسٍ وجنٍ ومللك	لو لم يمت غيرك من
من العفو عنه زللك	تعمد الله بحسـ

يا ابني كُلُّ أَبٍ
والحيّ يقفو من مضي
يورد يوماً منهلك
به الردى حيث سلك

من أي شيء يعجب ال
أمن سرير حملك
ياكون والراشون لك
أم من تراب أكلك (١)

هذه الابيات مثال للصدق في العواطف، فالشاعر ذو عواطف حزينة، فهو متألم بفيض قلبه أسى ولوعة لوفاة والده التي هي مصاب عظيم، فقد فقد الشاعر صبره، وهوت شمس علاه، وأفل نجم مجده، وأصبح يعيش في ظلام راس، وقد بلغ من حب الشاعر أباه أنه كان يتمنى أن يموت قبله، وأن يحتل بجسده ما أصاب والده ثم يدعو الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنه.

ومن الشعراء من رش ابنته، ومن ذلك ما فعله الصنوبري حين رش ابنته ليلي* ففضلها على غيرها من الأموات، ثم بمن عظم حزنه عليها، ولذا فهو لا يستطيع أن يحبس دموعه، وإنما سيبقى يبكيها ما بكى القمر، بدموع غزيرة كأنها البحور. والشاعر مفعوع بوحيدته "ليلي" لذا فهو يستبكي الطيور معه، ولكنه يخالف ما هو شائع عند غيره من الشعراء في الرثاء، فهو يعتمد إلى التصنع والتأنق اللفظي من استعارات وبديع كالجناس والتطابق، يقول:

ألا يا أيها القمر كـم ذا
أجدك تشتكي جرعاً وتبكي
فقع في باب فتيرين فانظر
نساء في حذارٍ صائحات
ينارين الأحبة في صخور
ينحن وما ينحن شبيهة ليلي
سأبكي ما بكى القمر بنتي

تغرد في الرواح وفي البكور
لعمقود كبير أو صغير
إلى جزع النساء على القبور
كفرهان تصايح في الوكور
وكيف يجيب من تحت الصخور
وينحرن الدموع على النحور
يتحر من دموع بلد بـحور (٢)

فقد جانس الصنوبري بين "الرواح" و "البكور" وقد أتى ببعض الاستعارات الجميلة ومنها: نحر الدموع على النحور.

(١) ديوان كشاجم: ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) ديوان الصنوبري: ص ١٠٣-١٠٤.

وقد رثى شعراء الشيعة الأئمة، ولهم في ذلك أشعار تتسم بالحزن والأسى
وصدق العاطفة، كما فعل كشاجم (١) وعبد المحسن الصوري (٢). وقالوا أشعاراً في
رثاء الأخت، ومن ذلك قصيدة للشريف الرضي (٣)، وفيها يبين حزنه العظيم لفراقها،
ثم يتحدث عن مآثرها فيصفها بالعفة والطهر، ويشبها بالشهاب وبالشهر العذب
لذا فلا حاجة لأن يستسقي القمام لها.

وشاع لدى الشيعة رثاء الأصدقاء، ومن ذلك قصيدة لعبد المحسن الصوري،
رثى فيها أحد أصدقائه، وهاجم الدهر الخوون، لأنه يكدر عيشه كلما صفا، وذلك بأن
يأخذ أحبته، مما أورثه الحزن وجعله دائم البكاء، ثم يصف صديقه بالكرم والمجد والأدب
البارع والعقل الراجح (٤).

وقد رثى شعراء الشيعة الوزراء والأمرأ والحكام، وبرعوا في ذلك الرثاء، ومنه
مارثى به أبو القاسم بن أبي العلاء الصاحب بن عباد، وهو من أحسن ما قيل في رثاء
الصاحب كما يقول الثعالبي:

يا كافي العلك ما وقيت حقاك من	قولٍ وإن طال تقريظ وتأبين
فقت الصفات فما يرثيك من أحد	إلا وتزيينه إياك تهجيب
ما مت وحدك بل قد مات من ولدك	حوا طراً بل الدنيا بل الدين
هذي نواعي العلى مذ مت ناريسة	من بعد ما ندهتك الحور والعين
تبكي عليك العطايا والصلوات كما	تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أتعدهم	واستيقظوا بعد ما نام الملامين

لا ينكر الناس منهم إن هم انتشروا
حتى سليمان فأنحل الشياطين (٥)
ونجد في رثاء الشيعة بعض جوانب التجديد ويتمثل ذلك في بعض الأمور،

أولها: رثاء آل البيت عليهم السلام، وقد حرص الشعراء في هذا الرثاء على إبراز حزنهم

-
- (١) ديوان كشاجم: ص ٤٠٩-٤١٠
 - (٢) انظر: ديوان الصوري: ج ١، ص ٣٣٩
 - (٣) انظر: ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ١٥٩-١٦٣
 - (٤) انظر: ديوان الصوري: ج ١، ص ٥٢
 - (٥) الإعجاز والإيجاز: ص ٢٣٩

العميق لما أصيب به آل البيت من النكبات، ثم يذكرون قتلهم، ومن ذلك ما رثى به الزاهي آل البيت، يقول :

أَعَاتِبُ عَيْنِي إِذَا قَصَّـرَتْ	وَأُفْنِي دُمُوعِي إِذَا مَا جَـرَتْ
لِذِكْرِكُمْ يَا بَنِي الْمُصْطَفَى	دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ قَدْ سَطَّـرَتْ
لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ جَفَّتْ غَمَّـهـَا	جُفُونِي عَنِ النَّوْمِ وَاسْتَشَعَّرَتْ
أَمْثَلَكُمْ فِي عِرَاصِ الطُّفُوفِ	يَدُودٌ تَتَكَسَّفُ إِذَا أَقْمَـرَتْ
عَدَّتْ أَرْضُ يَثْرَبٍ مِنْ جَمْعِكُمْ	كَحَطِّ الصَّحِيفَةِ إِذَا أَقْفَـرَتْ
وَأَضْحَى بِكُمْ كَرِيلاً مَغْرِباً	لِزَهْرِ النُّجُومِ إِذَا غَسَّـوْرَتْ
كَأَنَّ بَرِزِينَـبَ حَوْلَ الْحُسَيْنِ	وَمِنْهَا الذَّوَائِبُ قَدْ نُشِّـرَتْ
تَمَرُّعُ فِي نَحْرِهَا شَعْرَهـَا	وَتَبْدِي مِنَ الْوَجْدِ مَا أَضْمَـرَتْ
وَفَاطِمَةٌ عَقْلَهَا طَائِـرٌ	إِذَا السَّوْطُ فِي جَنْبِهَا أَبْصَـرَتْ
وَالسَّبِطُ فَوْقَ الثَّرَى شَيْبَةً	بِغَيْضِ رِمِّ النَّحْرِ قَدْ عَقَّـرَتْ (١)

فهذا رثاء مفعج، فالشاعر يُصوِّر لنا مدى حزنه على آل البيت، فد موعه تجري بفزارة، ثم ينتقل إلى الحديث عنهم فيشبههم بالبدور التي كسفت بعد أن كانت قد سطعت، وقد تخيل الشاعر زينب بنت الحسين وقد تشتت شعرها حزناً بسبب ما أصاب والدها، وهي تبكي بكاءً حاراً، ويتخيل الحسين بن علي وقد عُفِّرَ بدماه. وقد أكثر الشعراء الشيعة من رثاء آل البيت.

وهناك شيء آخر تجديدي في رثاء الشيعة وهو رثاء الأرواح المختلفة كالعمود (٢)، ورثاء الشباب، (٣) ورثاء بعض الطيور ومنها الطاووس (٤) والقمري (٥)، والدَّيك (٦). ومن

-
- (١) مناقب آل أبي طالب : ج ٣، ص ٢٦٦ .
 (٢) انظر : ديوان كشاجم : ص ٤٦٥ .
 (٣) انظر : ديوان الصنوبري : ص ٢٤٣ .
 (٤) انظر : ديوان كشاجم : ص ص ٤٥٢-٤٥٣ .
 (٥) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٧٢ .
 (٦) انظر : نهاية الأرب : ج ١، ص ص ٢٣٠-٢٣١ .

هذا الرثاء ما رثى به كشاجم قدحاً له انكسر :

عَرَانِي الزَّمَانُ بِأُحْدَانِيهِ	فَبَعْضُ أَطَقْتُ وَبَعْضُ قَدَحُ
وَعَيْنِي فَجَائِعُ النَّائِبَاتِ	تِ وَلَا كَفَجِيحَتِنَا بِالْقَدَحِ
وَعَاءُ الْمُدَامِ وَتَاجُ الْبِنَانِ	وَمُدُنِي السَّرُورِ وَمُقْضِي التَّرَحِ
وَجِسْمُ هَوَاءٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ	يُرَى لِلهَوَاءِ بِكَفِّ شَبَّحِ
وَبَعِيقُ مِنْ تَكْهَاتِ الْمُدَامِ	فَتَحَسَّبُ مِنْهُ عَبِيرًا نَقَّحِ
وَرَقِي فَلَوْ حَلَّ فِي كَفَّةِ	وَلَا شَيْءٍ فِي أُخْتِيهَا مَا رَجَّحِ
يَكَاؤُ مِنَ الْمَاءِ إِنْ مَسَّهُ	لِمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ يَنْسَفِحِ
هَوَى مِنْ أَنَامِلِ مَجْدٍ وَلَسَةِ	فَيَا عَجَبًا لِلطَّيْفِ فِي رَزَحِ
وَأَفْقَدَ بِنِيهِ عَلَى ضَنْفِ	بِهِ لِلزَّمَانِ غَرِيمُ مِلْسِحِ
كَأَنَّ لَهُ نَاطِرًا يَنْتَقِي	فَمَا يَتَعَمَّدُ غَيْرَ الْمَلْسِحِ
أَقْلَبُ مَا أَبَقَتِ الْحَارِثَاتُ	ثُ مِنْهُ وَفِي الْعَيْنِ رَمْعُ مَيْسِحِ
وَقَدْ قَدَحَ الْوَجْدُ مَنِي بِهِ	عَلَى الْقَلْبِ مِنْ تَارِهِ مَا قَدَحِ
وَأَعْجَبُ مِنْ زَمَنِ مَا نَسِحِ	وَآخِرُ يَسْلُبُ تِلْكَ الْبِنَاتِ
فَلَا تَبْعَدَنَّ فَكُمُ مِنْ حَشَى	عَلَيْكَ كَلِيمٍ وَقَلْبٍ قَرِحِ
سَيُقْفِرُ بَعْدَكَ رَسْمُ الْغَيْبِ	وَتُوحِشُ مِنْكَ مَعَانِي الصُّبْحِ (١)

في هذه الأبيات يرثي الشاعر قدحَه ، فيبين أن مصيبتَه بكسره كانت أعظم المصائب ، فهو وعاء للخمر ، يقرب السرور ويبعد الأُحزان ، وهو صقيل لامع كالمرآة ، يعكس صورة من ينظر فيه ، رقيق خفيف الوزن ، تفوح منه رائحة المدام ، وبعد ذكر صفات القدح يبين الشاعر غضبه وحنقه على الزمان الذي أفقده إتيانه ، وكأنما الزمان ذو عين بصيرة لا يختار إلا أعظم الأشياء قيمة . وفي النهاية يبين الشاعر حزنه العظيم على قدحِه ، فهو جريح الفؤاد قريح الجفون بسبب ما أصاب قدحَه .

(١) ديوان كشاجم : ص ص ١٣٠-١٣٢ .

والجانب الأخير من جوانب التجديد في رثاء الشيعة هو رثاء النفس قبل الموت، والشاعر إذا رثى نفسه جاء بالمعجز والبديع من القول . ومن شعراء الشيعة الذين رثوا أنفسهم قبل الموت أبو فراس الحمداني ، فهو يقول مخاطباً ابنته :

أَبْنَيْتِي لَا تَجْزَعِي سِي كَلِّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا نَادَيْتِي سِي وَعَبَيْتَا عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ :
زَيْنَ الشَّيْبَابِ أَبُو فِرَا سِ، لَمْ يَمْتَعْ بِالشَّيْبَابِ (١)

هذه الابيات تتسم بالحزن العميق ، تترقق فيها الحسرة والدموع ، وتلمح فيها صدق العاصفة ، ولا غرابة إذ إنها في رثاء أبي فراس نفسه .

٦ - الهجاء :-

يتبين لنا من دراسة أشعار الشيعة أنهم أكثروا من القول في الهجاء ، ولعل ذلك يعود إلى التنافس الأدبي بين الشعراء وبخاصة في المجتمع الحمداني ، وقد تنوع هذا الهجاء ، فكان منه الهجاء الشخصي الذي ينصب على الاتهام بسرقة الشعر ، وبالضعف الأدبي ، وقد عرف هذا الهجاء الأدبي في حلب بصورة خاصة ، وكان في أغلبه يتصف بالعمق وإن بدت فيه بعض القسوة وطرافة في الصور الفنية ، ومنه قصائد كثيرة قالها السري الرفاء في هجاء الخالديين ، فكان يدعي أنهما يسرقان شعره وينسبانه إلى نفسه . ومن ذلك قوله يتظلم من الخالديين ويشكو ذلك إلى رجل يقال له ابن فهد :

هَلِ الصَّبْرُ مُجْدٍ حِينَ أَدْرِعُ الصَّبْرَا وَهَلِ نَاصِرٌ لِلشَّعْرِ بِوَسْعِهِ نَصْرَا
تَحْقِيقَ شِعْرِي يَا ابْنَ فَهْدٍ فَصَالِيَتْ ظُلُومٌ فَقَدْ أَعْدَمَتْ مِنْهُ وَقَدْ أَشْرَى
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلغَيْبَيْنِ غَارَةٌ تُرَوِّعُ الْغَاطِظِي الْمَحْجَلَةَ الْغُرَا
إِذَا عَنَّا لِي مَعْنَى يُضَاحِكُ لَفْظُهُ كَمَا ضَاحَكَ النُّوَارُ فِي رَوْحِهِ الْغُدْرَا
غَرِيبٌ كَسَطَرَ الْهَرْقُ لَمَّا تَبَسَّمَتْ مَخَائِلُهُ لِلْفِكْرِ أَوْدَعَتْهُ سَطْرَا (٢)

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٣٥

(٢) ديوان السري الرفاء : ص ١٢٥

فالشاعر بدأ هجاءه بشكوى لطيفة من هذا الذي سرق شعره ظلما فأثرى منه وأما صاحبه
ففي ذل الفقر والفاقة، ثم يهجو السارقين واصفا إياهما بالجهل والحماقة لأفسادهما
المعنى الذي صاغه، ثم شبه شعره بالنجوم التي أطفأها لصوص الشعر بالعبث فيخاطب
أبا عثمان الخالدي قائلا :

فَمَهْلًا أبا عُثْمَانَ مَهْلًا فَإِنَّمَا يَفَارُ عَلَى الْأَشْعَارِ مَنْ عَشَقَ الشِّعْرًا
لَأَطْفَأْتُمَا تِلْكَ النُّجُومَ بِأَسْرِهَا وَدَنَسْتُمَا تِلْكَ الْمَطَارِقَ وَالْأُزْرَا
فَوَيْحَكُمَا هَلَّا بِشَطْرِ قَنَعْتُمَا وَأُبْقَيْتُمَا لِي مِنْ مَحَاسِنِهِ شَطْرًا (١)

وفي قصيدة أخرى يهجوها ويصفهما بأنهما زئبان يسرقان الشعر ويديعانه (٢).

وقد برع شعراء الشيعة في ألوان أخرى من الهجاء، وقد كانوا يهجون في
أحيان كثيرة بقبح الخلق والميوب الجسمية، ومن ذلك ما قاله كشاجم :

مُقَدِّمُ الْخِلْقَةِ مَقْوُوتُهَا ذُرُوبُهُ أَثْقَلُ مِنْ (رَضْوَى)
أَصْبَحَ لَا سُخْنًا وَلَا بَارِدًا غَنًّا فَلَا مُرًا وَلَا حُلُومًا
مُرَبَّعُ الْجِسْمِ صَفِيُّ الْحَشَا لَا يَشْبَعُ الدَّهْرَ وَلَا يَسْرَوَى
كَأَنَّمَا قَدَامُهُ بَطَطَسُهُ رَأْيُهُ قَدْ نَقَضَتْ رَلَاوًا (٣)

فالهجاء هنا ينصب على قبح الخلقة، فالمهجو يجمع الصورة، مربع الجسم، دائم الجوع،
كبير البطن، لا يشبع ولا يروى.

وهجا الشعراء الشيعة المهجّون بقبح الصّوت، ومن ذلك ما يقوله عبد المحسن
الصوري في هجاء مؤذن :

جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ مُوسَى وَعِيسَى وَأُمَّةٍ ذَا وَهَذَا كُلُّ خَيْرٍ
قَسَمَتِ النَّاسَ بَيْنَهُمَا سَسَاوًا فَمَا أُبْقِيَتْ لِلْإِسْلَامِ غَيْرِي
وَلَسْتُ أُقِيمُ بَعْدَهُمْ لِيَدِيْنَ تُقَامُ صَلَاتُهُ بِنَهْيِ غَيْرِي (٤)

(١) ديوان السري الرفاء : ص ١٢-١٢٦ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١١ .

(٣) ديوان كشاجم : ص ٣٥ .

(٤) ديوان الصوري : ج ١ ، ص ١٨٤ .

فالصوري هنا يُشبه صوت الموءذن بأنكر الأصوات ، وهو صوت الحمار ، فيذكر أنه لن يُقيم على الإسلام الذي تُقام الصلاة فيه بصوت هذا الموءذن ، ونحن نعتقد أن هذا من قبيل الصنعة الشعرية فقط ، إذ إنه لا يُعقل أن يترك الشاعر الإسلام بسبب قبح صوت الموءذن ، ولكن هذا التشبيه الذي جاء به الشاعر تشبيه قبيح .

ولما كان الكرم والجود من أهم الصفات التي يحرص عليها العربي أشد الحرص ، فقد عمد الشعراء الشيعة إلى هجاء مهجويهم بالبخل وعدم إكرام الضيف وإعطائه المحتاج ، ومن ذلك ما قاله ابن زياد القطن في هجاء أبي بكر الصولي ، يقول :

غَضِبَ الصُّوْلِيُّ لَمَّا	كَسَرَ الضَّيْفُ وَسَمَى
ثُمَّ عِنْدَ المَضْغِ مِنْهُ	كَادَ أَنْ يَتَلَفَعَمَا
قَالَ لِلضَّيْفِ تَرَفَّقْ	سَ شُمَّ رِيحَ الخُبْرِ شَمَا
وَاعْتَنِمِ سُكْرِي فَقَالَ الضُّ	ضَيْفُ بَلْ أَكْلًا وَذَمًا (١)

فهذه الأبيات هجاء بالبخل ، والحرص الشديد ، وبيان ليعا يشعر به المهجؤ من الضيق بالضيقي ، وكل ذلك تم بأسلوب هزلي مضحك ساخر . وهناك أشعار أخرى كثيرة في هجاء البخلاء (٢) ، وقد انطلق بعض شعراء الشيعة إلى هجاء من يحرص على جمع الأموال مع أنها زائلة زاهية ، ويتعبد نفسه في المحافظة عليها ، بينما كان من الأجدر به أن يحرص على صفات أفضل من الأموال ، وهي : العلم والتقوى ، والشجاعة والبأس ، ورجاحة العقل ، والكرم ، وبهذا فهم يسلبون هذه الصفات عن المهجؤ (٣) .

ولم يقتصر الشعراء الشيعة في هجوهم الجوانب الخلقية السابقة وعلى الهجاء بالبخل ، وإنما تطرقوا إلى بعض الصفات المعنوية ، ومنها التقلب في المواقف وعدم الثبات على موقف واحد ، فهذا هو أبو بكر الخوارزمي يهجو الصاحب بن عباد بالوسوسة والتقلب يقول :

- (١) المحدون من الشعراء : ص ٧٨ .
 (٢) انظر : شعر النامي : ص ١٠٨ ، ديوان الصوري : ج ٢ ، ص ١٣ .
 (٣) انظر : ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٤ .

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَّادٍ وَإِنْ هَاطَلَتْ
كَفَّاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أُحْجَلَ الدِّيمَا
فِيَّاتِهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ
يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا يُخْلَا وَلَا كَرَمًا (١)

ومما يتصل بالتقلب في الأمور والمواقف، إخلاف الوعد، حيث لا يثبت المرء على وعده ولا يفي به، وقد عاب شعراء الشيعة ذلك، وهجوا المهجوين بإخلاف الوعد، وشبهوها وعدَّ المهجُو بالريح في سرعة زوالها (٢).

وقد هجا بعض شعراء الشيعة غيرهم في أصله وطعنوا في نسبه فبهتوا أنسه وضيع النسب، كما قرئوا ذلك بقذف عرض المهجو ورميه بالفسوق (٣).

ويتسم بعض هجاء الشيعة في أحيان كثيرة بالفحش في القول، فمال بعض الشعراء إلى استعمال البذيء من الألفاظ، ولم يتحرجوا من ذكر العورات، ومن ذلك هجاء أبي عثمان الخالدي رجلاً قصيراً تزوج امرأة طويلة ضخمة، حيث عمد إلى تصوير الرجل وقمائه وصفه بالقياس إلى زوجته الضخمة تصويراً فيه سخرية وفكاهة، ولم يتحرج من وصفها في أخص حالتها (٤)، وهناك أمثلة أخرى على هذا الهجاء الفاحش (٥).
وقد هجا بعض شعراء الشيعة بعض الخلفاء ومنهم معاوية بن أبي سفيان، فقد هجاه الصاحب بن عباد بأنه خالٍ من الخير، يقول:

فَهُوَ خَالٌ لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعاً
كَمَا هَجَا الْأُمَوِيْنَ، فَقَالَ :
قُلْتُ : خَالِي، لَكِنَّ مِنَ الْخَيْرِ خَالِي (٦)

لَيْسَ ابْنُ هِنْدٍ وَأَهْلُهُ أَرِيْسِي
أُمَّتُهُ شَرُّ أُمَّةٍ عُرِفَتْ
فَهُوَ يَحْتَسِبُ الْأُمَوِيْنَ شَرَّ أُمَّةٍ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ بِاسْتِمْرَارِ الْعَذَابِ.

- (١) الوافي بالوفيات: ج ٣، ص ١٩٢.
- (٢) ديوان أبي الفتح البستي: ص ٢٤٠.
- (٣) شعر السلامي: ص ٦٩.
- (٤) انظر: ديوان الخالديين: ص ١٥١.
- (٥) انظر: ديوان السري الترقا: ص ٢١٦-٢١٧، وديوان الصوري: ج ١، ص ٢٥٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.
- (٦) ديوان الصاحب بن عباد: ص ٢٦٤.
- (٧) المصدر نفسه: ص ٨٩.

وهناك باب غريب في هجاء الشيعة لم يكن معروفاً من قبل، وهو هجاء الطيور،
إن المعروف لدى الشعراء أنَّ الهجاء يكون مُوجَّهاً للإنسان الذي يَسْمَعُ ويعقل . ومن
هجاء الطيور ما قاله الصنوبريُّ يهجو طائراً :

بَغَضْتَ يَا طَائِرِي الطُّيُورَا
طَيْرَتَا لَا قُدْرَانَ تَطِيرَا
مِنْ مَوْضِعِ تَبْصِيرِ مِنْهُ السُّدُورَا
فَتَهَتَ تَغْرُؤُ السَّهْلِ وَالْوَعُورَا
وَلَمْ تَدَّعِ بِرَأٍ وَلَا بُحُورَا
إِلَّا ظَنَنْتَ كُلَّهَا وَكُورَا
فَمَهَبِكَ كُنْتَ لَا تَكُنْ بِصِيرَا
أَمَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجُوزَ السُّورَا
وَقَدْ نَصَبْنَا الْقَلَمَ الْمَشْهُورَا
رُمْحًا كَسُونَا رَأْسَهُ حَرِيرَا
أَطْعَمَ رَبِّي نَيْلُوكَ الشُّقُورَا
فَلَا اتَّخَذَتْ بَعْدَهَا يَغْفُورَا
إِلَّا جَعَلْتُ وَكْرَهُ التَّنُورَا
وَأَجْمَلُ الْمَحَاضِنِ الْقُسُورَا
فَهُوَ شِوَاءٌ تَمَّ أَوْ قَدِ يَمِيرَا
خَيْرٌ لِعَنَ كَانَ بِهِ خَبِيرَا (١)

فالشاعر يهجو الطائر، لأنَّه يهضم إليه الطيور، ويدعو عليه بالألَّا يَقْدِرُ أَنْ يَطِيرَ، فقد
طار وارتفع، فتاة، وظنَّ أنَّ كلَّ الهلاكِ سُهولاً وجبالاً وكُورَ، ويدعو عليه بأنَّ يجعله
اللهُ طعاماً للضغور، وقد أثار زهاب هذا الطائر في نفس الشاعر، فأقلع عن تربية الطيور
والحيوانات، وإنما سيقوم بِذَبْحِ ما يحصلُ عليه منها .

(١) ديوان الصنوبريِّ : ص ص ١٢٧-١٢٨ .

٧ - الإخوانيات :-

ومن أغراض شعر الشيعة الإخوانيات، فقد أكثروا منها، فقالوا في العتاب والتَّهاني، والاعتذار، وغيرها من الأمور التي كانوا يتبادلونها فيما بينهم أو يبعثون بها إلى أصدقائهم أو إلى الأمراء وغيرهم. ومن الإخوانيات ذلك العتاب الذي كان يتبادلُه الشعراءُ فيما بينهم أو مع غيرهم، والعتابُ لا يكون إلا مِمَّن يشعر بالموَدَّة والإخاء نحو المماتب، ولذا كان الشعراءُ يَحْرُصُونَ في كثيرٍ من الأحيان على صهفه بطابع الرِّقَّة واللطف. يقول أبو الفتح البستي في عتابِ صديق :

قُلْ لِلَّذِي يَرْجُو ثَبَاتَ مَوَدَّتِي وَدَّ وَا مَ مَا أُعْطِيهِ مِنْ إِخْلَاصِ
أَيْدِيهِمْ إِخْلَاصُ رِعَايَتِهِ كَلَّا وَ مُنْزِلِ سُورَةَ إِخْلَاصِ (١)

فالشاعر هنا يعاتب صديقه طالبا إليه رعاية إخلاصه كي يدوم، وهو متأثر بالقرآن الكريم عند ما أقسم بمنزلة سورة الإخلاص.

ومن العتاب الرقيق ما بعث به أبو فراس الحمداني إلى ابن عمه سيف الدولة يقول :

قَدْ كُنْتَ عُدَّتِي التي أسطو بها وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي
فَرَمَيْتَ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أَكَلْتُهُ وَالْمَوءُ يَشْرُقُ بِالزَّلَالِ الْبَسَارِدِ
لَكِنْ أَنْتَ رَوْنِ السُّرُورِ مَسْأَةٌ وَصَلَتْ لَهَا كَفُّ السُّرُورِ بِسَاعِدِ
فَصَبَّرْتُ كَالْوَلِيِّ التَّقِيِّ لِبِيْرِهِ أَغْضَى عَلَيَّ أَلَمَ لِيَضْرِبَ الْوَالِدِ
وَنَقَضَتْ عَهْدًا كَيْفَ لِي بِوَفَائِهِ وَسَقَيْتُ دُونَكَ كَأَنَّ هَمَّ صَارِدِ (٢)

نلاحظ في هذه الأبيات مرارة الألم الذي يشعر به أبو فراس نتيجة لتغير سيف الدولة عليه، فقد أساء إليه سيف الدولة بعد أن كان عُدَّتَه وناصره على نوب الزمان، ولكن أبا فراس يصبر على ذلك، ويفخره للأمير سيف الدولة كما يفخر الولد التقى لوالده البر، ومن هذه الأبيات نلمح عمق الحبِّ والموَدَّة التي كانت تربط بين أبي فراس وابن عمه سيف الدولة.

(١) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٧٠.

(٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٧٨.

وهناك قصيدة طويلة في العتاب بعث بها السري الرفاء إلى الأمير أبي الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان أخي أبي فراس بدأها بالقزل الرقيق، وبعد ذلك انتقل إلى مدحه، ثم انتقل بمدحها إلى عتابه بالحديث عن الصلة التي كانت تربط بينه وبين الأمير، ثم يذكر أن العدا ظلوا يسقون في إفساد ما بينهما حتى نجحوا في ذلك، ثم يعاتب أبا الهيجاء مبهتاً أنه لم يأت زنباً يستحق بسببه هذا الجفاء (١)

وتد نظم الشعراء في لون آخر من الاخوانيات هو الاعتذار، فكانوا يرسلون أشعارهم معذرين عما بدر منهم، ومن ذلك ما يقوله ابو محمد الخازن :

لِنَارِ الْوَجْدِ فِي قَلْبِي لِهَيْبِ فَعَفْوِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَهِيْبُ
وَأَحْسِنُ إِنِّي أَحْسَنْتُ ظَنِّي وَأَرْجُو أَنَّ ظَنِّي لَا يَخِيْبُ (٢)

فالشاعر يعتذر إلى المدوح طالباً عفوه، متحدثاً عما يعاني من الوجد واللوعة لفضب المدوح عليه .

ولم ينس شعراء الشيعة أن يهتئوا غيرهم، أو أن يهتئوا بعضهم بعضاً في المناسبات السارة المفرحة، وكانوا يعتبرون ذلك حقاً واجباً، ومن ذلك ما كتبه الشريف الرضي إلى أحد أصدقائه، يقول :

إِنَّ غَرَبَ الدَّهْرِ مَصْقُولٌ وَغَرَارُ الْجَدِّ مَسْلُوقٌ
وَرِدَاءُ الْفَجْرِ مُنْسَجِبٌ وَنِطَاقُ اللَّيْلِ مَسْدُوكٌ
وَحَوَاشِي الْجَوِّ نَاصِلَةٌ وَالذُّجَى بِالصُّبْحِ مَطْلُوقٌ
وَسَنَائِي الْيَوْمِ بُضْحِكُهُمَا مِنْ قُدُومِ الْعِيدِ تَقْبِيلٌ
شَهَدَتْ فِينَا مَخَائِلُهُ : أَنَّ هَذَا الْقَبُومَ مَقْبُولٌ
فَأَطِيعْ حُكْمَ السُّرُورِ، وَإِنْ زُخْرِقَتْ فِيهِ الْأَصَالِيلُ (٣)

(١) انظر: ديوان السري الرفاء: ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) الإعجاز والإجاز: ص ٢٤٠ .

(٣) ديوان الشريف الرضي: ج ٢، ص ٢٦٦ .

فالشاعر في هذه الأبيات يهتئ صديقه بالعيد وإتمامه الصيام، ويتمنى له قبول الصيام، بل يجزم بذلك، ويدعوه بعد ذلك إلى السرور واللهو.

والمناسبات المحزنة التي يعيشها الناس مجال رحب لتبادل الكلام المعبر عن المشاركة الوجدانية، إذ يكون المرء المصاب بنكبة في النفس أو الأهل والولد أو المال في حاجة ماسة إلى من يشاركه مصابه ويخفف عنه أحزانه، ولذا نجد أن شعراء الشيعة قد حرصوا على تعزية بعضهم بعضاً في مثل هذه المناسبات، داعين المصاب إلى الصبر والتأسي، ومن ذلك ما كتبه كشاجم إلى الصنوبري معزيا عن موت بعض أعزته :

تَمَزَّ أبا بَكْرَ العُرْتَجَسي	عَنِ الأَهْلِ والعُصْمَةِ الفَارِطَةِ
وما ظَلَمَ العَوتُ في حُكْمِهِ	لَعَمْرُكَ حَتَّى ولا غَالَطَهُ
ومن يَكُ من أَهْلِ هَذَا الوَرَى	فَأَيِّدِي المَنابِي لَهُ لا قِطْطَةَ
فإنَّ يَكُ عَقْدُ وَهَى بَعْضُهُ	فإنَّ الَّذِي يَقِي الوَاسِطَةَ (١)

فالشاعر يعزي صديقه الصنوبري ذاكراً له أن الموت نهاية كل حي، فهو لا يظلم أحداً من الناس، ثم يشبهه الصنوبري بواسطة العقد، فبقاؤه يفني عما سواه.

٨ - الحِكْمَةُ :-

الحِكْمَةُ قديمة في الشعر العربي، فهي معروفة عند شعراء الجاهلية، يكتسبها المرء نتيجة لصراعه مع الحياة والناس، وهي نتيجة للتجارب العميقة التي ينفعل بها المرء في حياته، فتشكف له الأسرار الحياتية التي كانت خافية عليه، فيقوم بتسجيل ذلك وصبه في جملته من الأشعار.

وقد كان للشيعة مع الحياة تجارب مؤلمة قاسية، بسبب ما لحق بهم من الأذى والظلم والاضطهاد، مما أكسبهم عمقاً في معرفة طبائع الناس وأسرار الحياة، فعرفوا بذلك

(١) ديوان كشاجم : ص ٣١٢ .

ما يمكن وراء طبائع الخلق من الظواهر، وسجلوا ذلك في أشعار رقيقة جميلة.

ومن الحكمة التي تكشف لنا عن عمق معرفة الشعراء الشيعة بأسرار الحياة وطبائع الدنيا وسننها ما يقوله القاضي أبو علي التوحيد:

مَقَامٌ وَتَرْحَالٌ وَقَبْرٌ وَسَطْفَةٌ كَذَا عَادَةُ الدُّنْيَا وَأَخْلَاقُهَا النُّكْرُ
وَمَا زِلْتُ جَلْدًا فِي الْمُهْمَاتِ قَبْلَهَا وَلَا غَرَوَ فِي الْأَحْيَانِ أَنْ يُفْلَبَ الْجَلْدُ
فَكَمْ لَيْتَ غَابَ شَرْدُ تَهْ شَعَالِبٍ وَكَمْ مِنْ حُسَامٍ فَلَهُ غَيْلَةٌ غِمْدُ
وَكَمْ جِيْفَةٌ تَعْلُو وَتَرْسُبُ دُرَّةٌ وَمَنْحَسَةٌ تَقْوَى إِذَا ضَعُفَ السَّعْدُ (١)

فهذه الحكمة تدور حول تقلب الدنيا، فهي لا تدوم على حال، بل تنتقل من إقامة إلى تنقل ومن ضيق إلى فرح، وهي تشتمل على مفارقات عجيبة، فكثيراً ما تضيق على الفاضل الكريم وتصفو للضيع، وهذا هو ما نلاحظه من طبائع الدنيا وعندها.

وقال أبو بكر الخالدي:

إِنْ خَانَكَ الدَّهْرُ، فَكُنْ عَائِداً بِالْبَيْدِ وَالظَّلْمَاءِ وَالْعَيْسِ
وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْمُنَى فَالْمُنَى رُوؤُوسُ أَمْوَالِ الْعَفَالِيهِسِ (٢)

فالشاعر ينصح المرء بالعمل والكد إذا ما خانته الدهر، وعليه أن يبتعد عن التكامل واللجوء إلى المنى فهي لا تنفع لأنها رأس مال العجزة والكسالى. وقد أكثر شعراء الشيعة من التركيز على معنى الجد وأن العلى لا تنال دون تعب، ولكن على المرء أن يجد كي يحصل العبد والمكرم ومن ذلك قول أبي الفتح البستي:

بِمَنْ يَسَامِي السُّعْلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ هَيْهَاتَ نَهْلُ الْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ
عَلَيْكَ بِالْجَدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى تَصِيبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ (٣)

(١) الفرج بعد الشدة: ج ٢، ص ٢٣٠.

(٢) ديوان الخالديين: ص ٦٣.

(٣) ديوان أبي الفتح البستي: ص ٢٢٠.

وطرق الشيعة بحكمهم مسألة القناعة في العيش، ومن ذلك قول أبي الفتح البستي :

عَفَافُ الْفَتَى خَيْرٌ أَوْصَافِهِ وَحَدُّ الْعَفَافِ الرَّضَى بِالْكَفَافِ
فَكُنْ رَاضِيًا بِكَفَافِ الْمَعَاشِ لِتَحْظِيَ بِرُتْبَةِ فَضْلِ الْعَفَافِ (١)

فالشاعر يحث على القناعة والرضى بالقليل لتحصيل مرتبة العفاف التي هي أشرف المراتب، فالقناعة فيها العز والنعمة والعفاف، ولذا جاء الشيعة بحكم تدل على هذا المعنى، ومن ذلك قول الشريف المرتضى :

دع الفنى ليتنبه به إن شئت ألا تزل
كم ذا تعلق بظلال مزاها مضمحلا
إن أنت اعرضت عنه جاء إليك وحلا
وان رآك حريصا عليه يوما تولسى
ومن يجل صنيعا كان الأعز الأجلا
ومن قل حمل ثقيل من الرجال أميلا
ومن تكثر يوما بالناس زل وقلا
ما العيش إلا كسرق أو عارض يتجلى (٢)

فالمرتضى هنا إنسان مجرب صار الدهر ومتاعب الحياة وخرج من ذلك بنتائج بالغة الأهمية تعتبر خلاصة لما يلاقه المرء في الحياة، فعلى من شاء أن يحيا حياة عزيزه كريمه ان يعتمد عن الفنى والتكالب على المال، لأن المال كالظل يعتمد عن المرء كلما زاد إقباله عليه، وعزة المرء ليست بالمال وإنما هي بالأفعال الحميدة ويتحمل المصاعب. وهناك أشعار أخرى للشيعة يدعون فيها إلى القناعة. (٣)

(١) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٨٠.

(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ١٣، ص ٧٦.

(٣) انظر : الواضح في مشكلات شعر القنبي : ص ٧٠.

ويقول ابن خالويه في الحكمة :

إِذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرُ الْمَجَالِسِ سَيِّدًا فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ صَدَرَتْهُ الْمَجَالِسُ

فهو يرى أن صدر المجلس إذا لم يكن سيِّداً عزيزاً شهماً فلا خير فيه (١).

ولم يقتصر الشيعة في حكمهم على نظم المقطعات الشعرية وإنما نظموا قصائد طويلة في بعض الأحيان، ومن ذلك قصيدة لأبي الفتح البستي ضمنها ألواناً مختلفة من الحكم القيمة، يبلغ عدد أبياتها تسعة وخمسين بيتاً، مطلعها :

زِيَارَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانٌ وَرِيحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانٌ (٢)

وهكذا نجد أن للشيعة أصولاً خمسة يقوم عليها مذاهبهم، هي التوحيد والعدل، والمعاد، والنبوة، والإمامة، وليس الحال كما يذهب إليه كثير من الباحثين المحدثين من أن أصول الشيعة هي التقية والعصاة والوصية والمهدي المنتظر، إذ إن هذه المبادئ الأخيرة هي من مبادئ الشيعة، ولكنها تتعلق بأصل واحد من أصولهم وهو الإمامة. وقد تعمق الشيعة في الأصول المختلفة وقرعوا عن أصلي العدل والتوحيد مسائل مختلفة، ومنها مسألة قدم الله تعالى، ونفي التشبيه والتجسيم عنه تعالى، ونفي الرؤية لله تعالى بالأبصار، والصلاح والأصلح، والجبر والاختيار، والأرزاق، فقررُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ وَمَا سِوَاهُ مُحَدَّثٌ وَهُوَ لَا يَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُرَى بِالْأَبْصَارِ، وَلَا يَفْعَلُ بِعِبَادِهِ إِلَّا مَا فِيهِ الْأَصْلَحُ لَهُمْ، وَلَا يُجْبَرُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَلَا يَكْتَفِي مَا لَا يُطَاقُ، وَلَا يَقْدَرُ الْأَرْزَاقُ وَلَا يَحْدُرُهَا، وَإِنَّمَا تَزِيدُ بِالطَّلَبِ وَتَنْقُصُ بِالتَّوَانِي وَالْكَسَلِ، كُلُّ ذَلِكَ مَحَافِظَةٌ مِنْهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَدْلِهِ.

وقد انقسم الشيعة إلى فرق متعددة هي الكيسانية، والزيدية، والإمامية، والفلاة، وقد انقسمت كل فرقة من هذه الفرق إلى فرق متعددة، وكان الزيدية هم أقرب فِرق

(١) بتيمة الدهر: ج ١، ص ١٠٨.

(٢) ديوان أبي الفتح البستي: ص ٣١٣.

الشيعة إلى أهل السنة، وكان لكل فرقة بعض الآراء الخاصة في الأئمة والمعتقدات،
منها الغالي ومنها المعتدل، إلا فرق الغلاة من الشيعة - وهم الفرقة الأخيرة -
فهو لا كفرة لأنهم غلّوا في الأئمة، وشبّهوا الله تعالى، وجاءوا بالآراء المنحرفة،
وقد جاء تكفيرهم على لسان الأئمة الأطهار من آل البيت، وعلى ألسنة علماء الشيعة
أنفسهم، وبهذا يتضح لنا أنّ الفلوجاء من فرقة الغلاة من الشيعة، ولم يأت من الشيعة
جميعهم.

وقد نظم الشيعة الأشعار في مجالين اثنين :

الأول : معتقداتهم الدينية، حيث تحدّثوا عن الأئمة ومنهم عليّ بن أبي طالب
وابنه الحسين، شهيد كربلاء، فأشاروا إلى مناقبيهما، وبعض مواقفهما الكريمة، كما
تحدّثوا عن استشهاد الحسين. وتطرقوا إلى الحديث عن مبادئهم وأصولهم
المختلفة، فتحدّثوا عن عدل الله وتوحيده، والإمامة، والمعاد، وأشاروا إلى إيصاء
الرسول الكريم لعليّ بالإمامة إلى غير ذلك من معتقداتهم.

الثاني : الموضوعات التقليدية من مدح، وقبح، وغزل، ووصف، ورتاء، وهجاء،
وإخوانيات، وحكمة، وقد برعوا في هذه الأغراض، وأدخلوا فيها بعض جوانب التجديد،
ومن ذلك إدخالهم بعض المصطلحات الشيعية إليها.

الفصل الثاني

شعراء الشيعة



الفصل الثاني شعراء الشيعة

يتبين لنا من مطالعتنا في المصادر المختلفة التي بحثت في شعر الشيعة أنه كان لهم شعر كثير، فقد وجد منهم عدد كبير من الشعراء، ونستطيع القول إن الشيعة كانوا أغزر الفرق الإسلامية شعراً، فقد انتشر شعراؤهم في جميع المناطق، في العراق مركز الدولة العباسية، وفي الشام مركز الدولة الحمدانية، وفي المناطق الشرقية حيث الدولة البويهية. وكان شعراء الشيعة من أشد الشعراء تمسكاً بذهبهم ورفاهاً عنه. وكان ازدهار الشعر الشيعي وكثرته يتناسبان طردياً مع ازدهار أحوال الشيعة واستيلائهم على الحكم، فقد ازدهر شعرهم في بلاد الشام بسبب قيام دولة شيعية هناك هي دولة الحمدانيين، ولتشجيع حكامها الأديب والشعراء، كما ازدهر شعرهم في المناطق الشرقية عندما قامت دولة بني بويه، وامتد نفوذها إلى العراق مما أدى إلى ازدهار الحركة الشعرية الشيعية فيه. وهناك تحليل لغزارة شعر الشيعة يذكره محمد مصطفى هدارة، حيث يرجع ذلك إلى تأثير فترتهم القوي في الحياة الفكرية في الإسلام، كما يرجعه إلى "الكثرة الهائلة من الشعبة التي تفرقت عن الفرقة الأصلية" (١).

ونلاحظ أيضاً أن حرارة شعر الشيعة كانت تتناسب والمحن والمصائب التي تعرضوا لها، مما أدرك نيران الحزن والأسى في نفوسهم، وأرهف أحاسيسهم ودفعهم إلى نظم الشعر الذي يتسم بسمه فأساوية لا بل إن بعض الباحثين المحدثين يرون أن مهبلاً الديلمي قد تشبع بسبب ما حلّ بالبيت من المصائب (٢).

ونلاحظ من مطالعة المصادر الأدبية أن معظم الشعراء في القرنين الرابع والخامس الهجريين كانوا من الشيعة، وهؤلاء الشعراء منهم المكثرون الذين لهم دواوين ومنهم العقولون الذين لا نجد لهم إلا أبياتاً قليلة لا تتصل بالتشيع بأي صلة ونحن في هذا الأمر أمام احتمالين: الأول: أن هؤلاء الشعراء ليس لهم إلا هذه الأبيات القليلة، والثاني أنه كانت لهم أشعار كثيرة، ولكنها لم تصل إلينا بسبب نقمة

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرون الثاني الهجري: ص ٢٢٦.

(٢) انظر: شعراء من الماضي: ص ٣٢٠.

خصوصهم الذين عملوا على إغلافها، وهذا الاحتمال - في نظرنا - أرجح من الأول، لأننا نستبعد أن يوجد هناك شاعر يعتنق مذهباً معيناً، دون أن يتطرق إليه في شعره، خصوصاً ونحن نعلم أنه لا يمكن الفصل بين فكر المرء ونتاجه الأدبي.

وقد استطعنا من خلال البحث إحصاء عدد كبير من شعراء الشيمية، حيث بلغ مجموعهم ستة وسبعين شاعراً، ونرى أن من الأفضل أن نقسمهم إلى مجموعتين تبعاً لغزارة نتاجهم الشعري وقبليته، وبذلك نبتعد عن التصنيفات التقليدية التي تعتمد على الفترة الزمنية، فيقسم الشعراء حسب القرون التي عاشوا فيها. وهذه المجموعات - كما نراها - هي: المجموعة الأولى، وهي تضم أربعة شعراء، هم: الشريف الرضي (١)،

- (١) أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ، ونشأ بها، وقد ترقى به الحال حتى تولى نقابة الطالبين عدة مرات، وكان شاعراً شيعياً، وقيل إنه أشعر قرشي، وتوفي سنة ٤٠٦ هـ. (انظر: بيتية الدهر: ج ٣، ص ١٣١-١٣٢، ودمية القصر: ج ١، ص ٢٨٩-٢٩٠، ووفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤١٤-٤٢٠، والمحمّدون من الشعراء: ص ٢٤٣، وإنباء الرواة: ج ٣، ص ١١٤، ولطائف اللطف: ص ١٢٠، والإعجاز والإيجاز: ص ٢٠٦-٢٠٨، ومعالم العلماء: ص ١٥٠، والوافي بالوفيات: ج ١، ص ١١٦، ج ٢، ص ٣٧٤-٣٧٩، والكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٢٦١-٢٦٢، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ١٨٢-١٨٤، ونزهة الجليس: ج ١، ص ٥٤٤-٥٥٣، وروضات الجنات: ج ٦، ص ١٩٠-٢٠٥، وسفينة البحار: ج ١، ص ٥٢٦-٥٢٧، والكنى والألقاب: ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٤، وجامع الرواة: ج ٢، ص ٩٩-١٠٠.)

والشريف المرتضى (١) ، والمصاحب بن عمار (٢) ،

(١) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد ، أخو الشريف الرضي ، ولد سنة ٣٥٥ هـ ، كان رأس الشيعة وإمامهم في العراق ، وله مصنفات على مذاهبهم ، وقد انفرد بعلوم كثيرة منها على الكلام ، والأدب وغيرهما ، وتوفي سنة ٤٣٦ هـ .
(انظر : أمالي المرتضى : ودسية القصور : ج ١ ، ص ٢٩١-٢٩٥ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٨ ، ص ١٢٠-١٢٥ ، ومعجم الأدباء : ج ١٣ ، ص ١٤٦-١٥٦ ، ووفيات الأعيان : ج ٣ ، ص ٣١٣-٣١٦ ، ومرآة الجنان : ج ٢ ، ص ٥٥-٥٦ ، ص ٦٨ ، ولسان الميزان : ج ٤ ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ، وطبقات المعتزلة : ص ١١٧ ، والنجوم الزاهرة : ج ٥ ، ص ٣٩ ، ونزهة الجليس : ج ٢ ، ص ٥٩٩-٦٠١ ، وروضات الجنات : ج ٤ ، ص ٢٩٤-٣١٢ ، وأمل الآمل : ج ١ ، ص ٨٠ ، ج ٢ ، ص ١٨٤-١٨٥ ، والكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ٥٢٦ ، والبداية والنهاية : ج ١٢ ، ص ٥٣ ، وإنباء الرواة : ج ٢ ، ص ٢٤٩ ، وسير أعلام النبلاء : ج ١٧ ، ص ٥٨٨-٥٩٠ ، ومعالم العلماء : ص ٦٩-٧٠ ، وشذرات الذهب : ج ٣ ، ص ٢٥٦ ، وسفينة البحار : ج ١ ، ص ٥٢٥-٥٢٦ ، ومجمع الرجال : ج ٤ ، ص ١٨٤ ، والوفيات : ص ٢٤٠ ، وتنته السحر : ج ٢ ، ص ١٩٤-١٩٥ ، وأعيان الشيعة : ج ٤١ ، ص ١٨٨-١٩٦ .

(٢) إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ، ولد سنة ٣٢٦ هـ ، كان في بداية أمره من صغار الكتاب ، ثم ترقى به الحال حتى أصبح وزيراً ، وكان شيعياً ، وتوفي سنة ٣٨٥ هـ . (انظر مثالب الوزراء ، والإمتاع والمؤانسة : ج ١ ، ص ٥٦ ، ص ٥٨ ، وديوان المعاني : ج ١ ، ص ١٦٧ ، والصناعتين : ص ٢٣٠ ، ونزهة الألباء : ص ٢٣٨-٢٤٠ ، ومعالم العلماء : ص ١٠ ، والكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ٣١١ ، ومعجم الأدباء : ج ٦ ، ص ١٦٨-٢٨٥ ، ودول الإسلام : ج ١ ، ص ١٧١ ، والغيث المسجم : ج ١ ، ص ٣٩٣-٣٩٤ ، ونهاية الأرب : ج ١ ، ص ٨٧ ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، ج ٣ ، ص ١١٨ ، ومرآة الجنان : ج ٢ ، ص ٤١٧ ، ومعاهد التصنيف : ج ٢ ، ص ١٥٥ ، وتنته المختصر في أخبار البشر : ج ١ ، ص ٤٧٠ ، وسير أعلام النبلاء : ج ١٦ ، ص ٥١١-٥١٤ ، والإنباء في تاريخ الخلفاء : ص ١٨٤ ، والنجوم الزاهرة : ج ٤ ، ص ١٦٩-١٧١ ، ونهاية الأرب : ج ٣ ، ص ١١٣ ، وشذرات الذهب : ج ٣ ، ص ١١٣-١١٥ ، وهدية العارفين : ج ١ ، ص ٢٠٩ ، وأمل الآمل : ج ٢ ، ص ٣٤ ، والأنساب المتفقة : ص ٩٥ ، والأفضليات : ص ٢٥٠ ، ولطائف المعارف : ص ٢٠٦ .

ومَهيار الدَّيْلَمِيُّ (١) ، والمجموعة الثانية وتضم أبا فراس الحمداني (٢) ، والصنوبري (٣) ،

- (١) مهيار بن مرزوق، أبو الحسن، الكاتب الفارسي الديلمي، الشاعر المشهور، كان مجوسياً فأسلم، وقيل إنه أسلم على يد الشريف الرضي، وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر، ثم أخذ يتشبع ويست الصحابة في شعره، وكان شاعراً مقدماً على أهل زمانه، وتوفي سنة ٤٢٨ هـ.
- (انظر: معالم العلماء: ص ١٤٨، ودسية القصر: ج ١، ص ص ٢٩٥-٢٩٩، ووفيات الأعيان: ج ٥، ص ص ٣٥٩-٣٦٣، والمنتظم في تاريخ الطوك والام: ج ٨، ص ص ٩١-٩٥، والوافي بالوفيات: ج ١٢، ص ص ٢٧٩-٢٨٠، والنجوم الزاهرة: ج ٥، ص ٤٢٨، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ٢٤٣، والبداية والنهاية: ج ١٢، ص ص ٤٠-٤٢، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٢١٠.)
- (٢) الحارث بن سعيد بن حمدان، أبو فراس الحمداني، ابن عم سيف الدولة، كان شاعراً مشهوراً، وفارساً شجاعاً، وهو من شعراء الشيعة، قاتل مع سيف الدولة كثيراً، أسرته الروم وبقي في الأشرار لسنوات إلى أن افتداه سيف الدولة سنة ٣٥٥ هـ، وقد قيل سنة ٣٥٧ هـ في معركة غلمان سيف الدولة. (انظر: معالم العلماء: ص ١٤٩، وبتيمة الدهر: ج ١، ص ٣٥، ص ص ٦٠-٦١، وتام المتون: ص ١٢٤، وغرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات: ص ٦٧، ص ص ٨٣-٨٤، ووفيات الأعيان: ج ٢، ص ص ٥٨-٦١، والكمال في التاريخ: ج ٨، ص ٥٨٨، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ١٩٦، والمنتظم في تاريخ الطوك والام: ج ٧، ص ٦٨، وتهذيب تاريخ دمشق الكبير: ج ٣، ص ص ٤٤٢-٤٤٥، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ص ١٩-٢٠، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ص ٢٤-٢٥، والبداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٧٨.)
- (٣) أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار، أبو بكر الضبي الحلبي، يعرف بالصنوبري، وقد لقب المأمون جده بالصنوبري، لأنه أعجبه شكله، فقال له: إنك الصنوبري الشكل، وكان الصنوبري شاعراً شيعياً، له مرات جيدة في الحسين بن علي، وتوفي سنة ٣٣٤ هـ. (انظر: معالم العلماء: ص ١٥١، ونسمة السحر: ج ١، ص ١٥، والأنساب: ص ٣٣٦، وفوات الوفيات: ج ١، ص ١٢٣، وأعلام الكلام: ص ٢٤، والوافي بالوفيات: ج ٧، ص ص ٣٧٩-٣٨٢، والنجوم الزاهرة: ج ٣، ص ص ٢٨٧-٢٨٨، وشذرات الذهب: ج ٢، ص ٣٣٥، وأعيان الشيعة: ج ٩، ص ٢٣٥، ص ص ٢٤٠-٢٥٣.)

وكشاهم الرَّمْلِيُّ (١)، والسَّرِيُّ الرَّقَّاءُ (٢)، والشَّاعِرِينِ الْخَالِدِيِّينَ (٣)،

- (١) محمود بن الحسين، كان شاعراً مجيداً فاضلاً شيعياً، برع في الكتابة، والشعر، والإشطاء، والجدل، والخطب، وهو من أهالي الرملة بفلسطين، توفي سنة ٣٦٠هـ (انظر: معالم العلماء: ص ١٤٩، وأعلام الكلام: ص ٢٤، وشرح درة الغواص: ص ٤١، ونفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: ص ٧٩، ص ١٠٠-١٠١، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ٢٨٥-٢٨٦، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٢٠).
- (٢) السريُّ بن أحمد بن السريِّ، أبو الحسن الكنديُّ مدح الوزير المهلبِي، وكان في صباه يرفو الثياب في دكان له بالموصل، وقد قصده سيف الدولة بحلب، وأقام عنده مدة، ثم ذهب إلى بغداد بعد وفاة سيف الدولة، وكان شاعراً شيعياً عذب الألفاظ، مطبوعاً، وتوفي بعد سنة ٣٦٠هـ. وفي سنة ٣٦٢هـ على الأرجح. (انظر: معالم العلماء: ص ١٥٢، وبتيمة الدهر: ج ٢، ص ١١٧-١٢٠، والإعجاز والإيجاز: ص ٢٢٢، ووفيات الأعيان: ج ٢، ص ٣٥٩، والوافي بالوفيات: ج ١٥، ص ١٣٦-١٤١، وغرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: ص ٨١، وثمرات الأوراق في المحاضرات: ص ١١٤، والكامل في التاريخ: ج ٨، ص ١١٧، والفهرست، للتدبير: ص ١٣، ص ١٤، وبدائع الهدى: ص ٣٥٢-٣٥٣، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ٢١٨، وشرح العميون: ص ٣٤١-٣٤٢، والتجسوم الزاهرة: ج ٤، ص ٦٧، والهداية والتهاية: ج ١١، ص ٢٧، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ٦٢-٦٣، وشدرات الذهب: ج ٣، ص ٧٣-٧٤).
- (٣) أبو عثمان سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام بن يزيد بن عبد الله، أحد الخالديين، ينتهي نسبه إلى عبد القيس كان كثير الحفظ للشعر، وكان هو وأخوه إذا أعجبهما شعر غصاه صاحبه حياً كان أو ميتاً، لا عجزاً. منهما عن قول الشاعر وإتما لأن ذلك كان طبعهما، وقد عمِلَ أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل وفاته، وتوفي في حدود ٤٠٠هـ وله كتب منها: "أخبار الموصل" و"أخبار أبي تمام ومحاسن شعره". (انظر: فوات الوفيات: ج ٢، ص ٥٢-٥٧، والفهرست، للتدبير: ص ١٩٥، والوافي بالوفيات: ج ١٥، ص ٤٦-٤٦٨، ومعجم الأدباء: ج ١١، ص ٢٠٨-٢١٢).
- وأخوه هو أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عثمان بن بلال الخالدي، كان هو وأخوه أبو عثمان من خواص سيف الدولة، وكانا خازني كتب سيف الدولة، وتوفي سنة ٣٨٠هـ تقريباً. (انظر: فوات الوفيات: ج ٤، ص ٥٢، والوافي بالوفيات: ج ٥، ص ١٤٩، والفهرست، للتدبير: ص ١٩٥).

والمجموعة الثالثة، وتضم ابن سنان الخفاجي (١)، وأبا الحسن الشاهي (٢)، وأبنا
الفتح

(١) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، شاعر أدبي، أخذ الأديب عن
أبي العلاء المعري، وأبي نصر المنازي، وكان شيعياً إمامياً، له مصنفات منها
"سر الفصاحة" وكتاب "حكم منشورة" وكتاب "العروض" توفي سماعاً، ودُفن بحلب
سنة ٤٦٦ هـ. (انظر: فوات الوفيات: ج ٢، ص ٢٢٥، ومطلع الفوائد ومجمع
الفرائد: ص ٢١٥-٢١١، ص ٢٨٤، ص ٢٠٨-٢٠٩، والنجوم الزاهرة:
ج ٥، ص ٩٦).

(٢) علي بن محمد بن الحسن، وليد ونشأ باليمن، وانتقل عنها إلى العراق، ولقي
الصاحب بن عباد، وأقام ببغداد مدة من الزمن، وروى بها شعره، ثم ذهب إلى
الشام، وتجوّل في ربوعها، وتزوج في مدينة الرملة، وكان يخفي نفسه، فمرة يقول
رأته من آل أبي طالب، وأخرى يقول إنّه من بني أمية، وقد كان ذلك سبباً في
القبض عليه، وعندما وصل إلى الديار المصرية سجن سنة ٤١٦ هـ في القاهرة، وقُتل
في سجنه سراً في تلك السنة، وكان شيعياً، كما كان معتزلياً أيضاً، أخذ الاعتزال
عن الصاحب بن عباد. (انظر: نسف السحر: ج ٢، ص ٢٥٥، ووفيات الأعيان:
ج ٣، ص ٣٧٨-٣٧٩، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ٢٠٤-٢٠٥،
ونصرة الشاعر علي المثل السائر: ص ٣٥، ومطلع الفوائد ومجمع الفرائد: ص ١٦٣،
ص ٢٠١-٢٠٢، وسير أعلام النبلاء: ج ١٧، ص ٣٨١-٣٨٢، وأمل الأمل:
ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، وروضات الجنات: ج ٥، ص ٢٢٧-٢٢٨).

(٣) علي بن محمد، أبو الفتح المستفي، الكاتب الشاعر، كان شيعياً، وقد اشتهر
بالأدب، وله شعر كثير، يتميز بالتجنيس الكثير، وتوفي سنة ٤٠٠ هـ وقيل سنة
٤٠١ هـ. (انظر: لطائف اللطف: ص ٧١-٧٢، وتحسين القبيح وتقبيح
الحسن: ص ٤٥، ص ١٠٨، ص ١١٣، ومن غاب عنه المطرب: ص ١٨-١٩،
والتوفيق للتلفيق: ص ٣٢-٣٣، والإعجاز والإيجاز: ص ٢٠٢-٢٠٤،
وبهجة المجالس وأنس المجالس: ج ١، ص ٢٣٤، ص ٢٤٤، وزهر الآداب: ج ١،
ص ١٤٤، ج ٤، ص ٨٩٠، وفتح السعادة: ج ١، ص ٢٨٠، وطبقات الشافعية
الكبرى: ج ٤، ص ٤٠-٤٦، والأنساب: ج ٢، ص ٢٦٤، ص ٢٦٦، واللباب في
تهذيب الأنساب: ج ١، ص ١٢٢، والهداية والتهاية: ج ١١، ص ٢٧٨، ونهاية
الأرب: ج ٣، ص ١١٥، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٢٢٨-٢٢٩، والمحمّدون من
الشعراء: ص ٢٣٢-٢٣٣، ووفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣٧٧-٣٧٨،
والوفاي بالوفيات: ج ٢، ص ٣٢٠، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ١٥٩-١٦٠).

وعبد المحسين الصوري^(١)، وابن دُرَيْدٍ^(٢)، والمجموعة الرابعة وتضم

(١) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبِ بْنِ غَلْبُونٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الصُّورِيُّ شاعر مشهور، وكان شاعراً شاعراً، يتصف بحسن الكلام وجودة المعاني، وتوفي سنة ٤١٩ هـ، وعمره ثمانون سنة. (انظر: يتيمة الدهر: ج ١، ص ٢٩٦-٣٠٩، ومعالم العلماء: ص ١٥١، ووفيات الأعيان: ج ٢، ص ٣٣٢، والهداية والنهاية: ج ١٢، ص ٢٥-٢٦، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٢٦٩، والمير في خبر من غير: ج ٣، ص ١٣١، وأمل الآمل: ج ١، ص ١١٤-١١٥) •

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ الْأَزْدِيِّ، أَبُو بَكْرٍ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ، ونشأ بهماناً، وطلب علم النحو، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وغيره، وكان شاعراً، ومن أكابر علماء العربية، كثير الشعر، ومن شعره القصيدة المشهورة التي جمع فيها المقصور والمدود، وقيل فيه: إته كان أشمر العلماء وأعلم الشعراء وتوفي سنة ٣٢١ هـ.

(انظر: معالم العلماء: ص ١٤٨، والمحدثون من الشعراء: ص ٢٠١-٢٠٤، والوفاء بالوفيات: ج ٢، ص ٣٣٩-٣٤٢، ونزهة الألباء: ص ١٩١-١٩٣، والأمال في المشكلات القرآنية: ص ٤٥-٤٧، وإنهاء الرواة: ج ٣، ص ٩٢-١٠٠، والأمال، القالي: ج ١، ص ٢٧، وذييل الأمال والتوارد: ص ١٢-١٤، وشرح مقصورة ابن دُرَيْدٍ، الخطيب التبريزي: ص ٣-٩، وشرح درة الفواص: ص ١٣٧، والوفيات، ص ٢٠٧، ومعجم الشعراء: ص ٤٦١-٤٦٢، وطبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ١٤٥-١٤٦، وتنته المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٣٩٥-٣٩٦، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه: ص ٦٦، ومروج الذهب: ج ٨، ص ٣٠٤-٣٠٥، وخزانة الأدب، البفدادية: ج ٣، ص ١١٧-١٢٠، وبغية الوعاة: ج ١، ص ٧٦-٨١، والعزهر في علوم اللغة وأنواعها: ج ١، ص ٩٣-٩٤، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٦، ص ٢٦١-٢٦٢، والهداية والنهاية: ج ١١، ص ١٧٦، وروضات الجنات: ج ٧، ص ٣٠٣-٣٠٧) •

أَبَا بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ (١)، وَابْنَ الْحَجَّاجِ (٢)، وَالسَّلَامِيَّ (٣) .

(١) محمد بن المبرِّك، أبو بكر الخوارزمي: كان كثير الحفظ للغة والشعر، وكان شيعياً وقيل، أنه كان غالباً في تشيعه، أقام بالشام مدة، وسكن حلب، وتوفي في نيسابور سنة ٣٨٣ هـ.

(انظر: نسمة السحر: ج ٢، ص ٢٧١، ومعالم العلماء: ص ١٥٢، وبتتمة الدهر: ج ٤، ص ١٩٤-٢٠٤، ص ٢٤١، والوافي بالوفيات: ج ٣، ص ١٩٢-١٩٤، والكامل في التاريخ: ج ٩، ص ١٠١، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ١٠٥، ولطائف اللطف: ص ٨٠-٨١، والإعجاز والإيجاز: ص ١٩٨-٢٠٠، وزهر الآداب: ج ١، ص ٢٨٢، ج ٢، ص ٤١٧، وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ص ٣٤، ووفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤٠٠-٤٠١، وحماسة الظرفاء: ج ٢، ص ١٠٣-١٠٤، وبغية الوعاة: ج ١، ص ١٢٥، وتمام المتون: ص ٦٥، وهدية العارفين: ج ٢، ص ٥٧، وأعيان الشيعة: ج ٤٥، ص ٢٥٨-٢٦٢.)

(٢) الحسين بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن محمد، والمعروف بابن الحجّاج، كان شاعراً كبيراً من شعراء الشيعة، وجل شعره في المجون والسخف، وكان يبلغ عشرة مجلّدات، وقد مدح الملوك والأمراء، وتوفي في سنة ٣٩١ هـ. (انظر: معالم العلماء: ص ١٤٩، وتذكرة الحفاظ: ج ٣، ص ١٠٢٣، ونهاية الأرب: ج ٢، ص ٢١٢-٢١٣، ومُعجَم الأديباء: ج ٩، ص ٢٠٦-٢٢٨، وبتتمة الدهر: ج ٣، ص ٣٠-٩٧، والوافي بالوفيات: ج ١٢، ص ٣٣١-٣٣٤، والإعجاز والإيجاز: ص ٢٣٣-٢٣٥، وزهر الآداب: ج ٢، ص ٣٠٧، ووفيات الأعيان: ج ٢، ص ١٦٨-١٧١، وأزهار الرياض في أخبار عياض: ج ١، ص ٩٤، والتذكرة الفخرية: ص ٣٤٨-٣٤٩، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٢٠٤، والمنظّم في تاريخ الملوك والأئم: ج ٧، ص ٢١٧، والبداية والنهاية: ج ١١، ص ٣٢٩-٣٣٠.)

(٣) محمّد بن عبد الله بن محمّد المخزومي السّلامي الشّاعِر، نشأ في بغداد، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين، ثم خرج إلى الموصل، وبعدها قصد حضرة الصّاحب بن عباد بأصبهان، وولّد سنة ٣٢٦ هـ، وتوفي سنة ٣٩٣ هـ. (انظر: تحسين القبيح وتقييح الحسن: ص ٣٩-٤٠، والإعجاز والإيجاز: ص ٢٣٦، وتمام المتون: ص ١٠٥، ووفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤٠٣-٤٠٩، والأنساب: ج ٧، ص ٣٢٥-٣٢٦، وبدائع الهداية: ص ٢٩٦-٢٩٧، والمنظّم في تاريخ الملوك والأئم: ج ٧، ص ٢٢٥-٢٢٦، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٢٠٩، وهدية العارفين: ج ٢، ص ٥٧.)

والنَّاسِي (١)، والقَاضِي أَبُو القَاسِمِ التَّنُوخِي (٢). وَالْمَجْمُوعَةُ الخَاصَّةُ، وَتَضُمُّ المُفَجَّعَ البَصْرِيَّ (٣)

(١) أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ الدَّرَامِيِّ الصَّبِيئِيِّ، المعروف بالنَّاسِي، كان شاعراً شيعياً مشهوراً، من مُدَّاحِ سيف الدولة الحمداني، وكان واسع العالَمِ باللُّغة والأدب، وتوفي سنة ٣٩٩ هـ على الأرجح. (انظر: وفيات الأعيان: ج ١، ص ١٢٥-١٢٧، ونسمة السَّحر: ج ١، ص ٢٣).

(٢) عَلِيُّ بن مُحَمَّدِ بنِ أَبِي الفَهِمِّ، أَبُو القَاسِمِ التَّنُوخِي، كان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم، كما كان شيعياً، تقلد القضاء في البصرة والأهواز، ثم اعتزله، قدم حضرة سيف الدولة فأكرمه، وله أشعار جميلة، وتوفي سنة ٣٤٢ هـ. (انظر: شوارح المحاضرة: ج ١، ص ١٤٠-١٤٢، ج ٣، ص ١٩، وبتيمة الدهر: ج ٢، ص ٢٣٥-٢٤٥، وتاريخ بغداد: ج ١٢، ص ٧٧-٧٩، وديوان المعاني: ج ١، ص ٧٠، ج ٢، ص ٣٢، وفضيلة الوعاة: ج ٢، ص ١٨٧، والمنقظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٦، ص ٣٧٢-٣٧٣، ونهاية الأرب: ج ١، ص ٧٩، ج ٦، ص ١٩٢، والعبر في خبر من غير: ج ٢، ص ٢٦، ومراة الجنان: ج ٢، ص ٣٢٤-٣٢٥، ونزهة الجليس: ج ٢، ص ٤٩-٥٢، والنجوم الزاهرة: ج ٣، ص ٣١، والأنوار ومحاسن الأشعار: ص ٢٢٤-٢٢٥، ص ٢٩٦-٢٩٧، ومعاهد التنصيص: ج ١، ص ١٣٦، وشذرات الذهب: ج ٢، ص ٣٦٢-٣٦٣، وروضات الجنات: ج ٥، ص ٢١٦-٢٢٠، ومعجم الأدباء: ج ١٤، ص ١٦٢-١٩١، والتذكرة الفخرية: ص ٣١٦-٢١٧، والتذكرة السعدية: ص ٤١٤، ورسالة الطيف: ص ١٥٠، وحماسة الظرفاء: ص ١١٩، وهدية العارفين: ج ١، ص ٦٧، ومعالم الملما: ص ١٤٩، والأنساب: ج ٣، ص ٩٤-٩٥، واللباب في تهذيب الأنساب: ج ١، ص ١٨٤، وسير أعلام النبلاء: ج ١٥، ص ٤٩٩-٥٠٠، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٩٠-٩٣، وأعيان الشيعة: ج ٤١، ص ٦٥-٦٩).

(٣) مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الكَاتِبُ البَصْرِيُّ المَعْرُوفُ بِالْمُفَجَّعِ، لُقِّبَ بِذَلِكَ لِبَيْتِ شِعْرٍ قاله، وكان شاعراً شيعياً مكثراً، له كتاب الترجمان. وغيره، وتوفي قبل سنة ٣٣٠ هـ، وذكر ابن ريبك الصفدي أنه توفي سنة ٣٢٠ هـ، وكان بينه وبين ابن دريد مهاجاة. (انظر: المحمّدون من الشعراء: ص ٣٠-٣٩، ومعجم الشعراء: ص ٤٢٩-٤٣٠، والوافي بالوفيات: ج ١، ص ١٢٩، ومعجم الأدباء: ج ١٧، ص ١٩٠-٢٠٥، وإثبات الرواة: ج ٣، ص ٣١٢-٣١٣، وبتيمة الدهر: ج ٢، ص ٣٦٢-٣٦٤، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٨٤-٨٥).

وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَبَّاطَبَا (١) وَأَبَا الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيَّ (٢)، وَشَرَفَ السَّادَةِ الْهَلِخِيِّ (٣)،

(١) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَبَّاطَبَا بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ، وَعَالِمٌ مُتَحَقِّقٌ،
تَوَفَّى بِأَصْبَهَانَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ، وَكَانَ ذَكِيًّا فِطْنًا، وَهُوَ مُؤَلِّفَاتٌ مِنْهَا «عِيَارُ الشُّعْر» ،
(انظر: الإعجاز والإيجاز: ص ٢٣٥، وزهر الآداب: ج ١، ص ١٥٤، وسرور
النفوس بمدارك الحوامس الخمس: ص ٢٠، ص ٢٦، ورسالة الطيف، ص ١٢٢ ،
ومعجم الشعراء: ص ٤٦٣، والمحمدون من الشعراء: ص ٢٦، ومعجم الأدباء:
ج ١٧٢، ص ١٤٣-١٥٦، والوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٧٩-٨٠، والدرجات
الرفيعة: ص ٤٨١-٤٨٢، ونسمة الشعر: ج ٢، ص ٢٦٤ .

(٢) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْوَانَ، أَبُو الْفَرَجِ
الْأَصْبَهَانِيُّ، وَلِدَتْهُ بِأَصْبَهَانَ، وَكَانَ عَالِمًا نَسِيبًا أَخْبَارِيًّا، وَاسِعَ الرِّوَايَةَ حَادِقَ
الدراسة، وَكَانَ شَاعِرًا جَيِّدًا الشُّعْر، وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّهُ كَانَ مَرْوَانِيًّا وَيَشْتَبِعُ، وَلِدَتْهُ
سَنَةَ ٢٨٤ هـ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٥٦ هـ. وَهُوَ مُؤَلِّفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا «الْأَغَانِي» وَ«مَقَاتِلَ
الطَّالِبِينَ» . (انظر: بهيمة الدهر: ج ٣، ص ١٠٩-١١٣، وأنباء
الرواة: ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢)، وَالْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ: ج ٧، ص
٤٠-٤١، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ج ١٢، ص ٥٧، وَمِفْتَاحُ السَّمَاعَةِ: ج ١، ص
٢٢٨-٢٢٩، وَالْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ: ج ٨، ص ٥٨١-٥٨٢، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ
ج ١٣، ص ٩٤-٩٩، ص ١٠٠-١٣٠، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ: ج ١١، ص ٢٦٣،
والتَّجْوِيزُ الزَّاهِرَةُ: ج ٤، ص ١٥، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ج ٣، ص ١٩-٢٠، وَأَمْلُ
الْأَمَلِ: ج ٢، ص ١٨١-١٨٢) .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيُّ الْهَلِخِيُّ، كَانَ مِنَ الْأَشْرَافِ الْعَلَوِيَّةِ،
اصْطَحَبَهُ الْبَاخْرَزِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٧ هـ عَشْرِينَ سَنَةً، وَشَاهَدَهُ سَنَةَ ٤٥٥ هـ،
وَكَانَ صِيَهٌ قَدْ طَبَّقَ الْإِتْفَاقَ، وَهُوَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ . (انظر: دمية القصر: ج ٢،
ص ١٠٤-١٠٥، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ج ٤، ص ٢١-٢٣، وَالدرجات الرفيعة:
ص ٤٩٠-٤٩٤) .

والزاهي (١) ، وأبا سعدٍ الأبيسي (٢) ، والخباز البلدي (٣) ، والمجموعَةُ
السَّارِسَةُ وتَضُمُّ أَبَا الْعَبَّاسِ الضَّيَّيَّ (٤) ،

(١) عليّ بن إسحاق بن خلفٍ البغداديّ المعروف بالزاهي ، الشاعر المشهور ، كان
شاعراً وصافاً محسناً كثير اللُحج ، حسن الشعر ، ولد سنة ٥٣١٨ هـ ، وتوفي
سنة ٥٣٥٢ هـ ، ودفن في مقابر قرين ، وكان شيعياً ، معظم شعره قيل في أهل
البيت . (انظر : بيتمة الدهر : ج ١ ، ص ٢٣٣-٢٣٤ ، ص ٢٣٥ ، والإعجاز
والإيجاز : ص ٢١٧-٢١٨ ، وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٢٦ ،
ووفيات الأعيان : ج ٣ ، ص ٢٧١-٢٧٢ ، ونهاية الأرب : ج ٢ ، ص ٤١ ،
والأنساب : ج ٦ ، ص ٢٤٤ ، واللهاج في تهذيب الأنساب : ج ١ ، ص ٤٩) ،
وسير أعلام النبلاء : ج ٦ ، ص ١١١ ، ونسبة السحر : ج ٢ ، ص ٢٠٩) .

(٢) منصور بن الحسين ، أبو سعدٍ الأبيّ ، تقلد الوزارة بالريّ ، ولقب بالوزير الكبير
ذي المعالي زين الكفاة ، كان عالي الهبة ، شريف النفس ، كما كان أديباً كبيراً ،
وله كتاب " نثر الدرر " وكان يتشيع ، وفي سنة ٤٢١ هـ تولّى القيام باستيفاء
الأموال بالريّ . (انظر : تبتة البيتية : ج ١ ، ص ١٠٠-١٠٧ ، ودسية القصر :
ج ١ ، ص ٣٩٨-٣٩٩ ، وفوات الوفيات : ج ٤ ، ص ١٦٠-١٦١) .

(٣) محمّد بن أحمد بن حمدان أبو بكر ، يُعرف بالخباز البلديّ نسبة إلى بلد ،
وهي مدينة بالجزيرة التي منها الموصول ، وقد كان حافظاً للقرآن ، كثير
الاقْتباس منه ، وكان أثيقاً يتشيع ، وله أشعار كثيرة .
(انظر : بيتمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٠٨-٢١٤ ، والوفائي بالوفيات : ج ٢ ،
ص ٥٧-٥٨) .

(٤) أبو العباس ، أحمد بن إبراهيم الضيّّ ، تسلّم الوزارة بعد الصّاحب بن عباد ،
وقد استصحبه منذ صغره وأتته بأدابه . فجرى على طريقة أستاذ الصّاحب ، وتوفي
سنة ٥٣٩٩ هـ . (انظر : بيتمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٨٧-٢٩٣ ، والوافي
بالوفيات : ج ٦ ، ص ٢٠٤ ، ومعجم الأدباء : ج ٢ ، ص ١٠٥-١١١ ، ونسبة السحر :
ج ١ ، ص ٦٨) .

والخُبَيْرُ أُرْزَبِيُّ (١) ، وَعَبْدَانُ الْأَصْهَبَانِيُّ (٢) ، وَالوَزِيرُ _____ الرَّافِعِيُّ (٣) ،

(١) نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ، الشَّاعِرُ الْمَرْوُوفُ بِالْخُبَيْرِ أُرْزَبِيُّ، شَاعِرٌ أُمَّيِّ مَجِيدٌ، كَانَ لَا يَكْتَسِبُ وَلَا يَتَهَيَّبُ، وَيَعْمَلُ بِخَبْرِ خَيْرِ الْأُرْزَبِيِّ رِجَالًا لَهُ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ يَخْبِزُ وَهُوَ يَنْشُدُ مَا يَنْظُمُ مِنَ الشُّعْرِ، فَيَتَجَمَعُ النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَكَانَ شَيْعِيًّا، تَوَفِيَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ. (انظر: بَيْتِيَّةُ الدَّهْرِ: ج ٢، ص ٢٦٥-٢٧٦، وَمَرْجُ الذَّهَبِ: ج ٨، ص ٣٧٢، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ: ج ١٩، ص ٢١٨-٢٢١، وَحِمَاسَةُ الظَّرْفَاءِ: ص ٨٨-٨٩، وَالْأَنْسَابُ: ج ٥، ص ٤٥-٤٢، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ: ج ٣، ص ٢٧٦-٢٧٧، وَالْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ: ج ٦، ص ٣٢٩-٣٣٠، وَأَعْلَامُ الْكَلَامِ: ص ٢٥، وَنَسْمَةُ السَّحَرِ: ج ٢، ص ٣٠٢، وَتَأْسِيسُ الشِّيْعَةِ لِعِلْمِ الْإِسْلَامِ: ص ٢٢٠-٢٣٠) .

(٢) عَبْدَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْهَبَانِيُّ، كَانَ شَاعِرًا كَثِيرَ الشُّعْرِ، كَثِيرَ الْمُلْحِ وَالظَّرْفِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ مِنْ شُعْرَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ وَأَوَّلِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ، لِأَنَّ الثَّعَالِبِيَّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٩ هـ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ إِتَه " فِي مَقْدِمَةِ الْعَصْرَيْنِ " . (بَيْتِيَّةُ الدَّهْرِ: ج ٣، ص ٢٩٦-٣٠٠، وَانظر: مَعَالِمُ الْعُلَمَاءِ: ص ١٥٢، وَالْإِعْجَازُ وَالْإِيْجَازُ: ص ٢٣٢، وَسُرُورُ النَّفْسِ بِمَدَارِكِ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ: ص ٢٣٣، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ: ج ٢، ص ٢٩) .

(٣) الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ بَهْرَامٍ، كَانَ كَاتِبًا شَاعِرًا فَاضِلًا، وَوَلِدًا سَنَةَ ٣٧٠ هـ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَمَعْضُ كُتُبِ النَّحْوِ، وَقَالَ شِعْرًا كَثِيرًا، كُلُّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمرِهِ، هَرَبَ مِنْ مِصْرَ عِنْدَ مَا قَتَلَ الْحَاكِمُ أَبَاهُ وَعَمَّهُ، وَوَصَلَ إِلَى الرَّمْلَقِ ثُمَّ إِلَى الْحِجَازِ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الْعِرَاقِ، ثُمَّ وَزَرَ لِفَخْرِ الْمَلِكِ فِي وَاسِطٍ، فَلَمَّا قُتِلَ فَخْرُ الْمَلِكِ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، ثُمَّ تَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ مِنْ غَيْرِ خَلْعٍ وَلَا لِقَبِّ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى صَافَارِقِينَ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤١٨ هـ وَدُفِنَ فِي الْكُوفَةِ، وَكَانَ شَيْعِيًّا الْمَذْهَبِ. (انظر: مَعَالِمُ الْعُلَمَاءِ: ص ١٣٨، وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ: ج ٢، ص ١٧٢-١٧٧، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ: ج ١٠، ص ٧٩-٨٩، وَسُرُورُ النَّفْسِ بِمَدَارِكِ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ: ص ١٥٤-١٥٥، وَأَدَبُ الْخَوَاصِ: ص ٧٥-٨١، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ: ج ١٢، ص ٤٤٥-٤٤٦، وَنَسْمَةُ السَّحَرِ: ج ١، ص ١٢٠، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ: ج ٤، ص ٢٦٦، وَاعْتَابُ الْكُتُبِ: ص ٢٠٦-٢٠٧، وَالْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ: ج ٩، ص ٣٦٢-٣٦٣، وَالْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ: ج ٨، ص ٢٢-٣٣، وَسِيَرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ١٧، ص ٣٩٥-٣٩٦، وَالْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ: ج ١٢، ص ٢٣، وَرِوَاضَاتُ الْجَنَّاتِ: ج ٣، ص ١٦٦-١٦٩) .

وتاج الدولة أبا الحسين بن عضد الدولة (١) . والجمعة السابقة ، وتضم أحمد بن فارس
بن زكريا اللقوي (٢) ، وأبا المطاع ذا القرنين بن ناصر الدولة (٣)

(١) تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة ، كان آداب آل بويه وأشهرهم وأكرمهم ،
وكان يلي الأهواز في زمن أبيه عضد الدولة ، وفي سنة ٣٧٥ سار أخوه شرف الدولة
إلى الأهواز ، فهرب نحو عمته فخر الدولة في الري ، واستنصرته ، فوعده بالتصريح ،
ولما طال عليه الأمر أراد أن يتغلب على أصحابه ، فأسره جندها ، وسبوه
إلى عمته ، فحبسه ، وبقي محبوساً إلى أن مرضته فخر الدولة مرض الموت ، فأرسل
إليه من قتله ، ولعل ذلك كان سنة ٣٨٧ هـ لأن فخر الدولة توفي فيها . (انظر :
معالم العلماء : ص ١٥١ ، وبتتمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ونسبة السحر : ج ١ ،
ص ٨٣ ، والكمال في التاريخ : ج ٩ ، ص ٤٤-٤٥) .

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللقوي ، أبو الحسين ، كان إماماً في علوم كثيرة
وبخاصة اللغة ، وله فيها كتب منها : "المجمل" أحسن فيه كل الاحسان ، وكان
شيعياً ، وتوفي سنة ٣٩٥ هـ على الأرجح . (انظر : بتتمة الدهر : ج ٣ ، ص
٣٩٧-٤٠٣ ، والمحمدون من الشعراء : ص ٤٨٥-٤٨٦ ، ومعالم العلماء :
ص ٢٢ ، والوافي بالوفيات : ج ٧ ، ص ٢٧٨-٢٨٠ ، ونزهة الألباء في طبقات
الأدباء : ص ٢٣٥-٢٣٦ ، وتحسين القبح وتبحيح الحسن : ص ٣٥-
٣٦ ، والإعجاز والإيجاز : ص ٢٠١-٢٠٢ ، وإنباه الرواة : ج ١ ، ص ٩٢-
٩٥ ، ودرة الفواص : ص ٣٢ ، ومعجم الأدباء : ج ٤ ، ص ٨٥-٩٤ ، وتام المتون :
ص ٥٠ ، وفتح السعادة : ج ١ ، ص ١٠٩ ، ونصرة الشاعر على المثل السائر : ص ٨٥ ،
وسير أعلام النبلاء : ج ١٧ ، ص ١٠٣-١٠٦ ، والمنظوم في تاريخ الملوك والأمم :
ج ٧ ، ص ١٠٣ ، والبيدانية والنهاية : ج ١١ ، ص ٣٣٥ ، ووفيات الأعيان : ج ١ ، ص
١١٨-١٢٠ ، والتجويد الزاهرة : ج ٤ ، ص ٢١٢-٢١٣) .

(٣) أبو المطاع ذا القرنين بن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن
بن عبدالله بن حمدان التغلبي الطقبي وجه الدولة . كان شيعياً ، كما كان
شاعراً ظريفاً ، وله أشعار في أغراض مختلفة ، وتوفي سنة ٤٢٨ هـ . (انظر : وفيات
الأعيان : ج ٢ ، ص ٢٧٩-٢٨١ ، والإعجاز والإيجاز : ج ١ ، ص ٢١١-٢١٢ ،
ودمية القصر : ج ١ ، ص ٢٢١ ، وتتمة البيتية : ج ١ ، ص ٣-٧ ، ومعجم الأدباء :
ج ١١ ، ص ١١٩-١٢١ ، وسير أعلام النبلاء : ج ١٧ ، ص ٥١٦-٥١٧ ،
وأعيان الشيعة : ج ٧ ، ص ١٣٨-١٤١ ، ونسبة السحر : ج ٢ ، ص ١٤٢) .

وَنَفْطَوِيَّةٍ (١)، وَالْوَزِيرَ الْمُهَلَّبِيَّ (٢)، وَأَبَا الْعَمَلَاءِ الشَّرَافِيِّ (٣)،

(١) إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي، أبو عبد الله نفطويه النحوي، قيل أنسه كان صدوقاً، وكان كثير الرواية للحديث، وأيام الفاس، واسع العلم، وكان شيعياً وفقهياً ثقةً. وعاش ثمانين سنة، وقد ولد بواسط، وسكن بغداد، وتوفي سنة ٢٢٢ هـ على الأرجح. (انظر: وفيات الأعيان: ج ١، ص ٤٧-٤٩، والوافي بالوفيات: ج ٦، ص ١٣٠-١٣٢، ص ١٣٦، ونزهة الألباء: ص ١٩٤-١٩٦، وزهر الآداب: ج ٣، ص ٧٤٦، وليسان الميزان: ج ١، ص ١٠٩-١١٠، وشذرات الذهب: ج ٢، ص ٢٩٨-٢٩٩، ونور القبس: ص ٢٤٤-٢٤٥، والوفيات: ص ٢٠٨، ومعجم الأدباء: ج ١، ص ٢٥٤-٢٦١، وعقلاء المجانين: ص ١١٠، والعيبر في خبر من غير: ج ٢، ص ١٩٨، والبداية والنهاية: ج ١١، ص ١٨٣، والأمال: ج ١، ص ٢٠٢، وإرشاد الرواة: ج ١، ص ١٦٧، وغية الوعاة: ج ١، ص ٤٢٨-٤٣٠، وسير أعلام النبلاء: ج ١٥، ص ٧٥-٧٦، والمنظّم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٦، ص ٢٧٧-٢٧٨).

(٢) الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، أبو الحسن الأزدي المهلبّي الوزير، كان وزيراً لمعز الدولة أحمد بن بويه الدّيلمّي أبي الحسنين، تولى له الوزارة سنة ٣٣٩ هـ، وكان واسع الصدر عالي الهبة كريماً، وكان قبل أن يتصل بمعز الدولة فقيراً جداً، ولد سنة ٢٩١ هـ، وتوفي سنة ٣٥٢ هـ، ودُفن في مقابر قريش ببغداد. (انظر: وفيات الأعيان: ج ٢، ص ١٢٤-١٢٧، ونشوار المحاضرة: ج ١، ص ٣٠، والمنظّم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ٩-١٠، وثمرات الأوراق فبسي المحاضرات: ص ٦٩-٧٠، والفتح الوهبي على مشكلات المتنبي: ص ١٧٤، والبداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٤١، والكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٤٩٥، وفوات الوفيات: ج ١، ص ٣٥٢-٣٥٧، ومعجم الأدباء: ج ٩، ص ١١٨-١٥٢، ونسبة السّحر: ج ١، ص ١٠٢).

(٣) محمد بن إبراهيم القاري السّروري، من شعراء الشيعة ذكره ابن شهر آشوب، وذكره الثعالبي في اليتيمة، وذكر أنه كانت بينه وبين ابن العميد مكاتبات في الشعر، وهذا دليل على أنه من شعراء القرن الرابع الهجري. (انظر: معالم العلماء: ص ١٥٢، وفرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: ص ٧٨، وبتيمة الدّهر: ج ٣، ص ٥٠-٥٢).

وَالْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَةُ وَتَضُمُّ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ (١) وَابْنَهُ أَبَا الْفَتْحِ (٢)، وَالنَّاشِئُ الْأَصْفَرُ (٣)،
وَالسَّيِّدَ الرَّئِيسَ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الْمَوْسَوِيِّ (٤).

- (١) مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْكَاتِبِ، أَبُو الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ، كَانَ وَزِيرَ رُكُنِ
الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ بُرَيْدِ الدَّيْلَمِيِّ، وَالِدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ
وَاسِعَةٌ بِالْفَلَسَفَةِ وَالنَّجُومِ، وَمِنْ أَتْبَاعِ الصَّاحِبِ بْنِ عَمَّادٍ، وَمِنْ أَجْلِ صَحْبَتِهِ قِيلَ
لَهُ الصَّاحِبُ، وَكَانَ شَيْعِيًّا، وَلَهُ بَعْضُ الشُّعْرِ. (انظر: وفيات الأعيان: ج ٥،
عص ١٠٢-١٠٥، ج ٤، ص ١٠٩، ونهاية الأرب: ج ٣، ص ١١٢، والكشف عن
ساوي شمر المتنبي: ص ٤٢-٤٣، والإعجاز والإيجاز: ص ١٠٨، ص ص
٢٢٦-٢٢٧، وزهر الآداب: ج ١، ص ٢٨١، ج ٣، ص ٧٣١، وسرور النفس بمدارك
الحواس الخمس: ص ٣٦٤، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ١٣٦-١٣٨، ونسمة
السحر: ج ٢، ص ٢٧٦، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٦٠-٦١) .
- (٢) عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَلْقَبِ بِذِي الْكُفَايَتَيْنِ، كَفَايَةُ السِّيفِ وَكَفَايَةُ
الْقَلَمِ، وَزَرَ لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ وَزَرَ لِابْنِهِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ بِالرِّيِّ وَأَصْفَهَانَ وَتَلَفَ الْمَنَاطِقَ،
وُلِدَ سَنَةَ ٣٣٧ هـ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا فَاضِلًا شَيْعِيًّا عَالِي الْمَهَنَةِ وَالْفَضْلِ، وَقَدَرُ
قَبْضَ عَلَيْهِ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ وَعَذَّبَهُ وَسَلَّ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، وَجَدَّعَ أَنْفَهُ، وَقُتِلَ سَنَةَ
٣٦٦ هـ. (انظر: معجم الأدباء: ج ١٤، ص ١٩١-٢٠١، ص ٢٤٥، والإعجاز
وإيجاز: ص ٢٢٦-٢٢٧، وزهر الآداب: ج ١، ص ٢٨١، والكامل في التاريخ:
ج ٨، ص ٦٧٥-٦٧٦) .
- (٣) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَصِيفِ الْحَلَاءِ، النَّاشِئُ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، كَانَ
مُتَكَلِّمًا بَارِعًا، لَهُ مَصْنُوعَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ جَدُّهُ وَصِيفٌ مَمْلُوكًا، وَأَبُوهُ عَبْدِ اللَّهِ عَطَّارًا، وَقِيلَ
لَهُ الْحَلَاءُ لِأَنَّهُ كَانَ يَمْعَلُ حَلِيَّةً مِنَ النُّحَاسِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ الشَّيْعَةِ، تَوَفِّيَ
سَنَةَ ٣٦٦ هـ، وَقِيلَ سَنَةَ ٣٦٥ هـ، وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ ٢٧١ هـ. (انظر: وفيات الأعيان:
ج ٣، ص ٣٦٩-٣٧١، وبتيمة الدهر: ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣، والإعجاز
وإيجاز: ص ٢١٧، ومعالج العلماء: ص ١٤٨، ومعجم الأدباء: ج ١٣، ص ص
٢٨٠-٢٩٥، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ٢٢٢، وتأسيس الشيعة لعلوم
الإسلام: ص ٢١١-٢١٢، وأعيان الشيعة: ج ٤، ص ٢٣٢-٢٤٥) .
- (٤) عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الْمَوْسَوِيِّ، ذُو الْمَجْدَيْنِ، يَنْشُئُ إِلَى آلِ الْبَيْتِ الْكِرَامِ، شَاعِرٌ أَدِيبٌ
حَسَنُ الْخَلْقِ عَظِيمُ الْجَاهِ، تَوَلَّى النُّقَابَةَ وَالرِّيَاسَةَ، وَكَانَ حَيًّا فِي مِثْقَالِ مِثْقَالِ
الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ، فَقَدَ أَنْشَدَ الْبَاخْرَزِيَّ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ سَنَةَ ٤٤٥ هـ، وَاسْتَهَافَهُ
سَنَةَ ٤٤٧ هـ، وَحَظِيَ الْبَاخْرَزِيَّ مِنْهُ بِالْإِكْرَامِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ جَيِّدَةٌ. (انظر: دميصة
القصر: ج ٢، ص ٩٩، والدرجات السرفيعة: ص ٤٨٨-٤٩٠) .

وَأَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَازِنِ (١) . وَالْمَجْمُوعَةُ التَّاسِعَةُ وَتَضُمُّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ (٢) وَالظَّاهِرَ الْجَزْرِيَّ (٣) ، وَأَبَا الْبِرْكَاتِ عُمَرَ النَّحْشَبِيَّ (٤) ،

- (١) أبو محمد الخازن: عبد الله بن محمد الكاتب الأصبهاني الشاعر المشهور، عُرف بالخازن لأنه كان خازناً للصحاح بن عماد، وكانت بينهما مراسلات، وله أشعار كثيرة. (انظر: بيتية الدهر: ج ٣، ص ٣٢١-٣٣٥، ونسمة السحر: ج ٢، ص ١٨٢، وإعجاز وإيجاز: ص ٢٢٩-٢٤٠) .
- (٢) الأمير سيف الدولة: أبو الحسن علي بن أبي الهيثم عبد الله بن أحمد بن حمدون التغلبي الربيعي، كان بطلاً شجاعاً، ومجاهداً عارفاً بالأدب والشعر، جواداً، وكان شيعياً، توفي بعسر البول، وقيل بالفالج، مات بحلب سنة ٢٥٦ هـ، وحُمل تابوته إلى ميفارقين، فدفن بها، وكان مولده سنة ٣٠٣ هـ. (انظر: الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٥٨٠، وشدرات الذهب: ج ٣، ص ٢٠-٢١، وبيتية الدهر: ج ١، ص ١٥-٣٤، ووفيات الأعيان: ج ٣، ص ٤٠١، والمنظوم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ص ٤١، وتنته المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٤٨٣، والعبر في خبر من غير: ج ٢، ص ٣٠٥-٣٠٦، والبداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٦٣-٢٦٤، ص ٢٧٨-٢٧٩، والتجويد الزاهرة: ج ٤، ص ١٦-١٨، والتوفيق للتلفيق: ص ١٠٠، ونسمة السحر: ج ٢، ص ٢٠٧) .
- (٣) شداد بن إبراهيم، أبو النجيب، شاعر ملاح، مدح الوزير المهلب وعضد الدولة، وكان شيعياً، توفي في حدود ٤٠٠ هـ، وروى عنه علي بن المحسن التنوخي. (انظر: معالم العلماء: ص ١٤٩، ودمية القصر: ج ١، ص ٢٠٠، وفوات الوفيات: ج ٢، ص ٤٥، ومعجم الأدباء: ج ٩، ص ١٤٠-١٤١، و ج ١١، ص ٢٧٠-٢٧٢، والوفاء بالوفيات: ج ١٥، ص ١٢٤) .
- (٤) إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي، ينتمي نسبه إلى علي بن أبي طالب، من أهل الكوفة، كان حسن المعرفة بالأدب واللغة والنحو، كما كان شاعراً، وتوفي سنة ٤٦٦ هـ، وعمره ست وستون سنة، وقد ذهب إلى الشام ومصر وأقام بها مدة، ثم رجع، وتوفي بالكوفة، وله شعر حسن. (انظر: معجم الأدباء: ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥، والمنظوم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ٢٨٨، وإنباء الرواة: ج ١، ص ١٨٥-١٨٦) .

وَعَضُدُ الدَّوْلَةِ البُوَيْهِيَّ (١) ، وَأَبَا المَحَاسِينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمِيدِ الدَّرِ الْعَلَوِيِّ (٢) ،
وَالسَّيِّدَ الأَجَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبِ البَلْخِيِّ (٣) ، وَأَبَا القَاسِمِ الرَّعْفَرَانِيَّ (٤) ،

(١) عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، أَبُو سُجَاعٍ فَتَا حُسْرُو المَلَقَبُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، أَبِي عَلِيٍّ
الحسن بن بويه ، كَانَ فَاضِلاً وَمُحِبّاً للفضلاء ، مَشَارِكاً فِي فنون عديدة ، قصد
كبار الشعراء ومدحوه ، ومنهم المتنبي ، وتوفي بعلّة الصرع سنة ٣٧٢ هـ ببغداد ،
ودفن بدار الملك بها ، ثم نُقِلَ إلى الكوفة ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي ،
وعمره ما يقارب ثمانية وأربعين عاماً ، وكان غالباً في التَّشْبِيعِ ، وله أشعار تدل
على ذلك ، وعندما حضرت الوفاة أخذ لا ينطق إلا بقوله تعالى : " ما أغنني
عني ما لي . هلك عني سلطانيه " . (انظر : وفيات الأعيان : ج ٤ ، ص ٥١ - ٥٤ ،
والعبر في خبر من غمير : ج ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، ونشوار المحاضرة : ج ٤ ، ص ٨٧ ،
والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٧ ، ص ١١٧ ، وبغية الدهر : ج ٢ ، ص
ص ٢١٧ - ٢١٨ ، والكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ١٨ - ٢٠ ، وشذرات
الذهب : ج ٣ ، ص ٧٨ ، وبغية الوعاة : ج ٢ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، والنجوم الزاهرة
ج ٤ ، ص ١٤٢ ، وسير أعلام النبلاء : ج ١٦ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، والبدائية
والنهاية : ج ١ ، ص ٢٩٩ - ٣٠١ ، وبغية الوعاة : ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، ونسبة السحر :
ج ٢ ، ص ٢٢٣) .

(٢) إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمِيدِ الرَّعْفَرَانِيِّ ، كَانَ خَبْرَهُ يتراس إلى الباه خورزمي ويسمعه أنه نبغ في
ريمان الشباب ، وكان الباه خورزمي يتمنى أن يراه ، ولذا ذهب إلى الري وأقام في
ديوان الرسائل ، ولكنّ أبا المحاسن لم يأت إليه ، لأنّه كان مريضاً ، فكتب
الباه خورزمي له أبياتاً وأرسلها إليه ، فكتب إليه أبو المحاسن جوابها بيتين ،
ثم مات بعد ذلك بساعة . وهكذا فقد كان هذا الشاعر من شعراء القرن الخامس
الهجري ، لأنّه معاصر للباه خورزمي (انظر : دمية القصر : ج ١ ، ص ٣٧١ - ٣٧٣ ،
والدرجات الرفيعة : ص ٤٩٥ - ٤٩٦) .

(٣) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ البَلْخِيِّ ، أَبُو الحسن ، ذو فضل وكرم ، ينتهي إلى آل البيت ،
وكان معاصراً للباه خورزمي ، ولكنّ لم يتسنّ للباه خورزمي أن يلتقي به ، وبذلك فهو من
شعراء القرن الخامس الهجري (انظر : دمية القصر : ج ٢ ، ص ١٤٧ ، والدرجات
الرفيعة : ص ٤٩٤) .

(٤) عُمَرُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الرَّعْفَرَانِيِّ ، أَبُو القاسم ، كان أحد أعيان أهل الأدب
متخصّصاً بمعرفة علم الشعر من القوافي والقروض ، كان في عصر محمد بن إسحاق
التّديم ، وله مؤلفات منها : كتاب " اللواتي " ، وكتاب " اللغات " . (انظر : معجم
الأدباء : ج ١٦ ، ص ٥٩ ، وبغية الوعاة : ج ٢ ، ص ٢١٧) .

- وأبا القاسم بن أبي العلاء (١) وابن مائنديم (٢)، وأبا الحسن الأقساسي العلوي (٣)
ومحمد بن سعيد بن إبراهيم بن نيهان، وأبا الحسين الهمداني (٤) (٥)،
-
- (١) أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني كان من صنائع الصاحب بن عباد،
ومن على مذهبه، وكان من وجوه أهل خراسان. وهذا فهو من شعراء القرن
الرابع الهجري، لأنه معاصر للصاحب. (انظر: نسمة السحر: ج ١، ص ٦٨،
وتحسين القبيح وتقبيح الحسن: ص ٩٧، والإعجاز والإيجاز: ص ٢٣٨-٢٣٩،
ودمية القصر: ج ١، ص ٣٧٧، وبدائع البداه: ص ١٧٧-١٧٨، ووفيات الأعيان:
ج ١، ص ٢٣١، وبتيمة الدهر: ج ٢، ص ٣٢٠-٣٢١) *
- (٢) علي بن مائنديم بن إسماعيل بن عقيل، أبو الحسن، كان من شعراء القرن الخامس
الهجري، فقد ذكر الباخري المتوفى سنة ٤٦٧ هـ أنه رأى وهو أمرد، وقد كان
شاعراً شيعياً، فقد كان جده هو الرسول صلى الله عليه وسلم. (انظر: دمية
القصر: ج ٢، ص ٢٧١-٢٧٣، والدرجات الرفيعة: ص ٥٢٢-٥٢٣) *
- (٢) محمد بن الحسن، أبو الحسين الأقساسي العلوي، من ولد محمد بن يحيى بن
الحسين بن زيد بن علي، حج بالناس مرات كثيرة نيابة عن الشريف المرتضى، وله
أشعار مليحة، وتوفي سنة ٤١٥ هـ. (انظر: المحمدون من الشعراء: ص ٢٩٤،
والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٦، ص ١٩-٢٠، والبداية والنهاية:
ج ١٢، ص ١٨) *
- (٤) محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نيهان الكاتب، أبو علي، شيخ فاضل، عالم مسين،
سمع الكثير، وقصده الطلاب من الأقطار المختلفة للدراسة عليه، وكان شاعراً
شيعياً فصيحاً فاضلاً، وتوفي سنة ٥١١ هـ، وعمره مائة سنة. (انظر: المحمدون
من الشعراء: ص ٣٥٤-٣٥٥، والوافي بالوفيات: ج ٣، ص ١٠، والعبر في
خبر من غير: ج ٤، ص ٢٥، والنجوم الزاهرة: ج ٥، ص ٢١) *
- (٥) علي بن الحسين، أبو الحسين الهمداني، من العلويين، صاهره الصاحب بن عباد
بكريمته الوحيدة، فولدت له عباد بن علي، وله أشعار منها قصيدة تخلو من
حرف الواو، مدح في أثنائها الصاحب بن عباد. (انظر: بتيمة الدهر: ج ٣،
ص ٤٠٧-٤٠٩) *

والمجموعة العاشرة وتضم المحسن بن عليّ التّوخيّ (١)، وأحمد بن محمّد بن الحسين
ابن فاذشاه (٢)، وابن خالويته (٣)، وأبا الحسن الفصيح (٤).

- (١) المحسن بن عليّ بن محمّد بن داود بن أبي الفهم، أبو عليّ القاضي التّوخيّ،
وُلِدَ بالبصرة سنة ٣٢٩ هـ، وتولّى القضاة بعنّية نواح منها الأهواز، وتوفّي ببغداد
سنة ٣٨٤ هـ، وكانت له مجالس مع عضد الدولة البويهّي، وكان شيعياً، كما كان
ممتازياً يقول بالعدل، وله مؤلفات منها: "الفرج بعد الشدة"، و"نشوار
المحاضرة"، ويقال إنه صنّفه في عشرين سنة. (انظر: نسمة السحر: ج ٢، ص
٢٤٢، ونشوار المحاضرة: ج ٥، ص ١٩، ص ٤٩، والفرج بعد الشدة: ج ٢، ص
ص ٢١٩-٢٢٠، ص ٢٢٩-٢٣٠، ص ٢٤٣، وبتيمة الدهر: ج ٢، ص ٢٤٥-٢٤٦
٣٤٦، وتاريخ بغداد: ج ١، ص ١١٧، ج ١٣، ص ١٥٥-١٥٦، ومعجم
الأدباء: ج ١٧، ص ٩٢-١١٦، وتمام المتون: ص ٣٦١، وفتح السعادة:
ج ١، ص ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ٥٢٤-٥٢٦، والنجوم
الزاهرة: ج ٤، ص ١٦٨).
- (٢) أحمد بن محمد بن الحسين بن فاذشاه، كان صحيح السماع لكنه شيعياً ممتازياً،
روى عنه جماعة، له شعر قليل، وتوفّي سنة ٤٣٣ هـ. (انظر: لسان الميزان: ج ١،
ص ٢٦٢، والوافي بالوفيات: ج ٧، ص ٣٨٣، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ٢٥٠،
وسير أعلام النبلاء: ج ١٧، ص ٥١٥-٥١٦).
- (٣) أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويته الهمدانيّ، شيخ أهل حلب، أخذ
عنه ابن مجاهد وغيره، وانتقل إلى حلب من بغداد واستوطنها، وكان معظماً
عند بني حمدان، وله أشعار، وتوفّي سنة ٣٧٠ هـ. (انظر: بتيمة الدهر: ج ١،
ص ١٠٧-١٠٨، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ٧١-٧٢، ونزهة الألباء: ص
ص ٢٣٠-٢٣١، وإنباء الرواة: ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٥، والوافي بالوفيات:
ج ١٢، ص ٣٢٣-٣٢٥، ومعجم الأدباء: ج ٩، ص ٢٠٠-٢٠٥، ووفيات
الأعيان: ج ٢، ص ٢٧٨، وطبقات الشافعية الكبرى: ج ٤، ص ٢١٢-٢١٣،
ومعالم العلماء: ص ٤١، والفهرست، التّدميم: ص ٩٢، وبقية الوعاة: ج ١، ص ٥٢،
وهديّة المعارف: ج ١، ص ٣٠٦).
- (٤) عليّ بن محمد بن عليّ، أبو الحسن الفصيح الأسترابادي، كان بارعاً في النحو،
وسقياً بالفصيح لكثرة دراسته "الفصح"، وقد اتهم بالتشيع، فاهترق بذلك،
وله بعض الأشعار، وتوفّي سنة ٥١٦ هـ. (انظر: نزهة الألباء: ص ٤٧-
٤٧٥، ومعجم الأدباء: ج ١٥، ص ٦٦-٦٨، وبقية الوعاة: ج ٢، ص ١٩٧-
١٩٨).

وقرواش بن المقلد (١)، وابن زياد القطان (٢)، وعلي بن أبي علي العلوي (٣)، وابن طباطبا الشريفي (٤).

- (١) قرواش بن المقلد بن المسيب بن رافع، الأمير معتمد الدولة بن الأمير حسام الدولة، أمير عربيّ مقدّم، حكم بعد أبيه بلاد الموصل والكوفة والمدائن، ثمّ خطب في بلاده للحاكم صاحب مصر، ولكنّه رجع عن ذلك، وكان أديباً شاعراً شيعياً وقد قبض عليه أخوه بركة بن المقلد، وسجنه في إحدى قلاع الموصل، وتولّى مكانه، وتوفي سنة ٤٤٢ هـ على الأرجح في قلعة الجراحية، وحمل تابوته فدفن بتل توبة من مدينة تينوي، شرقي الموصل، وقيل: قتله ابن أخيه. (انظر: وفيات الأعيان: ج ٥، ص ٤٦٣-٤٦٧، وسير أعلام النبلاء: ج ١٧، ص ٦٣٢، وتعام المتنون: ص ٦٩، ودمية القصر: ج ١، ص ٣٠-٣١، وتنمّة المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٥٣٣، والنجوم الزاهية: ج ٥، ص ٤٩-٥٥، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٤٥-١٤٧، والبداية والنهاية: ج ١٢، ص ٦٢، ونسبة السحر: ج ٢، ص ٢٣٢).
- (٢) محمد بن أحمد بن عبدالله بن زياد القطان، يكنى أبا سهل، سمع الحديث برواه، وكان ثقة يتشيع على مذهب الإمامية، ويظاهر به، وله أشعار كثيرة ركيكة، وتوفي سنة ٣٤٩ هـ. (انظر: المحمّدون من الشعراء: ص ٧٧-٧٨، ومعجم الأدباء: ج ١٧، ص ١٧٨-١٨٠، والوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٧٦).
- (٣) علي بن أبي علي العلوي، ذكره الثعالبي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ، ويمنّ أنّه توفي في عنفوان الشباب، وقال "وله شعر علق بحفظي منه ما أشدّ منه أخوه أبو إبراهيم له...". وهذا دليل على أنّه معاصر للثعالبي. (انظر: يتيمة الدهر: ج ٤، ص ٢٢).
- (٤) أبو المعمر يحيى بن محمد بن طباطبا العلوي، ابن طباطبا الشريف النساب، كان ذا أدب وسؤدد، وكان عالماً انتهت إليه معرفة نسب الطالبين في وقته، كما كان يذهب مذهب الإمامية، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ. (انظر: نزهة الألباء: ص ٢٦٩-٢٧٥، ومعجم الأدباء: ج ٢٥، ص ٣٢-٣٣، ومعالم العلماء: ص ١٥٢، وبغية الوعاة: ج ٢، ص ٣٤٢، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٩، ص ١٧، ص ٢٦-٢٧).

وأبا بكر الجعافي (١)، وأبا بكر الصولي (٢)، وأبا زيد البلخي (٣)، وحمار العزير (٤)،

(١) محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء بن سيرة بن سيار، أبو بكر التميمي، قاضي الموصل، يُعرف بالجعافي، له تصانيف كثيرة، وكان كثير الغريب، وهو شيعي معروف، وكان يسكن باب البصرة، ولد سنة ٢٨٤هـ وتوفي سنة ٣٥٥هـ. (انظر: تاريخ بغداد: ج ٣، ص ٢٦-٣١، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ١٧، والوافي بالوفيات: ج ٤، ص ٢٤٠، والكاظم في التاريخ: ج ٨، ص ٥٧٤، ولسان الميزان: ج ٥، ص ٣٢٢) .

(٢) محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، أبو بكر الصولي، كان عالماً بعلوم الأدب، وأخبار الملوك ومآثر الأشراف، حدثت عن جماعة منهم تغلب والمبرد، وله شعر حسن، وكان من الشعراء الشيعة، وتوفي سنة ٣٣٦هـ على الأرجح وقبل سنة ٣٣٥هـ. (انظر: معجم الشعراء: ص ٤٦٥-٤٦٦، ومعالم العلماء: ص ١٥٢، وروضات الجنات: ج ٧، ص ٣١٥، ص ٣٢٠، والبداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٢٠ وأعتاب الكتاب: ج ١، ص ٦٠، والمنظوم في تاريخ الملوك والامم: ج ٦، ص ٣٦٠-٣٦١، ونزهة الألباء: ص ٢٠٤-٢٠٥، وإنباء الرواة: ج ٣، ص ٢٣٣-٢٣٦، والمعبر في خبر من غير: ج ٢، ص ٢٤١، والوفيات: ص ٢١٠-٢١١، ووفيات الأعيان: ج ٤، ص ٣٥٦-٣٦١، والتجويد الزاهرة: ج ٣، ص ٢٩٦، والأنساب: ج ٨، ص ٣٤٨-٣٥٠، واللباب في تهذيب الأنساب: ج ٢، ص ٦٣-٦٤) .

(٣) أحمد بن سهل البلخي، كان فاضلاً قيماً بجميع العلوم، القديمة والحديثة، وكان معلماً للصبيان، ثم رفعه الخليفة، وله مصنّفات منها "أقسام العلوم" و"شرائع الأديان" و"صناعة الشعر"، وتوفي سنة ٣٢٢هـ، وله أشعاره. (انظر: الوافي بالوفيات: ج ٦، ص ٤٠٩، وتحسين القبيح وتقيح الحسن: ص ٣١-٣٢، ومعجم الأديان: ج ٣، ص ٦٤-٨٥، وبغية الوعاة: ج ١، ص ٣١) .

(٤) أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمار، أبو العباس الثقفني، المعروف بحمار العزير، له مصنّفات، وكان يتشيع، وقد عانى من البؤس والفقر، ولذا كان ساخطاً على ما يجري به القدر، وتوفي سنة ٣١٤هـ وله أشعاره. (انظر: الوافي بالوفيات: ج ٧، ص ١٧١-١٧٣، ومعجم الأديان: ج ٣، ص ٢٣٥-٢٤١) .

وَأَبَا رِيَّاشٍ^(١)، وَالشَّرِيفَ الْكُوفِيَّ وَالِدَ أَبِي الْبَرَكَاتِ^(٢)، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ
الْحُسَيْنِيِّ النَّصِيبِيِّ^(٣)، وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مَعْمَرٍ^(٤) رُوِيَ

(١) أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو رِيَّاشٍ الشَّيْبَانِيُّ، تَوَفِّيَ سَنَةَ ٣٣٩ هـ، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ
خَمْسَةَ آلَافٍ وَرَقَةَ لَفَةً، وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَيْتٍ شِعْرًا، وَكَانَ شَاعِرًا عَلَى مَذْهَبِ الزُّيْدِيَّةِ
وَلَهُ أَسْمَارٌ. (انظر: معجم الأدباء: ج ٢، ص ١٢٣-١٣١، والوافي بالوفيات:
ج ٦، ص ٢٠٥-٢٠٧، ولطائف اللطف: ص ١٤٦).

(٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ يَنْتَسِبُ إِلَى عَلِيِّ كَرَّمَ
اللَّهُ وَجْهَهُ، وَالِدِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَمْرِو النَّحْوِيِّ، لَهُ مَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ،
وَلَهُ بَعْضُ الْأَشْعَارِ، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ ٤٦٦ هـ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ قَدْ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ
وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً. (انظر: الوافي بالوفيات: ج ٦، ص ١١٩-١٢٠).

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ
الْحُسَيْنِيُّ النَّصِيبِيُّ، كَانَ غَفِيظًا طَاهِرًا حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ، وَكَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا،
تَوَلَّى الْقَضَاءَ وَالْخِطَابَةَ وَالنَّقَاةَ بِدِمَشْقَ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي الزُّهْدِ، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ
٤٠٨ هـ. (انظر: المحمدون من الشعراء: ص ٢٦٠).

(٤) عُبيد الله بن أحمد بن معروف، أبو محمد، وليد سنة ٣٠٦ هـ، ولي القضاء ببغداد.
وحدث عن ابن صاعد وغيره، وروى عنه جماعة، كان غفياً نزهاً في القضاء، لم
يُر مثله في عفته ونزاهته، وكان جليلاً ذكياً عظيم الفطنة، مشهوراً بالأدب وعلم
الكلام، كما كان شيعياً معتزلياً، وكان له مجلسان يجلس في أحدهما للحدِيثِ أَوَّلَ
يَوْمٍ مِنْ مَحْرَمٍ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ ٣٨١ هـ وَدُفِنَ فِي دَارِهِ عَلَى شَاطِئِ
رَجَلَةٍ. (انظر: نسمة السحر: ج ٢، ص ١٨٩، وتاريخ بغداد: ج ١٠، ص
٣٦٥-٣٦٧، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ١٦٦، ودول
الإسلام: ج ١، ص ١٧٠، وميزان الاعتدال: ج ٣، ص ٣، ولسان الميزان:
ج ٤، ص ٩٦).

والمقلد بن المسيب (١)، وعلي بن محمد الجزري (٢)، والرفاعي الضرير (٣)

(١) المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر العقيلي، الملقب حسام الدولة، أبو حسان، صاحب الموصل، تولى الملك بعد وفاة أخيه محمد بن المسيب على الموصل سنة ٣٨٧ هـ، وكان أعور، برع في السياسة، وحسن التدبير، وله شعر، قتله غلام تركي، وثب عليه، وهو في مجلس أنسه بالأنهار سنة ٣٩١ هـ، وقيل إن التركي سمعه وهو يطلب إلى رجل يودعه وهو يريه الحج أن يقف عند ضريح الرسول الكريم ويبلغه أنه لولا صاحبه لزاره المقلد. (انظر: وفيات الأعيان: ج ٥، ص ٢٦٠-٢٦٣، ونسبة السحر: ج ٢، ص ٢٩٢، وسير أعلام النبلاء: ج ١٧، ص ٥، وآثار الهلاك وأخبار العباد: ص ٢٩٢-٢٩٤).

(٢) علي بن محمد الجزري، كان من غلاة الشيعة، انتقل من بعض الجزائر إلى باخره وعمل بالتأديب فيها، ثم انتقل إلى الشام، وجاور قبر معاوية سنة يسطوف بنيانه، وبشرك به، ثم بقي ينتهز الفرصة حتى خلا له المكان في أحد الأيام، فبال على القبر وخرج، وله شعر في ذلك. (انظر: حجة القصر: ج ١، ص ٢٠٧، وتمام المتن: ص ٢٥٢، وإنباء الرواة: ج ٢، ص ٣٠٩).

(٣) إبراهيم بن سعيد بن الطيب أبو إسحاق الرفاعي الضرير، جاء إلى واسط وهو صبي، وكان فقيراً، فتلقت القرآن في المسجد، ثم ذهب إلى بغداد، فصحب أبا سعيد السيرافي، وقرأ عليه شرحه في كتاب سبويه وعاد إلى واسط، فأقرأ الناس في الجامع، وكان شاعراً شيعياً، وتوفي سنة ٤١١ هـ، ودُفن مع غروب الشمس ولم يشهد جنازته إلا اثنان، لأن الناس مقتوه لتشييعه. (انظر: الوافي بالوفيات: ج ٥، ص ٣٥٤-٣٥٥، ومعجم الأدباء: ج ١، ص ١٥٤-١٥٧، وسوالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي: ص ٨٤-٨٥، ونغمة الوعساء: ج ١، ص ٤١٣).

وعليّ بن المُحَسِّن بن عليّ التَّنُوخِيّ (١) ، ومحمد بن وشاح الزَّيْنَبِيّ (٢) ، وشيخ الشَّرَفِ
العُبَيْدِيّ (٣) ، وأما الخَطَّابُ الشَّاعِرُ الجَبَلِيّ (٤) .

- (١) عليّ بن المُحَسِّن بن عليّ التَّنُوخِيّ ، أبو القاسم ، وليد بالهَصْرَة في شهر شعبان سنة ٣٧٠ هـ ، وكان شيعياً معتزلياً ، ثقة في الحديث ، صدوقاً ، محتاطاً ، وله أشعار ، تولّى القضاء في عدّة نواح منها المدائن وأعمالها وقرميسين ، وتوفي سنة ٤٤٧ هـ ، وكان كريماً ينفق على أصحاب الحديث وكان نهياً فاضلاً ذا نادرة جيّدة . وانظر: نسمة السحر: ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، والمنظّم في تاريخ الملوك والأئم: ج ٨ ، ص ١٦٨ ، ومعجم الأدباء: ج ١٤ ، ص ١١٠-١٢٤ ، وميزان الاعتدال: ج ٣ ، ص ١٥٢ ، والمبرور في خبر من غير: ج ٣ ، ص ٢١ ، وفوات الوفيات: ج ٣ ، ص ٦٠-٦١ والهداية والنهاية: ج ١٢ ، ص ٦٧ ، النجوم الزاهرة: ج ٥ ، ص ٥٨ ، وفتح السعادة: ج ١ ، ص ٢٤٩ .
- (٢) محمد بن وشاح بن عبدالله ، أبو عليّ مولى أبي تمام محمد بن عليّ بن الحسن الزينبيّ ، سمع الحديث وكان أديباً شاعراً ، ونُسب إلى الرفض والاعتزال ، وله شعر ، وقد توفي سنة ٤٦٢ هـ . (انظر: الهداية والنهاية: ج ١٢ ، ص ١٠٤) .
- (٣) محمد بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن الحسين الأصغر بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب ، أبو الحسن العَلَوِيّ الحسيني النّسابة البغداديّ ، شيخ الشرف ، وليد سنة ٣٣٨ هـ ، وكان عالماً بالأنساب وقوفي يدمشق سنة ٤٣٧ هـ . وله شعر قاله وقد زوّج ابنته من رجلٍ مَوّه عليه نسبه . (انظر: الوافي بالوفيات: ج ١ ، ص ١١٨) .
- (٤) عليّ بن محمد بن إبراهيم ، أبو الخطّاب الشاعر الجبلّي ، أصله من قريظة جبليّ عند النعمانية ببغداد ، وكان فصيحاً شاعراً رحل في البلاد ، ثم عاد إلى بغداد ، ومات بها سنة ٤٣٩ هـ ، وقد كُفّ بصره ، وكان رافضياً . (انظر: النجوم الزاهرة: ج ٥ ، ص ٤٤) .

أشهر شعراء الشيعة :-

وقد رأينا أن نُترجم لأربعة من شعراء الشيعة، وهم : الشريف الرضي ، والشريف المرتضى ، والصاحب بن عباد ، وأبو فراس الحمداني ، وذلك لكثرة أشعارهم التي تتصل بالمذهب الشيعي ، وآل البيت مما يوضح لنا ظاهرة التشيع بأجلى صورها .

الشريف الرضي :-

حياته :

أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة (١) وبذلك فهو كبري الأصل ، شريف النسب ينتمي إلى آل البيت الكرام، وقد أشار البأخرزي (٢) إلى ذلك بقوله : * له صدر السادة بين الأئمة والسادة ، وأنا إذا مدحته كنتُ كمن قال لذكاء (٣) : ما أنورك ، ولخضارة (٤) : ما أغزرك (٥) .

وكان والده أبو أحمد عظيم المنزلة في الدولة العباسية وولد له بني بويه ، ولقب بالطاهر ذي المناقب (٦) . وقد عانى الرضي في صغره من سوء الأحوال ، إذ إن عضد

(١) بيتية الدهر: ج ٣، ص ١٣١، ووفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤١٤، ص ٤١٩، وعمدة الطالب

البروة: ج ٢، ص ٩٩-١٠٠ .

(٢) البأخرزي: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب، شاعر مشهور، اشتغل في شبابه بالفقه على مذهب الشافعي، ثم اشتهر بالكتابة والأدب ونظم الشعر، له كتب منها: * دمية القصر وعصرة أهل العصر وتوفي سنة ٤٦٧ هـ (انظر:

وفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣٨٧-٣٨٩) .

(٣) دكاء: اسم الشمس (انظر: لسان العرب: مادة ذكاء) .

(٤) خضارة - بالضم - البحر. (انظر: المصدر نفسه، مادة خضر) .

(٥) دمية القصر: ج ١، ص ٢٨٩ .

(٦) شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٣١ .

الدَّوْلَةَ قَبَضَ عَلَى وَالِدِهِ سَنَةَ ٣٦٩ هـ ، لاقْتِهَا بِهَا أَحْمَدَ بِإِفْشَاءِ أَسْرَارِهِ (١) ، وَكَانَ عَمْرُ
الرُّضِيِّ عَشْرَ سِنَوَاتٍ ، وَعَزَلَهُ عَنِ نِقَابَةِ الطَّالِبِيِّينَ بِبَغْدَادَ ، ثُمَّ سَجَّجَهُ فِي قَلْعَةِ بَغْدَادِ ، وَبَقِيَ
سَجِينًا حَتَّى تَوَفَّى عَضُدُ الدَّوْلَةَ ، فَأُطْلِقَ شَرَفُ الدَّوْلَةَ (٢) سَرَّاحَهُ سَنَةَ ٣٧٦ هـ (٣) .
وَلَمَّا تَوَفَّى عَضُدُ الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ كَانَ عُمُرُ الرُّضِيِّ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَكُتِبَ إِلَى أَبِيهِ
وَهُوَ مُعْتَقَلٌ فِي الْقَلْعَةِ بِبَغْدَادِ بِخَبْرِهِ بِوَفَاةِ عَضُدِ الدَّوْلَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٤) :

أَهْلِيغَا عَنِّي الْحُسَيْنَ الْوَكَا أَنْ نَا الطَّوَدَ بَعْدَ عَهْدِكَ سَاخَا (٥)
وَالشَّهَابَ الَّذِي اضْطَلَمْتَ لَطَّاهُ عَكَسَتْ ضَوْؤُهُ الْخُطُوبُ فَمَا خَا (٦)
وَالفَنِيْقَ الَّذِي تَدَرَّعَ طُؤَلِ الْ أَرْضِ خَوَى بِهِ الرَّدَى فَأَنَا خَا (٧)

نَشَأَ الرُّضِيُّ فِي بَغْدَادَ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ وَالْعِلْمِ (٨) ، وَعِنْدَمَا أُعِيدَ
وَالِدُهُ أَبُو أَحْمَدَ إِلَى تَوَلَّى نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ سَنَةَ ٣٨٤ هـ اسْتُخْلِفَ لَهُ وَلِدَاهُ الرُّضِيُّ وَالْمُرْتَضَى
وَحُلِيَ عَلَيْهِمَا ، نِقَابَةُ الطَّالِبِيِّينَ سَنَةَ ٣٨٤ هـ ، فَكَانَا خَلِيفَتَيْنِ لِأَبِيهِمَا فِي النِّقَابَةِ وَالْمِظَالِمِ
وَالْحَسْبِ (٩) . وَقَدْ تَرَقَّتْ بِالرُّضِيِّ الْحَالُ حَتَّى تَوَلَّى نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّهُ فِي سَنَةِ ٣٩٦ هـ قُلِّدَ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ بِالْعِرَاقِ وَلُقِّبَ بِذِي الْحُسَيْنِ (١٠) . وَفِي

- (١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ١٧ ، ص ٩٨ .
- (٢) شرف الدولة : أبو الفوارس شيرازي بن عضد الدولة بن بويه ، توفي سنة ٣٧٩ هـ ،
وحُيِّلَ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ وَدُفِنَ فِيهِ ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ بِالْعِرَاقِ سِنَتَيْنِ
وَسِتِّ مِائَةِ أَشْهُرٍ . (انظر: الكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ٦٢) .
- (٣) شرح نهج البلاغة : ج ١ ، ص ٣٢ .
- (٤) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٢٧٦ .
- (٥) الألوک : الرسالة (انظر: لسان العرب ، مادة ألك) .
- (٦) باخ : سكن وقتل (انظر: المصدر نفسه ، مادة بوخ) .
- (٧) خوى : سقط (انظر: المصدر نفسه ، مادة خوا) . وديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٣٣ .
- (٨) المحشودون من الشعراء : ص ٢٤٣ .
- (٩) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٧ ، ص ٢٤٧ .
- (١٠) الكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ١٨٩ .

سنة ٤٠٣ هـ قلد نقابة الطالبين في جميع الممالك، وقرى تقليده ذلك في دار الوزير فخر الملك (١)، بحضور عدد كبير من رجال الدولة والأعيان، وخُلع عليه السواد، فكان بذلك أول طالبيي يُخلع عليه السواد (٢)، وبقي الرضي رفيع المنزلة عزيز الجانب حتى توفي سنة ست واربعمائة للهجرة، وقد حضر دفنه فخر الملك والأشراف والشهبود والأعيان، ودفن في داره في مسجد الأنباريين، وقد ذهب أخوه الشريف المرتضى إلى المشهد بعقابر قريش لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تاهبه ودفنه، وصلى عليه الوزير فخر الملك بجماعة، وفي آخر النهار ذهب فخر الملك إلى المشهد وأعاد الشريف المرتضى إلى داره (٣). وقد رثاه أخوه المرتضى بقصيدة مطلعها:

يَا لِلرَّجَالِ لِفَجْعَةٍ جَدَوَتْ بِرِي
وَوَدُّنَهَا ذَهَبَتْ عَلَيَّ بِرَأْسِي (٤)

صِفَاتُهُ :

يَسْتَمِي الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ إِلَى آلِ الْبَيْتِ الْكِرَامِ، وَلِذَا لَمْ يَكُنْ عَجَبًا أَنْ نَجِدَهُ يَتَحَلَّى بِأَحْسَنِ الصِّفَاتِ وَأَكْرَمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَتَنَسَّبُ وَأَصْلُهُ الْكَرِيمُ وَنَسَبُهُ الْعَرَبِيُّ .
وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا الرَّضِيُّ الْحَزْمُ وَالثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ، فَقَدْ كَانَ ثَابِتًا الْقَلْبَ لَا يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَتَزَحَّجُ مَهْمَا كَانَتِ الْعَوَاقِبُ الَّتِي تَنْتَظِرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ مِنْ أَحْسَنِ الصِّفَاتِ الَّتِي تَهْتَمِدُ بِالْمَرْءِ عَنِ النِّفَاقِ وَالْمَدَاهِنَةِ وَالرِّيَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ الرَّضِيَّ عِنْدَمَا قَالَ قَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا قَوْلُهُ :

(١) فخر الملك: أبو غالب محمد بن علي بن خلف الواسطي الوزير، وزير لبهاء الدولة بن عضد الدولة، ثم وزير لسليمان الدولة. وقد قتله سلطان الدولة سنة ٤٠٧ هـ. (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٢) البداية والنهاية: ج ١١، ص ٣٤٧.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ٢٨٢-٢٨٣، وانظر: شذرات الذهب: ج ٣، ص ١٨٣، وسفينة البحار: ج ١، ص ٥٢٦-٥٢٧، والسواني بالوفيات: ج ٢، ص ٨٧، ونزهة الجليس: ج ١، ص ٥٥٣، ووفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤٢٠.

(٤) ديوان الشريف المرتضى: ج ٢، ص ١٣١.

مَا مَقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي يَقُولُ صَارِمٌ وَأَنْفُ حَمِيصِي (١)

أَرْسَلَ بَعْضُ النَّاسِ خَبَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِإِلَهِهِ ، فَمَا ظَهَرَ ذَلِكَ (١) ، وَكَتَبَ إِلَى الشَّرِيفِ الطَّاهِرِ أَبِي أَحْمَدَ وَالِدِ الرَّضِيِّ مُنْكَرًا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَطَالِبًا إِلَيْهِ بِإِصْلَاحِ وَلَدِهِ ، فَاسْتَدْعَى أَبُو أَحْمَدَ وَلَدَيْهِ الرَّضِيَّ وَالْمُرْتَضَى ، وَعَاتَبَ الرَّضِيَّ عِتَابًا طَوِيلًا ، فَأَخْبَرَهُ الرَّضِيَّ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَلَمْ يَعْرِفْهَا ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ أَنْ يَكْتُبَ خَطَّهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِالْقَدْحِ فِي نَسَبِ صَاحِبِ مِصْرَ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ مَبْتَنًا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ دَعِيٌّ النَّسَبِ ، فَرَفَضَ الرَّضِيُّ ذَلِكَ وَأَصْرًا عَلَى رَفْضِهِ . ثُمَّ عَلَا بَيْنَهُمَا الْقَوْلُ ، وَحَلَفَ الرَّضِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الشَّعْرَ الْمُنْسُوبَ إِلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُهُ (٢) . وَمِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ نَلَاخِظُ شِمَاتِ الرَّضِيِّ فِي مَوَاقِفِهِ ، فَقَدْ رَفَضَ الْقَدْحَ فِي نَسَبِ الْفَاطِمِيِّينَ فِي مِصْرَ ، لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى آلِ الْبَيْتِ ، وَبِذَلِكَ فَهَمَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ فِي بَغْدَادَ . وَقَدْ أَصْرًا الرَّضِيُّ عَلَى هَذَا الْمَوْقِفِ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ مِنَ الْأَذَى وَالضَّرَرِ لِكُونِهِ يَمِيشَ فِي بَغْدَادَ مَقَرَّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .

وَكَانَ الرَّضِيُّ جَوَادًا كَرِيمًا ، وَقَدْ تَجَلَّى كَرَمُهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيبَةِ ، فَكَانَ كَرِيمًا فِي وَقْتِ فَقْرِهِ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، وَهَذَا هُوَ الْمِثْلُ الْحَقِيقِيُّ لِلْجُودِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُرَوَى مِنْ أَنَّ الشَّاعِرَ الْخَالِعَ (٤) كَانَ قَدْ مَدَحَهُ ، فَلَمَّ يَجِدُ الرَّضِيَّ شَيْئًا يَعْطِيهِ إِيَّاهُ لِأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا ، فَبَاعَ صَخْنًا مِنْ دَارِهِ بِتِسْعَةِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَأَرْسَلَهُ إِلَى الشَّاعِرِ ، وَكَانَ يُسَاوِي خِصَّةً

(١) ديوان الشريف الرضي: ج ٢، ص ٥٧٦ .

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ٢٨١ .

(٣) انظر: المصدر نفسه: ج ٧، ص ٢٨١-٢٨٢، وشرح نهج البلاغة: ج ١،

ص ٣٧-٣٨، والدرجات الرفيعة: ص ٤٦٨-٤٧٠ .

(٤) الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الرافقي، المعروف بالخالع،

كان إمامًا في النحو واللغة والأدب، وله أشعار قيل إنَّه من ذرية معاوية بن أبي

سفيان، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ (انظر: معجم الأديباء: ج ١٠، ص ١٥٥-١٥٧) .

دنانير (١) .

ومن الصفات التي كان يتحلّى بها الرضّي العرع والتقوى ، فقد كان ورعاً تقيّاً زاهداً في الدنيا ، بعيداً عن التكالّب على حطامها وزخارفها ، حريصاً على إعطاء كل ذي حقّ حقه ، فقد اشترى جُزاراً (٢) من امرأةٍ بخمسة دراهم ، فوجد جزءاً بخطّ ، فأرسل إليها مُخبراً أنّه وجد ذلك الجزء في الجُزار ، وقيمت خمسةً دنانير ، وخيرها بين أن تأخذ الجزء وأن تأخذ خمسةً الدنانير ، فرفضت المرأة وأخبرته أنّها باعتها الجُزار بما فيه ، ولكنّه لم يقبل ، وبقي يُقنع المرأة حتى قبلت أن تأخذ الدنانير (٣) .

وَإِذْ كَانَ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ زَاهِداً كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَقْوَالٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أَخْرَجَ نَفَائِسَهَا مِنْ حَسَائِسِهَا ، وَأَطَابَيْهَا مِنْ خَبَائِثِهَا ، فَأَخْرَجَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ مِنْ حِجَارَةٍ . . . وَالعُنْبُرَ مِنْ رَوْثِ دَابَّةٍ ، وَالعَسَلَ مِنْ ذُبَابَةٍ ، وَالذَّبَّاحَ مِنْ دُودَةٍ ، وَالقَصَبَ مِنْ حَشِيشَةٍ . وَالإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٤) . " فهذا القول دليل على احتقار الرضّي الدنيا وتقليلها من شأنها ، وأنّه لا يأبه بتاعها وزخارفها ، ولذا لم يكن يطمع في أخذ حقوق الآخرين .

وكان الرضّي أبيض النفس عالي الهيئة لا يقبل صفائر الأمور ، ولا يهتم بها ، ولعلّ ذلك يرجع إلى استشعاره كرم أصله وعراقة نسبه ، ولنجاحه المبكر في تولّي نقابة الطالبين ، فقد ذكر الشمالي أنّ والده كان يتولى نقابة الطالبين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحجّ بالناس ، ثم ردت هذه الأعمال كلّها إلى الرضّي سنة ثمانين وثلاثمائة وأبوه حيّاً (٥) ، فقال الرضّي قصيدةً يهتف فيها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه الأعمال إليه ، ومنها قوله :

-
- (١) الوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٣٧٩، وانظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ٢٧٩-٢٨٠ .
- (٢) الجُزار: ما فضل من الأديم إذا قُطِع . (انظر: القاموس المحيط: مادة جزّ) .
- (٣) الوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٣٧٩ .
- (٤) لطائف اللطف: ص ١٢٠ .
- (٥) بتيحة الدهر: ج ٣، ص ١٣٢ .

انظُرْ إِلَى الْأَيَّامِ كَيْفَ تَعُودُ وَإِلَى الْمَعَالِي الْغُرُكَ كَيْفَ تَزِيدُ
وَإِلَى الزَّمَانِ نَبَاً وَعَاوِدَ عَطْفَهُ فَارْتَاحَ ظَمَانٍ وَأُورِقَ عُودُ (١)

ويذهب محمد مهدي البصير إلى أنّ هذا النجّاح المبكر الذي حقّقه الرضوي بتولّيه نقابة الطالبين هو الذي دفعه إلى الجري وراء الأمل الواسعة، فأخذ يفكر بنيل الخلافة ويطمع في ذلك (٢). ونحن نتفق مع محمد مهدي البصير في رأيه هذا، ولكننا نرى أنّه كان هناك سبب آخر لذلك الطموح، وهو ما كان يستشعره الرضوي في نفسه من كرم أصله وعراقة نسبه بانتسابه إلى آل أبي طالب، ولما كان يشعر به من الأحقية بالخلافة دون الخليفة العبّاسي، ولذا تولّد في نفسه الطموح حتى لم يعد يقنع بالنقابة وحدها، يقول:

لَوْ كُنْتُ أَقْنَعُ بِالنَّقَابَةِ وَحْدَهَا لَغَضَّضْتُ جِيبَ بَلْعَثُهَا آمَالِي
لَكِنِّي لِي نَفْسًا تَتَوَقُّ إِلَى التِّي مَا بَعْدَ أَغْلَاهَا مَقَامَ عَسَالِ (٣)

ومضى الرضوي مع طموحاته، حتى خاطب القادر بالله بقصيدة مدحه بها سنة اثنتي عشرة وثمانين وثلاثمائة للهجرة، ومنها:

عَطْفًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّنَا فِي دَوْحَةِ الْعُلَمَاءِ لَا نَتَفَرَّقُ
مَا بَيْنَنَا يَوْمَ الْفَخَارِ تَفَاوَتْ أَبَدًا كِلَانَا فِي الْمَعَالِي مُعْزِقُ
إِلَّا الْخِلَافَةَ مِيرْتَكَ فَإِنِّي أَنَا عَاطِلٌ مِنْهَا وَأَنْتَ مُطَوَّقُ (٤)

ويروى أنّ الخليفة عندما بلغه هذه الأبيات قال: "على رغم أنف الرضوي" (٥)، وروي أنّ الرضوي كان جالساً يوماً بين يدي الخليفة القادر بالله، فأخذ يبعث بذقنه، فقال له الخليفة: "كانك تشمّ فيها رائحة الخلافة"، فأجاب بأنّه يشمّ منها رائحة النبوة (٦).

(١) ديوان الشريف الرضوي: ج ١، ص ٣١٠، وبتمة الدهر: ج ٣، ص ١٣١.

(٢) في الأدب العبّاسي: ص ٢٢٥.

(٣) ديوان الشريف الرضوي: ج ٢، ص ١٨٢.

(٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٢.

(٥) الوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٣٧٦.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وَكَانَ لِلرَّضِيِّ صَدِيقٌ هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي (١) ، وَكَانَ يُطِيعُهُ فِي الْخِلاَفَةِ وَيَشْجَعُهُ عَلَيْهَا ، وَيُرْسِلُ لَهُ الْأَشْعَارَ الَّتِي يَتَنَبَّأُ لَهَا فِيهَا بِالْخِلاَفَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

أَبَا حَسَنِ لِي فِي الرَّجَالِ فِرَاسَةٌ تَعَوَّدْتُ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ فَتَصُدُقَا
وَقَدْ خَبَّرْتَنِي عَنْكَ أَنْتَ مَا جِئْتَهُ سَتَرْتَنِي إِلَى الْعَلِيَاءِ أَبَعَدَ مُرْتَقَى
فَوَقَّيْتِكَ التَّعْظِيمَ قَبْلَ أَوَانِيهِ وَقُلْتُ أَطَالَ اللَّهُ لِلشَّهِيدِ الْبَقَا
وَأَضْمَرْتُ مِنْهُ لَفْظَةً لَمْ أَبْجُ بِهَا إِلَى أَنْ أَرَى إِظْهَارَهَا لِي مُطْلَقًا
فَإِنْ عَشْتُ أَوْ إِنْ مَتَّ فَإِذَا كُرَّ بِشَارَتِي وَأَوْجِبَ بِهَا حَقًّا عَلَيْكَ مُحَقَّقًا
وَكُنْ لِي فِي الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ حَافِظًا إِذَا مَا اطْمَأَنَّ الْجَنُّبُ فِي مَوْضِعِ الْبَقَا (٢)

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الرِّضِيُّ جَوَابًا عَنْ ذَلِكَ قَصِيدَةً أَوْلَاهَا :

سَدَنْتُ لِهَذَا الرَّمْحِ غَرْبًا قَدْ لَقَا وَأَجْرَيْتُ فِي ذَا الْهِنْدِ وَالنِّي رُونًا (٣)
وَقَدْ بَلَغَ مِنْ طُغُوحِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ أَنْ تَصَوَّرَ نَفْسَهُ خَلِيفَةً ، وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ الْعَبَّاسِيَّ
يَحْسُدُّهُ عَلَى ذَلِكَ ، يَقُولُ :

بِقَرِّ بِفَضْلِي كُلُّ بَابٍ وَحَاضِرٍ وَيَحْسُدُّنِي هَذَا الْعَظِيمُ الْمُحَجَّبُ (٤)
وهكذا فقد كان الرضي عالي الهبة، وكانت نفسه تنازع إلى أمور عظيمة، يجمش
بها خاطرهم وينظمها في شعره، وكان لا يجد من الدهر مساعدة عليها، فيغنى حزناً،
وقد توفي ولم يحقق غرضه ومن ذلك قوله :

مَا أَنَا لِلْعَلِيَاءِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِي مَا كَانَ مِنْ وَالِدِي
وَلَا مَشَتْ بِي الْخَيْلُ إِنْ لَمْ أَطَأْ سَرِيرَ هَذَا الْأَغْلَبِ الْمَاجِدِ (٥)

- (١) أبو إسحاق الصابي، إبراهيم بن هلال بن زهرون، ولد سنة ٣١٢هـ، كان بارعاً في إنشاء الرسائل، خدم الخلفاء والوزراء من بني بويه، وتقلد أعمالاً جليلة، وكان ينوب عن الوزير المهلب في الوزارة، وبينه وبين صاحب بن عباد مراسلات، وتوفي سنة ٣٨٤هـ، وله أشعاره (انظر: معجم الأديباء: ج ٢، ص ٢٠ وما بعدها).
- (٢) ديوان الشريف الرضي: ج ٢، ص ٨٩-٩٠، ورسائل الصابي والشريف الرضي: ص ٣٦-٣٧.
- (٣) ديوان الشريف الرضي: ص ٩٠-٩٢.
- (٤) المصدر نفسه: ج ١، ص ٨٣.
- (٥) المصدر نفسه: ج ١، ص ٢٤٨-٢٤٩، وشرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٤.

ومنه قوله :

لَتَنْظُرُنِي مُشِيحًا فِي أَوَائِلِهِمْ
ويري محمد سيّد كيلاني أنّ الرضويّ قد فشل في الوصول إلى الخلافة لأنه كان
ينتظر المساعدة من البويهيين ، ولكنهم كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية ، ومصالحتهم
كانت تقضى بوجود خلافة اسمية ضعيفة ، وذلك هو ما كان مائلاً في بني العبّاس ،
الذين كانوا يؤلّونهم البويهيين ، ولم يكن لهم من مظاهر الحكم سوى ذكر
أسمائهم ، بينما كان البويهيون يخشون قيام خلافة عربيّة قويّة تقضي على حكمهم ، ولذا
لم يُقدّموا للرضويّ أيّ عونٍ (٢) . ونحن نرى أنّ البويهيين أحجموا عن الاستيلاء على
الخلافة لأنهم كانوا يعتقدون أنّ الناس لن يقبلوا بوجود خليفَةٍ من البويهيين مكان
الخليفة العبّاسي .

وقد حدا طموح الشريف الرضويّ بزكي مبارك إلى الاعتقاد بأنّ هموم المجد في
أشعار الرضويّ كانت أولى بعناية النقاد من البحث عن سرقات أبي الطيّب الغنّبي (٣) .

وكان الرضويّ عفيفاً شريف النفس عالي الهمة ، شديد الالتزام بحدود الدين
وقوانينه ، ولم يقبل من أحدٍ صلة ولا جائزة ، حتى إنّه ردّ صلات أبيه ، وهذا شرفٌ نفس ما
بعده شرف ، وقد كان بنو بويه يجتهدون على قبوله صلاتهم ، فلم يقبل (٤) . ولذا كان
الرضويّ يحظى بالتقدير والإجلال من الوزراء والحكام ، فقد روي أنّه دخل يوماً على فخر
الملك أبي غالب محمد بن عليّ ، فأجلّه وأعظمه ، ورفع منزلته ، وترك ما بيده من الرّقايع
التي كان يعمل بها ، ثمّ أقبل عليه يحدثه إلى أنّ انصرف ، ثمّ دخل بعد ذلك أخوه
الشريف المرتضى ، فلم يعظّمه فخر الملك تعظيمه الرضويّ ، ولم يكرمه إكرامه ، وتشاغل عنه
برقايع كان يقروها ، وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلاً ، ثمّ سأله شيئاً فقضاه له وخرج ،
وعندما سُئِلَ عن سبب ذلك أخرج كتابين ، فإذا في أحدهما أنّ الرضويّ كان قد اتّصل
بالوزير يخبره أنّه ولد له ولدٌ ، فأرسل له الوزير ألف دينار ، وقال : هذه للقبلة ، فردّها

(١) ديوان الشريف الرضويّ : ج ٢ ، ص ٤٤٨ ، وشرح نهج البلاغة : ج ١ ، ص ٣٥ .

(٢) أثر التشيع في الأرب المربويّ : ص ١٤٢ .

(٣) عبقرية الشريف الرضويّ : ص ٢٢٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة : ج ١ ، ص ٢٣ ، وانظر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : ص

٢١٣ ، والكنى والألقاب : ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

الرّضويّ وكتب إليه هذا الكتاب يعتذر فيه عن رده الدنانير ومما جاء فيه أنّهم أهل البيت لا يطّلع على أحوالهم قابلة غريبة، لأنّ عجائزهم هُنّ اللواتي يتولّين ذلك، ولا يأخذن أجره ولا يقبلن صلة. أمّا المرتضى فقد كانت له أرض، وقد قسط الوزير على أراضي عدد من الناس قسطاً من المال لاستخدامه في حفر أحد الأنهار، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى من التقسيط عشرون ديناراً، قيمتها دينار واحد، فكتب إلى الوزير كتاباً أكثر من مائة سطر يتضمّن من الخُصوع والدّلّ والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم عن أملاكه الشّئ الكثير. (١) يقول محمد مهدي البصير: "وقد لا أغلو إذا لاحظت أنّ كثرة أشغاله العلميّة والأدبيّة والسياسيّة والإداريّة هي التي عجّلت بوفاته (٢)، فمحمد مهدي البصير يريد أن يدلّل على علوّ همة الرّضويّ وشدة تحمّله للمصاعب، ولكنّ هذا القول منه مخالفة صريحة لما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من أنّ الأعمار والآجال محدودة لا تزيد ولا تنقص، حيث قال: "لكلّ أمة أجل، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدّمون" (٣).

ومن فضائل الرّضويّ التي تفرّد بها بين الشعراء أنّه لم ينشد قطّ مدوحاً، من ذلك ما ورد في ديوانه من أنّه بلغه أنّ قوماً من أعدائه أخبروا بهاء الدولة أنّ عادة الرّضويّ قد جرت بإنشاد الخلفاء شعره، ولكنّه لم ينشده لأنّه يتكبّر عليه بترك الإنشاد، فكتب إليه بهذه الأبيات من قصيدة مع كتاب:

جفاتي شجاع إن مدحت وإنما
وماضّر قوالاً أطاع جناتك
وربّ حين في السلام، وقلبه
وربّ وقاح الوجه يحمل كفه
وقخر الفتى بالقول لابن شيدم
لساني إن سيم النسيّد جبان
إذا خانته عند الملوك جنان
وقاح، إذا لقا الجناد طمان
أنامل لم يعرق يهنّ عنان
ويروي فلان مرة وفلان (٤)

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٩-٤٠، وانظر: روضات الجنّات: ج ٦، ص ٣

١٩٥-١٩٦.

(٢) في الأرب العباسيّة: ص ٤٢٩.

(٣) سورة يونس: الآية ٤٩.

(٤) ديوان الشريف الرّضويّ: ج ٢، ص ٥٥٢.

ومن صفات الشَّريف الرُّضِيِّ الذِّكَاةُ وَحِدَّةُ الخَاطِرِ، فقد اتَّصف بذلك منذ الصُّغُر، فقد أُحْضِرَ ولَمَّا بَلَغَ العَاشِرَةَ إلى ابن السِّيرافِيِّ (١)، فَلَقِّنَهُ النَّحْوَ، وبعد مُدَّةٍ بِمِيسِرَةٍ ذَاكِرَهُ ابنُ السِّيرافِيِّ وهو في الحَلْفَةِ بشيءٍ من الإعراب على عَادَةِ التَّعْلِيمِ، فسأله عَنِ عِلاَقَةِ النَّصَبِ فِي قَوْلِنَا: رَأَيْتُ عَمْرًا، فقال الرُّضِيُّ: بِغَضِّ عَلِيٍّ، فعَجِبَ السِّيرافِيُّ والحَاضِرُونَ من ذِكَاثِهِ وَحِدَّةِ زِهْنِهِ (٢).

ثِقَافَتُهُ وَمُصَنَّفَاتُهُ : -

لَمَّا كَانَ الرُّضِيُّ يَنْتَمِي إلى آلِ البَيْتِ كَانَ لا بُدَّ من أن يَتَّقِفَ ثِقَافَةَ دِينِيَّةٍ، ولِذَا نَجِدُ أَنَّهُ تَلَقَّنَ القُرْآنَ الكَرِيمَ، فَحَفِظَهُ فِي مُدَّةٍ بِمِيسِرَةٍ (٣) بعد أن تَجَاوَزَ الثَّلَاثِينَ مِنْ العَمْرِ (٤)، كما عَرَفَ كَثِيرًا مِنَ الفِئَةِ والغَرَايِبِ، وَكَانَ عَالِمًا أَدِيبًا (٥). وَكَانَ الرُّضِيُّ أَيْضًا ذَا مَعْرِفَةٍ وَاسِعَةٍ بِعِلْمِ النَّحْوِ واللُّغَةِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ صَنَّفَهُ فِي مَعَانِي القُرْآنِ (٦) وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَنْتِجَ من شِعْرِ الرُّضِيِّ أَنَّهُ كَانَ لِفَوْيَاً عَظِيمًا، فَهُوَ يَعْتَزُّ بِمَعْرِفَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ وَقَدْرَتِهِ فِي التَّصَرُّفِ بِاللُّغَةِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

أَلَا مَنْ كُنْتُ شَاعِرُهُ فَإِنَّ المَجْدَ شَاعِرُهُ
وَإِنَّ اللَّغْظَ مَطْرُوحُ عَلَى فِكْرِي جَوَاهِرُهُ (٧)

وَقَدْ تَلَقَّى الرُّضِيُّ العِلْمَ عَلَى يَدِ عَدَدٍ مِنَ الشَّيُوخِ، فَقَدْ تَلَقَّى الفِئَةَ عَلَى الشَّيْخِ المَفِيدِ أَبِي عَمْرِو اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ التَّعْمَانِ الفَقِيهِ الإِمَامِ حَيْثُ تَوَلَّى تَعْلِيمَ الرُّضِيِّ وَأَخْبَرَهُ المُرْتَضَى الفِئَةَ (٨)، فَقَدْ كَانَتْ أُمَّهُ شَدِيدَةً العِناية بِتَرْبِيَةِ وَلَدِهَا الرُّضِيِّ والمُرْتَضَى

(١) الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي، وُلِدَ سَنَةَ ٢٩٠ هـ، واشتهر بالنحو واللغة والقراءات والفقه والشعر والكلام، وتوفي سنة ٣٦٨ هـ (انظر: معجم الأديب: ج ٨، ص ١٤٥ وما بعدها).

(٢) الوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٣٧٥، وإنهاء الرواة: ج ٣، ص ١١٤، وتتممة المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٤٩٤.

(٣) إنهاء الرواة: ج ٣، ص ١١٥، وشذرات الذهب: ج ٣، ص ١٨٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٣.

(٥) المصدر تقييده بالجزء والصفحة نفاها، والنجوم الزاهرة: ج ٤، ص ٢٤٠.

(٦) شذرات الذهب: ج ٣، ص ١٨٣، وانظر: سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٢٨٦.

(٧) ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ٤٥٨.

(٨) شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٤١، وانظر: البداية والنهاية: ج ١٢، ص ١٥.

منذ الصّفر، ورُوِيَ أَنَّ الشَّيْخَ المَفِيدَ، رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدٍ بِالكَرْخِ، وَمَعَهَا وَلَدَاهَا الحَسَنُ والحُسَيْنُ صَغِيرَيْنِ، فَسَلَّمَتْهُمَا إِلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ: عَلَّمْتُهُمَا الفِئَةَ. فَانْتَبَهَ مُتَعَجِّباً مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا تَعَالَى النَّهَارُ فِي صَبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي رَأَى فِيهَا الرُّوْءَا دَخَلَتْ إِلَيْهِ المَسْجِدَ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّاصِرِ وَحَوْلَهَا جَوَارِيهَا وَبِئْنَ يَدَيْهَا ابْنَاهَا مُحَمَّدُ الرَّضِيُّ وَأَخُوهُ المَرْتَضَى صَغِيرَيْنِ، فَقَامَ إِلَيْهِمَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهَا أَحْضَرَتْ لَهُ وَلَدَيْهَا كَيْ يُعَلِّمَهُمَا الفِئَةَ، فَبَكَى الشَّيْخُ المَفِيدُ وَقَصَّ عَلَيْهَا المَنَامَ، وَتَوَلَّى تَعْلِيمَهُمَا الفِئَةَ (١).

وَقَرَأَ الرَّضِيُّ القُرْآنَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّبْرِيِّ الفِئَةَ المَالِكِيَّةَ (٢) فَسَأَلَهُ يَوْمًا بِقَوْلِهِ: أَيُّهَا الشَّرِيفُ، أَيْنَ مَقَامُكَ؟ فَقَالَ: فِي دَارِ أَبِي بَبَابِ المَحْوَلِ. فَقَالَ لَهُ: مِثْلُكَ لَا يُقِيمُ فِي دَارِ أَبِيهِ، فَأَعْطَاهُ دَارًا فِي الكَرخِ فَاثْتَمَعَ الرَّضِيُّ، وَقَالَ: لَمْ أَقْبَلْ مِنْ غَيْرِ أَبِي قَطُّ شَيْئًا. فَقَالَ لَهُ: حَقِّي عَلَيْكَ أَعْظَمُ لِأَنَّي حَقَّقْتُكَ كِتَابَ اللهِ، فَقبلها (٣).

وَمِنْ شُيُوخِ الرَّضِيِّ ابْنُ السِّيرَافِيِّ أَيْضًا فَقَدْ تَلَقَّى عَلَى يَدَيْهِ النَّحْوُ مِنْ الصَّفَرِ (٤)، وَمِنْ شُيُوخِهِ أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ الخَوَارِزْمِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى (٥)، فَقَدْ دَرَسَ عَلَيْهِ الفِئَةَ (٦)، وَعَمْرُ بْنُ إِبرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الكِنَانِيِّ (٧)، فَقَدْ ذَكَرَ الرَّضِيُّ فِي المَجَازَاتِ النُّبُوَّةِ "أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ الكَرِيمَ بِرُؤْيَاتٍ كَثِيرَةٍ (٨). وَمِنَ العُلَمَاءِ المَشْهُورِينَ الَّذِينَ تَلَمَّذَ لَهُمُ الرَّضِيُّ أَبُو الفَتْحِ

(١) شرح نهج البلاغة ج ١، ص ٤١.

(٢) أبو إسحاق الطبري، قرأ القرآن، وسمع الكثير من الحديث، وكان فقيهاً على مذهب مالك، كما كان كريماً، وتوفي سنة ٣٩٣ هـ. (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:

ج ٧، ص ٢٢٣).

(٣) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسهما.

(٤) الوافي بالوفيات ج ٢، ص ٣٧٥، وإنباه الرواة ج ٣، ص ١١٤.

(٥) محمد بن موسى الخوارزمي أبو بكر، شيخ أهل الرأي وفقهائهم، انتهت إليه الرئاسة في مذهب أبي حنيفة، كان معظماً عند الملوك، معظماً في التدريس والفنون، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ. (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ص ٢٦٦، والكامل في

التاريخ ج ٩، ص ٢٤٢).

(٦) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٧، ص ٢٦٦.

(٧) عمر بن إبراهيم بن أحمد الكناني، ولد سنة ٣٠٠ هـ، وكان مقرئاً بارعاً، ثقة، ينزل

ناحية نهر الدجاج من بغداد وتوفي سنة ٣٩٠ هـ. (انظر: المصدر

نفسه ج ٧، ص ٢١١).

(٨) المجازات النبوية ص ٣٢.

عثمان بن جني (١) ، فقد أخذ عنه اللغة والأدب ، وذكره في كتابه "المجازات النبوية" (٢) ،
و "تلخيص البيان في مجازات القرآن" (٣) . ومن أساتذة الرضي أيضا أبو القاسم
عيسى بن علي بن داود الجراح (٤) ، فقد أخذ عنه الحديث (٥) .

وقد كان للرضي بعض التلاميذ ، وكان منهم مهيار الدلمي الشاعر أبو الحسن
مهيار بن مرزويه ، الذي قيل إنه أسلم على يدي الرضي ، وتخرج عليه في نظم الشعر (٦) .

وقد ألف الرضي عدداً من المصنفات ، منها : كتاب في "معاني القرآن" يدل على
توسعه في علم النحو واللغة (٧) ، و "المتشابه في القرآن" ، و "سيرة والده الطاهر" ،
و "شعر ابن الحجاج" : و "أخبار قضاة بغداد" ، و "رسائله" ثلاثة مجلدات (٨) ، و
"تعليق خلاف الفقهاء" ، و "خصائص الأئمة" و "مختار شعر أبي إسحاق الصاهبي"
وكتاب "ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل" ثلاثة مجلدات .

وللشريف الرضي عدد من الكتب المطبوعة منها :

أ - المجازات النبوية : وهو كتاب جامع لثلاثمائة وستين حديثاً نبوياً من أواسد
الرسول الكريم وجوامع كلمه ، شرحها الشريف الرضي ، وحقق رواياته محمود مصطفى ، طبع
بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

-
- (١) عثمان بن جني ، أبو الفتح النحوي ، كان أبوه مملوكاً رومياً ، وكان عثمان عالماً بالنحو
والتصريف ، وله شعر جيد ، وتوفي سنة ٣٩٢ هـ (انظر : معجم الأرباب ، ص ٨١ - ٨٥) .
 - (٢) انظر : المجازات النبوية : ص ٦٠ .
 - (٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن : ص ١٤٨ .
 - (٤) عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، أبو القاسم ، ولد في رمضان سنة
٣٠٢ هـ ، وأملى الحديث وكان عالماً بالمنطق ، وتوفي سنة ٣٩١ هـ . (انظر : المنتظم
في تاريخ الملوك والأمم : ج ٧ ، ص ٢١٨) .
 - (٥) انظر : المجازات النبوية : ص ١١٨ .
 - (٦) وفيات الأعيان : ج ٥٥ ، ص ٥٩ .
 - (٧) إنباه الرواة : ج ٣ ، ص ١١٥ ، وشذرات الذهب : ج ٣ ، ص ١٨٣ ، وروضات الجنات :
ج ٦ ، ص ١٩٣ .
 - (٨) الوافي بالوفيات : ج ٢ ، ص ٣٧٥ ، وانظر : عمدة الطالب : ص ١٧ .
 - (٩) الدرجات الرفيعة : ص ٤٦٧ .

- ب - تلخيص البيان في مجازات القرآن، طبع في القاهرة، سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م
- ح - رسائل الصنابي والشريف الرضي، حققه محمد يوسف نجم، وطبع في الكويت ضمن سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، سنة ١٩٦١م.
- د - نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، شرح الإمام محمد عبده، تحقيق عبدالعزيز شيد الأهل، وهو في أربعة أجزاء، وطبع في بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٨م.
- هـ - ديوان شعره، يقع في مجلدين، طبع في بيروت.

ومن ملاحظة هذه المصنّفات التي صنّفها الرضي يتبيّن لنا أنّه كان ذا ثقافة واسعة وأنّه كان مثقفاً ثقافةً دينيةً ولغويةً وبلاغيةً وأدبيةً، ألّف في جوانب الثقافة المعروفة في عصره ممّا أفسح له آفاقاً خيصةً واسعةً للإنتاج والتفكير.

شاعريته:

نلاحظ من دراستنا أشعار الشريف الرضي أنّه كان ذا موهبة شعرية فذة، فقد تفتحت مواهبه وتفجرت قدراته وهو طفل صغير، إذ بدأ ينظم الشعر وله من العمر تسع سنين (١). وقد كانت شاعرية الرضي محط أنظار نقاد الأرب السابقين، حتى لقد وصف بأنه أشعر الطالبين بل أشعر قريش. يقول الثعالبي: "وهو أشعر الطالبين من مضي منهم ومن غير على كثرة شعرائهم المغليّين... ولو قلت أنّه أشعر قريش لم أهدم عن الصدق" (٢). وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أنّه قيل: إنّ الرضي أشعر قريش، ذلك أنّه كان في قريش من يجيد القول إلّا أنّ شعره قليل، فأثاماً مجيدٌ كثيرٌ فلمس إلّا الشريف الرضي (٣).

(١) العبر في خبر من غير حج ٣، ص ٩٥.

(٢) يتيمة الدهر حج ٣، ص ١٣١.

(٣) تاريخ بغداد حج ٢، ص ٢٤٦، والمحمدون من الشعراء: ص ٢٤٤، وانظر: المنتظم في تاريخ الطوك والأمم حج ٧، ص ٢٨٠، والبداية والنهاية حج ١٢، ص ٣.

وقد أشقّ الباخريزيّ على الرضّيّ، ووصف شعره وصفاً رائعاً، فقال: "وله شعر إذا
أفتخر أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسبت الرقة إلى نسيبه،
وفاز بالقدح المعلن من نصبه، حتى لو أنشد الراوي غزلياته بين يدي العزّهة (١) لقال
له: من العزّهة هات، وإذا وصّف فكلّامه في الأوصاف أحسن من الوصائف والوصّاف، وإن مدح
تحيرت فيه الأوهام بين مادح ومدوح. له بين المتراهنين في الحلّتين سبق سابق—
مروح، وإن نثر حمدت منه الأثر... ولعمري إنّ بغداد قد أنجبت به فيوآته ظلالها،
وأرضعت زلالها، وأنشقت شخالها، وورد شعره رجليتها، فشرّب منها حتى شرق، وانغمس
فيها حتى كاد أن يقال غرق، وكلّما أنشدت محاسن كلامه، تنزّهت بغداد في نظرة نعمها،
وانشقت من أنفاس المهجير بمراوح نسيمها (٢).

وبتبيين لنا من النظر في ديوان الرضّيّ أن موضوعات شعره متعدّدة، فقد نظّم
في مختلف الفنون الشعريّة المعروفة، ولكنه أبدع في بعض الأغراض، وكان لذلك أسباب
خاصّة، فقد أبدع في الفخر، وذلك يعود إلى أنّه كان كريم الأصل عريق النسب ينتمي
إلى آل البيت الكرام، فإذا ما فخر فإتته بشعر بفخر حقيقيّ بأناس ينتمون إلى سبط الخليفة
محمد عليه الصّلاة والسّلام، وما بعد هذا الشرف من شرف.

وأبدع الرضّيّ في الرثاء أيضاً، وهذا يعود إلى العاسي والالام التي أصابت آل
البيت، والنكبات والمصائب التي حلّت بهم، ممّا كان سبباً في إثارة أشجان الشاعر، وتعميق
أحزانه، فأصبح قلبه مكلوماً، والمكلم لا ينطق بفخر الأنين، والأسى، كما أنّه يعكنا أن نرجع
براعة الشريف الرضّيّ في الرثاء إلى ما كان يشعر به من الإحباط وخيبة الأمل، لأنّ الحظّ
لم يساعده، والدنيا تنكرت له، فلم يصل إلى ما كان يطمح إليه من آمال وأهداف، ممّا
جعله منكسر النفس حزينا يرى أجداده تكالبت عليهم عوادي الزمن وأخذ منهمها هم أهل له وأحق
به وهو الخلافة، ولهذا برع في الرثاء إلى حدّ بعيد ممّا جعله يميّز في رثائه بطول
النفس، فنظم القصائد الطويلة التي تسيل منها العبرات، وتطفح بلواعج الأحزان مما حمل

(١) العزّهة: اللثيم. (انظر: لسان العرب، مادة عزه).

(٢) دمية القصر ج ١، ص ٢٨٩-٢٩٠.

الشعاليبي على القول : "ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه" (١)
وقد تحدثنا عن أغراض شعر الرضوي في الفصل الأول، وذلك ضمن حديثنا عن أغراض
شعر الشيعة، لذا فإننا لن نعيد الحديث عن أغراض شعره هنا، وإنما نركز على تشييعه،
وانعكاس ذلك التشيع في بعض أشعاره.

لقد قال الرضوي أشعاراً في قومه آل البيت، وربما كان أبرع شعراء الشيعة ففي
تصوير الآمهم وما سبهم في شعره، فترك لنا شعراً في رثاء الحسين بن عليّ يتسم بصدق
العاطفة، وقوتها، ولعل ذلك يعود إلى ما أصاب الرضوي من الرهبة بسبب ما كان يحدث
في حيّ الكرخ ببغداد من السلب والنهب والقتل وإراقة الدماء، كما يعود ذلك أيضاً إلى
ما مرّ بالرضوي من الظروف القاسية التي أدت إلى فراق أبيه وهو صغير لا يستطيع تحصيل
قوته (٢).

ومن القصائد المؤثرة التي تفيض حسرةً ولوعةً وتتميز بجمال التصوير ودقته، وتكشف
لنا عن تشيع الشاعر وحزنه العميق لِمَا أصاب أهله آل البيت، قصيدة يرثي بها جده الحسين
وأصحابه الذين معه يقول :

كربلا لا زلتِ كرباً وبـ	مآلقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لعا صرعو	من دم سأل ومن دم جرى
كم حصان الدهل يروي دمها	خدها عند قتيل الظما
تسح التراب على أعجالها	عن طلى نحر رميل بالدم
وضيوف لغللة قفـ	نزلوا فيها على غير قري
لم يدؤوا العاء حتى اجتمعوا	يحدى السهف على وزير الردى
تكسيف الشمن شمساً جنهم	لا تدانها ضياءً وعلسى

(١) بيتمة الدهر: ج ٣، ص ٣٤٤.
(٢) الأرب في ظلّ بني بؤبه: ص ١٨٠.

وَتَنُوشُ الْوَحْشُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ أَرْجُلَ السَّبْقِ وَأَيْمَانَ النَّدَى
وَوُجُوهًا كَالْمَصَابِيحِ ، قَمِيْرِنَ قَمْرٍ غَابَ ، وَنَجْمٍ قَدْ هَوَى
غَيْرَتَهُنَّ اللَّيَالِي ، وَغَدَا جَائِرَ الْحُكْمِ عَلَيْهِنَّ الْبَلَى (١)

بهذه الأبيات بدأ الرضّي قصيدته متحدّثاً عن وقعة الطفّ عند كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن عليّ رضي الله عنه، فقد بدأها بمخاطبة كربلاء، خالِعاً عليها اسماً يتناسبُ وأحزانه الكبيرة، فبِئْسَ أُنْتَهَا كَرْبٌ وَبِلَاءٌ، ويسألها مسألة العارف عمّا لقي عندها آل الرسول الكريم، ثم أخذ في عَرْضِ ما جرى فيها مُستخدِماً "كم الخبرية" للدلالة على التكثير. وهو يرسم لنا في هذه الأبيات صورة حَيَّةً مَوْثِرَةً، ويصف ما لحق بآل البيت وصفاً مُشيراً يبعث على الإشفاق عليهم، فقد صرَعُوا تحتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، تعرّفهم الرمال، وتَنُوشُهُم الوحوش، وَقَضُوا عِطَاشًا لَمْ يَذُقُوا فَطْرَةَ مَا.

وبأتي الشاعر بصورة حَيَّةً مَوْثِرَةً هي صورة الغتبات العفيفات الجميلات، وهنّ يبكين الحسين ويمسحن الدّماء عن نحره، وقد حَلَّتْ العصائب بآل البيت وتنكر لهم الدّهسر، فنالهم منه الحيف والظلم.

وبعد هذا التصوير البارِع لما حلَّ بالحسين وأتباعه في كربلاء ينتقل الشاعر إلى مخاطبة الرسول الكريم بكلام يقطر حزناً ولوعةً، واصفاً ما جرى لهم في كربلاء مُفضّلاً فيه، وذلك كي يفرغ ما في نفسه من أحزان والآم، فيفرّج عن نفسه قليلاً، ويخفف بعض ما يشعر به، فيذكر أنّ فريقاً منهم خَرَّ صريعاً، وفريقاً سُبِي وسِيقَ في الحَرِّ الشَّدِيدِ واللَّهَبِ اللَّالِحِ والعطشِ المُهِيتِ، فكانَ بعضهم يمشى عَائِراً خَلْفَ مَنْ كَانَ مَحْمُولاً مِنْهُمْ عَلَى رِوَابِ رُونَ وَطَاءٍ لَهَا وَكَانُوا مُنْهَكِينَ مُتَعَبِينَ، وهكذا فقد كانوا على هَيْئَةٍ تُبْهِرُ الشَّجَى وَالْأَسْسَى، يقولُ :

بَارِسُوَلِ اللّٰهٖ ، لَوْ عَابَنَتْهُمُ وَهَمَّ مَا بَيْنَ قَتْلَى وَسَبَا
مِنْ رَمِيضٍ يُنْمَعُ الظَّلْمُ ، وَمِيْنُ عَاطِشٍ يُسْقَى أَنَا يَهَبُ الْقَنَا (٢)

(١) ديوان الشريف الرضّي ج ١، ص ٤٤.

(٢) الرميض: من رمضت قدمه أي احترقت من الأرض الشديدة الحرّ (انظر: القاموس المحيط، مادة الرمض).

وَمَسُوقٍ عَائِرٍ يُسْقَى بِسِهِ خَلْفًا مَحْمُولٍ عَلَى غَيْرِ وَطْأِ
مُتَعَبٍ يَشْكُو أَدَى السَّيْرِ عَلَى نَقَبِ الْمَنِيمِ مَجْرُولِ الْمَطْأِ (١)
لَرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَنظَرًا لِلْحَسَى شَجْوًا وَلِلْعَيْنِ قَدَى (٢)

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى تفریع هذه الأمة الفادرة بنبيها، واصفا إياها بأنها
أمة البقي والطغيان، فقد عرس الرسول الكريم لهم المجد، ولكنهم أنكروا الجميل، فكافأوه
شر المكافأة وجزوه شر الجزاء، فذبحوا أهله كما تُذبح الأضاحي، وساقوا النساء كما تساق
الاماء، ساقوهن متعبات مكشوفات للناس يستغثن بجد هن الرسول الكريم، يقول:

لَيْسَ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِمَا أُمَّةَ الطُّغْيَانِ وَالْبَهِي جَسْرًا
عَارِسٍ لَمْ يَأُلْ فِي الْفَرَسِ لَهُمْ فَأَذَا قُوا أَهْلَهُ مَرَّ الْجَنَاسِ
بَجَزْوِ جَزْرِ الْأَضَاحِي نَسَلَهُ ثُمَّ سَاقُوا أَهْلَهُ سَوِّقَ الْأَمَا
مُعْجَلَاتٍ لَا يُوَارِيَنَّ ضَحَى سُنَّ الْأَوْجِهِ أَوْ بِيضِ الطَّلَاسِ (٣)
هَاتِفَاتٍ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي بُهْرِ السَّعْيِ وَعَثْرَاتِ الْخَطَاسِ (٤)
يَوْمَ لَا كِسْرَ حِجَابٍ مَا يَنْعُ بِذَلَّةِ الْعَيْنِ وَلَا ظِلَّ حَبَّاسِ (٥)
أَدْرَكَ الْكُفْرُ بِهِمْ تَارَاتِيهِ وَأَزِيلَ الْعَمَى مِنْهُمْ فَاشْتَفَى (٦)

وبعد ما يُفرد الشاعر أبياتا لوصف الحسين وراثته، فقد قوّضت عمدة الدين بقتله،
ولم يردع قتلته علمهم أنه خامس أصحاب الكساء الذين ألقى الرسول الكريم عليهم كساءه (٧)
وقد خرّ صريعاً، ولم يُغسل ولم يكفن، وإنما غسل بد مائه، وكفن بالتربة الرخوة. ويصوره

- (١) نقب المنسم: رفته، والنسم: حُفّ البعير، استعاره للمتعب. المجزول: المقطوع
من جزله بالسيف إذا قطعه. والمطا: الظهر. (انظر: القاموس المحيط، مادة
النقب، ومادة النسم، ومادة الجزل، ومادة مطا).
(٢) ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ٤٤-٤٥.
(٣) سنن الوجه: دوائره، أو الجبهة، واحدتها سُنَّة. (انظر: القاموس المحيط: مادة
السُّنُّ).
(٤) البهر: انقطاع النفس من الاعياء. (انظر: لسان العرب: مادة بهر).
(٥) البذلة: مالا يمان من الشباب، والابتذال، ضد الصيانة، ويقصد ببذله العين تكشف
النساء. (انظر: القاموس المحيط: مادة البذل).
(٦) ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ٤٥.
(٧) انظر: شرح قصيدة الصاحب بن عباد: ص ١٨٩).

الرضي تصويراً محزوناً، فهو مرهق، ليس له ناصر ولا معين، يدعو الله تعالى مستنصراً به ومستغيثاً بجده محمد عليه الصلاة والسلام، وبأبيه عليٍّ وأمه فاطمة الزهراء، يقول :

عُمَدَ الدِّينِ وَأَعْلَامَ الْهُدَى	يَا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرُ بِهِ
أَنَّهُ خَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَا	قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمْ
شَدَّ لِحْيَيْنِ وَلَا مَسَدٌ رَدَا (١)	وَصَرِيحاً عَالِجَ الْمَوْتِ بِهَلَا
كَفَنُوهُ غَيْرَ بَوَغَاءِ الثَّرَى (٢)	عَسَلُوهُ بِدَمِ الطَّمَنِ وَمَا
بِأَبِ بَرٍّ وَجَدِي مُصْطَفَى	مُرْهَقاً يَدْعُو، وَلَا عَوْتَ لَسَهُ
عَلِمَا مَا بَيْنَ نُسْوَانِ السُّورَى	وَبِأَمِّ رَفَعِ اللَّهُ لَهَا
جَدًّا، يَا جَدًّا، أَغْشِي يَا أَبَا	أَيِّ جَدِّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرْتَضَى	يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةَ
بِانْقِلَابِ الْأَرْضِ أَوْ رَجْمِ السَّمَاءِ (٣)	كَيْفَ لَمْ يَسْتَعْجِلِ اللَّهُ لَهُمُ

ثم يعود الرضي بعد ذلك إلى رثاء أصحاب الحسين، مازجاً ذلك برثاء الحسين، يقول :

فَعَلُوا فِعْلَ * يَزِيدِ * مَا عَادَا (٤)	لَوْ يَسْبِطُنِي قَيْصَرٌ أَوْ هِرَقَلٌ
عُرِقَتْ مَا بَيْنَهُمْ عُرْقَ الْمِيَدَى (٥)	كَمْ رِقَابٍ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ
سَلَّمَ الْأَبْرَقِ أَوْ طَلَحَ الْعُزْرَى	وَاخْتَلَاهَا السَّيْفُ حَتَّى خَلَّتْهَا
جَدُّهُ الْأَكْرَمَ طَوْعاً وَإِيسَاءً	حَمَلُوا رَأْساً يُصَلُّونَ عَلَيَّ

- (١) اللحي : منبت شعر الخدين، وهما اللحيان . (انظر: القاموس المحيط: مادة اللحية) ، ويريد يشد اللحيين ومآل الردا الغسل والتكفين .
- (٢) الهوغاء: التربة الرخوة . (انظر: المصدر نفسه : مادة الهوغاء)
- (٣) ديوان الشريف الرضي : ج ١، ص ٤٥-٤٦ .
- (٤) عداء عن الأمر: صرفه، وعداء عنه جاوزه وتركه . (انظر: القاموس المحيط: مادة ^عع) ، ويريد بعداً: ترك حقه .
- (٥) عُرِقَتْ : أزيل لحمها، وميَدَى : جمع ميديّة - مثلثه - وهي الشفرة . (انظر: المصدر نفسه : مادة العرق، ومادة المدي) .

- يَتَبَاهَى بَيْنَهُمْ لَمْ يَنْقُضُوا
مَيِّتٌ تَبَيَّنَ لَهُ فَاطِمَتَةٌ
لَوْ رَسُولُ اللَّهِ يَحْمَا بِمَعْدَهُ
مَعَشَرَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَالْ
صِهْرُهُ الْيَأْدِلُ عَنْهُ نَفْسَهُ
أَوَّلُ النَّاسِ إِلَى الدَّاعِي الَّذِي
ثُمَّ سَيْطَانُ الشَّهِيدَانِ فَذَا
وَعَلِيٌّ، وَابْنَةُ الْبَاقِرِ، وَالضُّ
وَعَلِيٌّ، وَأَبُوهُ وَابْنُكُمْ
يَا جِبَالِ الْمَجْدِ عِزًّا وَعُلا
جَعَلَ اللَّهُ الَّذِي نَاهَكُمْ
لَا أَرَى حُزْنَكَ يُنْسَى وَلَا
قَدْ مَضَى الدَّهْرُ وَعَقَى بِعَدُوكُمْ
أَنْتُمْ الشَّاقُونَ مِنْ دَائِ الْعَمَى
نَزَلَ الدِّينَ عَلَى بَهْتِكُمْ
أَيْنَ عَنْكُمْ لِلَّذِي يَبْغِي بِكُمْ
أَيْنَ عَنْكُمْ لِمَضَلِ طَالِبِ
أَيْنَ عَنْكُمْ لِلَّذِي يَرْجُو بِكُمْ
- (١) عَمَّ الْهَامِ وَلَا حَلَّوْا الْخُبَى
وَأَبُوهَا وَعَلِيٌّ ذُو الْعُلَى
قَعَدَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ لِلْعَمَزَا
كَأَيْفُ الْكَرْبِ إِذَا الْكَرْبُ عَرَا
وَحَسَامُ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْوَفَى
لَمْ يَقْدَمْ غَيْرُهُ لَمَّا دَعَا
بِحَسَا الشَّمِّ وَهَذَا بِالظُّهَى
صَادِقُ الْقَوْلِ وَمُوسَى وَالرِّضَا
وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الْقَوْمَ غَدَا (٢)
فَيُدُّوهُ الْأَرْضِ نُورًا وَسَنَا
سَبَبَ الْوَجْدِ طَوِيلًا وَالْبُكََا
رُزْءُكُمْ يُسَلَّى، وَإِنْ طَالَ الْعَدَى
لَا الْجَوَى بَاخٌ وَلَا الدَّمَعُ رَقَا (٣)
وَعَدَا سَاقُونَ مِنْ حَوْضِ السَّرَا
وَتَخَطَى النَّاسَ طَرًّا، وَطَوَى
ظَلَّ عَدْنٌ دُونَهَا حَرٌّ لَطَى
وَضَحَ السُّبُلِ وَأَقْمَارَ الدَّجَى
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَوْزًا وَنَجَا (٤)

بين الرضى في هذه الأبيات عظيم ما فعلته هذه الأمة بسبطي الرسول الكريم، فلو كان
هذا السبطان سبطي هرقل، ما فعل بهم أكثر مما فعل، ثم يشير إلى كثرة من قتل

- (١) الخبي : الواحدة حبة (مثلثة) ، وهي الاشتغال بالشوب ، أو الجمع بين الظهر
والساقين . (انظر : القاموس المحيط : مادة حبا) . ويقصد أنهم لم يكبروا
المصاب ، ولم ينهضوا إجلالا .
(٢) الذي ينتظر القوم غدا : أي المهدي المنتظر .
(٣) الجوى : الحزن ، وباخ : سكن . (انظر : المصدر نفسه ، مادة : الجوى ، ومادة
باخ) .
(٤) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٤٦ - ٤٨ .

مِنْ نَسَلِ فَاطِمَةَ ، فَأَلْمُوهِيُونَ حَمَلُوا رَأْسَ الْحُسَيْنِ سَيْطِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ الْفَقِيدُ الَّذِي
 لَوْ كَانَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ حَيًّا لَعَزِي بِهِ ، ثُمَّ يَمْدَحُ عَلِيًّا مُشِيرًا إِلَى اسْتِشْهَائِهِ ابْنَتِهِ الْحَسَنِ
 وَالْحُسَيْنَ ، وَاحِدًا بِاللَّسْمِ وَهُوَ الْحَسَنُ ، وَالْآخَرَ بِالْقَتْلِ بِالسَّيْفِ ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ ، وَبَعْدَ هَذَا
 يَتَّبِعُ الشَّهَادَةَ ، وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَالْبَاقِرُ ، وَالصَّادِقُ ، وَمُوسَى ، وَابْنُهُ عَلِيُّ الرَّضَا .
 وَيَبِينُ أَنَّ حَزَنَهُ لَمَوْتِ هَؤُلَاءِ الرَّجَالِ حَزَنٌ طَوِيلٌ ، لَا يُمْكِنُ نَسْيَانُهُ لِأَنَّهُمْ جِبَالُ الْمَجْدِ فِي
 الْعِلَاءِ وَالْعِزِّ ، وَيُدْوِرُ الْأَرْضَ الَّذِينَ يَنْهَرُونَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ . وَتَجِدُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْعَاطِفَةَ
 الدِّينِيَّةَ تَتَأَجَّجُ لَدَى الشَّاعِرِ ، فَيَمْدَحُ آلَ الْبَيْتِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الدِّينُ ،
 وَتَرَكَ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ ، فَلَا غِنَى عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِكُلِّ مَنْ يَرْجُو الْفَوْزَ وَالنَّجَاةَ .
 وَيَخْتَمُّ الشَّاعِرُ قَصِيدَتَهُ بِمِزْيَا نَفْسِهِ بِأَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ سَيَقِفُ خَصَمًا لِأُولَئِكَ الْفَادِرِينَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَشْكُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنََّّهُمْ بَدَّلُوا دِينَهُ ، وَهَدَمُوا عِرَاءَهُ ، وَقَتَلُوا أَهْلَهُ ،
 وَيَرْجُو اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُنْصِفَهُ مِنْهُمْ . يَقُولُ الرَّضِيُّ :

يَوْمَ يَمْدُو وَجْهَهُ عَنِ مَعَشَرِ	بِعُرْضًا مُسْتَنْعَاً عِنْدَ اللَّقَا
شَاكِيًا مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَهَلْ	يُفْلِحُ الْجَهْلُ الَّذِي مِنْهُ شَكَا
رَبِّ ، مَا حَامُوا وَلَا آوُوا وَلَا	نَصَرُوا أَهْلِي وَلَا أَغْنَوْا غَنَا
يَدْلُوا بِبَنِي وَنَالُوا أَسْرَتِي	بِالْعَظِيمَاتِ وَلَمْ يَرْعُوا أَلْسِي (١)
لَوْ وَلِي مَا قَدْ وَلُوا مِنْ عِثْرَتِي	قَائِمُ الشَّرِكِ لَا بَقِيَ وَرَعَسِي
نَقَضُوا عَهْدِي وَقَدْ أَبْرَثْتُهُ	وَعَرَى الدِّينِ قَمَا أَبْقُوا عُسْرِي
حُرْبِي مُسْتَرِدَّاتٍ ، وَبَنُو	بِنْتِي الْأَدْنَوْنَ زُبْحُ لِيْلِعِدِي
أَثْرِي لَسْتُ لَدَيْهِمْ كَأَمْرُؤِ	خَلْفُوهُ بِجَمِيلٍ إِذْ مَقَسِي
رَبِّ إِنِّي الْيَوْمَ خَصَمٌ لَهُمْ	جِئْتُ مَظْلُومًا وَذَا يَوْمِ الْقَضَا (٢)

وَهَكَذَا نَجِدُ الرَّضِيَّ قَدْ صَبَّ مِشَاعِرَهُ الْحَزِينَةَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَبَعْدَ الشَّاعِرِ
 فِيهَا كَهَيْئًا مُنْفَطِرِ الْفَوَائِدِ مُضْطَرِبِ النَّفْسِ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ هَذَا الْاضْطِرَابُ فِي الرَّثَاءِ

(١) الألى : التَّعَمُّة . (انظر: القاموس المحيط: مادة الألمية) .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ج (١) ص ٤٨٠ .

فهو يرثي الحسين، ثم ينتقل إلى رثاء أصحابه، ثم يعود إلى رثاء، ثم يرثيهم، وهكذا لا يستقر على نبط واحد يستوفي فيه رثاء الحسين، ثم ينتقل إلى رثاء أصحابه، وإنما يمزج رثاءهم بعضه ببعض، وهذا ناجم عما كان يشعر به الرضي من الصيق الشديد والحزن العميق عندما وقف يرثي جده الحسين. ونلمح هذا الاضطراب والحزن من هذا التنوع في الصيغ المستخدمة، فالشاعر ينتقل بسرعة بين صيغ متعددة من الكلام، فيستخدم النداء، والإخبار، والدعاء، والتمني والاستفهام الذي يستخدمه لأغراض عديدة منها النفسي.

ولم يكن رثاء آل البيت المجال الوحيد الذي ظهر فيه تشييع الرضي بوضوح وجلالة، وإنما ظهر تشييعه أيضاً في المدح، ومن ذلك قوله مادحاً آل البيت، من قصيدة، يقول:

وَمَا الْمَدْحُ إِلَّا فِي النَّبِيِّ وَالْإِيهِ	بِرَامُ، وَبَعْضُ الْقَوْلِ مَا يُتَجَنَّبُ
وَأَوْلَى بِمَدْحِي مَنْ أَعَزُّ بِفَخْرِهِ	وَلَا يَشْكُرُ النِّعْمَاءَ إِلَّا الْمُهَذَّبُ
أَرَى الشَّعْرَ فِيهِمْ بَاقِيًا وَكَأَنَّمَا	تُحَلِّقُ بِالْأَشْعَارِ عَنَقَاءُ مُغْرِبِ (١)
وَقَالُوا عَجِيبٌ عَجِبْتُ لِي بِنَفْسِهِ	وَأَيْنَ عَلَى الْأَهَامِ مِثْلُ أَبِي أَبُ
لَمَمْرُكَ مَا أَعْجَبْتُ إِلَّا بِمَدْحِهِمْ	وَيُحْسَبُ أَنْيُّ بِالْقَصَائِدِ مُعْجَبُ
أَعِدُّ لِفَخْرِي فِي الْمَقَامِ مُحْتَدًا	وَأَدْعُو عَلَيًّا لِلْعُلَى حِينَ أَرْكَبُ (٢)

في هذه الأبيات يمدح الرضي آل البيت، ويبيّن أنهم أولى الناس بمدحه، لأنه يعزّ بانسابه إليهم، وهم أهل للمدح، ولذا يبقى الشعر فيهم خالداً باقياً. فالرضي لا يعجب بقصائده - إن اعتقد الناس ذلك - وإنما يعجب بالبيت، وفي مقدّماتهم الأب الذي ليس مثله أب وعمو الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويتجلى تشييع الشريف الرضي في غرض آخر من أغراض شعره، وهو الفخر، فقد افتخر بالبيت، وبوالده عليّ بن أبي طالب، وبجده الرسول عليه الصلاة والسلام، يقول من قصيدة:

(١) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم. (انظر: القاموس المحيط: مادة العنق).

(٢) ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ١١٢.

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالرَّيِّدِي ،
 وَجَدِّي النَّبِيِّ فِي آهَائِهِ
 فَمَنْ كَأَجْدَادِي إِذَا نَسَبْتَنِي
 مِنْ هَاشِمٍ أَكْرَمَ مِنْ حَجِّجٍ ، وَمَنْ
 قَوْمٌ لَا يُدِيهِمْ عَلَى كُلِّ يَدٍ
 فَوَارِسُ الْفَارَاتِ لَا يُطْرِبُهُمْ
 حَزَّ الرَّقَابِ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ
 عَلَا نُرَى الْعَلْيَاءِ وَالْكَوَاهِلِ
 أَمْ مَنْ كَأَحِبَائِي أَوْ قَبَائِلِي
 جَلَّلَ بَيْتَ اللَّهِ بِالْوَصَائِلِ
 فَضْلُ سِجَالٍ مِنْ رَدَى وَتَائِلِ (١)
 إِلَّا نَوَازِي نَعْمِ الصَّوَاهِلِ (٢)

فالتشبيح واضح في هذه الأبيات، وذلك عندما يفخر الشاعر بأجداده آل البيت، فهو ينتهي إلى هاشم أكرم الناس نسباً، وأنداهم يداً، وأكثرهم شجاعةً وإقداماً. وقد أكثر الرضوي من الفخر بآل البيت في شعره (٣).

وقد ظهر تشبيح الرضوي في بعض أشعاره بصورة غير مباشرة، ومن ذلك رثاؤه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، فقد رثاه لِمَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْعَدْلِ، وَجَمِيلِ السَّيرَةِ دون أهل بيته، ولِمَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ جَعْفَرًا الصَّادِقَ ذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَهْدِي إِلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ الدَّرَاهِمَ وَاللِّدَانِيَةَ فِي زِقَاقِ الْعَسَلِ خَوْفًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ الرُّضَوِيُّ :

يَا ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ الْعَمِيَّةُ
 غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ إِنَّكَ قَدْ طَبَخْتَ
 أَنْتَ نَزَهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالْقَذِّ
 وَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ قَبْرَكَ لَأَسْتَعْمُ
 وَقَلِيلٌ أَنْ لَوْ بَدَلْتُ دِمَاءَ الْوَدَنِ
 مِنْ فَتَى مِنْ أُمَّةٍ لَهَكَيْتُكَ
 تَ، وَإِنْ لَمْ يَطْبُخْ وَلَمْ يَزُكْ بَيْتُكَ
 فِي، فَلَوْ أَمَكَّنَ الْجَزَاءُ جَزَيْتُكَ
 بَيْتٌ مِنْ أَنْ أُرَى وَمَا حَبَيْتُكَ
 بُدُنٍ حُزْنًا عَلَى الذَّرَى وَسَقَيْتُكَ (٤)

- (١) السَّجَالُ : جمع السَّجَلِ وهو الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ مَلُوءَةٌ (انظر: القاموس المحيط: مادة السَّجَل). ويريد المطاوعة.
 (٢) ديوان الشريف الرضوي: ج ٢، ص ١٧٢-١٧٣.
 (٣) انظر: المصدر نفسه: ج ١، ص ٢٤٩، ج ٢، ص ١٦٩، ص ١٧٥-١٧٦.
 (٤) البُدُنُ : جمع البدنة، وهي من البقر والإبل كالأضحية من الغنم. (انظر: القاموس المحيط: مادة البدن).

دَيْرَ سَمْعَانَ لَا أَغْبِكَ نَارٍ
 أَنْتَ بِالذِّكْرِ بَيْنَ عَيْنِي وَقَلْبِي
 وَإِذَا حَرَكْتَ الْحَشَا خَاطِرُ مِنْ
 وَعَجِيبٌ أَنْتِي قَلَيْتُ بَنِي مَسْرُ
 قَرَّبَ الْعَدْلُ مِنْكَ لَمَّا نَأَى الْجَوُ
 فَلَوْ أَنَّي مَلَكَتُ دَفَعًا لَمَّا نَا
 خَيْرُ مَيِّتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيِّتُكَ (١)
 إِنْ تَدَانَيْتُ مِنْكَ، أَوْ قَدْ نَأَيْتُكَ
 لَكَ تَوَهَّشْتُ أَنْتِي قَدْ رَأَيْتُكَ
 وَأَنْ طُرًّا، وَأَنْتِي مَا قَلَيْتُكَ
 رُبِّهِمْ، فَاجْتَوَيْتُهُمْ وَاجْتَبَيْتُكَ (٢)
 بَكَ مِنْ طَارِقِ الرَّدَى لَفَدَيْتُكَ (٣)

فالشاعر في هذه الأبيات يسجل لعمر بن عبد العزيز بعض فضائله، وهي أنَّهُ منع سب آل البيت، وهي ميزة جعلت الشاعر يحبه دون بني مروان الذين كانوا يسبون آل أبي طالب ويسبون إليهم. وهنا نلمس تشبُّع الشاعر، فحب آل البيت والإحسان إليهم هو المعيار الذي يهبط علاقته بالخلفاء والحكام وصلته بهم.

ومن الظواهر التي تستحق الذكر في رثاء الرضّي رثاؤه غير المسلمين. فقد كان الرضّي من آل البيت الكرام، ذا ورع وتقوى وزهد، ومع ذلك فإننا نجد وفيًا لأصدقائه بعيداً عن التعصّب الذميمة. ومن ذلك رثاؤه صديقه أبا إسحاق الصّاهبي، وقد كانت بينهما صداقة قوية ومودة أكيدة ومكاتبات بالشعر والنثر، وقد توفي سنة ٣٨٤هـ، فرثاه الرضّي بقصيدة مطلعها:

أَعْلَمْتُ مَنْ حَطَلُوا عَلَى الْأَعْوَارِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءَ النَّارِ (٤)

وفيها يبيّن مدى حُزْنِهِ لِفَقْدِ صَدِيقِهِ الصّاهبي، فدفعه استمرار الذرف لا يتوقّف، ثم يصف صديقه بأته صاحب المكرّمات، أبيض شجاع كريم، ولو كان الشاعر يستطيع فداء صديقه لفداه بنفسه، ولكن أتى له ذلك، فقد أصابت صديقه سهام الدهر التي أهلكت القبائل

(١) دير سمعان: * يقال بكسر السين وفتحها، وهو دهر بنواحي دمشق، موضع نزهة وساتين محدقة به، وعنده قصور ودور، وعنده قبر عمر بن عبدالمعجم البلدان: ج ٢، ص ٥١٧). ولا أغبك: أي لا أمطرك يوماً كلّ يوم، والغادية السحابة (انظر: القاموس المحيط: مادة الغدوة).

(٢) اجتواه: كرهه، واجتباها: اختاره. (انظر: المصدر نفسه: ص ٢١٥-٢١٦).

(٣) مروان الشريف الرضّي: ج ١، ص ٢١٥-٢١٦.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ج ١، ص ٣٨١.

السابقة مثل حَمِيرٍ وَعَادٍ ، ثم يمضي في رثائه إلى أن يقول :

عَمْرِي لَقَدْ أَعْمَدْتُ مِنْكَ مَهْنَةً دَا فِي التُّرْبِ كَانَ مُعْرَقَ الْأَعْمَارِ
 قَدْ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَشَاطِرَكَ الرَّدَى لَكِنْ أَرَادَ اللَّهُ غَيْرَ مُرَادِي
 وَكَلَّتْكَ أَرْضٌ لَمْ تَلِدْ لَكَ ثَانِيَةً أَنِّي ، وَمِثْلَكَ مَفْرَدُ الْجِلَادِ
 مَنْ لِلْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ إِنْ هَمَى ذَاكَ الْعَمَامُ وَعَبَّ ذَاكَ الْوَادِي
 مَنْ لِلْمُلُوكِ يَجْزُ فِي أَعْدَائِهَا يَظُنُّ مِنَ الْقَوْلِ الْبَلِيغِ حِدَادِ
 مَنْ لِلْجَحَافِلِ يَسْتَزِلُّ رِمَاحَهَا وَبَرْدُ رَعْلَتِهَا بِغَيْرِ جِلَادِ (١)

وبعد أن يصف الرضوي الصابي في هذه الأبيات بالبلاغة والفصاحة وسداد الرأي ، والبراعة في لمّ الشعث وإصلاح الأمور ، يمضي في رثائه مبيّناً حزنه عليه ، فالصبيون تسكبُ الدَّموع ، والقلبُ لا يستطيع التّسيان ، ثم يعود إلى بيان فضائله ومناقبه ، فيصفه بأنه صاحب المكارم والمعالي ، وقد زالت بعد وفاته ، ثم يخاطب الصابي بقوله :

إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَسْرَتِي وَعَشِيرَتِي فَلَأَنْتَ أَغْلَقُهُمْ بَدَأَ يودايِ
 فهو يبيّن أنّه يحبُّ صديقه الصابي وان كان غريباً عنه في النّسب . وبعد ذلك يضمن القصيدة بعض الحكم ، ومنها أنّ من يترك ذكراً حسناً وشعراً جميلاً ، يبقى ذكره ولا يموت ، وبذا فإن الصّابي لم يمته . ثم يختم القصيدة مخاطباً صديقه بقوله :

فان هب كما ذهب الرّبيع وأثره باقٍ بكلّ حمايلٍ ونجّارِ
 لا تبعدنّ وأمين قُرْبِكَ بَعْدَهَا إِنَّ السَّنَا غَايَةُ الإِهْتَارِ
 صَفَحَ الثَّرَى عَنْ حُرِّ وَجْهِكَ إِنَّهُ مُعْرَى بِطَيِّ مَحَاسِنِ الْأَمْجَارِ
 وَمَا سَكَتَ تِلْكَ الْبَنَانُ فَطَالَ مَسَا عَيْتَ الْبِلْدَى بِأَنْطِلِ الْأَجْوَارِ
 وَسَقَاكَ فَضْلُكَ إِنَّهُ أَرَوَى حَيَاتٍ مِنْ رَاحِجِ مُتَعَرِّسٍ أَوْ غَارِ
 جَدَّتْ عَلَى أَنْ لَا تَهَاتَ بِأَرْضِهِ وَقَدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِبُ الْكُرْوَارِ (٢)

ومن فخر الشّريف الرضوي الذي يجدر بنا أن نُشير إليه في حديثنا عن شعره فخر عربيّ في باه لدى شعراء العصر العبّاسي ، ونعني بذلك الفخر بالإسلام ، فقد

(١) ديوان الشّريف الرضوي : ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

قال الرضّي قصيدة سنة ٣٩٧ هـ يفتخر فيها بالإسلام ويقوّه على الفرس، وقد قالها
عندما اجتاز بالمداين، ونظر إلى إيوان كسرى، ومطلع قصيدته قوله :

قَرَّبُوهُنَّ لِيُبْعِدَنَّ الْمَغَّسَارَا وَبَدَّلَنَّ بِيَدَارِ الْهُونِ دَارَا (١)

وفيهما يتحدث عن مجد آل ساسان زوي المجد والقوة الذين بنوا إيوان كسرى،
ثم يذكر ما حلّ بإيوان كسرى من مصائب الدهر ونوائبه، ويشبهه بالملك الذي أصابه
الدهر بالبأساء والضراء، وأزال عنه سوار الملك، وأزال عزّه، ثم يتحدث بعد ذلك عن
العرب، فيقول :

قَهَرُوا الشُّرْكَ عَلَى أَعْقَابِهِ بَعْدَمَا اسْتَقْدَمَ غِيَاً وَضِرَارَا
وَأَثَرُوا الدِّينَ مِنْ مَرِيضِهِ وَأَطَارُوا عَنْ مَجَالِيهِ الْخِيسَارَا
دَايَنُوا الْمَجْدَ بِأَطْرَافِ الْقَنَا فَعَدَا عَيْنَاً وَقَدْ كَانَ ضِمَارَا (٢)

وهكذا نجد أنّ الشريف الرضّي كان شاعراً شيعياً مطلقاً، صوّر في شعره آمال
أهل البيت والاممهم، وبكاهم في كثير من أشعاره بكاءً موجعاً، وهجا أعداءهم، وفخر بهم
وبانتسابه إليهم، ومدح من أحسن إليهم وأثنى عليه، وكان مؤمناً حقاً، ولذا نجد العاطفة
الدينية تطفئ عليه، فيفخر بالإسلام ويصور انتصاره على الفرس. ومع إيمانه وتقواه كان
بعيداً عن التعصّب الديني، مُخلصاً لأصدقائه جميعهم من المسلمين وغيرهم، وهذا
يتلاءم وأخلاق أجداده آل البيت الكرام، وعلى رأسهم الرسول الكريم الذي كان مضرب
المثل في التسامح كما هو معروف.

وهكذا نرى أنّ الشريف الرضّي كان من كبار شعراء الشيعة، وأنّه ندب أجداده
آل البيت ورثاهم كثنياً، ودافع عن حقهم في الخلافة وبين أنهم قد غضبوا حقهم، وتحدث
في شعره عمّا حلّ بهم من الظلم والجور، وأكثر من الشعر في رثاء جدّه الحسين بن علي
رضي الله عنه، فبين ما ناله وأصحابه في كربلاء من تقتيل وتشريد، كل ذلك بشعر حزين
مبك، وأكثر الرضّي من الفخر بأبائه وأجداده في شعره، كما قال الشعر في رثاء أصدقائه
من المسلمين وغير المسلمين، ومنهم أبو إسحاق الصّابي، ولعلّ في هذا أكبر دليل على
رجاحة عقله ووفائه لأصدقائه.

(١) ديوان الشريف الرضّي: ج ١، ص ٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ٤٨٦.

الشَّيْخُ الْمُرْتَضَى :-

الشَّاعِرُ الشَّيْخِيُّ الثَّانِي الَّذِي نَتْرَجِمُ لَهُ هُوَ الشَّيْخُ الْمُرْتَضَى ، الَّذِي عَاشَرَ مَعَ
أَخِيهِ الْمُرْتَضَى فِي بَغْدَادَ مَرَكِزِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .

حَيَاتُهُ :

أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ
ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ الْمَلَقَبِ بِالْمُرْتَضَى عَلَمَ الْهُدَى ،
نَقِيبُ الْعُلُوِّينَ ، سَيِّدٌ مَشْهُورٌ بِالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْفَضْلِ ، وَلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثًا
لِلْهِجْرَةِ (١) . وَهَكَذَا فَالْمُرْتَضَى شَرِيفُ النَّسَبِ يَنْتَسِبُ إِلَى آلِ الْبَيْتِ ، وَلِذَا كَانَ يَسْتَشِيرُهُ
فِي نَفْسِهِ عَلَوَّ الْمَكَانَةِ ، وَسَمَوَّ الْمَنْزَلَةِ ، مِمَّا جَعَلَهُ يُكْتَرُ الْفَخْرَ بِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ فِي شَمْرِهِ . وَهُوَ
أَكْبَرُ مِنْ أَخِيهِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ (٢) . شَغَلَ الْمَنَاصِبَ السِّيَاسِيَّةَ وَالذِّينِيَّةَ فِي رِبْعَانَ شَبَابِهِ ،
فَقَدْ كَانَ هُوَ وَأَخُوهُ الرَّضِيُّ يَنْوِيَانِ عَنِ وَالِدِهِ فِي نَقَابَةِ الطَّالِمِيَّينَ سَنَةَ ٣٨٤ هـ (٣) . وَكَانَ
ذَا مَنْزَلَةً عَظِيمَةً عِنْدَ بَيْتِهَا الدَّوْلَةِ (٤) ، ثُمَّ تَوَلَّى الْمُرْتَضَى نَقَابَةَ النُّقَبَاءِ وَامَارَةَ الْحَجِّ وَدِيَوَانَ
الْمَطَالِمِ (٥) . وَكَانَ عَالِي الْمَنْزَلَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالدَّوْلَةِ الْهُيُوتِيَّةِ ، وَذَا نَفْوَذٍ كَبِيرٍ ،
وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ وَقَفَ خَطِيبًا بِخَطْبٍ فِي مَسْجِدِ بَرَأثَسَا
الشَّيْخِيِّ فِي بَغْدَادَ ، وَكَانَ يَظْهَرُ مِنْهُ عُلُوُّ شِدِيدٌ فِي حَقِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ
وَصَفَّهُ عَلِيًّا بِأَنَّهُ " مُكَلَّمُ الْجَنَّةِ وَمُخَيَّبُهَا ، الْبَشَرِيُّ الْإِلَهِيُّ ، مُكَلَّمُ الْغَيْثِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ "
فَعَزَلَهُ الْخَلِيفَةُ الْقَائِرُ بِاللَّهِ وَأَقَامَ خَطِيبًا مَكَانَهُ ، فَرَجَعَهُ الْعَامَّةُ فَانْقَطَعَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ ، وَلَكِنْ
الْخَلِيفَةُ أَمَرَ بِإِعَادَةِ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ عِنْدَمَا تَوَسَّطَ فِي ذَلِكَ الشَّرِيفُ
الْمُرْتَضَى وَعَدُّهُ مِنْ أَعْيَانِ الْكُرَّخِ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ سَفَهَاءٌ لَا يُعْرَفُونَ هُمُ الَّذِينَ
رَجَمُوا الْخَطِيبَ (٦) .

-
- (١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٨ ، ص ١٢٠ ، ومعجم الأرباب : ج ١٣ ، ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان : ج ٣ ، ص ٣١٣ ، ص ٣١٥ ، ونزهة الجليس : ج ٢ ، ص ٥٩٩ .
(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٨ ، ص ١٢٠ .
(٣) الكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ١٠٥ .
(٤) المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ١٨٩ .
(٥) عمدة الطالب : ص ١٦٨ .
(٦) الكامل في التاريخ : ج ٦ ، ص ٣٩٢ - ٣٩٤ .

وبقي المرتضى ذا مكانة عالية لدى الحكّام، وكان دائم المسارعة إلى المحافظة على الخلافة واستقرارها، واليطمأنينة والأمن للمسلمين، فعندما توفي القادر بالله سنة ٤٢٢ هـ (١)، وتولى بعده ابنه القائم بأمر الله كان الشريف المرتضى أول من بايعه (٢). وقد اشتهر بالعلوم، وأصبح إمام أهل العراق، فأخذ عنه العلماء والأدباء والعظماء (٣). ولجلال المرتضى وهيبته وعلو منزلته كانت داره ملاذاً للحكّام الهويهميين عندما يتعرضون للشورات والمضايقات، ومن ذلك ما حدث لجلال الدولة (٤)، ففي سنة أربع وعشرين وأربعمائة للهجرة شغب عليه الجند وقبضوا عليه ثم أخرجوه من داره، فعبر جلال الدولة في الليل إلى الكرخ، فلقيه أهلها بالدعاء، ونزل في دار الشريف المرتضى (٥). وهذا دليل على قوة الشريف المرتضى وعزة جانبه، إذ لم يستطع الجند ملاحقة جلال الدولة إلى داره. وبقي الشريف المرتضى ذا عزّ وجاؤٍ وعلم حتى توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة للهجرة (٦). ويبدو أنّه توفي وهو على نقابة الطالبين، ذلك لأنّ ابن الأثير يذكر أنّه عندما توفي المرتضى تولّى النقابة بعده أبو أحمد عدنان بن أخيه الرضي (٧).

صِفَاتُهُ :

كَانَ الْمُرْتَضَى - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَتَمَتَّعُ بِالْعَدِيدِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَمِنَ الْأُمُورِ الْبَدِهيَّةِ
أَنْ تَكُونَ صِفَاتِهِ مَنسُجَةً مَعَ كَوْنِهِ إِمَامًا لِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَنَقِيبًا لِلطَّالِبِينَ .

-
- (١) الكامل في التاريخ : ج ٩، ص ٤١٤ .
 - (٢) المصدر نفسه : ج ٩، ص ٤١٧ .
 - (٣) انظر : وفيات الأعيان : ج ٣، ص ٣١٣-٣١٤ .
 - (٤) جلال الدولة، أبو طاهر فيروز جرد بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة الديلمي توفي سنة ٤٣٥ هـ (انظر: شذرات الذهب: ج ٣، ص ٢٥٥) وكان مرضه وربما في الكويد، ومولده سنة ٣٨٣ هـ (انظر: الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٥١٦) .
 - (٥) انظر : المصنوع لفرق : ج ٩، ص ٤٣١ .
 - (٦) انظر: الوفيات: ص ٢٤٦، ونزهة المجلس: ج ٢، ص ١-٦، وسقينة البحار: ج ١، ص ٥٢٦، وسير أعلام النبلاء: ج ١٧، ص ٩٥، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٨، ص ١٢٠ .
 - (٧) الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٥٢٦ .

كان المرتضى رقيق الشعور مرهف الإحساس، يتأثر لأدنى إسائة من قولٍ أو فعلٍ ومن ذلك ما رواه ياقوت بقوله: "اجتاز المرتضى أبو القاسم يوم الجمعة على باب جامع المنصور بحيث يُباع الغنم، فسمع المنادي يقول: نهيع هذا التيس العَلَوِيّ بدينار، فظن أنه قصده بذلك، فعاد إلى داره وتألم إلى الوزير يوماً جرى عليه، فكشف فوجد أن التيس إذا كانت له في رقبته حلقتان مقلبتان سُتِي عَلَوِيًّا تشبهها بصفيرتسي العَلَوِيّ المُسَبَّلَتَيْنِ على رقبته (١). وهذه القصة تدلّ على رقة إحساسه، فهو لا يتألم لنفسه وحسب، وإنما غَضَبًا للمذهب الذي ينتسب إليه، وهو المذهب الشيعي أو العَلَوِيّ، فقد أحسّ في نفسه أن في قولِ البائع إسائةً إليه في نفسه وفي مذهبه وشرفِ أسرته.

ومّا يدلُّ على رقة إحساس المرتضى وصفاً قلبه أنه كان يشارك إخوانه وأصدقائه آمالهم وآلامهم، فكان يهتفهم ويعزيهم في مختلف المناسبات (٢)، ومُخَيَّلَ إلينا أنه كان صادق العاطفة، ونلمح رقة أحاسيسه ومشاعره في قصيدة قالها في رثاء زوجته مطلعها:

أَلَا هَلْ آتَاهَا كَيْفَ حُزْنِي بَعْدَهَا وَأَنْ دُمُوعِي لَسْتُ أَتْلِكُ رَدَّهَا (٣)

ومِمَّا امتاز به الشريف المرتضى الذكاء، فقد كان حادّ الذهن، حاضر البديهة، ذكياً يدرك مرامي الكلمات بسرعة فائقة، وهو ما لم يكن يتسنى إلا للقليلين، ومِمَّا يمثّل لنا ذكاء المرتضى ما روي من أن المعريّ حضر مجلس المرتضى، وكان المعريّ يتعصّب للمتنبيّ ويُغَضِّله على جميع الشعراء المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، وكان المرتضى يكره المتنبي ويتعصّب عليه، فجرى يوماً بحضوره ذكر المتنبي، فحطّ من قدره وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعريّ: "لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

"لِكِ يَا سَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ، لِكِفَاةِ فَضْلَا، فغضب المرتضى وأمر بأن يُخرج من المجلس، فسُحِبَ برجله وأُخْرِجَ،" وقال لِمَنْ بَحَضَرَهُ: أَتَدْرُونَ أَيَّ شَيْءٍ أَرَادَ الْأَعْمَى بِذِكْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ؟ فَإِنَّ لِلْمَتَنَبِيِّ مَا هُوَ أَجْوَدُ مِنْهَا لَمْ يَذْكُرْهَا، فَقِيلَ: النَقِيبُ السَّيِّدُ

(١) معجم الأديب: ج ١٣، ص ١٥١.

(٢) انظر: ديوان الشريف المرتضى: ج ٢، ص ٤٦، ص ٧٢، ج ٣، ص ١٩٠، ١٩٥، ٥٦٠.

٠١١٢

(٣) المصدر نفسه: ج ١، ص ٢٤٨.

أعرفه فقال : أراد قوله :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدَّيْتِي مِنْ نَاقِسِي فِيهِ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنْتِي كَأَمِلًا

وَكَانَ الْمُرْتَضَى مُجِبًّا لِلْعَدْلِ وَالنَّسَاجِحِ ، كَارِهًا لِلْحَقْدِ وَالغَدْرِ وَالخِيَانَةِ ، فَكَانَ يَمُتُّ نَفْسَهُ سَوْءًا وَلَا عَنْ أُخِيهِ الرِّضِيِّ ، وَلِذَا كَانَ يَعْمَلُ عَلَى اسْتِرْضَاكَ وَتَطْيِيبِ نَفْسِهِ عِنْدَمَا كَانَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَهُمَا تَسْوًا ، فَكَانَ يَرْسَلُ لَهُ بِمَعْرِ الْأَشْعَارِ ، وَمِنْهَا قَصِيدَةٌ مَطْلُوعًا :

تَكَدَّفَ ظِلُّ الْعَثْبِ عَنْ غُرَّةِ الْعَهْدِ وَأَعْدَى اقْتِرَابُ الْوَصْلِ مِنَّا عَلَى الْبُعْدِ (٢)

وَكَانَ الْمُرْتَضَى مُؤْمِنًا حَقًّا لَا يَطْمَعُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ عَلَى مَا يَبْدُو ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ أَحَدَ أَكْبَرِ الدَّيْلَمِيِّينَ عَلَى الْمُرْتَضَى ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ وَسَأَرَهُ بِهِ ، فَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ الْمُرْتَضَى مُتَضَجِّرًا . نَعَمْ . وَعِنْدَمَا خَرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَخْبَرَهُمُ الْمُرْتَضَى أَنَّهُ - أَيِ الدَّيْلَمِيِّ - سَأَلَهُ أَنْ يَهَيِّئَ لَهُ مَا إِذَا كَانَ إِسْلَامُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ صَحِيحًا أَوْ غَيْرَ صَحِيحٍ (٣) . وَهَكَذَا فَالْمُرْتَضَى لَمْ يَطْمَعُ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَإِنَّمَا أَقْرَبَ صَحَّتَهَا ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى رَسوخِ إِيمَانِهِ وَشِدْوَةِ .

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهَا الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى أَيُّهَا الْفِكَاهَةُ ، فَقَدْ كَانَ خَفِيفَ الظِّلِّ يَتَمَيَّزُ بِالْفِكَاهَةِ وَالِدَعَايَةِ مَعَ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الْجَلَالِ وَالْوَقَارِ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي عُلْيَةِ لَهُ تَشْرَفَ عَلَى الطَّرِيقِ فَمَرَّ بِهِ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ يَجْرُ نَعْلًا لَهُ بَالِيَةٌ ، وَهِيَ تَشِيرُ الْغُبَارَ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَنْشُدَ أَهْيَاثَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِي سِي فَلَا وَرَدَتْ مَاءٌ وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

فَأَنْشُدَهُ إِهْيَاثَهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْبَيْتَ ، أَشَارَ الشَّرِيفُ إِلَى نَعْلِهِ الْبَالِيَةِ وَقَالَ : " أَهْذِهِ كَانَتْ مِنْ رَكَائِكَ ؟ " ، فَأَطْرَقَ الشَّاعِرُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : " لَمَّا عَادَتْ هَبَاتُ سَيِّدِنَا الشَّرِيفِ إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ :

وَخَذِ النَّوْمَ مِنْ جُفُونِي فَإِنْسِي قَدْ خَلَعْتُ الْكُرَى عَلَى الْعُشْبَا (٤)

(١) معجم الأديب : ج ٣ ، ص ١٢٤ ، وانظر : الدرجات الرفيعة : ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٣) انظر : معجم الأديب : ج ١٣ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى ، لأنك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل . فحجل
المرضى وأمره بجائزة ، فأخذها وانصرف (١) . ونحن نعتقد أن المرضى كان يريد أن
يعطيه مالا عندما رأى سوء حاله ، ولكنه أحب أن يُداعبه هذه المداعمة اللطيفة .
ومن الناحية الخلقية الجسمية فقد كان المرضى نحيف الجسم حسن الصورة ،
جميل الخلق (٢) .

وكان المرضى - رحمه الله - يتميز بالورع والتقوى ، يجمع بين العلم والعط ، وكان كثير
المواظبة على قيام الليل وتلاوة القرآن الكريم ، محباً للعلم ، حريصاً على تعليمه ، لا يُفضل
عليه شيئاً ، مع فصاحته وبلاغة لسانه (٣) .

ومن صفات المرضى الكرم والسخاء ، فقد كان كريماً ، يهب الأموال لتلاميذه
ولغيرهم ، فكان يعطي تلميذه ابن البراج (٤) ثمانية دنانير كل شهر (٥) . وهناك
روايات كثيرة تكشف عن كرم المرضى منها أن رجلاً كان يمتلك كتاب "الجمهرة" لابن دريد ،
فدعت الحاجة إلى بيعه ، فباعه للمرضى بستين ديناراً ، ومد أن أخذه المرضى
بدأ يطالع فيه ، فوجد أحياناً مكتوبة بخط صاحبه الذي باعها وهي :

أَسَدْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبَعَثْتُهَا	لَقَدْ طَالَ وَجَدِي بَعْدَهَا وَحَنِينِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنِّي سَأَبْعُثُهَا	وَلَوْ خَلَدْتَنِي فِي الشُّجُونِ دُونِي
وَلَكِنْ لِيَضَعِفَ وَافْتِقَارٌ وَصِيبَةٌ	صَغَارَ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ عُيُونِي
فَقُلْتُ وَلَمْ أَتْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ	مَقَالَةَ تَكْوِي الفُوَاوِ حَزِينِ
وَقَدْ تُفْرَجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكِ	كَرَائِمٍ مِنْ رَبِّي بِهِنَّ ضَرِينِ (٦)

(١) نغمة اليمن فيما يزول بذكره الشجن : ص ٢٢٠ .

(٢) انظر : روضات الجنات : ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

(٣) انظر : لسان الميزان : ج ٤ ، ص ٢٢٣ .

(٤) ابن البراج ، عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج ، ولد بمصر ونشأ بها ،
ثم انتقل إلى طرابلس وتولى فيها القضاء ، وكان عالماً فاضلاً ، وله مصنفات ، منها :
"المهذب" ، وتوفي سنة (٤٨١ هـ) (انظر : روضات الجنات : ج ٤ ، ص ٣٠٢ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

(٦) شذرات الذهب : ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، ووفيات الأعيان : ج ٣ ، ص ٣١٦ .

وَيُقَالُ إِنَّ الْمُرْتَضَىٰ عِنْدَمَا قَرَأَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ بَعَثَ بِالْكِتَابِ إِلَىٰ صَاحِبِهِ . وَهَسَدُهُ
الرَّوَايَةُ لَا تَدُلُّ عَلَىٰ كَرَمِ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَىٰ وَحَسَبٍ، وَلَكِنَّهَا تَدُلُّنَا عَلَىٰ رَحْمَةِ الْمُرْتَضَىٰ وَعَطْفِهِ
عَلَىٰ الْبَائِسِينَ وَالْفُقَرَاءَ الْمَحْتَاجِينَ، كَمَا تَكْشِفُ لَنَا عَنِ تَقْدِيرِ الْمُرْتَضَىٰ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَتَدُلُّ
عَلَىٰ رَفْضِهِ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ خَاضِعًا لِلْعَالِ تَابِعًا لَهُ .

يَتَبَيَّنُ لَنَا مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمُرْتَضَىٰ كَانَ مِثَالًا فِي الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ، حَازَ مِنْهَا أَحْسَنَهَا
وَأَنْبَلَهَا، فَمِنَ الْكِرَامِ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ، وَمِنَ رِقَّةِ الْإِحْسَاسِ وَالْمِشَاعِرِ إِلَىٰ الْعَدْلِ وَالْتِسَامِحِ،
وَمِنَ الذِّكَاةِ إِلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَإِحْيَاءِ اللَّيْلِ بِالْعِبَادَةِ، وَيَجْعَلُ
عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ صِحَّةً مِنَ الْفِكَاهَةِ وَالذَّعَابَةِ وَخِفَّةً لِلرُّوحِ .

ثِقَافَتُهُ :

كَانَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَىٰ مَشْتَوِعًا لِلثِقَافَةِ، قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ، فَقَدْ كَانَ عَالِمًا
بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَاللُّغَةِ (١)، كَمَا كَانَ إِمَامًا فِي التَّنْصِيحِ وَالْبَلَاغَةِ (٢)، وَقَدْ
أَبْدَعَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ بِشَكْلِ خَاصٍّ لَكِنَّهُ إِمَامِيًّا جَلَدًا نَسَأَىٰ لِلَّهِ الْعَفْوُ (٣)، وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ
أَنْ يَتَشَقَّفَ ثِقَافَةً كَلَامِيَّةً وَاسْمَةً، لِيَتِمَّكَنَ مِنْ مَنَاقِشَةِ الْخِصُومِ وَمُحَاجَّتِهِمْ، وَنَلْمُجِ ذَلِكَ فِلسُفِي
كِتَابِهِ : "أَمَالِي الْمُرْتَضَىٰ" . وَمَعَ كَوْنِهِ إِمَامًا فَإِنَّهُ كَانَ يُكْفِّرُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
قَدْ حُدِّفَ مِنْهُ أَوْ زِيدَ فِيهِ أَوْ بُدِّلَ بِحُضْرِهِ (٤)، وَقِيلَ إِنَّ الْمُرْتَضَىٰ كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَسَطَ كَسْلَامًا
لِلْإِمَامِيَّةِ فِي الْفِقْهِ، فَأَسَهَبَ فِي تَوْضِيحِهِ، وَبَسَطَ سَائِلَهُ وَاسْتَخْرَاجَ غَوَامِضَهَا (٥) . وَقَدْ
كَانَتْ لَهُ آرَاءٌ تَدُلُّ عَلَىٰ ثِقَافَتِهِ، فَقَدْ تَفَرَّدَ فِي التَّنْصِيحِ بِبَعْضِ الْأُمُورِ مِنْهَا : أَنْ نَامَ عَنِ
صَلَاةِ الْعِشَاءِ حَتَّىٰ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَهَا وَأَنْ يَصْبِحَ صَائِمًا كَقَارَةَ لَيْلًا وَقَعَ مِنْهُ

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٢٠، ومعجم الأديب: ج ١٣، ص

١٤٦، ووفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣١٣، ص ٣١٥، ونزهة الجليس: ج ٢، ص ٥٩٩ .

(٢) شذرات الذهب: ج ٣، ص ٢٥٦ .

(٣) سيرة إعلام النبلاء: ج ٧، ص ٥٨٩ .

(٤) لسان الميزان: ج ٤، ص ٢٢٣ .

(٥) انظر: المصدر نفسه ج ٤، ص ٢٤٤ .

ومنها أن من شقَّ ثوبه في مصيبة أو كارثةٍ وجب عليه كفارة اليمين، وأنَّ قطع السَّارق يكون من رؤوس الأصابع (١)، وقد وصفت هذه الآراء بأنها "مذاهب عجيبة تخرق الإجماع" (٢). وقد تحدَّث الباخرزيُّ عن المرتضى مصوراً لنا أربّه فقال: "هو وأخوه في روحه السَّيادة شعران، وفي فلك الرِّياسة قمران، وأدب المرّضيِّ إذا قرُن بعلم المرتضى كان كالغريند في متن الصَّارم المنضوي (٣). وهذا يدلُّنا على أنَّ الرّضيِّ كان أبعد شأواً وأطول باعاً في الشعر والأدب، وأنَّ المرتضى يتفوق عليه في العلوم المختلفة. فلا غرابة إذاً أن يعتبر عبد الله نعمة المرتضى "أكبر شخصيّة شهعيّة ظهرت في القرن الخامس الهجري (٤) .

وقد عبر المرتضى عن بساطه فقه الإمامية ومناظرة خصومهم، واستخراج غوامضه وتقييد مسائله، فقال في ذلك:

كَانَ لَوْلَايَ غَايِضًا مَكْرَعُ الْفِقْهِ	هِ سَحِيْقَ الْعَدَا وَبَحْرُ الْكَلَامِ
وَمَمَانٍ شَحَطَنَ لُطْفًا عَنِ الْأَقْدِ	سَهَامٍ قَرَّبَتْهَا مِنَ الْأَقْبَامِ
وَدَقِيْقٍ أَبْرَزَتْهُ بِجَلِيْلٍ	وَحَلَالٍ أَبْنَتْهُ مِنْ حَسْرَامِ (٥)

تلمذ المرتضى لعدد من الشيوخ وتلقى تعليمه على أيديهم، وكان في طلبتهم القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (٦)، والمرزباني (٧)، والنصيبيني (٨)، فأخذ عنهم (٩)

-
- (١) البداية والنهاية ٤ ج ١٢، ص ٥٣.
 - (٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما.
 - (٣) دمية القصر: ج ١، ص ٢٩٢.
 - (٤) فلاسفة الشيعة: ص ٣٠٢.
 - (٥) ديوان الشريف المرتضى: ج ٣، ص ٢٦٢، ولسان الميزان: ج ٤، ص ٢٢٤.
 - (٦) القاضي عبد الجبار بن أحمد، شيخ من شيوخ المعتزلة، ولي القضاء في مدينة الرّي، وتوفي سنة ٤١٥ هـ (انظر: تاريخ بغداد: ج ١١، ص ١١٢-١١٥).
 - (٧) محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عمران المرزباني، ولد سنة ٢٩٧ هـ، وكان من خيار المعتزلة، راوية صدوقاً، كان حسن الترتيب لمصنفاته حتى قيل إنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ. (انظر: معجم الأدباء: ج ١٨، ص ٢٦٨-٢٧٢).
 - (٨) أبو إسحاق النّصيبيني، من رجالات المعتزلة، ذكره ابن المرتضى في كتابه "طبقات المعتزلة" واعتبره من رجالات الطبقة الحادية عشرة، وهي طبقة القاضي عبد الجبار، لذا يرجّح أنه عاش في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري (انظر: طبقات المعتزلة: ص ١١٤).
 - (٩) انظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ومن شيوخه أيضاً ابن نباته (١) والشيخ الفقيه المعروف بابن المعلم، فقد أخذ عنهما (٢).
ويروي الذهبي (٣) أن المرتضى حدث عن سهل بن أحمد الديهاجي والعرزباني (٤).
وهذا القول غير صحيح، وذلك لأنَّ سهلاً الديهاجي توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة للهجرة (٥)،
أي قبل أن يُولد المرتضى بخمسة وعشرين عاماً.
وكان للشريف المرتضى تلاميذ تلقوا عليه العلم، ومن هؤلاء الخطيب البغدادي (٦)
فقد كتب عنه (٧)، ومنهم عبد العزيز بن البراج (٨)، والشيخ الفقيه سلار بن عبدالعزيز—
الديلمي (٩) وغيرهم (١٠).

-
- (١) عبد الرحيم بن محمد بن نباته الفارقي الخطيب، كان مشهوراً في الأرب، وخطيب
مدينة حلب، وقد التقى بالمتنبي في حضرة سيف الدولة، وكان يُكثر الخطب التي
يحث فيها على الجهاد في سبيل الله، توفي سنة ٣٧٤هـ، ومولده سنة ٣٣٥هـ
(انظر: وفيات الأعيان ج ٣، ص ١٥٦-١٥٨).
- (٢) انظر: روضات الجنات ج ٤، ص ٢٩٩.
- (٣) الذهبي: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
الذهبي، اشتهر بسعة حفظه ومعرفته بالجرح والتعديل، وله مصنفات كثيرة منها
سير أعلام النبلاء، والدول الإسلامية، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. (انظر: شذرات
الذهب ج ٦، ص ١٥٢-١٥٧).
- (٤) سير أعلام النبلاء ج ١٧، ص ٥٨٩.
- (٥) انظر: تاريخ بغداد ج ١١، ص ٤٠٢.
- (٦) أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، كان
حافظاً متفتناً، وله قريب من مائة مصدّف، من أشهرها تاريخ بغداد، ولسد سنة
٣٩٢هـ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ. (انظر: وفيات الأعيان ج ١، ص ٩٢-٩٣).
- (٧) سير أعلام النبلاء ج ١٧، ص ٥٨٩.
- (٨) عبد العزيز بن تحرير بن عبد العزيز بن البراج، ولد بمصر ونشأ بها، ثم انتقل إلى
طرابلس وتولى القضاء بها، له مصنفات منها المهدّب وكان ذا علم وفضل، وقد
توفي سنة ٤٨١هـ. (انظر: روضات الجنات ج ٤، ص ٣٠٢).
- (٩) أبو يعلى، سلار بن عبد العزيز الديلمي، تلميذ للمرتضى، تلقى على يديه العلم
وتوفي سنة ٤٣٦هـ وهي سنة وفاة الشريف المرتضى. (انظر: المصدر نفسه
والجزء والصيغة نفسها).
- (١٠) انظر: المصدر نفسه ج ٤، ص ٢٩٩-٣٠٠.

وكما كانَ للشرِيفِ الرَّضِيِّ تلاميذَ أسلموا على يديه ومنهم مهيار الدَّيْلَمِيُّ (١) ، فقد كانَ لأخيه الشَّريفِ العرَضِيِّ تلاميذٌ من غير المسلمين اهتَدَوْا للإسلام على يديه ، ومن هؤلاء شخصٌ يهوديٌّ أسلم على يديه ، وتلقَّى عليه العِلْمَ ، وذلك أَنَّ القَحَطَ أصاب النَّاسَ في بعضِ السَّنِينِ ، فاحتال هذا اليهوديُّ على تحصيل قوتٍ يحفظ نفسه ، واتَّفَقَ أنْ حضر مجلسَ العرَضِيِّ في أحدِ الأيَّامِ فاستأذنه أنْ يقرأَ عليه شيئاً في عِلْمِ النُّجُومِ ، فأزِنَ لسه وأكرمه ، وأمر له بجائزةٍ تعطى له في كلِّ يومٍ ، فقرأَ عليه فترةً ، ثم اعتنق الإسلامَ على يديه (٢) .

وكان المرطضي رحمه الله مصنفًا بارعًا في علوم كثيرة ، وقد روى أبو القاسم التَّنُوخِيُّ أَنَّ كتبه كانت تبلغ ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومقرواته ومحفوظاته (٣) ، وقد ترك مجموعةً من المؤلفات منها : " كتابُ الشَّافِي في الإمامة " وكتاب " المسائل العَوَصِلِيَّةُ الأُولَى " وكتاب " المسائل العَوَصِلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ " وكتاب " المسائل العَوَصِلِيَّةُ الثَّالِثَةُ " ، وكتاب " المُقْنِعُ فِي الغَيْبِيَّةِ " وكتاب " المسائل الطَّرَابِلِسِيَّةُ الأُولَى " وكتاب " المسائل الطَّرَابِلِسِيَّةُ الأُخْرَى " وكتاب " مسائل أهل مصر الأُولَى " وكتاب " المسائل الحلبِيَّةُ الأُولَى " وكتاب " المسائل الحلبِيَّةُ الأُخْرَى " وكتاب " المسائل النَّاصِرِيَّةُ فِي الفِقْهِ " وكتاب " تَتَبُّعُ أَبْيَاتِ المَعَانِي للمنتبِي التي تكلم عليها ابنُ جَنِّي " وكتاب " النَّقْضُ عَلَى ابنِ جَنِّي فِي الحِكَايَةِ والمَحْكِي " وكتابُ نَصْرِ الروَايَةِ وإِبْطَالِ القَوْلِ بِالْعَدْرِ ، وكتاب " المسائل الصَّيْدَاوِيَّةُ " ، وكتاب " تفسیر قصيدة السَّيِّدِ ، وله مسائل مفردات نحو مائة مسألة في فنون شتى ، وكتاب " الذَّرِيعَةُ فِي أصولِ الفِقْهِ " ، وكتاب " المَفْنَسِي لِعَبْدِ الجَبَّارِ بنِ أحمد " وهو كتاب لم يُصَنَّفْ مِثْلُهُ فِي الإمامة ، وكتاب " التَّنْزِيهِ (٤) " وله كتب أخرى منها كتاب " إِبْقَاظُ البَشَرِ فِي القَضَاءِ والقَدَرِ " ورسالة " المُحَكَّمُ والمُتَشَابَهُ " ، وكتاب " الخُطْبَةُ المَقْصُودَةُ " ، وكتاب " الحدود والحقايق (٥) " .

(١) انظر : وفيات الأعيان : ج ٥ ، ص ٥٩ .

(٢) انظر : روضات الجنات : ج ٤ ، ص ٢٩٦ ، وسفينة البحار : ج ١ ، ص ٥٢٥ .

(٣) انظر روضات الجنات : ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٤) معجم الأرباب : ج ١٣ ، ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٥) روضات الجنات : ج ٤ ، ص ٣٠٣ .

وللمرتضى عدد من الكتب المطبوعة منها كتاب "الغرر والدرر" المعروف باسم "أمالي المرتضى" وهو كتاب يشتمل على علوم شتى، ففيه بحث في علم الكلام والتفسير، والتراجم لبعض الأعلام المشهورين، فهو كتاب جامع تكلم فيه المرتضى على اللغة والنحو وعلم الكلام، ومجالات المتكلمين، وهو يبدل على سعة ثقافته، وقد اعتبر الباحثون هذا الكتاب غاية الدلالة على ذكاء المرتضى وقضه (١). وهو مطبوع في عام ١٩٥٤م بدار إحياء الكتب العربية، ويقع في ثلاثة أجزاء بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

وكتاب "طيف الخيال" بتحقيق حسن كامل الصيرفي، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٩٦٢م.

ومن كتب المرتضى المطبوعة أيضاً "الشهاب في الشهب والشباب" وهو بنشر دار الرائد العربي، بيروت، سنة ١٩٨٢م. وكتاب "جمل العلم والعمل" وقد طبع في مطبعة النعمان بالتجف الأشرف لأول مرة سنة ١٩٦٧م، بتحقيق رشيد الصقار.

ويبدو المرتضى في مؤلفاته عالماً جاداً، يهتم بالوصول إلى الحقيقة، ولا يهتم بالجدل لذاته، وإنما لكونه وسيلة من وسائل المعرفة وجلاء الحقائق، ونلمح في أسلوبه الإسهاب والتوسع في الحديث، وهدفه من ذلك توضيح المسائل وتسهيلها، ولذا نجد أنه لا يعم في الحديث عن مسألة معينة ولا يتوقف عندها، وإنما يتركها إلى غيرها (٢).

شعره:

كان المرتضى شاعراً كبيراً، وقد وصف بأنه "كان جتد الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال يناظر على ذلك" (٣)، وله ديوان شعر كبير روي أنه يزيد على عشرين ألف بيت اختاره من شعره (٤). وهذا يدل على كثرة أشعار المرتضى، ولكنه كان يخلب عليه العلم، على العكس من أخيه الرضي الذي كان يخلب عليه الشعر (٥).

(١) انظر: روضات الجنات ج ٤، ص ٣٠٣.

(٢) انظر: أرب المرتضى: ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) انظر: البداية والنهاية ج ١٢، ص ٥٣.

(٤) انظر: معالم العلماء: ص ٦٩، ومجمع الرجال ج ٤، ص ١٨٩.

(٥) انظر: دمية القصر: ج ١، ص ٢٩٢.

للمرتضى ديوان شعر مشهور يقع في ثلاثة أجزاء، وقد طرق فيه المرتضى مختلف
الغنون الشعرية المعروفة، فنظم في المدح والفخر والثناء والهجاء والوصف والغزل وغير
ذلك من الأغراض التقليدية. ونظم شعراً في التشيع، فقد بكى أجداده آل البيت
الكرام، ورثى الحسين وغيره، وظهرت في شعره بعض مبادئ الشيعة.

ونحن في حديثنا عن شعر المرتضى لن نتطرق إلى أغراضه التقليدية، لأننا
كنا قد تحدثنا عنها ضمن حديثنا عن أغراض شعر الشيعة، وإنما سنركز الحديث على
تشيع المرتضى، وبعض الأغراض الأخرى التي تميز بها، ونعني بذلك وصف الطيف والخيال.
لقد رثى الشريف المرتضى أجداده آل البيت الكرام، وبكاهم بكاءً موجعا مؤلماً،
كما افتخر بهم مبيهاً كرم أصلهم وعراقة نسبهم، وشرفهم الذي يفضلون به سائر الناس.
وكان لفجيرة مقتل جده الحسين بن علي في كربلاء وما لحق بأصحابه من القتل وبنائه
من السبي والتشريد نصيب كبير من شعر المرتضى، والمعروف أن حادثة قتل الحسين تهرز
مشاعر جميع المسلمين على اختلاف فئاتهم، فكيف يكون الحال إذن لدى شاعر هو من أحفاد
الحسين، يتميز بركة المشاعر ورهافة الإحساس وحُب جده الحسين؟ لا شك لدينا في
أنه سيتفجع لما لحق بجده من المآسي والمصائب وسيبكيه بدمع مدرار لا ينضب، وهذا
ما فعله الشريف فقد قال قصائد كثيرة في رثاء الحسين وهي مبثوثة في أماكن مختلفة
من ديوانه (١) ومن ذلك قصيدة قالها يرثي جده الحسين في يوم عاشوراء سنة ٤١٣ هـ،
وهي تعد سجلاً صادقا لما حصل للحسين منذ أن استدعاه أهل الكوفة إلى مقتله.

لَكَ اللَّيْلُ بَعْدَ الذَّاهِبِينَ طَوِيلًا
وَلَمَعَ إِذَا حَبَسْتَهُ عَنْ سَبِيلِهِ
قِيَالِهِتْ أُسْرَابَ الدُّمُوعِ الَّتِي جَسَرَتْ
وَوَقَدْ هُمُومٌ لَمْ يَرِدْ رَجِيلاً
يُمُودٌ هَتُونًا فِي الْجُفُونِ هُطُولًا
أَسَوْنَ كَلِيمًا أَوْ شَفِينٍ غَلِيلاً

(١) انظر: ديوان الشريف المرتضى: ج ١، ص ١٤٥، ص ٢٩٠، ج ٢، ص ٢٨، ص ٤١،
ص ٥٣، ص ٩٢، ص ٢٥٥، ج ٣، ص ٢٦٤.

أَخَالَ صَحِيحًا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَأْسَ الْجَوَى إِلَّا أَكُونَ عَلَيْهِ
كَأَنِّي وَمَا أَحْبَبْتُ أَهْوَى مُنْعَمًا وَأَرْجُو ضَنِينًا بِالْوَصَالِ بَخِيلًا (١)

يبدأ الشاعر القصيدة - كما نرى - بمخاطبة نفسه مبيّنًا حزنه وأساه وشدة بكائه على الذين ذهبوا، وهم الحسين وأتباعه، وهو عليل شاك يذرف الدُموع التي لا تُجدي نفعاً، فلا تداوي المجرّوح ولا تشفي غليل النفس.

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى موضوع الرثاء، فيذمّ الوقوف على الأطلال البالية، فيبيّن أن ذلك لا يسترعي اهتمامه، وليس له قيمة في نفس الشاعر، وذلك لأنّه مهموم بسبب ما أريق في الطّف بكربلاء من الدماء الزكية، فهو مفعول لا يستطيع الصبر على مصابه، يقول:

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْكِي نُؤْتًا وَدِرْمَنَةً وَيَهْدُبُ رَسْمًا بِالْقِرَاءِ مَحِيلًا (٢)
عَدَانِي تَمْ لِي طَلٌّ بِالطَّفِّ إِنْ أَرَى شَجِيئًا أَبْكِي أَرْعَاءً وَطُلُولًا
مُصَابٌ إِذَا قَابَلْتُ بِالصَّبْرِ غَرْبَهُ وَجَدْتُ كَثِيرِي فِي الْعَزَاءِ قَلِيلًا (٣)
وَرَزَا حَمَلْتُ الثَّقَلَ مِنْهُ كَأَنِّي سِي مَدَى الدَّهْرِ لَمْ أَحِيلْ سِوَاهُ ثَقِيلًا (٤)

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى هجاء قتلة الحسين، واصفا إياهم بالكفر ومعاداة الدين، وقتل آل الرسول الكريم بعد وفاته، وبخص بالذكر الأمويين وآل أبي سفيان فيؤتّبهم ويقرّعهم، فيبيّن أنّهم غدّروا برسول الله الذي أخرجهم من الضلال إلى الهدى، فقتلوا الحسين، وهذا دليل على ضعف دينهم وسيطرة حبّ الدنيا وشهوة الطلّك على نفوسهم، يقول:

وَجَدْتُمْ عِدَاةَ الدِّينِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَى كَلْبِهِ فِي الْأَقْرَبِينَ سَبِيلًا
كَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْزَعُوا بِمَكَانِيهِ خُشُوعًا مُبِينًا فِي الْوَرَى وَخُمُولًا
وَأَيْتُكُمْ مَا عَزَّ فِينَا بِدِينِيهِ؟ وَقَدْ عَاشَ دَهْرًا قَبْلَ ذَاكَ زَلِيلًا

- (١) انظر: ديوان الشريف المرتضى: ج ٣، ص ٧٧-٧٨.
(٢) النووي: الحفير حول الخبثاء أو الخيمة يمنع السيل، والدمنة: آثار الدار. (انظر: القاموس المحيط: مادة نأيته - ومادة الدمن).
(٣) الغرب: الحد. (انظر: القاموس المحيط: مادة الغرب).
(٤) ديوان الشريف المرتضى: ج ٣، ص ٧٨.

فَقُلْ لِبَنِي حَرَبِيٍّ أَمِّيَّةٍ إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ قَوْوًا وَلَا
سَلَلْتُمْ عَلَى آلِ النَّبِيِّ سُؤْقَهُ مُلِينًا ثُلُومًا فِي الطَّلِيِّ وَقُلُولا (١)
وَقَدْ نَمَّ إِلَى مَنْ قَادَكُمْ مِنْ ضَلَالِكُمْ فَأَخْرَجَكُمْ مِنْ وَادِيئِهِ خُبُولا
وَلَمْ تَعْدُوا إِلَّا يَمَنَ كَانَ جَدَّهُ إِلَيْكُمْ لِيَتَحَفُوا بِالنَّجَاةِ رَسُولا
وَتَرْضُونَ ضِدَّ الْحَزْمِ إِنْ كَانَ مُلْكُكُمْ بِيَدَيْنَا وَدِينَا نَعُوهُ هَزِيلا (٢)

وَبَعْدَ هَذَا الْهَجَاءِ لِلْأُمَوِيِّينَ يُصَوِّرُ الْمَرْضَى مَا حَدَّ بِاتِّبَاعِ الْحُسَيْنِ مِنَ التَّقْتِيلِ ،
وَيَسَائِهِ مِنَ التَّشْرِيدِ ، وَيَصَوِّرُ لَوْعَتَيْهِ وَبِكَاءَهُنَّ الْقَتْلَى . ثُمَّ يَقْدِّمُ الْمَرْضَى عَرْضًا يُعَسِّدُ
وَشِيقَةَ تَارِيخِيَّةَ لِلْأَحْدَاثِ ، فَيُبَيِّنُ أَنَّ أَعْدَاءَ الدِّينِ قَدْ دَعَوْا الْحُسَيْنَ إِلَى الْمَجْسِيءِ
إِلَى الْعِرَاقِ وَأَقْسَمُوا لَهُ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ سَيَطِيعُونَهُ وَيَنْصُرُونَهُ ، وَهَذَا زَالُوا يَرْسَلُونَ لَهُ إِلَى
أَنْ أَجَابَهُمْ وَجَاءَ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ هَالِكُهُ الْمَفَاجَاةُ وَالْغَدْرُ ، فَقَدْ وَجَدَهُمْ فِي جِيُوشِ جَرَّارَةٍ
تَجَمَّعَتْ لِقَاتِلِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ إِلَّا النَّكْثَ بِالْوَعْدِ ، فَبَعْضُهُمْ قَاتَلَهُ وَآخَرُونَ قَعَدُوا عَنْ نُصْرَتِهِ ،
وَقَدْ طَلَبَ إِلَيْهِمُ الْحُسَيْنُ أَنْ يَتْرَكُوهُ يَذْهَبُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بِالشَّامِ ، أَوْ أَنْ يَرْجِعَ
مِنْ حَيْثُ أَتَى وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ذَلِكَ ، وَهَذَا كَمَا نَلَاظُ وَشِيقَةَ تَارِيخِيَّةَ عَظِيمَةَ الْأَهْمِيَّةَ
فِي تَوْضِيحِ الْأَحْدَاثِ ، يَسْتَطِيعُ الْعَرُءُ أَنْ يَسْتَنْتِجَ مِنْهَا أَحْدَاثَ كَرَبْلَاءَ ، رَوْنِ أَنْ يَقْرَأَ ذَلِكَ
فِي كِتَابِ التَّارِيخِ قَوْلٌ :

نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ عَقْرَبٍ يَارِكُومُ يَرْجِعْنَ مِنْكُمْ لَوْعَةً وَعَوِيلا
لَهِنَّ يَبُوغَاءُ الطُّغُوفُ أَيْعَزَّةُ سُقُوا الْعَوْتَ صِرْفًا صَبِيَّةً وَكُهولا (٣)
كَأَنَّهِنَّ نَوَارُ رَوْضٍ هَوَتْ بِهِ رِيَّاحُ جَنُوبٍ بَاتَّارَةً وَقَهولا (٤)
وَأَنْجُمٌ لَيْلٍ مَا عَلَوْنَ طَوَالِ الْعَا لِأَعْيُنِنَا حَتَّى هَبَطْنَ أَفُولا
فَأَيُّ بُدُورٍ مَا مُجِينٍ بِكَاسِفٍ وَأَيُّ غُصُونٍ مَالِقِيَةٍ ذُبُولا

- (١) الطَّلِي : جمع الطَّلِيَّةِ وهي المُنْقَى أو أصلها ، وَالْقُلُولُ : الثَّلْمُ . (انظر :
القاموس المحيط : مادة طلى ومادة : فله) .
(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٧٨ .
(٣) البوغاء : التربة الرخوة . (انظر : القاموس المحيط : مادة البوغاء) .
(٤) النوار : الزهر الأبيض ، والقبول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور . (انظر :
المصدر نفسه : مادة النور ، ومادة قبل) .

أَمِنْ بَعْدِ أَنْ أُعْطِيَئُوهُ عُهُودَ كُمْ
 رَجَعْتُمْ عَنِ الْقَضْرِ الْمُبِينِ تَنَاكُصًا
 وَقَعَقْتُمْ أَبْوَابَهُ تَخْتَلُونَهُ
 فَمَا زِلْتُمْ حَتَّى أَجَابَ نِدَاءَ كُمْ
 فَلَمَّا دَنَا الْفَاكُ فِي كِنَائِي سَبِ
 مَتَى تَكُ مِنْهَا حَجْرَةٌ أَوْ كَحَجْرَةٍ
 فَلَمْ يَرِ إِلَّا نَنَايْنَا أَوْ مُنْجَبَا
 وَإِلَّا فُقُودًا عَنِ لِعَامٍ بِنَصْرِهِ
 وَبِيضًا رَقِيْقَاتِ الشَّغَارِ صَقِيْلَاهُ
 وَلَا أَنْتُمْ أَفْرَجْتُمْ عَنْ طَرِيقِهِ

خِقَافًا إِلَى تِلْكَ الْعُهُودِ عَجُولا
 وَحُلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ حُولا
 وَمَنْ لَمْ يَرِدْ خَتْلًا أَصَابَ خُولا
 وَأَيُّ كَرِيمٍ لَا يُجِيبُ سَسُولا
 تُطَاوِلْنَ أَقْطَارَ السَّمَايِبِ طُولا (١)
 سَمِعْتَ رُغَاءً مُضْعَفًا وَصَهِيْلًا (٢)
 وَإِلَّا قَطُوعًا لِلذَّمَامِ حَلُولا
 وَإِلَّا جَبُوهَا بِالرَّدَى وَخَذُولا
 وَسُغْرًا طَوِيْلَاتِ الْعُتُونِ عُسُولا (٣)
 إِلَيْكُمْ وَلَا لَمَّا آرَادَ قَفُولا (٤)

وبعد هذا العرض الوثائقي الدقيق لأحداث استشهائ الحسين بكربلاء يتكلم الشاعر على حزن الرسول الكريم لما أصاب سبطه الحسين وأتباعه في كربلاء ، ومن ذلك أنهم قتلوا عطاشاً قد منعوا ماء الفرات ، فلم يروا طعاماً . يقول :

عَزِيزٌ عَلَى الثَّوْبِي بِطَيْبَةِ أَعْظَمُ
 وَكُلُّ كَرِيمٍ لَا يَلِيْمٌ بِرَيْبِيَّةِ
 يُذَارُونَ عَنِ مَاءِ الْفَرَاتِ وَقَدْ سَقُوا الشُّدَّ
 رُمُوا بِالرَّدَى مِنْ حَيْثُ لَا يَحْذَرُونَهُ

نُبِذَكَ عَلَى أَرْضِ الطُّفُوفِ شُكُولا
 فَإِنْ سِيمَ قَوْلِ الْفُحْشِ قَالَ جَمِيْلًا
 شَهَادَةَ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ بَدِيْلًا
 وَغُرُواوَكَمْ غَرَّ الْغُفُولُ غَفُولا (٥)

- (١) السبب: المفازة أو الأرض المستوية . (انظر: القاموس المحيط مادة سبه) .
 (٢) الحَجْرَةُ: العرة من المحاجزة وهي الممانعة عن القتال ، والرغاء: صوت البعير والنعام والضبع (انظر: المصدر نفسه: مادة: حجزه، ومادة رغا) .
 (٣) عسولا: من غسل الرُّمَحَ أي اشتدَّ اهتزازُه واضطرب. (انظر: المصدر نفسه،: مادة غسل) .
 (٤) ديوان الشريف المرتضى: ج ٣، ص ٧٨-٧٩ .
 (٥) المصدر نفسه: ج ٣، ص ٧٩-٨٠ .

ثم يبلغ الحزن من الشاعر أقصى درجاته، فتطغ نفسه باللوعة والأسى فيصيب
غضبه على يوم عاشوراء، يوم استشهاد الحسين، فيلجأ إلى مخاطبته وكأنها هــــــــ
كائن حيٌّ مائل أمامه، فيبين أنه قد أنزل بال الرسول الكريم فجائع عظيماً، وعلى رأسها
قتل الحسين الذي يقتله عظمت المصيبة على الناس في الدين والدنيا، فقد فقد الدين
وقطعت اليمين. ثم يخاطب الشاعر أعداء آل البيت مبيناً أن الله تعالى كفيل بإعادة
الأموال إلى نصابها والخلافة إلى أصحابها. يقول:

أَيَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَمْ مِنْ فَجِيعَةٍ	عَلَى الْفُرَّاءِ اللَّهُ كُنْتَ نَزُولاً
رَخَلْتَ عَلَى أْبْيَاتِهِمْ بِمُصَابِهِمْ	أَلَا بَسَمَا ذَاكَ الدُّخُولُ رُخُولاً
نَزَعْتَ شَهِيدَ اللَّهِ مِنَّا وَإِنَّمَا	نَزَعْتَ يَمِيناً أَوْ قَطَعْتَ قَلْباً (١)
قَتَيْلاً وَجَدْنَا بَعْدَهُ رِيْنَ أَحْمَدٍ	فَقِيداً وَعِزَّ الْمُسْلِمِينَ قَتَيْلاً
فَلَا تَبْخَسُوا بِالْجَوْرِ مَنْ كَانَ رِئُوسَهُ	يَرْجِعُ الَّذِي نَزَعْتُمُوهُ كَفَيْلاً (٢)

وهكذا بلغ تفجع الشاعر الذروة عندما ذكر أن قتل الحسين فيه قتل للدين، وهذا
يحمل في طياته الشهور بمنزلة آل أبي طالب الدينية، فالمرتضى برثائه الحسين لا يرثي
الحسين وحده، وإنما يرثي الدين الإسلامي كله بأحكامه وأوامره ونواهيه، وقوته وعزته.
وبعد هذا يختتم الشاعر قصيدته مخاطباً آل البيت معتبراً حُبهم هداية وبُغضهم
ضلالة، ومبيناً عزمه على الثبات على حُبهم والولاء لهم وعدم الاستماع إلى العذال، الداعين
إلى بغضهم وكراهيتهم، مستجلباً لهم سلام الله ورحمته، يقول:

أَحِبُّكُمْ آلَ النَّبِيِّ وَلَا أَرَى	وَأِنْ عَدَلُونِي عَنْ هَوَايَ عَدِيلاً
وَقُلْتُ لِمَنْ يَلْحَى عَلَيَّ شَفِيفِي بِكُمْ	وَكَمْ غَيْرِ زِي نُصَحَ يَكُونُ عَدُولاً
رُوَيْدُكُمْ لَا تَنْحَلُونِي ضَالِكُكُمْ	فَلَنْ تُرْجِلُوا مِنِّي الْفِدَاةَ ذُلُولاً
عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ عَيْشاً وَمَمَاتَةً	وَسَفراً تُطِيعُونَ النَّوَى وَحُلُولاً

(١) القليل: يريد بها القلّة، وهي أعلى الرأس والسنام. (انظر: القاموس المحيط: مادة القل).

(٢) ديوان الشريف المرتضى: ج ٢، ص ٨٠.

فَمَا زَاغَ قَلْبِي عَنْ هَوَاكُمُ، وَأَخْمَصِي
فَلَا زَلَّ عَمَّا تَرْتَضُونَ زَلِيلًا (١)

وهكذا يبكي المرتضى جده الحسين وأتباعه بهذه القصيدة مصوراً ما حل بهم ،
ويهاجم أعداءهم مبيناً غدرهم وخيانتهم ، ثم يبين مكانة آل البيت الدينية والدنيوية ،
ويختتمها - في البيت قبل الأخير - بجمل سلام الله تعالى وقفاً عليهم أحياءً وأمواتاً ،
سافرين وواقعيين ، وهذا يذكرنا بقول أبي تمام في الرثاء :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًا فَيَانِسِي
رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحَرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرٌ (٢)

وفي قصيدة أخرى يرثي المرتضى آل البيت، ثم يذكر أنهم هم الذين تنزل عليهم
القرآن الكريم، وأنهم هم حجة الله تعالى على جميع خلقه، وهم الذين يتقرب المرء إليهم
إلى الله سبحانه وتعالى، فهم الذين يستحقون أن تُقال فيهم الأشعار، ولذا فهو
سيفي يذكرهم في شعره ونثره وأحاديثه وسيواظب على هجاء أعدائهم ورؤيهم بأسهمه
الصائبة، وسيناصرهم بشعره وسيفه يقول :

يا آل ياسينَ وَمَنْ حُبُّهُمُ	منهجَ ذاك السنن الأقوم
مهبطُ الأملِكِ أبايتُهُمُ	ومستقرُّ المنزلِ المحكم
فأنتم حجة رب السورى	على فصيح النطقِ أو أعجم
وأين ؟ إلا فيكم قرينة	إلى إله الخالق المنعم
والله لا أخلت من ذكركم	نظمي ونثري ومرامي فعمي
كلا ولا أغيبُ أعداءكم	من كلي طوراً ومن أسهمي (٤)
ولا ربي يوم مصاب لكم	منكشفاً في شهرِ مبسمي

- (١) ديوان الشريف المرتضى ج ٢، ص ٨٠ .
(٢) حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام، الشاعر المشهور، كان أبوه نصرانياً من أهل
جاسم إحدى قرى دمشق، وكان رائع الشعر، حسن الأسلوب، توفي سنة ٢٣١ هـ .
(انظر: وفيات الأعيان ج ٢، ص ١١٠-٢٦) .
(٣) ديوان أبي تمام ج ٤، ص ٨٠ .
(٤) أغيب من الإغياب، وهو ترك الشيء مدةً من الزمن . (انظر: القاموس المحيط :
مادة الغيب) .

فَإِنْ أَعْبَ عَنْ نَصْرِكُمْ بَرَهَةً
بِمَرْهَفَاتٍ لَمْ أَعْبِ بِالْقَامِ (١)

ومن مظاهر تشبُّع الشَّريفِ المرتضى فخره بأل البيت الكرام، وذكرُ مَنْ قَبِيهِم التي يتَّسمون بها، وقد أكثر المرتضى من ذلك في شعره، ومنه فخرُهُ بأل البيت في إحدى قصائده واصفاً إياهم بالشَّجاعِ والوفاءِ والكرمِ والطُّهرِ، فهم أكرم النَّاسِ لا يُعْطُونَ إِلَّا الشَّمِينَ من العَطَاءِ، وهم أشجعُ النَّاسِ في المعارك لا يتَوَاتُونَ عنها، وهم أشدُّ إِطَاعِينَ بِرِ مَا حِيَهُم لا يبالون بالموت، يقول:

وَأَتَى إِنْ فَخَرْتُ عَلَى الْبِرَائِيَا	فَخَرْتُ بَعْنَ بَيْدُ الْفَاخِرِينَا (٢)
بَابَاءٍ وَأَجْدِ إِي كِ كِرَامِ	كَمَا كَانُوا عَلَى كُلِّ الْهَيْبِنَا
أَلْسَنَا أَشْجَعَ الثَّقَلَيْنِ طُورًا	وَأَوْفَاهُمْ وَأَجُودَ هُمْ بَيْمِنَا (٣)
وَأَطْهَمَهُمْ وَأَقْرَاهُمْ ضِيُوفَنَا	وَأَعْطَاهُمْ إِذَا وَهَبُوا الشَّمِينَا
وَأَرْكَبَهُمْ لِمُعْضَلَةٍ قَمُوصِ	تَشَامَسُ عَنْ رُكُوبِ الرَّائِبِينَا (٤)
وَأَنْضَرَهُمْ وَأَطْهَرَهُمْ ذُيُولًا	وَأَمْضَاهُمْ وَأَقْضَاهُمْ ذُيُونَا ؟
وَأَنَا إِنْ شَهِدْنَا الْحَرْبَ يَوْمًا	فَرَيْنَا بِالسُّيُوفِ وَمَا فُرِينَا (٥)
وَإِنْ أَبْصَرْنَا نَحْمِي حَرِيمًا	رَأَيْتَ الْأُسْدَ يَحُونِ الْعَرِينَا
فَإِنْ طَلِبَ النَّدَى كُنَّا بَحُورًا	وَإِنْ حَذِرَ الرَّدَى كُنَّا حُصُونَا
تَقُودُ إِلَى الْكَرْيَةِ كُلِّ يَوْمٍ	خَيْولًا مَاوِينَ وَلَا وَجِينَا (٦)

(١) ديوان الشَّريفِ المرتضى: ج ٣، ص ٢٦٢.

(٢) بيدٌ: من البَد، وهو الغَلْبَةُ. (انظر: القاموس المحيط: مادة البَد)

(٣) الثَّقَلَانِ: الإِنْسِ وَالْجِنُّ (انظر: المصدر نفسه: مادة الثَّقَلُ).

(٤) قَمُوصِ الْفَرَسِ أَي رَفَعَ يَدَيْهِ وَطَرَحَهُمَا مَعًا وَتَشَامَسَ وَتَشَامَسَ مِنْ شَمَسَ الْفَرَسُ شُعُوسًا فَهُوَ شَامِسٌ وَشُعُوسٌ أَي مُتَمَتِّعٌ عَلَى رَاكِبِهِ. (انظر: المصدر نفسه: مادة قَمُوصِ، ومادة الشمس).

(٥) فَرَيْنَا: شَقَقْنَا. (انظر: المصدر نفسه: مادة فَرَاهِ).

(٦) وَشَى: مِنَ الْوَشَى وَهُوَ الضَّعْفُ وَالْفُتُورُ، وَوَجِينَا مِنَ الْوَجَى وَهُوَ الْحَفَا. (انظر: المصدر نفسه: مادة الْوَجَى، ومادة الْوَجَى).

فَإِنْ عَدُّوا خَوْرَنَقَهُمْ عَدُّنَا لَنَا الْبَيْتَ الْمُحَرَّمَ وَالْحَجُّوتَنَا (١)
وَزَمَزَمَ مَوْرِدًا تُثْنِي عَلَيْهِ إِذَا وَرَدَتْ شِفَاهُ الْوَارِدِينَا (٢)

ثم يفخر الشاعر بعد ذلك بماثر آل البيت ومواقفهم المشرفة في تاريخ الإسلام مع الرسول الكريم، ودفاعهم عنه والشباب معه في المعارك والغزوات، وكان هذا رأبهم فسيوفهم رؤماً مشرعة لا تعرف الأعمار . يقول :

يَخْبِيرُ أَوْ يَبْدُرُ أَوْ حُنَيْنِ وَأَحَدٍ وَالتَّهَانَا يَرْتَمِينَا
رَفَعْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ طَعْنًا وَضَرْبًا بِالصَّوَارِمِ مَنْ لَقِينَا
وَقَيْنَاهُ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ بِأَسْيَافِ الْجِلَابِ وَمَا وَقِينَا
بِأَبْصَارٍ تَذُرُّ مِنَ السَّوَابِي وَتُكْحَلُ بِالرِّيَاحِ إِذَا قَدِينَا
وَأَجْسَادٍ عَرِينِ مِنَ الْمَخَازِي وَمِنْ كَرَمٍ وَخَبِيرٍ مَا عَرِينَا
فَلَا أَرْمَا حَنَا يَعْزِفَنَّ رَكْزًا وَلَا الْأَسْيَافُ يَعْزِفَنَّ الْجُفُونَا
وَكُنَّا فِي التَّلَقَاءِ وَفِي عَطَا يُضَنُّ بِهِ نُجَيْبٌ إِذَا دُعِينَا
وَكَمْ طَافَتْ بِدَوْحَتِنَا عُيُونُ فَلَمْ تَرَفِي جَوَانِبَهَا هَجِينَا (٣)

ويتجلى تشيع المرتضى أيضاً في حديثه عن بعض آراء الشيعة ومبادئهم، ومن ذلك قوله من قصيدة في رثاء أستاذه الشيخ المفيد :

وَإِذَا مَا اخْتَرِمْتُ مِثِّي فَمَا أَرَهُ هَبْ مِنْ سَائِرِ الْأَنَامِ اخْتِرَامَا
إِنْ تَكُنْ مُجْرِمًا، وَلَسْتُ، فَقَدْ وَارَهُ لَيْتَ قَوْمًا تَحَمَّلُوا الْأَجْرَامَا
لَهُمْ فِي الْمَعَارِ جَاهُ إِذَا مَا بَسَطُوهُ كَفَى وَأَغْنَى الْأَنَامَا
لَا تَخَفْ سَاعَةَ الْجَزَاءِ وَإِنْ خَسَا فَ أَنْاسٌ فَقَدْ أَخَذَتْ زَامَامَا (٤)

فالمرتضى في هذه الأبيات مؤمنٌ بمبدأ من مبادئ الشيعة وهو العقار، داعياً المرثي إلى عدم الخوف لأنه والوال البيت الذين سيشفعون للناس يوم القيامة .

- (١) الخورنق قصر كان يظهر الحيرة، قيل إن الذي أمر ببنائه هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي الأكبر (انظر: معجم البلدان ج ٢، ص ٤٠١-٤٠٣) .
والحجون : جبلٌ بأعلى مكة، وقيل هو مكانٌ على ميل ونصفٍ من الكعبة (انظر: المصدر نفسه : ج ٢، ص ٢٢٥) .
(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣، ص ٣٠٦ .
(٣) المهجين : اللثيم، أو عربي ولد من أمه . (انظر: القاموس المحيط : مادة الهجنة) .
و ديوان الشريف المرتضى : ج ٣، ص ٣٠٧ .
(٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣، ص ٣٠٦ .

وَنَلْمَحُ فِي شِعْرِ الْمُرْتَضَى أَنَّهُ يَخْلُو مِنْ صُورِ الْهَزْلِ وَالْعَبَثِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى رِيْنِهِ وَزَهْدِهِ وَأَسْرَتِهِ (١) ، وَلِذَا فَإِنَّا لَنَجِدُ لَهُ شِعْرًا فِي وَصْفِ الْخَمْرِ وَمَجَالِسِهَا وَسَاقِيهَا ، وَلَا تَكَادُ نَجِدُ لَدَيْهِ اهْتِمَامًا بِالْقِيَانِ وَمَجَالِسِ الطَّرْبِ وَالْفَنَاءِ ، وَقَدْ كَانَ تَقِيًّا يَصِفُ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي لَا تُخِلُّ بِالْوَقَارِ وَشَرَفِ الْأَصْلِ وَعِرَاقَةِ النَّسَبِ ، وَلَا تُخِلُّ بِالذِّينِ وَالْعَقِيدَةِ ، وَمَسْنُونِ ذَلِكَ وَصْفِهِ الْحَجَّ وَرِحْلَتَهُ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَصَوِّرُ فِيهَا مَا يَسْتَشْعِرُهُ الْحَاجُّ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْحَنِينِ إِلَى الدِّيَارِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَمَا يَقُومُ بِهِ الْحُجَّاجُ أَثْنَاءَ إِقَامَتِهِمْ هُنَاكَ مِنَ الْمُنَاسِكِ وَالْمَشَاعِرِ ، وَنَتِيجَةَ تِلْكَ الرَّحْلَةِ الَّتِي عَادُوا بِهَا فَقَدْ انْحَطَّتْ آثَامُهُمْ وَخَطَايَاهُمْ الَّتِي كَانُوا مُثْقَلِينَ بِهَا قَبْلَ ذَهَابِهِمْ ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ رَحْلَةَ الْحَجِّ رَحْلَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لِذَا فَإِنَّ مَشَاقِقَ السَّفَرِ تُعْلَلُ فِي نَظَرِ الْحَجِيجِ أَمُورًا سَهْلَةً مَحَبَّةً إِلَى النَّفْسِ (٢) . وَنَلْمَحُ ذَلِكَ الْحِفَاطَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالذِّينِ وَالْوَقَارِ الَّذِي يَمْلِكُهُ عَلَى الْمُرْتَضَى نَسْبَةَ الْعَرِيقِ فِي وَصْفِهِ إِيْوَانَ كَسْرَى فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

هَلْ مُجِيرٌ مِنْ غُصَّةٍ مَا تَقَضَّى أَوْ هَفِيعٌ فِي حَاجَةٍ لَيْسَ تُقَضَّى (٣)

حَيْثُ لَمْ يَعْمُدْ إِلَى وَصْفِ التَّمَاثِيلِ وَالصُّورِ الْمَوْضُوعَةِ فِي إِيْوَانَ ، وَإِنَّمَا وَصَفَ إِيْوَانَ نَفْسَهُ فَذَكَرَ مَا تَتَابَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَعَوَارِي الزَّمَنِ ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ عَظِيمًا يَشْهَدُ عَلَى عَظْمَةِ مَنْ بَنَوْهُ ، ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ الْمُرْتَضَى فِي ذَهْنِهِ أَيَّامَ الْمَجْدِ وَالْعِزِّ الَّتِي قَضَاهَا الْمَلُوكُ الْفَرَسِ فِي هَذَا إِيْوَانَ ، وَهِيَ هِيَ الْآنَ قَدْ أَصْبَحَ مَرْتَعًا لِلْحَيَوَانَاتِ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَشْجَعِ الشُّجْعَانَ لَا يَجْرُؤُ عَلَى الْإِقْتِرَابِ مِنْهُ . وَهَذَا يُذَكِّرُنَا بِقَصِيدَةِ الْبَحْتَرِيِّ فِي وَصْفِ إِيْوَانَ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

صُنَّتْ نَفْسِي عَمَّا يَدَّسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ (٤)

لَكِنَّ قَصِيدَةَ الْبَحْتَرِيِّ تَشْتَلُ عَلَى وَصْفِ التَّمَاثِيلِ وَالصُّورِ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ ، وَهُوَ مَا لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ الْمُرْتَضَى .

(١) الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى : ص ١٥٠ .

(٢) انْظُرْ : دِيْوَانَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى : ج ٣ ، ص ٢٩٨ - ٣٠١ .

(٣) انْظُرْ : الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ : ج ٢ ، ص ١٦٠ - ١٦٣ .

(٤) انْظُرْ : دِيْوَانَ الْبَحْتَرِيِّ : ج ٢ ، ص ١١٥٢ - ١١٦٢ .

وهناك ظاهرة مهمة في شعر المرتضى يتميز بها عن غيره من معاصريه، تستحق منا أن نتوقف عندها وهي ليست من الأغراض التقليدية التي أكثر منها الشعراء.

لقد كان الشريف المرتضى مولعاً بوصف الطيف، وقال في ذلك أشعاراً كثيرة، بلغت خمسة وعشرين وثلاثمائة بيت، وهو عدد لم يبلغه شاعر آخر، كما أخبر المرتضى نفسه بذلك (١). وقد كان المرتضى في وصف الطيف أكثر تحرراً منه في الغزل، ولا غرابة فسي ذلك فزيارة الطيف تحريت متعة لا إثم فيها ولا عيب، وقد صرح المرتضى بذلك فقال عن طروق الطيف "إنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ولا يخشى منع منهما ولا اطلاع عليهما، والشهمة بهما زائلة والريبة عنهما عادلة، وإنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم، ولا يدنو إليهما تأنيب، ولا عيب فيما ولا عار (٢). وليس أدل على اهتمام المرتضى بالطيف من أنه صنّف كتاب "طيف الخيال"، أودع فيه شعره في الطيف، وشعر بعض الشعراء الآخرين.

قال المرتضى مقطوعات شعرية في الطيف وزيارته، وكانت معانيه في هذه المقطوعات تدور في الغالب حول كون زيارة الطيف باطلاً وزوراً، فهي ليست زيارة حقيقية، ومن ذلك قوله من مقطوعة :

لَأُطَلِّقَتْ مِنْ ضَيْقِ الْوَتَاقِ أَسِيرًا وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي زُورًا إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ سُرُورًا لِعَيْنِي أَوْ قَلْبِي فَعَادَ قَصِيرًا (٣)	تَزُورِينَنَا وَهَنًا وَلَوْ زُرْتِ فِي الضُّحَى وَمَا كَانَ مَا أَشْعَرْتِينِيهِ زِيَارَةً فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقًّا فَاتِي جَنَيْتُهَا فَجَاءَتْ إِلَى لَيْلِي الطَّوِيلِ فَخُلِّيتُ وقوله من أخرى :
--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

فَأَلَا وَضَوْءُ الصُّبْحِ لِلْعَيْنِ مُشْرِقُ؟ وَأَوْسَعْنَا مِنْكَ اللَّقَاءُ الْمُرُوقُ (٤)	حَلَلْتِ بِنَا وَاللَّيْلُ مِنْ سُدِّ وَلَدِهِ وَرِدَّتْ مِطَالًا عَنْ لِقَاءِ مُصَاحِّحٍ
---------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------

(١) انظر: طيف الخيال: ص ١٨١.

(٢) المضمر نفسه: ص ٥-٦.

(٣) ديوان الشريف المرتضى: ج ٢، ص ٦٠-٦١.

(٤) المرزوق: المرزوق، من التزويق وهو التزيين. (انظر: القاموس المحيط: مادة الزوق).

فَأَحْبِبُّهُ بِهِ مِنْ طَارِقٍ بَعْدَ هَسْدِ آفٍ
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا
رَدَاءٌ سَحِيقٌ أَوْ مَلَأٌ مُشَبَّرُقٌ (١)

فزيارة الطيف ضرب من الخداع والباطل، ولذا يُكثِرُ منها المحبوب، ويُسَبِّهُ المرتضى ما كان بينه وبين طيف المحبوب من الوصل الزائف بالرداء البالي. وهو تشبيه يدل على زيف وصل الطيف وعدم أصالته.

ولكن العام طيف المحبوب بالشاعر حلو ممتع على الرغم من كونه باطلاً، فهو تلاقي
أرواح لا تلاقي أجساد، يقول المرتضى :

وَلَيْلَةَ زُرْتِنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ
وَجُدَّتْ لَنَا بِتَقْبِيلِ الشَّائِبَا
تَلَاقَيْنَا بِأَرْوَاحٍ ظَمَمَا
وَلَمَّا أَنْ تَفَرَّقْنَا رَجَعْنَا
فَإِنْ يَكُ بَاطِلًا لَاحِقٌ فِيهِ

عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْبِرَاقِ
عَلَى رَغَمِ الْوِشَاةِ وَالْمَعْنَاكِ
عَشِيَّةً مَا لِأَجْسَادٍ تَسْلَاقِ
إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْفِرَاقِ (٢)

فَكَمْ مِنْ بَاطِلٍ حُلُو الْمَدَاقِ (٣)

ويعلم المرتضى ستر استمتاعه بالطيف ومحبتته طروفه ورغبته فيه مع أن زيارة الطيف باطل لاحق، فبيّن أنه يحب زيارة الطيف لأنه يكون بمعنى عنده عن لوم اللائمين وعذل العاذلين، يقول :

لِقَاؤُكَ يَا سَلَمَى وَإِنْ كَانَ دَائِمًا
وَقَدْ كَانَ صُبْحًا يَمْلَأُ الْعَيْنَ قَرَّةً
وَلَمْ يَشْفِ ذَاكَ الْفُرْبُ وَهُوَ مَرَجَمٌ

بِعِزِّ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ لِمَا
فَعَارَ يَقُولُ الْكَاشِحِينَ ظَلَامًا
مِنَ الْقَوْمِ سَعْمًا بَلْ أَنَارَ سَقَامًا

- (١) السحيق : البالي ، والملاء : الرهطة أي الشوب الرفيق ، والمشهرق : الفاسد نسجاً .
(انظر : القاموس المحيط ، مادة سحقه ، ومادة ملاء ، ومادة الرهطة ، ومادة الشهرق) .
وديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٣٠٦ .
(٢) في الديوان : "إلى ما نحن فيه الفراق" .
(٣) ديوان الشريف المرتضى : ص ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

وَمَا كَانَ إِلَّا بَاطِلًا غَيْرَ أَنْتَسَا كُفِينَا بِهِ مِمَّنْ يَلُومُ مَلَامًا (١)

ولم يقتصر شعر الشريف المرتضى في الطيف على المقطعات، وإنما نظم الشريف المرتضى بعض القصائد في الطيف، ومن ذلك قصيدة له مطلعها :

وَزَائِرٍ مَا أَجْبَنَـهُ مَا زَارَ إِلَّا فِي سِنَةِ (٢)

يتحدث فيها عن المحبوب، فهو سبيء إلى الشاعر لأنه لا يزوره حقيقة في النهار، ولكنه يزوره ليلاً يهتئ طيفه إلى الشاعر، وهي زيارة باطلة ولكنها حسنة مقبولة من هذا المحبوب السبيء، الذي لم يكن يجود له بهذا الوهم من الزيارة لولا حلول الظلام الحالك، ثم يتعنى الشاعر لو تعود تلك الزيارة وتكرر.

وهكذا يتبين لنا أن الشريف المرتضى كان شاعراً شيعياً كبيراً عتبر بشعره عما يجول في نفسه بخاصة ونفوس الشيعة بعامة من مشاعر الألم والحزن لما حلّ بال أبي طالب من العسف والجور، ويخص بالاهتمام حادثة استشهاد الحسين وأصحابه في كربلاء، وقد ظهر منه عزم ورباطة جأش في إعلان آرائه الصريحة في استشهاد الحسين، وفي آلام أهل البيت، وإعلان النعمة على أعدائهم من أمويين وغيرهم، وهو لم ينس في الوقت نفسه - أن يفخر بأبائه أهل البيت وبمكانتهم الدينية والدنيوية.

وأبدع المرتضى في وصف الطيف وأكثر من ذلك كثرة لم تُعرف عند شاعر من قبل حتى عند الباحثي الشاعر المشهور.

(١) ديوان الشريف المرتضى: ج ٣، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ج ٣، ص ٣٠٩-٣١١.

أَبُو فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ : -

وإذا ما انتقلنا من العراق إلى بلاد الشام فإننا نجد شاعراً شيعياً آخر هو أبو فراس الحمداني، ويتضح التشيع في شعره بكل جلاء.

حَيَاتُهُ :

أَبُو فِرَاسِ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ الْحَمْدَانِيُّ ابْنُ عَمِّ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ ابْنِي حَمْدَانَ، الْأَمِيرُ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . يَخْتَلِفُ قَدَمَاءُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي وِلَادَتِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثَةَ لِلْهِجْرَةِ (١)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَةَ (٢) . وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ أَبَا فِرَاسٍ وُلِدَ قَبْلَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثَةَ لِلْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْظَمَ الْمُؤَرِّخِينَ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ تُوْفِيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ يَذْكَرُ فِي إِحْدَى قِصَائِهِ أَنَّهُ بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمُرِ، يَقُولُ :

وَقَوْلِكَ فِي الدِّيَارِ عَلَيْكَ عَارُ
أَبَعَدَ الْأَرْبَعِينَ مُجَرَّمَاتٍ
نَزَعَتْ عَنِ الصَّبَا إِلَّا بَقَايَا
وَقَدْ رَدَّ الشَّبَابُ الْمُسْتَعَارُ
تَمَارٍ فِي الصَّبَابَةِ وَأَغْتَرَارُ؟
يُحَقِّدُهَا عَلَى الشَّيْبِ الْعُقَارُ (٣)

ويترتب على قول أبي فراس هذا أنه يجب أن يكون قد ولد في سنة سبع عشرة وثلاثمائة على أقل تقدير، ويرجح هذا عندنا ما يذكره ابن كثير في البداية والنهاية من أن أبا فراس توفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة عن ثمان وأربعين سنة (٤).

ويذهب محمد مهدي البصير إلى أن المؤرخين القدامى لم يحدوا مكان ولادة أبي فراس، وأن معظم مؤرخي الأرب المحدثين يرون أنه ولد بمنبج، وهي مدينة تابعة لحلب، ويبتن محمد مهدي البصير أن أبا فراس ربما يكون ولد في الموصل عاصمة آباءه وأجداده (٥).

- (١) انظر: شذرات الذهب ج ٣، ص ٢٥، والنجوم الزاهرة ج ٤، ص ١٩٠.
- (٢) انظر: وفيات الأعيان ج ٢، ص ٦١.
- (٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ٢٤٤.
- (٤) انظر: البداية والنهاية ج ١١، ص ٢٧٨.
- (٥) انظر: في الأرب العباسي: ص ٣٩٥.

وليس الأمر كما ذهب إليه محمد مهدي البصير، إذ إننا نجد في كتاب النجوم الزاهرة أن أبا فراس ولدَ بَعْنِيجَ، وأنه كان ينتقل في الشام في دولة ابن عَقْوِ سيف الدولة بن حَمْدَانَ (١).

وقد حُرِّمَ أبو فراس من رعاية والده وتربيته وهو صغير، ففي سنة ثلاثٍ وعشرين— وثلاثمائة للهجرة قُتِلَ والده بالمَوْصِلِ على يد ابن أخيه ناصر الدولة، وذلك لأنه كان قد شرع في ضَمَانِ المَوْصِلِ وبعض المناطق الأخرى من جِهَةِ الخليفة الرّاضي بالله—، ففعل ذلك سِرّاً دون أن يَعْلَمَ الناسُ به، وذهب إليها في خمسينَ عَلاماً، وعندما وصل إليها قبضَ عليه ناصرُ الدولة ثُمَّ قَتَلَهُ، فأنكر ذلك الرّاضي بالله حين بلغه (٢).

وبعد مَقْتَلِ والد أبي فراسٍ نشأ هُتَمًا فكفله ابن عموزوجٍ اخته سيف الدولة، فنشأ في تربيته (٣)، فربّاه أحسن تربية، ونشأه أحسن تنشئة، كانت مثار إعجاب أبي فراس نفسه، ممّا حدا به إلى الفخر بها في بعض شعره، ومن ذلك قوله:

وَكَيْفَ تَنْتَصِفُ الأَعْدَاءُ مِنْ رَجُلٍ	العِزُّ أَوَّلُهُ وَالْمَجْدُ آخِرُهُ
زَاكِي الأَصُولِ كَرِيمِ النَّبَعَتَيْنِ وَمَنْ	رَكَتْ أَوَائِلُهُ طَابَتْ أَوَاخِرُهُ
فَمِنْ سَمِيدِ بِنِ حَمْدَانَ وَلَا دُتُّهُ	وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَائِرُهُ (٤)

وَحَقُّ لأبي فراسٍ أَنْ يَفْخَرَ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَقَدْ أَقَامَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَالْحَمْدَانِيُّونَ بِجِهَادِهِمُ التَّرومَ حَضَارَةً فِي حَلَبٍ كَانَتْ مِثَارَ الإِعْجَابِ، وَبَقِيَتْ لِهَلَالِهَا هِدَاً عَلَى عِزِّهِمْ وَمَجْدِهِمْ— بعد فنائهم (٥).

وعندما شبَّ أبو فراسٍ أخذ سيفُ الدولة يستصحبه معه في غزواته، ويستخلفه على أعماله (٦)، ولعلّه أراد من ذلك أن يتمرَّسَ بالسياسة والحرب والإدارة. وكان سيف الدولة يكرم أبا فراسٍ إكراماً خاصّاً، ويميّزه بذلك عن سائر قومه وبصطنعه لنفسه (٧)، وكانت العلاقة

-
- (١) انظر: النجوم الزاهرة ج ٤، ص ١٩٠.
 (٢) وفيات الأعيان ج ٢، ص ٦١-٦٢.
 (٣) نشوار المحاضرة ج ١، ص ٢٢٥.
 (٤) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ٢٣.
 (٥) انظر: رحلة ابن جبير: ص ٢٢٥.
 (٦) بيتية الدهر ج ١، ص ٣٥.
 (٧) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسهما.

بين سيف الدولة وأبي فراس علاقة وطيدة، يدلنا على ذلك ما روي من أن سيف الدولة قال لجلسائه يوماً: مَنْ مِنْكُمْ يَجِيزُ هَذَا الْبَيْتَ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا سَيْدِي - يَعْنِي أَبَا فِرَاسٍ - والبيت هو قوله:

لَكَ جَسْمِي تُعَلِّئُهُ
فَرَيْسِي لِمَ تُجَلِّئُهُ

فأجازه أبو فراس على الفور بقوله:

أَنَا إِنْ كُنْتُ مَا لِي كَلِمًا
فَلِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

فَسَرَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بَبَيْتِ أَبِي فِرَاسٍ وَأَقْطَعَهُ ضَمِيمَةً بِمَنْبِجٍ غَلَّتْهَا الْفَارِسَانُ فِي السَّنَةِ (١).

وهكذا فقد كان من المستبعد أن تسوء العلاقة بين سيف الدولة وأبي فراس، ولكنها ساءت على ما يبدو لنا من شعر أبي فراس مخاطباً سيف الدولة، ولعل ذلك يعود إلى مناصرة سيف الدولة بعض خصوم أبي فراس عليه، ومن ذلك قوله:

قَدْ كُنْتُ عَدَّتِي الَّتِي أَسْطَوِيهَا
فَرَمَيْتُ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أَمَلْتُهُ
فَصَبْرَتْ كَالْوَلَدِ التَّقِيِّ لِـيَبْرَهُ
وَنَقَضْتُ عَهْدًا كَيْفَ لِي بِوَقَائِهِ
وَإِنِّي مُنْعَتٌ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ
أَشْكُو، وَهَلْ أَشْكُو جِنَايَةَ مَنْعِيكُمْ
وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي
وَالْعَرَى يَشْرُقُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ
أَغْضَى عَلَى أَلْمٍ لِيضْرِبِ الْوَالِدِ
وَمِنَ الْمُخَالِ صَلَاحُ قَلْبٍ فَاسِيدِ
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ لَكُنْتُ أَوَّلَ وَارِدِ
غَيْظُ الْعَدُوِّ بِهِ وَكَبْتُ الْحَاسِرِ (٢)

وقد أسر أبو فراس لدى الروم، ولعل ذلك تمّ مرتين: المرة الأولى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة للهجرة، حيث أخذ إلى خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم يجري من تحتها الفرات، ويقال إنَّ أبا فراس ركب فرسه وركضه برجله، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، أمّا في المرة الثانية فقد أسره الروم سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وحمّـلوه إلى القسطنطينية، وأقام في الأسر أربع سنوات (٣). ويحدّثنا القاضي التنوخي فـي

(١) بتيمية الدهر: ج ١، ص ٢٠-٢١، وبدائع البدائع: ص ١١٢.

(٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ٢١٠.

(٣) وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٥٩٠.

كِتَابِهِ نِشْوَارِ الْمُحَاضِرَةِ عَنْ أُسْرِ أَبِي فِرَاسٍ لِلعُرَّةِ الثَّانِيَةِ، فَيَذَكُرُ أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ قَدَّه قِضَاءً مَنِيحًا وَحَرَانَ (١) وَأَعْمَالَهُمَا، فَهَاجَمَهُ خَلَقٌ مِنَ الرُّومِ فَخَرَجَ لِقِتَالِهِمْ فِي سَبْعِينَ مِنْ غُلَمَانِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَقَتَلَ عِدْرًا مِنْهُمْ، وَظَنَّ أَنَّ النَّاسَ سَيَلْحَقُونَ بِهِ لِلْقِتَالِ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ يَجْمُوعَهَا فَأُسِرَ (٢).

وقد مكث أبو فراس في أيدي الروم سنين، وأخذ يكتب ابن عمه سيف الدولة كسي يفنديه ببعض زعماء الروم الذين كانوا أسرى لدى المسلمين. ولكن سيف الدولة رفض ذلك (٣). ويذهب خليل مردم بك إلى أن سيف الدولة تقاعس عن فداء أبي فراس لأنه كان يزاحم ابنه أبا المعالي على ولاية العهد، فأبو فراس كان يتصف بالكرم والغروسيّة والشجاعة والبلاء في المعارك مع سيف الدولة، وهذه الصفات لم تكن متوفرة في أبي المعالي ابن سيف الدولة (٤). وفي رأينا أن هذا الذي ذكره خليل مردم بك ربما يكون سبباً في تأخير فداء سيف الدولة أبا فراس، إذ أنه ينسجم مع طبائع النفس البشرية، ولكننا نعتقد أن هناك سبباً آخر في تأخير فداء سيف الدولة أبا فراس، ويتمثل ذلك في رغبة سيف الدولة في المساواة بين ابن عمه أبي فراس وبقية أسرى المسلمين، ففي ذلك العدل والمساواة، وهما صفتان يجب على القائد المسلم أن يتحلّى بهما، وما يؤيد رأينا هذا ما ذكره القاضي التنوخي من أن سيف الدولة رفض فداء أبي فراس مع حبه له، وأنه أوضح أنه لن يفندي أبا فراس وحده، ويترك سائر الأسرى المسلمين، ولن يكون الفداء إلا عاماً، ثم تمّ الفداء قبل وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٥ هـ فخرج فيه أبو فراس ومجموعة أخرى من أسرى المسلمين (٥).

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة للهجرة توفي سيف الدولة الحمداني (٦)، وعندها عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة، وغلّام

(١) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة، وهي قصبة ديار مصر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام، فتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم، وينسب إليها عدد من العلماء (انظر: معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) نشوار المحاضرة: ج ١، ص ٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما.

(٤) انظر: أبو فراس الحمداني فتوة رومسية: ص ٢١.

(٥) نشوار المحاضرة: ج ١، ص ٢٢٨.

(٦) انظر: البداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٦٤.

أبيه قرغويه، فأغذ إليه من قاتله، فأسيرَ وضربَ ضرباً شديداً أتى إلى وفاته وهو فسي الطريق، وقيل إن قتلَهُ كَانَ فِي ضَيْقَةٍ تَعْرِفُ بِصَدْرٍ، وَقِيلَ إِنَّهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ لِلْهَجْرَةِ جَرَتْ حَرْبٌ بَيْنَ أَبِي فِرَاسٍ وَكَانَ مُقِيمًا بِحِمصٍ وَبَيْنَ أَبِي الْمَعَالِيِّ بْنِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ، فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ أَبُو الْمَعَالِيِّ وَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ، وَبَقِيَتْ جُثَّتُهُ مَطْرُوحَةً فِي الْبَرِّيَّةِ إِلَى أَنْ جَاءَهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَكَفَّنَهُ وَدَفَنَهُ، وَقِيلَ إِنَّ أَبَا فِرَاسٍ كَانَ خَالًا لِأَبِي الْمَعَالِيِّ، وَعِنْدَ مَا عَلِمَتْ أُمَّهُ بِوَفَاةِ أَبِي فِرَاسٍ لَطَمَتْ وَجْهَهَا فَفَلَعَتْ عَيْنَهَا (١). وَقِيلَ إِنَّ أَبَا الْمَعَالِي لَمْ يَعْلَمْ بِقَتْلِ أَبِي فِرَاسٍ عِنْدَ مَا قَتَلَهُ قَرْغُوبِيَّةً، فَعِنْدَ مَا عَلِمَ بِذَلِكَ شَقَّ عَلَيْهِ (٢). وَنَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ أَبَا فِرَاسٍ قَدْ قُتِلَ بِتَدْبِيرِ قَرْغُوبِيَّةٍ وَنَظَرًا إِلَى أَنَّ بَيْتَ أَبِي الْمَعَالِيِّ يَدُ فِي ذَلِكَ، وَرَبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَائِدًا إِلَى خَوْفِ قَرْغُوبِيَّةٍ مِنْ زَوَالِ نَفُوذِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ يَتَمَتَّعُ بِهَا أَبُو فِرَاسٍ مِنْ حُبِّ جَنُودِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ لَهُ وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ، يَدُلُّنَا عَلَى ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ مِنْ أَنَّ قَرْغُوبِيَّةً سَارَ لِقَاتِلِ أَبِي فِرَاسٍ وَمَعَهُ أَبُو الْمَعَالِيِّ، وَكَانَ صَبِيًّا آنَ ذَاكَ، وَأَبُو فِرَاسٍ خَالُهُ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مِرَاسَلَةٌ وَاصْطِلَاحٌ، وَجَاءَ أَبُو فِرَاسٍ فَدَخَلَ عَلَى أَبِي الْمَعَالِيِّ وَخَرَجَ، وَلَمْ يُرِدْ أَبُو الْمَعَالِيُّ بِهِ سُوءًا، وَلَكِنْ قَرْغُوبِيَّةٌ خَافَ مِنْ أَنَّ يَتَنَكَّرَ أَبُو فِرَاسٍ مِنْ حَمَلِ ابْنِ أُخْتِهِ عَلَى قَتْلِهِ، فَنَصَبَ لَهُ قَوْمًا اغْتَالُوهُ فِي الْعَسْكَرِ، وَأَرَادَ أَبُو الْمَعَالِيِّ إِنْكَارَ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ. وَيَذَكُرُ التَّنُوخِيُّ سَبَبًا آخَرَ قِيلَ فِي قَتْلِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ أُسِرَ، فَجَاءَ وَهُوَ أُسِيرٌ رَاكِبًا، فَمَا شَاءَ هَدَّتهُ طَائِفَةٌ مِنْ غُلَامَانِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ إِلَّا تَرَجَّلَتْ لَهُ وَقَبِلَتْ فَخَذَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَرْغُوبِيَّةً قَتَلَتْهُ فِي الْحَالِ (٣).

وَنَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ أَنَّ قَرْغُوبِيَّةً هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَبَا فِرَاسٍ، وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا فِرَاسٍ عِنْدَ مَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ كَانَ يُنْشِدُ شِعْرًا يَدْعُو فِيهِ ابْنَتَهُ إِلَى الصَّبْرِ وَعَدَمِ الْجَزَعِ لَوَفَاتِهِ (٤).

وَيَذْهَبُ ابْنُ خَلِّكَانٍ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الشَّعْرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا فِرَاسٍ رَبَّمَا يَكُونُ قَدْ جُرِحَ وَتَأَخَّرَ مَوْتُهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ تَوَقَّى مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ بَعْدَ ذَلِكَ (٥).

(١) وفيات الأعيان : ج ٢، ص ٦١، وتبعية المختصر في أخبار البشر : ج ١،

ص ٤٣٩، والكامل في التاريخ : ج ٨، ص ٥٨٨.

(٢) وفيات الأعيان : ج ٢، ص ٦١.

(٣) نشوار المحاضرة : ج ١، ص ٢٢٧.

(٤) انظر : شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٣، ووفيات الأعيان : ج ٢، ص ٦٠.

(٥) انظر : وفيات الأعيان : ج ٢، ص ٦١.

صِفَاتُهُ وَأَخْلَاقُهُ :

لَمَّا كَانَ أَبُو فِرَاسٍ مُتَّصِلًا بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، مَرَّ فِي حِجْرِهِ، فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَ مَا كَانَ يَتَحَلَّى بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ، فَقَدْ كَانَ فَارِسًا شَجَاعًا، وَجَوَادًا كَرِيمًا ذَا نَفْسٍ أَبِيَّةٍ طَمُوحَةٍ، كَمَا كَانَ عَفَّ اللِّسَانَ مَتَرَفَعًا عَنِ صَغَائِرِ الْأُمُورِ كَثِيرِ الْفَخْرِ بِأَصْلِهِ وَقَوْمِهِ، عَزُوفًا عَنِ الشَّرَابِ وَالْمَعْجُونِ، فَخَلَا شِعْرُهُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَيَدُلُّنَا عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

لَيْنُ خُلُقِ الْأَنَامِ لِحَسْوِ كَأْسٍ وَمِزْمَارِ وَطُنْبُورٍ وَعُـوْبٍ
فَلَمْ يَخْلُقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِعَجْدٍ أَوْ لِبَاسٍ أَوْ لِبُجُورٍ (١)

وَكَانَ أَبُو فِرَاسٍ فَاضِلًا بَارِعًا، طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ عَفِيفًا، صَادِقَ الْمَوَدَّةِ وَالْإِيخَاءِ، مُخْلِصًا يُطَائِقُ بَاطِنَهُ ظَاهِرَهُ، فَارِسًا ذَا فُرُوسِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَشَجَاعَةٍ فَائِقَةٍ، وَكَرَمٍ مُسْتَفِيزٍ، لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي حِجْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَتَرَبَّى فِيهِ وَأَخَذَ أَخْلَاقَهُ وَتَأَرَّبَ بِآرَابِهِ (٢). وَقَدْ وَصَفَهُ الشَّعَالِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٩ هـ بِقَوْلِهِ : " كَانَ قَرَدٌ دَهْرُهُ وَشَمْسٌ عَصْرُهُ أَرَبًا وَفَضْلًا وَكِرْمًا وَنُبْلًا وَمَجْدًا، وَبِلَاغَةً وَبِرَاعَةً وَفُرُوسِيَّةً وَشَجَاعَةً (٣) .

وَيَقُولُ آدَمُ مَتَزٌ " وَلَمْ يَظْهَرِ أَحَدٌ مِنَ الْحَمْدَانِيِّينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُرُوسِيَّةِ وَالْإِعْمَالِ الْعَظِيمَةِ إِلَّا سَيْفُ الدَّوْلَةِ (٤) . وَهَذَا - فِي رَأْيِنَا - غَيْرُ صَحِيحٍ لِأَنَّ أَبَا فِرَاسٍ كَانَ شَجَاعًا فَارِسًا اشْتَرَكَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي حُرُوبِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ كَمَا قُلْنَا يَسْتَصْحِبُهُ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ عِنْدَ مَا أَصْبَحَ أَبُو فِرَاسٍ شَابِتًا .

شَقَائِقُهُ :

تَأَرَّبَ أَبُو فِرَاسٍ بِآرَابِ أَسْتَاذِهِ الْأَوَّلِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ كَاتِبًا مَتَرَشَلًا مَلِيحَ الْخَطِّ (٥)، وَيَدُلُّنَا عَلَى ذَلِكَ مَا يُنْقَلُ عَنِ ابْنِ خَالَوَيْهِ مِنْ أَنَّهُ " قَالَ : كَتَبَ أَبُو فِرَاسٍ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ شَخِصَ مِنْ حَضْرَتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمَنْبِجٍ كِتَابًا صَدَرَهُ : كِتَابِي أَطَالَ اللَّهُ

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٨٣ .

(٢) نشوار المحاضرة : ج ١، ص ٢٢٥ .

(٣) بيتيمة الدهر : ج ١، ص ٣٥ .

(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ج ١، ص ٢٩ .

(٥) نشوار المحاضرة : ج ١، ص ٢٢٥ .

بقاءً مولانا من المنزل، وقد وردته وروود الساليم الغانيم . . . وقرأً وشكراً . فاستحسن سيف
الدولة بلاغته، ووصف براعته، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه :

هَذَا لِلْفَصَاحَةِ وَالسَّمَا	حَسَّةً وَالْعُلَا عَنِّي مَجِيدٌ
إِذَا أَنْتَ سَيِّدِي النَّزِي	رَبِّيْتِي وَأَبِي سَعِيدٌ
رَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَسْتَعِي	دُ مِنَ الْعَلَاءِ وَأَسْتَزِيدُ
وَيَزِيدُ فَيَا إِذَا رَأَيْتُ	تُكَ فِي النَّدَى خُلُقَ جَدِيدُهُ (١) .

ولعلَّ أبا فراس تلقى عِلْمَ اللِّغَةِ على يد ابن خالويته، فقد جاء ابن خالويته إلى
الشَّام واستوطن حلباً واختصَّ بسيف الدولة بن حمدان وبنه، وقرأ عليه آل حمدان
وكانوا يُجَلُّونَه ويكرمونَه، فانتشر عِلْمُه وفضله وذاع صيته، ولهُ مع أبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِئِي
مناظرات (٢) .

وكان سيف الدولة الحمدانيّ على معرفةٍ باللِّغَةِ، يدُلُّنا على ذلك ما يُروى من
أنَّ ابن خالويته دخل يوماً على سيف الدولة، فلما مثل بين يديه قال له : اقعد ،
ولم يقل اجلس . قال ابن خالويته : فعلمت بذلك اعتلاقه بأهداب الأرب واطِّلاعه على
أسرار كلام العرب (٣) . وقد ذكّرنا أنَّ أبا فراس نشأ في حجر سيف الدولة، ولذا كان
من الطبيعيّ أن يتأدّب بأدابه ويتلقى تعليمه على يديه .

شَاعِرِيَّتُهُ :

بتراى لنا من شِعْرِ أَبِي فراس الحمدانيّ وسيرته أنّه كان شاعراً كبيراً عظيماً
القدر، فقد روي أنَّ الصَّاحِبِ بن عَبَّادٍ كان يقول : " بُدِيَ الشَّعْرُ بِمَلِكٍ وَخُرِّمَ بِمَلِكٍ " يعني
امراً القيس وأبا فراس (٤) . وقد تحدّث الثَّعالبيّ المتوفى سنة ٤٢٩ هـ عن شاعريّة
أبي فراس فقال : " وكان المُنْتَبِئِي يشهد له بالتَّقْدِيمِ والتَّبَرُّيزِ، ويتحامى جانبه، فلا ينبري

-
- (١) وفيات الأعيان : ج ٢، ص ٦٢، وشرح ديوان أبي فراس الحمدانيّ : ص ٢١٠ .
(٢) معجم الأرب : ج ٣، ص ٢٠٢ .
(٣) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسهما .
(٤) يتيمة الدهر : ج ١، ص ٣٥، وشذرات الذهب : ج ٣، ص ٢٤، وروضات الجنّات :
ج ٣، ص ١٦٠-١٦١ .

لعباراته، ولا يهجرني على مجاراته، وإنما لم يمدحه، ومدح من رونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً لا إغفالاً وإخلالاً» (١).

ويرى أحمد حسن الزيات أن هذا الرعم من أن المتنبي كان يتحامي جانب أبي فراس لا يطعمان إليه، ولا يقول به من عرف المتنبي (٢). ونحن نتفق مع أحمد حسن الزيات في قوله هذا، ونرى أن المتنبي إن صح أنه كان يتحامي أبا فراس، فإنما كان يتحاماه لالبراعته في الشعر وخشيته من أن يتفوق عليه، وإنما كان يتحاماه لجاهه وسلطانه وكونه ابن عم الأمير سيف الدولة الحمداني.

ولأبي فراس ديوان شعر، ويبدو أن هذا الديوان ليس كل ما قاله من الشعر، وإنما حذف قسماً كبيراً منه بالتصحیح والتشفيح، إذ يذكر القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة ذلك فيقول: "وديوانه كبير إلا أنه كان قهلاً موته اختاره على ما أخبرني به أبو الفرج الببغاء" (٣)، فنفي منه شيئاً كثيراً. قال: واقفني على نفيه، لأنه عرضه عليّ، فكل ما استضعفناه نغاه، وما اجتمعنا على استجارته أفره، وحرره في نسخة تداولها الناس (٤).

قال أبو فراس الشعر في مختلف الأغراض الشعرية، وأجاد، إلا أن منزلته في الفخر والاستعفاف والعتاب أعلى، فإنه لا يليق به أن تمدح أميراً أو يهجو صغيراً أو يقول شعره في الشراب والمجون. وهكذا لم يشتهر أبو فراس في جميع فنون الشعر، وإنما اشتهر بما يلائم نفسه ومكانته، فقد كان بطلاً شجاعاً وشاعراً مرهف الإحساس، لذا لا ينتظر منه أن يكون كاذب العاطفة، ولا أن يكون مدهناً في القول حيث يقول، ولذا امتساز شعره بصدق العاطفة، ولم ينظم إلا عند ما يشعر بفيض العاطفة واهتزاز النفس طرباً وألماً، ولم ينظم من أجل كسب المال. وهكذا نجده قد أجاد في الفخر لأنه يشعر بعلو مكانته، ويمتدح بعراقة نسيه ورجولته وبراعته في قيادة الجيوش، وأجاد في الترميمات لأنه ذاق مرارة الأسر، وتألم من تقاعس ابن عمه سيف الدولة عن فدائه، واشتياق

(١) يتيمة الدهر ج ١، ص ٣٥.

(٢) تاريخ الأرب العربي، أحمد حسن الزيات، ص ٣٠٤.

(٣) أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الشاعر المشهور بالببغاء، وهو من أهل نصيبين، وكان شاعراً كبيراً، توفي سنة ٣٩٨ هـ، وقد لقب بالببغاء لحسن فصاحته، وقيل للثقة التي كانت في لسانه. (انظر: وفيات الاعيان:

ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٢).

(٤) نشوار المحاضرة ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦.

إلى والدته وأهله . وقد قصر أبو فراس في المديح والهجاء ، ولمعد ذلك يعود إلى أنه كان ذا مكانة عالية تسمو به عن التكسب والدّل وعن الهجاء والطعن في الأعراض ، فنجد ممدح سيف الدولة ، ولا بأس في ذلك لأنه هو الذي رباه صغيراً وتعهده بعد أن توفي والده ، ونجده يهجو العباسيين ، ولا غرابة ، فقد هجأهم لعداء مذهبي ، وكان تشييعه هو الدافع إلى ذلك ، فالعباسيون كانوا مضطهدين لأبناء علي وللمذهب الشيعي الذي كان سيف الدولة يعتنقه (١) ، وسنتحدث عن هجائه للعباسيين أثناء حديثنا عن تشييعه في شعره .

ويذهب إبراهيم علي أبو الخشب إلى أنّ مدح أبي فراس سيف الدولة جيد ، ولا يعاب عليه إلا أنه يتخذ منه ذريعة إلى فخره بنفسه ، وتنويهه بفضله ومكارمه (٢) . ونحن لا نرى في ذلك غضاظة على الشاعر ، لأنه يعرف علو منزلته وسمو مقامه ، أمّا أولئك الشعراء الذين يخلصون المديح كله للمدح ، ولا يتطرقون إلى ذكر نفوسهم قهراً في الغالب الشعراء الذين يتكسبون ويذنون ، ويشعرون بانحطاط قدرهم ، ويكون همهم منصباً على أخذ الجائزة . ويلاحظ في شعر أبي فراس أنّ قصائده في مدح سيف الدولة التي تبدأ بمقدمة غزلية قليلة ، وهذا يدل على أنّ الجانب الجدّي الذي اكتسبه من شخصيته سيف الدولة كان له الأثر الأكبر في حياته (٣) .

وبصورة عامة فإنّ شعر أبي فراس ساعر مشهور بين الحُسن والجودة والسهولة والجزالة والمذوبة والغخامة والحلاوة والمتانة ، مع رواة الطبع وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الصفات قبّله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس أشعر عند أهل الصنعة ونقد الكلام (٤) .

وقد اتخذ أبو فراس التشيع مذهباً له ، شأنه شأن سائر الأُمراء الحمدانيين ، وكان واضح العقيدة ملتزماً بمذهبه مخلصاً له مناضلاً دونه ، وقد بلغت به الحماسة في هذا

-
- (١) انظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ص ٣٥٢ .
 - (٢) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني : ص ٨٤ .
 - (٣) الشعر في ظل سيف الدولة : ص ٣٠٥ .
 - (٤) بيتية الدهر : ج ١ ، ص ٣٥ .

المجال أن يهاجم أعداء آل أبي طالب من العباسيين، فيصفهم بالطغيان، فيعرض للخلافة ويرى أن العلويين أحق الناس بها، وذلك كله واضح في شعره، ويبدو في شعره مؤمناً إيماناً راسخاً بما كان يقوله ويدعو إليه أو يدافع عنه، وبذلك فهو يظهر مناصراً للعلويين مدافعاً عنهم أمام العباسيين،

ولأبي فراس قصيدة في المذهب الشيعي قالها مارحاً آل البيت ومدافعاً عن حقهم في الخلافة، وقد عبر بها عن معتقده ومذهبه في الخلافة، وهاجم العباسيين ورأى فيهم حكماً ظالمين، يقول فيها:

الدينُ مخترمٌ والحقُّ مهتضمٌ	وفي آل رسول الله مقتسمٌ
والناسُ عندك لا ناسٌ فيحفظهم	سومُ الرعاةِ ولا شاءٌ ولا نعمٌ
إني أبيتُ قليلَ النومِ أرقني	قلبٌ تصارع فيه الهَمُّ والهَمَمُ
وعزمةٌ لا ينأى الليلُ صاحبها	إلا على ظفرٍ في طيةٍ كسرمُ
يُصانُ مهري لأمرٍ لا أبوحُ به	والدُّرعُ والرمحُ والصمصامةُ الخدمُ
وفتيةٌ قلبهم إذا ركبوا	يوماً ورأيهم رأيتُ إذا عزموا (١)

فالشاعر يبدأ القصيدة وكله حزنٌ وألم لا هتضام الحقوق وسوء حال بلاد المسلمين في عهد العباسيين، فالناس يسامون كالأنعام، وهذا مما يؤلم الشاعر أشد الألم فتثور حفيظته، ويصبيه أرق شديد إلى أن تعود الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها، ولا يتحقق ذلك إلا بعودة آل أبي طالب إلى الحكم، واسترجاع حقوقهم المسلوبة. وتشتد الثورة النفسية لدى الشاعر وبتزايد الغضب لديه فيصف العباسيين بأنهم طغاة، ويدعو إلى الانتصاف منهم، وإلى مناصرة آل البيت الذين يألم ليمًا أصابهم ويتحسّر حسرةً شديدة فهم لا يملكون أمر الخلافة آنذاك مع أنهم هم أصحابها الجد يرون بها، كذلك فالعباسيون لا يملكون الخلافة بصورة حقيقية، فهم خلفاء اسميون أما في حقيقة الأمر فالخلافة والحكم كله بيد الأعاجم من فارس وديلم وترك، ففقدوا أخذوا حقوق آل البيت وضيّقوا عليهم، يقول:

يا للرجالِ أما لله منتصفٌ	من الطغاة؟ أما لله منتقمٌ؟
بنو عليّ زعابا في ديارهم	والأمر تملكه التتوان والخدمُ

مُحَلِّوْنَ فَأَصْفَى شُرْبَهُمْ وَشَوَّلُ
عِنْدَ الرُّوْبِ وَأَوْفَى وَدِهِمْ لَمَسْمُ (١)
وَمَا السَّعِيدُ بِهَا إِلَّا الَّذِي ظَلَمُوا
وَمَا الْغَنِيُّ بِهَا إِلَّا الَّذِي حَرَمُوا
وَالْمُتَّقِينَ مِنَ الدُّنْيَا عَوَاقِبُهَا
وَإِنْ تَعَجَّلَ مِنْهَا الظَّالِمُ الْأَمِيمُ (٢)

وبعد ذلك يُهاجِمُ أَبُو فِرَاسٍ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَيُنَكِّرُ عَلَيْهِمْ افتخارهم على بني عليّ
وهم لا يساؤونهم نسباً ولا شرفاً ولا مجدّاً ، ولم يُعرف عنهم ذلك في يوم من الايّام ،
يقول :

لَا يُطِغِينَ بَنِي الْعَبَّاسِ مُلْكُهُمْ
أَتَفْخَرُونَ عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَكُمْ
وَمَا تَوَازَنَ يَوْمًا بَيْنَكُمْ شَرْفٌ
وَلَا لَكُمْ مِثْلُهُمْ ، فِي الْمَجْدِ ، مُتَّصِلٌ
وَلَا لِعِرْقِكُمْ مِنْ عِرْقِهِمْ شَبَهُ
بَنُو عَلِيٍّ مَوَالِيَهُمْ وَإِنْ زَعَمُوا
حَتَّى كَانَتْ رَسُولَ اللَّهِ جَدُّكُمْ
وَلَا تَسَاوَتْ بِكُمْ فِي مَوْطِنٍ قَدَمٌ
وَلَا لِحَدِّكُمْ مَسْعَاةٌ جَدَّهُمْ
وَلَا نَفَيْتَكُمْ مِنْ أَسْمِهِمْ أَمَسْمُ (٣)

ثم يوضح أبو فراس عقيدته الصّلبة في التشيع، ويذهب إلى ما تذهب إليه الشيعة
من خلافة عليّ المنصوص عليها ، فقد تحدّث عن رأيه في موضوع الخلافة ، فذكر يوم الغدير
وبيّن أنّ الرسول الكريم أوصى لعليّ بالإمامة والخلافة ، ولكنّ الصحابة أخفوا ذلك
وجعلوا الخلافة شورى بينهم ، وهو - أيّ الشاعر - لا يقرّ الشورى في الخلافة ، لأنّ صاحب
الحقّ فيها وهو عليّ ، معروف عند سائر الناس ، يقول :

قَامَ النَّبِيُّ بِهَا يَوْمَ الْغَدِيرِ ، لَهُمْ
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا
وَصَيَّرَتْ بَيْنَهُمْ شُورَى كَأَنَّهُمْ
تَالِلُوْا مَا جِهَلِ الْأَقْوَامِ مَوْضِعَهَا
وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاكُ وَالْأَسْمُ
بَانَتْ تَنَارُعُهَا الذُّؤْبَانُ وَالرَّخَمُ
لَا يَعْرِفُونَ وَلَاَةَ الْحَقِّ أَيُّهُمْ (٤)
لِكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ الَّذِي عَلِمُوا

(١) محلّفون : من حلاه عن الماء تحلّياً وتحلّيةً طرده ومنعه ، والوشل : الماء القليل ،
واللّم : صغار الذنوب . (انظر: القاموس المحيط: مادة الحلافة ، ومادة
الوشل ، ومادة له) .

(٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٢٨-١٢٩ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٢٩ .

(٤) المصدر نفسه : ص ١٢٩ .

وبعد أن هاجم أبو فراس الصحابة شبهة إتيانهم بالخفاة نص الرسول على عليٍّ بالخلافة ينتقل إلى مهاجمة العباسيين فينكر عليهم ادعاءهم الخلافة، وجعلها وراثية فيهم، علماً بأنهم ليسوا ذوي حق فيها، وليسوا أهلاً لحملها، فيقول :

ثُمَّ ادَّعَاهَا بَنُو الْعَبَّاسِ إِرْشَهُمْ وَمَا لَهُمْ قَدَمٌ فِيهَا وَلَا قَدَمٌ
لَا يُذَكِّرُونَ إِذَا مَا مَعَشَرَ ذَكُرُوا وَلَا يُحَكِّمُ فِي أَمْرِ لَهُمْ حَكَمٌ
وَلَا رَأَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَصَاحِبُهُ أَهْلًا لِمَا طَلَبُوا يَنْهَا وَمَا زَعَمُوا
فَهَلْ هُمْ مَدَّعُوهَا غَيْرَ وَاجِبَةٍ أَمْ هَلْ أَيْمَتَهُمْ فِي أَخْذِهَا ظَلَمُوا؟ (١)

وبعد ذلك ينتقل أبو فراس إلى الحديث عما أصاب آل أبي طالب من ظلم وعدور، وما لحق بهم من الظلم والجور والعسف والمصائب على يد العباسيين، بينما كان الإمام عليٌّ يُقَرَّبُ العباسيين ويكرِّمُهُمْ، ويولِّيهم المناصب والولايات، فقد ولي قُتَمَ بنَ العباس بن عبد المطلب (٢) المدينة، وولي أخاه عبيد الله (٣) اليمن، ولكن العباسيين لم يحفظوا ذلك، وإنما قابلوه بالجزاء السيئ، ولم ترد عنهم صلة أو يمين أو نسب، ولم يدعهم شي من ذلك إلى المعفو عن العلويين والكف عن دعاتهم، فقتلوا بني الحسن بن علي بن أبي طالب. ثم يُقَرَّعُ أبو فراس العباسيين، فيدعوهم إلى كَفِّ السَّبِّ والنَّسَبِ عن بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول :

أَمَا عَلِيٌّ فَقَدْ أَدْنَى قَرَابَتِكُمْ عِنْدَ الْوَلَايَةِ إِنْ لَمْ تُكْفَرِ النَّسَبُ
هَلْ جَاحِدٌ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ نِعْمَتَهُ أَمْ كُنْتُمْ أَمْ قُنْتُمْ
يُبْعَثُ الْجَزَاءُ جَزَيْتُمْ فِي بَنِي حَسَنِ أَمْ هُمْ الْعَلَمُ الْهَارِي وَأَمْهُمْ
لَا تَبِيعَةَ رَدَّعْتُمْ عَنْ دِمَائِهِمْ وَلَا يَمِينُ وَلَا قُرْبَى وَلَا نِسَبُ

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) قُتَمَ بن العباس بن عبد المطلب، روى عن الرسول الكريم، وكان يشبهه، وقيل إنه كان أخا الحسين بن عليٍّ من الرضاة وكان آخر الناس عهداً بالرسول الكريم، وقد توفي بسمرقند، وقد ولّاه عليٌّ المدينة المنورة وكانت وفاته سنة

٥٧ هـ. (انظر: تهذيب التهذيب: ج ٨، ص ٨٠ = ٨١).

(٣) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، رأى الرسول الكريم، وروى عنه وعن أبيه العباس، كان سخياً كريماً وتوفي بالمدينة، وقد استعمله عليٌّ على اليمن، ورحل بالتاسعة سنة ست وثلاثين سنة سبع وثلاثين، وقيل إنه مات زمن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله. (انظر: المصدر نفسه: ج ٧، ص ١-٢٠).

هَلَّا صَفَحْتُمْ عَنِ الْأَسْرَى بِلَا سَهَبٍ
هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنِ الدَّيْبِاجِ السُّنْكَمُ
مَا نُزِهَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ مُهَجَّتُهُ
لِلصَّافِحِينَ يَبْدُرُ عَنْ أَسِيرِكُمْ
وَعَنْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ شَتْمِكُمْ؟
عَنِ السَّيَاطِ فَهَلَّا نُزَّهِ الْجُرْمُ؟ (١)

ويعتد أبو فراس الكثير مما لقيه الملوون من العباسيين من الغدر وسوء المعاملة فقد قبضوا عليهم وقيدوهم بالأغلال، وشتموهم وقد فوهم بأفحش الأقوال، وضربوهم بالسياط، وبذلك فقد فاقوا الأمويين في جرائمهم وتكلمهم بهني علي، وبذلك فهم كاذبون في ادعائهم القربة من الرسول الكريم لأنهم لو كانوا من أقرابه لم يسفكوا دمه أبناؤه، يقول:

مَا نَالَ مِنْهُمْ بَنُو حَرْبٍ وَإِنْ عَظَمَتْ
كَمْ غَدْرَقَ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَاضْحَافِ
أَأَنْتُمْ آلُهُ فِيمَا تَرَوْنَ وَفِي سِي
هَيْبَاتٍ لَا قُرْبَتَ قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ
تِلْكَ الْجَرَائِرُ إِلَّا دُونَ تَلِكُمْ
وَكَمْ دَمٍ لِرَسُولِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ
أَظْفَارِكُمْ مِنْ بَنِي الطَّاهِرِينَ دَمٍ
يَوْمًا إِذَا أَقَصَّتِ الْأَخْلَاقُ وَالشِّمَمُ (٢)

فالشاعر هنا يهجو العباسيين، يعنف واصفا إياهم بالبعد عن الشيم النبيلة والأخلاق الكريمة، ويستشهد على أن قرابة العباسيين من الرسول صلى الله عليه وسلم لا قيمة لها، لأنهم ليسوا ذوي شيم، بأن سلمان الفارسي الذي لا يمت إلى الرسول الكريم بأي صلة قرى كان بإيمانه قريبا من الرسول، بينما لم يكن بين نوح عليه السلام وابنه رحم، لأن ابنه كان كافرا. ثم يقارن أبو فراس بين بعض الخلفاء العباسيين وآل أبي طالب مفضلا آل أبي طالب، فيقول:

كَانَتْ مَوَدَّةُ سَلْمَانَ لَهُ رَحِمًا
يَا جَاهِدًا فِي سَاوِيهِمْ يُكْتَمُهَا
لَيْسَ الرَّشِيدُ كَمُوسَى فِي الْقِيَاسِ وَلَا
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ رَحِمٌ
غَدْرُ الرَّشِيدِ يَهْجَى كَيْفَ يَنْكَبُكُمْ
مَأْمُونِكُمْ كَالرِّضَا إِنْ انْقَصَفَ الْحَكْمُ (٣)

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ثم يصف العباسيين بالعدور، وعدم المحافظة على اليهود، ويضرب أمثلة على ذلك فقد غدر الرشيد بيحيى بن عبد الله، وقتل المأمون علي بن موسى الرضا، بعد أن زوجته ابنته وجعله ولياً للعهد من بعده، يقول :

بأووا ويقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا (١)

وبعد ذلك يشير أبو فراس إلى ما لقيه الحسين بن علي واتهامه في كربلاء من عنات وتقتيل فيقول :

يا عصابة شقيت من بعد ما سعدت
ليئس ما لقيت منهم وإن بليست
ومعشراً هلكوا من بعد ما سلموا
بجانب الطف تلك الأعظم الرمم (٢)

وبعد ذلك يعود أبو فراس إلى مهاجمة العباسيين، فيذكر أنهم لم يكونوا يملكون من أمرهم شيئاً، فمهم خلفاء ليس لهم إلا الاسم واللقب. أما السلطة الحقيقية فهي في أيدي الأعاجم، يقول :

أبلغ لديك بني العباس ما لكفة
أبي العفاخر أمست في منابركم
ولا تدعو ملكها ملاكها العجم
وفي الخلافة عليكم يخفي العلم (٣)

ثم يعود الشاعر إلى المقارنة بين بني العباس وآل علي، وعرضه من ذلك كله هو أن يثبت أن العباسيين ليسوا أهلاً للخلافة، وأن العلويين هم الجد يرون بتولي أمور المسلمين، فيهبجو العباسيين، ويصفهم بالخلود إلى اللهو والغناء، وشرب الخمر ومجالسة القيان، ويصف آل علي بالجهاد والعلم، والحكم بما أمر الله به، والقضب لدين الله، والحفاظ عليه، والتقوى والورع، والاستماع للقرآن الكريم وكثرة تلاوته. ثم يفتقد أبو فراس مقارنة فريدة بين الجانبين، فالعلويون لا يسمع من هجوتهم إلا تلاوة القرآن الكريم، بينما العباسيون لا يسمع من هجوتهم إلا الغناء، وأصوات الأوتار، وهـذـه مهاجمة عنيفة تدل على قبح الصفات التي يتصف بها بنو العباس، وهي صفات تجرؤهم من الأهلية لحكم المسلمين، يقول :

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ١٣١ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

خَلُّوا الْفَخَّارَ لِعَلَّامِينَ إِنْ سُئِلُوا
لَا يَفْضَحُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ إِنْ غَضِبُوا
تَبَدُّوا وَالتَّلَاوَةَ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ ، أَبَدًا
مَا فِي دِيَارِهِمْ لِلْخَمْرِ مُعْتَصِمُونَ
وَلَا تَبَيَّثْ لَهُمْ حَنْفِي ثَنَائِهِمْ
الرُّزْكَنُ وَالْبَيْتُ وَالْأَشْتَارُ مَنْزِلُهُمْ

يَوْمَ السُّؤَالِ وَعَمَّا لَيْنَ إِنْ عَمِلُوا
وَلَا يُضِيعُونَ حُكْمَ اللَّهِ إِنْ حَكَمُوا
وَفِي مَعُونَتِكُمْ الْأَوْتَارُ وَالنَّفْسُ
وَلَا يُوْثِقُهُمُ لِلسُّؤُودِ مُعْتَصِمُ
وَلَا يَمُرُّ لَهُمْ قِرْنٌ لَهُ حَشَمُ
وَزَمَزَمُ وَالصَّفَا ، وَالْحِجْرُ وَالْحَرَمُ (١)

ويختتم أبو فراس قصيدته بالصلاة على بني عليّ لأنهم هم مأوى الناس وملجأهم الذي يأوون إليه ، يقول :

صَلَّى إِلَيْهِ عَلَيْهِمْ أَيْمَانًا ذَكَرُوا
لَأَنْتَهُمُ لِلقَوَى كَهْفٌ وَمُعْتَصِمُ (٢)

فهذه القصيدة تكشف لنا بوضوح عن تشييع أبي فراس، وتلمس منها أنه كان يعتنق مذهب الإمامية الاثني عشرية ، وذلك عندما قارن بين الرشيد وموسى الكاظم ، وهو الإمام السابع عند الشيعة الاثني عشرية ، والمأمون ، وعليّ الرضا ، الإمام الثامن عندهم ، وذلك في قوله :

لَيْسَ الرَّشِيدُ كَمُوسَى فِي الْقِيَاسِ وَلَا
تَأْمُونُكُمْ كَالرِّضَا إِنْ أَنْصَفَ الْحَكَمُ

وهناك مقطعة أخرى تكشف لنا عن تشييع أبي فراس وكونه إماماً اثني عشرياً ، وفيها يتوصل إلى الله تعالى ، ويبين أنه ليس يرجو النجاة يوم القيامة إلا بالرسول الكريم ، وبالأئمة الاثني عشر ، ثم يذكرهم واحداً تلو الآخر ، يقول :

لَسْتُ أَرْجُو النِّجَاةَ مِنْ كُلِّ مَا أَخْفَ
وَبَيَّنْتَ الرَّسُولَ فَاطِمَةَ الطُّهْرِ
وَالنَّقِيَّ النَّقِيَّ بِأَقْرَبِ عِلْمِ الْوَالِدِ
وَأَبْنِي جَعْفَرَ وَمُوسَى وَمَسْئُولَا
وَأَبِي جَعْفَرَ سَيِّدِي رَسُولِ الْوَالِدِ
وَأَبْنِي الْعَسْكَرِيِّ وَالْقَائِمِ الْمُظْهِرِ
سَأَأُ إِلَّا بِأَحْمَدٍ وَعَلِيِّ
رَبِّ ، وَسَيِّدِي وَإِلَامِ عَلِيِّ
لَوْ فِينَا ، مُحَمَّدٍ بِنِ عَلِيِّ
نَا عَلِيَّ ، أَكْرَمَ بِنِ عَلِيَّ
لَوْ نَمَّ ابْنِي الزَّكِيِّ عَلِيِّ
سَهْرٍ حَقِّي مُحَمَّدٍ بِنِ عَلِيِّ

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

بِهِمْ أَرْتَجِي بُلُوغَ الْأَمَانِي يَوْمَ عَرَضِي عَلَى الْإِلَهِ الْعَلِيِّ (١)

وهناك لون آخر من ألوانِ شِعْرِ أبي فراس على جانب كبير من الأهمية والرقصة، وهو القوائد التي قالها عندما كان أسيراً لدى الروم، وبعثت بها إلى ابن عمه سيف الدولة، وقد ذكرها مؤرخو الأدب القداماء وأشاروا بها، ومن ذلك ما ذكره القاضي التنوخي من أنه كان لأبي فراس أشعارٌ حسنة في معنى أسره، وأن البهنا قال متحدثاً عن أبي فراس: "وله في صفة أسره، وعِللٍ لحقته هناك، ومراتب لنفسه في الأسر، وتعطف لسيف الدولة وصفة الأسر، وما لحقه فيه شعر كثير، حسن أكثره بعمانٍ مُخترعة لم يسبق إليها" (٢) وتحدثت الشعالي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ عن روميّات أبي فراس أيضاً فوصفها بأنها غرٌّ جادت بها قريحة أبي فراس بعد أن ادركته حُرقة الأدب، وأصابه عين الكمال "وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزاره سيف الدولة، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرُّم بحاله ومكانه عن صدر جرحٍ وقلب شجٍ تزداد رقةً ولطافةً وتُشكي سَامِعَهَا وتعلقُ بالحفظ لسلاستها" (٣).

وتعد روميّات أبي فراس لها بَ شِعْرُه وصفوة نتاجه، وتعود جودة هذه القوائد إلى الأسر الذي كان العاملَ الرئيسيّ في خَلْقِ الحزن في نفس أبي فراس، حيث اهتمت عن أمه المجوزة وعن زوجته وأبنائه، ووطنه وأصدقائه، كما اهتمت عن ميادين الرجولة والفروسية والكرم التي كان يتعشّقها، هذا بالإضافة إلى تأخر سيف الدولة في افتدائه. وقد كان هذا الألمُ ذا أثر كبير في نفسية أبي فراس، وعن هذا الألم انبثقت أشعاره (٤). وقد خلّدت روميّات أبي فراس ذكره "وجعلته في مصاف كبار الشعراء" وجعلت شعره هدفاً لدارسي الحكمة الشعرية، وطالبي المعاني الاجتماعية الحزينة، ذات الطابع الإصلاحي والاجتماعي الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق كالصبر والشجاعة والكرم والإخلاص لأولي الأمر، والحفاظ على صلات الرحمة، كما غدا شِعْرُه هذا عنواناً لمعاني الفروسية

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ٢٦٠.

(٢) نشوار المحاضرة: ج ١، ص ٢٣٠.

(٣) بيتية الدهر: ج ١، ص ٦٠.

(٤) أبو فراس الحمداني، حياته وشعره: ص ٢٧٦-٢٧٧.

والجرأة ، ومقارعة الأعداء على شغور دولة بني حمدان (١) .

وقد تنوعت الأغراض التي طرقها الشاعر في روميّاه ، فشملت الغزل ، والشكوى والحنين والفخر والحماسة ، والعتاب ، وراثا ، والدع ، والحكمة ، وكان أبو فراس يصدر في كل ذلك عن قلب جريح ونفس محطّمة ، ففي إحدى روميّاه يصف لقاءه بالكرّوم ووقوفه في أيديهم ويحثّ سيف الدولة على الإسراع في مفاداه (٢) ، وفي أخرى تصوّر سوء حاله في الأسر وتذكّر إخوانه له ، وجزع والده وتجنّبها لفراقه (٣) ، وتحدّث في أخرى عن حياته وأخلاقه ، وسعي بني عمّه فيه عند ابن عمّ سيف الدولة ، وتفانفه عنهم ، وما نجم عن أسره من أضرار بالمصلحة العامة ، وعاتب سيف الدولة عتاباً يجمع فيه بين التذدّة واللين (٤) . وفي إحدى قصائده الأخرى عتب على سيف الدولة لأنّ كتب سيف الدولة كانت قد تأخرت عنه * وبلفه أنّ بعض الأسرى قال : إنّ ثقل هذا المال على سيف الدولة كاتهنّا فيه صاحب خراسان فاتهم أبا فراس بهذا القول ، لأنّه كان ضمين للكرّوم وقسوع الفداء ، وأداة ذلك المال العظيم فقال سيف الدولة : ومن أين يعرفه أهل خراسان ، فكتب إليه قصيدة مطلعها :

أَسَيْفَ الْهُدَى وَقَرِيحَ الْعَسْرِبِ عَلَامَ الْجَفَاءِ وَفَيْمَ الْغَضَبِ ؟ (٥)

وصوّر في روميّة أخرى زيارة والده سيف الدولة ، والتماسها منه أن يجعل فداء أبي فراس ، وخيبتها في ذلك ، وتحدّث عما يلقي هو وإخوانه الأسرى من عنّت وإرهاق وظلم من الكروم (٦) .

ولقد أساء بعض الباحثين الحكم على روميّات أبي فراس ، ولا ندري أن ذلك يعود إلى ضعف في تدقيقهم جمال الشعر العربيّ أم أنّه مجرد آراء لا يقيمون عليها أيّ دليل ، ولعلّ تلك الأحكام تعود إلى السهامين كليهما ، ومن ذلك ما يقوله آد م متز متحدّثاً

-
- (١) المختار من الشعر والشعراء في العصر العبّاسيّ : ص ١٤٨ .
 - (٢) انظر : شرح ديوان أبي فراس الحمدانيّ : ص ٩٤-٩٧ .
 - (٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٤٥-١٤٦ .
 - (٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٦٥-٦٨ .
 - (٥) انظر : المصدر نفسه : ص ٧١ ، ونشوار المحاضرة : ج ١ ص ٢٢٩ .
 - (٦) انظر : المصدر نفسه : ص ١٤٠-١٤٢ .

عن أبي فراس: " ولا أرى في القصائد التي قالها في سجنه بهلاي الروم إلا أنها نشر مسجوع، وإننا وجدنا من يُبالغ في امتداحها كالصاحب والشعالي، فهذا برهانٌ جدير على ضعف الفارق بين المكاتب والشاعر (١) .

ونحن لا ندري كيف يمسد آدم منز الصاحب بن عباد كاتباً فقط ولا يعتبره شاعراً، وهو شاعر كبير، وصاحب ديوان معروف، ولعل آدم منز لم يجهل هذه الحقيقة، ولكنه لجأ إلى المغالطة من أجل أن يُثبت ما ادّعاءه من كون الروميات نشرًا مسجوعاً، ثم إن أمانا الروميات، يستطيع القارىء أن ينظر فيها، ويلمس من ذلك زيف هذه الدعوى وبطلانها .
ومن المفيد أن نقف الآن عند إحدى روميات أبي فراس التي بحث بها إلى ابن عته سيف الدولة ونرى من خلالها الطابع الذي كانت تتميز به الروميات والظواهر التي كان يتطرق إليها الشاعر في رومياته . يقول أبو فراس :

تَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهَّبِ	لديّ وليلنوم القليل المشرد
وما ذاك بخلاً بالحياة، وإنها	لاكل مبدؤ وليل لألر مجتسد
وما الأسر مِمَّا ضِغْتْ ذَرْعاً بِحَمَلِيهِ	وما الخطب مِمَّا أن أقول له قد
ولكنني أختار موت بني أبي	على صهوات الخيل غير مؤسد
وتأبي وآبي أن أموت مؤسداً	بأيدي النصارى موت أكده (٢)
نصوت على الأتمام ثوب جلا دسي	ولكنني لم أنض ثوب التجلد (٣)

فأبو فراس يبين حاله في الأسر، فجفنه قريح مسهد لا ينام، وليس ذلك منه لهُخله بالحياة، فهو يهد لها رخيصةً، ولا يضيق ذرعاً بالأسر والمصائب، ولكن ذلك عائد إلى كراهيته الموت الذليل، وحبّه الموت العزيز على صهوات الخيل، وفي ساحة الوغى .

ونلاحظ أنّ الشاعر يبدأ القصيدة مباشرةً بدعوة سيف الدولة إلى فداءه، وهذه الدعوة المباشرة لها دلالتها النفسية وانعكاساتها الوجدانية، فهو ليس في حالة مريحة ووضع مطمئن بحيث يسير على ما يعتاده الشعراء من بدء قصائدهم بالفزل والخمر شم

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ج ١، ص ٤٨٥ .
(٢) الأكمد: المحزون، والأكمد: المريض في كبده، من كبده أي ضرب كبده . (انظر: القاموس المحيط: مادة الكئدة، ومادة الكبد) .
(٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ٩٤ .

ينتهسون إلف غايتهم الرئيسية من مدح أو فخر أو غير ذلك، وإنما هو تليق حزين مسند .

ويضي أبو فراس في شرح حاله وبؤسه، وتوزعه بين المتناقضات، بين صبره هو أمر من الصبر، وأمل بالسلامة لولاه لمات الشاعر غمظاً وحزناً، وبين ويب الدهر السذي يتهدده ويتوعدده بالردى، وهناك يموت غريباً لدى الروم الذين لا يعرفون كيف يموت البطل العربي، يقول :

وَمَا أَنَا إِلَّا بَيْنَ أَمْرٍ وَضِدِّهِ وَجَدُّ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَسِّدٍ
فَمِنْ حُسْنِ صَبْرٍ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْيِدِي وَمِنْ رَهْبٍ نَهَرٍ بِالرَّدَى مُتَوَقِّدِي (١)

وبعدها يدعو الشاعر سيف الدولة إلى فداك، ويناديه، ويُسَوِّغُ تلك الدعوة وذلك التداء، فسيف الدولة جدير بأن يُدعى لِكُلِّ مِلَّةٍ وَعَظِيمَةٍ، كما أن أبا فراس جدير بأن يُغدى لأنه رجلٌ عظيمٌ، وخسارتهُ خسارةٌ عظيمةٌ، يقول :

أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَ خَلِّ مُكَبَّلٍ وَبَيْنَ صَفِيحٍ بِالْحَدِيدِ مُصَفِّدٍ
تَدْعُوكَ وَالْأَبْوَابُ تَرْتِجُ دُونَهَا فَكُنْ حَمِيرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مُنْجِدٍ
فَمِثْلَكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَمِثْلِي مَنْ يُغْدَى بِكُلِّ مُسَوِّدٍ
أُنَادِيكَ لَا أَنِّي أَخَافُ مِنَ الرَّدَى وَلَا أَرْتَجِي تَأْخِيرَ يَوْمٍ إِلَى غَدٍ
وَلَكِنْ أَنْفُتُ الْمَوْتِ فِي دَارِ غُرْفَةٍ بِأَيْدِي النَّصَارَى الْغُلْفِ مَيْتَةٍ أَكْمَدِ (٢)

ويعود الشاعر إلى مطالبة سيف الدولة بأن يغديه، مادحاً سيف الدولة بأنه مسارع إلى كلِّ فعلٍ كريمٍ، يقول :

فَلَا تَتْرِكِ الْأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا وَلَا تَقْطَعِ التَّسَالُ عَنِّي وَتَقْعُدِ
فَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ أَيَّامٍ وَأَنْعُمٍ رَفَعْتَ بِهَا قَدْرِي وَأَكْثَرْتَ حُسْنِي
تَشَبَّهْتُ بِهَا أَكْرَمَةٌ قَبْلَ فَوْتِهَا وَقَمُّ فِي خَلَاصِي صَادِقِ الْعَزْمِ وَأَقْعُدِ (٣)

وبين لسيف الدولة أنه أولى بالعلاء والمكارم من ملك الروم، فكيف يصبح الروم زوي حرمي على فداهم أسراهم بينما المسلمون بقيادة سيف الدولة لا يأتون لِمَنْ وقع في أسر الروم؟!

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني: ص ٩٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وبعد ذلك نجد أبا فراس يتوقف عن سوق تجرير القاسية ، فيعرج على الفخر بنفسه ، ولا غرور ، فهو يريد أن يعرض نفسه عنا بشعره من الإحباط والحزن والأسى نتيجة تخلف سيف الدولة عن فدايه ، ولذا يفخر بنفسه ، فيذكر أن الأتام لا يمكن أن تموض سيف الدولة عن أبي فراس مهما سخت ، فهو شجاع صلب يحتل المصاعب ، وهو شرف العلا ولذا كان على سيف الدولة أن يفديه ، لأنه - أي أبا فراس - شاعر وفارس يدافع عن أعراض الحمدانيين بلسانه وسيفه ، يقول :

سَتَى تَخْلَفُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَنَّى	طَوِيلَ نِجَارِ السَّيْفِ رَحَبَ الْمُقَدِّ ؟
مَتَى تَلِدُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتَنَّى	شَدِيداً عَلَى الْهَأَسَاءِ غَيْرَ مُلَهِّدِ (١)
فَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا شَرَفَ الْعُلَا	وَأَشْرَعَ عَوَايِ إِلَيْهَا مَعْرُودِ
وَإِنْ تَفْتَدُونِي تَفْتَدُوا لِإِعْلَاكُمْ	نَشَى غَيْرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ أَوْ الْهَرِدِ
يُدَافِعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ بِلِسَانِيهِ	وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ بِالْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فَمَا كُلُّ مَنْ شَاءَ الْعَالِي تِنَالُهَا	وَلَا كُلُّ سَتَّارٍ إِلَى الْعَجْوِ يَهْتَدِي
أَقْلِنِي أَقْلِنِي عَثْرَةَ الدَّهْرِ إِنَّهُ	رَمَانِي بِسَهْمِ صَائِبِ النُّصْلِ مُقْصِدِ
وَلَوْ لَمْ تَنْلُ نَفْسِي وَلَا نَفْسَكَ لَمْ أَكُنْ	لَا وَرِدَهَا ، فِي نَصْرِهِ ، كُلُّ مَسْرُودِ
وَلَا كُنْتُ أَلْقَى الْأَلْفَ زُرْقاً عِيُونِهَا	بِسَهْمِينَ فِيهِمْ كُلُّ أَشْأَمٍ أَنْكَرِ (٢)

ثم يأتي أبو فراس بالحكمة ، وهي حكمة مبسوطة بالتخصيص ، ونلمح فيها شيئاً من العنفوان والاستعلاء حتى على سيف الدولة نفسه ، وذلك حين يهين لسيف الدولة أن ساعدين أقوى من ساعد ، وأن أبا فراس مع سيف الدولة أقوى من سيف الدولة وحده ، يقول :

فَلَا وَآبِي مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدِي	وَلَا وَآبِي مَا سَمِدَانِ كَسَمِيدِي
وَلَكِنَّ هَذَا الْعُنْفُونَ يَتَحَوَّلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نَقِيضِهِ ، فيقول أبو فراس :	
وَأِنَّكَ لِلْمَوْلَى الَّذِي بِكَ أَقْتَدِي	وَأِنَّكَ لِلنَّجْمِ الَّذِي بِكَ أَهْتَدِي
وَأَنْتَ الَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ رُتَبَةٍ	مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ حُسَدِي (٣)

(١) ملهّد : ضعيف ، من لهده الحطل أي أثقله . (انظر: القاموس المحيط: مادة لهده) .
 (٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٩٥-٩٦ .
 (٣) المصدر نفسه : ص ٩٦ .

وَقَدْ يُخَيَّلُ لِلنَّاظِرِ أَنَّ الشَّاعِرَ يِنَاقِضُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْأُبْيَاتِ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ تِنَاقُضٌ عِنْدَ الشَّاعِرِ فِي مَوْقِفِهِ بِقَدْرِ مَا هُوَ شَعُورٌ بِالإِحْبَاطِ مِنَ الْأَسِيرِ، وَهُوَ يَتَقَاسَمُ نَفْسَهُ عَامِلَانِ، عَامِلِ الرَّجَاءِ وَعَامِلِ الْيَأْسِ، وَنَفْسُهُ إِلَى الْيَأْسِ أَقْرَبُ، فَيَتَنَاسَى الشَّاعِرُ تَعَالِيَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ يَخَاطِبُ رَجُلًا عَظِيمًا هُوَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الَّذِي أَحَلَّ نَفْسَهُ تَحَلُّ أَبِيهِ، وَلِذَا يَفْعُو الشَّاعِرُ لِيَضَعَ نَفْسَهُ دُونَهُ، فَهُوَ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ وَوَلِيُّ نِعْمَتِهِ، هَلْ إِنَّهُ هُوَ مُبْلَغُ أَبِي فِرَاسِ تِلْكَ الرُّتَبِ الَّتِي يَخْفِضُ بِهَا حَسَادَهُ. وَيَعْتَدُ هَذَا نَجْدَ الشَّاعِرِ يَمُودُ إِلَى وَاقِعِهِ الْمَوْلَمِ، فَيَذَكُرُ أَسْرَهُ مَخَاطِبًا سَيْفَ الدَّوْلَةِ لِفِدَائِهِ، يَقُولُ :

فِيَا مُلَيْبِيسِي النَّعْمَى الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا	لَقَدْ أَخْلَقْتَ تِلْكَ الثِّيَابَ فَجَدَّ رِ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي فِيكَ صَافِحْتُ حَدَّهَا	وَفِيكَ شَرِهْتُ الْمَوْتَ نَعِيرَ مَصْرَدِ
يَقُولُونَ : جَنَّبَ عَادَةً مَا عَرَفْتُهَا	شَدِيدُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَمُودِ
وَلَكِنْ سَأَلْنَاهَا، فَأَتَانَا مِنْهَبِيَّةً	هِيَ الظَّنُّ، أَوْ بِنَمَانٍ عَزْمُوطِدِ
وَلَمْ أَذَرِ أَنَّ الدَّهْرَ فِي عَدْوِ الْعِدَى	وَأَنَّ النَّمَايَا السُّودَ يَرْسِينَ عَنِ يَدِ (١)

وبعد هذه الشكوى من الدهر يختم الشاعر قصيدته بالدعاء لسيف الدولة بأن يحفظه الله تعالى، وألا يحرمها فراس من روبيته، يقول :

بَقِيَّتَاهِنَّ عَبْدُ اللَّهِ تُحَمَى مِنَ السَّرْدَى	وَيَفْدِيكَ مِنَّا سَيِّدُ بَعْدَ سَيِّدِ
بِمَيْشَةٍ مَسْعُودٍ، وَأَيَّامٍ سَالِيَةٍ	وَنِعْمَةٍ مَغْبُوطٍ، وَحَالٍ مُحَسَّنِ
وَلَا يَحْرِمُنِي اللَّهُ قُرْبَكَ إِنِّي لَسْتُ	قُرَابِي مِنَ الدُّنْيَا وَحَظِّي وَسُودِي (٢)

وهكذا عتبر الشاعر في هذه القصيدة عن مشاعره والأحاسيس التي كانت تسيطر على نفسه بسبب أسره، وهو لم يلجأ فيها إلى الصنعة اللفظية، فجاءت عباراته سهلةً بطواعةً، لا حشو فيها ولا تكلف. ولعلَّ العواطف الحزينة والآلام التي كان يعاني منها أبو فراس هي التي لم تفسح له المجال ليجري وراء الصنعة والزخرفة اللفظية، فهو مشغول بتصوير نزعات كيانه، وأمور وجدانه، ولذا كان من الطبيعي ألا يهتم بزخرفة الألفاظ وبديع البيان.

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٧ .

وبلاحظ أنَّ هذه القصيدة تخلو من المقدمة الغزلية، وهذا كما قلنا -
راجع إلى ما كان يسيطر على أبي فراس من التوتر النفسي والاضطراب، ولذا لم يكن
لديه فرصة للتأنيق، والهدوء بالغزل، والخلوص منه إلى ما يريد . ولا نلتمس في القصيدة
مبالغيات شديدة، ولا خيالاً مُخلِّقاً بعيداً، وإنما هي قريبة من الواقع، ولا تشتمر فيها
بالهَيِّة والتكلف ويُعد السافة التي تفصل بين المادح والمدوح في العادة، وإنما
نلمس القرب والألفة في مدحه لسيف الدولة ولا عجب، فهو من مَنه الذي نشأ وأدبته،
ولكنَّ الشاعر عندما يفخر بنفسه يعود فيتراجع ويعترف بفضل الأمير عليه، فأبو فراس
صادق مع نفسه في تعبيره، ولذا لم ينصرف إلى الزخرف والتنميق، وإنَّ جاء شيء من
هذا فإنَّ الشاعر لم يقصده لنفسه وإنما لمعنائه ودلائره .

وهكذا كانت روميات أبي فراس من أحسن ما جادت به قريحته، لأنها نابعة
عن تجربة حقيقية أحسَّ بها الشاعر و هتزت مشاعره وأعماقه .

وهكذا يتبين لنا أنَّ أبا فراس كان شاعراً شيعياً كبيراً، قال الأشعمراني ريشاء
آل البيت، ويان حَقَّهم في الخلافة، وأبدع في جانب آخر منهم من الشعر، وهو روميات التي
قالها وهو أسير في بلاد الروم، وقد ضمَّنها الشوق والحنين إلى الأهل والوطن، وشاعر
الاستيلاء لأنَّ سيف الدولة تأخر في فداك، وكان شاعراً شجاعاً شهماً ونياً، يتنمَّع بالصفات
الكريمة والأخلاق الحميدة .

الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّارٍ :

وَإِذَا مَا تَرَكْنَا بِلَادَ الشَّامِ، وَتَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَنَاطِقِ الشَّرْقِيَّةِ فَإِنَّا نَجِدُ شَاعِرًا
شِعْرِيًّا آخِرَ عَاشٍ فِي الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيَّةِ، وَخَدَمَ الْحُكَّامَ الْبُوَيْهِيِّينَ، وَذَلِكَ الشَّاعِرُ هُوَ
الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّارٍ .

حَيَاتُهُ :

الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّارِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ
الطَّالِقَانِيَّ، وُلِدَ سَنَةَ ٣٢٦ هـ (١)، وَكَانَ وَالِدُهُ عَبَّارَ تَقِيًّا وَرِعًا، وَكَانَ كَاتِبًا مَقْدَمًا اشتهر
بِحُسْنِ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ (٢). كَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّارٍ أَوَّلَ مَنْ لُقِّبَ بِالصَّاحِبِ مِّنَ
الْوَزَرَاءِ، فَقَدْ صَحِبَ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ فَقِيلَ لَهُ : صَاحِبِ ابْنِ الْعَمِيدِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهِ
هَذَا اللَّقَبُ لَمَّا تَوَلَّى الْوِزَارَةَ فِيمَا بَعْدَ (٣)، وَقَدْ كَانَ الصَّاحِبُ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ مِّنْ صِفَارِ
الْكِتَابِ يَخْدُمُ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ، ثُمَّ تَرَقَّتْ حَالُهُ وَتَحَسَّنَ مَعَاشُهُ حَتَّى أَصْبَحَ كَاتِبًا
لِمُوَيْدِ الدَّوْلَةِ (٤) بِنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ (٥) بِنِ بُوَيْهٍ، وَكَانَ الصَّاحِبُ يَعْجَبُ بِأَسْتَاذِهِ ابْنِ
الْعَمِيدِ وَبِحِلَّةِ، وَلَهُ فِيهِ أَشْعَارٌ جَيِّدَةٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَقْدِيرِهِ إِيَّاهُ (٦).

وَقَدْ بَقِيَ الصَّاحِبُ وَفِيهَا مُخْلِصًا لِابْنِ الْعَمِيدِ، يَخْدِمُهُ بِالرِّيِّ (٧)، إِلَى أَنْ اسْتَكْتَبَهُ
ابْنُ الْعَمِيدِ لِمُوَيْدِ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ أَنْسَ مُوَيْدُ الدَّوْلَةِ بِالصَّاحِبِ

(١) انظر: معجم الأرباب: ج ٦، ص ١٧١، ولسان الميزان: ج ١، ص ٤١٤، وتتممة المختصر
في أخبار البشر: ج ١، ص ٤٧٠.

(٢) انظر: معجم الأرباب: ج ١، ص ١٧١.

(٣) انظر: تتممة المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٤٧٠.

(٤) أَبُو مَنْصُورِ بُوَيْهٍ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ، مُوَيْدُ الدَّوْلَةِ، أَقْطَعَهُ أَخُوهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ هَمْدَانَ
سَنَةَ ٣٣٧ هـ، وَقَدْ تَوَفَّى فِي تِلْكَ السَّنَةِ. (انظر: الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ٥٥،
ص ٢٦).

(٥) أَبُو عَلِيٍّ، الْحَسَنُ بْنُ بُوَيْهٍ بْنِ فَتَّاحِ خَسْرُو، كَانَ صَاحِبَ أَصْبَهَانَ وَالرِّيِّ وَهَمْدَانَ، وَوُلِدَ
سَنَةَ ٢٨٤ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٦٦ هـ. (انظر: وفيات الأعيان: ج ١، ص ١١٨-١١٩).

(٦) انظر: ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّارٍ: ص ٢٨٩.

(٧) الرِّيُّ: مَدِينَةُ عَجَبِيَّةِ الْحُسَيْنِ، تَقَعُ إِلَى تَجَانِبِ جَبَلِ أَقْرَعٍ يُشْرِفُ عَلَيْهَا، وَقَدْ خَرِبَتْ
نَتِجَةَ فِتْنَةِ رَبِّثَ بَيْنِ أَهْلِهَا، (انظر: معجم البلدان: ج ٣، ص ١١٦-١٢٢) وَهِيَ
الْيَوْمَ مَدِينَةٌ فِي إِبِيرَانَ تَقَعُ أَطْلَالُهَا عَلَى بَعْدِ ثَمَانِيَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ جَنُوبَ شَرْقِ
طَهْرَانَ. (انظر: الموسوعة العربيَّة الميسرة: ص ٩٠، والقاموس الإسلامي: ج ٢، ص ٦١٠-٦١١).

وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَحَيَّدَ صُحْبَتَهُ، لِأَنَّ الصَّاحِبَ أَحْسَنَ خِدْمَتَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ، وَأَنْسَ مِنْهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ شَهَامَةً وَكِرَامَةً وَكَفَايَةً، فَارْتَفَعَتْ مَنْزِلَةُ الصَّاحِبِ عِنْدَهُ (١). وبقي الصَّاحِبُ كَاتِبًا حَتَّى مَقَتَلَ أَبِي الْفَتْحِ ابْنَ الْعَمِيدِ حِوَالِي سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لِلهَجْرَةِ، فَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ مَكَانَهُ وَظَلَّ وَزِيْرًا لِمُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ حَتَّى وَفَاتَهُ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لِلهَجْرَةِ، وَقَدْ حَكَّمَهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ الصَّاحِبَ فِي أَمْوَالِهِ وَأَحْلَاهُ مَنْزِلَةً عَلَيْهَا (٢).

وفي سنة ٣٧٠هـ أَرْسَلَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ الصَّاحِبَ بَنَ عَبَّادٍ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ كَسَى يَخْدِمُهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ، وَاسْتَقْبَلَهُ خَارِجَ الْبَلَدِ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَكُتَّابَهُ بِإِجْلَالِ الصَّاحِبِ وَتَعْظِيمِهِ، وَكَانُوا يَأْتُونَهُ فِي مَدَّةِ إِقَامَتِهِ، وَلَمْ يَبْرُكْهُ هُوَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ يَهْدِيهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى تَأْنِيْسِهِ وَإِكْرَامِ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ وَصَلَتْ كِتَابَةُ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ بِذِكْرِ فِيهَا أَنَّ الصَّاحِبَ قَدْ مَكَثَ كَثِيرًا وَأَنَّ الْأُمُورَ قَدْ اضْطَرَبَتْ بَعْدَهُ (٣).

وبعد وفاة مؤيد الدولة تولى مكانه أخوه فخر الدولة، وقد كان للصَّاحِبِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ كَانَ الصَّاحِبُ هُوَ الَّذِي نَفَّذَ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَأَحْضَرَهُ عِنْدَمَا تَوَفَّى مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ قَدْ هَرَبَ مِنْ أَخِيهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ وَقَاهُوسِ بْنِ وَشَكِيْرٍ، وَقَدْ اسْتَعْفَى الصَّاحِبُ فَخْرَ الدَّوْلَةِ مِنَ الْخِدْمَةِ وَالْوِزَارَةِ وَلَكِنْ فَخَّرَ الدَّوْلَةَ رَفُضَ ذَلِكَ، وَقَدْ حَكَّمَهُ الصَّاحِبَ فِي أَمْوَالِهِ، وَأَقْرَهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى الصَّاحِبُ (٤)، وَكَانَتْ الْأُمُورُ تَصُدُّرُ عَنْ رَأْيِ الصَّاحِبِ، وَالْمَلِكُ يَدَبِّرُ بِرَأْيِهِ، وَكَانَ إِذَا قَالَ الصَّاحِبُ قَوْلًا وَقَالَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ قَوْلًا امْتَثَلَ قَوْلَ الصَّاحِبِ (٥).

وقد بَدَّلَ الصَّاحِبُ أَقْصَى جُهْدِهِ فِي خِدْمَةِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَتَوَسَّعَ مَلَكَتَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْفَتْوحَاتِ، فَفَتَحَ أَثْنَاءَ تَوَلِّيهِ الْوِزَارَةَ خَمْسِينَ قَلْعَةً سَلَّمَهَا إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ لَمْ يَجْتَمِعْ عَشْرٌ مِنْهَا لِأَبِي فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَلَا لِأَخِيهِ مِنْ قَبْلِ (٦). وبقي الصَّاحِبُ وَزِيْرًا لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ

(١) انظر: معجم الأرباب: ج ٦، ص ١٧٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسيهما.

(٣) المنتظم في تاريخ الطوك والأمم: ج ٧، ص ١٠٣.

(٤) انظر: معجم الأرباب: ج ٦، ص ١٧٣-١٧٤.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ج ٦، ص ١٧٤.

(٦) انظر نشوار المحاضرة: ج ٥، ص ٢٣، ومعجم الأرباب: ج ٦، ص ٢٥١.

إلى حين وفاته سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة للهجرة، ولما توفي أُرْسِلَ فخر الدولة من أخذ أموال الصَّاحِبِ ونقلَ جميعَ ما في داره إليه (١). كما تَخَلَّى فخر الدولة عن التسامح الذي كان معروفاً عنه من قبل، فَقَدَّ قَبْضَ عَلَى أَصْحَابِ الصَّاحِبِ، وصادَرَ بالتَّعاوُنِ مع وزرائه الأُمَلاكِ في جميع أنحاء البلاد، فاجتمع منها الشيءُ الكثيرُ، ثم تَبَدَّرَ بعد وفاته في مدَّةٍ قصيرة، ولم يكن هناك سببٌ لما فعل فخر الدولة بالصَّاحِبِ بعد وفاته، ولا يمكن تفسيرُ صنيعه إلا بأنَّه دليلٌ على الغَدْرِ العتَّاصِلِ في نفسه. فقد أغلقت المدينة أبوابها، وحضر فخر الدولة وجميعُ أعيان الدولة، وقد غَبَرُوا لِبَاسِهِمْ فَلَمَّا خَرَجَ نَعَشُهُ صاح النَّاسُ صيحةً واحدةً، وَقَبَلُوا الأَرْضَ له، ومضى فخر الدولة للنَّعَشِ، وقعد يتقبَّلُ العزاءَ أَيَّاماً (٢).

صِفَاتُهُ :

كان الصَّاحِبُ بن عبَّاد - رحمه الله - يتحلَّى بصفات فاضلة وأخلاق حميدة، كانت مثار إعجاب مؤرِّخي الأرب القُدِّما، فوصفوه بأنَّه كان أُوحد زمانه في العِلْمِ والجود والكرم وحُسن التدبير (٣)، كما تحدَّثت عنه الثَّعالبيُّ، فقال: "ليست تحضُرني عبارة أرضاها للأفصاح عن علوِّ محلِّه في العِلْمِ والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفردُه بغايات المحاسن، وجمعه أشدَّات العفاخر، لأنَّ همة قولي تنخفض عن بلوغ أرتى فضائله ومعاليه وجهده وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه، وليكني أقول: هو صدر المشرق وتاريخ المجد وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن لا حرج في مدحه بكلِّ ما يُمدح به مخلوق ولولا ما قامت للفضل في رهننا سوق (٤).

ونجد رأياً آخر يناقض رأي الثَّعالبيِّ في الصَّاحِبِ، فأبو حيان التَّوحيديُّ، في كتابه "مثالب الوزيرين" يذمُّ الصَّاحِبَ بن عبَّاد وبهجوه، وقد خصَّص التَّوحيديُّ جُلَّ هذا الكتاب لذمِّ الصَّاحِبِ، ولكنَّ أقوال أبي حيان لا يُمكن أن تدلَّ على أخلاق الصَّاحِبِ الحقيقية، وذلك لأنَّه وضع كتابه للهجاء والذمِّ، فقد كان "مجبولاً على الفرام بتلُّبِ

(١) الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ١١٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة: ج ٤، ص ١٧١ والأنباء في تاريخ الخلفاء: ص ١٨٤.

(٣) انظر: يتعة المختصر في أخبار البشر: ج ١، ص ٤٧٠.

(٤) بيتهمة الدَّهر: ج ٣، ص ١٩٠-١٩٢.

الكرام^(١)، وقد كان الدافع لذلك أَنَّ التَّوْحِيدِيَّ قَصِدَ الصَّاحِبِ إِلَى الرَّيِّ، فلم يحصل منه على شيء، فرجع من عنده ساخطاً عليه مُجتهداً في انتقاصه^(٢).

ومن أهمَّ صفات الصَّاحِبِ الهَيْئَةُ، فقد كَانَ مَهِيْباً جَلِيلَ القَدْرِ، وكان وجهها الدَّيْلِمُ يجلونه ويعظمونه، وكانَ عَضِدَ الدَّوْلَةِ يُخَاطِبُهُ خِطَاباً لا يَشْرِكُ مَعَهُ أَحَدٌ رَأً فِيهِ^(٣)، وكان القُوَّارُ عند ما يحضرونَ بابَه يَقفونَ على رِوَابَتِهِمْ مطرقيين، لا يتكلمَ واحدٌ منهم، هَيْئَةً من الصَّاحِبِ وإِعْظَاماً لِشَأْنِهِ، وَيُظَلُّونَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ أَحَدٌ من الحِجَابِ وَيَأْذَنَ لِبَعْضِهِمْ بالدُّخُولِ، فإذا دَخَلُوا قَبَّلُوا الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الصَّاحِبِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْهُ فَيَأْذَنَ لَهُمْ بِالْجُلُوسِ، وَيَبْقَوْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِخَدِّ مَوْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُونَ بِعَدِّ أَنْ يُقَبَّلُوا الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وكان يُرْحِمُهُ اللُّهُ لا يَقُومُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلا يَطْمَعُ أَحَدٌ مِنْهُ فِي ذَلِكَ^(٤).

ومعاً يدلُّ على هَيْئَةِ الصَّاحِبِ ما رُوِيَ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ قَالَ: "ما استأذنتُ على فخر الدَّوْلَةِ وهو في مجلسِ الأَنْسِ إِلاَّ وَاِنْتَقَلَ إِلَى مَجْلِسِ الحِشْمَةِ فَأْذَنَ لِي فِيهِ، وما أَذْكَرُ أَنَّهُ تَبَدَّلَ بَيْنَ يَدَيْيَ أَوْ مَارَحَنِي قَطُّ إِلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فَإِنَّهُ قَالَ لِي: بلغني أَنَّكَ تقولُ: إِنَّ المَذْهَبَ هو مذْهَبُ الاعتزالِ . . . فأظْهَرْتُ الكَرَاهَةَ لا نَبِساطِهِ، وقلتُ: بِنَامِـنَ الجِدِّ ما لا نَفْعُ مَعَهُ لِلهَزْلِ، وَنَهَضْتُ كالمُعَاضِبِ، فما زالَ يعتذرُ إِلَيَّ مُراسِلةً حتى عاودتُ مَجْلِسَهُ، ولم يَمُدَّ بَعْدَها إِلَى ما يَجْرِي مَجْرَى الهَزْلِ والمرح^(٥). ولهذا كان الصَّاحِبُ ذا مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ عِنْدَ فخرِ الدَّوْلَةِ، فعِنْدَ ما تَوَقَّعتُ أَنَّهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَةَ عَشْرَةَ لِلهَجْرَةِ جَلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ، فجاؤا فخرَ الدَّوْلَةِ ومكثَ عِنْدَهُ طَوِيلًا يَعْزِيهِ، وكانَ ما عَزَى بِهِ الصَّاحِبُ قَوْلُهُ إِنَّ ذَلِكَ الجِرْحَ جِرْحٌ عَظِيمٌ لا يُمْكِنُ أَنْ يَنْدُمَ^(٦). وهذا دليلٌ على ما كانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ الصَّاحِبُ مِنَ الهَيْئَةِ وَجَلالِ القَدْرِ وَعُلُوِّ العِزَّةِ.

(١) معجم الأديب: ج ٦، ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ج ٦، ص ١٨٦-١٨٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ج ٦، ص ٢٨٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ج ٦، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ج ٦، ص ٢٨٤.

(٦) انظر: المصدر نفسه: ج ٦، ص ٢٣٨-٢٣٩.

ولكنَّ الهَيْبَةَ لا تناقض الرَّحْمَةَ والرَّفْقَ ، فالمرءُ قد يكونُ مَهيباً في مواطنِ الهَيْبَةِ ، يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ وشَخْصِيَّةٍ مَهيبَةٍ في مَظْهَرِهِ ، ولكنَّهُ يحملُ بينَ جوانِحِهِ قَلْباً رَقِيماً رَحِيماً ، وهذا ما كانَ يَتَصَفُّ بِهِ الصَّاحِبُ ، فقد كانَ كثيرَ العَطْفِ على النَّاسِ ، عَظِيمَ الرَّفْقِ بِالْحَيَوانِ ، فقد رُوِيَ أَنَّهُ طَلَبَ يوماً شِراباً من شِرابِ الشُّكْرِ ، فَجِيءَ بِقَدْحٍ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَشْرِبَهُ أَخْبَرَهُ بِعَمْرٍ أصد قَائِمِهِ أَنَّهُ مَسْمُومٌ ، فسألَهُ الصَّاحِبُ عن الدَّلِيلِ على صِحَّةِ ذلكَ ، فقالَ : أن تُجَرِّبَهُ على من أعطاكهُ ، فرفضَ الصَّاحِبُ ذلكَ وقالَ : لا أُسْتَجِيزُ ذلكَ ولا أُسْتَحِلُّهُ ، فأشارَ عليه صديقه بأنَّ يُجَرِّبَهُ على دِجاجةٍ فرفضَ ، وقالَ : إِنَّ التَّمْثِيلَ بِالْحَيَوانِ حَرَامٌ ، وأمرَ بأنَّ يُصَبَّ ما في القَدْحِ ، وطلبَ إلى الغلامِ أن ينصرفَ عنه وألا يدخلَ دارَهُ بعدَها ، وأتَرَ عليه رِزقه ، وقالَ إِنَّ اليقِينَ لا يَدْفَعُ بالشُّكِّ ، والعقوبةُ يَقْطَعُ الرِّزْقَ خِساسَةً وَنَذالَةً (١) . وهذه القِصَّةُ تدلُّ على ما كانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ الصَّاحِبُ من مِشاعرِ إنسانيةٍ رقيقةٍ ونفسِ رحيمةٍ بالنَّاسِ والحَيَواناتِ ، وتدلُّ أيضاً على اتِّزانِ الصَّاحِبِ وعدمِ تَسرُّعِهِ في الأحكامِ ، فَهُوَ يَتَمَيَّزُ بِالرَّوِيَّةِ والأناةِ ، وكأنَّه بهذه الأعمالِ ينظرُ إلى قولِهِ تعالى : " يا أَيُّها الذِّينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمُ فائِيقٌ بِنِباءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجِهاَلَةٍ ، فَتُصِيبُوا على ما فَعَلْتُمْ نارِ مِينَ (٢) " فهو لم يقبلِ ما أخبرَ بِهِ صديقه ورفضَ تجرِيبَ الشِّرابِ على الغلامِ أو على الدِّجاجةِ ، ولم يقطعِ ما كانَ يجربُهُ على الغلامِ من الرِّزْقِ .

ومن صفاتِ الصَّاحِبِ الوفاءُ وإِخْلاصُ النَّصِيحَةِ ، ومن ذلكَ ما يُروى من أَنَّهُ عندَ ما مَرَضَ مرضَهُ الَّذي توفِّيَ فِيهِ جاءَهُ فخرُ الدَّولةِ بِزورِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فلَمَّا يَشسُ مِنْ نَفْسِهِ قالَ لِغُفْرِ الدَّولةِ : قد خَدَمْتُكَ الخِدْمَةَ الَّتِي اسْتَفْرَعْتُ فِيها الوِشْعَ ، وَسِرْتُ فِي دَوْلَتِكَ السِّمِيرَةَ الَّتِي حَصَلْتُ لَكَ حَسَنَ الذِّكْرِ بِها ، فَإِنْ أُجْرِيَتِ الأُمُورُ بَعْدِي على رُسُومِها عَليمٌ أَنَّ ذلكَ مِنْكَ وَنَسِبَ الجَمِيلَ فِيهِ إِلَيْكَ ، واستمرتِ الأُخْدُوثَةُ الطَّيِّبَةُ بِذلكَ ، وَنُسِيتُ أَنَا فِي أَثْناءِ ما يُنشَى بِهِ عَليكَ ، وَإِنْ عَظِيتَ ذلكَ وَعَدَلْتِ عَنْهُ كُنْتُ المَذْكُورَ بِما تَقَدَّمُ ، والمَشْكُورَ عَليهِ ، وَقَدِحَ فِي دَوْلَتِكَ . . . فَأَظْهَرَ لَهُ قَبولَ رَأْيِهِ (٣) .

(١) انظر : معجم الأرباب : ج ٦ ، ص ١٨٥ ، والوفائي بالوفيات : ج ٩ ، ص ١٣٠ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٦ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٧ ، ص ١٨١ ، وانظر : الكامل في التاريخ :

ج ٩ ، ص ١١١ ، والإنباء في تاريخ الخلفاء : ص ١٨٤ .

وهذا يدلنا على وفاء الصَّاحِبِ وإخلاصِهِ وحِفْظِهِ لِلْجَمِيلِ، فقد بقي مُخْلِصاً
لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ حَتَّى فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالحَيَاةِ، وهو وقتٌ لا يطمع فيه من فَخْرِ الدَّوْلَةِ
بمَنَافِعِ ذَاتِيَّةٍ، ولو كان الصَّاحِبُ من المخادعين لرغب في أَنْ يُنْسَبَ كُلُّ جَمِيلٍ إِلَيْهِ،
لذا فلن يقوم بنصيحة فخر الدَّوْلَةِ.

ومن صفات الصَّاحِبِ الكَرَمِ، فقد كان كريماً يجتمع في بابهِ الشُّعراءُ والأُدبَاءُ
فيوزع عليهم الصَّلَاتِ والأَمْوَالَ (١) وَيُكْتَبَرُ من ذلك حتى لقد قيل إِنَّهُ مُدِحٌ بِمِائَةِ أَلْفِ
قَصِيدَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَفَارَسِيَّةٍ (٢). وهناك روايات كثيرة تدلُّ على كَرَمِ الصَّاحِبِ مِنْهَا أَنَّهُ
كَانَ يُرْسَلُ إِلَى بَغْدَادَ فِي كُلِّ سَنَةٍ خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ تُوزَعُ عَلَى الفُقَهَاءِ وَأَهْلِ
الأَدَبِ (٣)، وَيَحْمِلُ كَثِيراً مِنَ الأَمْوَالِ لِمَنْ يَبْغِدَانِ مِنَ الشُّعراءِ وَالرُّهَّادِ وَأَوْلَادِ الفُقَهَاءِ
أثناء موسم الحجِّ من كلِّ عام (٤).

وكان وهو صَغِيرٌ يَدْرُسُ فِي المَسْجِدِ، فكانت أُمَّهُ تعطيه كلَّ يومٍ دِينَاراً أو دِرْهما
ليتصدَّقَ بهما على أولٍ من يصادفه في طريقه من الفقراء (٥)، وهذا دليلٌ على أَنَّهُ
نَشْأاً فِي بَيْتِ فَضْلِ وَجُودٍ مِنْذُ صِغَرِهِ (٦). وَيُرْوَى أَنَّهُ مَرِضٌ بالأَهْوَازِ (٧) مَرَضاً عَرَضَ لَهُ
فَكَانَ عِنْدَمَا يَقُومُ عَنِ الطَّسْتِ يَتْرِكُ إِلَى جَانِبِهِ عَشْرَةَ دنانيرٍ، وذلك كي لا يتبرَّم بِسَبَبِهِ
الخدَمَ، ولذا كانوا يَتَمَنُّونَ أَنْ تَدُومَ عِلَّتُهُ، فَعِنْدَمَا شَفِيَ أَنهَبَ الفُقَرَاءُ جَمِيعَ مَحْتَوِيَّاتِ

(١) انظر: الكامل في التاريخ ج ٩، ص ١١٠.

(٢) انظر: معجم الأرباء: ج ٦، ص ٢٦٣.

(٣) المنتظم في تاريخ الطوك والأمم: ج ٧، ص ١٨٠.

(٤) انظر: معجم الأرباء: ج ٦، ص ٣٠٠.

(٥) انظر: معاهد التنصيص: ج ١، ص ١٥٤، والوافي بالوفيات: ج ٩، ص ١٢٩.

(٦) انظر: الصاحب بن عباد: ص ٦٦.

(٧) الأهواز: ذكر ياقوت أنها كانت في أيام الفرس تسمى خوزستان، ثم سماها

العرب الأهواز، وهي عدَّة مناطق تسمى بهذا الاسم، وأما البلدة التي

يغلب عليها اسم الأهواز فإنما هي سوق المدينة، والأهواز سبع كور بيوتان

البصرة وفارس، وقد غزاها أبو موسى الأشعري (انظر: معجم البلدان:

ج ١، ص ٢٨٤-٢٨٦) وهي اليوم مدينة بخوزستان جنوب غرب إيران

على نهر قارون، ويبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نسمة، وهي ملتقى طرق

كثيرة، ويكثر بها خط أنابيب البترول وتشتهر بالصناعة. (انظر: الموسوعة

العربية الميسرة: ص ٢٥٢).

داره، فأخذ منها ما يقارب خمسين ألف دينار (١). وكان الصّاحب لا يدخل عليه كائن من كان في رمضان بعد العَصْرِ فيخرج من داره إلا بعد أن يُفطر، وكانت داره تضم كل ليلة ألف نفسٍ مُفطرة، وكان ينفق في رمضان مقداراً ما ينفق في العام كاملاً (٢). وكان الصّاحب مُحباً لأهل العلم، يتواضع لهم ويُجلِّسهم، فقد ذكر القاضي التَّنُوخِي أَنَّ الصّاحب كان يُخالطُ العلماء والأدباء، ويقول لهم، نحن بالنهار سلطان وبالليل اخوان (٣)، وقد روي أنه جاء إليه في أحد الأيام شيخ من شيوخ المعتزلة فقام له الصّاحب وأكبره وأكرمه وعظمه (٤)، وهذا دليل على تقدير الصّاحب للعلم والعلماء.

ومن صفات الصّاحب الفكاهة والرح، فقد كانت له ملح كثيرة، ومن ذلك أنه رفع له أن رجلاً غريباً يدخل داره لاستراق السَّمْع، فوقع: "دارنا هذه خان يدخلها من وفق ومن خان" (٥)، وجلس رجلٌ عنده فأطال الكوث، فقال: الفتى من أين؟ قال: من قم. قال: فإذا قم (٦).

ومن ملح الصّاحب ما روي من أن أبا حيان التّوحيدي حضر مائدة للصّاحب بن عمار فقدّمت مضية رائعة، فأكل منها التّوحيدي كثيراً، فقال له الصّاحب: "يا أبا حيان، إننا تضرّ بالمشايخ"، فطلب إليه أبو حيان أن يدع التّطهّب على طعامه، فدخل الصّاحب واستحيا، ولم يتكلّم بشيء إلى أن فرغوا من طعامهم (٧).

ومن ملح الصّاحب أنه كان يطلب إلى أصحابه إذا أراد دخول أصفهان أن يسألوه حوائجهم قبل دخولها، لأنه إذا دخلها وجد في نفسه شحاً لم يجد في غيرها.

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ١٨١.

(٢) الوافي بالوفيات: ج ٩، ص ١٢٨-١٣٠.

(٣) نشوار المحاضرة: ج ٥، ص ٢٣.

(٤) انظر: معجم الأدباء: ج ٦، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٥) تحسين القبيح وتقبيح الحسن: ص ٦٩.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) الهفوات النادرة: ص ٣٤٢.

وهذا يدل على أن أهل أصفهان كانوا يشتهرون بالبخل (١).

وَمِنْ مَلِحِ الصَّاحِبِ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْخَازِنِ فِي يَوْمِ شَدِيدِ الْحَرِّ :
" ما يقول الشيخ في قلبه ؟ " فلم يفهم أبو العباس مراده ، وقد أراد الصاحب يقلب الشيخ
" خيش (٢) .

ومما يتصل بفكاهة الصاحب التسامح ، فقد كان متسامحاً يصفح عن الآخرين ويتجاوز
عن ذنوبهم وسيئاتهم ، ومن ذلك ما يروى من أنه كان للمصاحب صديق قديم الصُّحبة والخدمة
له ، فأساء إليه ، وحدث ذلك منه مراراً ، فأمر الصاحب بحبسه ، فحُبِسَ في منزلٍ مجاورٍ لدار
الصاحب ، وفي أحد الأيام صعد الصاحب على ظهر داره ، فراه صديقه فناده : " فاطلَع
فراه في سواء الجحيم (٣) ، فضحك الصاحب ، ثم قال : " اخسئوا فيها ولا تكلمون (٤) ،
ثم أمر بإطلاقه (٥) . ومن تسامح الصاحب أيضاً ما روي من أنه كان يكره أبا الحسين أحمد
ابن فارس لأنه كان يخدم آل العميد ويتعصب لهم ، فأرسل أبو الحسين إلى الصاحب
كتاب الحجر من تأليفه ، فأمر الصاحب برّد الكتاب ، ثم رجع عن ذلك ، ولم تطب نفسه
حتى نظر فيه ، وأمر لأبي الحسين بصلته (٦) .

وكان الصاحب رحمه الله محبباً للعرب إلى درجة التعصب ، يفضب إذا ما حاول
أحد أن يتناول منهم بقولٍ أو فعل ، فقد روي أن أحد العجم دخل عليه يوماً ، ومدّحه
بأبيات صنعها تفضيل الفرس على العرب ، ومطلعها :

غَيْبِنَا بِالطُّبُولِ عَنِ الطُّلُولِ وَعَنْ عَنَسِ عُنَا فِرَّةٍ تَمُولِ (٧)

(١) آثار اليلار وأخبار العباد : ص ٢٩٨ .

(٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٢٢٨ .

(٣) سورة الصافات : الآية ٥٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١٠٨ .

(٥) بيتيمة الدهر : ج ٣ ، ص ١٩٢ .

(٦) معجم الأرباء : ج ٦ ، ص ١٨٦ .

(٧) الذمول : من ذمل البعير ذملاً أي سار سيراً لئنا . (انظر : لسان العرب :

مادة ذمل) . وبدائع البداهة : ص ٥٥ .

فلما وصل إلى قوله :

أَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْفُجْرِ إِلَّا
نَجَارُ الصَّاحِبِ الْقَرْمِ الْجَلِيلِ
لَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ خَيْرٌ فَخُورٍ
وَجِيلُهُمْ بِذَلِكَ خَيْرٌ جِيلٍ (١)

فلما وصل إلى هذا الموضع من الإنشاد أمره الصاحب بالتوقف ثم سأل عن بديع الزمان الهمداني، وأمره أن يرد عليه، فقال بديع الزمان بديهاً قصيدة منها :

أَرَاكَ عَلَى شَفَا خَطَرٍ مَهُولٍ
يَمَا أَوَدَعْتَ لَفْظَكَ مِنْ فُضُولٍ
ثُرَيْدُ عَلَى مَكَارِمَنَا دَلِيلًا
مَنْ أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
أَلَسْنَا الضَّارِبِينَ جِزَى عَلَيْكُمْ
وَلَنْ الْجِزَى أَوْلَى بِالذَّلِيلِ
مَنْ قَرَعَ الْمَنَابِرَ فَارِسِيًّا
مَنْ عَرَفَ الْأَعْرَبَ مِنَ الْحُبُولِ (٢)

وعندما سمع الصاحب تلك القصيدة أمر الشاعر أن يذهب، وأخبره أنه سيضرب عنقه إن رآه بعدها وبين أنه لا يفضل الفرس على العرب أحدًا إلا وفيه عرق من العجوسية (٣).
ومن صفات الصاحب رقة الشعور، فقد كان يتأثر بالشعر الرقيق، ويضطرب له،
ومن ذلك بيتنا أبي فراس الحمداني وهما :

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ
مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ
أَدَّتْ رِسَالَتِ الْهَوَى بَيْنَنَا
عَرَفْتَهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي (٤)
فَكَانَ إِذَا سَمِعَهَا يَظْرَبُ وَيَتَرْتَجِحُ لَهَا (٥).

وكان الصاحب حاضر البديهة، فقد كان يرتجل الشعر في بعض المواقف، ومن ذلك ما روي من أن أبا الفضل بن العميد أرسل إليه يستدعيه في وقت لم تجر عارته باستدعائه في مثله، فتهيأ للمضي، فجاءه رسول ثان فركب، فلقبه رسول ثالث يشتجيه، فارتاب الصاحب، فلما دخل عليه أخبره أبو الفضل أنه قال بيتاً ثم أعيا عن إتمامه،

-
- (١) بدائع البدائه : ص ٥٦ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه : ص ٥٧ ، وانظر : نزهة الجليس : ج ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ومعاهد التنصيص : ج ٢ ، ص ١٥٥ .
(٤) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٣٧ .
(٥) انظر : ديوان القصابة : ص ٩٤ .

فَقَالَ الصَّاحِبُ بَيْتًا ثَانِيًا أَتَمَّهُ بِهِ، فَعَجِبَ أَبُو الْفَضْلِ مِنْ بَدِيهِهِ الصَّاحِبِ. وَقَدْ تَمَيَّنَ—ز
بَيْنَاهُمَا بِيَدَايَةِ الْأَلْفَاظِ (١).

ومن صفات الصَّاحِبِ حُبُّ الْخَيْرِ وَمُسَاعَدَةُ الْمَحْتَاجِينَ، فَقَدْ كَانَ مَيَّالًا إِلَى الْإِحْسَانِ
إِلَى النَّاسِ وَحُبِّ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَمُسَاعَدَةٍ مَنْ يَحْتَاجُ مِنْهُمْ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ، وَتَخْلِيصِهِ مِمَّا
هُوَ فِيهِ، وَلَهُ بَعْضُ الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ (٢). وَكَانَ الصَّاحِبُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَارِلًا
" لَا تَأْخُذُهُ بِاللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يَمُومُ وَيُبْغِضُ مَنْ يَمِيلُ إِلَى الْفَلْسَفَةِ (٣).

وَتَلَمَّحُ مِنْ سِيرَةِ الصَّاحِبِ بْنِ عِمَارٍ أَنَّهُ كَانَ مُؤَمَّنًا، ذَا نَوَازِعٍ دِينِيَّةٍ، إِذَا كَانَ
لَا يَفْتَرِقُ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ، إِذَا كَانُوا يَسْتَأُونُ مِنَ الْبَنَاتِ (٤).
وَلَكِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْبَنَاتَ إِلَى الْقُلُوبِ، وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ رَقْعَةٌ فِي التَّهْنِئَةِ بَابِنَةَ، مِنْهَا قَوْلُهُ:
" أَهْلًا وَسَهْلًا بِعَقِيلَةِ النَّسَاءِ، وَأُمَّ الْأَبْنَاءِ، وَجَالِيَةِ الْأَصْهَارِ، وَالْأَبْنَاءِ الْأَطْهَارِ، وَالْمَبْشَرَةِ
بِأُخُوَّةٍ يَتَنَاسَقُونَ وَنُجَبَاءِ يَتَلَاخَقُونَ (٥).

وَكَانَ الصَّاحِبُ ظَرْفِيًّا، يُحِبُّ الظَّرَافَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَدْخُلَ
بِفِدَاةٍ وَأَنْ يَرَى الْقَاضِيَّ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنِ مَقْرُوفٍ، وَيَنْظُرَ إِلَى ظَرْفِهِ (٦).
ثَقَافَتُهُ:

يَتَبَيَّنُ لَنَا وَمِمَّا كُتِبَ عَنِ الصَّاحِبِ أَنَّهُ كَانَ مَثَقَّفًا ثَقَافَةً وَاسِعَةً شَمَلَتْ مَجَالَاتٍ
مُخْتَلِفَةً، وَلَمْ يَكُنْ شَاعِرًا فَحَسَبُ وَإِنَّمَا شَارَكَ فِي مَيَّارِ بَيْنِ أُخْرَى كَانَ لَهُ فِيهَا بَاعٌ طَوِيلٌ
وَقَدْ تَحَدَّثَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ فِي نَشْوَارِ الْمَحَاضِرَةِ عَنِ الصَّاحِبِ فَصَوَّرَ لَنَا عِلْمَهُ وَثَقَافَتَهُ
فَقَالَ: " وَكَانَ الصَّاحِبُ عَالِمًا بَعُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقَارِبُهُ فِي ذَلِكَ وَزِيرٌ، وَلِوَسْطِهِ

(١) انظر: بدائع البدائع: ص ١٠٠.

(٢) انظر: محاضرات الأرباب: ج ١، ص ٩١.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ١٨٠.

(٤) تحسين القبيح وتغبيح الحسن: ص ٦٠-٦١.

(٥) المصدر نفسه: ص ٦٢.

(٦) أخبار الظراف والمتماعين: ص ٦.

التصانيف الحسان، والنشر البالغ، وجمع كتباً عظيمة، حتى كان يحتاج في نقلها على أربعمائة جمل (١). ووصف الصاحب بأنه كان أفضل وزراء الدولة البويهية فقد وزر لهم وزراء عديدون ذوو صفات حسنة ومعان بليغة، ولكنه لم يذكر عن أحد منهم العلم ولم يعرف به كما ذكر عن الصاحب (٢).

كان الصاحب عالماً كبيراً، عارفاً بالكتابة وموادها (٣)، وكان أدبياً ناثراً، ويتضح ذلك من رسائله الكثيرة التي كان يرسلها إلى الحكام والأصدقاء، ومنها ما يتعلّق بالشائير بالفتوح (٤) ومنها ما يختص بالتنصّل والاسترضاء (٥)، أو بالمدح والتعظيم (٦) أو بالتعازي (٧). وكان يهتم بالكتابة ويعتبرها أجود صناعات، وقد عبّر عن ذلك بوضوح في بداية كتابه "الفصول الأربعة" حيث يقول: "أما بعد، فإني وجدت الكتابة أنفس الصنائع مرتبة، وأشرفها منزلةً وأرفعها قدرًا، وأعلاها زكراً، وأجلها شأنياً وأعظمها نفعاً" (٨)، ولذا رأى أن يضع فيما هو داخل تحت صناعة الكتابة كتاباً فوضع كتابه "الفصول الأربعة" (٩).

وكان الصاحب بن عبادٍ يتميَّز بكثرة المحفوظ، وغزارة الشعر، وسعة العلم والمعرفة بالعروض والقوافي (١٠)، ويتميّز بالفصاحة والبلاغة في كلامه (١١)، وقد اشتهر بالإكثار من السجع في كتاباته، ومن ذلك ما يروى من أنه قال لقاظمي قم:

أيها القاضى بقم
قد عزلناك فقم

- (١) نشوار المحاضرة: ج ٥، ص ٢٣٠.
- (٢) المنتظم في تاريخ الملوك والامم: ج ٧، ص ٨١.
- (٣) انظر: الكامل في التاريخ: ج ٩، ص ١١٠.
- (٤) انظر: رسائل الصاحب بن عباد: ص ٣-٢٣.
- (٥) انظر: المصدر نفسه: ص ١٨٧-١٩٥.
- (٦) انظر: المصدر نفسه: ص ٩٩-١١٠.
- (٧) انظر: المصدر نفسه: ص ١٣٦-١٥١.
- (٨) الفصول الأربعة: ص ٣٧-٣٨.
- (٩) انظر: المصدر نفسه: ص ٣٨-٣٩.
- (١٠) انظر: نزهة الألباء: ص ٢٣٨، والفيث المسجم: ج ٢، ص ٥٤، ولسان الميزان: ج ١، ص ٤١٣، ومعجم الأرباب: ج ٦، ص ١٧٤-١٧٥.
- (١١) انظر: نزهة الألباء: ص ٢٤٠.

ولذلك " كان القاضي يقول : أنا معزول السجع (١) .

وكان الصّاحب ينتهز كلّ فُرْصَةٍ من أجل أن يأتيَ بالسَّجْعِ، من ذلك ما هُروى من أنّه قيل له : " ما أحسنُ السَّجْعِ ؟ قال : ما خَفَّ على السَّمْعِ . قيل : ثُمَّ مَاذَا ؟ قال : ثُمَّ هَذَا (٢) . وهناك أمثلة أخرى تدلُّ على غرامه بالسَّجْعِ وحبّه إياه (٣) .

وقد تميّز الصّاحِبُ بكثرة جَفْظِهِ للأشعار، وغريب اللفّة، فكثيراً ما كان يناظر الشعراء، ويُعْجِزُهُم بكثرة مسأله عن الكلمات الغريبة (٤)، وكان يُعْجِبُ بالأشعار الجيّدة، ولو كانت من نَظْمِ شعراء آخرين (٥)، ومن ذلك أنّه كان شديد الإعجاب بشِعْرِ البُحْتَرِيِّ فكان يغلو في تفریطه والإعجاب به (٦)، وكان شديد الإعجاب بمُؤلِّفِ المتنبي :

وَمَا سَرَفِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ (٧)

وقد تَتَقَفَّ الصّاحِبُ ثقافتاً دينيةً أيضاً، فقد سَمِعَ الحديث وأُملاه، وَحَضَرَ مَجَالِسَهُ أَناسٍ كَثِيرِينَ (٨) . كما عَقَدَ مَجَالِسَ الكلام، وخاض في الجَدَلِ مع المتكلمين لإلزامهم بالحجّة وإقناعهم بصحّة مذهبه وآرائه، وبذلك فقد جَمَعَ الصّاحِبُ إلى ثقافته الأديبية والدّينية ثقافةً كلاميةً .

وكان الصّاحِبُ مثقفاً يهتمّ بالعلم والعلماء، وقد جمعتْ حضرته الكثيرين من الشعراء، حتى قيل إنّ عدد الشعراء الذين اجتمعوا ببابه أربى على عدد الشعراء الذين اجتمعوا بباب الرّشيد (٩)، ولذا نجد الصّاحِبَ يبدع في مجال آخر مسن

(١) آثار البلاد وأخبار العباد : ص ٤٤٣ .

(٢) مقدّمة في صناعة النّظم والنثر : ص ٧٥ .

(٣) الهفوات النادرة : ص ٣٤٢ .

(٤) انظر : معجم الأرباء : ج ٦، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٥) انظر : خزانة الأرباء، اليفداري : ج ١، ص ٤٣٦-٤٣٨ .

(٦) تحسين القبيح وتقبيح الحسن : ص ٦٩ .

(٧) ديوان المتنبي : ج ٣، ص ٩٧، ومن غاب عن المطرب : ص ١٣١ .

(٨) انظر : معجم الأرباء : ج ٦، ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٩) انظر : المصدر نفسه : ج ٦، ص ٢٨١-٢٨٢ .

مجالات الثقافة والأدب، وهو النقد، فقد كان ناقداً متمرساً ينقد الشعر والنثر
ويبين ما فيهما من معائب.

ومن أمثلة نقد الصاحب ما عابه على أبي الطيب المتنبي في قوله راثياً أم سيف
الدولة:

رواق العز حولك مستبصر
وملك علي ابنك في كمال (١)

فذكر أن لفظ الاسطرار * في مرثية النساء ربما يكون غير جيّد ومن الخذلان المبين (٢).
ويقال يدل على بلاغة الصاحب ومعرفته بالنقد أيضاً ما روي من أن أبا الفضل بن العميد
كان يختار من شعر ابن الرومي وينقط عليه فدفع إلى الصاحب القصيدة التي أولها:
أتحت ضلوعي جمره تتوقد (٣). وطلب إليه أن يتأملها، فتأملها الصاحب، فوجد
أن أبا الفضل قد ترك خير بيت فيها وهو:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى
وجلم كجلم السيف والسيف مضمّد (٤)

فسأله الصاحب عن سبب تركه، فأخبره أن القلم ربما تجاوزه، ثم رآه بعد ذلك فاعتذر
بأنه ترك البيت لأن الشاعر أعاد السيف أربع مرات، فأخبره الصاحب أن الشاعر لو لم
يعد كلمة * السيف أربع مرات لفسد البيت (٥). والأمر كما قال الصاحب والسبب في
ذلك أن البلاغة تقتضي أن يذكر المضاف إليه باسمه الظاهر، وألا يضمّر، وذلك عند ما
يحدث المرء عن المضاف ويريد ذكر المضاف إليه، فالحسن أن يقال مثلاً: جاءني
غلام زيد وزيد، ويصح أن يقال: جاءني غلام زيد وهو (٦).

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تدل على سعة المعرفة النقدية لدى الصاحب، وعلى
تمرسه بالنقد وطول بآه فيه (٧). وبلغ من حبه للشعر أنه كان يصفه بكلام ثري عذب

(١) ديوان المتنبي: ج ٣، ص ١٣.

(٢) الفتح على أبي الفتح: ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) ديوان ابن الرومي: ج ٢، ص ٥٩٠، ودلائل الإعجاز: ٣٦٢.

(٤) ديوان ابن الرومي: ج ٢، ص ٥٩٠.

(٥) دلائل الإعجاز: ص ٣٦٢.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) انظر: الفتح على أبي الفتح: ص ١٦٣-١٦٤، ودمية القصر: ج ١، ص ١٦٨-

١٦٩، والإشارات والتشبيهات في علم البلاغة: ص ١٢، ودلائل الإعجاز: ص ٧٢،

وإعجاز القرآن: ص ٢٢٦، ومختصر المعاني: ص ١٤، والبديع في نقد الشعر:

ص ١٤٣-١٤٤.

يُتَّسَمُ بِالْإِجْازِ الْوَاضِحِ وَالْبَلَاغَةِ الْفَائِقَةِ (١) ، وكان كثير المظالعة للشعر، فيقرأ الشعر الكثير، وقد لا يعجب إلا بالقليل منه، فقد روي أنه حيل إليه ديوان شعر، فلم يشتحس منه إلا أبياتاً دون العشرة (٢) . وهذا دليل على ريقة الصحاب، وتعمق في النقد، فلم يكن يستجيد من الشعر إلا ما كان في غاية الحسن والروعة، وكتابه الكشف عن مساوي شعر المتنبي دليل على ذلك (٣) .

وبسبب تنوع ثقافة الصحاب نجده ينصرف إلى اختصار الكتب، فكان يختصر الكتب ويعلق عليها واضعاً شروحه وآراءه، فقد اختصر كتاب الجوهرة لابن دريد في كتاب سماه الجوهرة، وقال في آخره :

لَمَّا فَرَعْنَا مِنْ نِظَامِ الْجَوْهَرَةِ أَعْوَرَتِ الْعَيْنُ وَمَاتِ الْجَمَهَرَةُ
وَوَقَّفَ التَّصْنِيفُ عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ (٤)

ولتنوع ثقافة الصحاب فقد كان بليغاً فصيحاً متفتحاً القريحة، لذا كان حاضر الهدية، يروي أنه دخل عليه رجل فجعل يكثر السجود، فقال له : تسجد كأنك هدهد (٥) ، وقال في وصف رجل : الفاختة عنده أبو ذر (٦) ، وذلك لأنه يضرب المثل بصِدْقِ القِطَاةِ وكَذِبِ الْفَاخِئَةِ " لَأَنَّ الْقِطَاةَ لَهَا صَوْتٌ وَاحِدٌ لَا تَغْيِيرَهُ ، وَهُوَ حِكَايَةُ أَسْمِهَا ، تَقُولُ : قَطَا قَطَا . وَالْفَاخِئَةُ تَقُولُ فِي الرَّبِيعِ : هَذَا أَرَاؤُ الرُّطْبِ ، فَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْكَذِبِ (٧) . وَقَوْلُ الصَّاحِبِ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى سَعَةِ مَعْرِفَتِهِ وَتَعَاقُفِهِ . وَهَنَّاكَ أَمْثَلُ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى صَفَاءِ قَرِيحِهِ (٨) .

وكان الصحاب ذا معرفة بعلم الطب، فقد ذكر له الثعالبي رسالة في الطب كان قد أنشأها، ووصفها الثعالبي بأنها تجمع بين البلاغة ورشاقة التعبير، وحسن التصرف

(١) من غاب عنه المطرب : ص ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٧٦ .

(٣) انظر : الكشف عن مساوي شعر المتنبي : ص ٤٦ ، ص ٤٩ ، ص ٥٢ ، ص ٥٤ ، ص ٥٦ .

(٤) الزهر في علوم اللغة وأنواعها : ج ١ ، ص ٩٦ .

(٥) نزعة الألباء في طبقات الأديباء : ص ٢٤٠ .

(٦) التوفيق للتلفيق : ص ٩٢ .

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٨) نزعة الألباء في طبقات الأديباء : ص ٢٤٠ .

في لطائف الطب وخصائصه ، وتدلُّ على كثرة التبحُّر في علمه ، ومعرفته العميقة بأدقِّ مسائله وغوامضه (١) ، ولكنَّ التعلُّق لم يذكُر الأستاذ الذي أخذ الصَّاحِبُ عنه الطبَّ .

وقد تَلَمَّذ الصَّاحِبُ لعدد من الأَساتِذَةِ ، وفي طبيعتهم الصَّقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَهُوَ وَالِدُهُ عَبَّاسٌ (٢) ، فقد رَوَى عنه ، كما سَمِعَ من البَغْدَادِيِّينَ والأَصْهَبَانِيِّينَ والرَّازِزِيِّينَ (٣) ، والأَرْجَحُ أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْيَدِ مذهب الاعتزال لِأَنَّهُ كَانَ مُنَاصِرًا لَهُ (٤) ، فأخذ مِنْهُ الاعتزال ، حيث كان الصَّاحِبُ يتشَبَّعُ بِمَقَالَةِ الزَّهْدِيَّةِ ، فكان شَيْعِيًّا مَعْتَزِلِيًّا (٥) . وقد رَوَى الصَّاحِبُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الشَّاعِرِ أَبِي الْفَتْحِ أَشْرَسِ النَّحْوِيِّ (٦) . كما تَلَمَّذ الصَّاحِبُ لِأَسَاتِذَتَيْنِ آخَرَتَيْنِ هُمَا : أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ فَارِسِ اللَّفَّوِيِّ ، وَغَيْرُهُمَا فَأَخَذَ عَنْهُمَا الْأَدَبَ (٧) . وَرَبَّمَا أَخَذَ عَنْ ابْنِ فَارِسِ اللَّفَّةِ . وكان الصَّاحِبُ يُجِلُّ أَسَاتِذَهُ أبا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ ، فسند ما رجع الصَّاحِبُ مَرَّةً مِنْ بَغْدَادَ سَأَلَهُ أَبُو الْفَضْلِ : "كَيْفَ وَجَدْتَهُمَا؟" فقال : بَغْدَادَ فِي الْبَلَادِ كَالْأَسَاتِذَةِ فِي الْعِبَادِ (٨) .

وكان للصَّاحِبِ عددٌ مِنَ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ وَمِنْهُمْ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ الْمُعْتَزَلِيُّ ، فقد كَتَبَ عَنِ الصَّاحِبِ الْحَدِيثَ النَّهْوِيَّ (٩) ، وهذا دليلٌ عَلَى الْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهَا الصَّاحِبُ فِي الْعِلْمِ الدِّينِيِّ ، وكان من تلامذِ الصَّاحِبِ

-
- (١) انظر: بيتية الدهر: ج ٣، ص ٢٠٠-٢٠٢ .
 (٢) عبَّاسُ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ سَمِعَ الْفَضْلَ بْنَ الْحَبَابِ وَغَيْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْدَوَيْهِ ، وَابْنُهُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًّا ، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ ٣٨٥ هـ . (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ١٨٤-١٨٥ ، ومعجم الأدباء: ج ٦، ص ١٧٢) .
 (٣) الأنساب المتَّفَقَةُ : ص ٩٥ .
 (٤) انظر: المصدر نفسه والجزء والصَّفحة نفسيهما .
 (٥) انظر: معجم الأدباء: ج ٦، ص ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ١٥١٢ .
 (٦) أبو الْفَتْحِ أَشْرَسِ النَّحْوِيُّ ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَشْرَسِ مِنْ أَهْلِ نِهَسَابُورِ ، كَانَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَسَكَنَهَا إِلَى أَنْ تَوَفِّيَ سَنَةَ ٤٢١ هـ . (انظر: الوافي بالوفيات: ج ٢، ص ١١٧) .
 (٧) انظر: وفيات الأعيان: ج ١، ص ١٢٨ .
 (٨) المصدر نفسه: ج ٥، ص ١٠٤ .
 (٩) انظر: معجم الأدباء: ج ٦، ص ٢٥٢ .

أيضاً الشاعر المشهور أبو الحسن التَّهَامِيّ، إذ نَرس على الصَّاحِب، وأخذ عنه مذهب المعتزلة (١).

وقد صَنَّف الصَّاحِبُ عدداً كبيراً من الكُتب منها: كتابُ تَفْضِيلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَتَصْصِيحِ إِمَامَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ، كتابُ الزَّيْدِيَّةِ وَكِتَابُ الْأَعْيَادِ وَالتَّوَرُوزِ، وَكِتَابُ مَخْتَصَرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَكِتَابُ "نَهْجِ السَّبِيلِ فِي الْأُصُولِ"، وَكِتَابُ "جَوْهَرَةِ الْجُمْهُرَةِ" وَكِتَابُ "الْعَرُوضِ الْكَافِي"، وَكِتَابُ "نَقْضِ الْعَرُوضِ"، وَكِتَابُ "تَارِيخِ الْمَلِكِ وَاخْتِلَافِ الدُّوَلِ"، وَكِتَابُ ٣ الْكَافِي (٢)، وَكِتَابُ "الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ"، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ، رُوِيَ أَنَّ الصَّاحِبَ لَمْ يَصْنَفْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَطَّلَعَ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ سَبَعِينَ كِتَابَهَا (٣).

وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْكُتُبِ غَيْرُ مَطْبُوعٍ، فَهِيَ إِذَا مَا أَنْ يَكُونَ مَخْطُوطاً وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ قَدْ فُقِدَ، وَلَكِنَّمَا نَجَدُ مِنْهَا بَعْضَ الْكُتُبِ الْمَطْبُوعَةِ وَهِيَ :-

- ١ - دِيوَانُ الصَّاحِبِ بْنِ عَمَّارٍ، تَحْقِيقُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَسَنِ آلِ يَاسِينِ، وَقَدْ طُبِعَ فِي بَغْدَادَ لِلْعَرَّةِ الْأُولَى سَنَةَ ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م، وَنُشِرَ بِدَارِ الْقَلَمِ فِي بَيْرُوتَ، وَمَكْتَبَةِ النَّهْضَةِ فِي بَيْرُوتَ وَبَغْدَادَ، وَأُعِيدَتْ طَبَاعَتُهُ سَنَةَ ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م فِي بَيْرُوتَ.
- ٢ - الْكَشْفُ عَنْ سَاوِيءِ شِعْرِ الْمُنْتَهَى، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ حَسَنِ آلِ يَاسِينِ، طُبِعَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي مَطْبَعَةِ الْمَعَارِفِ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، وَنُشِرَ مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ بِبَغْدَادَ.
- ٣ - الْفُصُولُ الْأَدَبِيَّةُ، تَحْقِيقُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَسَنِ آلِ يَاسِينِ، مَنَشُورَاتُ وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ وَالْإِرْشَادِ الْقَوِيمِيِّ، دِمَشْقَ، ١٩٨٢ م.
- ٤ - رَسَائِلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَمَّارٍ، صَحَّحَهَا وَقَدَّمَ لَهَا عَبْدُ الْوَهَّابِ عَزَّامٌ وَشَوَّقِي صَيْفٌ نَشَرَهُ: دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ.
- ٥ - نَصْرَةُ مَذَاهِبِ الزَّيْدِيَّةِ، تَحْقِيقُ نَاجِي حَسَنِ، بَغْدَادَ، سَنَةَ ١٩٧٧ م.
- ٦ - الْمُحِيطُ فِي اللَّفَّةِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ حَسَنِ آلِ يَاسِينِ، بَغْدَادَ، مَطْبَعَةُ الْمَعَارِفِ، سَنَةَ ١٩٧٥ م.

(١) انظر: روضات الجنات: ج ٥، ص ٢٢٧.

(٢) انظر: معجم الأدباء: ج ٦، ص ٢٦٠، والوافي بالوفيات: ج ٩، ص ١٣٨، وهدية المعارفين: ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) انظر: نزهة الألباء في طبقات الألباء: ص ٢٤٥.

٧ - الأمثال السائرة من شعر المتنبي ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مكتبة النهضة ، سنة ١٩٦٥ م .

شِعْرُهُ :

كَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ شَاعِرًا كَبِيرًا ، أثار إعجاب المؤرخين القدامى ، حتى قيل فيه إنه * كَانَ عَالِمًا يَفْنُونُ كَثِيرَةً ، وَأَمَّا الشُّعْرُ فَأَلَيْهِ الْمُتَشَبِّهُ فِيهِ (١) ، وَبَلَغَ مِنْ بَرَاعَةِ الصَّاحِبِ فِي الشُّعْرِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ ارْتِجَالًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ (٢) ، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى تَمَكُّنِ الشَّاعِرِ مِنَ الشُّعْرِ وَتَعَلُّكِ الْمَلَكَةِ الشُّعْرِيَّةِ ، وَالْبَدِيهَةِ الْقَوِيَّةِ لِقَوْلِهِ .
وَلِلصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ دِيْوَانٌ مَطْبُوعٌ يُرِينَا فِكْرَةً وَاضِحَةً عَنْ شَاعِرِيهِ ، وَنَرَى مِنْهُ أَنَّ الصَّاحِبَ يَعُفُ فِي مَصَافِّ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ فِي عَصْرِهِ .

وَيَذْهَبُ مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْمُنْعِمِ خَفَاجِي إِلَى الْقَوْلِ إِنَّ شِعْرَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ * شِعْرٌ يَدُلُّ عَلَى ذَوْقٍ مُتَرَفٍّ ، وَشَاعِرِيَّةٍ خِصْبَةٍ غَنِيَّةٍ بِالْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ وَالْأَخْبَلَةِ وَالْمَعَانِي ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ بِهِ إِلَى مَنْزِلَةِ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ الْحَالِدِينَ مِنْ أَمْثَالِ الْمُتَنَبِّيِّ وَالرُّضِيِّ وَسَهْبَارٍ ، وَغَيْرِهِمْ . وَهُوَ كَذَلِكَ لَا يَهْتَمُّ إِلَى مَنْزِلَةِ نَشْرِ الرَّصِيعِ الرَّائِعِ (٣) .

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ مَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْمُنْعِمِ خَفَاجِي قَوْلُهُ غَيْرُ دَقِيقٍ ، فَأَمَّا مَا دِيْوَانُ الصَّاحِبِ فَسَيَسْتَيْطِيعُ أَنْ نَنْظُرَ فِيهِ ، وَنَرَى مِنْهُ أَنَّ الصَّاحِبَ كَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ ، وَأَنَّ مُعْظَمَ دِيْوَانِهِ قَدْ خُصَّصَ لِلْحَدِيثِ عَنِ التَّشْبِيحِ .

تَنَاولَ الصَّاحِبُ فِي شِعْرِهِ مَخْتَلَفَ الْأَغْرَاضِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ مَدْحٍ وَقُحْرٍ وَوَصْفٍ وَغَسَّزٍ وَرِثَاءٍ وَهَيْجَاءٍ ، وَحِكْمَةٍ وَإِخْوَانِيَّاتٍ ، وَنَلَاظِ مِنْ مَطَالَعَةِ دِيْوَانِهِ أَنَّ مُعْظَمَ شِعْرِهِ قِيلَ فِي التَّشْبِيحِ ، فَهُوَ مَوْزَعٌ بَيْنَ رِثَاءِ آلِ الْبَيْتِ وَمَدْحِهِمْ وَذَمِّ أَعْدَائِهِمْ ، وَالْحَدِيثِ عَنِ مَبَادِيِ التَّشْبِيحِ وَالْإِعْتِزَالِ الَّتِي كَانَ يَحْتَقِدُهَا الصَّاحِبُ .

لَقَدْ تَجَلَّتْ مَبَادِيُ التَّشْبِيحِ وَأُصُولُهُمْ فِي شِعْرِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ بِأَوْضَحِ صُورِهَا ، فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنِ مَبْدَأِ الْعَدَلِ الْإِلَهِيِّ بِمَسَائِلِهِ الْمَخْتَلِفَةِ كَالصَّلَاحِ وَالْأَصْلَاحِ ، وَمَسْأَلَةِ حُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ مَسْأَلَةِ الْجَهْرِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَهَلِ الْإِنْسَانُ حُرٌّ فِي أَعْمَالِهِ بِفِعْلِهَا بِإِرَادَةٍ .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٤ ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر : بدائع الهدى : ص ١٠٠ .

(٣) الادب العربي في العصر العباسي الثاني : ص ٩١ .

أَمْ أَنَّهُ مُجْبَرٌ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَبَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ خَالِقٌ أَعْمَالِهِ، وَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُ الْفَوَاحِشَ وَلَا الظُّلْمَ، كما تحدّث عن مبدأ التَّوْحِيدِ فَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ وَمَا سِوَاهُ مُحَدَّثٌ، وَرَفَضَ وَجُودَ أَيِّ فَضْلِ بَيْنَ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَائِهِ، وَنَزَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، فَبَيَّنَ أَنَّ سُبْحَانَهُ لَا يُشْبِهُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ خَالِقُ الْكُونِ كُلِّهِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ جِسْمًا. وَتَقَى رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَدَحَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَشَادَ بِمَوَاقِفِهِ وَحُرُوبِهِ مَعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ وَقِتَالِهِ فِي الْجَمَلِ وَصَقِّينَ فِيهَا بَعْدَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ هُوَ وَصِيُّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ الْإِمَامُ، وَمَدَحَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَرِثَاءَهُ وَرَثَى آلِ الْبَيْتِ عَمُومًا، وَقَدْ جَاءَ شِعْرُهُ فِي آلِ الْبَيْتِ فِي جَمِيعِ الدِّيَوَانِ تَقْرِيبًا، وَهَذَا مَا يَمَيِّزُ دِيْوَانَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ، فَنَحْنُ لَا نَجِدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ الْآخَرِينَ حَتَّى أَوْلَاكَ الَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَمِنْهُمْ الشَّرِيفَانِ الرَّضِيُّ وَالْمُرْتَضَى إِلَّا أَشْعَارًا قَلِيلَةً بِالْقِيَاسِ إِلَى جُمْلَةِ شِعْرِهِمْ رَثَوْنَا فِيهِمَا قَوْمَهُمْ أَوْ مَدَّحُوهُمْ أَوْ افْتَخَرُوا بِهِمْ، أَمَّا الصَّاحِبُ فَجَلَّ شِعْرُهُ فِي التَّشْبِيحِ، وَهُوَ يَفِيضُ لَوْعَةً وَحَسْرَةً وَأَلْمًا لِمَا أَصَابَ آلَ الْبَيْتِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَمَا عَصَبَهُمْ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ.

وَمِنْ أَحْسَنِ قَصَائِدِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ الَّتِي نَلَحُ فِيهَا تَشْبِيحَهُ، وَتَبَرُّزَ لَنَا آرَاءَ الشِّيمَةِ قَصِيدَتُهُ فِي أَصُولِ الدِّينِ (١)، وَقَدْ جَاءَ بِهَا عَلَى هَيْئَةِ حِوَارِ أَدَارَةَ بَيْتِهِ وَبَيَّنَّ فِتْنَةَ بَيْدَا الشَّاعِرِ قَصِيدَتَهُ سَتَحْفِيفًا بِالْعَزْلِ، فَهُوَ لَا يُعِيرُهُ اهْتِمَامًا، وَلَا يَخْشَى أَنْ يَلَامَ عَلَى تَسْوِيهِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَرَكَ الضَّلَالَ وَنَهَجَ نَهَجَ الْحَقِّ وَالرَّشَدِ، يَقُولُ:

قَالَتْ: يَا الْقَائِمِ اسْتَحْفَفْتَ بِالْعَزْلِ	فَقُلْتُ: مَا ذَاكَ مِنْ هَمِّي وَلَا شِعْلِي
قَالَتْ: أُرِيدُ اعْتِدَارًا مِنْكَ تَذَكُّرُهُ	فَقُلْتُ: عُذْرًا وَمَا أَحْسَى مِنَ الْعَدْلِ
قَالَتْ: أُرِيدُ رَشَادًا مِنْكَ أَتَّبِعُهُ	فَقُلْتُ: سَمِعًا فَإِنَّ الرَّشَدَ مِنْ قِبَلِي
قَالَتْ: أُرِيدُ عَلَى تَكْرِيرِ مَا لَتَبِي	فَقُلْتُ: مَا أَنَا عَنْ رَأْيِي بِذِي حِسُولِ
قَالَتْ: أَنَّهُ فَإِنِّي جَدُّ سَامِعُهُ	فَقُلْتُ: كَيْفَ اجْتِمَاعِ الشَّيْبِ وَالْفُزْلِ
قَالَتْ: وَكَيْفَ اقْتِضَاكَ الشَّيْبُ تَرَكَ هَوِي	فَقُلْتُ: فِي الشَّيْبِ إِذْ نَاءٌ مِنَ الْأَجْلِ (٢)

وبعد ذلك ينتقل الصَّاحِبُ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ مَذْهَبِهِ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ وَيَدِينُ بِهِ، مِنْ أَجْلِ النَّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَبَيَّنَ أَنَّ يَدِينُ بِالتَّشْبِيحِ وَالاعتزالِ، يَقُولُ:

(١) انظر: ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ: ص ٣٨-٤٧.
 (٢) المصدر نفسه: ص ٣٨-٣٩.

قَالَتْ: فَمَا اخْتَرْتَ مِنْ دِينٍ تَفُوزُ بِهِ
 قَالَتْ: أَقَلَّدْتُ أُمَّ قَدْ رِيئَتْ عَنْ نَظَرِ
 قَالَتْ: فَكَيْفَ عَرَفْتَ الْحَقَّ هَاتِ بِهِ
 فَالصَّاحِبُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَذْكُرُ أَنَّهُ شَيْعِيٌّ ، وَبِذَلِكَ فَهُوَ يَقُولُ أَسِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا
 وَيَمْتَقِدُ تَقْدِيرَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ أَوْلَى بِالْمَقَامِ مِنْهُمْ ، وَهَذِهِ مَزِيَّةٌ كَلَّ
 شَيْعِيٌّ (٢) ، ثُمَّ هُوَ مَعْتَزِلِيٌّ ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمُعْتَقِدَ عَنْ طَرِيقِ النَّظَرِ لَا التَّقْلِيدِ ، وَقَدْ
 ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ سِتْلِزِمَاتِ الْمَجَالِسِ الْكَلَامِيَّةِ وَمَا كَانَ يَدُورُ فِيهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ مُفْتَخِرًا ، إِنَّمَا
 وَاحِدُ الْجَدَلِ ، فَافْتَخِرْ بِأَنَّهُ الْمَايِرُ فِي الْمُنَظَرَةِ وَالْمُحَاجَّةِ .

ثم ينتقل الصَّاحِبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى عَرْضِ آرَاءِ الشَّيْعَةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ ، فَيَذْكُرُ مَبْدَأَ التَّوْحِيدِ
 بِمَسَائِلِهِ الْمَخْتَلِفَةِ ، يَقُولُ :

قَالَتْ: فَهَلْ هَذِهِ الْأَجْسَامُ مُحَدَّثَةٌ
 قَالَتْ: أَرِيدُ دَلِيلًا فِيهِ مُخْتَصَرًا
 قَالَتْ: فَهَلْ صَارِحَ تَدْعُو إِلَيْهِ أَجِبْ
 قَالَتْ: فَهَلْ مِنْ دَلِيلٍ فِيهِ تَذَكُّرُهُ
 قَالَتْ: فَهَلْ هُوَ ذُو شِبْهِهِ وَذُو مِثْلِهِ
 قَالَتْ: أَيْنَ لِي أَجْسَمٌ ذَاكَ أَمْ عَرَضٌ
 قَالَتْ: وَمَا صَرَّ لَوْ أَثْبَتَهُ جَسَدًا
 قَالَتْ: فَقُلْ لِي أَيْنَ الْأَبْصَارِ تَذَكُّرُهُ
 قَالَتْ: وَكَيْفَ نَظَرْتُهَا وَهَلْ شَيْءٌ يُفْتَبِّهُهُ
 قَالَتْ: لَعَلَّ حِجَابًا عَنَلَهُ يَسْتُورُهُ
 قَالَتْ: فَمَا الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ سُقَّةٌ لَنَا
 قَالَتْ: فَأَيُّنَ دَلِيلُ الْخَلْقِ فِيهِ أَيْنَ

فَقُلْتُ: جِدًّا، وَإِنْ رُمِيَ الدَّلِيلَ سَلِي
 فَقُلْتُ: أَنْ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ مُنْتَقِلِ
 فَقُلْتُ: لَا بُدَّ قَوْلًا غَيْرَ ذِي مَيْلِ
 فَقُلْتُ: بَيِّنْ بَلَا هَانَ مِنَ الْخَطْلِ
 فَقُلْتُ: قَدْ جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ مِثْلِ
 فَقُلْتُ: هَلْ خَالِقُ الْجِنْسَيْنِ فَأَنْتَقِلِي
 فَقُلْتُ: لَا تُوجَدُ الْأَجْسَامُ فِي الْأَزْلِ
 فَقُلْتُ: جَلَّ عَنِ الْإِنْدَرَاكِ بِالْمُقْسَلِ
 فَقُلْتُ: مَا هُوَ مَحْجُوبٌ فَيُظْهِرُ لِي
 فَقُلْتُ: أَخْبَرْتِ عَنْ شَخْصٍ وَعَنْ طَلَلِ
 فَقُلْتُ: ذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ أَيْنَ تُلِي
 فَقُلْتُ: تَرْكِبُهُ مِنْ آخِرِ الْجُمْلِ (٣)

(١) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٣٩ .
 (٢) انظر: شرح قصيدة الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٣٦ .
 (٣) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٣٩-٤١ .

فالسَّاحِبُ في هذه الأبيات يُوضِحُ لنا أَصْلَ التَّوْحِيدِ لدى الشَّيْخَةِ بِأَجْلِ صُورَةٍ، فَهُوَ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ سَأَلِهِ الَّتِي فَرَعَهَا الشَّيْخَةُ عَنْهُ، فَتَقَرَّرُ أَنَّ الْأَجْسَامَ مُحَدَّثَةَ مَخْلُوقَةٌ وَلَيْسَتْ قَدِيمَةً، وَهَدَفُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَنْفِي وُجُودَ شَيْءٍ قَدِيمٍ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَئِذٍ مُشَارِكًا لِلَّهِ فِي الْقَدَمِ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى تَعَدُّرِ الْقَدَمَاءِ، وَمِنْ ثَمَّ يُؤَدِّي إِلَى تَعَدُّرِ الْإِلَهَةِ وَجَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ يُوردُ الصَّاحِبُ دَلِيلًا عَلَى حُدُوثِ الْأَجْسَامِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ قَدِيمَةً وَهُوَ قَوْلُهُ: "أَنَّ لَيْسَ فِيهَا غَيْرَ مُنْتَقِلٍ"، فَيَبَيِّنُ أَنَّ الْأَجْسَامَ جَمِيعًا مُتَحَرِّكَةٌ أَوْ تَجُوزُ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ سَاكِنَةً، وَالْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ مُحَدَّثَانِ لِأَنَّهُ يُعَدُّ أَحَدَهُمَا عِنْدَ وُجُودِ الْآخَرِ فِي مَحَلِّهِ، وَالْقَدِيمُ وَاجِبُ الْوُجُودِ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى أُخْرَى لِأَنَّهُ لَيْسَ حَالٌ فِي الْوُجُودِ أَوْلَى بِهِ مِنْ حَالٍ، وَلَمَّا كَانَ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ مُحَدَّثَيْنِ وَلَا يَجُوزُ لِلْجِسْمِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا لِأَنَّهُ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ الْجِسْمُ إِلَّا مُتَحَرِّكًا أَوْ سَاكِنًا ثَبَتَ أَنَّ الْأَجْسَامَ مُحَدَّثَةَ مَخْلُوقَةٌ (١). ثُمَّ تَحَدَّثَ الصَّاحِبُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى صَانِعِ الْكَوْنِ وَخَالِقِهِ فَلَا يُدَّ لِلْكَوْنِ مَنْ صَانِعٍ حَتَّى قَادِرٍ عَالِمٍ أَتَقَنَّ أَحْكَامَهُ وَأَحْسَنَ تَرْكِيبَهُ، وَهُوَ يَجِلُّ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، فَلَا شَبَهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ، لِأَنَّهُ لَوْ أَشْبَهَ مَخْلُوقَاتِهِ لَجَازَ عَلَيْهِ مَا جَازَ عَلَيْهَا مِنَ الزَّوَالِ وَالتَّغْيِيرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ (٢)، وَلَكِنْ سَبَّحَانَهُ مُحَدَّثًا مَخْلُوقًا، وَقَدْ اسْتَعَرَّ الصَّاحِبُ فِي الْحَدِيثِ سَائِلَ التَّوْحِيدِ فَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ جِسْمًا (٣) وَلَا عَرَضًا (٤)، وَهُوَ بِذَلِكَ يَنْفِي مَا قَالَ جَهْلَةُ الْمُشَبَّهَةِ، ثُمَّ تَحَدَّثَ الصَّاحِبُ عَنِ سَأَلَةِ أُخْرَى مِنْ سَائِلِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ رُؤْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ يَنْفِي رُؤْيِيهِ تَعَالَى بِالْأَبْصَارِ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (٥).

(١) انظر: شرح قصيدة الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ: ص ٤٤-٤٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ص ٤٨.

(٣) "حد الجسم هو الطول العريض العميق، وهذا أصح ما قيل فيه". انظر: المصدر نفسه: ص ٤٢-٤٣.

نفسه: ص ٤٢-٤٣.

(٤) العَرَضُ هو: "ما يعرض في الوجود، ويجوز فناؤه مع بقائه الأجسام، وهو اثنتان وعشرون جنسًا منها: الألوان، والطعوم، والروائح، والحرارة، والبرودة، والشهوة، والقدرة، والفناء، والإرادة، والكراهة، والصوت، والألم". انظر: المصدر نفسه: ص ٤٩-٥٠.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحَدَّثَ الصَّاحِبُ عَنْ سَأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَرَّرَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنَّهُ مَحْدَثٌ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ قَدِيمًا ، لِأَنَّهُ يَمْثُلُو بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَيُوجَدُ بَعْضُهُ فِي أُثْرِ بَعْضٍ ، وَالْقَدِيمُ لَا يَسْبِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَإِنَّمَا هُوَ الْمَوْجُودُ الَّذِي لَا أَوَّلَ لِيُوجُودِهِ (١) .

وبعد هذا العَرَضِ لِمَبْدَأِ التَّوْحِيدِ انْتَقَلَ الصَّاحِبُ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ مَبْدَأِ آخِرٍ مِنْ سِهَادِيَّةِ الشَّيْخَةِ وَهُوَ مَبْدَأُ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ ، فَتَحَدَّثَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ وَحُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، فَقَرَّرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ خَالِقَ أَعْمَالِهِ ، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ ، لَمَا كَانَتْ مِنْ فِعْلٍ صَاحِبِهَا ، فَلَا تَتَوَقَّفُ فِي وُجُودِهَا وَزَوَالِهَا عَلَى إِرَادَةِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَكْلِفُ الْعِبَادَ مَا لَا يُطِيقُونَ فَذَلِكَ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ الْجَوْرَ وَالظُّلْمَ وَالْفَسَادَ ، لِأَنَّهُ قَبِيحٌ . وَاللَّهُ تَعَالَى عَادِلٌ ، وَلِذَا فَهِيَ لَا يَرِيدُ لِلْإِنْسَانِ فِعْلَ الْمَعَاصِي وَالْقَبَاحِ ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ أَرَادَهَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ الْمَرْءِ لَهَا خَطَأً وَلَا مَعْصِيَةً ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعَرُءُ بِفِعْلِهَا مُطِيعًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَبِذَا لَا يَخْشَى مِنَ الْوَقُوعِ فِي الزَّلَلِ وَالخَطَأِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعْقَلُ أَنْ يُرِيدَ لِلْمَرْءِ شَيْئًا ثُمَّ يَحَاسِبَهُ عَلَى فِعْلِهِ إِتْيَاءً ، يَقُولُ :

قَالَتْ: فَأَعْمَلْنَا مَنْ ذَا يُكُونُهَا	فَقُلْتُ: نَحْنُ مَقَالًا صِينَ عَنْ خَلَلِ
قَالَتْ: وَلِمَ لَا يَكُونُ اللَّهُ خَالِقَهَا	فَقُلْتُ: لَوْ كُنَّ خَلْقًا لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ
قَالَتْ: أَيْلِزِمُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا	فَقُلْتُ: حَاشَاءُ هَذَا فِعْلُ زِي خَبَلِ
قَالَتْ: يَشَاءُ مَعَاصِينَا وَيُؤْتِرُهَا	فَقُلْتُ: لَوْ شَاءَهَا لَمْ نَخْشَ مِنْ زَلَلِ (٢)

وبعد هذا العَرَضِ لِمَبْدَأِ التَّوْحِيدِ يَنْطَلِقُ الصَّاحِبُ إِلَى الْمَدْحِ ، مَدْحِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَيَذَكُرُ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ وَخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحُجَّةِ عَلَى رِسَالِهِ وَالْمَعْجِزَةِ الَّتِي لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِهَا ، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، يَقُولُ :

قَالَتْ: فَمَنْ صَاحِبُ الدِّينِ الْحَنِيفِ أَجِبْ	فَقُلْتُ: أَحْمَدُ خَيْرُ السَّادَةِ الرَّسُولِ
قَالَتْ: فَهَلْ مُعْجِزٌ وَافٍ الرَّسُولِ بِسِيهِ	قُلْتُ: الْقُرْآنُ وَقَدْ أُنْبِئَ عَلَى الْأَوَّلِ (٣)

ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَدْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، يَقُولُ :

قَالَتْ: فَمَنْ بَعْدَهُ يُضْفَى الْوَلَاءُ لَهُ	قُلْتُ: الْوَصِيِّ الَّذِي أَرَى عَلَى رُحْسَلِ
--------------------------------------------------	-------------------------------------------------

(١) شرح قصيدة الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٥٨-٥٩ .

(٢) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٤١-٤٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٤٢ .

قُلْتُ: هَلْ هَضْبَةٌ تَرْفِقُ عَلَى جَبَلٍ
 قُلْتُ: مَنْ لَمْ يَصِرْ يَوْمًا إِلَى هُبَيْلٍ
 قُلْتُ: أَثَبَّتْ خَلْقَ اللَّهِ فِي الْوَهْلِ
 قُلْتُ: مَنْ حَازَرَتْهُ الشَّمْسُ فِي الطِّفْلِ (١)
 قُلْتُ: أَنْضَلُ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَمِلٍ
 قُلْتُ: سَابِقُ أَهْلِ السَّهْبِ فِي مَهَلٍ
 قُلْتُ: أَضْرَبُ خَلْقَ اللَّهِ لِلْقَلْبِ
 قُلْتُ: مَنْ هَالَهُمْ بِأَسَاءٍ وَلَمْ يُهَسِّلِ
 قُلْتُ: قَاتِلُ عَمْرٍو الضَّيْغِ الْبَطَلِ
 قُلْتُ: سَابِقُ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي عُقْلِ
 قُلْتُ: حَاصِدُ أَهْلِ الشَّرْكِ فِي عَجَلٍ
 قُلْتُ: مَنْ حَمِطَ عَنْ غَنِيٍّ وَعَنْ نَقْلِ (٢)

قَالَتْ: فَهَلْ أَحَدٌ فِي الْفَضْلِ يُقْدِمُهُ
 قَالَتْ: فَمَنْ أَوْلَ الْأَقْوَامِ صَدَقْتُهُ
 قَالَتْ: فَمَنْ بَاتَ مِنْ تَوْقِ الْفِرَاشِ فِدَى
 قَالَتْ: فَمَنْ ذَا الَّذِي وَاحَاهُ عَنْ يَقَسَةٍ
 قَالَتْ: فَمَنْ زُوجَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ
 قَالَتْ: فَمَنْ وَالِدُ السَّبْطَيْنِ إِذْ فَرَعَا
 قَالَتْ: فَمَنْ فَازَ فِي بَدْرِ بِمَفْخَرِهَا
 قَالَتْ: فَمَنْ سَادَ يَوْمَ التَّرْوَعِ فِي أَحَدٍ
 قَالَتْ: فَمَنْ فَارِسُ الْأَحْزَابِ يَفْرُسُهَا
 قَالَتْ: فَخَيْبِرُ مَنْ ذَا هَدَى مَعْقِلَهَا
 قَالَتْ: فَيَوْمَ حُنَيْنٍ مَنْ بَرَى وَفَسَرَى
 قَالَتْ: فَمَنْ صَاحِبُ الرَّايَاتِ يَحْمِلُهَا

يُفَرِّدُ الصَّاحِبُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَجْهَةَ النَّظَرِ الشَّيْخَةِ الْقَائِلَةَ إِنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ قَدْ أَوْصَى لِعَلِيِّ بِالْخِلاَفَةِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلِيٌّ هُوَ وَصِيُّ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ، ثُمَّ يَحَدِّدُ مَآثِرَهُ فَهُوَ أَوْلَى مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ وَصَدَّقَهُ، وَلَمْ يَمُحِدْ صِرْمًا قَطُّ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ الرَّسُولِ عِنْدَمَا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُوَ شَجَاعٌ جِدًّا، أَخْبَسَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ عَنْ حُبِّ وَمُودَةٍ.

وَأَشَارَ الصَّاحِبُ إِلَى بَعْضِ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ، وَمِنْهَا رَدُّ الشَّمْسِ لَهُ بَعْدَ غُرُوبِهَا، وَذَلِكَ عِنْدَمَا جَلَلَ عَلِيٌّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ بِثُوبِهِ وَقَدْ جَاءَهُ الْوَحْيُ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَعِنْدَمَا أَتَى الرَّسُولُ مِنْ نَوْحِهِ سَأَلَ عَلِيًّا إِنْ كَانَ صَلَّى الْعَمْرُ، فَأَجَابَهُ بِالنَّفْيِ، فَدَعَا الرَّسُولُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّهَا عَلَى عَلِيٍّ، فَرَدَّ اللَّهُ الشَّمْسَ حَتَّى صَلَّى عَلِيٌّ ثُمَّ غَرَبَتْ (٣).

وَاسْتَمَرَ الصَّاحِبُ فِي عَرْضِ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ فَهُوَ زَوْجُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَوَالِدُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَهِيَ فَضِيلَةٌ يَفْتَخِرُ بِهَا. وَبَعْدَهَا يَتَحَدَّثُ عَنْ فَضِيلَةٍ أُخْرَى لِعَلِيٍّ وَهِيَ الشَّجَاعَةُ، فَيَمْرُضُ

(١) الطِّفْلُ: مَنْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ إِذَا دَنَّتْ لِلْغُرُوبِ. (انظر: القاموس المحيط: مادة الطِّفْلُ)

(٢) ديوان الصاحب بن عباد: ص ٤٢-٤٤.

(٣) شرح قصيدة الصاحب بن عباد: ص ٧٧-٧٨، وانظر: ينابيع المودة: ص ١٦٢،

وتذكرة الخواص: ص ٥٥.

مواقف في الحروب والغزوات حيث دافع عن بهيمة الإسلام في بدر وأحد ، حيث قتل في أحد سبعة من أصحاب رايات الكفار من بيت واحد (١) ، وفي غزوة الأحزاب سنة ٥ هـ قتل عمرو بن عبد ود ، فقد بارزه وظفربه (٢) وهو الذي فتح حصن خيبر سنة ٧ هـ (٣) وشهد مع الرسول الكريم في غزوة حنين سنة ٨ هـ (٤) ، فكان - رحمه الله - من أشجع المسلمين مع الرسول عليه السلام .

ثم يستمر الصاحب في عرض مناقب عليّ كرم الله وجهه ، يقول :

قَالَتْ: بَرَاءَةٌ مِّنْ أَدَى قَوَارِعِهَا	فَقُلْتُ: مَن صِهْبِنَ عَن خَتَلٍ وَعَن دَغَلِ (٥)
قَالَتْ: فَمَنْ ذَا لُدِّي لِلطَّيْرِ بِأَكْلِهِ	فَقُلْتُ: أَقْرَبُ مَرْضِيٍّ وَمُنْتَحَلِ
قَالَتْ: فَمَنْ رَاكِعُ زَكِيِّ بِخَاتِمِهِ	فَقُلْتُ: أَلْهَمْنَهُمْ مُذْ كَانَ بِالْأَسَلِ
قَالَتْ: فَفَيْمَنْ أَنَا نَا هَلْ أَتَى شَرْفًا	فَقُلْتُ: أَبْذُلُ خَلْقِ اللَّهِ لِلنَّفْسِ
قَالَتْ: فَمَنْ تَلُوهُ يَوْمَ الْكِسَاءِ أَجِبْ	فَقُلْتُ: أَنْجَبُ مَكْسُورٍ وَشَدِيدِ
قَالَتْ: فَمَنْ بَاهِلَ الظُّهْرِ الْقَبِيُّ بِسِهْ	فَقُلْتُ: تَالِيهِ فِي حِلِّ وَمُرْتَحَلِ
قَالَتْ: فَفَمَنْ ذَا قَسِيمِ النَّارِ يُسَبِّحُهَا	فَقُلْتُ: مَن رَأَيْهِ أَذْكَى مِنَ الشُّعْلِ
قَالَتْ: فَمَنْ شَبَهُ هَارُونَ لِنَعْرِفَهُ	فَقُلْتُ: مَن لَمْ يَحُلْ يَوْمًا وَلَمْ يَسْزَلِ
قَالَتْ: فَمَنْ ذَا عَدَابَاتِ الْمَدِينَةِ قُلْ	فَقُلْتُ: مَن سَأَلُوهُ الْيَعْلَمَ لَمْ يَسْأَلِ
قَالَتْ: فَمَنْ سَادَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ أَبْنُ	فَقُلْتُ: مَن صَارَ لِلْإِسْلَامِ خَيْرَ وَاسِي
قَالَتْ: فَمَنْ حَارَبَ الْأَنْجَارَ إِذْ قَسَطُوا	فَقُلْتُ: صَفِينُ ثُبُدِيِّ صَفْحَةِ الْعَمَلِ
قَالَتْ: فَمَنْ قَارَعَ الْأَرْجَاسَ إِذْ مَرَقُوا	فَقُلْتُ: مَعْنَاةُ يَوْمِ النَّهْرَوَانِ جَلِي
قَالَتْ: فَمَنْ صَاحِبِ الْحَوْضِ الشَّرِيفِ غَدَاً	فَقُلْتُ: مَن بَيْتُهُ فِي أَشْرَفِ الْحُسَلِ
قَالَتْ: فَمَنْ ذَا لِيوَاءِ الْحَمْرِ بِحَمْلِهِ	فَقُلْتُ: مَن لَمْ يَكُنْ فِي الرَّوْعِ بِالْوَكْلِ
قَالَتْ: أَكَلُ الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِي رَجُلٍ	فَقُلْتُ: كُلُّ الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِي رَجُلٍ

(١) شرح قصيدة الصّاحب بن عبّاد : ص ٨٣ ، وانظر: تاريخ الطّبري: ج ٢ ، ص ٥١ ،

والكامل في التاريخ: ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢) تاريخ الطّبري: ج ٢ ، ص ٥٧ ، والكامل في التاريخ: ج ٢ ، ص ١٨١ ، ودرر السّبط:

ص ٣٢ .

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٤) المصدر نفسه: ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٥) الدّغل - بالتحريك - الفساد - (انظر: لسان العرب: مادة الدّغل) .

قَالَتْ: وَمَنْ هُوَ هَذَا الْمَرْءُ سَمَّ لَنَا فَقُلْتُ: ذَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ (١)

فَالصَّاحِبُ يَذْكُرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَعْضَ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ، وَهِيَ قِيَامُهُ بِتَارِيخِ سُورَةِ بَرَاءَةِ التَّسْيِ نَبَذَ فِيهَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ عُهُودَ الْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ بِعَدِّ أَنْ كَانَ الرَّسُولُ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ سُورَةَ بَرَاءَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، فَأَرْسَلَ عَلِيًّا وَرَاءَهُ أَبِي بَكْرٍ وَأَمَرَ بِقِرَاءَةِ بَرَاءَةِ لِأَنَّهُ لَا يَقْرَأُ عَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ إِلَّا هُوَ أَوْ رَجُلٌ مِنْهُ (٢).

وَمُنْقَبَةٌ أُخْرَى يَذْكُرُهَا الصَّاحِبُ وَهِيَ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ أَهْدَى إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنْ شَوْبِيٍّ فَدَعَا إِلَهُ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَحَبِّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ كَيْ يَأْكُلَ مَعَهُ فَجَاءَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٣). وَفَضِيلَةٌ أُخْرَى وَهِيَ تَصَدَّقُ عَلِيٌّ بِحَاجَتِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ، وَتَصَدَّقَهُ عَلَى سَكِينٍ بِعِشَائِهِ وَعِشَاءُ عَائِلَتِهِ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى نَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ الدَّهْرِ. ثُمَّ يَذْكُرُ الصَّاحِبُ فَضِيلَةً أُخْرَى لِعَلِيٍّ وَهِيَ أَنَّهَ كَانَ تَالِيًّا لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ عِنْدَمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ تَحْتَ كِسَاءٍ وَدَعَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطَهِّرَهُمْ وَيَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ (٤).

وَمِنْ فِضَائِلِ عَلِيٍّ الَّتِي يَذْكُرُهَا الصَّاحِبُ أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ خَرَجَ بِهِ وَبِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ لِمُبَاهَلَةِ النَّصَارَى (٥)، وَأَنَّهَ قَسَمَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ (٦)، وَأَنَّهَ مِنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَمَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ قَالَ: "أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بِأُيُونُهَا" (٧)، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى سَعَةِ عِلْمِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ الصَّاحِبُ فَضِيلَةَ لِعَلِيٍّ بِرَأَايِ الشَّيْخَةِ أَعْلَى الْفِضَائِلِ وَأَسْنَى الْمَرَاتِبِ وَهِيَ أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ تَصَّ عَلِيٌّ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ وَأَوْصَى لَهُ بِالْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَانِ مَنْ عَادَاهُ" (٨).

(١) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّاسٍ: ص ٤٤-٤٦.

(٢) انظر: شرح قصيدة الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّاسٍ: ص ٨٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ص ٩١.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ص ٩٣.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ص ٩٥-٩٦.

(٦) انظر: المصدر نفسه: ص ٩٦.

(٧) انظر: ينابيع المودة: ص ٣١.

(٨) شرح قصيدة الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّاسٍ: ص ١٠٣+.

وَبَعْدَهَا يَنْتَقِلُ الصَّاحِبُ إِلَى مَدْحِ عَلِيٍّ عَنْ طَرِيقِ مُهَاجَرَةِ أَعْدَائِهِ ، فَيَصِفُ أَهْلَ
الْجَمَلِ وَمِنْهُمْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ بِاللَّفَّاكَيْنِ ، وَبِهَاجِمِ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَاتَلُوا عَلِيًّا فِي
صِفِّينَ وَيَصِفُهُمْ بِأَنَّهَمْ أَنْجَاسٌ مَالُوا عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى بِمُحَارَبَتِهِمْ عَلِيًّا ، ثُمَّ يَهَاجِمُ الصَّاحِبَ
الْخَوَارِجَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ فِي مَعْرَكَةِ النَّهْرَوَانَ ، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهَمْ مَارِقَةٌ مَرَقُوا عَنِ الدِّينِ
وَشَقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ .

وَيَمُودُ الصَّاحِبُ بَعْدَهَا إِلَى ذِكْرِ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ ، فَيَذْكُرُ أَنَّ صَاحِبَ حَوْضِ الرَّسُولِ
الْكَرِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهُوَ يَقِفُ مَعَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَى حَوْضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، بِسُقْيَانِ
شِبَعَةَ عَلِيٍّ وَطَرْدَانَ أَعْدَاءَهُ (١) ، وَعَلِيٌّ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ لِيَاءَ الْحَمْدِ ، وَيُسْرَقُ
هُوَ وَشِبَعَتُهُ إِلَى الْجَنَّاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢) . وَهَذِهِ الْفَضَائِلُ الْكَثِيرَةُ تَجَمَّعَتْ فِي شَخْصٍ
وَاحِدٍ هُوَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

وَمِنْ صُورِ التَّشْبِيعِ أَنْ يَذَمَّ الشَّاعِرُ أَعْدَاءَ عَلِيٍّ وَأَهْلَ الْبَيْتِ ، الَّذِينَ أَخَذُوا حَقَّه
وَعَصَبُوهُ بِآيَاهُ ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الصَّاحِبُ ، فَهُوَ يَهَاجِمُ مُعَاوِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَجُومًا عَنِيفًا ،
فِيصِفُهُ بِأَنَّهُ طَاغٍ وَجَبِيزٌ لَعْنَتُهُ ، بَلْ يَجْعَلُهَا مَفْدُومًا إِلَيْهَا وَمَرْغُوبًا فِيهَا ، وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ
مِنْ ذَلِكَ فَكَفَّرَهُ ، يَقُولُ :

قَالَتْ : مُعَاوِيَةُ الطَّاعِي أَتْلَعْنَهُ
قَالَتْ : تُكْفِّرُهُ فِيمَا أَتَى وَعَتَا

فَقُلْتُ : لَعْنَتُهُ أَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ
فَقُلْتُ : إِي وَآلِهِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٣)

وبعد ذلك ينتقل الصَّاحِبُ إِلَى الْفَخْرِ بِشِعْرِهِ ، فَيَذْكُرُ أَنَّهُ سَتَمَكَّنَ مِنَ الشُّعْرِ ، مَا لَكَ الْقُدْرَةَ
عَلَى ارْتِجَالِهِ وَإِنْشَائِهِ ، وَيَصِفُ قَصَائِدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا ،
يَقُولُ :

قَالَتْ : أَهْلَ لَكَ مِنْ نَظْمٍ لِنَرْوَيْتَهُ
قَالَتْ : آمُتَيْدِهَا فِي الْقَوْلِ مُرْتَجِلًا
قَالَتْ : أَتَيْتَ ابْنَ عَبَّادٍ بِمُعْجِزَةٍ
قَالَتْ : فَهَلْ مُنِيدُ تَرْضَى لِئُنْشِدَهَا

فَقُلْتُ : إِنَّ جَوَابِي فِيهِ حَيٌّ هَلِ
فَقُلْتُ : مَا قُلْتُ شِعْرًا غَيْرَ مُرْتَجِلِ
فَقُلْتُ : لَا تَعْجِبْنِي قَالِ الشُّعْرُ مِنْ حَوْلِي
قُلْتُ : إِبْنُ صَالِحِ النَّحْرِ يُنْشِدُ لِي (٤)

(١) انظر: شرح قصيدة الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ١١٠-١١١ .

(٢) انظر: المصدر نفسه : ص ١١٢ .

(٣) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٤٧ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

فهذه القصيدة كما نلاحظ تمثل لنا عقيدة الصّاحِبِ بنِ عَباٍ في التَّشَيُّعِ، وذلك بذكر بعض مبادئ الشيعة، ومدح أمير المؤمنين عليّ وتعداد مناقبه.

ومن مظاهر تشييع الصّاحِبِ بنِ عَباٍ حُبُّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا وَالتَّشَكُّكُ فِي نَسَبِ مَنْ يُعَارِيهِ، وَالطَّعْنُ فِي مَوْلِدِهِ وَأَصْلِهِ، وَذَلِكَ تَعْبِيرًا عَمَّا رُوِيَ مِنْ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ عَلِيًّا أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَّا مَنْ طَاهَتْ وَلَا دَنَتْ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مَنْ خَبِثَتْ وَلَا دَنَتْ (١)، وَقَدْ عَمَّرَ الصّاحِبُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

يُحِبُّ عَلِيًّا تَزُولُ الشُّكُوكُ	وَتَسْمُو النُّفُوسُ وَيَحُلُو النُّجُومُ
فَأَيُّنَ رَأَيْتَ مُحِبًّا لَكَ	فَتَمَّ السَّرَّكَاهُ وَتَمَّ الْفَخَّارُ
وَأَيُّنَ رَأَيْتَ عَدُوًّا لَكَ	فَفِي أَصْلِهِ نَسَبٌ مُسْتَعَارُ
فَلَا تَعْدِلُوهُ عَلَى فِعْلِهِ	فَحَيْطَانُ دَارِ أَبِيهِ قِصَارُ (٢)

وَقَالَ:

حُبُّ الْوَصِيِّ عِلْمَةٌ	فِي النَّاسِ مِنْ أَقْوَى الشُّهُودِ
فَإِذَا رَأَيْتَ مُحِبًّا لَهُ	فَأَحْكُمْ عَلَى كَرَمٍ وَجُودِ
وَإِذَا رَأَيْتَ مُنَاصِبًا	مُتَعَلِّقًا حَبَلُ الْجُحُودِ
فَاعْلَمْ بِأَنَّ طُلُوعَهُ	مِنْ أَصْلِ آهَابٍ بِهِ جُودُ (٣)

فَالصّاحِبُ فِي هَذِهِ الْأَقْبِيَاتِ يَعْتَبِرُ حُبَّ عَلِيٍّ دَلِيلًا عَلَى كَرَمِ الْمَرْءِ، وَيَعْتَبِرُ بُغْضَهُ وَكِرَاهِيَتَهُ دَلِيلًا عَلَى خُبْثِ مَوْلِدِ الْمَرْءِ وَسُوءِ أَصْلِهِ.

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْأَمْرُ عِنْدَ الصّاحِبِ عَلَى هَذَا الْحَدِّ فِي حُبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ، وَإِنَّمَا تَجَاوَزَهُ إِلَى اعْتِبَارِ حُبِّ عَلِيٍّ وَسَيَلَةِ النَّجَاةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَلِذَا فَالصّاحِبُ لَا يُضْفِي إِلَى لَوْمِ اللَّائِمِينَ فِي حُبِّهِ عَلِيًّا يَقُولُ:

حُبِّي مَحْضٌ لِبَنِي الْمُصْطَفَى	بِذَلِكَ قَدْ يَشْهَدُ إِصْصَارِي
وَلَا مَنِي جَارِي فِي حُبِّهِمْ	فَقُلْتُ: مُعَدًّا لَكَ مِنْ جَارِ
وَاللَّهِ تَالِي عَمَلٍ صَالِحٍ	أَرْجُو بِهِ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ

(١) انظر: بشارة الهمطفي لشيعة المرتضى: ج ٥، ص ١٥٠، وانظر: الفصول المهمة،

ص ١٠٠

(٢) ديوان الصّاحِبِ بنِ عَباٍ: ص ص ٩٥-٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ص ٩٦-٩٧.

إِلَّا مَوْلَاةَ بَنِي الْمُصْطَفَى
وَحُبُّ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ هُوَ أَمَلُ الصَّاحِبِ، وَهُوَ خَيْرُ عَمَلٍ يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَقُومَ بِهِ، يَقُولُ :
حُبُّ عَلِيٍّ لِي أَمَلٌ
وَلِيُحِبُّنِي عِنْدَ الْوَجَسَلِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ عَمَلٍ
فَحُبُّهُ خَيْرُ الْعَمَلِ (٢)

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَظِيمُ الْمَكَانَةِ، عَالِي الْمَنْزَلَةِ، يَفُوقُ النَّاسَ فِي الْعِظَمَةِ وَالْمِزَّةِ وَالْعُلُوءِ
فَهُوَ لَا يَحُلُو بِالْمُلَى، وَإِنَّمَا الْمُلَى يَمْلُوهُ، فَهُوَ فِي مَنْزِلَةِ أَعْلَى مِنْ مَسْتَوَى الْمُلُوءِ وَالْمَجْدِ
الْمَمْرُوقِ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى قَضِيَّةِ غَدِيرِخُمٍّ، يَقُولُ :
وَقَالُوا : عَلِيٌّ عَلَا قُلْتُ : لَا
وَلَكِنْ أَقُولُ كَقَوْلِ النَّبِيِّ
أَلَا إِنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَى لَمْ يَكُنْ
وَبَنُو عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ وَجَوْهَرُهُمْ، يَقُولُ الصَّاحِبُ :
قَدْ قُلْتُ قَوْلًا صَارَ قَائِمًا
لِكُلِّ شَيْءٍ فَاضِلٍ جَوْهَرٌ
وَلَيْسَ غَرِيبًا بَعْدَ هَذَا أَنْ نَجِدَ الصَّاحِبَ يَبْلُغُ الْقِيَمَةَ فِي حُبِّهِ عَلِيًّا، فَيَقُولُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيًّا
وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ سَبُوءًا تَدِي بِهِ إِلَى الْجَحِيمِ، وَتَعْتَبِرُ دُخُولَهُ الْجَحِيمِ قَوْلًا، يَقُولُ :
أَمَا حَسَنٍ إِنْ كَانَ حُبُّكَ مَدُّ خَلِي
جَحِيمًا فَإِنَّ الْفَوْزَ عِنْدِي جَحِيمًا
وَكَيْفَ يَخَافُ النَّارَ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ
بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَسَمَ بِهَا (٥)

وبعد هذا الحُبُّ الشديد لعليٍّ وآل أبي طالبٍ لا عَجَبُ أَنْ نَرَى الصَّاحِبَ يَهْرَأُ مِنْ أَعْدَاءِ
آلِ الْبَيْتِ وَيَهَاجِمُهُمْ، فَهُوَ يَلْعَنُ الْأُمُويِّينَ وَيَهْرَأُ مِنْهُمْ لِقَتْلِهِمْ آلَ عَلِيٍّ وَلَعْنِهِمْ إِيَّاهُ،
وَقَتْلِ الْحُسَيْنِ فِي كَرْبَلَاءَ، وَيَبْلُغُ الصَّاحِبُ الْغَايَةَ فِي مَهَاجِمَةِ الْأُمُويِّينَ عِنْدَمَا يَنْزِعُ عَنْهُمْ

- (١) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٢١٦
(٢) المصدر نفسه : ص ٢٦٠
(٣) المصدر نفسه : ص ٢٦٠-٢٦١
(٤) المصدر نفسه : ص ٢٢٤
(٥) المصدر نفسه : ص ٢٢٥

كُلِّ صِفَةٍ دِينِيَّةٍ ، فَيَعْمَلْنَ أُنْتَهُمْ لَمْ يَقْتُلُوا الْحُسَيْنَ وَآلَ الْبَيْتِ إِلَّا اِنْتِقَامًا لِأَصْنَانِهِمُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَدَتَرَوْهَا وَهَمَّ - آيَةُ الْأَمْوَاتُونَ - مُنَاصِرُونَ لَهَا ، غَاضِبُونَ لِمَا حَلَّ بِهَا ، وَهِيَ بِهَذَا يُجَرَّدُ هَمٌّ مِنْ كُلِّ أَهْلِيَّةٍ وَكِفَايَةٍ لِتَوَلِّيِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَحُكْمِهِمْ ، فَهَمٌّ كَقُوَّةِ شَدِيدِ يَدِ الْعَدَاءِ لِآلِ الْبَيْتِ ، يَقُولُ :

بَرِئْتُ مِنَ الْأَرْجَاسِ رَهْطِ أُمَّتِي	لِمَا صَحَّ عِنْدِي مِنْ قَدِيمِ عَدَائِهِمْ
وَلَعَيْنِهِمْ خَيْرَ الْوَصِيِّينَ جَهَنَّمَ	لِكُفْرِهِمُ الْعَهْدُ وَدِي فِي شَرِّ دَائِهِمْ
وَقَتْلِهِمُ السَّادَاتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وَسَتِّهِمْ عَنْ جُرْأَةٍ لِنِسَائِهِمْ
وَذَبْحِهِمْ خَيْرَ الرِّجَالِ أَرْوَمَةَ	حُسَيْنَ الْعُلَى بِالْكَرْبِ فِي كَرَمَائِهِمْ
وَتَشْتِيَتِهِمْ شَمَلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	لِمَا وَرِثُوا مِنْ مُغْضِهِ فِي فَنَائِهِمْ
وَمَا غَضِبَتْ إِلَّا لِأَصْنَانِهَا التِّي سِي	أُذِلَّتْ وَهَمَّ أَنْصَارُهَا لِشَقَائِهِمْ
فِيَارَبِّ جَنَّتِي الْمَكَارَةَ وَأَعْفُ عَنِّي	ذُنُوبِي لِمَا أَخْلَصْتَهُ مِنْ وَلَائِهِمْ
وَمَا رَبُّ أَعْدَائِي كَثِيرٌ فَرَّ هُمُ	بِقِيظِهِمْ لَا يَظْفَرُوا بِأَهْتَائِهِمْ (١)

وهكذا يتضح لنا تشييع الصاحب بن عباد في حديثه عن مبادئ الشيعة، ومدى حبه آل أبي طالب وتفقد أري منافعهم، ومهاجمة أعدائهم، وقد سطر شاعر التشيع على معظم ديوانه حتى نستطيع القول إنه كان شاعر الشيعة الأول الذي جعل مبادئهم ومهاجمة أعداءهم وأغلى من منزلتهم ورثى قتلهم، وجعل من التشيع مذاهباً راسخاً في ذهنه لا يفارق قلبه وعقله، وهي ميزة لا نجد لها عند شاعر آخر من شعراء الشيعة.

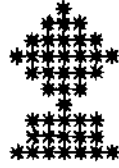
وهكذا يتضح لنا أن الصاحب بن عباد كان شاعراً شيعياً كبيراً، فقد قال الشعر في مختلف الأغراض الشعرية، ولكنه جعل معظم شعره في التشيع، فقال شعراً معتبراً عن آراء الشيعة ومبادئهم من توحيد الله وعدله، والإمامة وما يتعلق بها، وخصص قسمًا كبيراً من ديوانه لثناء آل البيت، فرثاهم رثاءً موحجاً، وبكاهم بكاءً حاراً، وقد اتسم شعره في ذلك بصِدْقِ العاطفة، وبخاصة الشعر الذي قاله في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، راثياً ومادحاً.

(١) ديوان الصاحب بن عباد : ص ١٠٨

وَيَتَّبِعُنَا لَنَا مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الشَّيْءَ كَانَتْ فِرْقَةً غَزِيرَةً النَّجَاجِ الشَّعْرِيِّ، ظَهَرَ
مِنْهَا شُعْرَاءُ كَثِيرُونَ، اشْتَغَلْتَهُمْ أَفْكَارُهَا وَتَبَايَرَتْهَا وَعَبَّرُوا عَنْهَا مُحَاوَلِينَ إِثْمَانَهَا
وَأَقْنَاعَ الْآخَرِينَ بِهَا، كَمَا أَكْثَرُوا مِنَ الْقَمْرِ فِي آلِ الْبَيْتِ مَا رَجِحَ وَرَائِهِ، مُصَوِّرِينَ
مَا لَحِقَ بِهِمْ مِنَ الْعَسْفِ وَالْجَوْرِ، عَارِضِينَ ذَلِكَ بِأَشْعَارِ شَجِيئَةٍ مُكِيمَةٍ.

الفصل الثالث

أثر التبعية في الدعوى



الفصل الثالث آثار التشيع في الشعر العباسي

رأينا فيما سبق أنّ الشيعة كانوا فرقة إسلامية عظيمة، لها أصول تقوم عليها، ورأينا أنّها كانت أغزر الفرق الإسلامية في النتاج الأدبي، فقد ظهر منها شعراء كثيرون، كان عددهم كبير منهم يتميز بمعرفة الواسعة في علم الكلام، وقدرته الفائقة على استخدام أسلوب الجدال والحوار والمناقشة، وعرض الأدلة والحجج من أجل إثبات حُجبه والتردد على حجج الخصوم، وكان من هؤلاء الشرف المُرْتَضَى والمُصَاحِبُ بْنُ عَبَادٍ. وكان من الشيعة علماء اشتهروا بالمناظرة والجدل، ومن هؤلاء الشيخ الطوسي (١)، والشيخ المفيد المعروف بابن المعلم، وقد عبّر هؤلاء الشعراء والمتكلمون بأشعارهم عن مبادئ الشيعة الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والمعاد، والنبوة، والإمامة. ولا غرو، فقد كانت هذه المبادئ تملك على الشيعة نفوسهم وفكرهم. ولما كان الشيعة على هذا القدر من الأهمية وعلو المنزلة بين الفرق الإسلامية، ولما كانت علاقة رؤسائها ومناظرها مع الفرق الأخرى تقوم على المناظرة والجدل والمحااجة والإقناع، كان من الأمور البديهية ألا تبقى آراء الشيعة ومبادئهم محصورة في إطار الشيعة أنفسهم، وإنما تتجاوزهم إلى غيرهم فتعكس أصداءها في شعر الشعراء وتثر الكتاب، فالتأثير والتأثير معروفاً بين الشعراء في كل الأزمنة، إذ إنه لا يمكن للشاعر أن يعيش بمعزل عما يحيط به من الآراء والعذاهب والمعتقدات والقيم، وإنما يتأثر بذلك من حيث يشعر أولاً بشعره فيعتبر عما حوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا ما نجده في شعر الشعراء من غير الشيعة، فقد تسربت إليهم معتقدات الشيعة، وطريقتهم وأسلوبهم، وسمايتهم الفنية بصورة عامة، فتأثر هؤلاء الشعراء بالشيعة تأثراً كبيراً سواء في موضوعات الشعر وأفكاره أو في لغته وخصائصه الفنية، وقد كانت غزارة نتاج الشيعة من الشعر سبباً في عظمة الآثار التي تركها التشيع في الشعر العباسي.

(١) محمد بن الحسن بن علي الطوسي، كان جليل القدر عظيم المنزلة، ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ، وكان إماماً في الفقه والحديث، وتوفي سنة ٤٦٠هـ. انظر: روضات الجنات: ج ٦، ص ٢١٦-٢١٧، والكامل في التاريخ: ج ١٠، ص ٥٥٨.

آثار التشيع في موضوعات الشعر وأفكاره :-

لقد أثار الشيعة في موضوعات الشعر العباسي وأفكار الشعراء تأثيراً كبيراً ، ومن جوانب تأثيرهم أنهم عملوا على تنشيط الحركة الشعرية ، فقد أدت مهاجمة الشيعة للصحابي رضي الله عنهم - وطمعهم عليهم في أحيان كثيرة إلى رد فعل عنيف من جانب السنة ، فظفروا الأشعار التي هاجموا فيها الشيعة ، ودافعوا عن الصحابة ، وعن ذلك ما يروى من أن بديع الزمان الهمداني (١) كان ستماً متعمداً لأهل الحديث والسنة ، وأنه قال قصيدة بمدح فيها الصحابة ، وهجو أبا بكر الخوارزمي ، ووجهه عن قصيدة رويت له في الطعن عليهم ، يقول بديع الزمان :

وكلني بالهم والكأبة	طعانة لعانة سبابه
للسلف الصالح والصحابة	أساء سمعا فأساء جابة (٢)
تأملوا يا كبراء الشيعة	لعشوة الإسلام والشريعة
أستحل هذه الوقعة	في تبع الكفر وأهل البيعة (٣)
فكيف من صدق بالرسالة	وقام للدين بكل آفة
وأحرز الله يد العقب له	ذلكم الصديق لا محالة
إمام من أجمع في الشقيقة	قطعا عليه أنه الخليفة
ناهيك من آثاره الشريفة	في رده كيد بني حنيفة
سلي الجبال الشم والبخارا	وسائل المنبر والمنارا
واشتمل الأفاق والأقطارا	من أظهر الدين بها شعارا
ثم سلى الفرس وميت النار	من الذي قل شبا الكفار
هل هذه البيض من الآثار	الإلثاني المصطفى في الغار

- (١) أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد ، بديع الزمان الهمداني ، أبو الفضل ، سكن هراة ، وروى عن أحمد بن الحسين بن فارس بن زكريا ، وكان فاضلا متعمدا لأهل الحديث والسنة ، وله رسائل وأشعار ، وتوفي سنة ٣٩٨ هـ . (انظر : معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ١٦١-١٦٢ ، ص ١٨٤) .
- (٢) يريد البديع أن الخوارزمي تعلم العقيدة صغيراً فكان هذا أثراً لذلك ، فهو قد أساء السمع فأساء الإجابة ، فحذفت الهمزة من إجابة .
- (٣) البيعة : البيعة - بالكسر - متعبد النصارى . (انظر : القاموس المحيط ، مادة باع) .

وَقَالَ إِذْ لَمْ تَقُلِ الْفَوَاهُ
مَنْ قَامَ لَمَّا قَعَدُوا إِلَّا هُوَ
ثَانِيهِ فِي الْغَارَةِ بَعْدَ الْعَارَةِ
ثَانِيهِ فِي الْقَبْرِ بِلَا وَسَارَةِ
نُبُوَّةَ أَفْضَتْ إِلَى إِمَامَةِ (١)

وَسَائِلِ الْإِسْلَامِ مَنْ قَوَّاهُ
وَاسْتَنْجَزَ الْوَعْدَ فَأَوْمَى اللَّهُ
ثَانِي النَّبِيِّ فِي سِنِّي الْوِلَاةِ
ثَانِيهِ فِي الدَّعْوَةِ وَالشَّهَادَةِ
ثَانِيهِ فِي مَنْزِلَةِ الرَّعَامَةِ

يَبْدَأُ بِدَيْعِ الزَّمَانِ - كَمَا نُلَاحِظُ - قَصِيدَتَهُ بِهَجَائِ الْخَوَارِزْمِيِّ فَمِصْفَهُ بِأَنَّهُ شَتَامَةٌ
لِلصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَهِيَ شَتَائِمٌ لَا تَلِيْقُ بِالْكَفَّارِ فَكَيْفَ تَلِيْقُ بِأَبِي بَكْرٍ؟ لِمَ مَنْتَقِلُ
إِلَى تَعْدَابِ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَدْ صَدَّقَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ وَنَاصَرَ الدِّينَ، وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ
بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَبَاعْتَرَفَهُمْ أَنَّهُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ مَآثِرِهِ أَيْضًا الْقَضَاءُ عَلَى الْمُرْتَدِّينَ، وَإِظْهَارُ الدِّينِ، وَمُقَاتَلَةُ الْفُرْسِ فِي
مَعْرَكَةِ الْقَادِسِيَّةِ وَتَمْزِيْقُهُمُ وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ، وَتَقْوِيَةُ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ صَاحِبُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ
فِي الْغَارِ، وَخَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ وَثَانِيهِ فِي الْإِسْلَامِ وَالشَّهَادَةِ، فَنُبُوَّةُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ
أَفْضَتْ إِلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَهَذَا نَاحِظٌ تَأَثَّرَ الْهَمْزَانِيَّ بِمِصْطَلِحَاتِ الشَّيْخَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ
"الإمامة"، ثُمَّ يُهَاجِمُ الْخَوَارِزْمِيِّ مَبْتِئًا أَنَّهُ لَنْ يَنَالَ الْجَنَّةَ بِسَبَبِ هَجْوِ الصَّحَابَةِ وَطَعْنِهِ
فِيهِمْ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَبَيَانِ فَضَائِلِهِ، فَيَقُولُ :

لَيْسَتْ بِهَا أَوَاكُ وَلَا كَرَامَةٌ
تُعَمَّتْ وَالْأَهْ الْوَصِيَّ الْمُرْتَضَى
وَإِخْتَارَهُ خَلِيفَةً رَبُّ الْعُلَا
وَبَايَعَتْهُ رَاحَةُ الْوَصِيَّ
مَا ضَرَّهُ هَجْوُ الْخَوَارِزْمِيِّ
وَلَمْ يُعِدْهُ حَجْرًا مَا أَحْلَمَهُ
لَشَدَّ مَا اسْتَأْتَقَدَ إِلَيْكَ الْحُطْمَةُ (٢)

أَتَأْمُلُ الْجَنَّةَ يَا شَتَامَةً
إِنَّ أَمْرًا أَشْنَى عَلَيْهِ الْمُصْطَفَى
وَاجْتَمَعَتْ عَلَى مَعَالِيهِ الْوَرَى
وَاتَّبَعَتْهُ أُمَّةُ الْأُمِّيَّ
وَبَاسِمِهِ اسْتَسْقَى حَيَا الْوَسِيَّ
سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يُلْقِمِ الصَّخْرَ قَمْعَهُ
بِأَنْدَلُ يَا مَاهُونَ أَفْطَرْتَ قَمْعَهُ

(١) معجم الأديب: ج ٢، ص ١٩٦-١٩٧.
(٢) المأهون: العتيم. (انظر: القاموس المحيط: مادة أهنة).

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَرْضَى وَجَعْفَرَ الصَّادِقَ أَوْ مُوسَى الرَّضَا
لَوْ سَمِعُوكَ بِالْخَنَا مُعَرَّضَا مَا آذَخَرُوا عَنْكَ الْحُسَامَ الْمُتَنَضَّى (١)

يُعَدُّ الهمذاني في هذه الأبيات بعض صفات أبي بكر، فقد نال ثناء الرسول الكريم، وأخيه علي بن أبي طالب، وأجمع الناس على كرمه ومجده، واختاره الله تعالى خليفة للمسلمين، فبأهله المسلمون وفي طلبعتهم علي بن أبي طالب وصي الرسول الكريم، وهنا نلاحظ تأثر بدع الزمان بأفكار الشيعة ومضطلحاتهم، فعلي بن أبي طالب هو وصي الرسول الكريم والإمام من بعده، ثم بُني على أبي بكر بأنه لم يسجد لضم ولم يقبله ولم يعظمه ولم يزره، ثم بهجو الهمذاني الخوارزمي هجاء موجعا فيصفه بأنه نذل مأبون، داعيا إياه إلى الكف عن شتم الصحابة، لأن ذلك سيقطه في نار جهنم، ويثبت أن أبناء علي كجعفر الصادق وموسى الرضا لا يقبلون شتمه للصحابة، ولو سمعوه وهو يشتمهم لقاتلوه على ذلك يحد السيف.

ثم ينتقل بدع الزمان بعد ذلك إلى شتم الخوارزمي وهجائه لثتمه عمر بن الخطاب فيقول:

وَبَلَّكَ لِمَ تَنْهَجُ بِأَكْلَبِ الْقَمَرِ؟ مَا لَكَ يَا مَاهُونَ تَغْتَابُ عُمَرَ
سَيِّدَ مَنْ صَامَ وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ صَرَخَ بِالْحَارِكِ لَا تَعْشِ الْخَمَرَ (٢)
يَا مَنْ هَجَا الصَّادِقَ وَالْفَارُوقَا كَيْمَا يُقِيمَ عِنْدَ قَوْمِ سُوقَا
نَفَذْتَ يَا طَبْلُ عَلَيْنَا بُوْقَا فَمَا لَكَ الْيَوْمَ كَذَا مَوْهُوقَا (٣)

نلاحظ في هذه الأبيات هجوم الهمذاني العنيف على الخوارزمي لثتمه عمر، فهو يصف الخوارزمي بأنه كلب، ينبح القمر. وهو عمر بن الخطاب، ولا يضر السحاب نباح الكلاب، ثم يُعَدُّ بعض صفات عمر، فهو سيد المسلمين جميعا.

- (١) معجم الأرباب: ج ٢، ص ١٩٧-١٩٨، والخنا: الفحش وهو من الكلام أفحشه.
(انظر: لسان العرب: مادة خنا).
(٢) خير: أي توارى، كأخمر (انظر: القاموس المحيط: مادة الخمر)، ويقصد دعوته
إياه إلى ترك الخداع والتستر).
(٣) معجم الأرباب: ج ٢، ص ١٩٨.

ثم ينتقل الهمداني الى هجاء الخوارزمي لطعنه في أبي بكر وعمر وعثمان ،
مذكرا اياه بأنه يذم هؤلاء وشتهم يعرض نفسه للهلاك ، يقول :

إِنَّكَ فِي الطَّعْنِ عَلَى الشَّيْخَيْنِ	وَالْقَدْحِ فِي السَّيِّدِ ذِي النُّورَيْنِ
لَوَاهِنِ الظَّهْرِ سَخِينِ الْعَيْنِ (١)	مُعْتَرِضِ اللَّحْيَيْنِ (٢) بَعْدَ الْحَسَيْنِ

.....
.....

كفى من الغيبة أدنى شمة	من استجاز القدح في الأئمة
ولم يعظم أمناء الأئمة	فلا تلوموه ولو موأ أمه (٣)

في هذه الابيات تبلغ مهاجمة الهمداني للخوارزمي منتهاها ، فهو يهجو هجاء
مقذعا ، طاعنا في نسبه متهما أمه بالفسق ، وذلك لانه يطعن في الخلفاء والصحابة ،
وهنا نلاحظ تأثر الهمداني بالشيعة ، حيث يطلق على الخلفاء الراشدين اسم " الأئمة " ،
وبعد ذلك ينتقل الشاعر الى هجاء الخوارزمي لطعنه في عائشة أم المؤمنين وزوجة
الرسول الكريم ، مستغريا طعنه فيها ، وقد كانت حظية للرسول المصطفى ، يقول :

مَا لَكَ يَا نَذْلُ وَلِلزَّكِيَّاتِ	عَائِشَةَ الْوَالِيَّةِ الْعَرِضِيَّةِ؟
يَأْسَاقِطَ الْغِيْرَةِ وَالْحَمِيَّاتِ	أَلَمْ تَكُنْ لِلْمُصْطَفَى حَظِيَّةً؟ (٤)

وبعد هذا يختتم الشاعر قصيدته بهجاء الخوارزمي ، فيهجو هجاء مقذعا واصفا
اياه بالجن عند ملاقة الهمداني في المناظرة وبالشجاعة عندما يكون بعيدا عنه ،
ثم يتوعد الخوارزمي بأنه سوف يتغلب عليه اذا ما التقيا في المناظرة .

-
- (١) سخنة العين نقيض قرنتها ، يقال : أسخن الله عينه ، أى أبكاه . (انظر :
القاموس المحيط ، مادة السخن) .
(٢) الحين : الهلاك والمحنة (انظر : المصدر نفسه : مادة الحين) .
(٣) معجم الادباء : ج ٢ ، ص ١٩٩ .
(٤) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفاهما .
(٥) انظر : المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

فَالِهَذَا خِيَّبَ يَصِفُ الْخَوَارِزْمِيَّ بِأَنَّهُ شُجَاعٌ عِنْدَ غِيَابِ الْهَمْدَانِيِّ ، جَبَانٌ عِنْدَ حُضُورِهِ ، ثُمَّ يَهْدُرُ الشَّاعِرُ الْخَوَارِزْمِيَّ وَيَتَوَعَّدُهُ بِأَنَّهُ سَيُغْلِبُهُ عِنْدَمَا تَجْرِي الْعِنَاظَةُ بَيْنَهُمَا ، وَيَشْهَدُهَا عِدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

وقد ذكر صاحبُ نَسْمَةِ السَّحَرِ أَنَّ بَدِيعَ الزَّمَانِ كَانَ شَبِيحًا (١) ، بَيْنَمَا تَجِدُ نَحْنُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَدِيعَ الزَّمَانِ شَاعِرٌ سُنِّيٌّ شَدِيدُ الْوَلَاءِ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ .

ولم يقتصر الحال على الهمداني في الدفاع عن الصحابة والسنة ، وإنما كان هناك شاعر شيعي (٢) كان يذمُّ الصحابة ، ثم رجع عن التشيع وترك شتم الصحابة وأعلن أنه يوالي الرسول الكريم وصحابته الكرام والتابعين ، ويرى رأي السنة في أن أفضل الناس بعد الرسول عليه الصلاة والسلام هو صاحبه أبو بكر ، ثم الخلفاء من بعده عمر وعثمان وعلي ، موضحاً أن ذلك هو عقيدته الراسخة التي يرجو بها الفوز من العذاب يوم القيامة ، ثم يعلن توبته إلى الله تعالى ورجوعه عما كان يعتقده في الصحابة ، يقول :

وَإِذَا سَأَلْتَنِي مَنِ اعْتَقَارِي قُلْتُ مَا أَهْوَى النَّبِيَّ وَالْهَ وَصِحَابَتَهُ وَأَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ثُمَّ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهُ خَيْرُ الْكُوفِيِّ هَذَا اعْتِقَادِي وَالَّذِي أَرْجُو بِهِ بَارَبِّ إِلَهِي قَدْ أَتَيْتُكَ تَائِبًا وَعَدَلْتُ عَمَّا كُنْتُ مُعْتَقِدًا لَكَ	كَانَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُ الْأَهْرَارِ وَالتَّائِبِينَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ صَدِيقُهُ وَأَنْيَسُهُ فِي الْغَارِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ سَادَةِ أَطْهَارِ قَوْزِي وَعِثْقِي مِنْ عَذَابِ النَّارِ مِنْ زَلَّتِي تَبَاعَلِمِ الْأَسْرَارِ فِي الصَّحْبِ صَحْبِ نَهْيِكَ الْمُخْتَارِ (٣)
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) انظر : نسمة السحر : ج ١ ص ١٨ .

(٢) أصبهدي وسيت بن محمد بن الحسن بن أسعد بن شيرويه الديلمي ، أبو منصور ، كان شاعراً ، روى عن ابن الحجاج شعره ، وعن عبد العزيز بن نباته ، وكان يتشيع ويبالغ في ذلك ، ويقال إنه رجع عن التشيع ، وتوفي سنة ٤٦٩ هـ . (انظر : لسان الميزان : ج ١ ص ٤٦٠-٤٦١ ، وفوات الوفيات : ج ١ ص ١٦٢-١٦٣) .

(٣) لسان الميزان : ج ١ ص ٤٦١ .

ويقول أبو عمر الزاهد (١) في هجاء الرافضة :

إِذَا مَا الرَّافِضُ الشَّامِي تَمَّتْ مَعَايِبُهُ تَخْتَمُ فِي يَمِينِهِ
فَأَمَّا إِنْ أَنَاكَ لِسَمْتٍ وَجَّهِهِ فَإِنَّ الرَّفِضَ بَارٍ فِي جَبِينِهِ (٢)

فهو بهجو الرافضة مبينا أنّ الرّفص وكراهية الصّحابة لا بدّ من أن يكونا ظاهرين وواضحين في وجوههم . وقد أثار هذا الشعر استياء بعض الشيعة (٣) .

وقد ظهر التأثير بالشيعة ومهاجرتهم لدى شاعر آخر هو أبو العلاء المعري ، فهو يطبق على الشيعة اسم " رهط مسلم " لأنهم سألوا الحسين رحمه الله أن يلي الخلافة فهدروا به وسلّطوه إلى أعدائه ، ويدعوهم إلى أن يتّقوا الله سبحانه وتعالى فسي أقوالهم وأفعالهم ، ومنهاهم من اتّباع الشيطان ورأى المثنوية ، يقول في ذلك :

أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ رَهْطَ مُسَلِّمٍ فَكَيْفَ جُرْتُمْ فِي طَاعَةِ الشَّهَوَاتِ
وَلَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ فِي خُطْوَاتِهِ فَكَمْ فِيكُمْ مِنْ تَابِعِ الْخُطُواتِ
فَعَدْتُمْ لِرَأْيِ الْمَثْنُوَّةِ بَعْدَ مَا جَرَتْ لَذَّةُ التَّوْحِيدِ فِي اللَّهَوَاتِ
وَمِنْ دُونِ مَا أَهْدَيْتُمْ خُضْبَ الْقَنَا وَمَا رَجِعُ الْخَيْلِ فِي الْهَبَوَاتِ
فَمَا أَسْتَحْسَنْتَ هَذِي الْهَبَائِمِ فِعْلَكُمْ مِنْ الْعَقِيِّ فِي الْأَمَاتِ وَالْحَمَوَاتِ
وَأَيْسَرُ مَا حَلَلْتُمْ نَحْرَ ذَارِعٍ بِمَعْتَكُمْ بِالسُّكْرِ وَالنَّشَوَاتِ (٤)
جَعَلْتُمْ طَلِبًا جُنَّةً وَهَوْلَ مَيَّزَلٍ يُعَاقِبُ مِنْ خَمْرِ عَلَى حُسَوَاتِ
رَجَوْتُمْ إِمَامًا فِي الْقِرَانِ مُضَلَّلًا فَلَمَّا قَضَى قَلْبُهُ إِلَى سَنَوَاتِ
كَذَاكَ بَنُو حَوَاءَ بَرٌّ وَقَاجِرٌ وَلَا يَهْدِي لِلْإِيمَانِ مِنْ هَنَوَاتِ (٥)

ويُنكر أبو العلاء على الشيعة ما يعتقدونه من أنّ قبر الإمام عليّ موجود في الكوفة ، ويهدو ذلك في قوله :

(١) أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم العطار المعروف بالزاهد ، صاحب أبي العباس ثعلب ، كان ناصباً لعادي عليّاً كرم الله وجهه . (انظر : الفهرست ، النديم ، ص ٨٢) .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٨٣ .

(٣) انظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) الذارع والعذرع : الرزق الضئيل ، وهو للشراب . (انظر : لسان العرب ، مادة ذرع) .

(٥) لزوم ما لا يلزم : ص ١ ، ص ١٧١-١٧٢ .

وَمَا صَحَّ لِلْمَرْءِ الْمُحْصَلِ أَنَّهُ بِكُوفَانٍ قَهْوٍ لِلْإِمَامِ يُزَارُ (١)
وَنَجِدُ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ يَتَعَدُّ بِنَفْسِهِ عَنِ التَّمَعُّبِ لِأَبِي بَكْرٍ أَوْ عَمْرٍ، فَاتَّخَذَ مَوْفِقًا
جِيَارِيًّا بَيْنَ السَّنَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَجُّونَ لِفَضْلِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ الْغَارِ مَعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ،
وَالشَّيْعَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَجُّونَ لِتَفْضِيلِ عَلِيِّ يَوْمِ غَدِ بَرْخَمٍ، يَقُولُ :

صَفِنْتُ فَوْارِي لِلْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ وَأَمْسَكْتُ لَمَّا عَظَّمُوا الْغَارَ أَوْ حَمَا (٢)
وَبِهَاجِمِ أَبُو الْعَلَاءِ إِحْدَى فِرْقِ الشَّيْعَةِ، وَهِيَ فِرْقَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، فَبِتَّهْمُهَا بِالْكَذِبِ
فَمَا زَهَبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلِذَا كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْبَاطِنِيَّةُ،
يَقُولُ :

لَقَدْ كَذَبَ الَّذِينَ طَفَّوْا فَقَالُوا أَتَى مِنْ رَبِّنَا أَمْرٌ بِرَمَزٍ (٣)
ولعلَّ في قول أبي العلاءِ هذا نفيًا لِمَا زَهَبَ إِلَيْهِ مَاسِيئُونَ مِنْ أَنَّهُ يَوْجِدُ بَيْنَ أَبِي
الْعَلَاءِ وَفِرْقَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ اشْتِرَاكَ فِي الرَّأْيِ وَصَلَةَ فِي الْمَذْهَبِ (٤) .

وقال المعريُّ أيضًا :

جَبُّبُ الزَّمَانِ عَلَى الْآفَاتِ مَزْرُورٌ مَا فِيهِ إِلَّا شَقِيُّ الْجَدِّ مَضْرُورٌ
أَرَى شَوَاهِدَ جَبْرِ لَا أَحَقَّقُهُ كَأَنَّ كُلَّ إِلَى مَاسَاءٍ مَجْرُورٌ (٥)

وقد قال أبو العلاءِ المعريُّ في التردِّدِ عَلَى مَنْ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي :
" يَرُورِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّارِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : يَنْهَيْهِ لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَقُولَ
بِالْجَبْرِ وَلَا الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ بَيْنَ بَيْنٍ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الرَّضَاءِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَقَدْ جَاءَ
عَنْ النَّهْجِيِّ عَنِ الْقِيَاسِ فِي الدِّينِ (٦) فَكُنَّا نَسْتَلْهِمُ أَبُو الْعَلَاءِ قَوْلَ الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ
مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الشَّعْرِ .

(١) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٩٠ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٨٥ .

(٤) انظر : المهرجان الألفي لأبي العلاءِ المعريِّ : ص ٢٩٩ .

(٥) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٣١٤ .

(٦) زجر النابح (مقتطفات) ، ص ٥٣ - ٥٤ .

وَمِنَ الْآثَارِ الَّتِي خَلَّفَهَا الشَّيْخَةُ فِي مَوْضِعَاتِ الشَّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ تَسْرُوبُ السُّرُوحِ
الشَّيْخِيَّةِ إِلَى الشَّعْرِ، فَنَجِدُ ابْنَ الْهَبَّارِيَّةِ (١) يَرْوِي قِصَّةَ رَجُلٍ شَيْعِيٍّ خَبَّازٍ كَانَ بِمِصْرَ
وَكَانَ يُعَلِّي مِنْ شَأْنِ الْخَلِيفَةِ الْمِصْرِيِّ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ (٢)، وَبِنْتِصُفٍ مِنْ شَأْنِ الْخَلِيفَةِ
الْقَادِرِ بِاللَّهِ فِي بَغْدَادَ، فَاحْتَالَ الْقَادِرُ بِأَنْ أُرْسَلَ إِلَيْهِ خَبَّازًا مِنْ بَغْدَادَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ
شَيْعِيٌّ، وَأَخَذَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ وَيُعْمِلُ الْحِمْلَةَ عَلَيْهِ حَتَّى زَوَّجَهُ الْمِصْرِيُّ ابْنَتَهُ، وَبَعْدَ سَنَسَةٍ
أَخَذَ الْبَغْدَادِيُّ يَحْدُثُهُ عَنْ فَضَائِلِ الْمَزَارَاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَالْبَرَكَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا، حَتَّى
أَنَارَ شَوْقَهُ لَزِيَارَتِهَا، وَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَى مَعًا إِلَى الْعِرَاقِ، وَعِنْدَ وُصُولِهِمَا أُرْسَلَ الْبَغْدَادِيُّ
يُعْلِمُ الْخَلِيفَةَ، فَهَمَّتِ الْعَسَاكِرُ وَأَحْضَرُوا الْمِصْرِيَّ، فَأَحْسَنَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ، وَوَصَلَهُ، فَأَخَذَ
ذَلِكَ الْخَبَّازُ الشَّيْعِيُّ الْمِصْرِيَّ بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَى مِصْرَ يَمْدَحُ الْقَادِرَ وَيُعَلِّي مِنْ شَأْنِهِ
مِمَّا أَنَارَ سُخْطَ الْحَاكِمِ صَاحِبِ مِصْرَ فَصَلَبَهُ، يَقُولُ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ:

كَانَ بِمِصْرَ رَجُلٌ خَبَّازٌ	يَقْدِفُهُ بِالرَّفْضِ مَنْ يَجْتَازُ
وَكَانَ فِي كُلِّ غَدَاةٍ يَفْتَحُ	دُكَّانَهُ بِالْجِسْرِ حِينَ يُصْبِحُ
ثُمَّ يَقُومُ قَائِمًا فَيَخْطُبُ	وَيَمْدَحُ الْحَاكِمَ حَيْثُ يُطْنِبُ
وَيَلْعَنُ الْقَادِرَ لَعْنًا ظَاهِرًا	وَلَمْ تَكُنْ بِذَنْبِهِ مُسَاتِرًا

وَمَا كَانَ فِي بَغْدَادَ خَبَّازٌ دَهْرُ	لَكِنَّهُ بِالنُّسْكِ فِيهَا مُشْتَهَرُ
أَبْتَرَهُ الْقَادِرُ حِينَ أَحْضَرَهُ	وَقَالَ هَذِي بِدْرَةٌ مَهْدَرَةٌ
فَأَذْهَبَ إِلَى مِصْرٍ وَدَعَاكَ الْعِلُّ	وَانْعَبَ عَلَيَّ الْخَبَّازِ أَشْرَاكَ الْحَيْلُ
عَسَاكَ أَنْ تُقَدِّمَهُ الْعِرَاقَا	فَإِنَّهُ قَدْ شَقَّنِي شِقَاقَا
فَمَرَّ ذَاكَ الشَّيْخُ بِنِي مِصْرَا	حَتَّى أَتَى جِهَزَتَهَا وَالْجِسْرَا

(١) ابن الهبَّارِيَّة، محمد بن محمد بن صالح الهاشمي، الشريف أبو يعلى بن
الهبَّارِيَّة، الشاعر المشهور الهجاء، الملقب بنظام الدين البغدادي، كان شاعراً
مجيداً، خبث اللسان، كثير الهجاء، وكان من شعراء نظام الملك، وله ديوان شعر
وبعض المصنفات الأخرى، وتوفي سنة تسع وخمسة مائة للهجرة. (انظر: شذرات
الذهب ج ٤، ص ٢٤-٢٦) .

(٢) الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن عبد العزيز نزار بن المعز العبدي صاحب مصر
والشام والمغرب والحجاز، كان خبث النفس، سفاكاً للدماء، لكنه كان كريماً، فقد
وعمره ست وثلاثون سنة وذلك سنة (٤١١ هـ)، وقيل إن أخته قد دسَّت إليه من
قتله، ولم يعمَّر على شيء من جسده. (انظر: المصدر نفسه: ج ٣، ص ١٩٢-١٩٥) .

وَصَبَّحَ الْخَبَّازُ ثُمَّ دَفَعَا
فَلَمَحَ الْخَبَّازُ ضَرْبَ الْقَادِرِ
وَضَرْبَ الشَّيْخِ إِلَى أَنْ أَثَخَنَهُ

إِلَيْهِ دِهْنَارًا وَكَيْدًا صَنَعَا
فَنَارَ لِلْفَيْطِ كَلَيْشٍ خَادِرِ
وَشَتَّمَ الْقَادِرُ ثُمَّ لَعَنَهُ

فَجَلَسَ الشَّيْخُ قَرِيبًا مِنْ كَيْسِي
وَقَالَ قَوْلَ وَالِهِ (١) كَثِيبِ
شَيْخٍ غَرِيبٍ بَائِسٍ كُوفِيٍّ
ضَرَبْتُمُوهُ إِنَّهَا عَجِيبَةٌ
فَسَمِعَ الْخَبَّازُ ذَا فَهْكَسِي
مُعْتَذِرًا مَعَ جَرَى عَلَيْهِ
يَقُولُ : خِلْتُ الشَّيْخَ بَغْدَادِيًّا
وَسَاءَ نِي أَسْمُ ذَلِكَ اللَّعِينِ

وَالضَّرْبُ فِي أَضْلَاعِهِ وَالْفَكُّ
شَرُّ الْخِلَالِ بَغْضَةُ الْغَرِيبِ
مُوْتَحِدٌ مُعْتَقِدٌ شَيْعِيٌّ
مِنْ مِثْلِكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ مُصِيبَةٍ
وَجَاءَ بِسَمَى نَحْوَهُ تَنَشُّكًا
مُقْبَلًا لِذَنْبِهِ رَجُلُهُ
وَلَمْ أَخْلَهُ مُؤْمِنًا كُوفِيًّا
فَكَانَ مَا فَعَلْتُهُ لِلدَّيْنِ

فَاصْطَلَحَا وَاتَّفَقَا وَاصْطَحَبَا
وَزَوْجَ الْمِصْرِيِّ مِنْهُ ابْنَتَهُ
حَتَّى إِذَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ
وَلَجَّ فِي الْهَيْكَاةِ وَالنَّجِيبِ
قَالَ لَهُ : شَوْقِي إِلَى الزَّيْسَارَةِ
وَالهَرَكَانِ نَارِلَاتٍ فِيهَا
وَبُورِدُ الْغَاسِدِ وَالصَّحِيحَا
حَتَّى اشْتَهَى الْمِصْرِيَّ أَنْ يَزُورَهَا
لَكِنِّي أَخَافُ بَطْنَ الْقَادِرِ
قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : وَمَا يُدْرِيهِ

وَاشْتَرَا وَاتَّجَرَ وَاكْتَسَبَا
وَأَعْمَلَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ حَيْلَتَهُ
وَجَاءَ شَعْبَانُ عَرَاهُ الْيَوْمُ
فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا حَبِيبِي
وَخِدْمَةُ الْعَشَاهِدِ الْمُخْتَارَةِ
وَلَمْ يَزَلْ بِجَهْدِهِ يُطْرِبُهَا
مِنْ فَضْلِهَا وَبِكَثْرِ الْعَدِيحَا
وَقَالَ : إِنِّي مُزْمِعٌ حُضُورَهَا
فَقَدَّ عَرَفْتُ بَغْضَةَ الْمُخَامِرِيِّ (٢)
بِحَالِنَا وَمَنْ بِهِ بَأْتِيهِ

(١) وآله : تكلان . (انظر : لسان العرب ، مادة وله) .

(٢) المخامر : المخالط من خامر مخامرة بمعنى خالط مخالطة . (انظر : المصدر نفسه ، مادة خمر) ، ويقصد أن بغضه للقادر ملازم ومخالط لعقله .

فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ بِمُؤَرَّةٍ
حَتَّى إِذَا مَا قَدِمَ الْعِرَاقَا
فَكَاتَبَ الْقَائِرَ بِالْحَقِيقَةِ
وَأَحْضَرُوهُ وَهُوَ فِي وِثَاقِهِ
حَتَّى إِذَا مَا صَارَ عِنْدَ الْقَائِرِ
وَبَرَهُ وَلَمْ يَزَلْ فِي حُجْرَتِهِ
ثُمَّ حَبَّاهُ لَيْلَةً بِاللُّطْفِ
وَرَدَّهُ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْوَطَنِ
حَتَّى إِذَا مَا فَتَحَ الدُّكَانَا
قَامَ عَلَى عَادَتِهِ خَطِيمَا
وَمَدَحَ الْقَائِرَ أَيَّ مَسَدَحٍ
فَبَلَغَ الْحَاكِمُ ذَاكَ عَنَّهُ
وَأَشْتَاطَ مِمَّا أَهْلَفُوهُ وَغَضِبَ
يَكْفٍ مَنْ كَانَ لَهُ يُوَالِي سِي
وَهُوَ إِلَى جِوَاهِرِهِ بَجْرُهُ
وَفَارَقَ الْأَصْحَابَ وَالرَّفَاقَا
فَأَخَذَتْ خِيُولُهُ طَرِيقَهُ
لِسُوءِ مَا قَدَّمَ مِنْ شِقَاقِهِ
أَبْدَى لَهُ بِشْرَ الْخُدُوعِ الْعَاكِرِ
مُشَاهِدًا وَجَدَّ فِي عِيَانَتِهِ
وَزَانَ فِي إِكْرَامِهِ وَاللُّطْفِ
وَبُغْضِهِ قَدْ صَارَ حَبِيًّا وَشَجَنُ
وَشَاهَدَ الْأَخْوَانَ وَالجَّيْرَانَا
وَلَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ مِصْبِيهَا
مُعْتَذِرًا مِنْ جَرْحِهِ وَالْقَسَدِ
فَسَاءَهُ مَا قَدْ آتَاهُ مِنْهُ
وَأَصْبَحَ الْخَبَارُ وَهُوَ قَدْ صُلِبَ
وَذَاكَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ (١)

وقد لجأ بعض الشعراء - بتأثير الشيعة - إلى مهاجمة المتكلمين بصورة عاتية، وذلك عند ما رأوا مقالا تهيم ومجادلاتهم ومناظراتهم، ومن هؤلاء الشاعر أبو الكرم الواسطي (٢)، فهو يقول:

تَرَكْتُ مَقَالَاتِ الْكَلَامِ جَمِيعَتَهَا
وَلَا زَمْتُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ لِأَنَّهُمْ
وَهَلْ تَرَكَ الْإِنْسَانُ فِي الدِّينِ غَايَةً
إِذَا قَالَ: قَلَدْتُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا (٣)

- (١) ديوان الصادق والهاشم: ص ٦٨-٧٠.
(٢) خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسن، كان حافظاً للقرآن الكريم، عالماً بالحدِيث الشريف، عارفاً برجاله، وانتهت إليه الرئاسة بواسطة في وقته، وتوفي سنة ٥١٠ هـ. (انظر: بغية الوعاة: ج ١، ص ٥٦١).
(٣) معجم الأديب: ج ١١، ص ٨٢-٨٣.

فالشاعر لا يكتفي بما فعل غيره من مهاجمة الشيعة، ولكنه هاجم جميع المتكلمين، ووصفهم بأنهم أهل بدع، وهو يعتبر التمسك بالسنة هو طريق الهدى والصّلاح، وهي غاية ما يمكن للمرء أن يحوزه من سلامة العقيدة وصحة الايمان.

وقد كان من آثار الشيعة في موضوعات الشعر أن كثر حديث الشعراء عن الشيعة، وتعاطف معهم بعض الشعراء في أشعارهم، ووازن بعضهم بين الشيعة والسنة ولم يتمصّبوا لإحدى الطائفتين، ومن ذلك قول المعري:

وَلِكُلِّ مَا أَصْبَحَتْ تُدْرِكُ حِسَّهٗ ضِدُّهُ، وَكِبْرَةٌ مَن تَرَى كَصَفَارِ
شَيْعٍ أَجَلَّتْ يَوْمَ خُتْمٍ وَأَنْتَنَّتْ أُخْرَى تُعَارِضُهَا بِهَيِّومِ الْغَارِ (١)

ويبين المعري أن بعض المؤهين ادعى أن في البيت الثاني استخفافا بالشيعة وغيرهم، ويذكر المعري أن الأمر ليس كذلك، فالبيت مقصور على ذكر اختلاف العالمين لا غير، فهو توضيح للبيت الأول. ثم يقول: "ومن الذي جهل أن العشيرة تجل يوم ختم وأن غيرهم قد عارضهم بعيد سماء عيد الغار، وليس في هذا الكلام إزراء بأحدى الطائفتين" (٢).

وظهر في أشعار الشعراء حب الشيعة والعطف عليهم في أحيان كثيرة، وتجلى ذلك في ذكر بعضهم، كما فعل ابن الهبارية في قوله في قصة الناسك واللص الفاتك على لسان اللص الفاتك:

إِتَى أَسِيرًا لَا أَرَى نَصِيرًا وَذُو الْعُلَا لَا يَقْتُلُ الْأَسِيرًا
شَرُّ خِلَالِ الْعُرِّ قَتْلُ الْأَسْرَى أَوْلُ مَقْتُولٍ يُقَالُ صَبْرًا
جِجْرٌ وَجِجْرٌ صَاحِبُ النَّبِيِّ وَكَانَ فِي الْأَحْوَالِ مَعَ عَلِيٍّ (٣)

فهو هنا متأثر بالشيعة فيشير إلى قصة الصحابي الجليل جبر بن عدي بن الأدهر الكندي، فقد كان مع عليّ كرم الله وجهه يوم صفين ويوم النهروان، وعند ما ولى

(١) لزوم ما لا يلزم: ج ١، ص ٤٢٢.

(٢) زجر النابح (مقتطفات): ص ١٢٥.

(٣) ديوان الصادق والهاشمي: ص ٢٩.

مَعَاوِيَةُ زِيَادُ الْعِرَاقِ وَأَظْهَرَ الْغِلْظَةَ وَسُوءَ السَّيْرِ خَلَعَهُ حَجْرٌ وَلَمْ يَخْلَعْ مَعَاوِيَةَ
وَتَبِعَهُ كَثِيرُونَ، وَقَدْ حَصَبَ حَجْرٌ وَأَصْحَابَهُ زِيَادًا بِالْحِجَارَةِ وَهُوَ عَلَى الْعَنْبَرِ يَخْطُبُ لِتَأْخِيرِهِ
الصَّلَاةَ فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى مَعَاوِيَةَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ بِهِ إِلَيْهِ فَبَعَثَ بِهِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا
كُلُّهُمْ فِي الْحَدِيدِ، فَقَتَلَ مَعَاوِيَةَ مِنْهُمْ سِتَّةً وَاسْتَبَقَى سِتَّةً، وَكَانَ حَجْرٌ مِّنْ قَتِيلٍ،
وَقَدْ قَتَلُوا بَعْرَجَ عَذْرَاءَ فِي نَوَاحِي دَيْشَقِ (١). وَهَذَا يَذْكُرُ ابْنَ الْهَبَارَةِ مَا ارْتَكَبَهُ
مَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ عَمَلٍ شَنِيعٍ يَقْتُلُهُ الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وقد كان للشَّيْخَةِ وَمَا تَعَرَّضُوا لَهُ مِنَ الْيَمِينِ وَالنَّكَبَاتِ أَثَرٌ فِي إِيَّاهِ مَشَاعِرَ بَعْضِ
الشُّعْرَاءِ فَقَالُوا الْأَشْعَارُ الَّتِي يُعَبَّرُونَ فِيهَا عَنْ حَبِيبِ آلِ الْهَبِيتِ وَمَشَارِكْتِهِمْ إِيَّاهُمْ
أَحْزَانُهُمْ وَمَصَائِبُهُمْ، وَأَسَاهُمُ الْعَمِيقَ لِمَا حَاقَ بِهِمْ مِنْ حَيْفِ الزَّمَانِ وَعَسْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ
مَا يُرْوَى مِنْ أَنَّ ابْنَ الْهَبَارَةِ الشَّاعِرَ اجْتَازَ بِكَرْبَلَا ذَاتَ يَوْمٍ فَجَعَلَ يَمْكِي عَلَى الْحُسَيْنِ
وَأَهْلِهِ وَأَنْشَدَ شِعْرًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ:

أَحْسِنِ الْعَبْرُوثُ جَدَّكَ بِالْهُدَى قَسَمًا يَكُونُ الْحَقُّ عَنْهُ مَسَائِلِي
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَ كَرْبَلَا لَهَذَلْتُ فِي سِي تَنْفِيهِ كَرْبَلَا جَهْدًا بَدَلِ الْبَازِلِ (٢)

ثم نام في مكانه، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: "جزاك
الله خيرا، أبشر، فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي أئمة الحسين" (٣).

وقد عمد بعض الشعراء إلى استلهاهم بعض الحوادث التاريخية الشيعية،
فاستحضروها في بعض العواطف، ومن ذلك ما يروى من أنه كانت بين عسكر سيف الدولة
وعسكر مضر حربٌ بصفتين، فقال أبو الطيب المتنبي:

يَاسِيفَ دَوْلَةَ ذِي الْجَلَالِ وَمَنْ بِهِ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ وَالْأَنَامِ سِمِيسِي
انظُرْ إِلَى صِفَتَيْنِ حِينَ أَتَيْتَهُمَا فَانجَابَ عَنْهَا الْعَسْكَرُ الْمِصْرِيُّ
فَكَانَتْ جَيْشُ ابْنِ هَنْدِرِ عَسْنَهُ حَتَّى كَانَتْ مَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ (٤)

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١، ص ٣٢٩.

(٢) بناهع العودة: ج ٢، ص ٣٩٩.

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما.

(٤) نسمة السحر: ج ١، ص ٢٨، والأهبات لمست مثبته في ديوان المتنبي.

وقد بلغ من تأثير الشيعة في الشعر العبّاسي أن لجأ الشعراء إلى رثائهم فرثوا الحسن بن عليّ، ومن ذلك ما يروى من أنّ أحد معاصري المعري واسمه رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز الحنبلي قال : "اجتمعت بطرد المعرة - يعني أبا العلاء المعري - فقال لي : سمعت في مرثي الحسون بن عليّ رضي الله عنهما مرثية تكتب ؟ فقلت : قد قال بعض فلاحنا بلارنا أهبانا تعجز عنها شيوخ تنوخ ، فقال ما هي ؟ قلت قوله :

رَأْسُ ابْنِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيْبِهِ
وَالْمُسْلِمُونَ يَمَنْظُرُونَ وَيَسْتَمِعُونَ
أَبْقَطْتَ أَجْفَانَنَا وَكُنْتَ أَنْتَهَا
مَا رَوْضَةٌ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنْبَهَا
لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى قَنَاءِ يُرْفَعُ
لَا جَارِعُ فِيهِمْ وَلَا مُسْتَرْجِعُ
وَأَنْعَتْ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهْجَعُ
لَكَ تَرْبَةٌ وَيَخُطُّ قُرْبَكَ مَوْضِعُ

فقال المعري : ما سمعت أرق من هذه (١) . والبيت الأخير يذكرنا بقول أبي تمام في الرثاء :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ
ويقول أبو العلاء المعري :

وَعَلَى الدَّهْرِ مِنْ رِمَاءِ الشَّهِيدِ
فَهَمَا فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ فَجَسْرًا
ثَبَاتًا فِي قِمِيهِ لِيَجِيءَ الْـ
وَجَمَالَ الْأَوَانِ عَقْبُ جُدُودِ
يَا ابْنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّغُوفِ بِبَدْرِ
أَحَدِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ الْأَعْبُ
وَالشُّغُوفِ الَّتِي حُلِقْنَ ضِيَاءًا
قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَاوَاتُ أَوْ تُنْوَى
مِنْ عَلِيٍّ وَنَجَلِهِ شَاهِدَانِ
نِ وَفِي أَوْلِيَاتِهِ شَفَقَانِ
حَشَوُ مُسْتَعْدِيهَا إِلَى الرَّحْمَنِ
كُلُّ جَدٍّ مِنْهُمْ جَمَالُ أَوْ انِ
وَمُبِيدِ الْجُمُوعِ مِنْ فَطْفَانِ
رَاضٍ فِي كُلِّ مَنْطِقٍ وَالْمَعَانِي
قَبْلَ خَلْقِ الرِّيحِ وَالْمِيزَانِ
مُرُ أَفْلَاكُهُنَّ بِالْبَدْوَرَانِ (٣)

(١) تمام المتون : ص ٢٠٨ .

(٢) ديوان أبي تمام : ج ٤ ، ص ٨٤ .

(٣) شرح التنوير على سقط الزند : ج ١ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

فالشاعر هنا يرثي آل عليّ، ويشيد بفضلهم، ويبلغ من استغظائه استشهاد عليّ
وابنه الحسين أن ذكر أنه يلوح على وجه الدهر شاهدان يدلّان على استشهادهما
ظُلماً وَعَدواناً، وهما الفجران الكاذب والصادق في أواخر الليل ويغني بذلك الحمرة
التي تُرى وَجْهَ الصُّبْحِ، وفي أوائل الليل شفقان هما الحُمرةُ والصُّفرةُ التي تبقى فسي
الأفق بعد غروب الشَّمْسِ، فالحمرة التي تهدو أول الليل وآخره من آثار ما أريق من
دمائهما، تبقى آخر الدهر تلوح للاستعداد، وقد بقي الدم ثابتاً في قميص الدهر كي
بأتي يوم القيامة مستعداً طالِباً من الله أن يُنصِفَهُ من الخصوم ويذكر أن أولاد عليّ
هم جمال الزمان والمقصودون بالذكر والثناء في كل لفظٍ ومعنى هم الرسول الكريم
وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، ويشير إلى أن أرواحهم
قد سبقت في الوجود، فقد خَلِقُوا أنواراً قبل أن تُخْلَقَ الكواكبُ والبروج، فهي قبل
الأجساد، وكانت هذه الجواهر الروحانية مخلوقة موجودة قبل خلق أجرام السماء .
ويشير في أبيات أخرى إلى أن لشيء يستطيع أن يعترض طريقه هو لاء الخمسة
ولا يستطيع مخالفتهم ومعاداتهم (١).

وفي هذه الأبيات السابقة للمعري نجد لوناً جديداً أخذت يملأ أنفسنا
بأحاسيس كثيرة، ويترك فيها أثراً بعيداً يملك علينا الفكرَ والمشاعر، وتبدو لنا في هذه
الأبيات عقيدة المعري بالأئمة من أهل البيت، فقد امتدت جذورها في نفسه وأثرت
فيها أثراً عميقاً، حتى اتخذ منهم أمثلة تسمو على جميع ما في الأرض. ويلاحظ أن إيمان
المعري بهم قد اتسع حتى لقد انتزع منهم أشخاصاً تحيط بهم حالات من نور، فسبقوا
جميع الكائنات في الوجود قبل أن تُخْلَقَ السماءُ وأفلاكها وكواكبها، وقيل أن تخضع
لنظامها . وكما لاحظنا فقد اتضح تأثر المعري بالشيعة حين ينظر نظرة أخرى يستعظم
منها استشهاد علي وابنه الحسين، فيمثل الدهر قد اصطبغ بالحمرة عند طلوع الشمس
وعند غروبها حُزناً عليهما (٢).

(١) انظر: شرح التنوير على سقط الزند : ج ١، ص ١٢٨ .

(٢) الأرب في ظل التشيع : ص ١١١ .

وقد صور الشعراء العباسيون حُزنَ فاطمة الزهراء على ابنها الحسين يوم القيامة
واستخذوا ذلك في أشعارهم، حتى في غزليهم، ومن ذلك ما يقوله الواواء الدمشقي
متغزلاً :

مَا شَمَسَ حُسَيْنٍ أَشْرَقَتْ مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ مِنْ لَجَمٍ مِنْ
أَنْظُرُ إِلَى الْبَدْرِ الْغُنِيهِ فِي إِذَا بَدَأَ فِي الْفَرْقَدَيْنِ
وَلَيْهِ عَلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ وَلَهُ "الْبَتُولِ" عَلَى الْحُسَيْنِ (١)

فالشاعر يتغزل فيذكر أن حُزنه على القمر وشوقه وحُنينه إليه أشد من حُزن
الزهراء على ابنها الحسين وشوقها إليه.

وكان من تأثير الشيعة في موضوعات الشعر العباسي أيضاً أن كثر مدح الشعراء
لآل البيت كثرة عظيمة، واشترك في هذا المدح شعراء شيعيون وسُنِّيون، وكان لمدح
آل البيت الكرام أثر كبير في ظهور المدائح النبوية، والاستغناء بالرسول عليه
الصلوة والسلام، وقد رفع هذا المدح شعراء كثيرين إلى نظم القصائد في مدح
أبي بكر وعمر وعثمان (٢)، يروي الباخري أنه كتب إلى الشيخ أبي بكر الإسفراييني :

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي الْعَهْدِ مُؤَنِّسِي إِذَا غَارِبِي خَوْفَ الْمُعَارِبِينَ فِي الْغَارِ
عَرَضْتُ عَلَيْهِ دِينَ وَدَيْ فَمَا نَسَأَى وَلَمْ يَتَلَمَّحْ مِنْ جُحُوبٍ وَإِنْ كَسَارِ
وَلَمْ تَكْ مِثِّي بَعْدَ الْوَدِّ فَلْتَنَّةً فَمَزَعَمَ أَنَّ الْأَمْرَ مُتَّفَقٌ طَّارِ
لِذَلِكَ لَمْ أَمْنَعُهُ مِنْ خَالِصِ الْهَوَى عَقَالاً وَإِخْلَاصِ الْهَوَى رَسْمِي الْجَارِ
وَبَابِعِ يُرْوَى قَبْلَ هَذَا مَدَاهِنَاً عَلَيَّ أَبَا بَكْرٍ وَرَأْوِيهِ فِي النَّارِ
وَقَدْ صُنْتُ عَنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ بِمَعْتَصِي فِي النَّصِيحِ إِعْلَانِي مُوَافِقُ إِشْرَارِي
فكتب إليه الإسفراييني :

سَمَا عَلَيَّ فِي سَمَاءِ الْعُمَلَا وَغَيْرُهُ مُلْتَصِقٌ بِالرَّغَامِ
أَنَا أَبُو بَكْرٍ سِوَى أَنْتِيسِي مُعْتَقِدٌ أَنَّ عَلَيْهَا إِمَامُ (٣)

(١) ديوان الواواء الدمشقي : ص ٢٣٨ .

(٢) أثر التشيع في الأرب العربي : ص ٩٠ .

(٣) تمام المتون : ص ١٨٤ .

وهذا إشارة إلى ما ورد عند عمر بن الخطاب من قوله من إحدى خطبه " ... وقد بلغني أنّ قائلًا يقول : لو مات عمر بايعت فلاناً ، فلا يفترون امرؤ منكم أن يقول : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، وإنه كان من خيرنا" (١) . وقد كان هذا من أثر الشيعة إذ إنهم عبروا عن بيعة الفلتة ككبيراً في أفعالهم ، ومثال ذلك ما روي من أنه كان هناك رجل يُتهم بالتشيع ولم يظهر ذلك منه للناس إلا في هجاء امرأته ، فقد طلقها وقال في ذلك :

ما كنت من شكلي ولا كنت من
تذكرك باطالقة البتة
غلظت في أمرك أغلوطنة
فأذركتني بيعة الفلتة (٢)

وقال الطغرائي في آل البيت :-

حب اليهود لآل موسى طاهي
ولاؤهم لبني أخيه بيادي
وأرى النصارى بكرمون محبسة
لنبيهم نخراً من الأعواد
وتعسكوا بولاء شمعون الصفا
فصفت قلوبهم من الأحقاد
وإذا تولى آل أحمد مسلم
قتلوه أو سموه بالاحقاد
هذا هو الداء العياض يعثليه
صلت حلوم حواضر وبيادي
لم يحفظوا حق النبي محمدي
في آله والله بالمرصاد (٣)

فالطغرائي متأثر بالشيعة إلى حد كبير ، فهو يعجب من حال المسلمين ، فهم يقتلون من يحب آل الرسول الكريم ، ويصفونته بأنه كافر ملحد ، فهم لم يحفظوا حق رسول الله وإنما ضيعوه يقدم رعايتهم آله ، أما الأمم الأخرى مثل اليهود والنصارى فهم يجلبون أنبياءهم ويعظمونهم ، ويرعون حقوق ذويهم .

وللطغرائي أبيات أخرى يذكر فيها أنه لن يصفي إلى من يلومونه بسبب حبه آل الرسول الكريم ، فحبه إياهم هو طريق نجاته يوم القيامة (٤) .

(١) تمام العتون : ص ١٧٩

(٢) المصدر نفسه : ص ١٨٣ .

(٣) ديوان الطغرائي : ص ١٣٧ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ١٩٣ - ١٩٤ .

وقد ظهر أثر التشيع لدى بعض الشعراء في معرض حديثه عن الدنيا ومصائبها ،
فها هو المعري يذكر أن مصائب الدنيا دفعات أثر دفعات ، ولذا فهو يدعو علياً كرم
الله وجهه إلى عدم الاهتمام بها ، فيقول :

وهي الدنيا إذاها أبداً زمر واردة إثر زمر
يا أبا السبطين لا تحفل بها أعتيق ساد فيها أم عمر (١)

وكان من أثر التشيع في موضوعات الشعراء العباسيين وأفكارهم أن أوجد رد فعل
عنيف لدى هؤلاء الشعراء ، فقد أدى مدح الشعراء الشيعة لآل البيت إلى أن اتجه عدد
كبير من الشعراء العباسيين إلى مدح الخلفاء العباسيين ، وبني العباس بصورة عامة ،
فأعلوا من شأنهم وأعادوا بعائدهم ، ومن ذلك ما قاله صرصر (٢) في مدح الخليفة
القائم بأمر الله ، يقول :

من الخلفاء الراعين بنا هم بأطول أعمار وأثبت آساس
رعت ذمم الإسلام منهم كوالقي وسيت أمور الملك منهم يسواس
نجوم إذا السارون ظلوا هدتهم هداية نيران رفيعن بقر ناس (٣)
قد أحهم يوم الغفار فوائهم وأشههم إن نازلوا غير أنكاس (٤)
هم ملؤوا الدنيا بطيب حديثهم كما ملأ الدنيا بقعقاع أحراس
كرهبان ليك لألائم مضجعاً وأسد صياح ما تقر يا خيساس (٥)
وما منهم من ملك البيض قلبه

- (١) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٤٣٢ .
(٢) علي بن الحسن بن علي بن الفضل الرئيس أبو منصور الكاتب ، المعروف بصردر ،
كان أحد نجباء الشعراء في عصره ، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، وتوفى
سنة ٤٦٥ هـ . (النجوم الزاهرة : ج ٥ ، ص ٩٤) .
(٣) القرناس والقرناس بكسر القاف شبيه الانف يتقدم في الجبل (انظر : لسان
العرب ، مادة قرنس) .
(٤) الأنكاس : جمع النكس من السهام ، وهو أضعفها . (انظر : المصدر نفسه ، مادة
نكس) .
(٥) أخياس ، جمع خيس ، وهو موضع الأسد . (انظر : المصدر نفسه ، مادة خيس) .

عَتَا نُهُمُ فِي حَجِّهِمْ وَجَهًا بِهِمُ
أُولَئِكَ آبَاءُ الْإِمَامِ وَرَهْطُهُ
(١) جَرَّاجِرُ أَجْمَالٍ وَتَصْهَالُ أَفْرَاسٍ
(٢) أَصُولُ كِرَامٍ زَيَّنَتْ خَيْرَ أَغْرَاسٍ

ويقول من قصيدة أخرى :-

هَيْهَاتَ لَيْسَ بَنُو الْعَبَّاسِ ظَلَمُوا
حَمَى حَقِيقَتَهُمْ مَرُّ مَا قَنَسُوا
عَنْ سَاحَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِمُنْتَقِلِ
مُوسِدِ الرَّأْيِ بَيْنَ الرِّيثِ وَالْعَجَلِ (٣)

وكان من آثار التبعية في الشعر العباسي أن مبادئ الشيعة وآراءهم وأصولهم انعكست في شعر الشعراء العباسيين ، فقد تحدث الشعراء عنها وتأثروا بها تأثراً إيجابياً كما تأثروا بها سلبياً في بعض الأحيان .

ومن مبادئ الشيعة التي انعكست في الشعر العباسي التوحيد ، فقد تحدث الشعراء عن هذا المبدأ بمسائله المختلفة التي تفرعت عنه ، ومن هذه المسائل مسألة قدم الله سبحانه وتعالى ، وأكثر ما نجد ذلك لدى أبي العلاء المعري ، ولعل ذلك يعود إلى أنه كان يعيش في الشام التي كانت موطن دولة الحمدانيين الشيعة ، ودولة بني مرداس بعدها وكذلك فقد تأثر المعري بحضوره مجالس الشريف المرتضى في بغداد ، فتشرب المعري آراء الشيعة ، وعبر عنها في شعره ، يقول :

لَنَا خَالِقُ لَيْمَتَرِي الْعَقْلُ أَتَى
قَدِيمٌ فَمَا هَذَا الْحَدِيثُ الْمَوْلَدُ (٤)

ويقول :

لَا تَكْذِبَنَّ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَا تَقُلْ
قَالَ اللَّهُ فَرْدًا قَائِرًا مِنْ قَبْلِ أَنْ
كَذِبًا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ تَكْتَبُهَا
تُدْعَى لَادِمَ صُورَةٍ أَوْ تُحَسِّبَا (٥)

فالمعري في هذه الأبيات مؤمن بوحدانية الله عز وجل ، وبأنه سبحانه قديم قبل جميع المخلوقات وبذلك فالمعري يوافق الشيعة في القول بقديم الله وحْدوث ماسواه ، وذلك للتدليل على وحدانية الله وعدم مشاركة شيء له في الألوهية ، فالعالم بكل

(١) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته . (انظر : لسان العرب : مادة جرجر) .

(٢) ديوان صردر : ص ٥

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥

(٤) لزوم ماليلزم : ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٠٣ .

ما فيه مُخَدَّتٌ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، يقول المعرِّي :

وَلَيْسَ اعْتِقَارِي خُلُودَ النُّجُومِ وَلَا مَنَهَبِي قِدَمَ الْعَالَمِ (١)

وقد عبّر المعرّي عن رأي الشيعة في توحيد الله عز وجل من زاوية أخرى ، وهي نفي الجسمة عن الله تعالى ، فهو ليس جسماً ، ولذا كان من غير الممكن تحديده بزمان ولا مكان . يقول المعرّي ذاماً المجسمة :

مَلُّوا عَنِ الرَّشْدِ مِنْهُمْ جَاحِدٌ جَبِيدٌ أَوْ مِنْ يَحْدُ وَهَلْ لِلَّهِ تَحْدِيدُ (٢)

فهو يذم القائلين إن الله تعالى محدود بزمان ومكان ، ويصفهم بالضلال والانحراف عن جادة الصواب والهدى . ولم يقتصر المعرّي على هذا وإنما عبّر عن رأي الشيعة في توحيد الله عز وجل والقائل إنّه لا يمكن تحديد الله تعالى بالأفكاره ، ولا تصوره بالعقول والأوهام ، وذلك للنأي بالله تعالى عن التشبيه والتجسيم ، فلا يشبه شيئاً من مخلوقاته ، يقول :

وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا يَدْتُو الْقِيَاسُ لَهُ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ كَانَ أَوْ صَارَا (٣)

وقد عبّر المعرّي عن مسألة تنزيه الله تعالى عن القبيح والنظير بصورة أكثر وضوحاً يقول :

لَنَا رَبٌّ وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَيَسِيرُ أَمْرُهُ جَبَلًا وَيَسِيرُ (٤)

فهو يقرر أنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً من مخلوقاته .

ويقول ابن الهبارية في شرح السلطنة وجلاليتها :

وَحُطَّتْ السُّلْطَانِ	شَرِيفَةُ الْمَعَانِي
قَدْ ذَمَّهَا أَقْسَامُ	لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَامُ
وَأَنَّهَا مَحْمُودَةٌ	مَخْطُوبَةٌ مَوْدُودَةٌ
إِذْ هِيَ ظِلُّ اللَّهِ	جَلَّ عَنِ الْأَشْبَاهِ (٥)

- (١) لزوم ما لا يلزم : ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
- (٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٤٢ .
- (٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٦٣ .
- (٤) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٤٣ .
- (٥) ديوان الصادح والباغم : ص ١١٠ .

فالشاعر في هذه الأبيات متأثر بما يراه الشيعة من أن الله تعالى ليس له شبيه ولا نظير .

وقد تَرَبَّتْ فكرة تنزيه اللّٰه تعالى عن مشابهة مخلوقاته - وهي إحدى مسائل التّوحيّد - إلى شعر المديح ، فعَبَّرَ الشعراءُ عنها بصورة غير مباشرة ، ومن ذلك ما يقوله الشّاعر أبو بشر الجرجاني^(١) في مدح الأمير قابوس بن وشمكير^(٢) ، وهو قوله :

سَنَةٌ أَقْبَلَتْ مَعَ الْإِقْبَالِ وَزَمَانٌ مِنَ الْمَيَامِنِ حَالِي
حَسْبِي اللَّهُ فِي الْأُمُورِ نَصِيرًا ثُمَّ حَسْبِي الْأَمِيرُ شِعْمُ الْمَعَالِي
مَا رَأَيْنَا لَهُ مِثَالًا ، وَهَذَا لَقَبٌ مِثْلُهُ قَعِيدُ الْمَنَالِ^(٣)

يبدو في الأبيات أن الشّاعر يستوحى فكرة الشيعة في توحيد الله القائمة على تنزيهه عن الشبيه والمثيل ، فيعبّر عنها في مديحه لشعر المعالي ، فيذكر أنّه متفرّد بين الناس لامثيل له منهم .

وقد تحدّث بعضُ الشعراءِ العبّاسيّين عن توحيد الله تعالى بمعنى العام ، دون التعمّق في المسائل التي أوردها الشيعة ، ومن هؤلاء الطّغرائيّ ، يقول :

قَدْ كَانَ حَظِّي فِي الْكِتَابَةِ نَاقِصًا أَيَّامَ حَظِّي فِي الشَّيْبَةِ وَافِرُ
حَتَّى إِذَا خَدَمَ الْبِرَاعَةَ خَاطِرِي قَعَدَ الْجُدُودُ بِهَا وَهَنَّ عَوَانِيرُ
هَذَا لِيَمْنَعَنَّ الْكَمَالَ وَيَعْلَمَ الْـ جِهَالُ أَنَّ اللَّهَ قَرْدٌ قَائِرُ^(٤)

(١) الفضل بن محمد الجرجاني ، أبو بشر ، كان شاعراً مجيداً حريصاً على اقتناء الكتب فصيح القلم ، له أشعار يخاطب بها الطّاحب بن عبّاد ، تولّى القضاء لقابوس بن وشمكير ، وقد ذكره ابن المرتضى في الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة ، لذا يرجّح أنّه توفّي في بداية القرن الخامس الهجري . (أنظر : يتيمة الدهر : ج ٤ ، ص ٤٢ - ٤٨ ، ودمية القصر : ج ٢ ، ص ٥ - ٦ ، وطبقات المعتزلة : ص ١١٨ ، وتعام المتون : ص ١١٠) .

(٢) قابوس بن وشمكير بن زياد بن ورد انشاء الجبليّ ، كان أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان ، وكان من محاسن الدّنيا ، ولكنّه كان قليل العفو عند الغضب ، وقد قُتِلَ سنة ٤٠٣ هـ . (أنظر : وفيات الأعيان : ج ٤ ، ص ٢٩ - ٨٢) .

(٣) يتيمة الدهر : ج ٤ ، ص ٤٢ - ٤٨ .

(٤) ديوان الطّغرائيّ : ص ١٩٢ - ١٩٣ .

وقد وجد مبدأ التوحيد لدى الشيعة طريقة إلى شعر بعض الشعراء العباسيين، حيث أخذوا يهاجمون بعض الذين لا يتفقون مع الشيعة في هذا المبدأ، فهجوا أعداءهم بأنهم زهريون لا يؤمنون بوحداية الله تعالى، وبأنهم يؤمنون بقدّم العالم والمخلوقات، وبذلك يشركون المخلوقات مع الله تعالى في القدّم، وهذا يؤدي إلى تعدّد القدماء، ومن ذلك ما يقوله المتنبي في هجاء كافور الإخشيدي:

أَلَا هَتَّى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْعَمَا تَزُولُ سُكُوكُ النَّاسِ وَالْتِهَامُ
فَأِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّمْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقِدَمُ (١)

وقد تحدّث الشعراء العباسيون عن مبدأ آخر من مبادئ الشيعة هو مبدأ العدل الإلهي بمسائله المختلفة التي فرّعها الشيعة عنه، وعلى رأس هذه المسائل مسألة الجبر والاختيار أو حرّية الإرادة الإنسانيّة، وهل الإنسان مسير في أعماله فمجبر عليها أم مخير فيها يستطيع أن يفعلها بمحض إرادته، وقد تردّد صدق هذه المسألة كثيرًا لدى الشعراء العباسيين، ومن ذلك ما نجده لدى الشاعر ابن الهبّاريّة، فهو يقول:

وَالْمَرَّةُ لِلْأَفْعَالِ مُسْتَطِيعٌ مَحْكَمٌ يَحْفَظُ أَوْ يُضِيغُ
وَذَلِكَ الْعَدْلُ بِإِلَاحِ لَوْ وَقَفَ الرَّجَالُ لِلْإِنصَافِ (٢)

فالشاعر هنا يتفق مع الشيعة في أنّ المرّة مستطيع في أفعاله، يفعلها بمحض إرادته، وليس مجبراً عليها، وهذا هو منطق العدل، إذ لا يعقل أن يسلبه الله تعالى القدرة على الأفعال أو أن يضع الموانع في طريقه ثم يحاسبه على التقصير فيها.

ويعبر أبو العلاء المعري عن هذه المسألة، فيرى أنّه لا يعقل أن يجبر الله تعالى المرّة على الأفعال ثم يحاسبه عليها لأنّ هذا هو الظلم بعينه، يقول:

إِنْ كَانَ مَنْ فَعَلَ الْكَبَائِرَ مُجْبَرًا فَعِقَابُهُ ظُلْمٌ عَلَيَّ مَا يَفْعَلُ (٣)

ويقول:

فَمَا أَذْنَبَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَ لَائِمٌ وَلَكِنْ بَنُو حَوَاءَ جَارُوا وَأَذْنَبُوا (٤)

(١) ديوان المتنبي: ج ٤، ص ١٥١.

(٢) ديوان الصادح والبياعم: ص ١٢.

(٣) لزوم ما لا يلزم: ج ٢، ص ١٨٧.

(٤) المصدر نفسه: ج ١، ص ٧٠.

ويقول :

- (١) وَاللَّوْمُ يَلْحَقُنِي وَأَهْلَ نِحَاسِي
(٢) فَعَنَ الْمَلُومُ أَعَاصِرُ أُمَّ حَاسِي

لَا ذَنْبَ لِلدُّنْيَا فَكَيْفَ نَلُومُهَا
عَنْبٌ وَخَفَرٌ فِي الْإِنَاءِ وَشَارِبٌ

وَيَقُولُ

- (٣) وَإِنَّمَا جَلِيسٌ فِي الْحَيَاةِ مَنَافِقُ

تَخَيَّرَ فَإِنَّمَا وَحْدَةٌ مِثْلُ مَيْتَةٍ

وقد تأثر بعض الشعراء بالشيعة تأثراً سلبياً ، فاتخذوا موقفاً مناقضاً للشيعة ، فقالوا إنَّ الإنسان ليس حراً في أفعاله ، وإنما هو مجبر عليها ، فلا إرادة له ، وإنما عليه أن يفعل ما هو مجبر على فعله ، ومن ذلك ما يقوله أبو علي بن الشيبان البغدادي^(٤) متحدثاً عن الإنسان :

- وَمَكَلَفٌ وَكَأَنَّهُ مَخْتَارٌ
(٥) خَطَأً تُحِيلُ صَوَابَهُ الْأَقْدَارُ

مُتَصَرِّفٌ وَلَهُ الْقَضَاءُ مُصَمَّرٌ
طَوْرًا تُصَوِّبُهُ الْخُطُوبُ وَتَسَارَةٌ

وَيَقُولُ أَيْضًا :

- وَبَعْدُ فَلِلْوَعِيدِ لَنَا انْتِظَارٌ
(٦) خُرُوجَ الضَّبِّ أَخْرَجَهُ الْوَجَارُ
لِيَغْبِرَ الْمُوجِدِينَ بِهِ الْخَبَارُ
نُخَيْرُ قَبْلَهُ أَوْ نُسْتَشَارُ
(٧) وَهَذَا الْكُفْرُ لِيَمْرَلَهُ انْجِبَارُ

وَنُنْتَظِرُ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
وَنَخْرُجُ كَأَرْهِيْنَ كَمَا دَخَلْنَا
فَمَاذَا الْأَمْتِنَانُ عَلَيَّ وَجُودِي
وَكَانَ وَجُودُنَا خَيْرًا لَوْ أَنَّتَا
أَهَذَا الدَّاءِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

فالشاعر في هذه الأبيات مؤمن بأنَّ الإنسان مجبر في أفعاله ، وفي خلقه وجوده .
ويقول الطغرائي في رثاء جارية له :

(١) لزوم ما لا يلزم : ج ٢ ، ص ٥٠ ، والنحاس : أصل الشيء . (أنظر : القاموس المحيط ، مادة النحس) .

(٢) لزوم ما لا يلزم : ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ١٢١ .

(٤) الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن شبل ، أبو علي البغدادي ، ولد ببغداد ونشأ بها ، وكان متميزاً بالحكمة والفلسفة عالماً بالطب ، وكان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، وتوفي ببغداد سنة ٤٧٤ هـ . (أنظر : معجم الأدباء : ج ١٠ ، ص ٢٣) .

(٥) فوات الوفيات : ج ٣ ، ص ٣٤٢ .

(٦) الوجار - بالكسر والفتح - جمر الصبغ وغيرها . (أنظر : القاموس المحيط ، مادة الوجور) .

(٧) - معجم الأدباء : ج ١٠ ، ص ٢٨ .

وَأَبْنَتْهَا عَنِّي بِرَغْبِي مُجْتَبِرًا
مَنْ بَعْدَ يَوْمِكَ لَوْ خُلِقْتُ مُخَيَّرًا (١)

أَفْدِي النَّبِيَّ اسْتَوْدَعْتُهَا بَطْنَ الشَّرِيِّ
تَا لَلَّهِ مَا اخْتَرْتُ التَّوَقُّفَ سَاعَةً

ويقول :

فِيهِ نَجُومٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ
فَسَوْفَ يَأْتِي بِمَا لَا تَأْمَلُ الْقَسْدُ
مَا شَاءَ لِأَحْيَلَةٍ تُغْنِي وَلَا حَذْرُ (٢)

تَفَرَّدَ اللَّهُ بِالتَّقْدِيرِ مَا اشْتَرَكْتَ
فَكُلِّ إِلَى اللَّهِ مَا أَعْيَاكَ مَطْلَبُهُ
فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مِنْهُ جَارِيَانِ عَلَيَّ

ويقول :

خُلِقْتُ عَلَيَّ مَا فِيَّ غَيْرَ مُخْتَبِرٍ
وَلَا بَالِغًا بِالْكَدِّ مَا لَمْ يُقَدِّرْ (٣)

وَرَهْدَنِي بِالْكَدِّ عَلَيَّ أَنْتَنِي
فَلَسْتُ مُضِيئًا يَا لِهَوْبَتِي مُقَدِّرًا

فالطغرائي في الأبيات السابقة مؤمن بالجبر ، فهو يصرح بأنه غير مختبر في أفعاله وأعماله ، ولا يمكن للإنسان مهما سعى أن يغير شيئاً مما قضاه الله ، فالإنسان مسير في كل أموره ، حتى فراق الأحبّة ، فالطغرائي مجبر على ذلك ، ولا يستطيع دفعه ، يقول :

قَضَاءٌ مَا مَلَكَتْ لَهُ أَخْتِيَّارِي
لَأَيَّامٍ مَضِينَ بِهِ قِصَارِ (٤)

وَمَا فَارَقْتَهُمْ طَوْعًا وَلَكِيْنُ
هُمُومٌ قَدْ مُنِيتْ بِهَا طِيْوَالُ

ويقول أبو الحسن بن أبي الصقر الواسطي (٥) متحدثاً عن إرادة الإنسان :

فَمَا مِنَ الدِّينِ عِنْدَهُ خَسْبُ
إِلَّا عَلَيَّ مَا جَرَى بِهِ الْقَسْرُ (٦)

مَنْ عَارَضَ اللَّهَ فِي مَدِيْنَتِي
لَا يَقْدِرُ النَّاسُ بِاجْتِهَابِ يَمِيْنِ

فالشاعر يناقض الشيعة ، فيرى أنّ الإنسان ليست له في أفعاله أدنى حرّية ، وإنّما هو خاضع لِقضاء الله تعالى في ذلك .

(١) ديوان الطغرائي : ص ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٦٤ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٦٥ .

(٤) المصدر نفسه : ص ١٦٨ .

(٥) محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ، من أهالي واسط ، كان فقيهاً وتوفي سنة ٩٨ هـ .

(انظر : طبقات الشافعية الكبرى : ج ٣ ، ص ٨٥) .

(٦) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفاهما .

وَيَقُولُ أَبُو الْفَتْحِ الْعَسْكَلَانِيُّ: (١)

عَلِمِي بِعَاقِبَةِ الْأَيَّامِ بِكَفَيْسِي
وَلَا خِلَافَ بِأَنَّ النَّاسَ قَدْ خُلِقُوا
وَإِذَا يُنْفَقُ الْعُمْرُ فِي الدُّنْيَا مُجَازِفَةً
وَمَا قَضَى اللَّهُ لِي لِأَبْدٍ يَا تَيْسِي
فِيمَا يَرُومُونَ مَعْدُوسُ الْقَوَانِينِ
وَالْعَمَالُ يُنْفَقُ فِيهَا بِالْمَوَازِينِ (٢)

فالشاعر كما يبدو في الأبيات مؤمن بالجبر في الأعمال ، فليس للمرء حرية في ذلك ، ونلمح مثل هذه النظرة لدى أبي الطيب المتنبي ، فهو يقول في رثاء جدته من

قصيدة :

أَلَا أُرِي الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى
فَمَا بَطَشَهَا جَهْلًا وَلَا كَفَهَا حِلْمًا
يَعُودُ كَمَا أَبَدَى وَيُكْرِي (٣) كَمَا أَرَمِي (٤)

فنحن نحس منذ بداية القصيدة أَنَّ المتنبي يتوقف عن أن يعلن شكره أو ذمّه للأيام المسخرة التي لا تملك الإرادة والحرية حتى نحملها المسؤولية (٥) ، وكل فرد لا يدمن أن يعود إلى حاله الأول فينقص كما زاد ، ولذا لا ذنب للمصائب حين نذمها أو نمدحها .

وتحدث الشعراء العباسيون عن مسألة أخرى من مسائل العدل الإلهي ، وهي مسألة الأرزاق ، هل هي مقدرة للإنسان من الله تعالى ومحدودة لاتزيد بالطلب والسعي ولا تنقص بالتواني والكسل أم أنها غير مقدرة ، وقد اتخذ بعض الشعراء موقفاً مؤبداً للشيعة في هذا المجال ، فأروا أَنَّ الأرزاق غير مقدرة للإنسان ، ولذا فعلى المرء أن يسعى في سبيلها . يقول ابن أبي حصينة المعري .

يَا صَاحِبَ شَعْرٍ فِي اسْتِثْبَاقِ الْعُلَى
عَلَيْكَ أَنْ تَسْعَى لِشَيْءٍ وَمَا
وَأَنْهَضْ إِلَى الرَّزْقِ بِنَاقِي الْجَنَاحِ
عَلَيْكَ أَنْ تَضَعَنَّ عُقْبَى النَّجَاحِ (٦)

(١) أحمد بن مطرف ، كان أديبا فاضلا ، له ديوان شعر ومصنفات في اللغة والأدب ، ولد سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وتوفي سنة ٤١٣هـ . (انظر : بغية الوعاة : ج ١ ، ص ٣٩١) .

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .

(٣) بكري من أكرى أي نقص ، وهي من الأضداد فتكون بمعنى زاد أو بمعنى نقص . (انظر : لسان العرب ، مادة كرا) .

(٤) ديوان المتنبي : ج ٤ ، ص ٢٤٤ .

(٥) فن الشعر : ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٦) ديوان ابن أبي حصينة : ج ١ ، ص ٢٥٧ .

وَيَقُولُ الْمُتَنَبِّي :

أَأَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِنْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ (١)

فأبو الطَّيِّبِ يبيِّن في هذا البيت أَنَّ الْغِنَى وَالشَّرَفَ يُطْلَبَانِ بِالسَّيْفِ ، وَخَوْضِ الْمَعَارِكِ وَالْحُرُوبِ وَتَحْمَلِ الشَّدَائِدِ ، وَلَا يَتَحَقَّقَانِ لِلْمَرْءِ إِلَّا بِتَحْمَلِ الْمَهَامِعِ ، وَهَكَذَا نَجَسِدُ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ يَقِفُ إِلَى جَانِبِ الشُّبَيْعَةِ .

ونجد كثيرين من الشعراء تأثروا بالشُّبَيْعَةَ سلبياً في مسألة الأرزاق فرأوا أنها مقدرة محدودة لانزید بالطلب ولا تنقص بالتواني والكسل . ومن ذلك ما يقوله الشاعر محمد بن أحمد الأبيوردي : (٢)

تَكَادُ لَهَا مَفَارِقُنَا تَسِيْبُ	حُطُوبٌ لِلْقُلُوبِ بِهَا وَجِيْبُ
بِرَيْبِ ذَوِي الْعُقُولِ بَعَا بِرَيْبِ	نَرَى الْأَقْدَارَ جَارِيَةً بِأَمْرٍ
وَأَسْدُ الْغَابِ صَارِيَةً تَخِيْبُ	فَتَنْجُ فِي مَطَالِبِهَا كِيْسَابُ
فَمَا نَدْرِي أَتَخْطِي أَمْ تُصِيْبُ	وَتُنْقَسَمُ هَذِهِ الْأَرْزَاقُ فِينَا
وَكَيْفَ يَلْطِمُ الْإِثْقَى لِيَسِيْبُ (٣)	وَنَخْضَعُ رَاغِمِينَ لَهَا اضْطِرَاراً

فالشاعرُ مُؤْمِنٌ بِأَنَّ الْأَرْزَاقَ مَحْدُودَةٌ تُنْقَسَمُ بَيْنَ النَّاسِ فَتُصِيْبُ قَوْماً وَتَخْطِي آخَرِينَ ، وَهَنَّاكَ أُمُورٌ عَجِيْبَةٌ يَرَاهَا ، فَالْكَلَابُ قَدْ تَنْجُ فِي نَيْلِ مَا تَرِيدُ ، وَقَدْ تَخِيْبُ الْأَسْوَدُ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ يَرْمِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى نَقْدِ الْأَحْوَالِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِ .

وهناك شاعر آخر هو الطُّغْرَايِيُّ ، ناقض الشُّبَيْعَةَ فِي مَسْأَلَةِ الْأَرْزَاقِ ، يَقُولُ :

تَبِيًّا لِيَمَنْ يُعْسِي وَيُصِيْحُ لَاهِيًّا	وَمَرَامُهُ الْمَأْكُوكُ وَالْمَنْشُرُوكُ
أَوْ مَا يَرَى الْأَرْزَاقَ تَطْلُبُ غَايِلًا	وَتَصْدَعْنَ لَهْفَانَ وَهُوَ طَلُوبُ (٤)

فهو يرى أن الأرزاقَ مقدرة للإنسان لا يؤثر فيها سعيه في طلبها ولا تغافلُه عنها . ومن الذين تأثروا سلباً بالشُّبَيْعَةَ فِي مَسْأَلَةِ الْأَرْزَاقِ أَيْضاً أَبُو الْحَسَنِ الْفَارَسِيُّ

(١) ديوان المتنبّي : ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢) - محمد بن أحمد الأبيوردي ، أحد قراء أبيورد ، كان فاضلاً عالماً بالعربيّة وغيرها ، وتوفي بأصبهان سنة ٥٠٧هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ١٧ ، ص ص ٢٢٤-٢٢٥) .

(٣) المصدر نفسه : ج ١٧ ، ص ٢٥٨ .

(٤) ديوان الطُّغْرَايِيُّ : ص ٦٥ .

الصوفي^(١) ، وذلك في قوله :

إِذَا كُنْتُ فِي دَارِ بُهَيْنِكَ أَهْلَهَا وَلَمْ تَكُ مَحْبُوبًا بِهَا فَتَحَوَّلَ
وَأَيُّنَ بَأَنَّ الرَّزْقَ يَا تَيْكَ أَيْنَمَا تَكُونُ وَلَوْ فِي قَعْرِ بَيْتِ مُقْفَلٍ^(٢)

فالشاعر مؤمن بأن الأرزاق محدودة مقدره للإنسان ، ويبالغ في التدليل على ذلك ، فسعى المرء ليرى له فيها أدنى قيمة ، فالرزق يأتي المرء ولو كان عاجزاً ضعيفاً ملقى في قعر بيت مقفل . وفي هذا القول ما فيه من الدلالة العظيمة على إيمان الشاعر بأن الأرزاق محدودة مقدره . ويقول ابن السبل البغدادي في الأرزاق :

وَحَتَمَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فَبَيْنَا وَإِنْ ضَعُفَ الْبَاقِينَ مِنَ الْقُلُوبِ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ رِزْقاً بَعِيداً أَتَاهُ الرَّزْقُ مِنْ أَمَدٍ قَرِيبٍ^(٣)

فالأرزاق محدودة مقسومة بين الناس بقضاء الله تعالى . ومن الشعراء الذين ناقضوا الشيعة في مسألة الأرزاق أبو العلاء المعري فهو يرى أن الأرزاق محددة لاتزيد بالطلب ولانقص بالثواني ، ومن ذلك قوله :

هُوَ الرَّزْقُ يُجْرِيهِ الْمَلِيكُ وَلَنْ تَرَى أَمَا عَيْشَةٍ بِالْحَرَصِ يُطْعَمُ أَوْ يَسْقَى^(٤)

ويقول :

وَالرَّزْقُ يَأْتِي وَلَمْ تُبَسِّطْ إِلَيْهِ يَدِي سَيِّئَانِ فِي ذَاكَ إِذْ نَأَيْتُ وَإِقْصَائِي^(٥)

ونظراً لاعتقاد الشعراء وإيمانهم بأن الأرزاق محدودة مقدره ، وأن المرء لا بد من أن يدرك رزقه ، فقد دعا الشعراء المرء إلى الإنفاق والبذل وعدم الخوف من

-
- (١) - سهل بن محمد بن الحسن ، أبو الحسن الفارسي الصوفي ، سمع الكثير ، وحديث بالعراق ودمشق وصور ، ونهب إلى مصر وتوفي بها سنة ٤٤٤هـ ، وكان شاعراً ديبياً .
(أنظر : النجوم الزاهرة : ج ٥ ، ص ٥٣ .)
- (٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .
- (٣) دمية القصر : ج ١ ، ص ٣٣٤ .
- (٤) لزوم ماليلزم : ج ٢ ، ص ١٣٠ .
- (٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٥٦ .

حلول الفقر نتيجة ذلك ، ومن هؤلاء جحظة البرمكي^(١) ، يقول :

أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ إِقْلَالَ فَقَدْ قُيِّمَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ مَعَ الْأَجَالِ أَرْزَاقُ
لَا يَنْفَعُ الْبُخْلُ مَعَ دُنْيَا مُوَلِّيَيْهِ وَلَا يَضُرُّ مَعَ الْإِقْبَالِ إِنْفَاقُ^(٢)

ودعا بعض الشعراء المرءة إلى عدم السهر والكآبة والسعي إذا ما ضاق عليه الرزق ، لأن ذلك مقدر بإرادة الله ، فسرعان ما تتغير الأحوال ، وفي ذلك يقول الطغرائي :

لَا تَسْهَرَنَّ إِذَا مَا الرِّزْقُ ضَاقَ وَنَمَّ فِي سِي ظِلِّ عَيْنِي رَقِيقِي نَاعِمِ الْبِئَالِ
فَبَيْنَ غَفْوَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا يُقَلِّبُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(٣)

ومن مسائل العدل التي بحث فيها الشعراء العباسيون مسألة تكليف الله العبد ما لا يطاق ، فتأثروا بالتبعية ، فقالوا إن الله لا يكلف المرء ما لا يطيق ، واستقبحوا ذلك من الإنسان ، فكيف به إذا كان من الله ؟! ومن ذلك ما يقوله ابن الهبارية .

فَاجْتَمَعَ الْقَوْمَ عَلَى عِنَادِي وَعَذَرُهُمْ فِي ذَاكَ عِنْدِي بِنَادٍ
أَنَا الَّذِي خَصَّصْتُهُ بِيَسْرِي فَهُوَ لَيْمٌ النَّفْسِ غَيْرُ حُرِّ
فَأَنِّي ظَلَمْتُهُ بِذَاكَ كَمَا وَكَأَنَّ مَا جِئْتُ لَهُ هَلَكَ كَمَا
كَأَنِّي كَلَّفْتُهُ مَا لَمْ يُطِيقْ وَلَمْ يَكُنْ فِي طَبْعِهِ لِقَا خُلِقْ^(٤)

فأين الهبارية يستوحى فكرة عدم تكليف الله المرء ما لا يطاق ، وينقلها إلى غيره في الهجاء ، فهو يخص بيره من يسر ، إليه ، وكأن الشاعر قد كلفه ما لا يطاق ، فهو يحسن إليه ، وهو معني في الإساءة قرأ إلى الشاعر .

ومن أصول الشيعة التي وجدت طريقها إلى شعر الشعراء ، فتحدثوا عنها مبداً المعاد فرأوا أن الله تعالى لا بد أن يعيد الخلق يوم القيامة كي يحاسبهم على

(١) - أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم المعروف

بجحظه ، كان حسن الأنب عالماً باللغة والنحو والتجويد ، وكان شاعراً مجيداً ، له عدة مصنفات منها كتاب الطبخ ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ (انظر : معجم الأدباء : ج ٢ ، ص ٢٤١ وما بعدها) .

(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٣) ديوان الطغرائي : ص ٣١٣ .

(٤) ديوان الصالح والباغم : ص ٦٤ .

ما صدر عنهم في الدنيا ، ومن ذلك ما نجده عند ابن الهبّاريّة على لسان طائر العنقاء متحدثاً عن الناس وتكذيبهم بوجوده :

فَإِنْ يَكُنْ دِينَهُمُ التَّكْذِيبُ بِبِي
فَلَيْسَ هَذَا مِنْهُمْ بِالْعَجَبِ
فَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا بِاللَّيَالِي
وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ لِيَوْمِ جَامِعِ
لِجَهْلِهِمْ ، وَالْجَهْلُ شَرُّ شَيْئَةٍ
جَاءَتْ مَعَ النَّاسِ مِنَ الْمَيْمَةِ (١)

يتحدث الشاعر عن البعث والمعاد مؤمناً بهما ، ويرى أنّ النّاس قد كذبوا بأنّ الله تعالى سوف يجمعهم يوم القيامة ، ويبعثهم من القبور ، وذلك ناجم عن شرّ صفة يتصف بها الإنسان وهي الجهل .

ويقول عليّ بن الحسين أبو الفرج بن هند والكاتب : (٢)

وَكَا فِرَّ بِالْمَعَادِ أَمْسِي
يَخْلُبُنِي قَوْلُهُ الْخُلُوبُ
قَالَ : أَغْنَيْمُ لَذَّةَ اللَّيَالِي
وَعَدَّ عَن أَجَلٍ يَرِي سُبُ
فَلْ هُدَاهُ وَجَاءَ بِهَيْدِي
طَبَّ لِعَيْنَيْكَ يَا طَطَّ بَيْتِ
أَخْطَأَ الْعَالَمُونَ طُوراً
وَأَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ مُصِيبُ (٣)

ويقول أبو العلاء المعري :

أَأُصِخُ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ عَالِيْمٌ
وَأَيْتِي لِأَرْجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَاوَزِ
وَأَدْخُلُ نَاراً مِثْلَ قَيْصَرَ أَوْ كِسْرَى
فَيَأْمُرُ بِي ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْبُسْرَى (٤)

ويقول :

خَلِقَ النَّاسَ لِلْبَقَاءِ فَظَلَّتْ
أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفْسَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ نَارٍ أَعْمَا
لِي إِلَى نَارٍ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ (٥)

- (١) ديوان الصّادح والبّاغم : ص ٣١ - ٣٢ .
(٢) عليّ بن الحسين بن هند ، أبو الفرج الكاتب الأديب المنفي ، الشاعر ، كان بليغاً وله رسائل مدوّنة ، وأحد كتّاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة وكان حياً بعد سنة ٤١٠ هـ ، وله أشعار . (معجم الأدباء : ج ١٣ ، ص ١٣٦ - ١٤٦) .
(٣) المصدر نفسه : ج ١٣ ، ص ١٤٠ .
(٤) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٦٩ .
(٥) شرح التّنوير على سقط التّزند : ج ١ ، ص ٢٧٦ .

- ويقول أيضاً :
- (١) إِذَا مَا أَعْظَمِي كَانَتْ هَيَاةً فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّبُهُ جَمْعِي
- ويقول :
- (٢) وَقَدْرَةُ اللَّهِ حَقٌّ لَيْسَ يُعْجِزُهُمَا حَشْرٌ لِخَلْقٍ وَلَا بَعَثٌ لَأَمْوَاتٍ
- ويقول المعري أيضاً في هجاء رجل :
- جَهْلٌ بِالْمَنَائِكِ لَيْسَ يَكْتُرِي أَغْيَابَاتٍ يَفْعَلُ أُمَّ رَشَادًا
- طَمُوحُ السَّيْفِ لَا يَخْشَى إِلَهِيًّا وَلَا يَرْجُو الْقِيَامَةَ وَالْمَعَادَا (٣)

نلاحظ في الأبيات المتقدمة أن الشاعرين أبا الفرج بن هندو والمعري مؤمنان بالبعث والمعاد ، وبذلك فهما يتفقان مع الشيعة في موقفهم ، فإين هنؤو يسخر من أحد الناس واصفاً إياه بأنه كافر بالبعث والمعاد ، يدعو إلى اللذة ، فهو ضال يهدي الناس ، وهذا أمر عجب فهو بحاجة إلى من يهديه ، وتبلغ سخرية الشاعر منه أقصاها عندما يسأل بتهكم أخطأ جميع الناس بإيمانهم بالبعث وأصبأت أنت وحسبك بكفرك به ، أما المعري فهو يصرح بأن الله تعالى قادر على بعث الناس يوم القيامة ، وأن الناس لا يفتنون بعد موتهم وإنما يبعثون وينقلون إلى الجنة أو النار ، وليس أدل على إيمان المعري بالمعاد من هجائه في البيتين الأخيرين لرجل يكفر بالمعاد والبعث .

وقد انعكس مبدأ المعاد في شعر شاعر عباسي آخر هو ابن أبي حنينة المعري ، إذ

يقول في المدح :

لَا تَرَى تَرِي بَعْدَمَا أَرْضِيْتَنِي إِنْ لَمْ أَصْغُ فَبِكَ الْمَدِيحِ الْمُرْتَضَى

يَبْقَى عَلَيْكَ إِلَى الْمَعَادِ وَيَنْقُضِي أَمْدُ الزَّمَانِ فَلَا يَكُونُ لَهُ أَنْقِضَا (٤)

فالشاعر يصرح بأنه سينظم في الممدوح شعراً خالداً حتى يوم المعاد ، ومن هنا فهو مؤمن بالمعاد ، ويتفق مع الشيعة في هذا المبدأ .

- (١) لزوم ما لا يلزم : ج ٢ ، ص ٩٦ .
- (٢) المصنوع نفسه : ج ١ ، ص ١٧٥ .
- (٣) نفحات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ٣٠٥ .
- (٤) ديوان ابن أبي حنينة : ج ١ ، ص ٢١٦ .

ويقول أبو عبد الله الصوري (١):

وَمَنْ قَدْ أَقْرَبَ بِإِيمَانِهِ
وَهَذَا يَبُوءُ بِخُرَانِهِ
وَذَلِكَ فِي قَعْرِ نَيْرَانِهِ (٢)

وَلَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ أَهْلَ الْجُودِ
فَهَذَا يُنَجِّبُهُ إِيْمَانُهُ
وَهَذَا يُنَعِّمُ فِي جَنَّتِهِ
ويقول أحمد بن محمد الخطابي (٣):

مَنْ الْبَرِيَّةِ مُنْحَازًا وَمُنْفَرِدًا
طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ أَفْنَانُهُ صَعْدًا
وَلَا عَلَيْهِ حِسَابٌ فِي الْمَعَادِ غَدًا (٤)

بِالْبَيْتَيْنِ كُنْتُ ذَاكَ الطَّائِرَ الْغَرْدَا
فِي غُصْنِ بَابِ نَهْتِهِ الرِّيحُ تَخْفِضُهُ
مَا إِنْ يُورِقُهُ فِكْرُ لِرِزْقِي غَرْدِي

يتخذ إيمان الشاعر بالمعاد في هذه الأبيات صورةً تختلف عما رأينا عند الشعراء السابقين، فهو مدرك أن الإنسان سيبعث وسيحاسب على ما قدم، ولذا عبر عن ذلك بأن تمنى لو كان طائراً مغرداً مرتاحاً من التفكير في الرزق والأرق له، ولا يحاسب يوم القيامة على ما قدم. وهكذا نجد أن الشاعر يقف إلى جانب الشيعة في هذه المسألة، مسألة المعاد.

ومن مسائل العدل الأخرى عند الشيعة مسألة فعل الله للقبائح والمعاصي، فالله تعالى لا يفعل القبائح والمعاصي ولا يريد بها، وقد عبر بعض الشعراء عن هذه المسألة، ومنهم أبو العلاء المعري، فهو يقول:

كَذَبَ أَمْرٌ نَسَبَ الْقَبِيحَ إِلَى الَّذِي خَلَقَ الْأَنَامَ وَحَطَّ فِي بَرْتَامِهِ (٥)

(١) محمد بن علي بن عبد الله، أبو عبد الله الصوري، كان شاعراً، وقد أهتم بالحديث وعمل على طلبه بنفسه، وتوفي سنة ٤٤١ هـ. (انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٨، ص ١٤٤ - ١٤٥)

(٢) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٤٥.

(٣) أحمد بن محمد الخطابي، أبو سليمان، من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، ولد سنة ٣١٩ هـ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ، وكان حجة صدوقاً. (انظر: معجم الأدباء: ج ٤، ص ٢٤٦ - ٢٥٠)

(٤) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٢٥٥.

(٥) لزوم ما لا يلزم: ج ٢، ص ٣٢٤ وفيه "لي الذي" وإنما أصلها لمناسبة المعنى.

ولم يقتصر الشعراء على الحديث عن مسائل العدل المختلفة التي وجدت لدى الشيعة، وإنما تحدثوا عن عدل الله تعالى بصورة عامة ، ومن هؤلاء الطغرائي ، فهو يقول :

تبارك الله عدلاً في قضيتي —————
 يحكمه راع طبيباً صولة النعم (١)
 ويقول أبو العلاء المعري :

أأخى عذاب الله والله عايدٌ وقد عشت عيش المعتضام المعنّب (٢)

فالشاعران الطغرائي والمعري - كما نلاحظ في البيتين الأخيرين - يصرّحان بـعدل الله تعالى .

ومن مسائل الشيعة التي تحدث عنها الشعراء العباسيون مسألة شكر المنعم ، فقد حضوا على شكر الله تعالى على نعمه ، وبينوا أنّ النعمة تدوم وتعظم بالشكر ، وتنقطع وتزول بالكفران وعدم الشكر ، ونلمح هذا بأجلى صورته عند الطغرائي ، فهو يقول في ذلك :

ألم تر أنّ الصبر للشكر تنوأم وأنهما زخران للعسر والبسر
 ففكراً إذا أوتيت فاحل نعمة وصبراً إذا قابتك نائبة الدهر
 فلم أر مثل الشكر حارس نعمة ولا ناصرأ عند الكريهة كالصبر
 وما طاب نشر الرّوض إلا لأنّنه شكورٌ لِمَا أسدت إليه يد القطر (٣)

فالشاعر في هذه الأبيات متأثر بالشيعة إلى أبعد الحدود ، فهو بحثاً على شكر المنعم ، لأنّ الشكر وسيلة دوام النعم واستمرارها ، ويبلغ إيمان الشاعر بهذه المسألة منتهاه في البيت الأخير حين يجعل طيب رائحة الرّوض ثمرة من ثمار شكره نعمة المطر .

ويقول الطغرائي من أبيات :

سأصبر حتى تنجلي كل غمة وتأتي بما تهوَاهُ نفسي المقادير
 وإني لئنس العبد إن كنت آيسماً من اللو أن دارت عليّ الدوائر

(١) ديوان الطغرائي : ص ١٥٨ .

(٢) لزوم ماليلزم : ج ١ ، ص ١١٢ .

(٣) ديوان الطغرائي : ص ١٦١ - ١٦٢ .

فَلَا أَنَا لِلنَّعْمَاءِ تَشْمَلُ شَاكِرٌ وَلَا أَنَا لِلْيَأْسَاءِ تَنْزِلُ صَائِرٌ (١)

قال الطغرائي يذم نفسه إن لم يشكر الله تعالى على النعماء ولم يصبر على
النباساء والمصائب ، وهكذا نلاحظ إيمانه بضرورة شكر المنعم وموافقته للشيعة في
هذا الأمر .

ويقول ابن أبي حصينة المعري في المدح :

إِنَّمَا أَنْتَ نِعْمَةٌ نَشْكُرُ اللَّهَ _____ عَ عَلَيْهَا وَعِصَّةٌ لَأَنْزُولُ (٢)

فهو يعتبر الممدوح نعمة من اللو يستحق عليها الشكر ، وهو عصمة للدين
والدنيا ، ولعل الأثر الشيعي هو الذي جعل الشاعر يستوحى مصطلح " العصمة " في
شعره ، حيث يؤمن الشيعة بعصمة الأئمة من آل البيت .

وقد تحدث الشعراء عن شكر المنعم من زاوية أخرى ، فذكروا أن النعم قد زالت
عنهم لتقصيرهم في شكر الله تعالى عليها ، فهم لم يحمدوه ولم يثنوا عليه كما
يستحق ، ونجد هذا عند الطغرائي في قوله راثيا جارية له :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا نِعْمَةً اللَّهِ لَمْ تَكْدُمِ _____ عَلَيَّ لِعَجْزِي عَنْ قِيَامِي بِالشُّكْرِ (٣)

وبلغ من تأثر الشعراء العباسيين بالشيعة في مسألة شكر المنعم أن لجأوا إلي
هجاب بعض الناس وذمهم لأنهم لا يشكرون الله تعالى على النعم التي يتفضل عليهم بها ،
وذلك واضح في قول أبي العلاء المعري هاجيا الناس قاطبة بأنهم حاقدون ما كبرون
منذ القدم ، منكرون للجميل ، فلا يجازون على الإحسان ، ولا يشكرون على النعمة .

يقول :

عَرَفْتَكُمْ بَنِي حَوَاةٍ قِدْمًا _____ فَكَلِّكُمْ أَخَوْضِغْنَ مَكُورُ
وَمَا فَيْدِكُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ جَارِ _____ وَلَا مِنْكُمْ عَلَى النُّعْمَى شَكُورُ (٤)

ومن جوانب تأثر الشعراء العباسيين بالشيعة أن انتقلت إليهم فكرة الوصية ،
وصية الرسول الكريم إلى علي بن أبي طالب بالخلافة من بعده ، وقد ترددت هذه

(١) ديوان الطغرائي : ص ١٩٢ .

(٢) ديوان ابن أبي حصينة : ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٣) ديوان الطغرائي : ص ١٥٤ .

(٤) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ١١٨ .

المسألة في الأعرار العباسية ، ومن ذلك ما يقوله أبو محمد الهروي : (١)

بَقِيَتْ مَدَى الزَّمَانِ أَبَا عَلِيٍّ رَفِيعَ الشَّانِ ذَا جِدَّةٍ عَلِيٍّ
فَأَنْتَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي بِمَنْزِلَةِ الْوَصِيِّ مِنَ النَّبِيِّ (٢)

فالشاعر يمدح الممدوح بأنه ذو معالي ومكارم ، ومن أجل التبدليل على ذلك استوحى فكرة الشيعة في الوصية ، فالممدوح ذو منزلة عظيمة في الأمجاد والمكارم كأنها منزلة الوصي - وهو علي بن أبي طالب - من الرسول الكريم ، فهو يأتي بعده مباعرة .

وَاتَّضَحَتْ فِكْرَةُ الْوَصِيَّةِ أَيْضًا عِنْدَ شَاعِرٍ آخَرَ هُوَ الْوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :

إِنِّي سَأَلْتُكَ يَا نَبِيَّ مُحَمَّدٍ وَوَصِيَّهُ الْهَادِي الْأَمِينِ الْمُهْتَدِي
وَبِحُبِّ مَنْ أَعْرَى فُؤَادَكَ حُبُّهُ بِصَبَابَةٍ مَمْرُوجَةٍ يَتَجَلُّدُ
هَلَّا هَجَرْتَ بِغَيْبِكَ قَوْلَكَ : سَيِّدِي مَوْلَى يَقُولُ لِعَبْدِهِ : يَا سَيِّدِي (٣)

فالواضح من الأبيات أن الشاعر متأثر بالتشيع ، فهو يسأل محبوبه ويستحلفه بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَصِيهِ عَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَ مَخَاطَبَتَهُ بِسَيِّدِي لِأَنَّهُ - أَيِ الْمَحْبُوبِ - هُوَ السَّيِّدُ فِي الْحَقِيقَةِ .

ويقول الواوَاءُ أَيْضًا فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

قُلْ لِسَمِيِّ الْوَصِيِّ يَا ثَانِي الْقَطِ بَرِّ وَيَا ثَالِثَ الرَّبِيعِ
مَا أَرْطَبَ الْعَيْشَ فِي تَرَاكٍ وَمَا أَهْنَأَ النَّدَى فِي جَنَابِكَ اللَّيْلِ
عَلَوْتُ فِي الْمَجْدِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ كُنْتُ بِهَا ثَالِثَ السَّمَاكِينِ (٤)

فالشاعر هنا يمدح سيف الدولة ، فيستوحى فكرة الوصية من الشيعة ، فيمدح سيف الدولة بأن اسمه يوافق اسم علي وصي الرسول الكريم ، وبأنه ذو مكارم ومعالي ، وهذا دليل على عمق الأثر الشيعي في نفس الشاعر وفكره .

(١) منصور بن القاضي أبي منصور ، أبو محمد الهروي ، قاضي هراة ، كان فقيهاً شاعراً مجيداً كثير الفعائل ، وتوفي سنة ٤٤٠ هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ١٩ ، ص ١٩١) .

(٢) المصدر نفسه : ج ١٩ ، ص ١٩٤ .

(٣) ديوان الواوَاءُ - الدمشقي : ص ٨٩ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٢٢ .

وقد اتضحت فكرة الوصية القائلة بأن الرسول الكريم قد أوصى لعلي بالخلافة من بعده لدى كبير الشعراء أبي الطيب المتنبي ، ومن ذلك ما صرح به من أنه ترك مَدْحَ علي بن أبي طالب وصي الرسول الكريم تعمداً لأنه بادي الفضل معروف المنزلة كأنه النور المتطاول الشامل لجميع الأماكن ، فهو ليس بحاجة إلى المدح ، لأنه كنـور الشمس يضيء ويشمل الخلائق ولا قيمة لمحاولات وصفه^(١)

ونلمح تأثر الشعراء بفكرة الوصية في أبيات بعث بها أبو إسحاق الصابي إلي

الشريف الرضي من قصيدة ، يقول :

إِلَى ذَاكَ يَنْحُو مَنْ كَنَّكَ أَبَا الْحَسَنِ	أَبَا كُلِّ شَيْءٍ قِيلَ فِي وَصْفِهِ حَسَنٌ
وَإِنْ مَسَّهَا مِنْ غَيْرِ أَرْبَابِهَا الدَّرَنُ ^(٢)	وَمَا هِيَ إِلَّا كُنْيَةُ لَكَ إِرْتَهَانًا
وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ فِيكُمْ الْمَجْدُ قَدْ قَطَنَ	الْمَتَّ لَهَا بَعْدَ الْوَصِيِّ وَالْيَسَدِ
وَبَالَغَ حَتَّى فِي الْكُنْيَى لَكُمْ مَحَسَنٌ	وَلَكِنَّ هَذَا الدَّهْرَ جَارَ عَلَيْكُمْ
بِهِ مَرَضٌ قَوَّقَ الْحَيَازِيمَ ^(٣) قَدْ كَمَنَ	يُجَاذِبُكُمْ عَلَيَاكُمْ كُلَّ حَاسِدٍ
عَلَى غَيْرِ مِنْهَاجٍ وَأَنْتُمْ عَلَى السَّنَنِ	فَيَجْرِي إِلَيَّ غَايِبَاتِكُمْ طَالِبًا لَهَا
فَيَا بُعْدَهَا مِنْ أَنْ يَلْزَمَهَا قَرَنٌ	لَكُمْ فِي الثَّرِيَا خَطَاةٌ وَهُوَ فِي الثَّرَى
وَيَفْتَرِقُ الْأَعْيَانَ فِي قَهْمٍ مَنْ فَطَنَ ^(٤)	وَقَدْ تَمْتَوَى الْأَخْصَافُ فِي عَيْنٍ مَنْ رَأَى

ففي هذه الأبيات نلمح تأثر الشاعر بالشيعة ، فهو يقرن تكنية الشريف الرضي بأبا الحسن بكنية علي بن أبي طالب ، ويذكر أن الخلافة وحكم المسلمين من حق علي وإرث لأبنائه من بعده ، ومنهم الشريف الرضي ، فهو صاحب حق فيها بعد علي بن أبي طالب وصي الرسول الكريم ، ثم يشيد بالعلويين مبيناً أنهم أصحاب الحق في الخلافة وحكم المسلمين ، ولكن الدهر ظلمهم ، فأخذ ينازعهم حقهم من هودونهم في المنزلة ، وهنا نلاحظ تعريض الشاعر للأمويين والعباسيين ، فقد اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة .

(١) - انظر : تسمية السحرا ج ١ ص ٢٨ .

(٢) الدرن : الوسخ ، وقيل : تلطخ ، الوسخ : (انظر : لسان العرب ، مادة درن) .

(٣) الحيازيم : جمع الحيزوم ، وهو الصدر ، وقيل : وسطه . (انظر : المصدر نفسه

مادة حزم) .

(٤) رسائل الصابي والشريف الرضي : ص ٢٢ - ٢٨ .

وقد اتضحت في أشعار العباسيين فكرة العصمة عند الشيعة ، تلك الفكرة التي تتلخص في أنّ الأئمة من أهل البيت معصومون ، فتسرّبت تلك الفكرة إلى الشعر ، فهذا هو ابن الهبّاريّ بحريّ جواراً بين شيخ هنديّ وكهلّ فارسيّ ، يتجادلان ، فيحتجّ الهنديّ بأنّ قومه الهنود حكماؤه وعلماءه ، وبأنّهم أهل فطن وحكم ، لو لم يكن لهم من الفضل إلاّ وضع الشطرنج لكفاهم ،^(١) بينما يحتجّ الفارسيّ بأنّ قومه الفرس معروفون بالحكمة والسياسة وحسن التدبير ، فكأنّما هم معصومون ، يقول :

قَالَ لَهُ الْكَهْلُ : وَقَوْمِي الْفُـرْسُ الْحُكَمَاءُ مَا يِذَاكَ لُبُّـسُ
لَهُمْ سِيَاسَاتٌ وَتَدْبِيرٌ حَسَنٌ كَالشَّرْعِ عَدْلًا فِي الْفُرُوشِ وَالسُّنَنِ
وَلِكُلِّهِمْ مُعْتَصِدٌ بِالْحُكْمَةِ كَأَنَّهُمْ قَدْ أُيِّدُوا بِالْعِصْمَةِ^(٢)

ومن جوانب تأثير الشيعة في موضوعات الشعر العباسي ، تأثر الشعراء بفكرة المهديّ المنتظر عند الشيعة ، فقد انتقلت هذه الفكرة إلى أذهان الشعراء وترسّخت في أذهانهم فعبروا عنها في شعرهم ، ومن هؤلاء أبو العلاء المعريّ ، فقد هاجم الشيعة وأنكر عليهم هذا الاعتقاد ، ومن ذلك قوله :

رَجَوْا إِمَامًا يَحَقُّ أَنْ يَقُومَ لَهُمْ هِيَهَا تَلَابُلٌ حُلُولٌ ثُمَّ مُرْتَحِلٌ^(٣)
ويقول من أبيات أخرى :

يَرْتَجِي النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ نَاطِقٌ فِي الْكَتِيبَةِ الْخَرَسَاءِ
كَذَبَ الظَّنُّ لَا إِمَامَ سِوَى الْعَقْـ لِكِ مُشِيرًا فِي صُبْحِهِ وَالْمَسَاءِ^(٤)

فالمعريّ في هذه الأبيات ينكر ما يعتقده الشيعة في المهديّ المنتظر، وأنّه سيعود فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ويبين أنّ ذلك غير صحيح ، ولا إمام إلاّ العقل فهو الذي يرشد الإنسان في جميع أحواله .

وكان من أثر الشيعة في موضوعات الشعر العباسي أن تعمق الشعراء العباسيون في فهم النفس البشريّة ، إذ إنّ الحياة الاجتماعيّة في العصر العباسي تعقدت نتيجّة

(١) انظر : ديوان الطاهر والباغم : ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣ .

(٣) لزوم ماليلزم : ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٤) المصدر : نفسه : ج ١ ، ص ٥٥ .

لما استجدَّ فيه من الحضارة والتقدُّم في المعارف المختلفة ، ممَّا أدَّى إلى أنقسام النَّاسِ إلى طبقاتٍ متفاوتة في حقوقها وواجباتها ، فاعتدل بينهم التَّنافر والتَّحاسد بعد أن كانوا في العصر الجاهليِّ شِبْهَ متساوين في ظلِّ النَّظام البدويِّ ، ومما زاد من إحساسهم بذلك التفاوت والتقدُّم الحضاريِّ والثَّقافيِّ الذي أدَّى إلى زيادة معرفة الإنسان بعالمه من حقوق وما عليه من واجبات ، وذلك عندما ازدهر عِلْمُ الكلام وبدأ الكلاميُّون من الشَّيعة والمعتزلة وغيرهم يناقشون بعض النظريات الكلامية المختلفة كالصَّلاح والأُصلح والعدْل الالهيِّ ، وهل يجب على الله تعالى أن يراعي العَدْلَ في معاملته للنَّاسِ ، وإذا كان المرء لا يستطيع أن يتقبَّل الظُّلم من الله تعالى خَالِقِهِ وبارئهِ فكيف يمكن أن يتقبَّله من الإنسان وهو بَشَرٌ مخلوق مثله ، ونتيجة لهذا كَثُرَ البحث في النَّفس الإنسانية ونزعاتها المختلفة،^(١) ممَّا أدَّى إلى زيادة البحث في الطَّبائع البشريَّة ، وما فيها من الخصائص والسَّمات الدَّفينة والغرائز المختلفة ، فأصبحت النَّفْس الإنسانية بتأثير علماء الكلام ومنهم الشَّيعة - ميداناً لِدِرَاسَةِ الشُّعراء وملاحظاتهم ، تلك الملاحظات التي ظهرت في نتاجهم الأدبيِّ والفكريِّ على نحوٍ لم يكن معروفاً لدى الشُّعراء الأوائل في الجاهليَّة وما بعدها ، فقد كانت الأزمة عند القدماء في الماء وفي المرعى للمواشي ، ولكنها أصبحت عند الشُّعراء المُحدِّثين في العصر العبَّاسيِّ نسي النَّفس الإنسانية ونوازِعها وطبائعها.^(٢)

ومن الشُّعراء الذين بحثوا في النَّفس الإنسانية ونزعاتها المتنبيُّ ، يقول :

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لِيَبِيَّبٍ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتَهُمْ وَذَاقَ مَا
فَلَمْ أَرَ وَهُمْ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا^(٣)

فالمتنبيُّ في هذين البيتين يتحدث عن النَّفس الإنسانية ، ويسبُّ غَوْرَ الثُّفوس البشريَّة فالنَّاس ليسوا صادقين في وُدِّهم ولا في دينهم ، فهم مخادعون في الصداقة والود ، منافقون في الدِّين . ويقول المتنبيُّ أيضاً :

(١) انظر : الشعر العربي بين الجمود والتطور : ص ١٤٢ .

(٢) انظر : المصير نفسه : ص ١٤٥ .

(٣) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

فَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسِ حَبِيْبًا جَزَيْتُ عَلَى ابْنِسَامٍ بِابْنِسَامٍ
وَصِرْتُ أَشَدَّ فِيمَنْ أَصْطَفِيَهُ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنْسَامِ (١)

فالمتنبّي هنا يبيّن أنّ نفوس الناس مجبولة على العُدوان ، ولذلك كانوا غير صادقين في وثم ووفائهم ، فوثم خِدَاعٌ ونِفَاقٌ ، ولذا أخذ الشاعر يقابلهم بالمثُل فيبتسم لهم الابتسامات الكاذبة ، وأخذ يشكُّ حتى في أقرب الناس إليه ، لأنهم من البشر وزادت معرفة المتنبّي بأسرار النفس البشريّة ، فبيّن أنّ الظلم شيء فطريّ في النفوس ، وإذا وجدَ مَنْ لا يظلمُ الناس فإنّ هناك عِلَّةٌ خَفِيَّةٌ حتمت عليه ذلك ، يقول المتنبّي :

الظُّلْمُ مِنْ شَيْءٍ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَسَّدَ ذَائِقَةٌ فَلِعِلَّةٍ لا يظلمُ (٢)

ويتضح لنا من هذا البيت أنّ الشاعر ذو معرفة واسعة بصفات الإنسان وطبائعه الأصيلة فيه ، فقد بحث في نفسيّة الفرد وهو طفلٌ أخبَرَةٌ هي أمٌ شَرِيْرَةٌ ، تحمل بين جوانحه منذ الصّغر رواسب طبيعيّةٌ وراثيّةٌ تدعو الإنسان إلى الخير أو الشرِّ وتوجّهه إليه ، وتوجّد في نفسه نوازعٍ إلى فعله .

وبحث المتنبّي في جانب نفسيّ لدى الإنسان هو مشاعره وطبائع نفسه عندما يتعرّض للأذى والظلم ، فإنّه تدور في نفسه عواطفٌ وانفعالاتٌ مكبوتة ، ينجم عنها متاعبٌ نفسيّةٌ واضطراباتٌ عصبيّةٌ تنعكس آثارها على جسم المرء فيصيبه الضعف والهزال ، يقول :

واِحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَةُ جَانِبِي غِذَاءٌ تَضَوَّى بِهِ الْأَجْسَامُ (٣)

ولذا فإنّ الإنسان الحرّ ذو نفسيّةٍ عزيزةٍ تأبى الذلَّ والهوان ، ولذا كان من أصعب الأمور عليه أن يجد نفسه مضطراً إلى مصادقة عدوّه ومداراته على كراهية منه فذلك يسحق نفسه سحقاً ، ويؤلمها أشدَّ الألم ، يقول المتنبّي :

وَمِنْ تَكَدِّ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ (٤)

ومن طبائع النفس البشريّة التي بحث فيها الشعراء حُبُّ الحَيَاةِ ، يقول المتنبّي :

(١) ديوان المتنبّي : ج ٤ ، ص ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ٩٣ .

(٤) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٧٥ .

وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفُسُ فِي النَّفْسِ _____
سِرِّ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يَمَلَ وَأَحْلَى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفْئَمَا مَلُّ _____
لِحَيَاةٍ وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلًّا (١)

ومعنى هذا القول أن حب الحياة أمرٌ فطريٌّ غريزيٌّ في النفس البشرية ، يُسيطر الإنسان ويسيطر على حركاته وسكناته ، وليس في وسعه أن يتمرد عليه أو يتخلص منه . (٢) وكل إنسان يُحب الحياة بغريزته وفطرته ، ولكنه يُعبر عن هذا الحب بطريقة مختلفة ، فالجبان يُحب الحياة ، ولذا فهو يهرب من المعركة ، والشجاع يُحب الحياة العزيزة الكريمة ولذا فهو مغرم بالحرب مُغري بها .

وهناك أبيات جميلة تنبئ عن معرفة المتنبي بالنفس البشرية ودقائق أسرارها وطبائعها ، وهي قوله :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا _____
وَتَوَلَّوْا بِغَضَةِ كُلِّهِمْ مِنْنَا _____
رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِبَالِيْنَا _____
كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً _____
وَمَرَادُ النَّفُوسِ أَصْفَرُ مِنْنَا _____
غَبِرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَابِيَا _____
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَى لِحَيَاتِي _____
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا _____
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنَا _____
وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا _____
وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَنَا _____
وَ لَكِنْ تُكَلِّمُ الْإِحْسَانَنَا _____
رَكِبَ الْعَمْرُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَنَا _____
نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانَنَا _____
كَالِحَاتٍ وَأَبْلَاقِي الْهَوَانَنَا _____
لَعَدَدْنَا أَضْلَانَا الشُّجَانَنَا _____
فِيمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ حَيَانَنَا _____
فُسِرَّ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا (٣)

يكشف المتنبي في هذه الأبيات عن أسرار الحياة وواقع الناس في حياتهم ، فما بهمهم في كل زمان هو الذي بهمهم الآخرين ، ليثبت من ذلك أن شأن الدهر مع الناس واحد في تكديره صفو الناس وملذاتهم ، فالدهر يحسن ويسى ، والإنسان يؤيد الدهر ويساعده في إيسائته لبني جنسه من البشر ، ويخلص المتنبي من ذلك إلى أن الحياة أصغر شأنًا من أن يتصارع الناس في سبيلها . (٤)

- (١) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
- (٢) في الألب العباسي : ص ٢٦٨ .
- (٣) ديوان المتنبي : ج ٤ ، ص ٢٣٩ - ٢٤١ .
- (٤) انظر : النموذج في البحث الأدبي : ص ١٢٩ - ١٨٠ .

وعندما يقرأ المرء هذه الأبيات يشور في نفسه شعور قويٍّ بالعزّة مادام مسرّاد النفوس من الطّعام والشّراب هيئناً لا يقتضي كلّ هذا التّناحر والكفّاح ، ومادام الإنسان لا يكتفي بالضرورات المادّيّة الهيئنة ، وإنما يبغي الضرورات الرّوحية السّامية ، وهذا الشّعور يفتح عيوننا على أن نتساءل : ما سبب هذا التعادى والتفاني؟ لأجل الطّعام يتهالك النّاس في الجدّ والمنافسة؟ وإذا ما توافر الطّعام هل سيكتفون النّاس ويستريحون ، وهل حقاً يُؤثّر الإنسان الموت على الحياة البذليّة؟ فالإنسان إنّه إنسان ذو سُمُوٍ روحيٍّ لأنّه يفهم الحياة معنئاً لاجتاً وروحاً لاجسماً ، فما على الإنسان إذاً إلا أن يحدّد في الحياة (١) . ويلاحظ في هذه الأبيات أنّ الشاعر مؤمن بأنّ إرادة الإنسان حرّة ، وبإمكانها أن تختار ، وهو ليس مُجبّراً ، ولذلك فإنّه سيبقى سيّد الموقف في الحياة (٢) . ويقول المتنبي أيضاً :

إنّما تنجحُ المقاتلةُ في المرءِ : إذا صادفتَ هوى في الفؤادِ (٣)
ففي هذا البيت دراسة نفسية ، ومعرفة بالشّلوكة الإنسانيّة ونفاذ إلى أعماقه (٤) ، فالفكرة لاتنجح لدى الإنسان إلا إذا وجدّت هوى وميلاً طبيعياً إليها في أعماق نفسه وإلا إذا وجدّت استعداداً ذاتياً لتقبّلها .

وللشاعر الطّغرائيّ صاحب لامية العجم أشعار تدلّ على معرفته بالنفس الإنسانيّة وطبائعها ، ومن ذلك أبيات من لامية العجم اشتملت على معرفة دقيقة بأسرار النفس البشريّة وعلى خلاصة تجارب الشّاعر (٥) .

ومن الشّعراء الذين تحدّثوا في النفس البشريّة وتعمّقوا في أسرارها ابنُ لُثْكَ البصريّ (٦) ، ومن ذلك مقطوعة له تدلّ على سيره غور نفوس البشر والغوص إلى أعماقها

(١) أصول النّقد الأدبي : ص ١٩٣ .

(٢) أنظر : الأقلام : مجلد ٩ ، العدد ٩ ، ص ٩ .

(٣) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٣١ .

(٤) النّقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص ٧١ .

(٥) انظر : ديوان الطّغرائيّ : ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٦) محمد بن محمد بن جعفر ، أبو الحسن المعروف بابن لُثْكَ شاعر بصريّ ، كان من أشهر أدباء البصرة في زمانه ، كان بائساً فقيراً ، ولذا كان أكثر شعره في شكوى الزمان وكان معاصراً لابي الطيب المتنبي . (انظر : معجم الأدباء :

ج ١٩ ، ص ٦) .

وتصوير ما تنطوي عليه تلك النفوس من الدوافع الغريزية الفطرية ، يقول في هذه المقطعة :

يَعِيبُ النَّاسُ كُلَّهُمُ الزَّمَانَ نَا وَمَا لِي زَمَانِنَا عَيْبُ سِوَانَا
تَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ إِذَا هَبَانَا
ذِي قَابٍ كُلُّنَا فِي خَلْقِ نَاسٍ فسبحان الذي فيه برانا
يَعَانُ الذَّنْبُ يَا كُلَّ لَحْمٍ ذَنْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِبَانَا (١)

وهكذا فقد أثار الشيعة في موضوعات الشعر العباسي وأفكاره ، فانعكست في أشعارهم مبادئ الشيعة ، كالعدل والتوحيد والمعاد والوصية والعصمة والمهدي المنتظر ، وعمل الشيعة على تنشيط الحركة الشعرية ، وذلك بحفز عدد من الشعراء للرد عليهم وهجائهم ، أو مناصرتهم وتأبيدهم ، كما كان لهم أكبر الأثر في تعمق الشعراء العباسيين في دراسة النفس الإنسانية والغوص إلى أعماقها ، وسبر أغوارها ، ومعرفة دقائقها وأسرارها ، والتعبير عن ذلك كله في أشعارهم .

آثار التشيع في الشعر من حيث الخصائص الفنية :

رأينا في الفصل الأول أن الشيعة كانت إحدى الفرق الإسلامية المهمة ، وأنها كانت لها آراء كلامية وأصول خمسة تقوم عليها ، وأن هذه الأصول قد أتضحت في كتب مؤلفيهم من علماء الكلام كالطوسي والشيخ المفيد والكلييني وغيرهم ، فقد وجد من الشيعة متكلمون خاضوا المناظرات مع المتكلمين من الفرق الأخرى ، ودافعوا عن آرائهم وأصولهم ، وظهرت لهم مصطلحات كلامية خاصة بهم ، واشتركوا في بعضها مع بعض الفرق الأخرى ومنها المعتزلة .

وقد لجأ علماء الشيعة وزعمائهم إلى علم الكلام فاستخدموه من أجل إثبات حججهم وآرائهم ، وضح آراء الخصوم وإبطالها ، وإلزام خصومهم الحجة ، ولذا أكثروا من عرض الأفكار والاحتجاج لها والبرهنة عليها حتى لقد صنفوا كتباً في الاحتجاج ، (٢) افترضوا فيها اعتراضات الخصوم ، والردود التي يمكن أن يرد عليهم بها .

(١) انظر : بغية الوعاة : ج ١ ، ٢١٩ .

(٢) من تلك الكتب كتاب الاحتجاج للطبرسي .

ولمَّا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يُفْصَلَ بَيْنَ نَتَاجِ الأَدِيبِ وَمَعْتَقَدَاتِهِ وَأفْكَارِهِ ، وَلَمَّا كَسَانَ الْقَرْنَانِ الرَّابِعُ وَالخَامِسُ الْهَجْرِيَّانِ يَمْتَلِئَانِ فِتْرَةَ حَضَارِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةً وَبِخَاصَّةِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ ، فَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَعْتَبِرَ الشُّعْرَاءُ الشِّيْعَةَ عَنْ آرَائِهِمْ - كَمَا رَأَيْنَا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ - فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَأَنْ يَتَأَثَّرَ بِهِمُ الشُّعْرَاءُ الْآخَرُونَ مِنْ غَيْرِ الشِّيْعَةِ ، كَمَا كَسَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَيْضًا أَنْ يَتَأَثَّرَ الشُّعْرَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ بِالشِّيْعَةِ ، وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا التَّأَثُّرُ نَفْسِي عِدَّةَ جَوَانِبٍ هِيَ :

(١) اللِّغَةُ وَالْأُسْلُوبُ

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ تَأْثِيرِ الشِّيْعَةِ فِي غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالخَامِسِ الْهَجْرِيَّيْنِ أَنْ أُدْخِلُوا فِي لُغَةِ أَوْلَئِكَ الشُّعْرَاءِ كَثِيرًا مِنْ مُصْطَلِحَاتِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَذَلِكَ نَتِيجَةٌ لِمَا أَتَمَّعُوهُ فِي الْمَجْتَمَعِ مِنْ آرَاءٍ وَأَفْكَارٍ ، فَوَجَّهُوا اللِّغَةَ إِلَى اسْتِيعَابِ الْمَعَانِي الْعَقْلِيَّةِ اللَّطِيفَةِ وَالْفِكْرِيَّةِ الْعَمِيقَةِ ، إِذْ إِنَّ الْمَعَانِي الْجَدِيدَةَ لَابْدَأَ لَهَا مِنْ أَنْ تُؤَدَّى بِلُغَةٍ جَدِيدَةٍ ، وَبِذَلِكَ فَقَدْ اتَّسَعَ الْمُعْجَمُ الشُّعْرِيُّ لَدَى الشُّعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، وَدَخَلَ لُغَةَ الشُّعْرِ قَدْرٌ لَابَسْرَبَهُ مِنَ الْمِصْطَلِحَاتِ الْكَلَامِيَّةِ .

وَمِنَ الْمِصْطَلِحَاتِ الْكَلَامِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ عِنْدَ الشِّيْعَةِ وَأَكْثَرُوا مِنْهَا فِي كِتَابِهِمْ مُصْطَلِحَاتِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ، فَقَدْ اسْتُخْدِمَتْهُمَا فِي مَوْاظِفَاتِهِمُ الْمُخْتَلِفَةَ بِمَعْنَى قَضَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَا يَقْدِرُهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي سَائِرِ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ ، (١) وَقَدْ شَاعَ هَذَانِ الْمِصْطَلِحَانِ لَدَى الشُّعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ بِهَذَا الْمَعْنَى وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الثَّعَالِبِيُّ (٢) أَيَّامَ صِبَاهِهِ .

(١) انظر : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٩٤ ، ص ٩٦ .

(٢) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، أبو منصور الثعالبي النيسابوري ، كان من كبار أديباء زمانه ، وله أشعار ، له عِدَّةُ كُتُبٍ أَهَمُّهَا : " يَتِيمَةُ النَّهْرِ نَفْسِي مُحَاسِنُ أَهْلِ الْعَصْرِ " وَ " فَهْمُ اللُّغَةِ " ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٤٢٩ هـ . (انظر : وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ : ج ٣ ، ص ١٢٨ - ١٨٠) .

انظر إلى البدر في أسر الكسوف بدا
كأنه وجه معشوق أدل علسي
مُسْتَلِمًا لِقَضَاءِ اللّهِ وَالْقَدَرِ
عُنَاقِهِ فَاِبْتَلَاهُ اللّهُ بِالشَّعْرِ (١)

فالشاعر يستخدم مصطلحي القضاء والقدر بمعنىهم كلامي ، فقد كُفِيَ البدر وَلَسْمَ
يستطع أن يفعل شيئاً حياً لِقَضَاءِ اللّهِ وَقَدَرِهِ . ويقدم الشاعر صورة جميلة فيذكر أن
البدر قد زال نوره ، وَيُنَبِّئُهُ البدر بِالوَجْهِ الجميل المعشوق وقد دل على عُنَاقِهِ
فابتلاه الله تعالى بظهور الشعر فيه .
ويقول الطفرائي :

والمَرُّ يَحْسَبُ مَا يَأْتِيهِ مِنْ حَسَنِ
مِنْهُ وَيَنْسِبُ مَا يَجْنِي إِلَى الْقَدْرِ (٢)
فالشاعر يستخدم مصطلح " القدر " وهو من مصطلحات الشيعة . ويقول أبو العلاء
المعري :

وَجَرَى الْحَتْفُ بِالْقَضَاءِ فَمَا بَسَ
لَمْ لَيْثٌ وَلَاغَزَالٌ رِيْبُ (٣)
فالمعري يبين أن قَضَاءَ اللّهِ تعالى جارٍ في النَّاسِ لا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ ، وبذلك فهو
متأثر بالشيعة في هذا المصطلح الكلامي .
وقال أبو القاسم بن المعلّي (٤) :

لَسْتُ أُدْرِي وَلَا الْمَنْجَمُ يَسْتُرِي
غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ قَوْلَ مُحِيْتِي
مَا يُرِيدُ الْقَضَاءُ بِالْإِنْسَانِ
وَأَرَى الْغَيْبَ فِيهِ مِثْلَ الْعِيَانِ
بِجَمِيلِ عَوَاقِبِ الْإِحْتَانِ (٥)

فالشاعر متأثر بالشيعة ، فقد استخدم " القضاة " وهو أحد مصطلحاتهم ، فيذكر
أَن لَّا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا يَخْبِيهِ الْقَضَاءُ لِلْإِنْسَانِ .

(١) تنمّة البيتية : ج ١ ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) ديوان الطفرائي : ص ١٥٩ .

(٣) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٨٩ .

(٤) أبو القاسم المحسن بن عمرو بن المعلّي ، يبدو أنه من شعراء القرن الخامس
الهجري ، لأن الثعالبي يذكر أن أبا المعالي أخبره أن أبا القاسم أنصده
الآبيات السابقة . (انظر : تنمّة البيتية : ج ١ ، ص ١٠) .

(٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها .

وقد استُخدم بعض الشعراء مُصطلح القضا ، فأثاروا إلى أن قضا الله تعالى يتحكّم في الإنسان ، وليس له مدافع ، ولذا فقد وصفوا من يأمن القضا أو يدافعه بأنه مُشرك ، يقول ابن الهباريّ :

وَمَا لِمَنْ غَلَّ الْقَضَاءُ مُطْلِقًا وَمَا لِمَنْ حَلَّ الْقَضَاءُ مُوثِقًا (١)

ويقول :

مَنْ آمَنَ الْقَضَاءَ فَهُوَ مُشْرِكٌ إِنْ الْقَضَاءَ لِلْعِبَادِ أَمْلَكُ (٢)

ويقول :

كَذَاكَ مَنْ بَحَثَ لِلرَّخَاءِ قَبْلَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْبَلَاءِ

تَزِيدُهُ حَالَتُهُ بَلَاءًا لِأَنَّهُ بُرَاغِمُ الْقَضَاءِ (٣)

فابن الهباريّ هنا يستخدم مصطلح القضا ، ويرى أنه يملك الإنسان ، ولا مهرب للمرء منه .

وقد استخدم الشعراء مصطلح " القضا " في معرض مدحهم ، ومن ذلك ما يقوله الطغرائيّ في المدح :

تَعِدَّتْ بِطُولِ بَقَائِكَ الْحَقَّابُ وَعَدَّتْ مَقَرَّ عَلائِكَ النَّسَّابُ

أَنْتَ الَّذِي انْقَادَ الزَّمَانُ لَكَ طَوْعًا وَدَانَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ

أَنْتَ الَّذِي قَسَمَ الْقَضَاءُ لَكَ فَوْقَ الرَّجَاءِ وَدُونَ مَا يَجِبُ (٤)

فالشاعر يستخدم " القضا " ، مؤمناً بحتميته وسلطانه ، فالقضا ميسر متحكّم ، ولذا فقد أعطى الممدوح أمجاداً كثيرةً ولكنها دون ما يجب أن يُعطاه .

واستخدم الشعراء العبّاسيون مصطلح " القضا " في مرثيتهم أيضاً ، ومن ذلك ما يقوله الطغرائيّ في الرثاء :

حُرْمَتِكَ إِذْ رُزِقْتِكَ بَعْدَ حُرْمِ كَذَاكَ يَكُونُ حِرْمَانُ الْحَرِيمِ

وَقَمْتِ عَلَيَّ بِالْغَالِي وَلِكُنْ تَنَاوَلِكِ الْمَنِيَّةُ بِالرَّخِيمِ

- (١) ديوان الصادح والباغم : ص ٢٦ .
- (٢) المصدر نفسه : ص ٢٩ .
- (٣) المصدر نفسه : ص ٤٦ .
- (٤) ديوان الطغرائيّ : ص ٩٧ .

لَقَدْ سَبَقَ الْقَضَاءُ بَرَعْمَ أَنْفِي وَلَيْسَ عَلَيَّ الْمُقَدَّرُ مِنْ مَحِيصٍ (١)

يبدو الشاعر في هذه الأبيات مستثليماً لقضاء الله تعالى وقدره ، فهو يعلن أن القضاء نازل لا محالة ، ولا مهرب للمرء منه ، فقد قضى أن يأخذ منه جاريتته برغم أنه .

ويقول الثعالبي في اختلاف هواء جرجان :

أَلَا رَبِّ يَوْمٍ لِي بِجَرْجَانَ أَرَعَنِي ضَحِكْتُ لَهُ مِنْ خُرْقِهِ أَنْعَجَبْتُ
وَأَخَشَى عَلَيَّ نَفْسِي اخْتِلَافَ هَوَائِهِ وَمَا لِي لِفَتَى مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبٍ (٢)

وما أشبه عجز البيت الثاني بقول أبي فراس الحمداني :

وَلَكِنْ إِذَا حَمَّ الْقَضَاءُ عَلَيَّ أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرٌ (٣)

ونجد أن بعض الشعراء استخدموا مصطلح "القدر" في الغزل ، وهذا دليل على تسرب مصطلحات المتكلمين - ومنهم الشيعة - إلى الشعر العباسي بمختلف أغراضه ، وسيطرة تلك المصطلحات على أذهان الشعراء بحيث أصبحوا لا يستطيعون إبعاد تلك المصطلحات عن أذهانهم حتى وهم في أكثر حالاتهم هدوءاً وتأملًا ، وهي أوقات الغزل بالمحبيب ومن ذلك ما يقوله الواواء^٤ الدمشقي متغزلاً بمحبوبه ذاكراً أن الحافظه تفوق القدر في فعلها ، يقول :

انظُرْهُ وَإِنْ كَانَ حَتْفِي مِنْكَ فِي النَّظَرِ تَنْظُرُهُ إِلَى شَبَحِ أَخْفَى مِنَ الْفِكْرِ
يَا مَنْ لَوَاحِظُهُ أَهْمِي إِذَا لَحَظْتُ مِنَ الصَّوَارِمِ بَلَّ أَمْضَى مِنَ الْقَدْرِ (٤)

ويقول الحسن بن المظفر النيسابوري (٥) :

جَبِينُكَ الشَّمْسُ فِي الْأَسْوَاءِ وَالْقَمَرُ بِعَيْنِكَ الْبَحْرُ فِي الْإِرْوَاءِ وَالْمَطَرُ

(١) ديوان الطفرائي : ص ٢٠٩ .

(٢) لطائف المعارف : ص ١٨٩ .

(٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١١١ .

(٤) ديوان الواواء^٤ الدمشقي : ص ٩٨ .

(٥) الحسن بن المظفر النيسابوري ، أبو عليّ أديب كبير ، وشاعر مصنف ، كان مؤتلفاً أهل خوارزم في عصره وشاعرهم ، وله أشعار ، وتوفي سنة ٤٤٢هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ٩ ، ص ١٩١ - ١٩٢) .

وَسَيَبُكَ الرَّزْقُ مَضْمُونٌ بِكُلِّ فَنَمٍ وَسَيُفُكُ الْأَجَلُ الْجَارِي بِوِ الْقَدْرِ (١)

ومن مصطلحاتِ عِلْمِ الكَلَامِ التي استخدمها الشَّيْخَةُ فِي مَجَالِ سَهْمِ الكَلَامِيَّةِ وَفِي كِتَابِهِمْ : " الْبَقَاءُ " وَ " الْغِنَاءُ " ، وَقد استخدموا الْبَقَاءَ بِمَعْنَى الدِّيمُومَةِ وَالاستمرار وَالخُلُودَ ، (٢) وَالغِنَاءَ بِمَعْنَى الْانْتِهَاءِ وَالزَّوَالِ (٣) وَقد شَاعَ هَذَا الْمِصْطَلِحَانِ لَدَى الشُّعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ ابْنُ الشَّيْبِلِ الْبَغْدَادِيُّ :

إِنَّمَا نَحْنُ بَيْنَ ظُفْرِ وَنَابِ مِنْ حُطُوبِ أُسُودٍ هُنَّ ضِرَافُ
نَتَمَنَّى ، وَفِي الْمُنَى قِصْرَ الْعُمَى سِرٌّ فَنَغْدُو كَمَا نُسَّرُ نَسَاءُ
صِحَّةَ الْمَرَّةِ لِلتَّقَامِ طَرِيقُ وَطَرِيقُ الْغِنَاءِ هَذَا الْبَقَاءُ (٤)

فَالشُّاعِرُ جَاءَ بِهَذَيْنِ الْمِصْطَلِحَيْنِ " الْبَقَاءُ وَالغِنَاءُ " مَعْتَبِرًا بَقَاءَ الْإِنْسَانِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ بَقَاءً غَيْرَ حَقِيقِيٍّ ، فَهُوَ لَيْسَ إِلَّا طَرِيقًا إِلَى الْغِنَاءِ وَالزَّوَالِ .
وَيَتَحَدَّثُ الْوَأْوَاءُ الدَّمَشَقِيُّ عَنِ مَكَانِ لِهَوِهِ وَهَوَاهُ ، فَيَقُولُ مَا رَجَأَ مِصْطَلِحَ " الْبَقَاءُ " بِمِصْطَلِحِ " الْبَيْلَى " :

سَقَى اللَّهُ آجَالَ الْهَوَى فَيْكَ لِلْبَقَا مَدَامَ الْأَمَانِي مِنْ نُغُورِ الْحَبَائِبِ
فَلَمْ يَبْقَ لِي فَيْكَ الْبَيْلَى غَيْرَ مَلْعَبِ يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الصَّبَا بِمَلْعَبِ (٥)

فَهُوَ يَدْعُو لِذَلِكَ الْعَكَانِ ، مَكَانِ لِهَوِهِ ، بِالْبَقَاءِ ، ذَاكِرًا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَهُ الْبَيْلَى ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا آثَارٌ قَلِيلَةٌ تَذَكِّرُ الشُّاعِرَ بِعَهْدِ الصَّبَا .
وَيَقُولُ :

رِضًا الْغِنَا عَنْ بَقَائِي بَعْدَكُمْ غَضَبُ كَأَنَّمَا رَاحَتِي مُذْغِبْتُمْ تَعَسِبُ
وَآخَجَلْتِي مِنْ بَقَائِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ إِذْ لَيْسَ لِي فِي حَيَاتِي بَعْدَكُمْ أَرْبُ
وَلَيْسَ مَوْتِي عَجِيبًا بَعْدَ بَيْنِكُمْ وَإِنَّمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَكُمْ عَجِبُ (٦)

- (١) معجم الأدباء : ج ٩ ، ص ١٩٦ .
(٢) انظر : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٥٢ .
(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٩٩ ، ص ١٢٢ .
(٤) نصره الشاعر على المثل السائر : ص ١١٢ ، ومعجم الأدباء : ج ١٠ ، ص ٤٠ .
(٥) ديوان الواواء الدمشقي : ص ١٢ .
(٦) المصدر نفسه : ص ٣٤ .

ويَقُولُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ :

تَوَدُّ الْبَقَاءَ النَّفْسُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى وَطُولُ بَقَاءِ الْعَرَّةِ سَمٌّ مَجَسَّرٌ (١)

فالمعريّ يستخدم مصطلح "البقاء" بمفهوم كلاميّ هو الاستمرار وعدم الغناء ، فيذكر أنّ النفس تحبّ البقاء والحياة وتكره الزوال والموت .

وتحدث الطغرائي عن " البقاء " و " الغناء " في معرض حديثه عن الشّعبة ،

فقال :

وَمَرَّوحٌ يَرِي سُرُورَ لِقَائِهِ لَوْلَا اتِّصَالُ فَنَائِهِ بِبِقَائِهِ
يَحْكِي الْقَضِيبَ قَوَامُهُ وَتَحْوُلُهُ حُسْنًا وَصَوْنًا الْبَدْرُ مِنْ أَشْمَائِهِ
فَيَسْرُنِي لَيْلًا بِحُسْنِ وَفَائِهِ وَيَسُوؤُنِي صُبْحًا بِقُبْحِ جَفَائِهِ
يَشْكُو الْحَيْنِينَ إِلَى الْأَيْفِ وَيَغْتَدِي كُلُّ يَعْلُلُ نَفْسَهُ بِرَجَائِهِ (٢)

فالشّاعر يستخدم في هذه الأبيات عدداً من مصطلحات علم الكلام التي كان الشيعة يتناقشونها في كتبهم ، ويبحثونها في مجالسهم ، وهي : " البقاء " و " الغناء " و " الحسن " و " القبيح " ، فالشّعبة لها مساوئ منها أن بقائها متصل بغنائها ، فهي تنقص وتفنى ما دامت مشتعلة ، كما أنها ذات وفاة في الليل، فهي تنير للشّاعر ، وذات جفاء في النهار حيث تطفأ ويزول نورها .

ويقول ابن السّبل البغداديّ في رثاء أخيه :

غَايَةُ الْحُزْنِ وَالسُّرُورِ انْقِضَاؤُهُ مَا لِحَيٍّ مِنْ بَعْدِ مَيِّتٍ بِقَاؤُهُ
لَا يَبِيدُ يَا رَبِّدَ مَا تَحْزُنُنَا وَسَلَّتْ صَخْرًا الْفَتَى الْخَنَنَاؤُهُ
مِثْلًا مَا فِي التُّرَابِ يَبْلَى الْفَتَى قَالَ حُزْنٌ يَبْلَى مِنْ بَعْدِهِ وَالْبُكَاءُ (٣)

فاين السّبل يستوحى مصطلحات الشيعة ، ومنها " البقاء " و " يبلى " ويستخدمها في رثاء أخيه ، فلا بقاء لأحد من البشر على وجه الأرض .

ومن الشعراء الذين سرت إلى شعرهم ربح المصطلحات الشّيعيّة الكلاميّة ابن أبي حصينة المعريّ ، فقد استوحى ذلك في أغراضه الشعريّة المختلفة ، ومن ذلك قوله في

المدح :

- (١) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٢٢ .
- (٢) ديوان الطغرائي : ص ٤٣ .
- (٣) معجم الأدباء : ج ١٠ ، ص ٢٩ .

كَمْ مِنَّةٍ لَكَ عِنْدِي لَسْتُ أَكْفُرُهَا
وَكَمْ نَنْظَمْتُ لَكَ الْأَوْصَافَ مُحْكَمَةً
تَسِيرُ شَرْقاً وَغَرْباً وَهِيَ ثَابِتَةٌ
وَنِعْمَةٌ أَنْتَ بَعْدَ اللَّوِّ مُوَلِيهَا
كَأَنَّهَا الدَّرُّ تَمَثِيلًا وَتَشْبِيهاً
يَفْنَى الزَّمَانَ وَتَبَقَى لَيْسَ يُفْنِيهَا (١)

فهو يفخر بأشعاره في الممدوح مثبها إياها بالدر ، وهي خالدة باقية على مرّ الأيّام لا تفنى .

ونجد حديثاً عن " البقاء " و " الفناء " لدى شاعر عباسي آخر هو صردر ، وذلك في حديثه عن قضاء الدهر وسنة الحياة ، فيقول :

يُحَدِّثُنَا بِالْفَنَاءِ الْبَقَاءُ
بِهَذَا قَضَى النَّهْرُ فِي أَهْلِيهِ
يُعَلِّلُنَا بِرَمَاعِ الْمُسْنَى
وَيُخَيِّرُنَا بِالرَّحِيلِ الْمَقَامُ
تَعْرِفُنَا وَتَأْتِي فِتْنَامُ (٢)
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَكُونُ الْفِطَامُ (٣)

فالمقام مؤذن بالرحيل والزوال ، والبقاء طريق الفناء ، وهكذا نجد الشاعر قد تأثر بلغة الشيعة ومصطلحاتهم فاستخدمها في شعره شأنه شأن غيره من الشعراء .

ومما يتصل بالبقاء و " الفناء " مصطلحات " الموجود " و " الوجود " و " العدم " و " المعدوم " (٤) ، وقد استخدم الشيعة هذه المصطلحات بمعانٍ شيعية ، فعنوناً بالوجود المخلوق ، وبالوجود الخلق والإيجاد ، وبالعدم الفناء والانتها ، وقد شاعت هذه المصطلحات لدى الشعراء العباسيين ، ومن ذلك ما يقوله أبو القاسم الخويبي (٥) :

تَصِيرُ تَرَاباً كَأَنْ لَمْ نَكُنْ
وَعَاةَ الْعُلُومِ رِعَاةَ الْأُمَمِ
قَتَباً لِعَيْشِ قَصِيرِ السُّدُومِ
وَوَجْدَانَ حَظِّ قَرِينِ الْعَدَمِ (٦)

(١) ديوان ابن أبي حصينة : ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٢) الفئام : الجماعة من الناس : (انظر : لسان العرب ، مادة فأم) .

(٣) ديوان صردر : ص ١٨٥ .

(٤) انظر : أوائل المقالات : ص ١١٦ .

(٥) ناصر بن أحمد بن بكر الخويبي النحوي أبو القاسم ، كان شيخ الأئمة في ديار أذربيجان بلا مدافعة ، ولي القضاء مدة وتوفي سنة ٥٠٢ هـ . (انظر : بغية

الوعاء : ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٦) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٣١١ .

يشكو الشاعر في البيتين من فناء الناس وزوالهم ، كما أنه يتذمّر من حظّه العائر الذي لا قيمة له فكأنّه الفناء والزوال لا وجود له .

ونجد ابن السبل البغداديّ يتحدث عن إيجاد الناس وخلفهم ، فيذكر أنّ وجودهم شرّ عليهم ، وهو في ذلك يردّد مفردات علماء الكلام ، يقول :

قَبِحَ اللَّهُ لَذَّةَ لَيْقَانَ نَا نَالَهَا الْأُمَّهَاتُ وَالْأَبْسَا
نَحْنُ لَوْلَا الْوُجُودُ لَمْ نَأْلَمِ الْفَقْرَ سَدَ فَيَجَادُنَا عَلَيْنَا بَلَاءُ (١)

ويقول الطغرائي :

قَالَتْ: حُرِمْتَ الْغِنَى مِنْ حَيْثُ أُوْتِيَهُ سَوَاكَ وَالْعُدْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَدَمِ
فَقُلْتُ: كُفِّي ، قَلْبِي الْعُدْمُ مَنْقِصَةٌ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِالْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ (٢)

فالشاعر في هذين البيتين يستوحي مصطلح "العدم" في معرض فخره بأخلاقه وشيئيه فيستخدمه بمعنى الفناء والزوال ، فمحبوبته تعبّره بفقيره وعُدْمِهِ ، ولكنّه يبيّن أن ذلك لا قيمة له إذا كان المرء حميداً الأخلاق كريمة الصفات .

ويقول الواواءُ الدمشقي :

قَدْ سَرَنِي أَنَّهُمْ قَدْ سَرَهُمْ سَقَمِي فَازْدَدْتُ كَيْمَا يُسْرُوا بِالضَّنَى سَقَمَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي يَوْمَ بَيْنِهِمْ نَدِمْتُ إِذْ لَمْ أُمَّتْ فِي إِثْرِهِمْ نَدَمَا
أَسْرَزِقُ اللَّهَ لِي صَبْرًا أَعِيشُ بِهِ يَكُونُ مَوْجُودُهُ مِنْ بَعْدِهِمْ عَدَمَا (٣)

فالشاعر يستحضر مصطلح "العدم" في هذه الأبيات ، فيبيّن أنّه ليس له صبر على فراق أحبّته .

وهاهو الشاعر أبو هلال العسكري (٤) يندب حظّه ، فقد تحسنت حاله ، فصار من الفقرا إلى الغنى ، ووصله المحبوب بعد جفائه ، ولكنّ هذا التحسّن ثوبٌ مُعارٍ مؤقت لا بدّ من نهايه ونزعِهِ ، ولذا فإنّ المرء لا ينبغي له أن يُسرَّ بحظّ متنقّل ولا يد له من

(١) نصره الشاعر على المثل السائر : ص ٢١٨ .

(٢) ديوان الطغرائي : ص ٣٤٤ .

(٣) ديوان الواواءُ الدمشقي : ص ٢٠٠ .

(٤) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهزيان ، أبو هلال العسكري اللغوي ، كان عالماً ثقة ، غلب عليه الأثب والشعر ، وله كتاب في اللغة ، وكان حياً سنة ٢٩٥ هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ٨ ، ص ٢٥٨ - ٢٦٤) .

أن يغني ويُفقد ، يقول أبو هلال :

قَدَّ قَرَبَ الْأَمْرَ بَعْدَ بَعْدِهِ	وَأَشْفَعَفَ الْإِلْفَ بَعْدَ صَدِّهِ
وَبَعْدَ بُؤْسٍ وَضِيقِ عَيْسٍ	صِرْتُ إِلَى خَفْضِهِ وَرَغْبِهِ
لَكِنَّهُ مَلْبَسٌ مَعَارٍ	لَأَبْدٍ مِنْ نَزْعِهِ وَرَدِّهِ
وَهَلْ يُسَرُّ الْغَنَى بِحَاطِطِ	وَجُودِهِ عِلَّةً لِفَقْدِهِ (١)

وَمِنَ الْمَصْطَلِحَاتِ الْكَلَامِيَّةِ الْأُخْرَى الَّتِي بَحَثَ فِيهَا الشَّيْخُ ، وَتَرَدَّدَتْ لَدَيْهِمْ مَصْطَلِحَاتُ الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْجَوْهَرَ هُوَ الشَّيْءُ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ الْعَمِيقُ وَأَنَّ الْعَرَضَ هُوَ مَا يَعْرِضُ فِي الْوُجُودِ ، وَيَجُوزُ فَنَائِهُ مَعَ بَقَاءِ الْأَجْسَامِ ، وَهُوَ عَرَضٌ أَجْنَاسٍ مِنْهَا الْأَلْوَانُ وَالطُّعُومُ وَالْحَرَارَةُ وَالرَّوَائِحُ وَالْبُرُودَةُ وَالشَّهْوَةُ (٢) وَقَدْ انْتَقَلَ هَذَانِ الْمَصْطَلِحَانِ إِلَى الشُّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَهُ الْمُحَسَّنُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي إِلَى وَالِدِهِ يَلِيهِ فِي إِحْدَى نَكْبَاتِهِ :

لَتَأْسَ لِلْعَمَالِ إِنْ غَالَتْهُ غَاوِلَةٌ	فِي حَيَاتِكَ مِنْ فَقْدِ اللَّهِبِيِّ (٣) عِيَوْضُ
إِذْ أَنْتَ جَوْهَرُنَا الْأَعْلَى وَمَا جَمَعَتْ	بِدَاكَ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَالِدٍ عَرَضُ

فَأَجَابَهُ أَبُو إِسْحَاقَ :

بِأَثَرَةٍ أَنَا مِنْ دُونِ الْوَرَى مَدْفُ	لَهَا أَقْيَبُهَا الْمَنَابِيَا حِينَ تَعَرَّضُ
قَدْ قُلْتُ لِلدَّهْرِ قَوْلًا كَانَ مَصْدَرُهُ	عَنْ نَيْبَةٍ لَمْ يَشُبْ إِخْلَاصَهَا عَرَضُ :
دَعِ الْمُحَسَّنَ بَحِيًّا ، فَهُوَ جَوْهَرَةٌ	جَوَاهِرُ الْأَرْضِ طَرَأَ عِنْدَهَا عَرَضُ (٤)

فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَسْتَعْمِدُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي وَابْنَهُ الْمُحَسَّنُ مَصْطَلِحَاتِي " الْجَوْهَرُ " وَ " الْعَرَضُ " ، إِذْ يَدْعُو الْمُحَسَّنُ أَبَاهُ إِلَى الْآيْحَزَنَ لِفَقْدِهِ الْعَمَالَ ، فَالْعَمَالُ عَرَضٌ زَائِلٌ ، أَمَا وَالِدُهُ أَبُو إِسْحَاقَ فَهُوَ جَوْهَرٌ بَاقٍ ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ وَالِدُهُ أَبُو إِسْحَاقَ مَعْتَبِرًا ابْنَهُ جَوْهَرَةً ثَمِينَةً تَزْرِي بِجَوَاهِرِ الْأَرْضِ ، فَتَجْعَلُهَا أَعْرَاضًا زَائِلَةً لِأَقِيمَةِ لَهَا .

(١) الصناعتين : ص ٣٩ .

(٢) انظر : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ٤٦ ، ص ٥٩ ، ص ٦٣ ، ص ١١٤ ، وأوائل

الغفالات : ص ١٠٨ ، ص ١١٠ ، ص ١١١ ، ص ١١٥ ، وشرح قصيدة صاحب بن عبَّاد :

ص ٤٢ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣) اللهبى : العطايا . (انظر : لسان العرب ، مادة لها) .

(٤) معجم الأدباء : ج ٢ ، ص ٧٧ - ٧٨) .

ويقول أبو علي بن السبل البغدادي :

تَدَلَّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِالْحَيَاةِ فَقَدْ
يَعْوِضُ اللَّهُ مَا لَأَنْتَ مُتْلِفُهُ
يَهْوُونَ بَعْدَ بَقَاءِ الْجَوْهَرِ الْعَرَضُ
وَمَا عَنِ النَّفْسِ إِنْ أَتَلَفَتْهَا عِوَضُ (١)

فالشاعر يبيّن أنّ الاموال أعراض زائلة لاقيمة لها ، وأنّ نفس المرء جوهر باق لايعوّض وهكذا يستحضر الشاعر هذين المصطلحين الكلاميين للتعبير عن أهمية النفس ، وعدم الاكتراث لفقد الاموال .
ويقول الواواء الدمشقي :

بِأَحَاكِمَا قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ
تَرَكْتُ جِسْمِي عَرَضًا قَائِمًا
وَهُوَ إِذَا يُنْصِفُنِي خَصِي
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْهُ سِوَى إِسْمِي (٢)

يستخدم الشاعر هنا مصطلح العرض ، فهو يبيّن أنّ جسمه قد ذاب واضمحلت بسبب بُعد الحبيب ، فأصبح عرضاً زائلاً ليس منه إلا الاسم فقط .

ومن المصطلحات الكلامية الأخرى التي وجدت في كتب الشيعة اللطف (٣) ، وقد تحدّثنا عنه في الفصل الأول ، وقد انتقل إلى أشعار العباسيين ، ومن ذلك قول الطغرائي :

وَتَدَارَكْتَنِي بَعْدَ يَأْسٍ نِعْمَةٌ
اللَّهُ مَنْ يَلْطِفُهُ مُتَفَضِّلًا (٤)

فالطغرائي يستخدم كلمة اللطف بالمعنى الشيعي ، فلطف الله تعالى تدارك الشاعر فصره عن أمر قبيح هو اليأس والقنوط ، فأصبح متفائلاً بنعمة الله سبحانه وتعالى .

ومن الآثار التي خلفها الشيعة في الشعر العباسي أنّ الشعراء العباسيين أخذوا يشيرون في أشعارهم إلى علم الكلام وبيئات المتكلمين ، وما كان يدور في مجالسهم من المحاجة والجدل والمناظرة ، وإعطاء الأدلة ، وضرب الأمثال ، وتقديم الحجج والبراهين لإثبات الآراء ودفع آراء الخصوم ، ولذلك شاعت في الشعر العباسي ألفاظ

(١) معجم الأدباء : ج ١٠ ، ص ٣٨ .

(٢) ديوان الواواء الدمشقي : ص ١٠٨ .

(٣) انظر : الافتقاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ، ص ١٣٢ ، ص ١٣٥ -

١٣٢ ، وأوائل المقالات : ص ٦٢ ، ص ٦٩ ، ص ٧٥ ، ص ١٣٩ .

(٤) ديوان الطغرائي : ص ٢٩١ .

الدَّالَّةِ عَلَى الْمَنَاطِرَةِ وَالجَدَلِ • وقد أُجْرِيَ بَعْضُ النِّعْرَاءِ ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَةِ الطُّيُورِ مِنْهُمْ
ابنُ الهَبَّارِيَّةِ ، فَهُوَ يَقُولُ عَلَى لِسَانِ طَائِرِ العَنْقَاءِ ، قَامَ يَخْطُبُ فِي الحَيَوَانِ نَسَاتِ
وَالطُّيُورِ وَالخَشْرَاتِ مُتَحَدِّثًا عَنِ النَّاسِ :

فَلَيْتَنِي أَبْصَرْتُ فِيهِمْ رَجُلاً	حَبِيراً أَلَدَّ فِي الخِصَامِ جَدِلاً
يَعْتَمِدُ الإِنصَافَ فِي المَجَادَلَةِ	لَا يَقْضِي اللِّجَاجَ وَالْمُعَاحَلَةَ (١)
فَإِنَّ مِنْ مَقْصُودِهِ العِنَادُ	كَالجَمَلِ المُصْعَبِ لَا يَنْقَادُ
وَلَوْ رَأَى لِلخِصَمِ كُلِّ آيَةٍ	مَا زَادَهُ ذَاكَ سِوَى غَوَايَةٍ
فَأْتَهُمْ قَدْ شَاهَدُوا آيَاتِ	الرُّسُلِ الرَّحْمَنِ مُعْجِزَاتِ
فَلَمْ يَسْزِنَهُمْ ذَاكَ غَيْرَ كُفْرٍ	وَعَمَّةً عَنِ الهُدَى وَخُسْرٍ (٢)

أثر البيضة الكلامية في هذه الأبيات واضح لا يخفى على أحد ، فالقاعر يتحدث
على لسان العنقاء ، فيذكر الخِصَامَ والمجادلة ، والخِصَمَ ، والإِنصَافَ في الجَدَلِ
والمناظرة فيجعل طائر العنقاء يتمنى أن يرى رجلاً جديلاً ، بارعاً في المجادلة ، مُنْصِفاً
فيها ، يكون هدفه الإِنصَافَ والتوصُّلَ إلى الحقِّ ، فهذا يسهل جداله ، وذلك لأنَّ مَنْ
يجادل وهو معاند متعصب لا يبغى الحق في جدله ، ولذا يصعب هدايته ، مهما رأى للخصوم
من الآيات والبراهين والأدلة ، ولا يزداد إلا ضلالاً ، وهذه حال النَّاسِ ، فقد رأوا آياتِ
الله تعالى ، ولكنهم ازدادوا عى وضلالة ، وهذا يذكرنا بقول الله تعالى متحدثاً
عن الكافرين : " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك " (٣)

ويقول ابن الهَبَّارِيَّةِ أيضاً على لسانِ رَجُلٍ يَكَلِّمُ العَنْقَاءَ وَطُيُوراً وَحَيَوَانَاتٍ أُخَرَ :

فَأَيْتَكُمْ يَنْشُطُ لِلْمَنَاظِرَةِ	فَأَجْتَمَعُوا لِلرَّأْيِ وَالْمُشَاوَرَةِ
فَقَالَتِ السَّبَاعُ : هَذَا جَدِيدٌ	وَنَحْنُ عَنْهُ أَجْمَعُونَ نَنكِرُ
فَعِثْلُنَا لِلحَرْبِ وَالْمِيسِرِ	أَهْلُ الجِدَالِ غَيْرُ أَهْلِ البِيسِ
لَيْسَ الجِدَالُ يَنْبَغِي بِنَجْوَ	وَلَا الصَّوَابُ وَالهُدَى بِشِدَّةِ (٤)

(١) اللِّجَاجُ وَاللِّجَاجَةُ : الخُصُومَةُ : وَالْمُعَاحَلَةُ : الكَيْدُ ، وَرَوْمُ الأَمْرِ بِالْحَيْلِ ، وَالتَّدْبِيرُ
وَالْمَكْرُ • (انظر : القاموس المحيط : مادة اللجاج : ومادة المحل) .

(٢) ديوان الصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ : ص ٣٤ •

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٤٥ •

(٤) ديوان الصَّادِحِ وَالْبَاغِمِ : ص ٤٣ •

هذه الأبيات زاخرة بألفاظ المتكلمين ، وما كان يجري في مجالسهم من المناقشة والمجادلة ، فالعناق تطلب من الحيوانات الأخرى أن تُبرزَ أحدها لمناظرتها ، ولكن تلك الحيوانات رفضت ذلك ، لأن طائر العنقاء بارع في الجدل ، بينما هي لا أعلم لها به ، والجدل يحتاج إلى البراعة واللين .

ويقول أبو العلاء المعريُّ متحدِّثاً عن الدنيا :

وَتَجَادَلْتَ فَقَهَاؤُهَا مِنْ حُبِّهَا وَتَقَرَّاتِ لِتَنَالَهَا قُرَاؤُهَا (١)

يبدو المعريُّ في هذا البيت متأثراً بمجالس المتكلمين ومجادلاتهم ومناظراتهم ، فهو يجعل على علماء الكلام ذاكراً أنهم يتهاكفون على الدنيا وملذاتها ويحبونها أشدَّ الحب ، ولذا كثرت بينهم المنازعات والجدل والخصومات .

ويروى أن أحد الشعراء يدعى أبا الدرداء الموصلي (٢) حضر يوماً مجلساً مع جماعة فتذاكروا في المذاهب والآراء ، وتناظروا في التنجيم ، فقال :

نَعُوا الْمِرَاءَ وَالْجَبَدَل فَهَوَ عَنَاءٌ وَزَلَلٌ
وَصَافِحُوا الْكَأْسَ عَلَيَّ حُسْنِ أَحَادِيثِ الْغَزَلِ
مَا النَّصْبُ وَالرَّفْضُ وَمَا يَوْمُ الْهَرِيرِ وَالْجَمَلِ
وَشَتُّمْ قَوْمٌ قَتَمَتْ بَيْنَهُمُ الدُّنْيَا دَوْلُ (٣)

ولمَّا لم يستقم للشاعر في البيت الثالث ذكر صفيين جعل مكانه يوم الهير ، وإنما هي ليلة الهير من أيام صفيين (٤) والشاعر في هذه الأبيات واضح التأثر بالمجالس الكلامية ، فهو يدعو إلى ترك الجدل والشك ، وإلى ترك الخصامة حول الحروب السابقة ، وترك شتم الصحابة رضي الله عنهم .

(١) نزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٤٥ .

(٢) ذكر الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ أنه كان يجري على طريقة السري الرفاء المتوفى سنة ٣٦٢ هـ ، ويتشبه به ، وبذلك يكون من شعراء القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري . (انظر : تنمة البيتيمة : ج ١ ، ص ٥٢) .

(٣) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفساهما .

(٤) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفساهما .

ويقول الواواء^١ الدمشقي :

لَمَّا جَرَى الدَّمْعُ دَمًا
بِالْقَلْبِ مِنْهُ إِذْ رَمَى
بِأَنَّهُ مَا عَلِمَا (١)

بَاحَ يَمًا قَدْ كَتَمَا
رَمَاهُ رِيْمٌ فَأَصَا
وَاحْتَجَّ فِي قَتْلَتِيهِ

فالشاعر يتغزل ، وهو في غزله لم يستطع أن يتناسى ما كان يدور في بينات المتكلمين من المحاجة والجدل ، فيذكر أن محبوبه الجميل رماه بناظره فقتله ، واحتج في قتلته بأنه لم يعلم أنه سيفتله .

ومما يدور بمجالس المتكلمين قول الطفرائي :

عَلَى رَغْمِ الصَّبَا أَنَا وَالْمَعِيْبُ
طَوَالِغٌ فِي عِذَارِي لِاتْفِيْبُ
يَسِيْرِي وَعَهْدُ مَوْلِدِي الْقَرِيْبُ
لِشَيْبِي وَالصَّبَا غَضُّ قَيْبِي
عَرَاهُ فَهَوَ يَغْنَمُ أَوْ يَخِيْبُ (٢)

نَحَا كَمْنَا إِلَى نُسُوبِ اللَّبَالِيِي
فَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِالزُّوْرِ بِيْبُضُ
وَقَامَ يَنْصُرْتِي وَالذَّهِيْعَانِيِي
وَعُدَّتْ وَقَدْ قَضَيْنَ عَلَيَّ جَسُورًا
وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى الْحَدَاِمِ فِيمَا

إن الطابع الكلامي واضح في هذه الأبيات ، ففيها يجري الشاعر معركة جدلية حامية الوطيس بينه وبين شيبه ، فشيبه يدعي كبر سنه ، وقد ناصرته في هذه الدعوى بعض الشعرات البيض في رأسه ، بينما اتعى الشاعر أنه ما زال شابًا ، وقد أيدته في دعواه هذه سنوات عمره القليلة ومولده القريب العهد ، ولكن مصائب الدهر ظلمت الشاعر فقضت لشيبه ظلمًا وعدوانًا .

وقد كان للشبعية والمتكلمين عاصمة أثر في أسلوب الشعر العباسي ، إذ تأثر الشعراء بعلم الكلام وحلقات المتكلمين ومجالسهم ، فاستعرت بينهم نار الجدل ، وكان لذلك أثر بارز في الشعر العباسي الذي أصبح لا يكتفي بطرح الآراء والأفكار ، وإنما يتطلب لكل شيء تعليلاً ويتطلب عليه حجةً ودليلاً يثبت صحته ، بينما كان الشعراء السابقون في العصرين الجاهلي والأموي لا يهتمون بتلك التعليلات ، ولا يرونها ضرورة

(١) ديوان الواواء^١ الدمشقي : صص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) ديوان الطفرائي : ص ٨٤ .

لهم (١) . وقد أدى ذلك إلى شيوع الأسلوب الكلامي المنطقي ، وهو ما يسميه البلاغيون المذهب الكلامي (٢) فأصبح الشعراء يحتجون على صحة المعنى ، فلا يكتفون بطرح أفكارهم وآرائهم ، وإنما يدعمونها ويعززونها بالأدلة والبراهين كل ذلك من أجل إقناع السامعين والخصوم بصحة ما يقولون ، ومن ذلك ما يقوله مسكويه (٣) في ابن العميد :

لَا يُعْجِبُنَا حَسَنُ الْقَصْرِ تَنْزِيلُهُ فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِائَةً مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئاً فِي فَضَائِلِهَا (٤)

فالشاعر يبين أن منزلة ابن العميد إنما هي في قدره وعلو مكانته في نفسه ، لا في القصر الذي يحل فيه ، فهو كالشمس التي ليست قيمتها في منازلها وأماكن تواجدها وإنما في نفسها ، ولم يكتف الشاعر بهذا وإنما نجده متأثراً بالشيعة وعلماء الكلام ، فيستدل على صحة رأيه هذا ويحتج له بدليل ، هو أن الشمس لا تزيد فضائلها بزيادة منازلها لأن تلك الفضائل كالمئة في ذاتها .

ويقول قابوس بن وشعكبر الديلمي :

قُلْ لِلَّذِي يَصْرُوفِ الْقَمَرِ عَيْرَنَا
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ يَغْلُو فَوْقَهُ جَيْفَا
فَإِنْ تَكُنْ عَيْتَتْ أَيْدِي الزَّهَانِ يَتَا
فِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَالَهَا عَدَدٌ
هَلْ عَانَدَ النَّهْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الْكُتْرُ
وَمَتَانٍ مِنْ تَعَادِي بُؤْيُوهِ صَرَرُ
وَلَيْسَ يَكْتَفِي إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٥)

- (١) انظر : الشعر العربي بين الجمود والتطور : ص ١٦٩ .
(٢) " المذهب الكلامي " : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل علم الكلام في القطع والإفحام) . انظر : شرح عقود الجمان : ص ١٢٣ ، وتلخيص المفتاح ، القزويني : ص ٣٢٧ .
(٣) أحمد بن محمد بن يعقوب ، أبو علي الخازن ، بلقب مسكويه ، كان مجوسياً فأسلم ، عارفاً بالعلوم ، وله مؤلفات عديدة وتوفي سنة ٤٤١هـ ، وله أشعار (انظر : معجم الأدباء : ج ٥ ، ص ٥ - ١٩) .
(٤) المصبر نفسه : ج ٥ ، ص ٧ ، ولطائف المعارف : ص ٤٨ .
(٥) التبيين في علم البيان : ص ١١٠ - ١١١ ، وانظر : حسن التوسل إلى صناعة الترسُّل : ص ١٨١ .

في هذه الأبيات يأتي الشاعر يدعو هي أن التهر لا يصب بذكابته إلا كل عظيم من الناس ، ولذا فإن مصائب التهر لم تتكالب على الشاعر إلا لأنه ماجد عظيم ، ولم يكتب الشاعر بهذا ، وإنما يورد الأدلة والبراهين ليثبت صحة قوله وتعوأه ، وهي أن الجيف المنتنة تعلق فوق البحر وتطفو على سطحه بينما ترسب في قعره الكثر الثمينة ذات القيمة العظيمة ، والسماء تضم عدداً كبيراً من النجوم ، ولكن لا يتعرض منها للكسوف إلا الشمس والقمر وهما أشرف تلك النجوم وأعلاها منزلة .

ويقول أبو الطيب المتنبي في رثاء والده سيف الدولة من قصيدة :

ولو كان النساء كمن فقدننا
لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيت لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال^(١)

إن تأثر المتنبي بأسلوب علماء الكلام واضح في هذين البيتين ، إذ يورد الرأي ويستشهد على صحته بالحجج والبراهين ، فيذكر أن النساء لو كن كوالدة سيف الدولة لفحن الرجال وفضلن عليهم ، ثم جاءه دليل على صحة هذا الرأي ، وهو تفوق الشمس - وهي مؤنثة - على القمر - وهو مذكر - ، فهي تنير الأرض وأما الهلال فهو يتغير من حال إلى حال إلى أن يصبح محاقاً ، وهذا عيب فيه . وهذا الاحتجاج عليل صحيح ، والعقل يشهد بصحته ، وذلك لأن الصفات الشريفة شريفة بأنفسها ، وليس عرفها من حيث الموصوف ، بل إن الصفات سبب التفاضل بين الموصوفات ، ومن هنا فالتأنيث ليس له ضرر على الصفات الشريفة الموجودة في الموصوف ، والفضائل التي فضل بها الرجل على المرأة لم تكن فضائل لأنها قارنت صورة التذكير وخلقته ، بل كان ذلك لها في أنفسها وذواتها .^(٢)

ويقول الطغرائي داعياً إلى نفي الهموم :

رويدك فالهموم لها رتاج
وعم كئيب يكون لها انفراج^(٣)
ألم تر أن طول الليل لمتما
تناهى حان للصبح انبلاج

(١) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ١٨ .

(٢) أسرار البلاغة : ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) ديوان الطغرائي : ص ١٠٧ .

يَدْعُو الطُّغْرَائِيَّ الْمَرَّةَ إِلَى نَبْذِ الْهَمومِ مَبِينًا أَنَّهَا سَتَزُولُ وَتَنْتَهِي مَهْمَا طَالَتْ ،
وَيَقْدَمُ بِرَهَانًا عَلَى صِحَّةِ مَا يَقُولُ ، وَهُوَ أَنَّ اللَّيْلَ عِنْدَمَا يَبْلُغُ سَوَادَهُ وَظِلَامَهُ مِنْتَهَا ، فَإِنَّ
هَذَا يُؤَدِّنُ بِقَرْبِ انْتِهَائِهِ وَمَجِيءِ الصُّبْحِ .

وَيُكْثِرُ الطُّغْرَائِيَّ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ وَضَرْبِ الشَّوَاهِدِ وَالْبَرَاهِينِ وَتَقْدِيمِ الْأَدْلَةِ فِي شِعْرِهِ
وَذَلِكَ بِتَأْنِيهِ الشَّبَعِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِشَكْلِ عَامٍّ ، يَقُولُ :

لَا تَطْمَعَنَّ إِلَى الْمَرَاتِبِ قَبْلَ أَنْ تَتَدَكَّمَ مَلَ الْأَدْوَاتِ وَالْأَسْبَابِ
إِنَّ الشَّمَارَ تَمَرُّ قَبْلَ بُلُوغِهَا طَعْمًا ، وَهَنَّ إِذَا يَلْغَنَ عِذَابُ (١)

فَالشَّاعِرُ يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى عَدَمِ التَّطَلُّعِ إِلَى الْمَرَاتِبِ الْعُلْيَا إِلَّا بَعْدَ اتِّخَاذِ
الْأَسْبَابِ وَتَوَافُرِ الْأَدْوَاتِ الْكَفَيْلَةِ بِذَلِكَ ، فَالْتَّسْرُعُ لَيْسَ فِي مَطْلَحَةِ الْفَرْدِ ، وَالذَّلِيلُ
عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الشَّمَارَ تَكُونُ مَرَّةَ الْمَذَايِ قَبْلَ نَضْجِهَا ، وَتُصِحُّ عَذْبَةُ حُلُوةِ الْمَذَايِ بَعْدَهُ .
وَيَقُولُ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصٍ
فَالدَّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي مَا حَظَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ (٢)

فَالشَّاعِرُ يَبِينُ أَنَّ الرَّأْيَ الصَّائِبَ لَا يَنْقُصُ مِنْ قِيَمَتِهِ صَدُورُهُ عَنِ إِنْسَانٍ نَاقِصِ خَيْسِرٍ ،
وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بَأَنَّ الدَّرَّ - وَهُوَ أَنْفُسٌ مَا يَقْتَنِي - لَا تَنْقُصُ قِيَمَتَهُ بِسَبَبِ هَوَانِ الْغَائِصِ
وَخِيسَتِهِ .

وَيَقُولُ أَيْضًا :

غَايِظُ صَدِيقِكَ تَكْفِيفٌ عَنِّ ضَمَائِرِهِ وَتَهْتِكُ السَّرَّ عَنِّ مَحْجُوبِ أَسْرَارِ
فَالْعُودُ يُنْبِئُكَ عَنِّ مَكْثُوكٍ بَاطِنِهِ لِحَاثُهُ حِينَ تُلْقِيهِ عَلَى النَّارِ (٣)

فَالشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مُتَأَثِّرٌ بِأُسْلُوبِ الشَّبَعِ فِي الْجَدَلِ وَتَقْدِيمِ الْأَدْلَةِ ،
فَهُوَ يَذْكَرُ أَنَّ مَغَايِظَةَ الصَّدِيقِ وَمَغَاضِبَتَهُ تَكْشِفُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَتَهْتِكُ مَا يُخْفِي فِي نَفْسِهِ مِنْ
الْأَسْرَارِ الْمَكْثُونَةِ ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْعُودَ حِينَ يُلْقَى عَلَى النَّارِ يَكْفِي لَنَا دُخَانُهُ
عَمَّا فِي بَاطِنِهِ مِنْ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ أَوْ كَرِيهَةٍ .

(١) ديوان الطُّغْرَائِيَّ : ص ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٠٩ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٦٤ .

ويقول مفتخراً بأخلاقه :

أَزِيدُ إِذَا أَيْسَرْتُ فَضْلَ تَوَاضُعٍ وَيَزْهَى إِذَا أَعَسَرْتُ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي
فَذَلِكَ عِنْدَ الْبُيُوتِ أَكْبَرُ لِلثَّنَاءِ وَهَذَاكَ عِنْدَ الْعُسْرِ أَصَوْنٌ لِلْعِرْضِ
أَرَى الْعُضْنَ يَعْزَى وَهُوَ يَسْمُو بِنَفْسِهِ وَيُوقِرُ حَمَلًا حِينَ يَدْتُو مِنَ الْأَرْضِ (١)

فالشاعر يفخر بأخلاقه ، فهو كلما ازداد غنى تواضع ، وكلما ازداد فقراً سمعت نفسه وازدادت عفة ، فتواضعه مع غناه يكسبه الحمد والثناء ، وعفته عند الفقر تكسبه حفظ العرض ، وهذا هو الخلق الكريم - ويأتي بدليل يقرب ذلك إلى الأذهان ، ويشتمل على تشبيه جميل ، وهو أن العضن يزداد سموه وارتفاعه إذا كان عارياً ، وحينما يكون مثقلاً بالحمل من الثمار والأوراق فإنه ينحني ويدنو من الأرض . وقد قصد الشاعر أن يشبه نفسه بذلك العضن .

ويقول ابن بشران (٢) :

إِنْ قَدَّمَ الْحَظُّ قَوْمًا مَالَهُمْ قَدَمٌ فِي فَضْلِ عِلْمٍ وَلَا حَزْمٍ وَلَا جَلَدٍ
فَهَكَذَا الْفَلَكَ الْعُلُويُّ أَنْجَمُهُ تَقَدَّمَ الثَّوْرُ فِيهَا رُتَبَةَ الْأَسَدِ (٣)

فالشاعر متأثر بالثبته ومتكلمهم في طرح الأذكار وتعزيزها بالبراهين ، فهو يقول : لأغرابة أن أتأخر ويتقدمني أناس لأفضل ولا علم لديهم ولا حزم ، فهذا محتمل الوقوع ، وبدل على ذلك أن الافلاك العلوية تقدم فيها برج الثور على برج الأسد في المنزلة والرتبة .

وقال أبو القاسم النحوي البصري (٤) :

إِلَّا إِذَا مُسَّ بِأَضْرَارٍ فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ
إِلَّا إِذَا أُحْرِقَ بِالنَّارِ كَالْعُودِ لَا يُطْمَعُ فِي رِيحِهِ

- (١) ديوان الطغرائي : ص ٢١٦ .
- (٢) محمد بن أحمد بن سهل ، المعروف بابن بشران ، وبشران جدّه لأمه ، كان ذا دين وصلح ، وُلِدَ سنة ٣٨٠هـ وتوفي سنة ٤٤٤هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ١٧ ، ص ٢١٤-٢١٥)
- (٣) المصدر نفسه : ج ١٧ ، ص ٢١٩ .
- (٤) الفضل بن محمد بن علي بن الفضل ، أبو القاسم النحوي ، كان واسع العلم ، غزير الفضل مقيماً بالبصرة ، وتوفي سنة ٤٤٤هـ (انظر : المصدر نفسه : ج ١٦ ، ص ٢١٨) .
- (٥) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسها .

فالشاعر هنا يعرض فِكْرَةً هي أَنَّ بعض الناس لا يرتجى منه فائدة لغيره إلا إذا ناله الضُرُّ والأذى ، فعند ذلك يحسُّ بالآم غيره ، والدليل على ذلك أَنَّ العود لا يخرج رائحته الطيبة إلا إذا أُحْرِقَ ، وهذا هو أسلوب المتكلمين بعينهِ ، إيرادُ نَعْوَى ثُمَّ التَّذليلُ عليها بالحجج والبراهين .

ويقول أبو القاسم النحويُّ الأديبُ (١) في إغياب الزيارة :

عَلَيْكَ يَا غِيَابَ الزِّيَارَةِ إِتَهَامًا تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَمْلَكًا
فِيَاتِي رَأَيْتُ الْغَيْبَ يُسَامُ دَائِمًا وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ (٢)

يبين الشاعر أَنَّ الزيارة إذا تكررت كثيراً فإنها تكون طريقاً إلى الهجر والقطيعة ، وهذه نَعْوَى قد تصحَّ وقد لانتح ، قد تُمدَّقها وقد تُكذَّبُ بها ، فيأتي الدليلُ القاطع على صحتها وهو أَنَّ المطرَ يعلِّمهُ النَّاسُ ويسأونهُ إذا كثرَ ، ويحبُّونه بل يرجون قدومه ويتذللون إلى ربِّهم كي يمنحهم إِيَّاهُ إذا ما حُبِسَ عنهم .

ويقول ابنُ بشران اللغويُّ :

لَا تَغْتَرِرْ بِهَوَى الْمِلَاحِ فَرُبَّمَا ظَهَرَتْ خَلَائِقُ لِلْمِلَاحِ قَبِيحًا
وَكَذَا السُّيُوفُ بِرُوقِ حُسْنِ صِقَالِهَا وَبِحَتْمَا يُتَخَطَّفُ الْأَرْوَاحُ (٣)

هذان البيتان في النصح والإرشاد ، وقد بدا فيهما أثرُ الشيعَةِ ومتكلميهِم بشكلٍ واضح ، فعلى المرءِ ألاَّ يَتَعَدَّعَ بِهَوَى الْجَمِيلَاتِ فَرُبَّمَا ظَهَرَتْ لِهِنَّ أَخْلَاقٌ قَبِيحَةٌ ، مثلُهُنَّ مثلُ السُّيُوفِ يَعْجِبُ النَّاطِرَ جَمَالُهَا وَبَرِيقُهَا وَحُسْنُ صِقَالِهَا ، وَلَكِنَّهَا أَدَاةٌ قَتَلَتْ قَتَاكَةً تَهْلِكُ النَّفُوسَ وَتُزْهِقُ الْأَرْوَاحَ .

ويقول صرِّدَر :

أَرَى الْأَمْوَالَ فِي اللَّؤْمَاءِ تَشْوِي وَتَجْتَنِبُ الْكِرَامَ مِنْ الرَّجَالِ
كَذَاكَ الدَّرُّ فِي بَحْرِ أَجْسَادِ وَلَيْسَ يَكُونُ فِي عَذْبٍ زُلَالِ (٤)

(١) ناصِرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَكْرٍ أَبُو الْقَاسِمِ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ، وُلِدَ سَنَةَ ٤٦٦ هـ ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى أَبِي طَاهِرِ الشَّيْبَرَاذِيِّ ، وَالْأَدَبَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَرَاذِيِّ وَكَانَ شَيْخَ الْأَدَبِ فِي أَنْدَرْبِيجَانَ ، وَوَلِيَ بِهَا الْقَضَا مَدَّةً وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٠٧ هـ (انظر: معجم الأدباء : ج ١٩ ص ٢١١) .

(٢) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسهما .

(٣) الوافي بالوفيات : ج ٢ ، ص ٨٣ . (٤) ديوان صرِّدَر : ص ٢١٠ .

يَبْدُو الشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مُنْتَرِبًا آراءَ الْكَلَامِيِّينَ وَطَرِيقَتَهُمْ فِي الْجَسَدِ
وَالْمَنَاظِرَةِ ، فَهُوَ يَقْدَمُ فِكْرَةً عَرَفَهَا مِنْ خِلَالِ تَجَارِبِهِ فِي الْحَيَاةِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالنَّاسِ وَهِيَ
أَنَّ الْأَمْوَالَ تَكْثُرُ فِي أَيْدِي اللَّثَامِ وَتَقَلُّ فِي أَيْدِي الْكِرَامِ ، وَجَرِيًّا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
الْمُتَكَلِّمُونَ فَقَدْ أورد الشَّاعِرُ دَلِيلًا عَلَى قَوْلِهِ ، وَهُوَ أَنَّ التُّرَّ لَا يُوْجَدُ فِي الْمَاءِ الْعَذْبِ
وَإِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْمَاءِ شَدِيدِ الْمُلُوحَةِ . وَيَقُولُ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ :

إِنَّ كُنْتَ تَسَلَّمُ مِنْ شَغْبِ الزَّمَانِ وَلَا أُعْطِيَ السَّلَامَةَ مِنْهُ كُلَّمَا شَفَّابًا
فَالْعَاصِفَاتُ إِذَا مَرَّتْ عَلَى شَجَرٍ حَطَمْنَهُ وَتَرَكَنَ الْبَقْلَ وَالْعُشْبَا (١)

يُلَاحِظُ فِي الْبَيْتَيْنِ أَنَّ الشَّاعِرَ يُفَضِّلُ نَفْسَهُ عَلَى الْمُخَاطَبِ ، فَيَدَّعِي أَنَّ تَكَالِبَ مَصَائِبِ
الدَّهْرِ عَلَيْهِ دُونَ الْمُخَاطَبِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الشَّاعِرِ ، وَيَحْتَجُّ لِذَلِكَ بِأَنَّ الرِّيحَ الْعَاصِفَ عِنْدَمَا
تَهْبُّ لِاتْحَطُّ إِلَّا الشَّجَرَ الْعَالِي ، وَتَتْرَكَ الْبَقْلَ وَالْأَعْشَابَ الصَّغِيرَةَ .

وَلَمْ يَنْسَ الشُّعْرَاءُ أَنْ يَسْتَحْضِرُوا الطَّابِعَ الْكَلَامِيَّ فِي مَدَائِحِهِمْ ، وَذَلِكَ بِتَأْثِيرِ عُلَمَاءِ
الْكَلَامِ وَمَا أَدْخَلُوهُ فِي الشُّعْرِ مِنْ أَسَالِيبِ الْحِجَاجِ وَالْمَنَاظِرَةِ ، فَأَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذَلِكَ
مَعَا صَبَغَ شِعْرَهُمْ بِطَابِعِ خَاصٍ .

وَلَمَّا كَانَ الشُّعْرَاءُ لَا يَأْتُونَ بِأَيِّ فِكْرَةٍ دُونَ أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهَا الْأُدْلَةَ وَالْبِرَاهِمِينَ
الَّتِي تُقَرِّبُهَا إِلَى الْأُدْهَانِ وَتَثْبِتُ صِحَّتَهَا ، كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَلَّا يَقْبَلَ الشُّعْرَاءُ مِنْ
غَيْرِهِمْ كُلَّ فِكْرَةٍ لِاتِّكَوْنِ قَدْ عَزَزَتْ بِالْبِرَاهِمِينَ وَالْأُدْلَةَ الَّتِي تَثْبِتُ صِحَّتَهَا ، وَلِذَا أَخَذُوا
بِطَالِبُونَ بِإِيرَادِ الْحِجِجِ وَالْأُدْلَةَ وَالشُّوَاهِدِ ، وَيَعْتَبِرُونَ كُلَّ فِكْرَةٍ تُقَدِّمُ دُونَ أُدْلَةٍ
وَبِرَاهِمِينَ فِكْرَةً بَاطِلَةٌ وَغَيْرُ مَقْبُولَةٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ أَبْنُ الْهَيْثَارِيَّةِ حَاضًا عَلَى عَدَمِ
قَبُولِ أَيِّ دَعْوَى أَوْ فِكْرَةٍ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا قَدَّمَ الْأُدْلَةَ ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّعْوَى
مِنْ خِصْمٍ مَعَانِدٍ لِإِزِيدِ الْبِرْهَانِ إِلَّا إِعْرَاضًا وَإِمْعَانًا فِي عِنَادِهِ ، يَقُولُ :

لَا تَسْمَعِ الدَّعْوَى بِغَيْرِ شَاهِدٍ لَاسِيَّمَا مَا كَانَ مِنْ مَعَانِيهِ
لَوْ أَنَّي أَوْرَدْتُ الْفَبِيئَةَ لِيُصَدِّقَ مَا أَذْكَرُهُ مَعِينَتَهُ
مَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا مَهْدًا عَمَّا ذَكَرْتُ أَبَدًا وَرَدًّا (٢)

(١) ديوان العسكري : ص ٦٣ .

(٢) ديوان الصادح والباغم : ص ٢٦ .

وقد عبّر الطغرائي عن هذا في معرضه المديح ، حيث يقول :

فَأَنْتَ الَّذِي جَلَّلْتَنِي مِنْكَ أَنْعَمَاءً لَهَا مَوْقِعٌ بَيْنَ الْأَنَامِ جَلِيلٌ
مُنِيلاً إِذَا مَا كَانَ مِنِّي خِدْمَةً وَإِنَّ سَبَقْتَنِي عَشْرَةٌ فَمُقِيمٌ
وَخَبَّرَنِي تَقْلِيْبِي النَّاسِ بُرْهَانَةً يَا تَنْكَ فَرْدٌ وَالْأَنَامُ سُكُورٌ
وَمَا يَسْتَوِي وَدَّ الْمُقَلِّدِ وَالسَّيِّدِي لَهُ حُجَّةٌ فِي وَدِّهِ وَدَلِيلٌ^(١)

فالشاعر يأتي بحجج وأسباب يسوغ بها وده للممدوح ومحبته له ، فهو يكافئه على خدماته ويقبل عثراته ، ومن هنا فإن حبه للممدوح ووداده له ودا يقوم على حجج وأدلة فهو ود صحيح ثابت ، وليس ود مقلد دون حجة ، فالشاعر - كما هو واضح - يرفض الود الذي لا يعتمد على حجج وأسباب ، ويعتبره ليس ذا قيمة .
ويقول أبو العلاء المعري :

لَمْ يَقْدِرُ اللَّهُ تَهْذِيبًا لِعَالَمِنَا فَلَا تَرَوْمَنَ لِلْأَقْوَامِ تَهْذِيبَانَا
وَلَا تَصَدَّقْ بِمَا الْبُرْهَانُ يُبْطِلُهُ فَتَسْتَفِيدَ مِنَ التَّصْدِيقِ تَكْذِيبًا^(٢)

نلاحظ هنا أن أبا العلاء يطالب المرء بتكذيب كل خير أو رأي لا تثبت صحته بالبرهان ، وبهذا فهو متأثر بالشيعة في هذا المجال .
ويقول الخطيب البغدادي :

حُكْمُ الْهَوَى يَتْرُكُ الْأَبَابَ حَائِرَةً وَيُورِثُ الصَّبَّ طَوْلَ السُّقْمِ وَالْعِلْسِ
وَحُبُّكَ الشَّيْءِ يُعْطِي عَنْ مَقَابِحِهِ وَيَمْنَعُ الْأُذْنَ أَنْ تُصْفِيَ إِلَى الْعَذْلِ
لَا أَسْمَعُ الْعَدْلَ فِي تَرْكِ الصَّبَا أَبَدًا جُهْدِي فَمَا ذَاكَ مِنْ هَعْيٍ وَلَا سُفْلِي
مَنْ أُنْعَى الْحُبْلَامَ تَظَهَّرَ دَلَائِلُهُ فَحُبُّهُ كَذِبٌ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ^(٣)

فالشاعر متأثر بالروح الكلامية الشيعة ، فهو يطالب بالأدلة والبراهين على كل شيء ، وحتى في الحب لا بد من ظهور الأدلة على ذلك ، وإلا كان المحب كاذباً فيما يدعي .

(١) ديوان الطغرائي : ص ٢٨٦ .

(٢) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ١٠١ .

(٣) معجم الأدباء * : ج ٤ ، ص ٢٦ .

وكان من الآثار التي خلفها الشيعة في أسلوب الشعر العباسي أيضاً ما شعاع في الشعر العباسي من المناقضة المنطقية ، حيث يعتمد الشاعر إلى محاولة إقناع السامع عن طريق مناقضته بطريقة مُقنعة . يقول ابن الهبّاريّ في ذلك :

وَاللَّهِ لَوْلَا سَرَفُ الْأَنْسَامِ مَا كَانَتِ الدُّنْيَا سِوَى أَحْلَامِ
انظُرْ إِلَى أَرْضٍ خَلَاءٍ مِنْهُمْ وَمَوْضِعٍ نَاءٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ
هَلْ هُوَ مِثْلَ الْمَوْضِعِ الْمَشْكُونِ يَحْنُ فِي النَّفْسِ وَالْعُيُونِ (١)

فالشاعر يذكر أنّ الناس هم الذين يَعْمُرُونَ الدُّنْيَا وَيَسْكُنُونَهَا ، ثمّ يدعو الإنسان إلى المقارنة بين بقعةٍ من الأرض معمورة بالناس أهلية بهم وبقعة خالية منهم أو بعيدة عنهم ، فهذه حنة جميلة تثير البهجة والشور ، وتلك موحية مقفرة ، وقد جاء الشاعر بكلّ هذا من أجل حمل الإنسان على الاقتناع بأهمية الناس على هذه الأرض .

ونجد مثل هذه المناقضة المنطقية لدى الشاعر أبي العلاء المعريّ ، فهو يبين أنّ الله تعالى قد قضى على الناس بالخزي ، لذا كانوا أشقياء لا يطمع في صلاحهم ، ثم يناقض ويحاجّ فيقول : إن الله تعالى أرسل إلى البشر رسلاً كثيراً ، وقام وعظ كثيراً ، كثيرون يعظونهم ، ولكنّ الناس لم يستمعوا إليهم ، فانصرف الرسل نوناً أن يُفْلِحُوا في تغيير شيء من أوضاع الناس ، فكيف يُطْمَعُ إذن في تغيير أحوالهم ؟!

يقول أبو العلاء في ذلك :

إِذَا قَضَى اللَّهُ بِالْمَخَازِي فَكُلُّ أَهْلِيكَ أَشْقِيَاءُ
كَمْ وَعَظَّ الْوَاعِظُونَ مِنْهَا وَقَامَ فِي الْأَرْضِ أَنْبِيَاءُ
فَانصَرَفُوا وَالْبَلَاءُ بَسَائِي وَلَمْ يَسْرُلْ دَاوُكِ الْعَبَاءُ
حُكْمٌ جَزَى لِلْمَلِيكِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَصْلِ أَغْبِيَاءُ (٢)

ويقول الطغرائي :

لَأَتَّبِعِي أَتِّي وَفِيَتْ بِعَهْدِكُمْ وَرَعَيْتُكُمْ إِنَّ الْوَفَاءَ ضُرُوبُ
أَأَعِيشُ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ وَأَتَّعِي حَسَنَ الرَّعَايَةِ إِنِّي لَكَلِّدُوبُ
إِنْ لَمْ أُمَّتْ أَسْفَاً عَلَيْكَ فَإِنَّ لِي قَلْباً كَمَا شَاءَ الْفِرَاقُ يَسْدُوبُ

(١) ديوان الصّادح والبّاعم : ص ٥٤ .

(٢) لزوم مالايلزم : ج ١ ، ص ٤١ .

وَمِنَ الشُّهُودِ عَلَى غَرَامِي أَنْتَ سِينِي
طَرِبُ الشَّمَائِلِ وَالْمُحِبُّ طَرِبُ رُوبِ
أَرْتَاحَ إِنْ لَاحَ الْوَمِيضُ وَأَنْتَ سِينِي
نَشْوَانَ إِنْ هَبَّتْ عَلَيَّ جَنُوبُ (١)

فالشاعر في هذه الأبيات متأثر بالشيعة وأساليبهم المنطقية والكلامية إلى حد بعيد ، فهو يذكر أنه لا يجوز له أن يدعي الوفاء لأحبابه ، لأنه ما زال حياً بعد فراقهم ثم يستخدم بعد ذلك الحجج والبراهين للدلالة على أنه محبٌ ، من ذلك أنه يطرب ويتمايسل إذا ملاح له برق من جهة أحبابه أو هب عليه نسيمٌ من ديارهم .

وقوة الحجّة والبراهين ووضوح الأدلة التي يتمكن بها المرء من إقناع الخصوم بصحة ما يقول دليل على قدرته في المناظرة والمحاجة ، وتمكّنه من أساليب الجدال ، ولذا كان العجز عن الإتيان بالأدلة المقنعة والحجج الدامغة مظهرًا من مظاهر الضعف في العبّادل ، يستحق المرء أن يذم بسببه ، ونجد مثل هذا عند أبي العلاء المعرّي في قوله :

إِنْ عَذَّبَ الْعَمِيْنَ بِأَفْوَاهِكُمْ
فَإِنَّ صِدْقِي بِفَمِي أَعْتَدْتُ
طَلَبْتُ لِلْعَالِمِ تَهْذِيبَهُمْ
وَالنَّاسُ مَا صُفُوا وَلَا هَدُبُوا
سَأَلْتُ مَنْ خَالَفَ عَن دِينِي
فَاعُوَزَ الْمُخْبِرُ لَا يَكْتَسِبُ
وَأَكْثَرُوا التَّعْوَى بِلَا حُجَّةٍ
كُلُّ إِلَى حَسْبِهِ يَجْتَبُ (٢)

فأبو العلاء يذمّ الناس ويهجوهم بأنهم لا يملكون الأدلة التي يثبتون بها صحّة دعواهم ، وإنما يدعو كل منهم إلى آرائه دون دليل أو برهان على صحة ما يقول - وهناك أشعار أخرى للمعرّي هاجم بها اليهود لأنهم يدعون أنّ المسيح سيأتي ، ولا يقيمون أدلّة على صحّة هذه التّعوى ، ولذا لا يمكن قبولها . (٣)

ويقول الطغرائي :

وَلَا تَبَاسُنْ مِنْ مَنَعِ رَبِّكَ إِنَّتُ
ضَمِينٌ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيهِ
فَإِنَّ اللَّيَالِي إِنْ يَزُولُ نَعِيمُهَا
تُبَقِّرُ أَنَّ النَّائِبَاتِ تَزُولُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ بَعْدَ ظَلَامِهِ
عَلَيْهِ لِإِسْفَارِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ

(١) ديوان الطغرائي : ص ٢٨ .

(٢) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٨٦ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ص ٢٦٠ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدَ كُوفِهَا لَهَا صَفْحَةٌ تُغِيهِ الْعُيُونَ صَقِيلٌ (١)

يناقض الطغرائي الإنسان مناقضةً منطقيةً للتدليل على أن زوال النعيم عن الإنسان يثير بزوال المعن والمائب ، ويستخدم الشاعر في ذلك الاستفهام للتفريغ بقوله " أَلَمْ تَرَ " فهو يستشهد على صحة قوله بأن الليل بعد اشتداد ظلامه يأتي الصبح ، وأن الشمس بعد كوفها تعود مبيحة لامعة تكل الطرف ، وتعجز البصر ، فبرتد عنها خائناً حسيراً ، فمادام الأمر كذلك فإن زوال النعيم دليل على قرب الفرج . وهكذا نرى أن الشاعر كان بارعاً في الاحتجاج لما أراد .

وهكذا فقد أصبح بعض الشعراء يسيرون في نظم عباراتهم على طريقة علماء الكلام ، فهم يقدمون الفكرة ثم يوردون الأدلة والبراهين التي يثبتون بها صحتها ، ويجعلونها مقبولة لدى السامع .

يقول المتنبي :

تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتَ مِنْ أَلَمِ الشَّوِّ قِي إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ (٢)

فكأنما يقول إنه صادق في شكواه ، لأن برهان دعواه قائم ، وهو نحول جسمه وضعفه من ألم البعد ، ومدامة السهر والشهاد ، وتعب خاطر ، وعناء النفس وتعطش الروح ، وشروء الفكر وحنين الفؤاد (٣) .

ونتيجة لتأثر الشعراء بالشيعة بخاصة والمتكلمين بهامة في أسلوبهم الشعري من حيث الاستدلال والاحتجاج ليحجة المعنى على طريقة علماء الكلام ، فقد كثر في عصر العباسيين ظاهرة حسن التعليل (٤) ، وذلك بتأثير علماء الكلام وما نقلوه من آراء الفلاسفة (٥) ، وما أدخلوه من المنطق اليوناني (٦) .

(١) ديوان الطغرائي : ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ١٤٩ .

(٣) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني : ص ١٧١ .

(٤) حسن التعليل " هو استنباط علة مناسبة للشيء غير حقيقية مخالفة لعلته الأصلية ، وشرطها أن تكون على وجه لطيف يحصل به زيادة من مدح أو غيره " نفحات الأزهار على نسفات الأسفار : ص ٢٤٥ ، أو هو " انكار الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة ، والاتيان بعلة أخرى أدبية " أحسن الصياغة في حلية البلاغة

ص ٦٥ - ٦٦ .
(٥) النقد المنهجي عند العرب ، ص ١٤٩ .

(٦) انظر : المنهل في الأدب العربي : ص ١١٤ .

وتعتبر ظاهرة حسن التعليل في الشعر العربي على درجة عالية من الأهمية ، لأن فيها عملية عقلية مركبة ، لأن الشاعر يُقدِّم نَعْوَى غَامِضَةً تَكْتَنِفُهَا الشُّكُوكُ ، ثم يقيم الأدلة على صحتها ، وهي وليدة خيال جامع وفكر نَبْرٍ متحرِّرٍ قادر على التغلغل في أسرار الكون وإدراك وجوه الشبه والروابط التي تربط بين أجزاءه .^(١) وقد شاعت هذه الظاهرة بحيث أصبحنا نجدها عند عدد كبير من الشعراء العباسيين ، ومن هؤلاء المتنبي ، فهو يقول في المدح :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَاقَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابُ (١)

ففي هذا البيت تعليل جميل ، فقد جعل الشاعر علة قتل الممدوح أعدائه ما فيه من طبيعة الكرم ، حتى إنَّه ليقصد في قتلهم ضيافة الذناب لا الانتقام من أولئك الأعداء^(٢) . وهذا خلل ما هو متعارف عليه من أن الرجل إذا قتل أعدائه فإنما يقوم بذلك لأنَّه يريد هلاكهم ودفع خطرهم عن نفسه ليسلم له ملكه ، ويصفو من منازعتهم ، ويقصد المتنبي هنا أن يبالغ في وصف ممدوحه بالكرم والجود ، وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه حتى جعلته يرغب في أن يصدق رجا^٣ الراجين ، وأن يجنبهم الخيبة ، ولذا عندما علم أنه لما ذهب إلى الحرب صارت الذناب تتوقع أن يتسع رزقها من جراً قتل أعدائه كره أن يجنب رجا^٤ ما ، كما أن في هذا البيت ضرباً آخر من المدح ، وهو أن الممدوح يهزم أعدائه هزيمة لا يطمعون بعدها في معاودة القتال ، فيستغني بذلك عن قتلهم وإراقة دمايهم ، وأنه ليس ممن يسرف في القتل طاعةً للغبيظ والحنق ، ولا يعفو إذا قدر على أعدائه وتمكّن منهم^(٥) .

ومن حسن التعليل أيضا قول أبي طالب المأموني^(٤) في مدح بعض الوزراء ببخاري :

(١) الشعر العربي بين الجمود والتطور : ص ١٢٢ .

(٢) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٣) الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ص ٢٨١ .

(٤) أسرار البلاغة : ص ٢٥٨ .

(٥) عبد السلام بن الحسين ، أبو طالب المأموني ، من أولاد المأمون ، مدح الصحاب

بن عبّاد ، فأعجبه وقدمه ، فحسده ندما^٥ المباح ، ووثقوا به إلى الصحاب حتى سقطت منزلته عنده وتوفي سنة ٢٨٣ هـ ، وله أشعار . (انظر : فوات الوفيات :

ج ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢) .

مُغْرَمٌ بِالذَّنَاءِ صَبَّ يَكْسِبُ الْـ مَجْدٌ يَهْتَزُّ لِلسَّمَاحِ ارْتِيَا حَا
لَا يُذَوِّقُ الْإِغْفَاءَ إِلَّا رَجَاءً أَنْ يَرَى طَيْفَ مُدْتَمِيحٍ رَوَّاحًا (١)

فهنا شرط الشاعر الرّواح على معنى أنّ العفأة والراجين يحضرون الممدوح في صدر النهار على عادة الحكّام والسلاطين ، فإذا كان الرّواح وغيره من الأوقات التي لا يؤذن لهم فيها عليه قلوبا ، فيشتاق إليهم ، ولذا ينام ليأتمن برؤية طيفهم ، وذلك رغبة منه في العطاء والبذل . (٢)

ومن التعليل اللطيف قول أبي العلاء المعري :

وَلَيْلٍ خَافَ قَوْلَ النَّاسِ لَمَّـا تَوَلَّى سَارَ مِنْهُمْ مَاءً فَعَادَا (٣)

فهذا تعليل لطيف التمهيد الشاعر لطول الليل وتوهمه فيه ، فهذا الليل كأنما خاف أن يعيّرته الناس بالهزيمة ، وأنه إنما تولى مغلوباً على أمره ، فعاد من جديد بظلامه الطويل .

ويقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يَزَلْ جُودُهُ يَجُورُ عَلَى الْمَا لِي إِلَى أَنْ كَسَا النُّظَارَ أَصْفِرَارَا (٤)

ففي هذا البيت علل الشاعر اصفرار الذهب ، فذكر أنه يعود إلى جود الممدوح العظيم ، فهو ينفق المال بكثرة إلى أن جعل الذهب ناعلاً أصفر اللون خيبة أن يجوز الممدوح عليه ، فينفقه ولا يبقى منه شيئاً .

ونجد حسن التعليل لدى شعراء آخرين ، ومن هؤلاء الواواء دمشقي ، فهو يعلل بقاء المحب العاشق على قيد الحياة تعليلاً لطيفاً ، فيرجع ذلك إلى ضعف جسمه ، وهزاله الشديد بحيث لم يستطع الموت أن يراه ، ولا أن يهتدي إليه ، يقول :

لَا تَلْمُهُ فَلَيْسَ فِيهِ مَـلَامٌ لَوْمُهُ فِي الْهَوَى عَلَيكَ حَرَامٌ
لَمْ يَعْنِ أَنَّهُ جَلِيدٌ وَلَكِنَّ نَقَّ حَتَّى مَا إِنْ يَرَاهُ الْجَمَامُ (٥)

(١) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ص ٢٨٢ .

(٢) أسرار البلاغة : ص ٢٥٨ ، وتلخيص المفتاح : ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٣) شرح التنوير على سقط الزند : ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٤) ديوان ابن نباتة السعدي : ج ٢ ، ص ٥٩٠ .

(٥) ديوان الواواء دمشقي : ص ٢١٠ .

وهناك حُسن تعليل آخر لدى الواواء ، فهو يعلل زرقاة عين المحبوب ، فيذكر
أن عيني المحبوب زرقاوان كي تؤثرا في الناس وتعملا في القلوب ما يعمل السيف ،
يقول :

وَقَالُوا يُعْقَلِيهِ زُرْقَاةٌ تَيِّبُنُ فَطَّلَ لَهَا مُطَرَقَاةٌ
وَهَلْ يَقْطَعُ السَّيْفُ يَوْمَ الْجِلَادِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ أَرْزَقَاةٌ (١)

ويقول الطغرائي في وصف غدِير :

لَوْ لَازَتْ الرِّيحُ سَمُومًا يَبِيهٍ لِأَنْقَلَبَتْ وَهِيَ تَسِيمُ السَّحَابِ
وَقَدْ كَسَتْهُ الرِّيحُ مِنْ نَجْهِهَا بَرَعًا بِهِ يَلْقَى نَيْبَالَ المَطَرِ (٢)

في هذين البيتين يعلل الشاعر الأمواج التي عملتها الرِّيحُ على سطح ماء
الغدِير ، فقد وجدت تلك الأمواج كي تكون درعاً يقاوم بها المَطَرُ المتساقطَ عليه
كالنَّيْبَالِ وقال المتنبي :

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُكَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرَّحْمَاءُ (٣)

ففي هذا البيت حُسن تعليل ، وقد أبدع فيه الشاعر ، فقد جاء يعلل خفيته ،
لنزول المطر ، فهو يريد أن السحاب لا تقصد بمطرها محاكاة جود الممدوح وكرمها ،
لأن عطاء الممدوح المتتابع أكثر من مطرها ، ولكنها حُكَّتْ حَسَدًا للممدوح ، فالماء
الذي ينزل منها هو عرق تلك الحُمى (٤) وهكذا فقد أحسن الشاعر التعليل ، إذ إن
نزول المطر من السُّحُبِ صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة علة ، فعلة الشاعر هكذا
التعليل اللطيف (٥)

ويقول الواواء الدمشقي متغزلاً بالمحبيب :

- (١) ديوان الواواء الدمشقي : ص ٢١٠ .
- (٢) ديوان الطغرائي : ص ١٧٣ .
- (٣) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ٣٠ ، والرُّحَاءُ : العرق من أثر الحُمى . (انظر :
لسان العرب : مادة رضى) .
- (٤) تلخيص المفتاح : ص ٢٣٩ .
- (٥) نفحات الأزهار على نسيمات الأسفار : ص ٢٤٦ .

انظره إلى السحري في عينيه والدعج
 كأن أجفانه مرضى من الغنج (١)
 تظن من خجل توريد وجنتيه
 واللوماذك إلا من دم المهج (٢)

نلاحظ أن الشاعر يُحسِّن التعليل في هذين البيتين إلى حد كبير ، فمما درج عليه الشعراء والأدباء عامة هو أن التوريد في الخدين من علامات الخجل والخفس ، وهي صفة محمودة ، ولكن الشاعر يُنكر هنا هذه العلة ويأتي بعلة أخرى لطيفة ، فيرى أن توريد وجنته المحبوب ناتج عن كثرة الدماء التي تجمعت في وجنتيه من القتلى الذين أهلكتهم الحاطة .

وقد لجأ بعض الشعراء إلى مزج حُسن التعليل بالمبالغة في بعض الأحيان ، وذلك من أجل التعبير عما يجيش في نفوسهم من المعاني ، ومن ذلك قول الواواء الدمقي :

ما ترى النيلَ عليّ
 إنما زاد لأنني
 حبكا (٣) مثل شروع
 فيه أجريت دموعي (٤)

فالشاعر يعلل زيادة ما النيل إلى إجرائه دموعه فيه ، وهو تعليل لطيف يمتزج بالمبالغة ، ولنا أن نتصور مدى غزارة دموع الشاعر التي أدت إلى زيادة الماء في نهر النيل ويقول ابن همام الرامقي (٥) :

ولما برزنا للرحيل وقربت
 وضعت على صدري مبادراً
 كرام العطايا والركاب تسيبر
 فقالوا : محب للعنق بيبر
 تداركت قلبي حين كاد يطير (٦)

- (١) الدعج في العين شدة سوادها مع سعتها ، وقيل شدة سواد السواد مع بياض البياض . والغنج : ملاحه العينين . (انظر : لسان العرب : مادة دعج ، غنج) .
- (٢) ديوان الواواء الدمقي : ص ٦٧ .
- (٣) الحُبك : تكثر كل شيء كالماء القائم إذا مرّ به الريح : (انظر : لسان العرب ، مادة حبك) .
- (٤) ديوان الواواء الدمقي : ص ٢٧٤ .
- (٥) محمّد بن محمّد بن أحمد بن همام ، أبو نصر النحويّ النيسابوريّ ، كان مبرزاً في القراءة وعلوم الحديث وذا حظ وافر من العربية واللغة ، وله شعر جيد ، ولد سنة ٤٠٤ هـ ، وتوفي سنة ٤٨٩ هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ١٩ ، ص ٤٥) .
- (٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .

يبدو تأثر الشاعر بالشيعة جلياً واضحاً في هذه الأبيات، فقد أحسن التعليل بتعبير لطيف رقيق، فيذكر أنه قد وضع يده على صدره عندما حان وداع المحبوب وفراقه، وهو لم يفعل ذلك إشارة للعناق ورغبة فيه كما ظن الذين شاهدوه، وإنما فعل ذلك كي يمسك قلبه الذي كاد يطير من مكانه حزناً ولوعة.

ويقول صدر في جارية سوداء:

عَلِقْتُهَا سَوْدَاءَ مَقُولَةٍ سَوَادُ قَلْبِي صِفَةٌ فِيهَا
مَا انْكَسَفَ الْبَدْرُ عَلَى تَمَّهِ وَنُورِهِ إِلَّا لِيَحْكِبَهَا
لَأَجْلِهَا الْأَرْمَانُ أَوْ قَاتِنَهَا مُؤَرَّخَاتٌ يَلْبَسْنَ لِيَهَا (١)

في هذه الأبيات يُغرب الشاعر في التشبيهات، فهذه المحبوبة التي يتحدث عنها تُشبه سواد قلبه في لونها. ثم يُحسِّن الشاعر التعليل، إذ يُعلل كسوف القمر والتأريخ بالليالي دون الأيام، فالقمر لم يُكسف إلا لبشبه محبوبة الشاعر، والناس لم يُؤرخوا بالأيام، وإنما أرخوا بالليالي من أجل المحبوبة وإرضاء لها.

وقد ساء بين الشعراء العباسيين التشبيه الضعيف، وهو معروف لدى الشعراء من قبل، ولكنه كثير بين الشعراء العباسيين بسبب ما أوجده الشيعة في المُجتمَع العباسي من الجدال والمناظرة للدفاع عن حق آل أبي طالب في الخلافة، والدفاع عن مبادئ الشيعة بشكل عام، فأخذ الشعراء يُكثرون من التشبيه الضعيف ومن ذلك قول المتنبي متحدثاً عن يذمون شعره: لإثبات ما يطرحوه من الأفكار.

أرى المتشاعرين غرّوا يذمّني وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعَضَالَا
وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِّ مَرِيضِي يَجِدُ مَرَامِي الْعَاءِ الْكُرَالَا (٢)

يبين المتنبي في هذين البيتين أن بعض الشعراء يذمون شعره لا لسوئه، ولكن لعجزهم عن تذوق الشعر الجيد وإبراز قيمته، ثم يأتي بعد ذلك بدليل هو أن الإنسان المريض يكون فعمه مرّاً، ولذا يجد كل شيء مرّاً، وكأنما يريد الشاعر أن يُشبه هؤلاء الذين يذمون شعره لعجزهم وضعف ذوقهم عن فهمه بالمريض الذي يجد الماء العذب الحامض مرّاً بسبب مرضه ومرارة فمه.

(١) النجوم الزاهرة: ج ٥، ص ٩٤.

(٢) ديوان المتنبي، ج ٣، ص ٢٢٨.

ويقول المتنبي أيضا :

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْعِدَّكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ (١)

فالشاعر يريد أن المعدوح فاق جميع الناس إلى حدّ لم يبق معه بينه وبينهم أدنى مشابهة أو مقاربة ، بل صار كأنه أصلٌ بنفسه وجنسٌ برأسه ، وهذا أمر غريب أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل والصفات الخاصة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس ، وهنا لابد للمدعي من حجة ليصحّ دعواه ، ولذا قال : فَإِنَّ الْعِدَّكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ، فبين بذلك أن لِمَا اتّماه أصلاً في الوجود ، وبتّرك نفسه من صفة الكذب ، وذلك لأنّ العدك قد خرج عن صفة الدّم حقيقة حتى أصبح لا يعدّ من جنسه ، إذ إنّه لا يوجد في الدّم شيء من الصفات الشريفة الخاصة به ، ولا في العدك شيء من الصفات التي كان الدّم لاجلها دماً ، فأصبح الاختلاف بين العدك والدّم اختلافاً كلياً فلم يبق بينهما أدنى صلة في الصفات. (٢)

وقد اكتسب الشعراء العباسيون من القبيحة الدقة في التعبير ، وذلك نتيجة لِمَا أشاعه الشيعة لديهم من الأساليب الكلامية ، ولذا كثر في أشعارهم طرافة التقسيم وصحّته (٣) ، ومن هذا قول أبي الطيّب المتنبي :

فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبُرُّ فِي سُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ (٤)

فهذا البيت حسن التقسيم ، إذ قسم الشاعر فيه أفكاره إلى جملٍ متساوية (٥) ، ويسمى حُسنُ التقسيم باسم آخر هو التجزؤة. (٦)

- (١) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٢٠ .
- (٢) أسرار البلاغة : ص ١٠٣ - ١٠٤ ، وانظر : الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي : ج ١ ، ص ٢٤٩ ، وشرح عقود الجمان : ص ٨٤ ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص ٧٤ ، ومختصر المعاني : ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .
- (٣) صحّة التقسيم : " أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ، ولا يغادر قسمياً منها " . نقد الشعر ص ١٤٩ ، ويقول أبو هلال العسكري : " التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه " الصناعتين : ص ٣٤١ .
- (٤) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٨٠ .
- (٥) انظر : تاريخ الأدب العباسي : ص ٨٨ .
- (٦) انظر : البديع في نقد الشعر : ص ٦٣ .

كما ظهر في أشعار العباسيين ضرب آخر من البديع هو الجمع مع التقسيم،^(١) وهو أيضاً من مظاهر الإغراب والنزعة الفكرية التي سيطرت على نتاج المتكلمين بصورة عامة ونجد هذا لدى أبي الطيب المتنبي في قوله :-

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَنَائِبِ خِ
ثِقَالٍ إِذَا لَاقُوا ، خِيفَانِ إِذَا تُعُوا
كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّعَمُّوا مُرْدُ
كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا^(٢)

فقد ذكر أحوال المشايخ جميعها ولم يغادر منها شيئاً ، فهم يدان عند اللقاء ، خِيفَاتٍ عندما يُدْعَوْنَ لِلنَّجْدَةِ ، قليل عددهم ، ولكنهم يفعلون بالأعداء ما يفعل الجمع الكبير . ومن الجمع مع التقسيم قول المتنبي أيضاً :

الدَّهْرُ مُعْتَدِرٌ ، وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ
لِلسَّبِي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلُ مَا وَلَدُوا
وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعٌ
وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا وَالنَّارُ مَا زَرَعُوا^(٣)

فقد جمع المتنبي في هذين البيتين ما يملكه الأعداء ، ثم أحسن قِسْمَتَهُ بحيث لم يغادر منه شيئاً ، فمساؤهم للسبي ، وأبناؤهم للقتل ، وما آخروه صائر إلى النهب ، وجميع ما زرعوا صائر إلى الإحراق بالنار .

(٢) المعانسي

وقد ترك علماء الشيعة ومتكلموهم آثاراً كبيرة في معاني الشعر العباسي ، فقد أخذ الشعراء ينزعون إلى التجديد في المعاني والتشعيب في الأفكار،^(٤) وأخسذوا يتعمقون ويكثرون من الغوص على المعاني الجديدة التي لم يسبقوا إليها ، وذلك بفضل الشيعة وما كان لمتكلميهم من النزعة الفكرية التي تميل إلى الابتكار ، وتنفر من الاتباع والتقليد مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالمعاني العقم ، وهي المعانسي

(١) " الجمع مع التقسيم هو أن تجمع أموراً كثيرة تحت حكم ثم تقسم بعد ذلك ،

أو تقسم ثم تجمع " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص ١١٥ .

(٢) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ٣٧٣ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٢٤ .

(٤) انظر : العصر العباسي الأول : ص ١٥٣ .

المبتدعة^(١)، وقد أطلق بعض الباحثين على المعنى المبتدع اسم "المُرْقِص"^(٢)، ومن هذه المعاني المبتكرة قول المتنبي :

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانٍ
وَفِي عُنُقِ الْحَنَاءِ يُسْتَحَنُّ الْعِقْدُ^(٣)
وَقَوْلُهُ :

وَمَا تَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنِ كَسْرَمِ
وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ^(٤)
وَقَوْلُهُ :

وَعُدَّتْ إِلَى حَلَبٍ طَائِفًا رَأً
كَعَوْدِ الْحَلِيبِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ^(٥)

فهذه المعاني الثلاثة معانٍ مبتكرة ، فوقع شعر الشاعر في مكانه الصحيح يمدح الممدوحين كوقع العقد الجميل في عنق الحنأ ، هذا من المعاني الطريفة الجديدة . والمعنى الثاني وهو عدم استطاعة الناس أن يردوا الممدوح عن الكسرم والعتاء ، لأنه لا يستطيع أحد أن يعترض طريق الغيث المنهمر والمطر الغزير معسني مبتكر ، والمعنى الثالث المبتكر هو أن الشاعر جعل عودة الممدوح إلى حلب منتصرا كرجوع الحلبي إلى من قدما فأصبح خالياً منها .

ويقول المتنبي أيضا :

وَكُنْتَ الشَّمْسُ تَجْهَرُ كُلَّ عَمِيْنٍ
فَعَاثَا عَيْشَةَ الْقَمْرَيْنِ يُحْيَا
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي
وَكَانَ أَبْنَا عَدُوٍّ كَانَ نَرَاهُ
فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا أَنْتَانِ
يَضُوئُهُمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ
وَلَا وَرثَا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ
لَهُ يَا أَيُّ حُرُوفٍ أَنْ يَسِيَانِ^(٦)

(١) حلية المحاضرة ج ٤٣

(٢) يقول علي بن الوزير ، أبو عمران : " والمُرْقِصُ ما كان مخترعاً أو مولداً يَكَاد يَلْحَقُ بِطَبَقَةِ الْاِخْتِرَاعِ ، لَمَا يَوْجَدُ فِيهِ مِنَ السَّرِّ الَّذِي يُمْكِنُ أَزْمَةُ الْقُلُوبِ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيَلْقَى مِنْهَا مَحَبَّةً عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الذَّوْقِ وَالْحَسِّ مَعْنً بِالْإِشَارَةِ عَنِ الْعِبَارَةِ " . المرقصات العطرية : ص ٧ .

(٣) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ١٠ ، والمرقصات العطرية : ص ٥٤ .

(٤) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٨٢ ، والمرقصات العطرية : ص ٥٤ .

(٥) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٣٢ ، والمرقصات العطرية : ص ٥٥ .

(٦) ديوان المتنبي : ج ٤ ، ص ٢٦١ .

فهذا المعنى لأبي الطيب من المعاني المبتكرة ، وهو أن زيادة أولاد عدو عضد الدولة كزيادة التّصغير في كلمة " أنيسيان " فهي ليست زيادة حقيقية ، وإنما هي نقص .

ويقول الأمير أبو الفضل الميكالي ، وهو من المعاني المبتكرة

كَمْ وَالِدٍ يَحْرُمُ أَوْلَادَهُ وَخَيْرُهُ يَحْطَى بِمِ الْآبَعْدُ
كَالْعَيْنِ لَا تُبْصِرُ مَا حَوْلَهَا وَلِحَظْهَا يُدْرِكُ مَا يَبْعُدُ (١)

فذكرتيراً ما يحرم الأب أبناءه ، وينال خيره الأبعدون ، كأنه العين التي تعمى عمّا حولها وتبصر ما بعد عنها . وهو من المعاني المبتكرة .
ومن المعاني المبتكرة قولُ النّعالبي :

إِنْسَانَةٌ فَتَسَانَةٌ بَدْرُ الدَّجَى مِنْهَا حَجَلُ
إِذَا زَنَى طَرْفِي بِهَا يَدْمَعُ عَيْنِي يَغْتَسِلُ (٢)

يريد الشاعر في هذين البيتين أن يعبر عمّا ينتابه عندما يرى محبوبتته ، فعندما يراها تنهل دموعه ، ولو قال : عندما أراها أبكي فتجري دموعي لكان المعنى عادياً معروفاً ، ولكن الشاعر عبر عن ذلك بمعنى مبتكر هو أنه عندما يزني طرفه بها بالنظر إليها ، فإنه يغتسل ويتطهر بدمع عينيه ، وما بعد هذا اللطف والابتكار في المعنى من لطف .

ويقول أبو العلاء المعرّي وهو من المعاني المبتكرة :

وَالخِلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الْكَثْرِ (٣)

فأبو العلاء جاء بمعنى مبتكر للتعبير عن تغلب الصديق في وداده للشاعر بين الصفاء والغضب ، فيذكر أنه كالماء يبدي للشاعر بواطن أسرارهِ عندما يكون راضياً مسروراً ، ويخفيها عنه عند الغضب .

ومن المعاني المبتكرة أيضاً قولُ الواواء الدمشقي :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْغَمَامِ أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ

(١) المعرقات المطربات ص ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٦١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٢ والبيت غير مثبت في لزوم ما لا يلزم ولا في شرح التنوير على

سقط الزند .

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَسِدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعٌ الْعَسِينُ (١)
 فالوَأَوَاءُ يُرِيدُ هُنَا أَنْ يَصِفَ الْمَمْدُوحَ بِالكَرَمِ ، وَيَسْأَلُكَ فِي ذَلِكَ طَرِيقَ التَّبَعَةِ
 وَالْمَتَكَلِّمِينَ مِنْ سَوِيِّ الْعِلَّةِ لِذَلِكَ فِي مَعْنَى لَطِيفٍ مُبْتَكِرٍ ، فَيَفْضَلُ الْمَمْدُوحَ عَلَى الْغَمَامِ
 فِي الْكَرَمِ وَالْعَطَاءِ ، فَالْمَمْدُوحُ يُعْطِي وَهُوَ ضَاحِكٌ مُسْتَبِيرٌ ، أَمَّا السَّحَابُ ، فَإِنَّهُ عِنْدَمَا
 يُعْطِي وَيُنْفِقُ يَكُونُ حَزِينًا كَثِيبًا وَتَدْمَعُ عَيْنَاهُ فَيَنْزِلُ الْمَطَرُ .

وَمِنَ الْمَعَانِي الْمُبْتَكِرَةِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ يَعْقُوبَ الْأَنْبَارِيِّ (٢)
 بِرَبِّي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةِ (٣) بِقَصِيدَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَطْلُوبٌ أَحْسَنُ مِنْهَا (٤) ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ :
 عَلُّوْ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لَحَقَّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ
 كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَمَا قَامُوا وَفُوْدُ نَدَاكَ أَيَّامَ السَّلَاتِ
 كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا وَكَلَّمَهُمْ قِيَامَ لِلْمَلَلَةِ
 مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اخْتِفَاءً كَمَتَّهِمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَيْبَاتِ
 وَلَمَّا خَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَسَنَ أَنْ يَضُمَّ عِلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
 أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَّاتِ (٥)

نلاحظ في هذه الأبيات سبباً جازماً من الأفكار الجديدة والعواطف الحارة ، فقد استطاع الشاعر بإخلاصه وبراعته أن يظهر المهانة كرامةً ويحيل الهزيمة نصراً ، ولاشك

- (١) ديوان الوأواء - الدمشقي : ٢٢٢ - ٢٢٣ ، والمرقعات المطربات : ص ٥٦ .
 (٢) أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري ، أحد العدول ببغداد ، رثى ابنه ببيعة المصلوب بقصيدته التي تبدأ بقوله : علُّو في الحياة وفي الممات ٠٠٠ ورمى بها شوارج بغداد فتداولها الأدباء ، إلى أن وصل خبرها إلى عضد الدولة ، فتمنى أن يكون هو المصلوب ، وطلب الشاعر فطلبوه سنة كاملة ، فكتب إليه الصاحب بن عباد إلى عضد الدولة بالأمان ، ثم عفا عنه عضد الدولة ، (انظر : الوافي بالوفيات : ج ١ ، ص ١٠١ - ١٠٣) .
 (٣) محمد بن محمد بن ببيعة بن علي الوزير أبو الطاهر ، الملقب نصير الدولة ، وزر لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ، وكان كريماً من جلة الرؤساء ، وكان في بداية أمره طاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ، ثم حسنت حاله عند عز الدولة بعد وفاة والده معز الدولة ، فاستوزره سنة ٣٦٢ هـ ، ثم قبض عليه سنة ٣٦٦ هـ بواسطة ، وسمل عينيه ، ثم طلبه عضد الدولة وصلبه (انظر : وفيات الأعيان : ج ٥ ، ص ١١٨ - ١٢٠) .
 (٤) الوافي بالوفيات : ج ١ ، ص ١٠١ .
 (٥) وفيات الأعيان : ج ٥ ، ص ١٢٠ .

أَنَّهَا مُغَالَطَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَرَّةَ الْمَتَمَثِّلَةَ فِي الصَّلْبِ وَبَيْنَ الْأَخِيلَةِ الْمُتَعَسَّرَةِ
الَّتِي خَلَعَهَا الشَّاعِرُ عَلَى الْمَرْتَبِيِّ ؛ إِذْ لَا أَرْتِبَاطَ بَيْنَ مَصْلُوبٍ عَلَى جَذْعٍ وَخَطِيبٍ عَلَى مَنْبَرٍ
إِلَّا فِي نَهْنِ شَاعِرٍ جَامِحِ الْخِيَالِ ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ قَبُولُ هَذِهِ الْمِغَالَطَةِ لِتَنَاسِيِ أَنْ الْإِنْسَانِيَّةَ
قَدْ أَهْيَنْتْ فِي شَخْصِ ذَلِكَ الْمِصْلُوبِ (١).

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِالشُّبُعَةِ أَيْضًا فَابْتَكَرُوا الْمَعَانِي أَبُو هِلَالٍ الْعَدَّكَرِيُّ ،
فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّه قَالَ أَيْبَاتًا وَلَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مَعْنَاهَا وَهِيَ قَوْلُهُ :

وَمُعْتَجِ قَالَ الْكَمَالَ لِيُوجِّهِيهِ
زَعَمَ الْبَنْفَجُ أَنَّهُ كَعِيذَارِهِ
كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيِّبَاتِ فَكَانَتْهُ
حُسْنًا قَلُّوا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ (٢)

وَهُوَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْهَيْئَةَ النَّائِبَةَ تَحْتَ وَرَقَةِ الْبَنْفَجِ (٣).

وَمِنَ جَوَانِبِ تَأْيِيرِ الشُّبُعَةِ فِي مَعَانِي الشُّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ أَنْ كَثِيرِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
الْعَبَّاسِيِّينَ تَأَثَّرُوا فِي مَعَانِيهِمْ بِالشُّبُعَةِ ، فَالشُّبُعَةُ هُمُ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا وَابْتَكَرُوهَا
فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ الشُّعْرَاءُ الْآخَرُونَ .

قَالَ الْخَبْرَاءُ رَزِي:

أَنَا مِنْ بَحْرِ جَدْوَاهُ
وَمِنْ قِلَّةِ مَا أَتَيْتَنِي
غَرِيبٌ بَيْنَ أُمَّةٍ وَاجٍ
عَلَيْهِ صِرَتْ كَالهَاجِسِي (٤)

فَالشَّاعِرُ هُنَا يَبَيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يُؤْفِ الْمَمْدُوحَ حَقَّهُ مِنَ الْمَدِيحِ ، وَبِذَلِكَ صَارَ كَمَنْ يَهْجُوهُ ،
وَقَدْ أَخَذَ الْمُتَنَبِّيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْهَمَنِي
أَتَى بِقِلَّةِ مَا أَتَيْتَنِي أَهْجُوكَا (٥)

وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ نَفْسُهُ ، فَالشَّاعِرُ لَمْ يُؤْفِ الْمَمْدُوحَ حَقَّهُ مِنَ الْمَدِيحِ لِعِظَمِ
قَدْرِهِ ، فَأَصْبَحَ كَمَنْ يَهْجُوهُ .

(١) الشعر العربي بين الجمود والتطور : ص ١٦٦ .
(٢) ديوان المعاني : ج ١ ، ص ٢٤٩ .
(٣) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسهما .
(٤) الإبانة عن سرقات المتنبي : ص ٣٣ .
(٥) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، والإبانة عن سرقات المتنبي : ص ٣٣ .

ويقول الخيزارزي أيضاً :

قُلُوبًا وَقَوَتْ جِسْمَ كُلِّ عَلِيلٍ
كَلِفْتُ بِهِ يَبْقَى كَجِسْمِ عَلِيلٍ (١)

إِذَا ابْتَسَمْتَ أَحْيَيْتَ نَفْسًا وَأَطْرَبْتَ
وَعَبَّرُ جَمِيلٍ أَنْ أُعَافَى وَجِسْمُ مَنْ

وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال :

وَتَقَوَّى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ
وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِي صَالِحٌ (٢)

بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَائِحُ
وَإِنَّ مُحَالًا إِذْ بِكَ الْعَيْشُ - أَنْ أَرَى

والمعنى واحد تقريباً ، وهو في الأبيات الأربعة يدور حول أمرين : الأول عظمة الأثر الذي يتركه ابتسامُ المحبوب في نفسِ المُحبِّ ، فهو يشفي الجسمَ العليل ، ويطرب القلوبَ ، والثاني : قُبْحُ صِحَّةِ جِسْمِ الشاعر إذا كان محبوبه عليل الجسم ، واستحالة ذلك .

وقال ابن أبي حنينة المعري :

فَخَذِي لِتُرْبٍ تَحْتَ نَعْلَيْكَ حَاسِدٌ (٣)

نُكْرَمٌ مَا تَعْنِي عَلَيْهِ مِنَ الثَّرَى

فالشاعر يحذو الثراب الذي يدوسه الممدوح يتعلّيه ، وذلك لشدة إجلاله الممدوح وإكرامه إيّاه ، ولعلّه أخذ هذا المعنى من قولِ الصّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ما دحا أمير المؤمنين عليّاً كرم الله وجهه :

فِدَاؤُ ثَرَابِ نَعْلِ أَبِي ثُرَابٍ (٤)

أَنَا وَجَمِيعُ مَنْ فَوَّقَ الثُّرَابِ

ويقول أبو العلاء المعري :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَدْرَأْ عَدُوًّا فَسَدَارُهُ
إِلَى قَطْعِهَا . وَأَنْظُرْ سُقُوطَ جِدَارِهِ (٥)

يَقُولُ لَكَ الْعَقْلُ الَّذِي بَيْنَ الْهُدَى
وَقَبْلُ يَدِ الْجَانِي الَّذِي لَسَتْ وَاصِلًا

فالشاعر في هذين البيتين ينصح المرأة بمداواة عدوّه ومصانعته إذا كان لا يقدر عليه ، بينما يُضَمِّرُ له الكراهية والسوء ، ولعلّه أخذ هذا المعنى من قول

(١) الإبانة عن سرقات المتنبي : ص ١٣٣ .

(٢) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ٢٤١ ، والإبانة عن سرقات المتنبي : ص ١٣٣ .

(٣) ديوان ابن أبي حنينة : ص ١٣٦ .

(٤) ديوان الصّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ١٨٥ .

(٥) لزوم ما لا يلزم : ج ١ ، ص ٣٨١ .

القاضي أبي القاسم التنوخي، وهو :

الْقَ الْعَدُوَّ بِوَجْهِ لَأَقْطُوبَ بِيْسِهِ يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ
فَأَحْزَمَ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيْسَهُ فِي جِسْمِ حِقْدِي وَثُوبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ (١)

فالتنوخي يدعو المرأة إلى إظهار الصداقة والحب لعدوه ، وأن يضع له السر والكرهية . ويعتبر التنوخي ذلك دليلاً على الحزم .

ونحن نرى أن هذه الدعوة دعوة قبيحة ، ما كان لها أن تصدر عن قاضٍ كالقاضي التنوخي ، ذلك لأنها تنطوي على الخداع والتفاني ، لأن المرأة يظهر فيها خلاف ما يبطن ، وهذا مما تنهى عنه الأديان السماوية .

والشريف المرتضى الشاعر الشيعي المشهور بوصف الطيف أبداع في حديثه عن طيف المحبوب ، وصن ذلك قوله :

أَخْلَفَنِي وَعَدُّكَ فِي زُورَةٍ فَكَيْفَ وَافَيْتَ بِلَا مَوْعِدِ (٢)

فهو يعجب من مجيء طيف المحبوب إليه دون وعدٍ سبق ، ولعل ابن أبي حصينة قد أخذ هذا المعنى عندما تحدث عن طيف المحبوب ، فقال :

عَجِبًا أَنْ يَلِيَّ طَيْفٌ لِأَسْمَاءَ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ مِنْ لِيَامِهِ (٣)

وقال المتنبي :

مَيْبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ حَشَاءَ لِي يَحَرَّ حَشَائِي حَاشِ
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الطَّيِّبِ لَوْنًا وَهَمَّ كَالْحَمْبَا فِي الْمُنَاشِ (٤)

المعنى في البيت أن المتنبي عظيم الشوق والهوى ، ولذا فهو يبببت على فراش من نار أحشائه ، وزاد في تأجيج نيران شوقه ليل مظلم كأنه في سواده عين الطيب . وهذا المعنى مأخوذ من قول القاضي التنوخي .

وَاللَّيْلِ كَالثَّائِكِ فِي إِحْدَابِهَا وَمَقَلَّةِ الطَّيِّبِ إِذَا الطَّيِّبُ رَنَا (٥)

(١) معجم الأدباء : ج ١٤ ، ص ١٨٠ .

(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ٢٩٥ .

(٣) ديوان ابن أبي حصينة : ص ١٨٦ .

(٤) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٢٠٧ . والمُنَاشِ : جمع المُنَاشِة ، وهي رأس العظم الممكن المضعف . (انظر : القاموس المحيط مادة المُنَاشِ) .

(٥) قال ذلك العكبري في شرحه ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

وقال الطغرائي :

سَأَحْجُبُ عَنِّي أَسْرَتِي عِنْدَ عُسْرَتِي
وَأَيُّزُ فِيهِمْ إِنْ أَصَبْتُ نَسْرَاءَ
وَلِي أَسْوَةٌ بِالْبَدْرِ يُنْفِقُ نُورَهُ
فَيَخْفَى إِلَيَّ أَنْ يَسْتَجِدَّ ضِيَاءَ (١)

هذا معنى لطيف ، وهو أن يبتعد الشاعر عن أسرته إذا ما كان فقيراً مُعْسِراً وأن يخالطهم ويبرز فيهم عندما يكون ثرياً مُوسِراً ، مثله في ذلك مثل البدر يختفي عندما يقلُّ نوره ، ويظهر عندما يستجد ضياؤه ويكتمل ، وقد أخذ هذا المعنى من قول أبي بكر الخوارزمي :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيْمَتَ عِنْدِنَا
لِزَامًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِعَامَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ نُورُهُ
أَغْبَ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءَ أَقَامَا (٢)

فالمعنى في هذين البيتين هو المعنى السابق نفسه ، وهو معنى لطيف طريف ، فالشاعر يمدح معدوحيه بصفة فريدة تخالف الشائع لدى الناس ، ذلك أنه يقيم عند الشاعر عندما يُوسر وذلك كي يُعطي ويتهب ، وإذا ما أعسر فهو يغيب عنهم ، وهو بهذا يخالف الناس الذين يعشون غيرهم وقت الحاجة ، ويبتعدون عنهم وقت اليسر والرخاء .

وقال الطغرائي :

وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَعَجَّ لِمَا
يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرَّكْبُ فِي عَذَلِي (٣)

وقد أخذ هذا المعنى من الأبيات المشهورة للشريف الرضي (٤) وهي قوله :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ
فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ
وَتَلَفَّتْ عَيْنِي ، فَعُدُّ خَفِيَّتُ
وَطُلُولُهَا بِيَدِ الْيَلَى نَهَبُ
نِضْوِي ، وَلَجَّ بِعَذَلِي الرَّكْبُ
عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتِ الْقَلْبُ (٥)

في هذه الأبيات أظهر الشريف الرضي براعة فائقة في التصوير ، وذلك في قوله : " تَلَفَّتِ الْقَلْبُ " ، فقد بين الرضي أنه أخذ ينظر إلى أطلال ديار المحبوب وبقي ينظر إليها حتى خفيت عنه فأخذ قلبه يتلفَّت إليها « وكأني بالشاعر يرمز بهذه الأبيات

(١) ديوان الطغرائي : ص ٤١ .

(٢) الغيث المسجم : ج ١ ، ص ٥٢ - ٥٣ ، والوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص ١٩٣ .

(٣) ديوان الطغرائي : ص ٣٠٢ .

(٤) الغيث المسجم : ج ١ ، ص ١٩١ .

(٥) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ١٨١ .

وبالدِّيارِ والأطلالِ إلى مَجْدِ أَجْدَادِهِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، فمن يدري ! وقد كانت الاستعارة في " تَلَقَّتْ القلبَ " من الجمال بحيث وصفت بأنها لا توجد هناك استعارةً أحسن ولا أرشق ولا أعذب منها .^(١) ولعلَّ جمال هذه الاستعارة هو ما حَمَلَ الطُّغْرَانِيَّ على أَخْذِ معناه من الرُّضِيِّ .

وقال السَّهْلِيُّ الوَزِيرُ الخَوَارِزْمِيُّ^(٢) في النُّجُومِ :

وَالشُّهْبُ تَلَمَّعَ فِي الظَّلَامِ كَأَنَّهَا شَرَّرَ تَطَائِرَ مِنْ نُحَّانِ النَّارِ
فَكَأَنَّهَا فَوْقَ السَّمَاءِ بِنَائِقُ الْـ كَأَنَّهُمْ فَوْقَ صَلَاةِ العَطَّارِ^(٣)

وقد أخذ بيته الأول من قول أبي بكرٍ الخَوَارِزْمِيِّ :^(٤)

وَالشُّهْبُ تَلَمَّعَ فِي الظَّلَامِ كَأَنَّهَا شَرَّرَ تَطَائِرَ مِنْ نُحَّانِ العَرَفِجِ^(٤)

وكان للتَّبَعِ الذي ساد كثيراً من بلاد المسلمين في القرنين الرَّابِعِ والخامسِ الهجريَّينِ أثرٌ كبيرٌ في اتِّجَاهِ الشُّعْرَاءِ إلى المبالغة في المَدْحِ بصورةٍ خاصَّةٍ ، حتَّى كَانَتْ كلُّ ممدوحٍ أصبح إماماً من أئمَّةِ التَّبَعِ الذين رفعهم غلاةُ التَّبَعِ فوق مستوى البَشَرِ وخالَعُوا عليهم أوصافاً مفرطة في المبالغة والغلو .^(٥)

وهكذا فقد أصبح الشُّعْرَاءُ لا يكتفون بالمعاني القريبة المعروفة وإتِّمًا يحاولون أن يعبِّروا عمَّا يريدون بأقصى ما يمكنهم من العُمُقِ ، ومن ذلك قول الشاعر أبي عليٍّ المنطقيِّ :^(٦)

هُوَ البَرِّقُ إِلَّا زَفْرَةً تَتَضَرَّمُ وَعَيْرَةٌ مُشْتَاةٍ تَسُوحُ وَتَسْجُمُ
تَبَسَّمَ حَتَّى كَادَ يَبْكِي وَرُبَّمَا تَرَاءَى فَأَبْكِي البَارِقُ العُتْبَسُّمُ

- (١) الغيث المسجم : ج ١ ، ص ١٩١ .
- (٢) أحمد بن محمد أبو الحسين السَّهْلِيُّ الخَوَارِزْمِيُّ ، كان من أجلة خوارزم ، وتوفي بسرٍّ من رأى سنة ٤١٨هـ (انظر : الوافي بالوفيات : ج ٨ ، ص ١٤٧) .
- (٣) المصدر نفسه : ج ٨ ، ص ١٤٧ .
- (٤) المصدر نفسه : ج ٨ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ ، والعرفج نبات سريع الاشتعال ذو لهب شديد الحرارة . (انظر : لسان العرب : مادة عرفج) .
- (٥) الشعر في ظل سيف الدولة : ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
- (٦) أبو عليٍّ المنطقيِّ ، شاعر مجيد بارع من أهل البصرة ، تنقل في البلاد ، ومدح عضداً للدولة والصاحب بن عباد ، وكان شاعراً أديباً ، ولد سنة ٣٢٦هـ ، وتوفي بشيراز بعد سنة ٣٩٠هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ١٥ ، ص ٢٠٤) .

وَلَمَّا أَلَمَ الطَّيْفُ شَكَّكَ أَبْنَسَا
لِدِقَّةِ نَخَصِينَا الْغِيَالِ الْمَلْسَمِ (١)

نلاحظ في البيتين الأخيرين أن الشاعر قد أبدع صورةً خياليةً رائعةً للتعبير عن شدّة نحوله وهزال جسمه ، إذ جعل نفسه كالطيف في الخفاء ، والشاعر لا يقصد ذلك حقيقةً ، وإنما جاء بهذه الصورة لأنته أراد أن يصور لنا شدّة نحوله ، ونجد مثل هذه المبالغة في المعنى لدى الواواء الدمشقي ، فهو يقول :

بَلَيْتُ لِأَنْتِي بِكَ قَدْ بُلِيْتُ
أَلَامٌ وَقَدْ أَصَمَّ الْحُبُّ مَعِيَ
فَلَسْتُ بِمُنْتَمٍ مِمَّا نُهَيْتُ
وَيُرْشِدُنِي الْعَذُولُ وَقَدْ عَمِيْتُ
وَأَنْحَلِنِي فَلَوْ إِنْسَانٌ عَيْنِي
تَعَفَّنَ جَفْنُهُ جِسْمِي خَفِيْتُ (٢)

هذه مبالغة عظيمة أوردها الشاعر ليصور مدى نحوله وضعفه ، فقد طهق على نفسه مبيناً أنه لو وضع جسمه في إنسان عَيْنِهِ لاختفى عن الأنظار ، وقد ذهب الواواء إلى قريب من هذا في تعبيره عن ضعف العاشق ونحوه ، فجاء بصورة فنيّة رائعة فيها مبالغة عظيمة ، فقد صور جسم العاشق نحيلاً هزيباً حتى لم يعد الناس يبصرونه ، ولا يعرفون مكانه إلا بالاتجاه صوب ما يصدر عنه من الأنين ، يقول الواواء :

أَلِفَ السُّقْمِ جِسْمَهُ وَالْحَزِينُ
قَدْ سَمِعْنَا أَيْنَهُ مِنْ قَرِيبٍ
وَبَرَاهُ الْهَوَى فَلَيسَ بَيِّنُ
فَاطْلُبُوا الْجِسْمَ حَيْثُ كَانَ الْأَيْنُ
لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ إِلَّا ظَنُونَنَا
وَهُوَ أَخْفَى مِنْ أَنْ تَرَاهُ الْعُيُونُ (٣)

وقد كثرت المبالغات في شعر الواواء الدمشقي ، وهذا من آثار الشيعة السني خلفوها في شعره نتيجة لوجوده في حضرة سيف الدولة ، ذلك الحاكم الشيعي ، وممن أجمل تلك المبالغات في معانيه تصويره كثرة دموعه وغزارتها نتيجة لبعده المحبوب وهجره ، فهي دموع غزيرة جداً تكفي لإدارة الرّحى إذا ما وُضعت إلى جانبها ، يقول :

أَتَانِي زَائِرًا مَنْ كَانَ يُبِيدِي
فَقَالَ النَّاسُ لَمَّا أَبْمَرُوهُ
لِي الْهَجْرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ
لِيَهْنِكَ زَارَكَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ

(١) معجم الأدباء : ج ١٥ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ديوان الواواء الدمشقي : ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

فَقَلْتُ لَهُمْ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي
عَلَى خَدِّي لَهُ نُرٌّ نَثِيرٌ :
مَتَى أَرَعَى رِبَاضَ الْحُسْنِ مِنْهُ
وَعَيْشِي قَدْ تَضَعْتَهَا غَدِيرٌ
وَلَوْ تَصَبُّوا رَحَى بِإِزَاءِ دَمْعِي
لَكَانَتْ مِنْ تَحَدُّرِهِ تَسْدُورٌ (١)

وقد أعتبر صاحب " نفحات الأزهار على نسَمات الأَسْحَار " هذا القول من الغُلُوِّ (٢)
غير المَقْبُول (٣) ، ويقول أبو الطَّيِّب المتنبي :

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنْبِي رَجُولٌ
لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي (٤)

فالشاعر يبيِّن هنا أنه بلغ من النُّحُولِ حَدًّا أَصْبَحَ لَا يُرَى وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِأَنْ يُسْمَعَ
صَوْتُهُ .

وأكثر ما ظهرت مبالغة المتنبي وغلوه في مدحه ، ومن ذلك قوله :

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنَهُـا
وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالَ (٥)

فهو يذكر أنَّ الممدوح قد أُعْطِيَ الْكَمَالَ صَغِيرًا وهو في المَهْدِ ، فكيف أزداد بعد
الْكَمَالِ : وهذا من الغُلُوِّ غير المَقْبُول (٦) ، إذ إنه لا يمكن لإنسانٍ من كان أن يبلغ
درجة الكَمَالِ ، فكيف يبلغها إذا كان في المَهْدِ !
ويقول المتنبي في المدح أيضا :

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَدَّمًا
فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَهُ رَسُولًا
لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ
قُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٧)

فهذه مبالغة عظيمة من الشاعر ، فعِلْمُ الْمَمْدُوحِ غَزِيرٌ جِدًّا ، يُغْنِي جَمِيعَ النَّاسِ
عَنِ الرُّسُلِ ، وبِلاغة الممدوح وفصاحته تغنيهم عن الكتب السَّمَاوِيَّةِ كالقرآن الكريم
والإنجيل والتَّوْرَةَ .

- (١) ديوان الواواء* الدمشقي : ص ١١٠ - ١١١ .
- (٢) الغلو : يعني الإفراط في وصف الشيء بالمستحيل عقلاً وعادة . (انظر : نفحات
الأزهار على نسَمات الأَسْحَار : ص ٢٩٩ ، وخزانة الألب ، ابن حجة الحموي : ص ٢٨٢ .
- (٣) نفحات الأزهار على نسَمات الأَسْحَار : ص ٣٠٢ .
- (٤) ديوان المتنبي : ج ٤ ، ص ١٨٦ .
- (٥) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٣٢ .
- (٦) نفحات الأزهار على نسَمات الأَسْحَار : ص ٣٠٢ .
- (٧) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٢٤٤ .

ونجد المبالغة لدى المتنبي في فخره أيضاً ، ومن ذلك قوله :

أَيَّ مَحَلِّ أَرْتَفِيهِ أَيَّ عَظِيمٍ أَتَفِيهِ
وَكُلُّ مَا قَدَّ خَلَقَ الْوَلَدُ لَهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ فِي
مُحْتَقِرٍ فِيهِ هَمِّي كَدَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي (١)

ففي هذا البيت طموح متطرف يعترض بالثقة بالنفس إلى حدٍّ مُفْرِطٍ ، ويمتزج هذا كله باحتقار الشاعر للخليفة بأسرها ، وهي تدل على أن الشاعر أجال بصره فلم يسر شيئاً جديراً بإجلاله (٢).

ومن مبالغات المتنبي الطريفة قوله متحدثاً عن المحبوب وطيفه :

لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا يَمْنَالِيهِ لَوْلَا اذْكَارُ وَدَاعِي وَزِيَالِيهِ
إِنَّ الْمُعِيدَ لَنَا الْمَنَامُ خِيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالِ خِيَالِيهِ (٣)

فأبو الطيب يؤكد أن تخيله المحبوب في اليقظة أعاد خياله في النوم ، فكأن الخيال الذي زار الشاعر في منامه خيال الخيال الذي تصوره في اليقظة (٤) وهذا يخالف ما تروج عليه الشعراء الذين تحدثوا عن الطيف وتظلموا فيه الأشعار كالبحسري والشريف المرتضى وغيرهما ، حيث يكتفي الشاعر بالحديث عن زيارة الطيف وإلقامه بهم في الليل ، أما أن يتحدث الشاعر عن طيف الطيف فهذا من المبالغات الجميلة ، والتخيلات العقلية ، والانطلاق مع الخيال والتطبيق في أجوائه إلى أبعد الحدود . ويقول أبو العلاء المعري :

تَكَادُ قِيَّتُهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تَعَكَّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَالَ
تَكَادُ يُيُوفُّهُ مِنْ غَيْرِ سَلِّ تُجِدُّ إِلَى رِقَابِهِمُ انْبِلَالَ
تَكَادُ سَوَابِقُ حَمَلَتُهُ تُغْنِي عَنِ الْأَقْدَارِ صَوْنًا وَابْتِدَالَ
وَلَمَّا لَمْ يَسَابِقُهُنَّ سَنِيءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ سَابَقْنَ الظَّلَالَ
سَرَى بِرُتْقِ الْمَعْرَةِ بَعْدَ وَهْنٍ فَبَاتَ بِرَاهِصَةٍ يَصِفُ الْكَلَالَ

(١) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) على هامش الألب والتقد : ص ٦٥ .

(٣) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٥٣ .

(٤) دراسات فنية في الألب العربي : ص ٢٤١ .

شَجَا رَكْبًا وَأَفْرَاسًا وَإِبْرًا
وَزَادَ فَكَادَ أَنْ يَشْجُو الرَّحَالَ (١)

يتحدث المعري عن شجاعة الممدوح وشدة بأسه وسطوته على الأعداء ، فالأعداء مهزومون وذوو نفوس مظلمة خوفاً منه ، فحسبه تكاد تُلقي سهاً في قلوبهم دون أن يرمي بها أحد ، وسيوفه تكاد تحزّ رقابهم دون أن يُضربَ بها ، وخيوله سريعة جداً إلى المعركة أخذت تُسابقُ ظلالها لَمَّا لَمْ تَجِدْ شيئاً تسابقه ثم يعبر الشاعر بعد ذلك عن قرط حنينه إلى المعرّة ، فقدّ لمع برق المعرّة منتصف الليل فأحزن المسافرين وهم برامة ، وأحزن الخيول والإبل ، وكاد يحزن الرّحال على الإبل والخيول ويثبير حنينها ، وقد اعتبر هذا من الغلو ، (٢) ولكنّ الشاعر لا يقصد ذلك المعنى على وجه الحقيقة ، فالبرق يثبير حنين الإنسان إلى الوطن أو ديار الحبيب وما أشبه ذلك ولكنّه لا يعقل أن يثبير حزن الرّحال وهي جمادات لا تعقل ، ولكنّ المعري يريد أن يصوّر شدة الحنين إلى المعرّة ، وكذلك الأمر في وصفه لشجاعة الممدوح ، فالقسي لا تُخرج السهام إلا عند الرمي ، والشيوف لا تقتل إلا عند الضرب بها ، ولكنّ الشاعر يريد أن يدلّل على أنّ الممدوح شجاع جداً يخيف الأعداء ويقهّهم .

ويقول المعري في وصف سيف الممدوح :

يُذِيبُ الرَّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ
فَلَوْلَا الْغَمْدُ يُمِيكُهُ لَسَالَا (٣)

فالشاعر يبيّن هنا أنّ سيف الممدوح كما يهبه الرّجال تهابه الشيوف أيضاً ، فتذوّب في أعماها هبّة منه ، ولولا أنّ الأغمد تمكّكها لسالت ، وهذا التعبير جاء به المعري للدلالة على قوة الممدوح وهيبته .
ويقول الخطيب البغدادي متغزلاً :

تَغَيَّبَ الْخَلْقُ عَنْ عَيْنِي سِوَى قَمَرٍ مَحَلَّهُ فِي فُؤَادِي قَدْ تَمَلَّكَسَهُ	حَسْبِي مِنَ الْخَلْقِ طَرّاً ذَلِكَ الْقَمَرُ وَحَازَ رُوحِي وَمَالِي عَنْهُ مُصْطَبَرُ
فَالْقَمَرُ أَقْرَبُ مِنْهُ فِي تَنَا وَلِهَا أَرَدْتُ تَقْيِيلَهُ يَوْماً مُخَالَسَةً	وَعَايَةُ الْحَظِّ فِيهَا لِلرُّورَى النَّظَرُ فَصَارَ مِنْ خَاطِرِي فِي خَدِّهِ أَنْسَرُ (٤)

(١) شرح التنوير على سقط الرّند : ج ١ ، ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) نغمات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣) شرح التنوير على سقط الرّند : ج ١ ، ص ٢٧ .

(٤) معجم الأدباء : ج ٤ ، ص ٣٧ .

يلاحظ في هذه الأبيات ميل الشاعر إلى التّدقيق والإغراب في الصّور والمعاني ، فهو بصوّر مدى رقة محبوبه ، وجاءَ لذلك بتعبير يدلّ على عقلية متعمّقة وخيالٍ جّامح ، فقد دار بخلده يوماً أن يُقبّل محبوبه ، وظهر أثر ذلك التّفكير واضحاً في حدّ المحبوب ، ولا يخفى ما في هذا التّعبير من اللّطف .

ومن الشعراء الذين ظهرت لديهم المبالغة في المعاني أبو الحسن المغربي^(١) ، يقول :

عَدِمْتُ مِنَ النَّحُولِ فَلَا يَلْمَسِي يُكَيِّفُنِي الْوُجُودَ وَلَا الْعِيَانِ
وَلَوْلَا أَنِّي أَذْكَى الْبَرَائِيَا لَكُنْتُ خَفِيْتُ عَنِّي لَا أَرَانِي^(٢)

نلاحظ هنا أن الشاعر يُبالغ إلى حدّ بعيدٍ ، فهو لم يكتفِ بأن يجعل نفسه يخفى عن الآخرين كما يفعل غيره من الشعراء ، ولكنه قال إنّه لضعيفٌ وشدّة تحوله يكاد يخفى عن نفسه ، وهذا من عظيم المبالغة .

ويتحدّث الطّغرائي عن ممدوحه ، فيبالغ في مديحه ، فهو لا يفتنّ بما يفعل — معظم الشعراء — من مدح ممدوحهم بالشّجاعة والتّجذّر وشدّة البأس ، وإنّما يجعل القدر حاضراً له ، يتفكّر بأوامره وينتهي عن نواهيه ، وما بعد هذه المبالغة من مبالغة ، فهو يرفع ممدوحه فوق البشر ، ويحيطه بهالة من الجلال والعظمة ، يقول :

حَقًّا لَقَدْ وَلَّى الْأُمُورَ مُجَرَّبِيًّا إِنْ هَمَّ أَمْضَى أَوْ تَدَفَّقَ أَغْزَرَا
يَتَوَقَّفُ الْقَدْرُ الْمُتَمَاتِحُ عَنِ السُّبِي لَا يَذُتُّهَا قِيَا إِذَا أَشَارَ بِهِ جَرَى^(٣)
وَقَالَ صَرَّكَرٌ :

فَيْسَيَانِ مَنْ يَبْغِي عُلَاكَ وَطَالَ لِيْبُ لِيَبْلُغَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ سَلْمَا
وَمَا الْمَدْحُ مُسْتَوْنِ عُلَاكَ وَإِنَّمَا حَقِيْقٌ عَلَى الْمِنْطِيقِ أَنْ يَتَكَلَّمَا^(٤)

يُفضّل الشاعر ممدوحه على بقية النّاس ، وقد عبّر عن ذلك بتعبير ينطوي على المبالغة ، فبيّن أنّه يستحيل أن يصل أحد إلى منزلة ممدوحه في العلوّ والسّموّ ، وجعل

(١) محمّد بن أحمد بن محمّد أبو الحسن المغربي راوية المنتهبي شاعر مشهور ، خدّم سيف الدولة وجالس الصّاحب بن عباد ، وروى عن أبي الفرج الأصبهاني . (انظر : الوافي بالوقّيات : ج ٢ ، ص ٦٨) .

(٢) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسهما .

(٣) ديوان الطّغرائي : ص ١٨٩ .

(٤) ديوان صردر : ص ٨٩ .

مَنْ يَبْغِي الْوُصُولَ إِلَى عِلَا الْمَعْدُوحِ كَمَنْ يَطْلُبُ سُلْمًا يَسْعَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ .
ويتحدث أبو بكر الرِّبَّانِيُّ الْخَوَارِزْمِيُّ (١) عن نفسه مَوصُورًا شَجَاعَتَهُ ، فيذكرُ أَنَّهُ
أَسْرَعُ الْخَلْقِ جَمِيعًا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِلَى الْمَعْرَكَةِ ، وَهَذَا مِنَ الْمَبَالِغَاتِ الْعَظِيمَةِ ،
يَقُولُ :

فَلَا يَغْرُوكَ مِثِّي لِبِنِّ مَمَسِّ تَرَاهُ فِي نُرُوسٍ وَأَقْتَبَاسِ
فَاتِي أَسْرَعُ الثَّقَلَيْنِ طَمَسْرًا إِلَى خَوْضِ الرَّدَى فِي وَقْتِ بَاسِ (٢)

وَقَدْ مَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى الدَّقَّةِ فِي الْمَعَانِي ، وَذَلِكَ بِتَأْثِيرِ التَّبَعَةِ وَمَا أَوْجَدُوهُ
لدى الشُّعْرَاءِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الْإِبْتِكَارِ وَالتَّجْدِيدِ ، فَاصْبَحَ الشُّعْرَاءُ يَأْتُونَ بِالْمَعَانِي
الدَّقِيقَةِ الْمُبْتَكَّرَةِ ، الَّتِي تَنْمُ عَنْ فِكْرٍ مُتَوَقَّدٍ وَعَقْلِيَّةٍ رَاجِحَةٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ
الْمُتَنَبِّي :

أَجْزَيْ إِذَا أُنِيدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا يَشْعُرِي أَنَاكَ الْمَا يَحُونَ مُرَدَدًا
وَدَعَ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى (٣)

فَقَدْ أَوَدَعَ الْمُتَنَبِّي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَدِيحًا رَفِيقًا وَمَعْنَى رَفِيقًا (٤) ، فَالْمُتَنَبِّي
يَعْتَبِرُ كُلَّ مَا يُمَدِّحُ بِهِ مَمْدُوحَهُ مِنَ الشُّعْرِ تَرْدِيدًا لِشِعْرِهِ ، فَشِعْرُهُ وَصَوْتُهُ هُمَا الْأَصْلُ
وَمَا عَدَاهُ مِنَ الشُّعْرِ هُوَ صَدَى لِشِعْرِهِ وَتَرْجِيعٌ لَهَا .

(٣) الصُّورُ وَالْأَخْيَالُ

لَقَدْ كَانَ لِلتَّبَعَةِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي صُورِ الشُّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ وَأَخْيَالَتِهِ وَتَشْبِيبَاتِهِ، فَتَقَسَّدَ
تَأَثَّرَ بِهِمُ الشُّعْرَاءُ ، فَاسْتَوْحَوْا مَا كَانُوا يُبْدِعُونَهُ فِي الْمَجَالِسِ الْكَلَامِيَّةِ مِنَ الْجَدَلِ
وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُحَاجَّةِ ، فَاتَّسَعَتْ آفَاقُ الشُّعْرَاءِ ، وَأَدَّى هَذَا إِلَى دِقَّةِ تَعْبِيرِهِمْ وَعُمُقِ
تَفْكِيرِهِمْ ، وَصَبَغِ عَقْلِيَّتِهِمْ بِطَابَعِ الرَّغْبَةِ فِي الْإِغْرَابِ وَالتَّجْدِيدِ ، وَمَا جَعَلَهُمْ يُغْرِبُونَ فِي
الْخَيَالِ ، فَجَاوَزُوا بِالصُّورِ الْبَدِيعَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ شَائِعَةً عِنْدَ غَيْرِهِمْ ،

(١) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو الرِّبَّانِ الْخَوَارِزْمِيُّ ، كَانَ لُغَوِيًّا أَدِيبًا عَالِمًا بِالرِّيَاضِيَّاتِ
وَالنُّجُومِ ، وَكَانَ رَفِيعَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الْمُلُوكِ مَكْتَبًا عَلَى تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَانَ حَيًّا
بَغْرَتَةَ سَنَةِ ٤٢٢ هـ . (انظر : بغية الوعاة : ج ١ ، ص ٥٠ - ٥١) .

(٢) الْمَهْدَرُ نَفْسُهُ : ج ١ ، ص ٥١ .

(٣) دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي : ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٤) الطَّرَازُ : ج ١ ، ص ١٩٢ .

فَتَغْلَغَلُوا وَرَاءَ الْإِطَارِ الْخَارِجِيِّ لِلظَّوَاهِرِ الْكَوْنِيَّةِ ، وَجَاؤُوا بِالْأَخْيَلَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى
الملاحظات العقلية الدقيقة ، فانطلقوا مع الخيال الى أبعد حدوده وجاؤوا بالتشبيهات
التي تدل على عمق التفكير وصفاء الذهن وجموح الخيال ، ومن ذلك ما يقوله

وَكَأَنَّما الدَّمْسُ الْمُنِيرَةُ إِذْ بَدَتْ وَالْبَدْرُ بَجَنَحٍ لِلْمَغِيبِ وَيَغْرُبُ
مُتَحَارِبَانِ مَجْنُؤًا قَدْ صَاغَهُ مِنْ فِضَّةٍ وَلِذَا مِجْنُؤٌ مُذَهَّبُ (١)

فالطُّغْرَائِيُّ جَاءَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِصُورَةٍ جَمِيلَةٍ غَرِيبَةٍ ، فَقَدَّ عَنَبَةَ طُلُوعِ الدَّمْسِ
بَيْنَمَا الْقَمَرُ يَغِيبُ وَمَا حَدَثَ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَرُّقِ بِالْمُتَحَارِبَيْنِ يَحْمِلُ أَحَدُهُمَا ثُرْسًا مِمَّنْ
ذَهَبَ ، وَيَحْمِلُ الْآخَرَ ثُرْسًا مِنَ الْفِضَّةِ ، وَهِيَ صُورَةٌ بَدِيعَةٌ غَرِيبَةٌ تَدُلُّ عَلَى سَعَةِ أَفْقِ الشَّاعِرِ
وَجُمُوحِ خَيَالِهِ .

وَمِنَ الصُّورِ الْغَرِيبَةِ الْجَمِيلَةِ أَيْضاً قَوْلُ الْحَايِمِيِّ فِي وَصْفِ الثَّرَيَّا :
وَلَيْلٌ أَقَمْنَا فِيهِ نَعْمِلُ كَأَسْنَانَا إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَشَكَرُ
وَنَجْمُ الثَّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّه عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَيْبٌ مُدَنَّسُ (٢)

فالشَّاعِرُ يُشَبِّهُ الثَّرَيَّا وَقَدْ بَدَتْ لَامِعَةً مُشْرِقَةً وَسَطَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءَ بِالْجَيْبِ الذَّهَبِيِّ
اللامع البراق على ثوب أزرق ، وهي صورة غريبة .
وقال مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ النَّحْوِيُّ اللَّغَوِيُّ :

إِذَا زَيْدٌ شَرًّا زَادَ صَبْرًا كَأَنَّما هُوَ الْعِمْدُكَ مَا بَيْنَ الصَّلَابَةِ وَالْفِهْرِ
لَأَنَّ فِتْيَتَ الْعِمْدُكِ يَزْدَادُ طِيبُهُ عَلَى السَّحْقِ وَالْحَرِّ اصْطِبَارًا عَلَى الصَّرِّ (٣)

يُبَيِّنُ الشَّاعِرُ أَنَّ مَمْدُوحَهُ يَزْدَادُ صَبْرًا كُلَّمَا ازْدَادَتْ مَصَائِبُهُ وَأَلَامُهُ ، وَيُشَبِّهُهُ فِي
ذَلِكَ بِالْعِمْدُكِ بَيْنَ مَدَقِ الطَّيِّبِ وَالْحَجَرِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ ، يَزْدَادُ طِيبُهُ كُلَّمَا ازْدَادَتْ سَخْفُهُ ،

(١) ديوان الطُّغْرَائِيِّ : ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ، ص ٨٨ .

(٣) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان ، كان عالما بالنحو
والأدب ، وكان صادقا فاضلا من أهل السُّنَّةِ ، سمع من ثعلب ، وكان يحفظ ثلاثمائة
الف بيتا هادا في القرآن ، واتصف بالزهد والتواضع ، وتوفي سنة ٢٢٧ هجرية
ببغداد . (انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٤) .

وهذا تشبيه غريب لايتأتى إلا لمن أوتي فكراً عميقاً وأفقاً فكرياً فريحا .

ومن الصور الغريبة اللطيفة تلك الصورة التي استحضرها أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري متحدثاً عن الشموع ، فقد شبه شعل النار في رؤوسها وهي تضطرب وترتعش بأصابع أعداء عضد الدولو وهي ترتعش وترطب راجية منه منحها الأمان ، وهي صورة بديعة غريبة ، يقول :

كَأَنَّ الشُّمُوعَ وَقَدْ أَظْهَرَتْ
أَصَابِعُ أَعْدَائِكَ الْخَائِفِينَ
مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ رَأْسٍ سِنَانَا
تَضَرَّعُ تَطَلُّبُ مِنْكَ الْأَمَانَ

ويقول ابن بابك : (٢)

وَرَدُّ تَفْتَحَ ثُمَّ ارْتَدَّ مُجْتَمِعًا
كَمَا تَجَمَّعَتِ الْأَفْوَاهُ لِلْقَبْلِ (٣)

فهذا تشبيه غريب ، فقد شبه الشاعر الورد الذي تفتح في الصيف ثم ارتد مجتمعا عند ورود الشتاء بتجمع الأفواه للقبول .

ويقول ابن بابك أيضا :

لِلْبَرْقِ فِيهَا لَهَبٌ طَائِرٌ
كَمَا يُعْرَى الْفَرَسُ الْأَبْلَقُ (٤)

فاين بابك يشبه لمعان البرق من خلال السحابة السوداء بالفرس الأبلق وقد عري من جلده ، وهو تشبيه غريب .

ويقول أبو الطيب المتنبي :

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا
إِلَّا يُوْجِهَ لَيْسَ فِيهِ حَيَاةٌ (٥)

إن تشبيه الوجه الجميل بالشمس تشبيه قريب مبتذل معروف عند الشعراء منذ القدم ، ولكن أبا الطيب لم يقتصر فيه على هذا الحد وإنما تصرف فيه حتى أخرجه عن حد الابتذال ، وأكسبه مسحة من الغرابة والظرافة ، وذلك بقوله : " ليس فيه حياء " ، فإن هذا أدى إلى احتواء التشبيه على دقة وخفاء وزيادة ، فالشمس لهم

- (١) الوافي بالوفيات : ج ١ ، ص ١٠٢ .
 (٢) عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور ، أحد الشعراء المجيدين له شعر كثير ، تجول في البلاد ، ومدح الروم سنة ٤١٠هـ . (انظر : وفيات الاعيان : ج ٣ ، ص ١٩٦ - ١٩٨) .
 (٣) معاهد التنصيص : ج ١ ، ص ٢٥ ، وغرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : ص ٨٣ .
 (٤) أسرار البلاغة : ص ١٤٩ . (٥) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ٣١ .

تعارض وجهه معدوح المتنبي ولم تقابله في الجمال والبهاء والحسن إلا بوجهه خالٍ من الحياء (١).

وقال أبو الحسين الشَّهْبَلِيُّ الخَوَارِزْمِيُّ في شُعَاعِ الْقَمَرِ عَلَى الْمَاءِ :

كَأَنَّمَا الْبَدْرُ فَوْقَ الْمَاءِ مُطْلِعًا وَنَحْنُ بِالشَّطِّ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرْبٍ
مَلِكُ رَأْيَا فَأَهْوَى لِلْعُبُورِ فَلَمَّ بَغَيْرِ قَمَدٍ لَهُ جِسْرٌ مِنَ الذَّهَبِ (٢)

يَرَسُمُ الشَّاعِرُ صُورَةً غَرِيبَةً لِلْقَمَرِ وَقَدْ سَقَطَ شُعَاعُهُ عَلَى الْمَاءِ فَانْعَكَسَ عَنْهُ ، إِذَا تَخَيَّلَهُ يُشْبِهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَلِكًا مَدَّ لَهُ جِسْرًا مِنَ الذَّهَبِ يَعْبرُ عَلَيْهِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَهِيَ صُورَةٌ طَرِيفَةٌ تَدُلُّ عَلَى النَّرْعَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الشَّاعِرُ ، تِلْكَ النَّرْعَةُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مِنَ الشَّيْخَةِ .
وقال الواواءُ الدَّمَشْقِيُّ :

يَأْرَبُّ مَطْلُوبٍ عَلَى جَذَعٍ لَـ شَبَّهُ الْمُحِبَّ إِذَا رَأَى أَحْبَابَهُ
أَوْ كَالطَّرُوبِ بِمَجْلِسٍ غَمِّي لَـ صَوْتٌ فَمَرْقٌ بِالْيَدَيْنِ نِيَابَهُ (٣)

يُشَبِّهُ الشَّاعِرُ الْمَطْلُوبَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِالْمُحِبِّ الَّذِي يَشِيرُ بِيَدَيْهِ عِنْدَ رُؤْيَاهُ مَحْبُوبِهِ ، وَهَذَا تَشْبِيهُ قَرِيبٌ ، وَلَكِنَّهُ يُغْرَبُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ، فَيُشَبِّهُ الْمَطْلُوبَ بِمَنْ سَمِعَ غِنَاءً فِي مَجْلِسٍ فَمَرْقٌ نِيَابَهُ بِيَدَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ .
ويقول أبو هلال العسْكَرِيُّ :

شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالُ اللَّيْلِ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مُنْتَفِيٍّ
تَبْدُو الثُّرَيَّا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعٌ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مَقْطُوعَةُ الذَّنَبِ

نَلَمَحَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِغْرَابَ أَبِي هِلَالٍ فِي الصُّورَةِ ، وَإِبْدَاعَهُ فِي الْخِيَالِ ، وَيَأْتِي بِصُورَتَيْنِ غَرِيبَتَيْنِ ، هُمَا : تَشْبِيهُ الشَّمْسِ وَقَدْ هَوَتْ لِلغُرُوبِ بَيْنَمَا بَدَأَ الْهَيْلَالُ بِالظُّهُورِ (٤) بِالْمَكْمُوفِ الْوَجْهَ يَتَّبِعُهُ آخِرُ مَقْطُوعَةٍ وَجْهَهُ ، وَتَشْبِيهُ الثُّرَيَّا لِامِعَّةٍ فِي اللَّيْلِ بِالْعَقْرَبِ

(١) انظر : تلخيص المفتاح : ص ٢٥٦ ، ومعاهد التنصيص : ج ١ ص ١٦٦ ، ومختصر

المعاني : ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) معجم الأدباء : ج ٥ ، ص ٣٣ .

(٣) ديوان الواواءِ الدمشقي : ص ٥٥ .

(٤) الصناعتين : ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

مقطوعة الذنب . وهي صورة غريبة استحضرها الشاعر من فكر عميقٍ وخيالٍ مُجَنِّحٍ .

وقد تأثر الشعراء العباسيون في القرنين الرابع والخامس الهجريين بالشبيعة في تشبيهاتهم فساروا على نهجهم وحدوا حدوهم ، فلم يكتفوا بالتشبيحات القريبة التي تشبه فيها الأشياء المحسوسة بالأشياء المحسوسة ، وإنما تجاوزوا ذلك إلى الأمور العقلية الفكرية التي تشبه فيها الأمور المحسوسة الملموسة بالأشياء المعنوية الفكرية التجريدية التي تعتمد على العقل والفكر ، وهذا لا يستنى إلا لمن أطلع لخيال العنان وجرى معه دون قيود ، وأوتي من النظر الثاقب والعقل الراجح والثقافة الواسعة حظاً كبيراً ، ولعل هذا الأثر يمثل أهم الآثار التي تركها التشبيع في عصر القرنين الرابع والخامس الهجريين .

وقد برز تشبيه المحسوس بالمعنوي بكثرة عند الشعراء ، وحطى الحديث عن الليل والتصحر من طوله أو من ظلامه بنصيب الأسد لديهم ، فلم يعودوا يشبهون الليل بمسوح البحر كما فعل امرؤ القيس مثلاً (١) ، وإنما جمع بهم الخيال إلى أمور معنوية يشبهونها بها ، وساعدتهم على ذلك النزعة الجدلية العقلية التي اكتسبها من الشبيعة .

يقول الواواء الدمققي :

وليلٌ كذكري في صُدودٍ مُعذِّبِي وإلا كأنفاسي عليه من الوجْدِ
وإلا كعمر الهجر منه فإنَّه إذا قسَّته بالوصف كان بلا حَسْدِ (٢)

تبدو الطرافة في هذا التشبيه واضحة ، فالواواء يشبه الليل - وهو أمر محسوس - في ظلمته وسواده بشيئين معنويين هما : تفكيره في هجر محبوبه ، وعمر ذلك الهجر ، وكأنما حاول الشاعر هنا أن يجتم فكره وأن يجتم الهجرة وهذا دليل على رقي عقلية الشاعر ، كما أنه يعكس لنا شدة ضيقه بهجر محبوبه له حتى لقد خيل إليه أن زمن ذلك الهجر طويل جداً ولذا استحضره في ذهنه وشبه به الليل في طوله وظلامه .

ويقول الواواء أيضاً :

وليلٌ مثل يوم البين طويلاً كأن ظلامه لَوْنُ السُّدودِ (٣)

(١) انظر : ديوان امرئ القيس : ص ١٨ .

(٢) ديوان الواواء الدمققي : ص ٨٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٨٦ .

يُغْرِبُ الْوَأْوَاءُ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، فَهُوَ صَجْرٌ مِنْ طُولِ اللَّيْلِ وَشِدَّةِ ظَلَامِهِ ، وَقَدْ عَسَرَ
عَنْ ذَلِكَ يَا نَسَبَةَ اللَّيْلِ فِي طَوْلِهِ يَوْمِ الْفِرَاقِ ، ثُمَّ وَصَفَ شِدَّةَ ظَلَامِهِ فَأَشْرَفَ لَكُنْ
شَيْئاً عَقْلِيّاً عَبَّهُ بِهِ ، وَهُوَ لَوْنُ الصُّدُورِ ، وَنَسَأَلُ : أَيُّ فِكْرٍ هَذَا ! وَمَا الْعَلَاةُ السَّبِي
تَرْيُطُ بَيْنَ لَوْنِ اللَّيْلِ وَلَوْنِ الصُّدُورِ ! وَهَلْ لِلصُّدُورِ لَوْنٌ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ ! لِأَنَّكَ
أَنَّ الْجَانِبَ الْفِكْرِيَّ الْعَقْلِيَّ الَّذِي اكَتَسَبَهُ الشَّاعِرُ مِنَ الشَّبَعَةِ هُوَ الَّذِي مَكَتَهُ مِنْ جَمْعِ
هَذِهِ الْخُيُوطِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَإِقَامَةِ هَذِهِ الْعَلَاةِ حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحْنَا نَتَصَوَّرُ الصُّدُورَ مُظْلِمًا
بَلْ حَالِكِ الظَّلامِ بَحِيثِ إِنَّهُ يُفَوِّقُ اللَّيْلَ فِي ظَلَامِهِ .

وَقَدْ كَرَّرَ الْوَأْوَاءُ هَذَا التَّشْبِيهَ فِي مَعْرُضِ غَزَلِهِ بِالْمَحْبُوبِ فَقَالَ :

بِأَغَائِبِهَا لَمْ يَغْرِبْ هَـوَءُهَا
عَنْ قَلْبِ صَبَّ بِهِيَ عَمِيدِ
قَدْ صَارَ يَوْمُ الْفِرَاقِ عِنْدِي
أَظْلَمَ مِنْ ظُلْمَةِ الصُّدُورِ (١)

وَيَقُولُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّيُّ مُتَحَدِّثًا عَنِ اللَّيْلِ :

كَأَنَّ دُجَاهَ الْهَجْرِ وَالصُّبْحِ مَوْعِدُ
يُوصِلُ وَضَوْءُ الْفَجْرِ حُبُّ مَعَاظِلُ (٢)

يُصَوِّرُ الْمُعَرِّيُّ فِي هَذَا الْبَيْتِ ضَيْقَهُ بِاللَّيْلِ ، وَذَلِكَ بِالْحَدِيثِ عَنْ طَوْلِ اللَّيْلِ وَشِدَّةِ
ظَلَامِهِ ، وَهُوَ فِي هَذَا بَرِيءٌ يَنْفَسُهُ عَنِ التَّشْبِيهَاتِ الْقَرِيبَةِ الْمَمْجُوجَةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى
الْحَوَاسِّ ، وَيَنْطَلِقُ إِلَى جَوْ الْفِكْرِ ، جَوْ الْإِبْدَاعِ ، فَيَأْتِي بِأَشْيَاءَ عَقْلِيَّةٍ يُشَبِّهُ بِهَا
الْمَحْسُوسَاتِ ، وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَصَوِّرُ مَنَاعِرَهَا
وَنَوَازِعَهَا ، وَبِخَاصَّةِ نَفْسِ الْمُحِبِّ الْعَاشِقِ ، فَدَجَّى اللَّيْلَ مُظْلِمًا كَالْهَجْرِ ، ثُمَّ يَحْدِثُ شَيْئاً
مِنَ الْأَمْوَالِ فِي نَفْسِ الْعَاشِقِ الْمَهْجُورِ ، فَيُنَالُ وَعْدًا مِنْ حَبِيبِهِ بِالْوَصْلِ فَتَصِفُو نَفْسَهُ ،
وَيُشْرِقُ فُؤَادُهُ ، وَلِذَا جَعَلَ الشَّاعِرُ الصُّبْحَ كَالْوَعْدِ بِالْوَصْلِ ، وَلَكِنَّ ضَوْءَ الْفَجْرِ لَا يَأْتِي
فَكَأَنَّهُ الْحُبُّ الْمَعَاظِلُ فِي الْوَفَاءِ بِوَعْدِهِ لِلْمَحْبُوبِ ، وَلِهَذَا تَعُودُ نَفْسُ الْعَاشِقِ مُظْلِمَةً ،
ولِهَذَا كَانَ ظَلَامُ ذَلِكَ اللَّيْلِ سَرْمَدِيًّا لِابْرَجِيِّ زَوَالِهِ .

وَيَقُولُ الشَّاعِرُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ لَوْلُو الْكَاتِبُ : (٣)

(١) ديوان الواواء الدمشقي : ص ٨٨ .

(٢) شرح التنوير على سقط الزند : ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٣) عبد العزيز بن طلحة بن لؤلؤ ، أبو منصور الكاتب ، كان صاحب ديوان الخليفة القادر بالله وله أشعار . (انظر : تنقح اليتيمة : ج ١ ، ص ٨٢ - ٨٣) ، وبذلك يكون من شعراء القرن الخامس الهجري .

رَبِّ فَجْرٍ كَطَلْعَةِ الْبَدْرِ جَلْسِي جُنْحَ لَيْلٍ كَطَلْعَةِ الْهَيْجَرَانِ
 زَارَ فِي حُلَّةِ النُّبْرَةِ فَوَلَّى السَّ لَيْلُ عِنْدَهُ فِي حُلَّةِ الْغُرْبَانِ (١)

يُسَبِّهُ الشَّاعِرُ الْفَجْرَ بِالْبَدْرِ فِي الضُّبَا " وَالْإِشْرَاقِ، وَهَذَا تَشْبِيهِ قَرِيبٌ مَعْرُوفٌ لِإِغْرَابَةِ فِيهِ ، ثُمَّ يَسْتَبْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اللَّيْلِ فِي ظَلَامِهِ بِشَيْءٍ مَعْنَوِيٍّ هُوَ " طَلْعَةُ الْهَيْجَرَانِ " وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْقَرِيبِ ، إِذْ لَا يَمَكِنُ عَقْدُ وَجْهِ شَبْهِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالْهَيْجَرَانِ إِلَّا فِي خَيَالِ شَاعِرٍ يَتَمَبَّرُ بِالنَّرْعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالسُّمُوِّ الْعَقْلِيِّ .

وَيَجِدُ مِثْلَ هَذَا التَّصْوِيرِ أَيْضاً عِنْدَ الشَّاعِرِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَيْكَالِيِّ ، فَهُوَ يَعْمَدُ إِلَى تَشْبِيهِ اللَّيْلِ - وَهُوَ أَمْرٌ مَحْسُوسٌ - بِالْهَيْجَرِ - وَهُوَ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ - فِي ظَلَمَتِهِ وَسَوَائِهِ ،

يقول :

وَلَيْلٍ كَلَوْنِ الْهَيْجَرِ أَوْ ظُلْمَةِ الْحَبْرِ نَصَهْنَا لِذَاجِيهِ عَمُوداً مِنَ التَّسْبِيرِ
 يَشُقُّ جَلَابِيبَ الدُّجَى فَكَأَنَّهَا نَرَى بَيْنَ أَيْدِينَا عَمُوداً مِنَ الْفَجْرِ (٢)

ويقول الواواءُ الدَّمَشْقِيُّ :

وَلَيْلٍ كَيَوْمِ السُّخْطِ أَقَمَرَ بِالرِّضَا فَهَيْجَرُكَ مَقْرُونٌ بِهِ مِثْلُ وَصَلِكََا
 كَأَنَّ بِيَاضَ الْفَجْرِ فِي ظُلْمَةِ الدُّجَى بِيَاضٌ اعْتِدَارِي فِي تَلَوْنِ عَدْلِكََا (٣)

يُسَبِّهُ الشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْمَحْسُوسَ بِالْمَعْنَوِيِّ ، فَهُوَ يَسْتَبْهُ اخْتِلَافَ ضَوْءِ الْفَجْرِ وَسَوَائِ اللَّيْلِ - وَهُوَ شَيْءٌ مَحْسُوسٌ - بِشَيْءٍ فِكْرِيٍّ مَعْنَوِيٍّ لِأَوْجُودِ لَهُ إِلَّا فِي مَخِيلَةِ شَاعِرٍ وَاسِعِ التَّفَكِيرِ ، فَسِيحِ الْأَفْقِ ، وَهُوَ صُورَةُ الْاعْتِدَارِ الْأَبْيَضِ يُخَالِطُهُ الْعَدْلُ الْأَسْوَدُ ، وَهَذَا بِصُورِ الشَّاعِرِ مَنَاعِرَ الْمَرْءِ تَجَاهَ الْاعْتِدَارِ وَالْعَدْلِ، كَمَا نَلَاظُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ جَسَّمَ الْاعْتِدَارَ وَالْعَدْلَ ، فَصَوَّرَهُمَا ذَوِي لَوْتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْيَضٌ وَالْآخَرُ أَسْوَدٌ .

ويقول أبو هلال العسْكَرِيُّ :

وَلَيْلَةٍ كَرَجَائِي فِي بَنِي زَمَانِي مَسُودَةَ الْوَجُوِّ مَنْسُوباً إِلَى الْفَحْمِ
 سَدَّتْ عَلَيَّ نَظْرَ الرَّائِمِينَ مِنْهَجَاهُ حَتَّى تَعَارَفَتِ الْأَشْخَاصُ بِالْكَلِيمِ
 لَا أَسْأَمُ الْجَهْدَ فِيهَا أَنْ أَكَابِدَهُ وَلَا تَرَى صَاحِبَ الْحَاجَاتِ دَا سَامِ (٤)

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب : ج ١ ، ص ١٤٣ .
 (٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٣٨ .
 (٣) ديوان الواواءُ الدَّمَشْقِيُّ : ص ١٧٣ .
 (٤) ديوان العسْكَرِيُّ : ص ٢١٥ ، وديوان المعاني : ج ١ ، ص ٣٤٣ .

يتحدّث العسكري عن ليلة مُظلمة ، فيذكر أنّها كانت حالكة الظلام إلى درجة
تعذر معها على الناس أن يروى بعضهم بعضاً ، فلم يعرف الواحد منهم صاحبه إلا بالكلام ،
وهنا يريد الشاعر أن يصوّر شدة ظلمتها ، وذلك بتشبيهها بشيء شديد السواد ، فنسبها
بأمر معنوي هو رجاؤه في بني زمنه ، فرجاؤه فيهم قائمٌ مظلمٌ ، فهم لا يُغيثون ملهوناً
ولا يعطون على محتاج ، ولا يساعدون فقيراً ، ولا يخفى هنا ما في تجسيم الرجاؤ وإظهاره
بعظّم المحسوس المعروف من الجمال ، وربما عانى الشاعر حقيقةً من أهل عصره
وخذلهم إيّاه ، فعبر عن تلك التجربة بهذه الأبيات ، وساعدته على ذلك النزعة
العذليّة الميالة إلى الإغراب التي جاءت من الشيعيّة ، وهكذا نجد الشاعر ينتقد
الأوضاع الاجتماعيّة وقيم الناس التي كانت سائدة في عصره ، ونجد الشكوى من بخل
الناس وقلة وفائهم لدى الشاعر جحظةً البرمكيّة (١) وذلك في تصوير جميل يشبه فيه
المحسوس الملموس بالمعنوي الفكري ، فقد تضجّر من طول الليل فكواكبُه ثابتة
لا تتحرّك ، ولا أمل بانقضاءه وبمجيء الصبح ، فكأنّ الصبح جودٌ أو وفاءٌ لا وجود له ،
وذلك لأنّ الصبح لا وجود له في هذا الليل أصلاً (٢) .

ويقول ابن الهباريّة :

كَمْ لَيْلَةٍ بَيْتٌ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقٍ (٣)
وَالصُّبْحُ قَدْ مَطَّلَ الشَّرْقَ الْعُيُونَ بِوِ
أَشْكُو إِلَى النَّجْمِ حَتَّى كَادَ يَشْكُونِي (٤)
كَأَنَّهُ حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ مِسْكِينٍ

قال الشاعر يوضح أنّ ليله ليلٌ طويل ، زاد من طولِهِ على الشاعر حُزنه وشوقه ، ثم
ينسب الصبح في تأخر مجيئه بالحاجة في نفس المسكين المحتاج ، فهو يتردد كثيراً في
ذكرها ، وبذلك فالشاعر تجاوز التشبيهات المحسوسة القريبة إلى تشبيه المحسوس
بالمعنوي ، وفيه نلمس براعة الشاعر في التصوير وغرابته في التشبيه ، كما نلمس
براعته في سبر غور النفس الإنسانيّة ومعرفة دقائقها ، وبراعته في تصوير المتاعسِر
التي تنتاب البائس المحتاج في مواجهة من يكون بحاجة إليهم .

(١) أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم الملقب
بجحظة ، كان قبيح المنظر ، وكان أديباً كبير الرواية للأخبار ، توفي في شعبان
سنة ٢٢٤ هـ ، ومولده سنة ١٢٤ هـ ، وله عدّة مؤلفات . (انظر : معجم الأدباء : ج ٢ ،
ص ٢٤١ - ٢٤٢) .

(٢) انظر : شرح المصنوع به على غير أهله : ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
(٣) الحرق : جمع حرقة ، وهي ما يجده الإنسان من لذة حبّ أو حزن أو طعم شيء فيه
حرارة . (انظر : لسان العرب : مادة حرق) .

(٤) الوافر ، بالفياء : ج ١ ، ص ١٣١ .

ويقول الثعالبي :

بِالْبَلَّةِ هِيَ طُـوْلًا
مَدَّتْ سُرَايِقَ شَجْوِ
كَمَثَلِ شَوْقِي وَوَجْهِ
عَلَى السُّورَى أَيَّ مَسَدِّ
نُجُومِهَا الزُّهْرُ تَحْكِي
حُسْنًا لِأَلْسِنِي عَقْدِ (١)

يُشَبِّهُ الثَّعَالِبِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا بِشَيْئَيْنِ مَعْنَوِيَيْنِ هُمَا شَوْقُهُ وَوَجْدُهُ وَهُوَ بِهَذَا يَرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ عَظَمَةِ شَوْقِهِ ، وَهَكَذَا فَقَدْ أُعْرِبَ فِي التَّصْوِيرِ وَأَبْدَعَ فِي السِّي خَيَالٍ بِتَجَاوُزِهِ الْأُمُورَ الْمَحْسُوسَةَ إِلَى الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ .

وَقَدْ عَمَدَ الشُّعْرَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ فِي مَدَائِحِهِمْ أَيْضًا إِلَى تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ بِالْمَعْنَوِيِّ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى هَيْمَنَةِ هَذِهِ الْمَبِيزَةِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مِنَ الشَّبَعَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ ، وَسَبَطَرَتِهَا عَلَى أَفْكَارِهِمْ ، فَاتَّجَهُوا إِلَى التَّغْلُغِ وَرَاءَ مَا هُوَ غَرِيبٌ وَجَدِيدٌ مِنَ الصُّورِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ الْوَأْوَاءُ الدَّمَقْتِيُّ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

أَمَانَ لِمُرْتَاغٍ وَرَوْعٍ لَأَمِينٍ
وَكَهْفٍ لِمَطْلُوبٍ وَحَرْبٍ لِفَالِسِبِ (٢)

فَالشَّاعِرُ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ فَيُشَبِّهُهُ بِالْأَمَانِ لِلخَائِفِ وَبِالْحَقُونِ لِلْأَمِينِ الْفَالِسِبِ وَبِالْحَرْبِ لِلْغَالِبِ الْمَتَسَلِّطِ يُقْلِقُهُ وَيُرْوَعُهُ ، وَكُلُّهَا أُمُورٌ مَعْنَوِيَّةٌ مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَدُورَ فِي خَلْدِ الشَّاعِرِ لَوْلَا مَا تَرَكْتَهُ فِي نَفْسِهِ الْبَيْئَةُ الشَّبَعِيَّةُ فِي بِلَاطِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ .
ويقول ابن أبي حصينة المعري :

رَبَاهِي كَأَخْلَاقِ الْأَمِيرِ أُنَيْقَسُهُ
تَمَجُّجُ شِقَاةِ الْأَرْضِ مِنْ رَبِيقِهَا بَسْرَدَا (٣)

ويقول الشاعر عمر بن علي المطوعي (٤) في أبيات كتبت بها إلى أبي الفضل الميكالي :

إِلَى سَيِّدِ أَوْقَى عَلَى الشَّمْسِ قَلْبُهُ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّ فِيهَا سَخَائِبَهَا
وَزَادَتْ مَعَالِيَهُ ضِيَاءً عَلَى الشُّهُبِ
كَنَائِلِهِ الْفَيَاضِ أَوْ لَفْظِهِ الْعَنْدَبِ
سَخَائِبَ يَحْدُوهَا نَسِيمٌ كَخُلْفِيهِ
وَيَقْدُمُهَا بَرَقٌ كَمَا رَمِدِ الْعَضْبِ (٥)

(١) من غاب عنه العطرب : ص ٩٥ .

(٢) ديوان الواوَاء الدَّمَقْتِيُّ : ص ٢٢ .

(٣) ديوان ابن أبي حصينة : ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٤) عمر بن علي المطوعي ، أبو حفص ، كان من أعيان الأدباء والشُّعْرَاءِ ، اتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ وَخَدَّمَهُ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ . (انظر : بيتيمة النهر : ج ٤ ، ص ٤٢٣) . وبذلك يكون من شعراء القرن الرابع وأوائل القرن الخامس

الهجرية
(٥) زهر الآداب : ج ١ ، ص ١٤٦ .

فالشاعر هنا يُنوّه بمَعَالِي أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ وِبِفَضَائِلِهِ الْكَثِيرَةِ ، ثُمَّ يَدْعُو
اللّهَ أَنْ يَسْقِي أَرْضَهُ سُحْبًا غَزِيرَةً كَعَطَائِهِ الْكَثِيرِ أَوْ الْفَاطِمِ الرَّقِيقَةِ الْعَذْبَةِ . وَهَذِهِ
تَشْبِيهَاتٌ رَقِيقَةٌ مَحْسُوسَةٌ ، وَنَاحِظٌ فِيهَا أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ قَلَبَ التَّشْبِيهَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ
كَرَمِ الْمَعْدُوحِ وَعُذُوبَةِ الْفَاطِمِ ، وَالْأَصْلُ أَنْ يَشْبَهَ عَطَاءَ الْمَعْدُوحِ وَالْفَاطِمَ الْعَذْبَةَ
بِالسُّحْبِ ، وَهَذِهِ تَشْبِيهَاتٌ لَطِيفَةٌ جَاءَ بِهَا الشَّاعِرُ ، وَهِيَ مِنْ تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ بِالْمَحْسُوسِ ،
وَلَكِنَّهُ يُغْرِبُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ ، وَيُبَدِّعُ فِي التَّصْوِيرِ ، فَيَعْتَمِدُ إِلَى تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ
بِالْمَعْنَوِيِّ ، حَيْثُ شَبَّهَ التَّسِيمَ بِأَخْلَاقِ الْمَعْدُوحِ فِي رِقَّتِهِ وَلِينِهِ وَلُطْفِهِ ، وَهُوَ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ
الْبَعِيدَةِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي مَتَنَاوِلِ أَحَدٍ إِلَّا الْكِبَارُ مِنَ الشُّعْرَاءِ .

وَيَقُولُ جَهْظَةً فِي الْأَنْرُجِ :

أَنْرُجَةٌ كَالْمَيْكِ فِي طَبِيحِهِ وَالتَّبْرِ فِي بَهْجَةِ إِشْرَاقِهِ
كَأَنَّهَا فِي كَفِّ أَشْتَاذِنَتَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ طَيْبِ أَخْلَاقِهِ (١)

فالشاعر يشبه الأنرجة في طيبها وعذوبتها بأخلاق المعدّوح ، وهو تشبيه غريب
تجاوز فيه الشاعر المحسوسات إلى المعنويات .
وَيَقُولُ ابْنُ بَابَك :

وَأَرْضٌ كَأَخْلَاقِ الْأَمِيرِ قَطَعْتَهَا وَقَدْ كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصَرَا (٢)

فالشاعر يشبه الأرض في سعيتها بأخلاق المعدّوح ، وبهذا فقد شبه المحسوس
بالمعنوي ، وذلك لأنه " لَمَّا كَانَتِ الْأَخْلَاقُ تُوصَفُ بِالسَّعَةِ وَالصِّيقِ وَكَثُرَ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّتْ تَوَهْمَهُ
حَقِيقَةً ، قَابَلَ بَيْنَ سَعَةِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ سَعَةٌ حَقِيقَةٌ وَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ " (٣) .

وَكَتَبَ الشُّعَالِيُّ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ فِي جَوَابِ كِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ :

أَنْسِيمُ الرَّيَاضِ حَوْلَ الْغَدِيرِ مَا زَجَّتْهُ رَبِّمَا الْحَبِيبِ الْأَنْسِيرِ
أَمْ وَرُودُ الْبَشِيرِ بِالنُّجْحِ مِنْ فَكْرِ سِكَ أَسِيرٍ أَوْ بُسْرِ أَمْرِ عَيْسِيرِ
أَمْ كِتَابُ الْأَمِيرِ سَيِّدِنَا الْفَرِّ دِ ، فَيَا حَبْدًا كِتَابُ الْأَمِيرِ
وَتِعَارُ الصُّدُورِ مَا أَجْتَنِبِيهِ مِنْ سُطُورٍ فِيهَا إِفْسَاءُ الصُّدُورِ
نَعَقَتْهَا أَنَا مَلُّ تَفْتِقِ الْأُنْثَى سَوَارَ وَالزَّهْرَ فِي رِيَاضِ السُّطُورِ

(١) نهاية الأرب : ج ١١ ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٢) أسرار البلاغة : ص ٢٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

كالعنى قد جُمِعَ في النعم الغر رمع الأمن من صروف التهور (١)

في هذه الأبيات سئل جارف من التشبيهات العذبة الرقيقة ، وفيه نلاحظ أن الشاعر معجب جداً بكتاب الميكالبي، فقد شبهه في رفته بنسيم الرياض حول غدير جميل وقد خالطه رائحة الحبيب ، بقدم من يبشر بالنجاح في إطلاق مأسور أو تذليل أمر متعص ، ثم شبه الكلمات الواردة في الكتاب بالأزهار الجميلة ، وهذه كلها تشبيهات حسنة لطيفة ، ولكن الشاعر يغرب في التصوير ، ويبدع في الخيال ، فيتجاوز المحسوس إلى المعنوي ، وذلك عندما يشبه الكتاب في لطفه وإمتاعه بالهنى وقد اختلطت بالأمن من المصائب .

وقد تأثر الشعراء العباسيون بالشيعة من حيث تشبيه المحسوسات بالمعنويات في معظم الأغراض الشعرية ، ومنها الغزل ، ذلك الغرض الذي يحتاج إلى الألفاظ العذبة الرقيقة ، والتعابير السهلة ، فقد عمد الشعراء فيه إلى تشبيه المحسوس بالمعنوي وهذا يدل على عظمة الأثر الذي خلفه الشيعة في أخيلة الشعراء ، ومن ذلك قول الواواء الدمشقي .

ووجوه مثل التواصل ببيض وشعور مثل التقاطع سود (٢)

في هذا البيت يتغزل الشاعر ، وهو لم يسر على ما ترج عليه الشعراء من تشبيه الوجه الجميل بالشمس أو بالقمر ، والشعر الأسود بالليل ، ولكنه أغرب وأطرف في التصوير، فشبّه الوجوه بالتواصل في بياضها وإشراقها ، والشعور السود بالتقاطع والتجاني في سوادها ، وهذا دليل على النزعة العقلية التي يتسم بها فكر الشاعر ، فهو لا يكتفي بالتشبيهات السهلة القريبة ، ويبدو مثل هذه النزعة لدى الشاعر في أشعار أخرى ، فهو يشبه عيني محبوبه السودا وبين يحيط بهما وجهه الأبيض بصورة معنوية عقلية تخيلها الشاعر وهي الهيئة الحاصلة من وجود اليأس الأسود مخاطباً بالرجاء الأبيض ، وهذه الصورة لا وجود لها في عالم المحسوسات ، وإنما تحضرها الشاعر بفعل الشيعة وما خلفوه في فكره ونتاجه من النزعة الفكرية والميل إلى الإغراب ، وذلك في قوله :

(١) زهر الآداب : ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٢) ديوان الواواء الدمشقي : ص ٩٠ .

تُغْنِي عَنِ التَّفَاحِ حُمْرَةً خَسَدَهُ وَتَنُوبٌ رِبَقَتُهُ عَنِ الصَّهْبَاءِ
 وَبُدْبُرُ عَيْنَا فِي حَدِيقَةِ نَرْجِسِي كَسَاوِدِ بَاسٍ فِي بَيَاضِ رَجَبَاءِ (١)
 وَيَقُولُ رِزْقُ اللَّهِ بِنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ الْبَغْدَادِيِّ (٢) مُتَفَرِّلاً بِمَحْبُوبِهِ :
 يَا أَبِي حَبِيبُ زَارِنِي مُتَذَكِّراً فَبَدَى الْوَشَاةُ لَهُ فَوَلَّى مُعْرِضاً
 فَكَأَنِّي وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهُمْ أَمَلٌ وَنَيْلٌ حَالَ بَيْنَهُمَا الْقَضَاءُ (٣)

فَالشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مُتَأَثِّرٌ بِالشَّبَعَةِ وَبَطَرِيقَتِهِمْ فِي الْإِغْرَابِ فِي الصُّورِ
 وَالْأَخِيلَةِ ، فَهُوَ يُشَبِّهُ نَفْسَهُ وَمَحْبُوبَهُ وَقَدْ كَانَا يَلْتَقِيَانِ فَظَهَرَ لَهُمَا الْوَشَاةُ فَوَلَّى
 مَحْبُوبَهُ خَوْفاً مِنْهُمْ بِالْأَمَلِ وَالنَّيْلِ وَقَدْ فَصَلَ بَيْنَهُمَا الْقَضَاءُ ، فَالْأَمَلُ وَالنَّيْلُ وَالْقَضَاءُ
 كُلُّهَا أَشْيَاءٌ مَعْنَوِيَّةٌ غَيْرٌ مَلْمُوسَةٌ .

وَقَدْ لَبَّى الشُّعْرَاءُ إِلَى اسْتِخْدَامِ التَّشْبِيهِاتِ الْعَقْلِيَّةِ فِي الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ
 وَالذِّبَارِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الْجَرَّجَانِيُّ مُتَشَوِّقاً إِلَى بَغْدَادَ مِنْ
 أَثْبَاتٍ :

رَبِّ عَيْشِي صَحْبَتُهُ فِيكَ غَضٌّ وَجُفُونُ الْخُطُوبِ عَنِّي نِيَامٌ
 فِي لِيَالٍ كَأَنَّهِنَّ أَمَّانٌ مِنْ زَمَانٍ كَأَنَّهُ أَحْمَلَامٌ (٤)

يَتَصَفَّ الْجَرَّجَانِيُّ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِأَنَّهُ ذُو نَزْعَةٍ عَقْلِيَّةٍ مَبَالِغَةٍ إِلَى الْإِغْرَابِ ، وَهُوَ
 جَمِيلُ التَّصْوِيرِ ، فَقَدْ مَالَ إِلَى التَّخْيِصِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، فَحَاوَلَ أَنْ يُظَهِّرَ الْخُطُوبَ
 بِمُظَهَّرِ الْعَاقِلِ ، وَلِذَا جَاءَ بِصُورَةٍ بَدِيعَةٍ ، فَشَبَّهَ مَصَائِبَ النَّهْرِ بِالْإِنْسَانِ ، فَجَعَلَ لَهَا
 جُفُوناً ، وَهِيَ جُفُونٌ غَافِلَةٌ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَغْبَعْ عَنِ بَالِ الْجَرَّجَانِيِّ لَذَّةَ الْأَمَانِ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا
 الْمَرْءُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ خَائِفاً طَرِيداً ، وَلِذَا شَبَّهَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي الْلِيَالِي الْهَائِثَةَ
 الَّتِي قَضَاهَا فِي بَغْدَادَ بِالْأَمَانِ ، وَهَكَذَا فَقَدْ أَعْرَبَ الشَّاعِرُ فِي صُورِهِ وَأَخِيلَتِهِ ، وَتَجَاوَزَ
 التَّشْبِيهِاتِ الْمَبْتَدَلَةَ الْمَطْرُوقَةَ إِلَى مَرَحَلَةٍ أَكْثَرَ رَقِيّاً وَتَعَمُّقاً ، وَهِيَ تَشْبِيهُ الْمَحْسُوسِ
 بِالْمَعْنَوِيِّ .

(١) ديوان الواواء الدمشقي : ص ٤٤
 (٢) رزق الله بن عبد الوهاب التميمي البغدادي كان أديباً شاعراً مجيداً ، وقد
 توفي ببغداد سنة ٤٨٨ هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ١١ ، ص ١٣٦) .
 (٣) المصدر نفسه : ج ١١ ، ص ١٣٧ .
 (٤) المصدر نفسه : ج ١٤ ، ص ٢٧ .

وَمِنَ الْإِغْرَابِ فِي التَّشْبِيهِاتِ أَيْضًا قَوْلُ الْوَأْوَاءِ الدَّمْعِيِّ مُتَحَدِّثًا عَنْ تَأْنِيهِ لَوَاحِظٍ
مَحْبُوبِهِ فِي نَفْسِهِ :

إِثْمِي لَتَفْعَلُ بِي لَسَاوَا	حَطَّ مُقْلَةَ الرَّشَاءِ الرَّبِيبِ
فِعْلُ الْخَنَاجِرِ بِالْحَنَاءِ	جَرَّ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْحُورِوبِ
أَوْ فِعْلُ تَوْبَةِ مُخْلِصِي	فِي مَحْوِ أَوْزَارِ الذُّنُوبِ (١)

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَبِينُ الْوَأْوَاءُ أَنَّ نَظْرَاتِ مَحْبُوبِهِ ذَاتُ تَأْنِيهِ قَوِيٌّ فِي نَفْسِهِ ، فَهُوَ
يُشَبِّهُ فِعْلَهَا فِي نَفْسِهِ بِفِعْلِ الْخَنَاجِرِ بِالرَّقَابِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْمَعْرَكَةِ ، وَهَذِهِ صُورَةٌ
مَحْسُوسَةٌ ، ثُمَّ يَشَبِّهُ الشَّاعِرُ فِعْلَ نَظْرَاتِ الْمَحْبُوبِ فِي نَفْسِهِ بِصُورَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ هِيَ فِعْلُ التَّوْبَةِ
فِي مَحْوِ الْإِنَامِ ، وَكَأَنَّهَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يُجَسِّمَ تِلْكَ الصُّورَةَ ، صُورَةَ مَحْوِ أَوْزَارِ الذُّنُوبِ
بِفِعْلِ التَّوْبَةِ ، وَقَدْ بَرَعَ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحْنَا نَتَخَيَّلُ ذَلِكَ حَقِيقَةً مَلْعُوسَةٌ مَائِلَةٌ أَمَامَ
أَعْيُنِنَا .

ويقول الواوَاءُ أَيْضًا :

وَالْأَفْقُ أَحْلَكَ مِنْ خَوَاطِرٍ كَأَسْبِيبِ بِالشَّعْرِ يَسْتَجِدِي اللَّثَامَ وَيَرْتَجِي (٢)

فالشاعر بصف ظلام الليل ، فيشبه الليل - وهو شيء محسوس - في ظلامه بالأدكار
والخواطر والاراء التي تدور في ذهن امرئ يتكسب بالشعر عند ما يقف بباب اللثام ،
فهو يكون مظلم الخواطر والأحاسيس ، لأنه لا يدري أيحصل على شيء منهم أم لا ، وهذا
من التشبيهات الغريبة .

ويقول إبراهيم بن عليّ أبو إسحاق الفارسي (٣)	يستهدي جبّة من أحد الرؤساء :
وَأَعِنِّي عَلَيَّ بَرْدِ النَّتَاءِ بِجَبَّتِي	تَدْرُ الشِّتَاءَ مُقْبِدًا مَسْجُونًا
تَسْبِي بِبَهْجَتِهَا عَيْونًا لَمْ تَسْزَلْ	تَسْبِي قُلُوبًا فِي الْهَوَى وَعَيْونًا
مِثْلَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعُدَاةِ حَرَارَةً	مِثْلَ الْخُدُودِ مِنَ الْكَوَاعِبِ لِينًا (٤)

(١) ديوان الواوَاءِ ، الدمشقي : ص ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٦٣ .

(٣) إبراهيم بن عليّ بن إسحاق الفارسي ، كان من تلاميذ أبي عليّ الفارسي ، ومن
الأعيان في علم الألب واللغة ، وبذلك فهو يكون قد عاش في أواخر القرن الرابع
وأوائل القرن الخامس الهجري ، لأنّ أبا عليّ الفارسي توفي في أواخر القرن
الخامس الهجري . (انظر : معجم الأدباء : ج ١ ، ص ٢٠٤) .

(٤) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٠٥ .

فالشاعر يطلب من أحد الرؤساء جبةً ، ويشترط أن تكون دفيئة ذات حرارة كحرارة قلوب الأعداء ، وهذا من تشبيه المحسوس بالمعنوي ، وهو تشبيه غريب إذ أن قلوب الأعداء لا حرارة لها في الحقيقة ، بحيث تشبه بها حرارة الجبة ، ولكن الشاعر تخيل ذلك يفكر وقاد وساعده على ذلك التخيل نزعة عقلية اكتسبها من الشيعة ، مما أدى إلى جموح خياله فلم يتقيد بما هو معروف عند الشعراء من الصور والأخيلة .

وكان من مظاهر تأشير الشيعة في صور الشعر العباسي وأخيلته أن كثيرين من الشعراء العباسيين استوحوا بعض أخيلة الشيعة وتشبيهااتهم ، وما كان لهؤلاء الشعراء أن يأتوا بتلك التشبيهات لولا الشيعة . ومن ذلك ما يقوله ابن التمار الواسطي (١) في تشبيه الماء وقد مرّت عليه الريح :

أما ترى اليوم في أنوابه الجُدُدِ يحكيك يا غرة الأيام والأبـدِ
فاشرب سق الندامى من مضععة كلون خذك لم تنقص ولم تـسـزِدِ
على خليج إذا هب النسيم يـسـي أبصرته من حبيك الريح كالـزردِ

فالشاعر يدعو إلى شرب الخمر الصافية على شاطئ خليج جميل يتجدد ماؤه عندما يهب عليه النسيم فتدكون على سطحه أمواج كزرد الدروع . ولعل الشاعر متأثر في هذا التشبيه بقول أبي فراس الحمداني :

انظره إلى زهر الربيع والماء في برك البديع
وإذا الربيع جرت عليه في الذهب وفي الرجوع
نشرت على بيض الصفـا نوح بينها حلق الدروع

وهذا التشبيه من أبي فراس تشبيه غريب ، فهو يشبه سطح الماء عند تجعده عند مرّ الريح عليه بزرد الدروع .

وقال الشاعر الشيعي السري الرفاء من مقطعة يصف فيها الهلال :

ضحكت أوجه اللذاذة بالفكـر سر ولاحت طوالع السـرّاءِ

- (١) ابن التمار الواسطي : ذكره النعالي ، وقال إن له شعراً يتغنى بأكثره ملاحاً ورفاقاً ، وكان يقوله تظرياً لاتكسباً . (انظر: بتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٧٠)
- (٢) غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات : ص ٦٥ .
- (٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٩٠ .

- (١) وَكَأَنَّ الْهِلَالَ نُؤُونٌ لُجَبِينِ غَرِقَتْ فِي صَحِيفَةٍ زَرْقَاءُ
- فهو يُشَبِّهُ الْهِلَالَ لِمَعَاً مَقْوَساً وَسَطَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءُ بَحْرُفِ النَّؤُونِ الْمَصْنُوعِ مِنْ
الْفِئْضَةِ مَوْضِعاً عَلَى صَحِيفَةٍ زَرْقَاءُ . وَقَدْ أَخَذَ الْوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ هَذَا التَّشْبِيهَ (٢) ، فَقَالَ:
- وَلَيْلَةٌ فِي عُدْرِ الشَّسْبَابِ نُجُومُهَا فِي مُوَرَّةِ الْأَحْبَسَابِ
لِبَاسُهَا غَلَاظِلُ اجْتِنَابِ هِلَالُهَا فِي خَلَلِ السَّحَابِ
كَمُنْهَبِ النَّؤُونِ مِنَ الْكِتَابِ فِي لَازِوَرْدِي عَلَى مِحْسَرَابِ
أَوْ طَرَفِ السَّيْفِ مِنَ الْقِسْرَابِ طَوْبَتْهَا بِالنَّفْرِ لِلْعِتْرَابِ (٣)

فَهُنَا شَبَّهَ السَّرِيَّ أَيْضاً الْهِلَالَ بِالنُّؤُونِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الذَّهَبِ .
وَكَانَ الشَّاعِرُ أَبُو الْفَضْلِ الْعَيْكَالِيُّ قَدْ " سَمِعَ قَوْلَ الصَّاحِبِ :
لَيْنٌ هُوَ لَمْ يَكْفُفْ عَقَارِبَ مُدْغِيهِ
فَقَالَ :

- لَدَغَتْ عَيْنُكَ قَلْبِي إِنَّمَا عَيْنُكَ عَقْرَبٌ
لَكِنَّ الْمَقْصَةَ مِنْ رِيَابِي فِكْ نِيرِيَابِي مَجْرَبٌ (٤)
- وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي :

- جَرَّتِ الْجَفُونُ دَمًا وَكَأْسِي فِي يَدِي شَوْقًا إِلَى مَنْ لَجَّ فِي هِجْرَانِي
فَتَخَالَفَ الْفِعْلَانِ شَارِبٌ قَهْمُوتٍ يَبْكِي تَمَامًا وَتَشَاكَلِ اللَّوْنَانِ
فَكَأَنَّ مَا فِي الْجَفْنِ ، مِنْ كَأْسِي جَرَى وَكَأَنَّ مَا فِي الْكَأْسِ مِنْ أَجْفَانِي (٥)

فَالشَّاعِرُ يُبَيِّنُ أَنَّ لَوْنَ الدَّمِوعِ شَابَهُ لَوْنَ الْخَمْرِ فِي الْكَأْسِ ، فَأَصْبَحَا لَا يُعْرَفُ أَحَدُهُمَا
مِنَ الْآخَرِ ، فَكَأَنَّ دَمُوعَهُ مِنَ الْخَمْرِ ، وَكَأَنَّ الْخَمْرَ مِنْ دَمُوعِهِ ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ هُنَا قَسَدٌ
تَأَثَّرَ بِقَوْلِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فِي الْخَمْرِ :

- رَقَّ الرَّجَاجُ وَرَأَقَتِ الْخَمْرُ فَتَنَابَهَا فَتَنَا كَلَّ الْأُمْرُ
فَكَأَنَّهَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّهَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ (٦)

(١) ديوان السري الرقاع: ص ١٢ - ١٣ .
(٢) غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات: ص ١٥ .
(٣) ديوان الواواء الدمشقي: ص ٢٨ .
(٤) فوات الوفيات: ج ٢ ، ص ٤٢٨ .
(٥) معجم الأدباء: ج ٢ ، ص ٦٨ - ٦٩ .
(٦) ديوان الصاحب بن عباد: ص ١٧٦ .

فالصاحب يعتبر عن صفاء الخمر ورقنتها وبهائها ، ورقدة الكأس ، فمن يراها
يعتقد أن هناك خمراً يلا كأساً أو كأساً يلا خمراً .

ولمّا كان الشيعة يناظرون خصومهم ويجادلونهم ، ويعقدون مجالس الكلام لئلا يكف
الغاية ، ومن أجل توضيح آرائهم ومناصرتهم والرد على خصومهم ودحض آرائهم وإبطالها
كان من الأمور الطبيعية أن ينظموا أشعاراً تتضمن آراءهم وآراء مخالفيهم ، شأنهم
في ذلك شأن بقية المتكلمين من الفرق الأخرى الذين كانوا حريصين على نظم أشعار في
آرائهم ، (١) وقد انتقل هذا اللون من الشعر بتأثير الشيعة والمتكلمين بها من الشعراء
العباسيين ، فنظموا في المعارف المختلفة ، مما أدى إلى نشوء لون جديد
من الشعر هو الشعر التعليمي ، ومن ذلك أن ابن الهبارية نظم كتاب الصادح والباغم
على نهج كليله ودمنة ، وقد اشتمل على كثير من الشعر التعليمي ، ومن ذلك قوله :

والأرض فيها عبرة للمعتبر	تخير عن صنع مليك مقدر
تسقى يماءً واحد أشجارها	ونبغة واحدة قرارها
والشمس والهواء ليس تختلف	وأكلها مختلف لآياتها
لو أن ذا من عمل الطبايع	أو أنه صنعة غير مانع
لم يختلف وكان شيئاً واحداً	هل يشبه الأولاد إلا الوالد (٢)

فالشاعر يستدل بالظواهر الكونية على وجود الله سبحانه وتعالى ، وعلى أنه هو
صانع الكون وموجده ، ولم يوجد الكون بطريق المصادفة .

ومن الشعر التعليمي قول ابن الهبارية أيضاً :

الشمس والهواء يامعازير	والعماء والتراب شيء واحد
فما الذي أوجب ذات التفاض	إلا حكيم لم يرده باطلا
وزعموا أن النجوم مانعة	وأنها ضائرة ونافعة
في ساعة يولد ألف ألف	وحالهم نهاية في الخلس
فواحد يموت في مكان	وواحد يعيش في أقران

(١) انظر : الشعر العباسي التيارات الشعبية : ص ١٣١ .

(٢) ديوان الصادح والباغم : ص ٣٢ .

وَوَاحِدٌ ذُو شَرَّةٍ تُطْفِئُهُ	وَوَاحِدٌ شَيْعَتُهُ تَكْفِيهِ
وَوَاحِدٌ بَرٌّ عَلَيْهِمْ نَاسِيكَ	وَوَاحِدٌ غَرٌّ جُهُولٌ فَاتِيكَ
وَوَاحِدٌ عَبْدٌ ذَلِيلٌ مُضْطَهَرٌ	وَوَاحِدٌ مَلِكٌ عَظِيمٌ مُعْتَمَرٌ
تَخَالَفَ لَيْسَ لَهُ نِهَائِيَّةٌ	فِي بَعْضِهِ فِي كُلِّهِ كِفَائِيَّةٌ
لَوْ كَانَ هَذَا صَنَعَةُ الطَّبَائِسِ	لَاتَفَقُوا فِي الْحَالِ وَالصَّنَائِسِ
بَلْ هُوَ مِنْ فِعْلِ حَكِيمٍ قَسَائِرِ	وَحَالِقِ لِلْعَالَمِينَ فَاطِيرِ (١)

فهذه الأبيات - كما نلاحظ - من الشعر التعليمي الذي يُعلِّمنا أن الله سبحانه وتعالى خالق الكون ، ويحتج الشاعر هنا لإثبات ذلك باختلاف أحوال الناس فمنهم من يعيش طويلاً ، ومنهم من يموت سريعاً ، ومنهم الغني ، ومنهم الفقير ، ومنهم التأسك العليم والفايتك الجهول ، ومنهم العبد الذليل والملك العزيز ، وهذا الاختلاف يُثبت أن هذا الكون لابد له من صانع هو الله تعالى ، لأنه لو كان من عمل الطبيعة لتشابهت أحوال الناس وظروفهم .

وممن نظم في الشعر التعليمي الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٢) يقول :

هَذَّبَ النَّفْسَ بِالْعُلُومِ لِتَرْقَى	فَتَرَى الْكُلَّ فِيهَا لِلْكَلِّ بِيَسْتُ
إِنَّمَا النَّفْسُ كَالرُّجَاجِ وَالْعِلْمُ	سُمُّ سِرَاجٍ وَحِكْمَةُ اللَّهِ زَيْسُ
فِيهَا إِنْ أَشْرَقَتْ فَإِنَّكَ حَسْبِي	وَهِيَ إِنْ أَظْلَمَتْ فَإِنَّكَ مَيْسُ (٣)

فالشاعر جاء بهذا الشعر التعليمي داعياً إلى تهذيب النفس ، وبشبه النفس بالرجاجة والعلم بالسراج ، داعياً إلى إضاءة النفس بالعلم وبخاصة حكمة الله

(١) ديوان الصادق والباغم : ص ٣٣ .

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، ولد في قرية من أعمال بخارى ، ثم انتقل مع والده إلى بخارى ، وأخذ بعد ذلك ينتقل في البلاد ، وقد اتقن علم القرآن وعمره عشر سنوات وحفظ أخصاً من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر ، وقد ترك عدة مؤلفات منها : " الشفاء " في الحكمة ، ورسالة حي بن يقطان ، وقد ولد سنة ٣٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٢٨ هـ بهذان . (انظر : وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ١٥٦ - ١٦٢) .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ١٦١ .

تعالى ، فحياة الإنسان كاهنة في إشراق نفسه ، فاذا ما أظلمت تلك النفس زالت حياته .

ومعّن نظم في الشعر التعليمي الطغرائي ، فله مقطوعة دعا فيها إلى عادم استغلال المرء منصبه وقربه من السلطان من أجل إيقاع الأذى بالمسلمين ، فإن لذلك عاقبة وخيمة تقع على المرء ، وضرب على ذلك مثلاً من أمثال العرب (١).

(٤) الرمزية

وكان من الآثار الفنية التي خلفها الشيعة في الشعر العبّاسي اتجاه الشعراء نحو الرمزية في أشعارهم ، فأخذ الشعراء في أحيان كثيرة يرمزون إلى ما يريدون دون أن يصرّحوا بذكره ، ولعل اعتقاد الشيعة بمذهب التقيّة كان له أثر في ذلك حيث لم يَكُنْ بإمكانهم إظهار ما يريدون صراحةً في كثير من الأحيان فمالوا إلى إخفاء ذلك إلى أن يحين الوقت المناسب ، فنسب هذا إلى شعرهم ، ومن ثمّ انتقل إلى شعر غيرهم . ونلمح هذه الرمزية بشكل كبير عند أبي الطيب المتنبي فيما قاله من النسب في ظلّ كافور ، فهو لم يَكُنْ يقصد ما يتراءى من ظاهر الكلام أنه غزل بالنساء وتصوير عواطفه نحوهنّ ، وإنما كان يقصد حبيبته القديم سيف الدولة ، والحياة في جوار ذلك الحبيب الذي ساءت الأقدار أن يفارقه ، ولهذا فهو بصور آلامه وحسراته (٢) . وقد كان المتنبي يحس برهبة هذا الفراق قبل حدوثه ، بعد أن سعى الوفاة والحاد في إفساد قلب سيف الدولة عليه ، ممّا حمله على القول :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَادِمٌ (٣)
وَيَتَّضِحُ هَذَا مِنْ قَصِيدَتِهِ الْأُولَى الَّتِي أَنْشَدَهَا كَأَفْوَاءٍ حَيْثُ يَقُولُ :

كَلْفِي بِكَ رَأَى أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا (٤)

فقد رمز لسيف الدولة بذلك الحبيب الغابر الذي ينازعه قلبه الحنين إليه فيزجر قلبه ويحمله على الكف عن ذكره لأنه لم يَرِعْ عهد الوفاة ، يقول :

(١) انظر : ديوان الطغرائي : ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) الرمزية في الأدب العربي ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، والشعر في ظل سيف الدولة ص ٣٠٧ .

(٣) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٤) المصدر نفسه : ج ٤ ، ص ٢٨١ .

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ بَيْنَكَ بَعْدَهُ
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غَدْرٌ بِرَبَّتِهَا
وَإِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَائِرِينَ جَوَارِيهَا (١)

وهناك قصيدة أخرى بدأها المتنبي بالنسيب في مديح كافور ومطلعها :

أَغْلِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ
أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فَنِي بِيَانُ أَرَى
وَلِلَّهِ سِرِّي مَا أَقَلَّ تَثِيْبَةً
عَبْدِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي مِنْ جَفْوَتِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْجَبُ
بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيْبًا تُقْرَبُ
عَبْدِيَّةَ شَرْقِي الْحَدِّ أَلَى وَغُفْرَبُ
وَأَهْدَى الطَّرِيقِينَ الَّذِي أَتَجَنَّبُ (٢)

ففي هذه الأبيات تتضح الرمزية لدى المتنبي إلى حد بعيد ، فهو يرمز بهذا البغيض الذي يؤد أن تبعده الأيام إلى كافور بعد أن خيب آماله في أن يصبح والياً ، ويرمز بالحبیب الذي يؤد أن تقربه الأيام منه بعد أن أبعده عنه إلى سيف الدولة .

وفي إحدى قصائد المتنبي يرمز الشاعر إلى الحياة في ظل سيف الدولة بالنسيب بالأعرابيات ذوات الجمال الطبيعي ، فيفضلهن على جمال الحضريّات المصنوع ، ويرمز بالحضريّات إلى الحياة الناعمة التي هي مليئة بالذلّ والخضوع في مصر ، وهو يقصد من ذلك أن يفضّل الحياة في ظلّ سيف الدولة على الحياة في بلاط كافور .
ومطلع القصيدة قوله :

مَنْ الْجَائِزُ فِي زِيِّ الْأَعَارِيِبِ
حُمْرُ الْحَلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيِبِ (٣)

ثم يقول :
مَا أَوْجُهُ الْحَضْرَ الْمُتَحَنَّنَاتِ بِهِ
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيْبَةٍ
ومن قصائد المتنبي الرمزية قصيدة قالها في كافور الإخشيدي ، مطلعها :
أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَاتَ وَوَدُّهُ
يُبَاعِدَانِ حَبًّا يَجْتَمِعَنَّ وَوَصْلُهُ
كَأَوْجُهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِيِبِ
وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ (٤)

(١) ديوان المتنبي : ج ٤ ، ص ٢٨٣

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٥٩ .

(٤) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٦٨ .

أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ (١)
 يَرُومُ المَتَنَبِّيَّ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِهَذَا الحَبِيبِ الَّذِي فَرَّقَتِ الأَيَّامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَتَهُ
 وَيَسْتَبْعِدُ أَنْ تَرُدَّ الأَيَّامُ هَذَا الحَبِيبَ بَعْدَ أَنْ صَدَّ عَنْهُ وَهَجَرَهُ ، عَلِماً أَنَّهَا قَدْ عَمِلَتْ عَلَى
 الجَفَاءِ بَيْنَ ذَلِكَ الحَبِيبِ وَالشَّاعِرِ قَبْلَ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا الأَيَّامُ وَتَقْطَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِمَّن
 الحُبِّ وَالصَّلَاتِ .

(٥) الألفاظ

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِالرَّمْزِ الَّذِي أَشَاعَهُ الشَّيْخَةُ فِي الشَّعْرِ العَبَّاسِيِّ مَسْأَلَةُ الأَلْفَاظِ فِي
 الشُّعْرِ ، وَالأَلْفَاظُ دَلِيلٌ عَلَى الإِغْرَابِ وَالتَّعَمُّقِ فِي المَعْنَى ، وَقَدْ أَشَارَ الحَاثِمِيُّ إِلَى ذَلِكَ
 بِقَوْلِهِ : " وَإِنَّمَا سُمِّيَ الأَلْفَاظُ لُغْزاً ، لِأَنَّ الأَلْفَاظَ وَالأَلْفَاظَ مَا خَفِيَ مَذْهَبُهُ وَبَعْدَ مَطْلَبِهِ ،
 مَا حُودٌّ مِنَ الأَرْضِ الأَلْفَاظِ وَالأَلْفَاظِ ، وَهِيَ الخَفِيَّةُ " (٢) . وَهَذَا مِمَّا أَوْجَدَهُ الشَّيْخَةُ فِي
 الشُّعْرِ ، فَقَدْ كَانُوا يَمِيلُونَ إِلَى الإِغْرَابِ فِي مَعَانِيهِمْ وَأَخْبِلَتِيهِمْ ، وَلَدَيْهِمْ نَزْعَةٌ قَوِيَّةٌ
 إِلَى الفُجُورِ وَرَاءَ العَمِيقِ البَعِيدِ مِنْهَا وَعَدَمِ الأَكْتِفَاءِ بِالقَرِيبِ المَعْرُوفِ ، وَرَبَّمَا كَانَ
 لِأَخْبِلَتِيهِمْ بِمَبْدَأِ التَّقِيَّةِ أَثَرٌ فِي ذَلِكَ ، إِذْ أَصْبَحُوا يُكْتَنُونَ عَمَّا يَرِيدُونَ وَلا يُصْرِّحُونَ بِهِ ،
 فَتَأَثَّرَ بِهِمُ الشُّعْرَاءُ العَبَّاسِيُّونَ ، إِذْ أَخَذُوا عَنْهُمْ هَذِهِ السُّمَّةَ مِمَّا أَدَّى إِلَى شُيُوعِ
 الأَلْفَاظِ فِي الشُّعْرِ العَبَّاسِيِّ ، فَوُجِدَتْ عِنْدَ عَدِيدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو العَلَاءِ المَعْرِيُّ ،
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مُلْغِزاً فِي الإِبْرَةِ :

سَعَتْ ذَاتُ سَمٍّ فِي قَمِيصِي فَغَادَرَتْ بِهٍ أَثَرًا وَاللَّهُ شَافٍ مِنَ السُّمِّ
 كَسَتْ قَيْصِرًا تَوْبَ الجَمَالِ وَتَبَعًا وَكَسْرَى وَعَادَتْ وَهِيَ عَارِيَةُ الجِسْمِ (٣)

فِي هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ عَبَّرَ الشَّاعِرُ عَنِ الإِبْرَةِ بِذِكْرِ بَعْضِ خَصَائِصِهَا ، فَهِيَ ذَاتُ سَمٍّ تَكْسُو
 النَّاسَ بَيْنَمَا هِيَ عَارِيَةُ الجِسْمِ .
 وَيَقُولُ المَعْرِيُّ أَيْضاً :

إِذَا صَدَّقَ الجَدُّ افْتَرَى العَمَّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لِاتُّكْرِي (٤) وَإِنْ كَذَبَ العَالُ (٥)

(١) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ١٩ .

(٢) جلية المحاضرة : ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٣) نفحات الأزهار على نسيمات الأسفار : ص ٣٤٣ ، والبیتان ليسا مثبتين في لزوم

مالايلزم ولافي شرح التنوير على سقط الزند .

(٤) من أكرى أي نقص (انظر : لسان العرب : مادة كرا) .

(٥) شرح التنوير على سقط الزند : ج ٢ ، ص ٧٦ .

عِنْدَ سَمَاعِ الْمَرْءِ هَذَا الْبَيْتَ يَنْصَرِفُ نِهْنَهُ إِلَى الْأَقْرَابِ وَهُمْ الْجَدُّ وَالْعَمُّ وَالْخَالَ ،
ولكنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يُرِدْ هَذَا ، وَإِنَّمَا قَدَّ بِالْجَدِّ الْحَظَّ ، وَبِالْعَمِّ الْجَمَاعَةَ مِنَ النَّاسِ ،
وَبِالْخَالَ الْمَخِيلَةَ ، فَيُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ مَنْ سَاعَدَهُ الْحَظُّ فِي الدُّنْيَا اخْتَرَعَ لَهُ النَّاسُ
مِنَ الْعَكَارِمِ مَا لَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ . (١)

ومن الغارِ المعرَّبِي العميقة الغورِ البعيدة المطلبِ قوله :

سَهَّدْتُ بِأَنَّ الْكَلْبَ لَيْسَ بِنَابِيحٍ يَقِينًا وَأَنَّ اللَّيْثَ فِي الْغَابِ مَا زَارُ
وَأَنَّ قُرَيْشًا لَيْسَ فِيهَا خِلَافَةٌ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَدَا الْحَيْفَ مِنْ عُمَرُ (٢)

وتفسير هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : " الْكَلْبُ : نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ خَلْفَ الْجُوزَاءِ ، يُسَمَّى كَلْبَ
الْجَبَّارِ وَالْكَلْبُ مِسْمَارٌ فِي قَائِمِ السِّيفِ ، وَإِلَى جَانِبِهِ مِسْمَارٌ آخَرٌ يُقَالُ لَهُ الْعَجُوزُ ...
وَالْكَلْبُ أَيْضًا مِسْمَارٌ فِي الرَّحْلِ ، وَاللَّيْثُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَنَاكِبِ قَصِيرُ الْأَرْجْلِ ، كَبِيرُ الْعُيُونِ
يَصِيدُ الذَّبَابَ وَثَبًا ، وَقُرَيْشٌ : دَابَّةٌ مِنَ دَوَابِّ الْبَحْرِ ، جَمِيعُ تَوَابِّ الْبَحْرِ خَاضِعَةٌ لَهَا ،
وَبِهَا سُمِّيَتِ الْقَبِيلَةُ ... وَالْبَكْرُ : الْفَتْيِيُّ مِنَ الْإِيلِ ، وَأَبُوهُ الْجَمَلُ ، وَعُمَرُ : جَمْعُ
عُمَرَةٍ ، وَهِيَ زِيَارَةُ الْبَيْتِ " (٣) . وَهَذَا اللَّغْزُ مِنْ أَعْصَبِ الْأَغَازِ ، وَأَكْثَرُهَا خَفَاءٌ ، وَهُوَ
يَنْسَجِمُ مَعَ مَبْدَأِ التَّقْبِيَةِ الَّذِي كَانَ الشَّيْخَةُ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، فَلَا يُفْصِحُونَ عَمَّا يُرِيدُونَ ،
فَعِنْدَمَا يَسْتَمِعُ الْمَرْءُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ فَإِنَّ نِهْنَهُ يَنْصَرِفُ إِلَى الْكَلْبِ الْمَعْرُوفِ وَالْأَسَدِ ،
وَقَبِيلَةِ قُرَيْشٍ ، وَالْخِلَافَةِ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
وَقَالَ ابْنُ أَبِي الثَّيْبَلِ مُلْغِزًا فِي النَّارِ :

وَأَكَلَتْ بِعَيْرِ قَمٍ وَبَطْنِ لَهَا الْحَيَوَانُ قُوْتُ وَالنَّبَاتُ
تُصَرِّفُ السُّنَا فِي عَيْرِ نَطْنِ سِوَى لُغَةٍ تُخَالِفُهَا اللَّفْطَاتُ
فَمَا أَكَلَتْ بِهِ تَحِيًّا وَتَطْفَنِي فَإِنْ شَرِبَتْ يُعَالِجُهَا الْمَمَسَاتُ (٤)

نلاحظُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَرَاعَةَ الشَّاعِرِ فِي الْأَغَازِ ، فَقَدَ الْغَزَّ فِي النَّارِ بِذِكْرِ بَعْضِ
خَمَائِصِهَا ، فَهِيَ تَأْكُلُ النَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ ، وَلَيْسَ لَهَا قَمٌ وَلَا بَطْنٌ ، لَهَا لُغَةٌ لَا كَاللَّفْطَاتِ
وَهِيَ مَا يَصُورُ عَنْ لَهَيْهَا مِنْ أَصْوَاتٍ ، وَهِيَ لِاتِّشْرَبُ مَا دَامَتْ حَيَّةً ، فَإِذَا شَرِبَتْ فَإِنَّهَا تَمُوتُ
سَرِيعًا .

(١) شرح التنوير على سقط الزند : ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٢) تمام المتون : ص ١٨٣ والبيتان ليسا مثبتين في لزوم ما لا يلزم ، وشرح التنوير
على سقط الزند .

(٣) تمام المتون : ص ١٨٣ (٤) سرور النفس بعد ارك الحواس الخمس : ص ٣٦٤

وَيَقُولُ أَبُو هِلَالٍ الْعَشْكَرِيُّ :

وَمَيِّتٌ لَابِدْكَادُ الْمَرْءُ يَدْفِنُهُ
عَمْدًا لِكَيْ يَجْعَلُوا الْأَحْيَاءَ أَمْوَاتًا (١)

وَيَقْصِدُ الشَّاعِرُ بِالْأَوَّلِ الذِّكْرَ ، وَبِالثَّانِي الْفَخَّ (٢) ، فَالذِّكْرُ يَبْقَى حَيًّا بَعْدَ طَاحِبِهِ
وَالْفَخُّ يَدْفَنُ فِي الْأَرْضِ لِمَبِيدِ الطُّيُورِ الْحَيَّةِ وَإِذَا مَاتَتْهَا .

وَقَالَ الْجَهْرَمِيُّ الشَّاعِرُ (٣) مُلْغِزًا فِي الْعَيْنِ :

إِنَّ النَّبِيَّ أَرَدَتْ فَوَادِي بَكَتْ
جُمَلَتِهَا وَاحِدٌ أَجْزَائِهَا
فَالْكُلُّ إِذَا يُقْرَأُ بَعْضُ لَهَا
عَمِيَّتْهَا فِي لَحْنِ قَوْلِي فَمَنْ
حُزْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مَكْسُوعٌ
طَبِيعَةٌ يُعْجِبُ مَطْبُوعٌ
وَالْبَعْضُ إِذَا يُذَكَّرُ مَجْمُوعٌ
يُخْرِجُهَا إِنْ كَانَ يَسْطِيعُ (٤)

قَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ جَاءَ يُلْغِزُ جَمِيلًا لَطِيفًا ، فَهُوَ يَقْصِدُ أَنَّ لِقِظَةَ (عَيْنِ) تُقَابِلُ حَرْفَ (ع) وَهُوَ جُزْءٌ مِنْهَا ، وَكَذَلِكَ عِنْدَمَا نَذَكُرُ هَذَا الْحَرْفَ فَإِنَّا نَكُونُ قَدْ ذَكَرْنَا كَلِمَةَ (عَيْنِ) كَامِلَةً ، وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ فِي طَبَائِعِ الْعَيْنِ .

وَيَقُولُ الْجَهْرَمِيُّ أَيْضًا مُلْغِزًا فِي الرَّزِّ وَالْعُرُوقِ :

وَنَاكِحَةٌ بِلَا مَهْرٍ حَلِيْبٌ
أَحَلَّ الْمُؤَلَّمُونَ لَهَا أَخَاهَا
فَإِنَّ سَمَوَهُ بَيْنَهُمْ نِكَاحًا
بِهِ يُغْدَى إِلَيْهَا أَوْ يُسْرَاحُ
يَعْقِدُ حَلَهُ طَلَّقُ مُبْرَاحُ
فَفِي أَعْنَاقِهِمْ ذَاكَ التَّكْرَاحُ (٦)

فَالشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْغَزَرَ فِي الرَّزِّ وَالْعُرُوقِ ، فَهِيَمَا أَخْوَانٌ أَحَلَّ لِهَيْمَا التَّكْرَاحُ
فِيمَا بَيْنَهُمَا ، وَهُوَ نِكَاحٌ يَتِمُّ دُونَ مَهْرٍ ، وَيَعْقِدُ بِيْبَاحِ حَلِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ . وَلِلشَّاعِرِ
الْفَارِزِ أُخْرَى ، مِنْهَا لُغْزٌ فِي حَجْرِ الْقَطَايِفِ . (٧)

(١) ديوان العسكري : ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٧٩ .

(٣) محمد بن جعفر أبو الحسن الجهرمي ، نسبة إلى قرية جهرم ، توفي سنة ٤٣٣ هـ
(انظر الوفيات : ج ٢ : ص ٤٠٦) .

(٤) مكسوع : من كسعه أي ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه . (انظر : القاموس المحيط :
مادة كسعه) . ويقصد أن فواده مصاب ومضروب بنظرات العين الجميلة .

(٥) الوافي بالوفيات : ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .

(٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .

وقد اتجه بعض الشعراء إلى النظم في الأحاجي ، وكان ذلك استجابةً لِنزعة الإغراب والخفاء التي أوجدها الشيعة في الشعر العباسي ووجهوا الشعراء إليها بسبب أخذهم بمذهب التقيّة ، فأخذ الشعراء ينظمون في الأحاجي ، ومن ذلك أن أبا الطيّب الطبري (١) نظم أبياتاً ، وبعث بها إلى أبي العلاء المعرّي عندما قَدِمَ إلى بغداد ، يقول فيها :

<p>تَنَاوَلُهُ وَاللَّحْمُ مِنْهَا مُحَلَّلٌ وَمَنْ شَاءَ شَرِبَ الدَّرَّ فَهُوَ مُطَلَّلٌ وَأَكَلَهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ مُفَقَّلٌ فَمَا لِحَصِيفِ الرَّأْيِ فِيهِنَّ مَا كَلُّ عَلَيْهِمْ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ مُحَصَّلٌ (٢)</p>	<p>وَمَا ذَاتُ دَرٍّ لَأَيُّجِلَّ لِحَالِ سَبَبِ لِعَمَّنْ شَاءَ فِي الْحَالِ بِنِ حَيًّا وَمَيَّتَا إِذَا طَعَنْتَ فِي السَّنِّ فَاللَّحْمُ طَيِّبٌ وَخِرْفَانُهَا لِلأَكْلِ فِيهَا كَرَّازَةٌ وَمَا يَجْتَنِي مَعْنَاهُ إِلَّا مُسَبَّرٌ فَأَجَابَهُ المَعْرِيُّ وَأَمَلَى عَلَى رَسُولِهِ فِي الْحَالِ ارْتِجَالًا :</p>
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

<p>صَوَابٌ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ مُضَلَّلٌ وَمَنْ ظَنَّهُ نَخْلًا فَلَيْسَ بِجَهَّالٍ هُوَ الْحِلُّ ، وَالدَّرُّ الرَّحِيقُ الْمُسَلَّلُ تَعْرٌ وَعَطَشٌ الكَرْمُ يُجْنِي وَيُوكَلُ هِيَ النَّجْمُ قَدْرًا بَلَّ أَعْرُ وَأَطْوَلُ جَدِيرًا ، وَلَكِنْ مَنْ يَوَدُّكَ مُقْبِلٌ (٣)</p>	<p>جَوَابَانِ عَنِّ هَذَا السُّؤَالِ كِلَاهُمَا فَمَنْ ظَنَّهُ كَرْمًا فَلَيْسَ بِكَأَزِيبٍ لُحُومُهُمَا الْأَعْتَابُ وَالرَّطْبُ الَّذِي وَلَكِنْ نِيعَارُ النَّخْلِ وَهِيَ غَضِضَةٌ يُكَلِّفُنِي الْقَاضِي الْجَلِيلُ مَسَائِلًا وَلَوْ لَمْ أُجِبْ عَنْهَا لَكُنْتُ بِجَهْلِهَا</p>
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

في هذه الأبيات أحجية جميلة بعث بها أبو الطيّب الطبري إلى المعرّي ، فهو يسأله عن الكرم أو النخل ، واصفاً إياه بأنه أنثى لها درٌّ ، ولكنه غير مُحَلَّلٍ لأحد ، وذات خِرَابٍ ولكن لحم خِرَافِهَا فيه كَرَّازَةٌ ، فلا يؤكل لحمها إلا إذا طَعَنْتَ نَفْسِي السَّنَّ ، وقد أجاب أبو العلاء عن هذه الأحجية ارتجالاً ، وهذا دليل على توقُّد ذهن المعرّي وحُضور بديهته .

(١) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيّب الطبري ، القاضي الفقيه الشافعي كان ثقةً صديقاً دينياً ورعاً عالماً بأصول الفقه وفروعه ، حسن الخلق صحيح المنهج ، وكان يقول الشعر على طريقة الفقهاء ، ولد سنة ٣٤٨هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ (انظر: وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٥) .

(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٥١٢ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٣ .

وكان من الآثار التي خلفها الشيعة في الشعر العباسي أن وجد في الشعر العباسي بعض الخصائص الفنية بتأثير بعض رجالات الشيعة ، ومن هؤلاء الشعراء المتنبي ، فقد تأثر بسيف الدولة وشخصيته الفذة مما أوجد في شعره سمة فنية هي مخاطبة الممدوح من الملوك والحكام بمثل ما يخاطب به المحبوب والصديق ، (١) ولم تكن هذه الخاصية موجودة في شعر المتنبي قبل اتصاله بسيف الدولة ، ويرجع ذلك إلى أن المتنبي لم يكن قد اتصل قبل سيف الدولة بممدوح نال إعجابَه ومَلَكَ قلبَه ، فسيف الدولة أعطى المتنبي العطايا الكثيرة ، وقد تحدث المتنبي عن ذلك في شعره فأشاد بفضل سيف الدولة كقولِهِ :

تَرَكَتُ السُّرَى خَلْفِي لِعَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أُنْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسَّجَدَا
وَقَبِدْتُ نَفْسِي فِي ذِرَاكَ مَحَبَّسَةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّسَدَا
إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَبَا مَهْ الْغِنَى وَكُنْتَ عَلَيَّ بَعْدَ جَعْلَتِكَ مَوْعِدَا (٢)

وقد أعجب المتنبي بسيف الدولة ، لأنه كان بطلاً شجاعاً مداً فِعاً عن الإسلام والعروبة ، وكان المتنبي يحب الحرب ، ولذا أخذ يتحدث عنها يلغف الحُب ، فأدى ذلك إلى استعماله ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب ، ومن ذلك قوله :

أَعْلَى الْمَعَالِكِ مَا يُبْنِي عَلَيَّ الْأَسْلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّهِنَّ كَالْقَبْلِ (٣)

ولذا أخذ المتنبي يخاطب الممدوح من الملوك والحكام بما يخاطب به المحبوب ، ومن ذلك قوله لسيف الدولة :

مَالِي أَكْتَمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمَمِ
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبُّ لِيغْرَتِيهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمِ (٤)

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَيَّ الْحُبِّ رَشْوَةٌ ضَعِيفٌ هَوَى يُبَغَى عَلَيْهِ نَسْوَابُ
وَمَا يَنْتُ إِلَّا أَنْ أُذِلَّ عَوَاذِلِي عَلَيَّ أَنْ رَأَيْتَنِي فِي هَوَاكَ مَسْوَابُ
وَأَعْلِمُ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّوا وَغَرَبَتْ أَنْتِي قَدْ ظَفَرْتُ وَخَابُوا

(١) الشعر في ظل سيف الدولة : ص ٣٠٠ .

(٢) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٣٤ .

(٤) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٣٦٤ .

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ فَالْعَالُ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثُّرَابِ تُرَابٌ (١)
ومن مخاطبة الممدوح بما يُخاطبُ به المَحْبُوبُ والصِّدِيقُ قَوْلُ المَتَنَبِيِّ فِي ابْنِ العَمِيدِ :
تَفَضَّلْتَ الْيَوْمَ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ
فَجَدُّ لِي بِقَلْبِي إِنْ رَحَلْتُ فَإِنِّي مُخَلَّفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ قَلْبُهُ عِنْدِي (٢)

فالواضح من أبيات المتنبي السابقة أن المتنبي جرى في مخاطبة هؤلاء الأمراء، بحيث لم يعد يُخيَّلُ إلينا أنه كان يقف أمام أمير أو حاكم، وإنما يُخاطبُ محبوباً متغزلاً به ، وهذه الخاصية اكتسبها - كما قلنا - نتيجة لاتصاله بسيف الدولة .

وكان من الخصائص الغريبة التي اكتسبها المتنبي نتيجة لوجوده في بلاط سيف الدولة أنه أخذ يُقلِّدُ من بدء قصائده في مديح سيف الدولة بالغزل جرئاً على عادة الشعراء السابقين ، بينما كان قبل اتصاله بسيف الدولة يبدأ قصائده في الغالب بالنسيب ، وقد بين سبب قلة بدء قصائده بالنسيب بعد اتصاله بسيف الدولة ، فقال :

إِذَا كَانَ مَنُوحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُّ قَمِيحٍ قَالَ يَغْرَأُ مُتَسَيِّمٌ
لِحَبِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرَ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ
أَطَعْتُ الْعَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرُّنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)

فقد صرح بأنه قد ترك النسيب والكلام عن العواني لأنه اتجه إلى شيء أعظم من ذلك وهو حب سيف الدولة ، فأخذ يبدأ قصائده ويختمها بذكر الجميل .

وهكذا فقد خلف التشيع آثاراً فنية كثيرة في الشعر العباسي ، فدخلت ذلك الشعر مصطلحات كثيرة من علم الكلام الذي كان للشيعة مداركة فعالة فيه ، كما أدخل الشيعة إلى الشعر أسلوب المتكلمين القائم على الجدل والحجاج وقرع الحجّة بالحجة وتقديم البراهين وإعطاء الأدلة لإثبات صحة آرائهم ودفع آراء خصومهم ، ولذا كثر حسن التعليل والمناقضة المنطقية ، وكثرت ضروب البديع الذي وجد فيه الشعراء مجالاً لإظهار براعتهم ، وأثر الشيعة أيضاً في معاني الشعر العباسي ، فمال الشعراء

(١) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ١٩٩ .

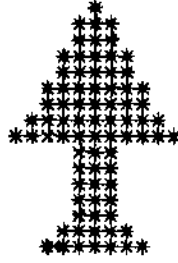
(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٣) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٣٥٠ .

إلى ابتكار المعاني الجديدة والإغراب فيها ، وظهرت لديهم المبالغة والتّهويل
كما أخذوا كثيراً من المعاني التي ابتكرها الشيعة ، وأثر الشيعة أيضاً في أخلاق
الشعراء وصورهم وتشبيهاتهم ، فعال الشعراء إلى الإغراب في الصور ، وأكثرُوا من
تشبيه المحسوس بالمعنوي ، كما أوجد الشيعة نوعاً جديداً من الشعر هو الشعر
التعليقي الذي نظم في مجالاتٍ مختلفة ، وقد أكثر الشعراء من الرمزية في الشعر ،
كما أكثرُوا في شعرهم من الألفاظ والأحاديث ، وذلك عائد إلى انتقال الروح الشعبية
إليهم وهي الروح التي تؤمن بفنمب التقيّة ، وكان لبعض رجالات الشيعة ، وبخاصّة
سيف الدولة الحمداني ، أثر كبير في بعض الشعراء الذين اتصل بهم ، وذلك لما كان
له من شخصيّة فذة تتصف بالكرم والشجاعة ، ممّا أوجد في الشعر العباسي ، وبخاصّة
يعر المتنبي ، بعض السمات الفنية ومنها : استعمال الألفاظ الغزل في وصف الحسب
وفي المدح ، وقلة بدء قصائد المدح بالمدح والنسب ، وذلك لأنّ الشعراء أخذوا
يجدون أنّ مدح سيف الدولة أهمّ من أيّ غرضٍ آخر يمكن أن يبدأوا به قصائدهم .

الفصل الرابع

الخصائص الفنية في شعر الشيعة



الخصائص الفنية في شعر الشيعة

رأينا فيما سبق أن الشيعة فرقة إسلامية كبيرة ، لها مبادئ وآراء تعتقد بها ، وتدافع عنها وتناظر في سبيلها ، وقد تبين لنا أن الشيعة كانت فرقة غزيرة الإنتاج الشعري ، فقد تمت عدداً كبيراً من الشعراء في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، حتى نستطيع القول إنهم كانت أغزر الفرق الإسلامية في نتاجها الشعري ، ولما كانت الشيعة فرقة ذات مبادئ خاصة بها ، ولما كانت تضم عدداً كبيراً من علماء الكلام والجدل كالطوسي ، والشريف المرتضى ، والصاحب بن عباد ، كان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على شعرهم ، فتظهر فيه ميزات خاصة في المصطلحات التي استخدموها في أشعارهم ، وفي معانيهم وصورهم وأخيلتهم ، ولذا فإننا نجد أن شعر الشيعة قد اتسم ببعض السمات الفنية ، وهي سمات جديرة بالاهتمام ، والوقوف المتعمق . وسندرس هذه السمات من حيث بنائها القصيدة ، واللغة ، والأشوب ، والمصور والأخيلة ، والمعاني ، والتأثر بالشعراء الآخرين من غير الشيعة ، والتأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، واستخدام الرمز في الشعر .

بناء القصيدة

نعني ببناء القصيدة هيكل القصيدة وشكلها من حيث مطلعها وانتهالها ، ثم الربط بين أجزائها ، وختامتها ، وتخلص الشاعر من غرض إلى آخر في القصيدة . ومن دراستنا أشعار الشيعة نجد قصائدهم تميزت ببعض الخصائص من حيث بناؤها وشكلها ، فنجد أنهم كانوا يبدؤون بعض قصائدهم بالوقوف على الأطلال ، فقد جاءوا بالمقدمات الطالبية كما كان يفعل الشعراء الجاهليون ، ونلمح هذا في المديح والثناء بشكل خاص ، إذ أكثر الشعراء الشيعة منهما ، ما نحن لاهل البيت ورائسين لهم ، كما مدحوا ورتوا غير آل البيت .

ولدى مطالعتنا في شعر الشيعة نجد الشريف الرضي يقول في مقدمة إحدى قصائده

التي يمدح بها بهاء الدولة : (١)

(١) بهاء الدولة : فيروز أبو نصر البويهبي ، تولى الحكم سنة ٣٧٩ هـ بعد وفاة أخيه شرف الدولة ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ . (انظر : الكامل في التاريخ : ج ٩ : ص ٦١ ، ص ٢٤١ ، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم : ج ٧ ، ص ٢٦٤) .

أَتَرَى دِيَارَ الْحَيِّ يَا لَـ
مَاذَا عَلَى الرُّكْبَانِ لَسُو
أَوْ بَلَّغُوا عَنِّ وَاجِدِ
دَارَ وَصَلْتُ بِهَا الْهَسَوَى
جَزَعِينَ (١) بَاقِيَةَ الْخِيَامِ
حَيُّوا طُلُوكَ بِالسَّلَامِ
لَفَّ الضُّلُوعَ عَلَى الْغَسَامِ
وَقَطَعَتْ أَقْسَانَ الْمَسَامِ (٢)

فَالرَّضِيُّ يَبْدَأُ قَصِيدَتَهُ بِهَذِهِ الْمَقْدِمَةِ وَاقْتَفَاءً عَلَى الْأُطَّلَالِ ، مَتَسَائِلًا : أَمَا زَالِيَتْ
مَوْجُودَةٌ أَمْ بَلِيَّتٌ وَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا ؟ وَمَاذَا سَيَلْحَقُ بِالرُّكْبَانِ لَوْ حَيُّوا طُلُوكَ الدَّارِ الْمَسْلُومِينَ
عَلَيْهَا ؟ نَحْمُ يَنْتَقِلُ إِلَى مَدْحِ بَيْتِهَا الدَّوْلَةَ .

وَيَقُولُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ فِي بَدَائِعِهِ إِحْدَى قَصَائِدِهِ :

دِمْنٌ عَفَوْنَ يَنْسِيهِ الْأَرَاكِ
لَهْفِي عَلَى أَيَّامِنَا
يَا دَارُ كَيْفَ عَفَّتْ رَبِّيكَ
أَمْ أَبِي خُطْبِي بَعْدَنَا
خَلَّفَنَ قَلْبِي ذَا ارْتِيَاكَ
وَالْعَيْشِ فِي ذَاكَ الشُّرَاكِ
يَا دَارُ أَيْنَ مَضَتْ مَهْمَاكَ
أَوْ بَعْدَ بُعْدِهِمْ نَهْمَاكَ (٣)

فَالْمُلاحِظُ هُنَا أَنَّ الصَّاحِبَ افْتَتَحَ قَصِيدَتَهُ بِمُقَدِّمَةٍ طَلَلِيَّةٍ ، فَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الدَّمَنِ
وَالأُطَّلَالِ الَّتِي نَرَسَتْ ، وَمَا تَرَكَتْهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الاضطرابِ ، وَيَتَحَسَّرُ عَلَى الأَيَّامِ الَّتِي
قَضَاهَا فِي تِلْكَ الدِّيَارِ ، وَبَعْدَهَا يَنْتَقِلُ إِلَى مَدْحِ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وَيَقُولُ أَبُو الْحَسَنِ التَّهَامِيُّ فِي مَقْدِمَةٍ وَدَخِلَ لَهُ :

لِمَنْ الرُّسُومُ بِعَرْمَةِ السَّبْرَدَانِ (٤)
دِمْنٌ عَفَيْنٌ فَاصْبَحَتْ غَرَبًا نَهْمَا
أَقْوَتُ غَدَاةَ تَرَحُّلِ الْأَطْعَمَانِ
يُرْدِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ الضِّيْفَانِ (٥)
وَبَعْدَهَا يَنْتَقِلُ إِلَى الْغَزَلِ ثُمَّ إِلَى الْمَدْحِ . (٦)

(١) جَزَعًا الْوَادِي : تَاحِيَتَاهُ أَوْ جَانِبَاهُ . (انظر : لسان العرب : مادة جزع) .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

(٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ١٣٥ .

(٤) السَّبْرَدَانُ : أَسْمَاءٌ لِمَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا قَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ بَغْدَادَ عَلَى سَبْعَةِ فَرَاسِخَ

مِنْهَا ، (انظر معجم البلدان : ج ١ ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٥) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ١٤٨ .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ١٤٩ - ١٥٠ .

وهكذا فقد كان شعراء الشيعة يبدؤون بعض مدائحهم بالوقوف على الأطلال ،
ونساءل : هل كان الشعراء الشيعة في القرنين الرابع والخامس الهجريين يقفون على
الأطلال كوقوف الشعراء الجاهليين ؟

نحن نرى أنه كان هناك بون شاسع بين الظاهرتين ، فوقوف الجاهليين كان وقوفاً
للمقاييس النقدية آنذاك ، حيث كان البدء بالمقدمة الطللية مقبلاً لجودة القصيدة ،
ولذا لم يكن الشعراء الجاهليون يتخلون عنها إلا في النادر من الشعر ، كما أن حياة
التنقل كانت توجب عليهم الوقوف على الأطلال تبعاً للمناطق التي كانوا يجوبونها
بعثاً عن الكلا للمواشي . أمّا وقوف الشعراء الشيعة في العصر العباسي فهو لمجرد
التقليد ، حيث كان التقدم الحضاري والعلمي في أوجه ، ولم يعد الارتباط
بين الشاعر والأطلال قوياً ، وبخاصة في العراق والشام حيث الاستقرار والبعد عن
حياة التنقل .

ولم يسر الشعراء الشيعة على نهج واحد في مدائحهم ، فنجد أنهم كانوا يبدؤون
قصائدهم في بعض الأحيان بالحكمة ، ومن ذلك قول السري الرفاء بمدح العوصل وبذكر
حاله فيها :

شباب المرء نوب مستغفار وأيام الصبا أبداً قصار
طوى الدهر الجديد من التصابي وليس ليعا طوى الدهر انتصار
ولم نعط المعنى بالقرب منه فكيف بها إذا شط المزار (١)

ثم يمدح العوصل داعياً أن يعقبها الغيث ، ويتذكر الأيام التي قضاها فيها (٢)
ونجد افتتاح المدايح بالحكمة عند شعراء آخرين من الشيعة ومنهم الشريف الرضي ،
ومن ذلك أنه بدأ إحدى قصائده في مدح أبيه بالحكمة ، فقال :

طالب العز من شيم الشجاع وسعي المرء تحززه الماعي (٣)

وقد يبدأ بعض شعراء الشيعة مدائحهم بالحديث عن الشيب ، ومن ذلك قول الشريف
الرضي من قصيدة في رثاء والده :

- (١) ديوان السري الرفاء : ص ١٣٠ .
(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٣) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٦٠٦ .

أَرَا بَكَ مِنْ مَشِيبي مَا أَرَا بَا
لَيْنَ أَبْعَضْتِ مِنِّي شَيْبَ رَأْيِي
يَذُمُّ الْبَيْضُ مِنْ جَزَعِ مَشِيبي
وَمَا هَذَا الْبَيْضُ عَلَيَّ عَابَا
فِي تِي مَبْغِضُ مِنْكَ الشَّيْبَا بَا
وَدَلَّ الْبَيْضُ أَوَّلُ مَا أَشَابَا (١)

فقد بدأ القصيدة بالحديث عن الشيب ، فبين أن شيب رأيه ليس عاراً ، وأن دلَّ الحسان كان أول ما أشابه .

وَمِنْ شُعْرَاءِ الشُّبَعَةِ مَنْ بَدَأَ مَدَائِحَهُ بِذِكْرِ الطَّيْفِ وَالْحَدِيثِ عَنْهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةُ
لِكشاجم فِي الْمَدْحِ ، يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :
عَا دَاتُ طَيْفِكَ أَنْ يُعَاوِدَ
وَأَرَاهُ صَدَّ فَقَدْ مَسَدَدُ
فِي بَيْتِ بَيْنَ بَدِ وَسَاعِدُ
تَعْنِي الرُّقَادِ وَكُنْتُ رَائِقِدُ (٢)

ثم انتقل بعدها إلى الغزل ، فنبه المحبوب بالشمس والهلال والغصن ، ثم انتقل إلى المدح .

وَقَدْ بَدَأَ شُعْرَاءُ الشُّبَعَةِ قَصَائِدَهُمْ بِالدُّعَاءِ لِلْمَمْدُوحِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ السَّرِيِّ الرَّقَاءِ
فِي مَقْدَمَةِ قَصِيدَةِ يَمْدُحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :
اللَّهُ جَارِكُ ظَائِنًا وَمُقِيمًا
إِنْ تَسَّرِ كَانَ لَكَ النَّجَاحُ مَاجِبًا
وَضَمِينُ نَصْرِكَ حَادِثًا وَقَدِيمًا
أَوْ تَبَقَى كَانَ لَكَ الشُّرُورُ نَدِيمًا (٣)

وقد كان الشعراء الشُّبَعَةُ يبدأون مدائحهم بالمقدمات الغزلية في بعض الأحيان ،
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ كَشَاجِمِ :

ضَرَبَ فِي أُرْتِشَانِي ذَاكَ الرَّضَّابِ
يَا مَهَاةَ الْغَلَاةِ يَا عُرْضَةَ الْأَعْمَى
خُلِبًا كَانَ بَرَقَ ذَاكَ السَّحَابِ
رَاضِيًا عَذْبَةَ الثَّنَايَا الْعِذَابِ
أَمِنَ الْعَدْلُ أَنْ مَنْ سَوَى يَفْضِي
فِيكَ نَجْبًا وَكَلْتِي بَانْتِحَابِ (٤)

وهكذا نجد أن كشاجم يبدأ قصيدته بهذه المقدمة التي تغزل فيها بمحبوبته ،
فريقها حلو كالعسل ، وهي جميلة كأنها المهابة ، عذبة الثنايا ، جعلت الشاعر دائم

(١) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٩٣ .

(٢) ديوان كشاجم : ص ١٨٠ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٨١ - ١٨٤ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٤٦ - ٤٧ .

الحزن والبكاء لبُعْثِهَا عَنْهُ . ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَدْحِ الْمَمْدُوحِ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ كَالكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَبِأَنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ وَلَكِنَّهُ لَا يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، وَيُصِفُهُ بِالْحِكْمَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَدِمَاءَةِ الْخُلُقِ ، ثُمَّ يَخْتَمُ قَصِيدَتَهُ فِي الْفَخْرِ بِقِصَائِدِهِ ، فِيهَا شَامِيَّةٌ فِي حُسْنِ الْفَاطِمَا نَجْدِيَّةٌ بَدْوِيَّةٌ فِي فَخَامَةِ الْفَاطِمَا وَجَزَالَتِهَا ، صَادِقَةٌ كَأَنَّهَا أُمُّ الْكِتَابِ (١) . وَهَكَذَا فَإِنَّمَا نَجِدُ أَنَّ الشُّبَّاعَةَ كَانُوا يَبْدُوْنَ مَدَائِحَهُمْ بِمَقَدِّمَاتِ ظَلَلِيَّةٍ أَوْ بِمَقَدِّمَاتِ غَزَلِيَّةٍ ، وَأحياناً يَبْدُوْنَ مَدَائِحَهُمْ بِالْحِكْمَةِ أَوْ بِالشُّعَاءِ لِلْمَمْدُوحِ أَوْ بِذِكْرِ الطَّبِيفِ ، أَوْ بِذِكْرِ الشَّيْبِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْمَدْحِ ، وَبِذَلِكَ كَانَتْ مُعْظَمُ قِصَائِدِهِمْ الَّتِي قَالُوهَا فِي الْمَدْحِ قِصَائِدَ مَرْكَبَةٍ (٢) ، وَلَكِنَّمَا نَجِدُ أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ السَّبْكِ مُتْرَابطةُ الْأَجْزَاءِ ، تَمْتَّازُ بِحُسْنِ التَّخْلِصِ (٣) ، فَلَا يَشْعُرُ الْعَرُوفُ بِنَقْلَةِ كَبِيرَةٍ عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ فِي الْقَصِيدَةِ وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَةُ الشَّرِيفِ الْمُرتَضَى الَّتِي قَالَهَا يَمْدَحُ بِهَا بَهَاءَ الدَّوْلَةِ ، فَهِيَ يَبْدُوْهَا بِالغَزَلِ بِالْمَحْبُوبِ ، يَقُولُ :

قَدْ هَوَيْنَاهُ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ	وَضَيْنَانًا بِالْوَعْدِ وَالْمَوْعِدِ
وَرَضِينَا مَا كَانَ مِنْهُ وَإِنْ أُرِ	مَضْنَا مِنْ تَجَنُّبِ وَصْفِ الدُّودِ
يَعْطَلُ الشَّيْءَ فِي يَدَيْهِ وَزَادَ الْ	سَمَطَلُ لَوْ مَا أَنَّ كَانَ بِالْمَوْجِدِ (٤)

ثُمَّ يُتَّبِعُ هَذَا الشُّبَّاعَةَ بِتَعْوِةٍ خَلِيلِيَّةٍ إِلَى الْيَوْقُوفِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ الَّتِي لَهُ فِيهَا ذِكْرِيَّاتٌ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الشَّيْبِ ، وَمَا حَصَلَ عِنْدَ مَشِيئِهِ ، فَيَقُولُ عَنِ الْغَائِبَاتِ قُلُوبًا لَقَا رَأَيْنَ وَخَطَأً مِنَ الشَّيْبِ

سَبِّ بَرَأْسِي أَعْبَى عَلَيَّ مَجْهُوْبِي

(١) انظر : ديوان كشاجم : ص ٤٧ - ٤٩ .

(٢) القصيدة المركبة : هي القصيدة التي تشتمل على غرضين ، مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح ، وهذا أكثر مناسبة للنفوس ذوات الأذواق الصحيحة . (انظر : منهاج البلاغ : ص ٣٠٣) .

(٣) حسن التخلُّص : " من محاسن الألب ، ومن أوضح الأدلة على حسن تصرف الشاعر ، وذلك أن يستطرد المتكلم من الغزل أو الافتخار أو الشكاية أو غير ذلك إلى ما يتعلق بممدوحه بأحسن ما يمكنه من الأساليب المؤنقة ، ويختلس ذلك اختلاسا رشيقا دقيقا المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني ، لشدة الممازجة والالتئام بينهما " . نفحات الأزهار على نسيمات الأسرار ص ١٢٩ ، وانظر : سِرِّ القَصَاحَةِ : ص ٣١٢ ، ومقدمة في صناعة النظم والنثر : ص ٥٩ .

(٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ٢٥٧ .

كَدْنَا بَارِقٍ تَعَرَّضَ وَهَنَاءً فِي حَوَائِي بَعْضِ اللَّيَالِي السُّودِ
(١) أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ فِي سَوَادٍ؟ كَانُ قَدَمًا لَا مَرَحَبًا يَا جَدِيدِ

ويستمر المرتضى في حديثه عن الشيب والغواني ، ثم ينتقل بعدها إلى مدح بهاء الدولة ، فيقول :

لِبَهَاءِ الْمُلُوكِ وَالِدِينَ وَالسُّدُ لَسَةِ سُكْرِي وَالْفَرْطِ مِنْ تَعْجِيبِي
(٢) وَيَأْتِيهِ الْعَبِيدَةُ أُعْطِيهِ سُلُوءًا التَّعْدِيلِ وَالتَّوْحِيدِ

ثم يتحدث عن قضايل بهاء الدولة وإنعامه على الشاعر ، مفتخرًا بنفسه في أثناء ذلك ، مثبتًا نفسه بالسيف ، يقول :

أَنَا نَصَلُ سَلَّتَهُ لِأَعَارِيدِ كَ وَكَمْ ذَا سَلَّتْ مِنْ مَغْمُودِ
(٣)

ثم يستمر في مدح بهاء الدولة ، داعيًا له بأن يحفظه الله تعالى ، فيقول :

وَقَضَى اللَّهُ فِي عَطَايَاكَ مِنْهُ وَعَطَايَاكَ عِنْدَنَا بِالْمَزِيدِ
(٤) ثُمَّ نَادَى فِي دَارِ مُلْكِكَ يَا دَا رُ أَقِيمِي مَحْرُوسَةً لِاتَّبِيدِي

ويختتم القصيدة بالفخر بدمعه وبالثناء للممدوح :

وَمِنَ الْآنَ قَاسْتَمِعْ لِنِدَائِي يَا يَا دِيكَ كُلَّ بَيْتٍ شَرُودِ
عَيْفِي بِالْقَبُولِ مَا كَانَ عَنْ حَسْبِ سَبِ قُلُوبِ الرِّجَالِ بِالْمَطْرُودِ
(٥) وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى بَابِكَ الْمَعُ مُورِ قَصْدِي لِعَارِقِي فَتَقْصِيدِي

وهكذا نجد أن الشاعر بدأ قصيدته بالغزل ثم بالحديث عن الشيب ، ثم انتقل إلى مدح الممدوح ، ثم اختتم القصيدة بالدعاء له ، أن يحرس الله داره وأن تبقى معمورة على الدوام ، وهذه معاني سائرة مفرحة ، اختتم بها الشاعر قصيدته ، وكان النسب قليلاً بالقياس إلى المديح ، إذ إن ما يؤخذ على الشاعر أن يختتم مدحته بالمعاني المحزنة (٦) وأن يكون النسب في القصيدة أكثر من المديح (٧).

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، والجزء* والصفحة نفاهما .

(٣) المصدر نفسه ، والجزء* والصفحة نفاهما .

(٤) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٥٩ .

(٥) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٦) انظر : منهاج البلغاء* : ص ٣٠٦ .

(٧) انظر : العمدة : ج ١ ، ص ٢٣٢ .

وقد اشتهر شعراء الشيعة بحسن التخلُّص من غرضٍ إلى آخرٍ في القصيدة ، ومن ذلك ما نجده لدى السري الرفاء في سيف الدولة بعد أن ذكر مقدمةً طليئة :

أَكْبِي عَنِ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ بَغْيِيرِهِ وَأَرُوْدُ عَنْهُ عَنَانَ قَلْبِ مَا نِيلِ
وَأَوْدُّ لَوْ فَعَلَ الْحَيَا بِسُهُولِيَّةِ وَخُزُونِهِ فِعْلَ الْأَمِيرِ بِأَمَلِ

وهكذا فقد تخلَّص إلى مديح سيف الدولة فقال :

الْوَاهِبِ الْغَيْدِ الْكَوَاعِبِ تَغْتَسِدِي مَشْفُوعَةً لِعُفَاتِهِ بِصَوَاهِرِ

ويستمرُّ في مديحِهِ بِالكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَحُبِّ الْعَالِي (٣).

ويقول ابْنُ الْحَجَّاجِ :

أَيَّامًا يَجَلَّةَ لَسَّتْ تَنْدِي يَا نَبِيَّ حَاسِدٌ لَكَ طَوْلُ عُمَرِي
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ كَرْتُ كَرًّا عَلَيْكَ فَلَمْ تَكُنْ يَا مَاءُ تَجْرِي
فَقَالَ الْمَاءُ قُلْ لِي كَيْفَ هَذَا يَمَّ اسْتَوْجَبْتَهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي
فَقُلْتُ لَهُ : لَأَنْكَ كُلَّ يَوْمٍ تَمُرُّ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ بِشْرِ
تَرَاهُ وَلَا أَرَاهُ وَذَاكَ سَيُّءٌ بِيضِيقٍ عَنِ احْتِمَالِ فِيهِ صَبْرِي

وهذا من مخالصة ابْنِ الْحَجَّاجِ الْمُسْتَحْدَثَةِ (٥).

ومن حُسنِ التخلُّصِ قولُ مَهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ من قصيدة رائية يمدح بها فخر المُلِكِ ،

بدأها بالغزل والنسيب إلى أن قال :

أَرَى كَيْدِي وَقَدْ بَرَدَتْ قَلْبِيًّا أَمَا تَالِهَمُ أَمَّ عَاشِ السُّرُورِ؟
أَمِ الْأَيْتَامُ خَافَتْنِي لِأَنَّي " يَفْخِرُ الْمُلْكُ مِنْهَا اسْتَجِيرُ "

وهناك ظاهرة واضحة في شعر الشيعة هي أنهم في معظم مدائحهم ومرائبيهم لال

البيت لم يبدؤوا بالمقدمات ، وإنما يبدؤون بالمدح أو الرثاء مباشرة ، وذلك يعود

إلى قوَّة العاطفة وتأجُّجها في نفوسهم ، فالعواطف الحيَّاشة والأحاسيس والمشاعر

(١) ديوان السري الرفاء : ص ١٠٦ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٠٦ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٤) خزنة الألب ، ابن حجة الحموي : ص ١٨٩ .

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٦) ديوان مهيار الديلمي : ج ١ ، ص ٣٥٨ ، وخزنة الألب ، ابن حجة الحموي : ص ١٨٩ .

الجارية تطغى على فكر الشعراء فلا تترك لهم مجالاً للتأنق ، فلا يرى الواحد منهم نفسه إلا وقد وقع في الغرض الأساسي مباشرة ، فيمدح أو يرثي بصورة مباشرة . ومن ذلك قصيدة للصاحب بن عباد في مدح آل البيت ، يقول :

ما عليّ العلاء أشعباً لا والذي لا إله إلا
الدين مغزاه والعكارم من جدواه والمأثرات مغنياه
مدناه مبنى النبي نعرفه وابناؤه عند التفاخر ابنائه (١)

فالشاعر يبدأ قصيدته في مدح علي بتفضيله على جميع الناس .

ثم يتابع مديحه واصفاً إياه بالعدل والشجاعة ، متحدثاً عن وقائعه المختلفة ، مهاجماً أعداءه ، متحدثاً - كما يرى الصاحب - عن غصبه حقه ، ثم يهاجم أعداءه (٢) . ويقول من قصيدة أخرى :

أنا من يدعة الرضا سيّد الناس حبه درة
الإمام المظهور بـ من الحصان المظهرة
وأخي المصطفى ومن حسد الفخر مفعرة
زوج مولاتنا النبي لم يكن مثلها مكرة
جاش طبعي بعدجوه فاشتملوا لأنشوره (٣)

فهو يبدأ قصيدته بمدح علي بن أبي طالب ، فيصفه بأنه سيّد الناس ، وبأنه طاهر ابن طاهرة ، وإمام ذو مفاخر عظيمة ، فهو أخو رسول الله ، وزوج فاطمة الزهراء سيّدة النساء .

ويقول كشاحم مبتدئاً قصيدة في مدح آل البيت

بُكَاءٌ وَقَلَّ غَنَاؤُ الْبُكَاءِ عَلَى رُزْءِ ذُرِّيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ
لَيْنٌ ذَلَّ فِيهِ عَزِيْزُ الدَّمْسُوعِ لَقَدْ عَزَّ فِيهِ ذَلِيلُ الْبُكَاءِ (٤)

ثم يمضي في مديحه لآل البيت ، فيصفهم بأنهم كسفينة نوح التي تنجي البشرية ، ثم يمدح علياً ، فيصفه بأنه إمام الهدى وبحر المعجزات ، ثم يتحدث عن يوم كربلاء ،

(١) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٦٠ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ٦١ - ٦٦ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) ديوان كشاحم : ص ٢٨ .

وَمَا جَرَى فِيهِ مِنْ قَتْلِ وَسْبِي ، وَيَوَاصِلِ مَدِيحِهِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ، فَيَعْتَبِرُهُمْ مَدِيحَ الْمَدِيحِ ، وَيَعْتَبِرُ غَيْرَهُمْ هَجَاءَ الْهَجَاءِ ، وَيَخْتَتِمُ الْقَصِيدَةَ بِأَنْ يَدْعُو لَهُمْ بِأَنْ يَمْلِيَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَلَاةً دَائِمَةً كَثِيرَةً كَعَدَدِ النُّجُومِ (١) وَقَدْ كَثُرَ مَدِيحُ الشَّيْخَةِ لِأَنَّ الْبَيْتَ بِصُورَةٍ مَبَاشِرَةٍ ، وَنَجَدَ ذَلِكَ فِي دَوَائِبِهِمْ (٢) .

وَكَانَ شِعْرَاءُ الشَّيْخَةِ يَتَخَلَّصُونَ مِنَ الْمَقْدَمَةِ فِي مَدَائِحِهِمْ عِنْدَمَا يَتَطَلَّبُ الْمَوْقِفَ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، فَهَمَّ فِي الْقَصَائِدِ الْحَرْبِيَّةِ لِابْتِدَائِهِ بِمَقْدَمَاتٍ فِي الْغَالِبِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ السَّرِيِّ الرَّفَاءِ فِي مَقْدَمَةِ قَصِيدَةٍ بِمَدْحِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَيَذَكَرُ وَقَعْتَهُ مَعَ الدُّمَسْتَقِ ، فَهِيَ بِبِدَائِهَا بِقَوْلِهِ :

فَتَحَّ أَعَزَّ بِهِ الْإِسْلَامَ صَاحِبُهُ	وَرَدَّ ثَاقِبَ نُورِ الْمُلْكِ ثَاقِبُهُ
سَارَتْ بِهِ الْبُرْدُ مَنْشُورًا صَحَائِفُهُ	عَلَى الْمَنَابِرِ مَحْمُودًا عَوَاقِبُهُ
فَكَرَّ نَفْرَ لَهُ نَفْرٌ يَضَاحِكُهُ	وَكُلَّ أَرْضٍ بِهَا رَكْبٌ يَصَاحِكُهُ
عَادَ الْأَمِيرُ بِهِ خُضْرًا مَكَارِمُهُ	حُمْرًا صَوَارِمُهُ بِيضًا مَنَاقِبُهُ (٣)

فَهُوَ يَبْدُوهَا دُونَ مَقْدَمَةٍ ، مُشْبِهًا بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَهَا إِلَى مَا حَلَّ بِالدُّمَسْتَقِ :

سَلَّ الدُّمَسْتَقُ هَلَّ عَنِّي الرَّقَادُ لَكَ	وَهَلَّ يَعْينُ لَهُ وَالرُّعْبُ صَاحِبُهُ
لَمَّا رَأَى مِنْكَ مَغْلُوبًا مَغَالِبُهُ	يَوْمَ اللَّقَاءِ وَمَحْرُوبًا مُحَارِبُهُ
وَنَازِحًا صَهَوَاتِ الْخَيْلِ مَجْلِسُهُ	وَالْبَيْضُ دُونَ ذَوِي الْقُرْبَى أَقَارِبُهُ
رَأَى الصَّوَارِمَ أَجْدَى مِنْ مَكَاتِبِهِ	لَمْ يَفْتَحِهَا بِإِذْعَانٍ مَكَاتِبُهُ (٤)

وَيَسْتَمُرُّ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الدُّمَسْتَقِ وَمَا حَلَّ بِهِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْحَدِيثِ عَمَّا فَعَلَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِجَيْشِ الرُّومِ ، فَيَصِفُ هَزِيمَةَ الْجَيْشِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ حَامِي الْإِسْلَامِ وَنَاصِرُ الدِّينِ ، وَيُسَبِّحُهُ بِالْغَمَامِ (٥) .

(١) انظر : المصدر نفسه : ص ٢٨ - ٣١ .

(٢) انظر : ديوان الصاحب بن عباد : ص ١٠٦ - ١١١ ، ص ١١٤ - ١١٩ .

(٣) ديوان السري الرفاء : ص ١٢ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) المصدر نفسه : ص ١٢ - ١٨ .

وقد أعلن بعض شعراء الشيعة أنه لن يقف على الأطلال ، ودعا إلى عدم الوقوف عليها ، ومن هؤلاء الشريف المرتضى ، يقول :

دَعَّ عَنْكَ وَقَافًا عَلَى أَرْبُوعٍ يَسْأَلُ فِيهِنَّ عَنِ الرَّاحِلِ
فَلَنْ تَرَانِي أَبَدًا سَائِلًا مَا لَيْسَ يَدْرِي لُغَةَ السَّائِلِ (١)

فهو يُعَلِّنُ أَنَّهُ لَنْ يَقِفَ عَلَى الْأَطْلَالِ ، ويدعو إلى تجنب الوقوف عليها ، لأنها جمادات لاتعقل .

وها هو أبو فراس الحمداني يُعَلِّنُ أَنَّهُ لَنْ يَقِفَ بِالذِّيَارِ ، بل إنه يعتبر ذلك عاراً ، ولا سيما بعد أن بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعَمْرِ ، فهو يقول :

وَقُوفُكَ فِي الدِّيَارِ عَلَيْكَ عَارٌ وَقَدْ رَدَّ السَّبَابُ الْمُتَعَارُ
أَبَعَدَ الْأَرْبَعِينَ مَجْرَمَاتٍ تَعَادِي فِي الصَّبَابَةِ وَاغْتِرَارُ؟ (٢)

وقد أعلن بعض شعراء الشيعة أنه لا يهتُمُّ بِالغَزْلِ ، ولا يسمع لِلْيَوْمِ اللَّائِعِينَ عُلَى تَرْكِهِ ، ومن هؤلاء الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ، فقد ذَكَرَ أَنَّ الْغَزْلَ لَا يَشْغَلُهُ وَلَا يَلْتَقِي مِنْهَا هَتَمًا (٣)

وهكذا يتبين لنا أَنَّ شِعْرَاءَ الشِّيْعَةِ بَنَوْا بَعْضَ قِصَائِهِمْ فِي الْمَدِيحِ عَلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، وبذلك اتسمت بعض قصائدهم بِالوَحْدَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ ، فكانوا يَخْصُّونَ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا لِلْمَدْحِ ، ونجد أنهم يبنون معظم مدائحهم على أكثر من موضوع ، ولكنهم يجعلون المقدمة ذات صلة وثيقة ببقية أغراضها ، ممتزجة بالغرض الأساسي كالرُّوحِ وَالْجِسْمِ أَوْ كَالنَّزَاحِ وَالخَمْرِ ، ومن ذلك قول الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فِي مَقْدَمَةِ قَصِيدَةٍ يمدحُ بِهَا آلَ الْبَيْتِ الْكِرَامِ :

لَا حَ لِعَيْنَيْكَ الطَّلُّ فَكَمْ دَمٍ فِيهِ يُطَلُّ
كَمْ شَرِبَ النَّهْرُ رُسُو مَ دَارِهِمْ وَكَمْ أَكَلُ
مَا بَيْنَ أَعْطَانِ الصَّبَا وَيَتَيْنَ أَثْنَاءَ الْقَمَلِ (٤)
كَمْ سَافِيَاتٍ تَوْبَهُنَّ عَلَى مَغَانِيهِهَا اشْتَمَلُ

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ١٠٤ .

(٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٧٤ .

(٣) انظر : ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٣٨ .

(٤) الشَّمْلُ : الاجتماع ، وهو أيضاً الرِّيحُ التي تهبُّ من ناحية القُطْبِ . (انظر : لسان العرب : مادة شمل) .

سُقِيًّا لِسَبْرِي مَعَهُمْ وَجُمْلُ (١) تَحَدُّو بِالْجَمَلِ (٢)

فالسَّاحِبُ جعل هذه المقدِّمة ملائمة للغرض، فلائم بينها وبين ما بعدها من المديح، فقد بيَّن في هذه المقدِّمة أنَّ آل البيت قُتِلُوا وَطَلَّتْ دَمَاؤُهُمْ، واندثرت ديارهم نتيجة لتعاقب الأيام، ثُمَّ يَصَوِّرُ أَنَّ أَحْبَابَهُ رَحَلُوا عَنِ الدِّيَارِ، ثم ينتقل إلى مديح آل البيت في أبيات كثيرة ويخصُّ عليًّا بالذكر، ويفخر في نهاية القصيدة بمدحتيه هذه في آل البيت. (٣)

أما في الموضوعات الأخرى كالرثاء، فإننا نجد أنَّ الشُّبَّعة لا يسيرون على نهج واحد في بناء القصيدة، فهم في رثاء الأقارب وآل البيت يبدوون معظم قماشهم بصورة مباشرة، دون مقدمات، ولعلَّ ذلك يعود إلى قوَّة العاطفة وعمق الشعور بالحزن والأسى، وإذا ما بدأوا بمقدِّمة طليئة أو غزليَّة فإنَّهم يجعلون تلك المقدِّمة وثيقة التماسك بغرض الرثاء، أما في رثاء الأباعد فيغلب على الشعراء أن يبدأوا بمقدمات.

يقول الشريف المرتضى في رثاء جدِّه الحسين بن عليِّ رضي الله عنه، ويذكر استشهاده بكرِّبلاء:

وَدُّرُكُمْ آلَ الرُّسُولِ، خَلَاءُ	أَسْقَى نَعِيمَ المَاءِ ثُمَّ يَلْدِي
(٤) كَمَا يَشْتُمُّ فِي عَيْشِهِ وَأَشَاءُ	وَأَنْتُمْ كَمَا شَاءَ الشَّاتُ وَلَسْتُمْ
(٥) بِهِ إِبِلٌ لِلْغَايِرِينَ وَشَاءُ	تَدَاوُونَ عَنِ مَاءِ الفُرَاتِ وَكَارِعُ

وبعدما ينتقل إلى الحديث عن يوم الطَّف، يوم استشهاد الحسين بن عليِّ، فيصوِّر ما حلَّ به، وبيِّن أنَّه لن يتوقَّف عن البكاء (٦)، ثم يخاطب آل الرسول الكريم، فيقول:

وَإِذَا لَمْ تَكُونُوا فَالحَيَاةُ مَنِيَّةُ	وَلَا خَيْرَ فِيهَا وَالبَقَاؤُ فَنَاءُ
وَإِذَا شَقِيتُمْ فِي الزَّمَانِ فَأَنْتُمْ مَا	نَعِيمِي إِذَا لَمْ تَلْبَسُوهُ دَقَاءُ

- (١) جمل: اسم فتاة كان الشعراء يتغزلون بها. (انظر: العمدة: ج ٢، ص ٢٢.)
 (٢) ديوان الصَّاحِبِ بن عبَّاد: ص ٦٦.
 (٣) انظر: المصدر نفسه: ص ٦٧ - ٧٢.
 (٤) الانثاء - بالفتح والمد - صغار النَّخْلِ، وقيل النَّخْلُ عامة، واحده أناة. (انظر لسان العرب: مادة أشي).
 (٥) ديوان الشريف المرتضى: ج ١، ص ١٣.
 (٦) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٣.

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا لَمْ يُجَاوِزُوا جَمِيلَكُمْ ۖ لَأَنْكُمْ أَحْسَنُ وَأَسَاوُوا (١)

ثم يمضي في مدحهم ، وفي نهاية القصيدة يدعو الله سبحانه أن يسقي قبورهم

المطر :

سَقَى اللَّهُ أَجْدَانًا طَوِينًا عَلَيْكُمْ ۖ
كَأَنَّ بَوَادِيهِ الْعِضَارُ تَرَاوَحَتْ
وَمَنْ كَانَ يُسْقَى فِي الْجِنَانِ كَرَامَةً ۖ
فَلَأَمَّه مِنْ ذِي السَّحَابِ مَاءُ (٢)

وللصاحب بن عباد قصيدة في رثاء الحسين ، يبدوها برثائه مباشرة ، فيرثيه
رثاء موجعا مهاجما الأمويين متحدثا عن حزن جبريل وبكائه لقتل الحسين ، ثم

يبين الصحابة عظيم الحزن ، ومطلع القصيدة :

عَيْنٌ عَوْجِيٌّ عَلَى الشَّهِيدِ الْقَتِيلِ ۖ وَاتُّرِكِي الْخَدَّ كَالْمَحَلِّ الْمَجِيلِ (٣)

وهكذا نجد أن شعراء الشيعة كانوا في معظم مرثيتهم لآل البيت يبدأون قصائدهم
دون مقدمات ، وهذا دليل على عظمة حزنهم ، فقد أعلن بعض شعرائهم أن لهم في رثاء
آل البيت شغلا عن سؤال الأطلال والوقوف عليها ، ومن هؤلاء كساجم ، فهو يقول في

مقدمة قصيدة يرثي بها آل البيت :

لَهُ شُغْلٌ عَنْ سُؤْلِ الْأَطْلَالِ ۖ أَقَامَ الْخَلِيطُ بِهِ أُمَّ رَحَلٍ (٤)

وبعد عدة أبيات ينتقل إلى رثاء آل البيت ، فيصور ما لحق بهم ، يقول :

لَهُ فِي الْبُكَاءِ عَلَى الظَّاهِرِ ۖ
فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ هِلَالٍ هَامِي ۖ
لَهُمْ حُجَّةُ اللَّهِ يَوْمَ الْمَعَا ۖ
دِ لِلنَّاصِرِينَ عَلَى مَنْ خَذَلَهُ (٥)

ثم يذكر مناقبهم ، فجدهم الرسول الكريم ، ووالدهم علي ، وهو جواد كريم ،

ذو مواقف صلبة في سبيل الدين ، ولكن أعداءه أنكروا وصية الرسول له بالخلافة ،

ثم يرثي الشاعر الحسين رحمه الله . (٦)

(١) ديوان الشريف المرتضى ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسهما .

(٣) ديوان صاحب ابن عباد : ص ٢٦١ .

(٤) ديوان كساجم : ص ٤١٩ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٤٢٠ .

(٦) انظر المصدر نفسه : ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .

وقد بدأ بعض شعراء الشيعة بعض مراثيهم في آل البيت بمقدمات ، ولكنهم جعلوها وثيقة الصلة بالغرض الأساسي للقصيدة ، ومن ذلك قول الشريف المرتضى في رثاء الحسين ، فهو يبدأ قصيدته بمقدمة طليئة ، يقول :

لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي الشَّاتَاتِ	فَقَدْ بِالذِّبَارِ الْمُقْفِرَاتِ
بِمُرُورِ هُجُوجِ الْعَاصِفَاتِ	فَكَأَنَّ هُنَّ هُنَا مَمُورَاتِ
أَلْ غَيْرِ صَمِّ مَا مِتَّاتِ	فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَيْسَ تَمُورَاتِ
تَبِينَنَّ هَامَ الْمُضْفِيَّاتِ	خُرْسٌ يَخْلَنُ مِنَ الْكُورَاتِ
تَشْبِيهِتُهُ بِالْبَاقِيَّاتِ	الذَّارِسَاتِ الْغَانِيَّاتِ
طَرَحُوا عَلَيَّ شَطَّ الْفُرَاتِ	وَأَسْأَلُ عَنِ الْقَتْلَى الْأَلِيَّاتِ
نَّ عَلَى أَكُفِّ الْمَاشِطَاتِ (١)	شُعْتُ لَهُمْ جُمُعَ عَصِيَّاتِ

فنحن نلاحظ كيف اختلطت المقدمة بالبيتين الأخيرين اختلاطاً شديداً ، فالمقدمة تدل على الحزن والبكاء والرثاء ، بحيث لا نستطيع أن نفرقها عما بعدها .

ولأبي الحسن التهامي قصيدة في رثاء ابنه ، وهي من أشهر شعره ، يبدوها بالحكمة فيجعل مقدمتها تدل على الغرض الأساسي من القصيدة وهو الرثاء ، يقول :

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارِ	حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِ
حَتَّى يَرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ	بَيْنَا يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا
صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ (٢)	طَبِيعَتِ عَلَيٍّ كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَُا

فهذه المقدمة تنبئ عن غرض الرثاء ، ويستمر فيها الشاعر إلى أن يبدأ برثاء ابنه ، فيشبهه بالسيف ، مبيّناً أنه كان قد أذخره لقتال الشجعان (٣) ، ثم يشبهه ولده بالهلال الذي عاجله الخسوف ، وهو صغير فمجاهد ، ويستمر في رثائه مبيّناً حزنه عليه ، ويختتم القصيدة بالحكمة (٤) .

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٢) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٤٧ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ٤٨ - ٥١ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٥٢ - ٥٧ .

ولقد كان الشيعة يبدأون مراتبهم بمقدمات فلسفية تبين غدر الدنيا بالإنسان ،
ومن ذلك قصيدة الشريف الرضي التي مطلعها :

(١) أَوْ مَا رَأَيْتَ وَقَائِعَ الدَّمْعِ
أَفَلَا تُسِيءُ بِالظَّنِّ بِالْعُمْرِ
فقد افتتحها بهذا البيت الذي بيّن فيه أنّ الدهر لا يؤتمن ، ثم يتبعه بأبيات أخرى :
بَيْنَا الْفَتَى كَالطَّوْدِ تَكْنُفُهُ
هَضْبَاتُهُ وَالْعَضْبِ ذِي الْأَنْثُرِ
يَأْتِي الدَّيْنَةَ فِي عَيْنَيْهِ
وَيَجَانِبُ الْأَيْدِي عَلَى الْفَخْرِ
وَإِذَا أَشَارَ إِلَى قَبَائِلِهِمْ
حَمَدَتْ إِلَيْهِ بِأُجُهِ غُرِّ
يَتَرَادَفُونَ عَلَى الرَّمَاحِ كَأَنَّهُمْ
سَيْلٌ يَعْجُ وَعَارِضٌ يَسْتُرِي (٢)

ويستمر في بيان حال المرء في الدنيا وعظمتها فيها ، وتسبق قومه إلى طاعته ،
فيتخطفه الموت ، فكأنما جمّع الجيوش ، وبني الحصون لغيره ، يقول :

زَلَّ الزَّمَانُ بِسُوطٍ أَحْمَرِهِ
وَمَوَاطِيءُ الْأَزْمَانِ لِلْعُنُورِ
نَزَعَ الْإِبَاءَ وَكَانَ شَمَلْتَهُ
وَأَقْرَبَ اقْتِرَارًا عَلَى صُفْرِ
ثُمَّ انْتَنَتِ كَفُّ الْمُنُونِ بِتِيهِ
كَالصَّغْتِ (٣) بَيْنَ النَّابِ وَالظُّفْرِ
لَمْ تَشْتَجِرْ عَنْهُ الرَّمَاحُ وَلَا
رَدَّ الْقِضَاءُ بِعَالِيهِ الدُّثُرِ
جَمَعَ الْجُنُودَ وَرَاءَهُ فَكَأَنَّمَا
لَاقَتْهُ وَهُوَ مُضَيِّعُ الظُّهْرِ
وَبَنَى الْحُصُونَ تَمَتُّعًا فَكَأَنَّمَا
أَمْسَى بِمَضْبَعَةٍ وَلَا يَسْتُرِي (٤)

ثم ينتقل إلى الرثاء ، فيذكر مآثر المرثي ، فهو ذو مآثر ومكارم زادت على
البدر والنجوم ، كما أنه يجاع مقدام ، وعلى الرغم من هذا كله فقد توفسي ،
ويبين أنه لو كان يستطيع دفع الردى عن المرثي لغداه بنفسه رخيصةً في سبيل ذلك ،
وبعد ذلك ينتقل إلى الدعاء لقبره بأن يسقيه الله تعالى المطر ، ويختتم القصيدة
ببيان أنّ الموت باء لا دواء له ، ولا يمكن لأحد أن يحفظ نفسه منه . (٥)

- (١) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٤٩٤ .
(٢) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة نفسهما .
(٣) الصَّغْتِ : الحزمة من الحشيش ، وقيل القبضة منه . (انظر : لسان العرب : مادة
صغث) .
(٤) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٤٩٥ .
(٥) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٤٩٥ - ٤٩٧ .

وهكذا نلاحظ أن شعراء الشيعة كانوا يفتتحون قصائدهم بما يدل على الغرض منها، فيبيّنون في بدايتها حزنهم العظيم ومصابهم الجلل بموت المرثي، ثم يأتون بعد ذلك بالرتاء المبكي المفجع، وبذلك فقد كانت قصائدهم تمتاز ببراعة الاستهلال^(١). وهذا ما نلمسه في قصيدة الشريف المرتضى التي رثى بها الحسين في يوم عاشوراء سنة ٤٢٩ هـ، فهو يبدأها بقوله:

مَنْ عَذِيرِي مَنْ سَقَامٌ	لَمْ أَجِدْ مِنْهُ طَبِيبًا
وَهُمْ يَوْمَ كَأُورِ الْيَمِينِ	نَارَ يَشْكُورِ الْقُلُوبِ
وَكُرُوبٍ لَيْتَهُنَّ أَلْ	يَوْمَ أَشْبَهْنَ الْكُرُوبِ
وَخُطُوبٍ مُعْضِلَاتٍ	يَتْنِ يَنْسِينِ الْخُطُوبِ
شَيْبَتٍ مِنِّي فَسُودِيهِ	سَيَ وَلَمْ آتِ الْعَيْبِ

ثم يتحدث عن وفاة أحبائه، وبعد ذلك ينتقل إلى الحديث عن يوم الطف، فيقول:

إِنَّ يَوْمَ الطَّفِّ يَوْمٌ	كَانَ لِلدَّيْنِ عَصِيبًا
لَمْ يَدْعُ فِي الْقَلْبِ مِنِّي	لِلْمَسَرَّاتِ نَصِيبًا

ثم ينتقل بعد ذلك إلى مهاجمة الأمويين واصفا إياهم بأنهم أهل آثام ظالمون ثم يفخر بقومه واصفا إياهم بالشجاعة، مبيّناً ما لحق بهم من الأذى على أيدي الأمويين، واصفا الأمويين بالكفر والفسوق، فقد قتلوا آل البيت كي يأخذوا بشارات بدر، ثم يهجوم هجاء مرأ، ينتقل بعده إلى وصف آل البيت بأنهم ذوو فضل، وبأنهم آمنه يوم الحشر^(٤)، ويختتم القصيدة باللحساء لهم أن يسقي المطر قبورهم، يقول:

يَسْقِي اللَّهُ قُبُورًا	لَكُمْ زَنَ الْكَتِيبِ
حَزَنَ خَيْرَ النَّاسِ جَدًّا	وَأَبَاً ضَخْمًا حَبِيبًا
لِقِيَّ اللَّهُ وَطَنَ النَّسِ	نَاسُ أَنْ لَاقَى شَعُوبًا

(١) براعة الاستهلال هي: " أن تبتدىء القصيدة بما يدل على الغرض " (التبيان في علم البيان: ص ١٨٣، وانظر: الوافي في العروض والقوافي: ص ٢٨٤، ومقدمة

في صناعة النظم والنثر: ص ٦٦ - ٦٧).

(٢) ديوان الشريف المرتضى: ج ١، ص ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، والجزء والصفحة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ج ١، ص ٦٨ - ٧١.

وَهَوَّ فِي الْفِرْدَوْسِ لَمَّا قَبِلَ قَدْ حَلَّ الْجُبُوبِيسَا (١)

فقد بدأ المرتضى قصيدته باستهلال بارع ، يدل على موضوعها ، فقد أصابته هموم وأحزان أشابت رأسه ، ثم بين حزنه لما أصاب آل البيت يوم الطف ، فأكثر من المعاني المفجعة . ومن حسن الابتداءات أيضا قول أبي محمد الخازن في تهنئة الصاحب بن عباد :

وَهِيَ فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوَكَبَ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعَدَا (٢)

وَقَوْلُ مِهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ :
أَمَا وَهَوَّهَا عِدْرَةٌ وَتَنْصَشُ لَقَدْ نَقَلَ الْوَأَشِي إِيَّهَا فَأَمَحَلَا (٣)

وهذا من الابتداءات اللطيفة الرائعة ، وذلك لأن الشاعر أبرز الاعتذار في هيئة الغزل ، وأخرجه في معرض التشبيب . وكان الحاسدون قد وشوا بالشاعر إلى الممدوح ، ولذا افتتح قصيدته بهذا المعنى (٤).

ومع اشتهاه شعرا الشيعة ببراعة الاستهلال ، فإننا نجد أن إحدى قصائد السري الرفاء قد اتسمت بسوء المطع ، فقد بدأها بغزل لا يستحسن إيرادها في المديح النبوي ، فقد مدح الشاعر بها الفاطميين وجدهم الرسول الكريم ، وبكى الحسين بكاء موجعا (٥) ، ولكنه بدأها بالغزل فقال :

نَطْوِي اللَّيَالِي عِلْمًا أَنْ سَتَطْوِينَا وَتَوَجِّي بِكُوُوسِ الرَّاحِ أَبْدِينَا قَامَتْ تَهْرُ قَوَامًا نَاعِمًا سَرَقَتْ تَحْتُ حَمْرَاءَ يَلْقَاهَا الْمِرَاجُ كَمَا فَلَسْتُ أَذْرِي أَتَسْقِينَا وَقَدْ نَفَحَتْ قَدْ مَلَكْتَنَا زَمَامَ الْعَيْشِ صَافِيَةً

فَنَعْدِعِيهَا بِمَاءِ الْمُزْنِ وَاشْقِينَا فَإِنَّمَا خُلِقْتَ لِلرَّاحِ أَبْدِينَا شِعَائِلُ الْبَانِ مِنْ أَعْطَافِهِ لِينَا أَلْقَيْتَ فَوْقَ جَنِيِّ الْوَرْدِ نِسْرِينَا رَوَائِحِ الْعَيْشِ مِنْهَا أَمْ تُحْبِبِينَا لَوْ فَاتَنَا الْمَلِكُ رَاحَتْ عَنْهُ تَسْلِينَا (٦)

(١) ديوان الشريف المرتضى ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٢) تلخيص المفتاح : ص ٣٨٧ ، ومختصر المعاني : ص ٣٨٧ .

(٣) ديوان مهيار الديلمي : ج ٣ ، ص ١٩٥ ، والصبح المنبجي : ص ٣٩٥ .

(٤) الصبح المنبجي : ص ٣٩٥ .

(٥) مقدمة في صناعة النظم والنثر : ص ٦٨ .

(٦) ديوان السري الرفاء : ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

ويستمرُّ في ذلك حتَّى يصل إلى مَدْحِ الفاطميين ، وجدهم الرسول الكريم ، فيقول :
وَرَبَّ غَرَاءٍ لَمْ تُنْظَمْ قَلَائِدُهُمْ
إِلَّا لِيُحْمَدَ فِيهَا الْفَاطِمِيُّونَا
الْوَارِثُونَ كِتَابَ اللّٰوِ يَعْنِيهِمْ
إِرْثَ النَّبِيِّ عَلَى رِغْمِ الْمُعَادِينَا (١)

إلى آخر القصيدة .
ويلاحظ في بقية الاغراض الشعرية أنَّ الشعراء الشيعة جاؤا لكل غرض بما يناسبه ،
وفي الإخوانيات كانوا يبدأون بعض القصائد بمباعدة دون تمهيد ، ولعل عاطفة العتاب
تكون طاغية على نفس الشاعر ، ولذا فهو لا يتمهل ، وإنما يعاتب بصورة مباشرة ،
ومن ذلك قول كشاجم معاتباً أبا بكر الصنوبري في قصيدة مطلعها :
أَخِّ لِي كُنْتُ أَغْبَطُ بِاعْتِقَادِهِ
وَلَا أَخْشَى التَّنَكُّرَ مِنْ وَدَائِهِ (٢)

ثم يتحدث عما بينهما من صلة قوية ، وعن تبدل الحال بعد ذلك ، فقد ترك صاحبه
وداده ، وهجره وقطعه ، ويختتم القصيدة بمدح الصنوبري مثنياً على بلاغته ، ويطلب
إليه أن يُقبل عثرته ويعفو عنه . (٢)

وفي النهاية كان شعراء الشيعة يبدؤون قصائدهم بالغزل والنيب في أغلب
الأحيان ، وبعد ذلك ينتقلون إلى الغرض ، فيمدحون ويهتثون ، ثم يختتمون قصائدهم
بالنداء للمهتأ (٤) . وفي التعازي كانوا في الغالب يبدؤون بما يبين حزن الشاعر و
وما أنزلته به الأيام من السقم والحزن بأخذ أصدقائه وأعزائه ، ثم ينتقلون إلى
تعزية المعزى وذكر صفات المتوفى . (٤)

وفي موضوع الفخر كان شعراء الشيعة يبدؤون قصائدهم في بعض الأحيان بالنسيب (٦)
وفي أحيان أخرى يدخلون القصيدة دون تمهيد . (٧)

(١) ديوان السري الرفاء : ص ٢٧٢ .

(٢) ديوان كشاجم : ص ١٦٥ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ص ١٦٦ - ١٦٨ .

(٤) انظر : ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٧١ .

(٥) انظر : المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٧ .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٧) انظر : ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٣٥٨ .

وفي الهجاء كان الشعراء الشيعة يبدؤون قصائدهم في الغالب بالهجاء مباشرة دون مقدمات ، وقد يبدؤون بمقدمات تطلبية . (١)

وقد كان شعراء الشيعة يحسنون اختتام قصائدهم ، فقد كانوا يختتمونها بالفخر بقصائدهم ويشبهونها بأشياء مختلفة كالفتيات الحسان أو النسيم أو الرياض ، ومن

ذلك قول الصحاب بن عبّاد في نهاية قصيدة :
هَذِي الْقَلَائِدُ كَالْخَرَائِدِ تُجْتَلَى فِي وَصْفِ عَلِيَاءِ النَّبِيِّ وَفِي عَلِيٍّ (٢)

ويقول السري الرفاء في ختام قصيدة في المدح:

إِيْدِكَ زَفَقْتُهَا عَذْرَاءَ نَسَاوِي حَبَابِ الْقَلْبِ لِاحْبَبِ النَّقَابِ
أَذْبَتُ لَصَوغِهَا نَهَبَ الْقَوَافِي فَأَدَّتْ رَوْنَقَ الذَّهَبِ الْمُنْذَابِ (٣)

وقد يختتمون قصائدهم بالدعاء للممدوح ، فها هو أبو فراس الحمداني يختتم إحدى قصائده بالدعاء لسيف الدولة بأن يبقى ويعيش طويلا حتى ينال جميع ما يتمنى ، يقول :

بَقِيَتْ مَا غَرَدَتْ وَرَقِ الْحَمَامِ وَمَا شَدَّ حَتَّى تَبْلُغَ أَقْصَى مَا تُؤَمِّلُهُ
سَهْلٌ مِنْ مُونِقِ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ مِنْ الْأُمُورِ ، وَتُكْفَى مَا تُحَايِرُهُ (٤)

ويفتخر الصنوبري بقصائده في نهاية إحدى قصائده المرحبة ، يقول :

خُذْهَا تَرُوقُ مَوَالِيًا وَمَعَادِيبًا فَيَطْلُ ذَا يَسْمُو وَذَا يَتَضَعُّعُ
لَمْ يَرَعْ مَرَعَاهَا أَبُو تَعَامِ الطُّرْدِ طَائِيٌّ قَطُّ وَلَا رَعَاهَا أَشْجَعُ
الْوَرْدُ مِنْ أَطْرَافِهَا مُتَضَاعُّعُ وَالشَّيْحُ مِنْ أَعْطَافِهَا يَتَضَاعُّعُ (٥)

ولاشك في أن حسن خواتم القصائد من أهم الأمور التي يجب أن يراعيها الشاعر لأنه يكون الحكم على القصيدة ، وهو آخر ما يطرق الأسماع ، ولذا فقد ينهب سواد ختام القصيدة بحسن مطلعها ، وما ذكر في أثنائها ، ومن حسن خواتم القصائد قول أبي الحسن التهامي في خاتمة قصيدة يرثي بها ولده :

(١) انظر ديوان ابن دريد : ص ٨٨ .

(٢) ديوان الصحاب بن عبّاد : ص ٨٧ .

(٣) ديوان السري الرفاء : ص ٣٤ .

(٤) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٤ .

(٥) ديوان الصنوبري : ص ٣٢٨ .

اللفظة والاستلوه

بلاظ الناظر في الشعر الشيعي أن الشيعة تركوا آثاراً عميقة في لغة الشعر، إذ نجد لهم معجماً شعرياً خاصاً، اشتمل على قدر لا بأس به من ألفاظهم ومصطلحاتهم، وقد استخدم الشيعة هذه المصطلحات في إطار مديحهم لآل البيت وراثتهم إياهم، وبيان حقوقهم في الخلافة، ومهاجمة أعدائهم، كما استخدموها في إطار الدفاع عن مبادئهم وآرائهم في وجوه خصومهم، والرد على هؤلاء الخصوم وتفنيد حججهم، ولذا وردت لديهم مصطلحات خاصة لانكاد نجدها عند غيرهم من الشعراء، إلا نتيجة للتأثر بالشيعة، كما كثرت في أشعارهم مصطلحات علم الكلام، ولذا كان لهم مصطلحات كثيرة الدوران في أشعارهم، يستطيع المرء عند قراءتها في شعرهم أن يستنتج أن ذلك الشعر شعر شيعي.

ومن المصطلحات والمفردات التي تزخر بها أشعار الشيعة، والتي تعتبر دليلاً ومؤشراً على كون الشاعر شيعياً "يوم عاشوراء"، فقد تردد هذا المصطلح في شعر الشيعة، ومن ذلك قول المرتضى في رثاء جده الحسين ومن قتل من أصحابه:

يا يوم عاشوراء كم طأطأت من بصر
يا يوم عاشوراء كم أظردت لي أملاً
تبعد السموم وكم أذلت من جيد
قد كان قبلك عندي غير مطرود

ويقول:

قد أتى من يوم عاشوراء
دع نبيجي فيه يعلم
وبناني قد خضب السند
راء ما كان بغيضاً
ودموعي أن تفيضاً
دم من سبتي غيضاً

ومن المصطلحات التي تتردد كثيراً في شعر الشيعة "يوم كربلاء"، وقد أصبح هذا من المصطلحات الخاصة بالشيعة، ومن ذلك قول الشريف المرتضى في رثاء جده الحسين:

لقد كثرت للدين في يوم كربلاء
كسائر لائوسى ولا هي تجبر

(١) ديوان الشريف المرتضى: ج ١، ص ٢٩١.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٦٣.

فَيَأْتِي سَيْبِي بِالرَّمَا حِمْوٍ
وَجَرَحِي كَمَا اخْتَارَتْ رِمَا حِمْوٍ وَأَنْصَلُ
وَإِنَّمَا قَتِيلٌ فِي التُّرَابِ مَعْفَرُ
وَصَرَعِي كَمَا شَاءَتْ ضِبَاعٌ وَأَنْسُرُ (١)

فهو يستخدم هنا مصطلح "يوم كربلاء" فذكر أن الدين قد كسر كسراً لا يجبر نسي يوم كربلاء عندما استشهد فيه الحسين بن علي رحمه الله .

وقد عبّر الشعراء الشيعة عن يوم عاشوراء بتعبير آخر هو "يوم الطّف" ، يقول الشريف المرتضى :

أَلَا إِنَّ يَوْمَ الطَّفِّ أَدْمَى مَحَاجِرًا
وَأَدْوَى قُلُوبًا مَالَهُمْ نَدَاؤُ (٢)

فهو يبين أن يوم الطّف قد أمرض القلوب وأبكى العيون دماً ، وذلك لهول ما جرى فيه من قتل الحسين . وقد ترددت هذه المصطلحات في أشعار كثيرة لدى الشيعة .

ومن المصطلحات الشيعية التي ترددت كثيراً لدى شعراء الشيعة : "الإمامة" و"الإمام" والوصي والوصية ، فقد عبر شعراء الشيعة عن الخليفة أو الحاكم باسم "الإمام" ، وهذا من ألفاظ الشيعة الخاصة ، ونجد ذلك عند كثيرين من شعرائهم . يقول الشريف المرتضى :

وَمَعَا صَرَمِ الْأَعْدَاءِ نَارًا
وَأَنَّ إِلَى نَبِيِّهِ أَوْ وَصِيِّهِ
حُلُولِي مِنْ قُرَيْشٍ فِي اللَّيْسَابِ
نُسِبْتُ ، فَمَنْ لَهُ مِثْلُ انْتِسَابِي ؟
وَقَانُونُ الْإِمَامَةِ مِنْ نَصَابِي
وَفِي بَيْتِي النَّبُوَّةُ مَا عَدَّتْ سِنِي (٣)

فالشاعر في هذه الأبيات يستخدم مصطلحين شيعيين هما "الوصي" و"الإمامة" ، فيفخر بأنه ينتسب إلى الرسول الكريم ووصيه علي رحمه الله .

ويقول الشريف الرضي من قييدة في مدح الخليفة الطائع لله ، وبهنته بالمهرجان :

وَإِذَا مَا الْإِمَامُ هَبَّ دُنْيَا
يَا جَمِيلاً جَمَالُهُ مِثْلُ عَيْنِي
بِي كَفَامِي وَصَالِحِ الْغَمْدِ غَرْبِي
وَعَظِيمًا إِعْظَامُهُ مِثْلُ قَلْبِي (٤)

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٠١ .

(٤) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٥١ - ٥٢ .

ويقول كشاجم ما زجا بين مصطلحي " الإمام " و " الوصية " :
عَدَلْتُمْ بِهَا عَنْ إِمَامِ الْهُيَّيْدَى فَلَاعَدَلِ اللَّعْنُ عَمَّنْ عَادَلُ
فَمَا جَاءَ مَا جِدْتُمُونَا بِهِ مِنْ الظُّلْمِ أَعْمَى الْقُرُونِ الْأُولِ
يُخَالِفُكُمْ فِيهِ نَصُّ الرِّكَتَابِ وَمَا نَصَّ فِي ذَاكَ خَيْرَ الرُّسُلِ
نَبَذْتُمْ وَصِيَّتَهُ بِالْعَرَائِ وَقُلْتُمْ عَلَيْهِ الَّذِي لَمْ يُقَالُ (١)

فالشاعر في هذه الأبيات يستخدم مصطلح " الوصية " ، و " الإمام " ، وهمما مصطلحان شيعيان ، فبتتهم الصحابة بغضب علي حقه في الخلافة ، وبانكارهم وصيته الرسول الكريم له بالإمامة .

ونجد مصطلح " الإمام " يتردد لدى شاعر شيعي آخر هو المفجع البصري ، وذلك حين يهاجم الرافضة في معرض حديثه عن سراج له ، فيبين أن ذلك السراج ضعيف النور ، فنوره ظلمه ، فكأنما هو الإمام المنتظر الذي يرجو الرافضة به الهدى .
يقول :

لَنَا سِرَاجٌ نُورُهُ ظُلْمَةٌ لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ
كَأَنَّهُ شَخْصُ الْإِمَامِ الْبُذِيِّ يَبْغِي الْهُدَى مِنْهُ أَوْ لَوْ الرَّفِضِ (٢)

ولقد كثر استخدام مصطلحات : " الوصي " ، " والأوصياء " في الشعر الشيعي ، ومن ذلك قول كشاجم :

وَأَوْصَى النَّبِيُّ وَلَكِنْ غَدَّتْ وَمَا يَأَاهُ مِنْبَذَةً بِالْعَرَائِ
وَمِنْ قَبْلِهَا أَمْرَ الْمُئْتَبِثُونَ بِرَدِّ الْأُمُورِ إِلَى الْأَوْصِيَاءِ (٣)

فالشاعر يستحضر مصطلح " الأوصياء " في ذهنه ، فيذكر أن الرسول الكريم أوصى لعلي بالإمامة ، ولكن الصحابة حادوا عن وصيته .

وقد تردّد مصطلح " الأوصياء " عند شاعر شيعي آخر هو الصنوبري ، يقول في المدح :

- (١) ديوان كشاجم : ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
- (٢) معجم الأدباء : ج ١٧ ، ص ١٩٤ .
- (٣) ديوان كشاجم : ص ٢٩٠ .

أَسْمِي خَيْرِ الْأَوْصِيَاءِ وَمَنْ غَتَّادَا
فِي حَوْضِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ سَبَّحَ رَعُ
مُذْرَادَ فِي الشَّيْبِيِّ نُورُ قَصَائِدِي
أَيَقُنْتُ أَنَّ قَصَائِدِي تَتَشَبَّهُ

فالشاعر يمدح الممدوح بأنه سمي خيرا الأوصيا * علي بن أبي طالب ، وبذلك
أن قصائده تشبّع ، لأن نورها وبها كما زاد في الشيعي وهو الممدوح .

وقد استخدم بعض شعراء الشيعة مصطلح "الوصي" في معرض فخرهم ، ومنهم الشريف
المرتضى ، فيها هو يقول مفتخراً :

أَخَذْنَا عَلَيْهِمْ فِي النَّبِيِّ وَيَاطِمِ
طَلَّاعَ الْمَاعِي مِنْ مَقَامٍ وَمَقْعَدِ
وُطِّلْنَا بِسِبْطِي أَحْمَدٍ وَوَصِيَّتِهِ
رِقَابَ الْوَرَى مِنْ مَتَّهِمِينَ وَمُنْجِدِ

فهو يفتخر ، فيذكر أن آل البيت بانتسابهم للرسول الكريم ووصية علي وسبطيه
الحسن والحسين فاقوا جميع الناس في كل الأماكن .

ونجد أن بعض شعراء الشيعة استخدموا مصطلح "الوصي" في معرض رثائهم ، ومن
ذلك قول الشريف المرتضى من قصيدة يرثي فيها الشيخ المفيد وقد توفي سنة ٤١٣ هـ :

إِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ وَالدِّينِ وَالْعِلْمِ
م تَوَلَّى فَأَزَعَجَ الْإِسْلَامَ
وَالَّذِي كَانَ عُرَّةً فِي بَجِي الْأَيْمِ
بِنَامٍ أَوْدَى فَأَوْحَشَ الْأَيْسَامَا
كَمْ جَلَوَتِ الشُّكُوكُ تَعْرِضُ فِي نَمَا
مِ وَصِيٍّ وَكَمْ نَصَرَتِ إِمَامَا

فالشاعر يصف الشيخ المفيد بسعة علمه ، وبقدرته على الجدل والمجادلة ، فكثيراً
ما أزال بفتوة حجته الشكوك التي تعرض في النصوص الدالة على الوصية لعلي ، ونصر
الأئمة ، وبذلك فقد استخدم الشاعر مصطلح "الوصي" و"الامام" .

وهناك شاعر شيعي آخر هو أبو الحسن التهامي استخدم مصطلح "الأئمة" ،

"الوصي" في معرض مديحه ، فقال :

يَا ابْنَ الْأَيْمَةِ مِنْ قُرَيْبِي دَعْوَةٌ
نُظِمَتْ دَعَاوِيهَا بِسِلْكِ شُهُوبِيهَا
دَلَّتْ عَلَيْكَ فَأَجْزَأَتْ عَنْ غَيْرِهَا
بُعِنِي اشْتِهَارُ الْحَالِ عَنْ تَحْدِيدِهَا

(١) ديوان الصنوبري : ص ٢٢٨ .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٣٥٨ .

(٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

إِنْ كَانَ أَوْلَادُ الْوَصِيِّ كَوَاكِبِيًّا فَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ أَنْتَ سَعْدُ سُعُوبِيهَا (١)
فالشاعر يمدح معدوحه بأبيه ابن لأئمة قريش وساداتها ، فهو ينتمي إلى الوصي
عليّ وابنيه الحسن والحسين اللذين هما كوكبان في هداية الناس .
ويقول :

مَنْ كَانَ نَحْوَ ابْنِ الْإِمَامَةِ سَيْرُهُ فَالنُّجُحُ وَالتَّوْفِيقُ مُكْتَنِفَاهُ
مَا قَالَ " لَا " مَذْكَانَ إِلَّا قَوْلُهُ عِنْدَ الشَّهَادَةِ لَا إِلَهَ سِوَاهُ (٢)
فالشاعر يمدح المعدوح مستخدماً المصطلحات الشيعية ، فهو ابن الإمامة ، لا يردُّ
سائلاً ، فلا يقول " لا " إلا عند التشهد ، وللبيت الأخير شبه قول الفرزق عمن
الرسول الكريم :

مَا قَالَ : لَا قَطُّ ، إِلَّا فِي تَقَهُّدِهِ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَأَهْ نَعَمٌ (٣)
وقد تردّد مصطلح : " الإمام " و " الوصي " عند شعراء آخرين من الشيعة ومنهم
محمد بن أحمد بن عبد الله بن زياد القطان (٤) ، وشرف السادة الحسيني البلخي (٥) .
ومن الألفاظ والمصطلحات الشيعية الأخرى التي تجلّت في أشعار الشيعة " التقيّة " ،
فقد استحضرها شعراؤهم إلى شعرهم ، واستخدموها فيه ، وهذا دليل على تعلقهم بها ،
وممن استخدم هذا المصطلح الشريف المرتضى ، فهو يقول :

أَنْفَتُ تَفْضُلًا مِنْ أَنْ يَرَى لِي سِي
مَدِيحُ سَارٍ فِي قَوْمٍ لِي نَسَامِ
وَلَوْ أَنِّي جَرَيْتُ عَلَى اخْتِيَارِي
وَكَأَنْتَ رَاحَتِي فِيهَا زَمَامِي
لَمَا عَرَّجْتُ إِلَّا عَنْ لِي نَسَامِ
وَلَا عَرَّشْتُ إِلَّا فِي كِي نَسَامِ
وَلَكِنَّ التَّقِيَّةَ لَمْ تَزَلْ بِي
تَقُوْدُ إِلَى فَعَالٍ أَوْ كَلَامِ
عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَلَى هَذَا هُمْ
بِقَوْلٍ فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامِ
تَلَقَيْنَا مُجَامِلَةَ الْأَعْيَادِي
وَفِي الْأَخْتَاءِ وَقَدْ كَالضَّرَامِ (٦)

- (١) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٩٨ .
- (٢) المصدر نفسه : ص ٢٢٩ .
- (٣) ديوان الفرزق : ج ٢ ، ص ١٧٩ .
- (٤) انظر : المحمّدون من الشعراء : ص ٧٨ .
- (٥) انظر : دمية القصر : ج ٢ ، ص ١٢٤ .
- (٦) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٤٩ .

يستخدم الشاعر في هذه الابيات مصطلح "التقية" ، فيبين أنه لو كان حراً فسي
تصرفاته ولا يواجه ضغوطاً من غيره لعماً أقام إلا في الكرام ، ولكنه أخذ بعبداً التقيّة
المعروف عند الأئمة من قبل ، ولذا فقد أخذ يجامل الأعادي في آرائهم ، فيوافقهم
فيها وفي جوفه نار تظرم .

وقد اتضحت في أشعار الشيعة بعض المصطلحات الأخرى ، وهي مصطلحات علم الكلام
التي كانت تدور في كتب علماءهم ، ويستخدمها مناظروهم في جدلهم ومناظراتهم ،
ومنها مصطلحا : " العدل " و " التوحيد " ، وقد اتضح هذان المصطلحان عند عدد من
شعرائهم . يقول الشريف الرضي :

أَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو وَلَا أَبْتَغِي
جَدِّي نَبِيٍّ وَإِمَامِي أَبِي
فَضلاً وَلَسِي فَضْلٌ هُوَ الْفَضْلُ
وَرَأْيِي التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ (١)

فالشريف يفخر في هذين البيتين مستخدماً مصطلح " العدل " و " التوحيد " ، وهما
مصطلحان كلاميان شيعيان ، فكما رأينا يعتبر العدل والتوحيد من أهم مبادئ الشيعة .
ويقول أبو الفتح البستي في المدح :

كَالشمسِ نُوراً وَلَكِنْ مَا لَهُ لَهَابُ
فِي صِحَّةِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ مَوْعِدُهُ
كَالغَيْثِ جُوداً وَلَكِنْ وَبَلُّهُ النَّهَابُ
فِي كَثْرَةِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ مَا يَهَبُ (٢)

فالبستي في هذين البيتين يستخدم مصطلح " العدل " ومصطلح " التوحيد " في
مدحه ، فالمدح دقيق في مواعيده ، فمبعاده صحيح دقيق كأنه العدل والتوحيد .

ويقول أبو الحسن التهامي متغزلاً ومخاطباً محبوبته :

وَقَدْ أَخَذَتْ فؤادي قَبِيلُ فَاطِمِ عَيْبِي
فَأِنْ وَجَدْتِ سِوَى التَّوْحِيدِ فِيهِ هَوَى
هَلْ فِيهِ غَيْرُكَ مِنْ أَنْثَى وَمِنْ ذَكَرِي؟
إِلَّا هَوَاكَ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَسْذِرِي (٣)

يستخدم الشاعر هنا مصطلح " التوحيد " في معرض الغزل ، فهو يؤكد لمحبيبته
أنه لا يوجد في قلبه شيء غير هواها إلا توحيد الله تعالى .

ومن مصطلحات المتكلمين التي تردت في أشعار الشيعة أيضاً : " البقا " و

(الغناء " ، و " البلى " ، ومن ذلك ما يقوله الصنوبري من أبيات رثي فيها بنته :

(١) ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٢) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٢٦ .

(٣) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٤٣ .

لَبَلِي اسْتَنْمَتْ إِلَى الْبِلَى وَتَرَكْتِنَا
مَا لِلْقُلُوبِ سَلِيمَةً لَمْ تَنْصَدِعْ
لَمْ لَمْ أَقْسَمُكَ الْبَقَاءَ أَوْ الْبِلَى
لَا نَحْنُ نَوَامٌ وَلَا آيَةٌ قَسَاظُ
جَزَعًا لِفَقْدِكَ إِنَّهَا لَفِضَالُظُ
بَلْ لَيْسَ لِلْمُعْطَى الْبَقَاءَ حِفْسَاظُ (١)

فالشاعر يرثي ابنته ، فيذكر أنها قد أصابها البلى والغناء ، ويذكر على نفسه عدم مشاطرته إياها البقاء أو الموت .
ويقول أبو فراس الحمداني :

إِذَا مَا مَرَرْتُ بِأَهْلِ الْقُبُورِ
وَأَنَّ الْعَزِيزَ بِهَا وَالذَّلِيلَ
تَيَقَّنْتَ أَنَّكَ مِنْهُمْ غَدَا
سَوَاءٌ إِذَا أَسْلَمْنَا لِلْيَلَى (٢)

فالشاعر يستخدم مصطلح " البلى " في حديثه عن الأموات ، فيذكر أن عزيزهم وذليلهم في ظل الموت سواء .

ويقول أبو بكر بن دريد في الترتيب :
بِنَفْسِي تَرَى ضَاجِعَتَ فِي بَيْتِهِ الْبِلَى
قَلْبُو أَنْ حَيًّا كَانَ قَبْرًا لِمَيَّتِ
لَقَدْ ضَمَّ مِنْكَ الْغَيْثَ وَاللَيْثَ وَالْبَدْرَا
لصَبْرَتْ أَحْشَائِي لِأَعْظَمِهِ قَسْبَرَا (٣)

فالشاعر يستخدم مصطلح البلى بمعنى الكلام ، ويعني به الغناء والزوال .
ويقول أبو الفتح البستي في الحكمة :

أَنْتَى بَخَافُ الْمَوْتَ حَيًّا عَالِمًا
لَا سِيَّمَا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِلْفَنَى
يَعْتَدُهُ فَضْلًا مَقُومَ ذَاتِيهِ
عَيْشُ رَحَاءِ الْعَيْشِي فِي لَذَاتِيهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِيهِ
فَاعْلَمْ يَا نَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِيهِ (٤)

فالبستي في هذه الأبيات يستخدم مصطلح " الغناء " بمعنى الزوال والانتها ،
فموت الإنسان لا يسبب له الغناء ، لأنه يوجد بعده نعيم مقيم وحياة أخرى .
ويقول الشريف المرتضى :

وَمِنْ آيِنِ الْبَقَاءِ وَالْجِسْمِ تُسْرَبُ
بِتَلَاشَى وَإِنَّمَا السُّرُوحُ رُوحُ؟ (٥)

- (١) ديوان الصنوبري : ص ٣١١ .
- (٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٠٩ .
- (٣) ديوان أبي بكر بن دريد : ص ٦٢ .
- (٤) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٣٥ .
- (٥) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ١٨٨ .

فالمرضى في هذا البيت يستخدم مصطلح "البقاء" بمعنى الديمومة ، وعدم
الانتها ، والزوال فهو يبيّن أنّ الإنسان لن تدوم حياته ، وإنما سيغنى ويتلانى .
ونجد في أشعار الشيعة بعض المصطلحات الكلامية الأخرى ، ومنها : " القضاء " و
" القدر " ، وقد استخدمها الشيعة بمفهوم كلامي ، هو قضاء الله تعالى وقدره ،
وكان ذلك عندهم على صلة بمألة حرية الإرادة الإنسانية ، ونلمح ذلك عند عدد من
شعرائهم ، ومنهم الصنوبري ، فهو يقول وقد سرق منه لص نراهم :

صُنْتُهَا فِي الْإِزَارِ خَوْفًا وَإِثْفَا
قَا عَلَيَّهَا، فَلَمْ يَصْنُهَا الْإِزَارُ
حَلَّ عَنْهَا كَلِمَةَ الْبَصْرِ اللَّ
مَح مِنْ حَيْثُ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
قَدْرٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا مِنْ مَجِيبِ
عَنْهُ ، سُبْحَانَ مَنْ لَهُ الْأَقْدَارُ (١)

ففي هذه الأبيات يستخدم الشاعر القدر بمعنى قدر الله تعالى ، فيذكر أنه كان
عديد المحافظة على نقوده ، ولكن اللص سرقها منه ، وهذا قدر الله تعالى لم يكن
له محيص عنه .

ويقول في رثاء ابنته :

وَابْنَتَا وَأَعْزَمَ مَنْ
مَا أَرَادَ الْقَضَاءُ مِنْ
كَيْفَ لَمْ يَنْفَعِ التَّوَقُّفُ
سَاءَ دَهْرِي بِهِ وَسَاءَ
سُؤْمُ جَدِّي أَوِ الْقَسْرُ
فِي وَلَمْ يَنْفَعِ الْحَذَرُ ؟ (٢)

فالشاعر يرثي ابنته ، معتبراً وفاتها قضاءً من الله تعالى ، فلم ينفع توقيه
ولا حذره فهي حماية ابنته من الموت .

وممن استخدم مصطلح القضاء أبو فراس الحمداني ، فقد قال من قصيدة :

لَوْ كَانَ يُدْفَعُ حَآيِثُ
لَمْ تَطْرُقْ نُوْبُ الْحَاوَا
لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ وَالْ
أَوْ طَارِقُ يَجْمِلُ نَيْسَةَ
بِثِ أَرْضِهَا تَيْكَ التَّقِيَّةُ
أَحْكَامُ تَنْفُذُ فِي الْبَرِيَّةُ (٣)

(١) ديوان الصنوبري : ص ٢٥ .

(٢) انظر : المصدر نفسه : ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٥٦ .

فهو يتحدث عن والدته ، فيبين أنّ ما أصابها من مصائب تمّ بقضاء الله تعالى وقدره ، ولا مردّ لذلك . ويقول أيضاً :

وَهَلْ يَدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَهَلْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ كَاسِيبٌ
وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ غَالِبٌ وَهَلْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِي النَّاسِ هَارِبٌ (١)

فأبو فراس يرى أن لا مفرّ للإنسان من قضاء الله تعالى .

وقد تردّد مصطلح " القضاء " عند شاعر شعبي آخر هو الشريف الرضي ، فهو يقول في الرثاء :

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَمْنَعِ اللَّهُ مَا يَنْعُ وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ غَالِبٌ
وَلَوْرَدَتْ مِينًا وَجُدْذِي الْوَجْدِ بَعْدَهُ لَرَدَكَ وَجْدِي وَالدموعُ الْقَوَارِبُ (٢)

فالشاعر يرى أنّ قضاء الله تعالى جابر لا يستطيع شيء أن يغلبه . وقد استخدم الرضي هذا المصطلح في بعض أشعاره الأخرى . (٣) ويقول أبو الحسن التهامي في رثاء

ابنه :
أَتَاهُ قَضَاءُ اللَّهِ فِي دَارِ غُرَبَةٍ بِنَفْسِي غَرِيبَ الْأَصْلِ وَالْقَبْرِ وَالْقَفْرِ (٤)
ويقول أبو الفتح البستي في الرثاء بالقضاء :

رَضِيْتُ بِمَكْتُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيَّ رَأْسِي وَلَيْسَ عَلَيَّ الرَّاضِي الْمَفْضُ مِنْ بَاسِ
فَلَا تَعْدُلُونِي إِنْ عَرِيتُ مِنَ الْغِنَى وَبَوَّاتُ رَحْلِي بَيْنَ فَقْرٍ وَإِفْلَاسِ (٥)

فالشاعر يبين هنا أنّه راضٍ بالقضاء من الله تعالى ، ولذا فلا لوم عليه إذا ما كان فقيراً .

ويقول أبو بكر بن تريد :

بَسَعْدُ ذُو الْجَدِّ وَيَشْقَى الْحَرِيصُ لَيْسَ لِخَلْقٍ عَن قَضَاءِ مَحِيصُ (٦)

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني ص ٨٤ .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٣ ، ص ١٣٥ ، ص ١٦١ .

(٤) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٢٣٩ .

(٥) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٦٨ .

(٦) ديوان أبي بكر بن تريد : ص ٧١ .

ومن المصطلحات الكلامية التي وجدت في أشعار الشيعة "العرض" ، فقد استعمله الشيعة في شعرهم ، ومن ذلك قول السري الرفاء * في وصف الثلج :

أَفِقَ مِنْ سَكْرَةِ الْأَمَلِ الْمُحَالِ وَمِنْ دِيبَاجَةِ الْعَرَضِ الْمُزَالِ
وَلَا تَجْزَعُ لِمَيْلِ النَّهْرِ إِنْ سَبَى أَوْ مَلَّ أَنْ يَعُودَ إِلَى اعْتِدَالِ (١)

فالشاعر يدعو الإنسان إلى عدم اليأس بسبب انقلاب النهر وتناكبه ، فربما يعود إلى الاعتدال ، كما يعود الجو إلى الاعتدال بعد أن تكتسي الأرض بالثلج الذي هو عرض زائل .

ويقول أبو العباس الضبي مخاطباً الصحابي بن عباد :

أَكَا فِي كِفَاةِ الْأَرْضِ فُلُوكَ خَالِدًا وَعِزُّكَ مَوْصُولُ فَأَعْظِمَ بِهَا نَعْمِي
نَشَرْتِ عَلَيَّ الْقِرْطَاسَ تَرَا مَبْدَدًا وَآخِرَ نَظْمًا قَدْ فَرَعْتَ بِهِ النَّجْمَا
جَوَاهِرُ لَوْ كَانَتْ جَوَاهِرَ نَظْمَتِ وَلَكِنَّهَا الْأَعْرَاضُ لَا تَقْبَلُ النَّظْمَا (٢)

فالشاعر يستخدم مصطلح "الجواهر" والعرض في هذه الأبيات في إطار مدحه للمصاحب فكلامه كالجواهر الثمينة ، ولو كان جواهر أي الاجسام التي تقابل الاعراض لنظم ، ولكنه أعراض زائلة ، فهي كلام ينقضي بمجرد النطق به .

وتردد في شعر الشيعة مصطلح كلامي آخر هو الجز * الذي لا يتجزأ أو الجوهر المفرد ومن ذلك قول كشاجم :

حَانَ أَنْ تَسْتَحْتَنِي بَيْنَ الْأَيْدِي قَامٌ مِنْ جِئَمِي وَتَعَزَّى
لَمْ تَدْعُ لِي مِنْهُ مَا فِي مِنْ لِي مُتَعَزَّى
حَزَّتِ الْأَعْضَاءُ مِنْهُ كُلُّهَا بِالضَّرِّ حَزَّتْ
فَأَنَا الْجُزُّ الَّذِي مِنْ لُطْفِهِ لَا يَتَجَزَّأ (٣)

يستخدم الشاعر في هذه الأبيات مصطلح "الجز * الذي لا يتجزأ" في معرض حديثه عن الأقسام التي أصابت جسمه حتى أنحلته ، فأصبح نحيلاً كأنه الجوهر الذي لا يتجزأ في رفته ، وبهذا فقد استخدم الشاعر هذا المصطلح الكلامي في شعره ، فهو متأثر بالمتكلمين :

(١) ديوان السري الرفاء * : ص ٢٣٠ .

(٢) معجم الأبياء * : ج ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٨ .

(٣) ديوان كشاجم : ص ٢٧٦ .

ومن مصطلحات المتكلمين التي انعكست في شعر الشيعة الثواب والعقاب ، فقد وجدنا عند شعراء كثيرين ، ومنهم كشاجم ، فهو يقول في وصف أجزاء القرآن :

مَنْ يَتَّبِعْ خَشْيَةَ الْعِقَابِ فَإِنِّي تَبَّتْ أُنْسًا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءُ (١)

فكشاجم في هذا البيت يستخدم مصطلح " العقاب " بمعنى عقاب الله تعالى للمسيئين ، فهو لم يتب خشية عقاب الله تعالى ، ولكن لأنسه بأجزاء القرآن الكريم وحبّه إياها .

ويقول السري الرفاء :

إِذَا غَضِبْتَ فَلَا تَعْجَلْ بِسَبِّكَ
فَالْعَفْوُ مَا نَكُمُ يَا آلَ عَبَّاسٍ
فَاتِمَا الْحَمْدُ مِنَّا وَالثَّوَابُ غَدَا
لِكَاظِمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِي عَنِ النَّاسِ (٢)

يستخدم الشاعر مصطلح الثواب في معرض مدحه للعباسيين ، فهم أهل عفو ، ولذا يستحقون أن يحمدهم الناس في الدنيا ، وأن ينالوا ثواب الله تعالى يوم القيامة لأنهم يعفون عن الناس .

ومن مصطلحات المتكلمين التي تردت في أشعار الشيعة " اللطف " ، فقد استخدموه في أشعارهم بالمفهوم الكلامي الذي يعني لطف الله تعالى بالعباد ، بما يكون فيه خيرهم وصلاحهم ، ومن ذلك قول السلمي في مدح عضد الدولة :

بِأَهْلِ لِسْتِ بَعْدَتَايَ إِلَى وَطَنِي
حَتَّى أَرَى حَيْلَ فَنَّا خَسْرَيْنَاكُمْ
أَضْحَى بِنَهْأَ فِي الْأَضْحَى بِمَنْزِلَةٍ
لَا الْعَرَبُ نَالَتْ مَرَاقِيهَا وَلَا الْعَجَمُ
وَإِنَّمَا أَنْتَ لَطْفُ اللَّهِ جَسْمُهُ
لَنَا وَفِي يَدِكَ الْأَرْزَاقُ وَالْقِسْمُ (٣)

في هذه الأبيات يمدح الشاعر عضد الدولة ، فيذكر أنه ذو منزلة عالية ، لم ينلها عربي ولا أعجمي ، ثم يعتبره لطفاً من الله تعالى بالناس ، يدفع عنهم غائلة الدهر ، ويقربهم مما فيه صلاحهم وخيرهم .

وقد استخدم الشعراء الشيعة في أشعارهم بعض مصطلحات العلوم المختلفة ومنها مصطلحات علم النحو ، ونلمح هذا في كثير من أشعارهم ، ومن ذلك قول أبي الفتح البستي في العفو .

- (١) ديوان كشاجم : ص ٢٣ .
- (٢) ديوان السري الرفاء : ص ١٥٦ .
- (٣) شعر السلمي : ص ٩٦ .

عَزَلْتُ وَلَمْ أَعْجِزْهُ وَلَمْ أَكْخَافِئْنَا
وَدَاكَ لِإِنصَافِ الْوَزِيرِ خِصْلَاتُ
حُذِفْتُ وَغَيْرِي مُثَبَّتٌ فِي مَكَانِهِ
كَأَنِّي نُونُ الْجَمْعِ حِينَ تَضَافُ (١)

فهو يتحدث عن عزله من منصبه ، فقد حذف من عمله كأنه نون جمع المذكر السالم حين يضاف إلى ما بعده ، وبذلك فقد استخدم مصطلح النحو .
ويقول البستاني في التذكري بعد أن عزل من عمله أيضا :

أَعِزُّو إِلَيْكُمْ زَلَّةَ الْعَزْلِ
بِأُصُورِ الْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ
بِهَيْبَتِي نُصْرَةَ أَيْتَامِكُمْ
بِالْعَزْلِ وَالْعَزْلُ أَخُو الْأَزْلِ (٢)
أُذْرِجْتُ فِي أُنْدَاءِ نِسْيَانِكُمْ
حَتَّى كَأَنِّي أَلْفُ الْوَصْلِ (٣)

فأبو الفتح يشبه نفسه وقد نسي بألف الوصل التي تسقط من اللفظ ، وبذلك فقد استخدم هذا المصطلح النحوي في شعره .

واستخدم أبو الفتح مصطلحا نحويًا آخر ، وذلك حين يتحدث عن تعدي الفعل
ولزومه . وذلك في معرض تصويره بخل أحد البخلاء في أسلوب ساخر يقول :

وَبَصِيرَ بِمَعَانِي الشُّبِي
قَالَ لِي لِقَا رَأْيِي
إِنَّ مَالِي يَا حَبِيبِي
لَا يَتَعَدَّى (٤)

وقال :

لَنَا صَدِيقٌ خَيْرٌ أَحْوَالِهِ
إِذْ عَانُوهُ لِلْعَبْرِ وَالشَّرِّ
كَأَنَّهُ بَابُ الْمُضَافِ الْبُذِي
لَيْسَ يَوَاتِبُهُ سِوَى الْجَرِّ (٥)

يبين أبو الفتح أنه ليس لصديقه موقف ثابت ، وإنما هو متقلب ينجر بسرعة إلى
الخير أو الشر ، ويشبهه في حاله هذه بالعضف الذي لا يمكن إلا أن ينجر . وقد نظم
ابن دريد أبياتا كثيرة في النحو . (٦)

(١) شعر السلامي : ص ٩٦ .

(٢) الازل : الحبير ، وهو ضيق العيش أيضا . (انظر : لسان العرب ٧ مادة أزل) .

(٣) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٩٣ .

(٤) انظر : المصدر نفسه : ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٣٤٩ .

(٦) انظر : ديوان أبي بكر بن دريد : ص ٢٩ - ٣٢ - ص ١٣٤ - ١٣٥ .

ويقول أبو الحسن التهامي :
 لَفُو كَحَرْفِ زَيْدٍ لَامَعْنَى لَـهُ أَوْ وَآوَ عَمْرٍو فَقَدَمَا كَوَجُوبِهِمَا (١)
 فالتهامي يستخدم مصطلحات النحو ، فيصف كلام أحد الأشخاص بأنه لغو كاللفظ
 الزائد ليرله معنى ، فكأنما هو حرف زائد أو واو عمرو لاقبعة لها سواها أو جدتس
 أم حذفت .

ويقول الصاحب بن عباد :

بَعَدَتْ فَطَعْمُ الْعَيْشِ عِنْدِي عَلَقَـمُ وَوَجْهَ حَيَاتِي مَذَّ تَغَيَّبَتْ أَرْقَمُ
 فَمَا لَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ قُرْبَكَ فِي النَّوَى وَوَدَّكَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ مَرْخَمُ (٢)

فالصاحب يستخدم في هذين البيتين بعض مصطلحات النحو ، وهي النداء والإغمام
 والترخيم (٣) ، وذلك في خطابه للمحبوب ، فيبين له أن حاله قد ساءت وأظلمت الدنيا
 في عينيه منذ ابتعاد المحبوب عنه ، ويسأله : لماذا خلطت قربك بالجفاء والقطيعة
 ولماذا رخصت ودك واختصرته ، علماً بأن الترخيم لا يكون إلا في النداء .

ويقول الصاحب بن عباد :

وَمَهْفَهْفٍ ذِي وَجْنَةٍ كَالْجُنْبُذِ (٤) وَسَهَامٍ لَحْظٍ كَالسَّهَامِ النَّفْذِ
 قَدْ نِلْتُ مِنْهُ مُرَادَ نَفْسِي فِي الْهَوَى وَوَمَلَكْتَهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ صِلَةَ السَّيْذِ (٥)

فالصاحب هنا يشبه الرقيب والمحبوب (١) ، فمحبوبه جميل يشبه الورد في
 الحمرة ، وعيناه جميلتان تؤثران في الناس كالسهم ، ولكن الرقيب يلزم المحبوب
 فلا يفارقه ، فكأنهما الذي وصلته ، ولذا لم يحظ الشاعر منه بالوصل .

وقد استخدم الشعراء الشيعة في أشعارهم مصطلحات الفقه أيضاً ، ومن ذلك ما
 يقوله أبو الفتح البستي :

- (١) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٩٨ .
- (٢) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٨١ .
- (٣) انظر : الشعر العباسي النبار الشعبي : ص ١٥١ .
- (٤) الجنيد كالجلنار من الرمان ، وبذلك فهو الزهر الأحمر . (انظر : القاموس
 المحيط : مادة الجنيد) .
- (٥) درة الغواص : ص ١٠٠ ، وشرح درة الغواص : ص ٢٠٩ والبيتان غير مثبتين في
 ديوان الصاحب بن عباد .
- (٦) درة الغواص : ص ١٠٠ ، وشرح درة الغواص : ص ٢٠٩ .

عليك بمطبوخ النبيذ فإنَّه
وَدَعَ قَوْلَ مَنْ قَدْ قَالَ إِنَّ قَلِيلَهُ
قَلِيلٌ لِمَا دُونَ النَّصَابِ قِضِيَّةُ النَّهْ
حَلَالٌ إِذَا لَمْ يَخْطِفِ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَا
بُعِينُ عَلَى الْإِفْكَارِ فَاسْتَوِيَا حُكْمَا
نِصَابٍ وَإِنْ كَانَ النَّصَابُ بِهِ تَمَّ مَا (١)

فالتَّاعرُ يستخدم في هذه الأبيات أحد المصطلحات الفقهية المتعلقة بالزكاة ،
فقليل الخمر الذي لا يُسَكَّرُ دُونَ النَّصَابِ ، ولذا لا تجب فيه الزكاة كما تجب فيما اكتمل
به النَّصَابُ ، ولذا فإنَّ قليل الخمر ليس حراماً .

ويقول الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ :

يَا بَنَ يَعْقُوبَ يَا نَقِيبَ الْبُودُورِ
قُلْ لَهُ : إِنْ لِلْجَمَالِ زَكَاةٌ
كُنْ شَرِيفِي إِلَى فَتَى مَسْرُورِ
فتصدق بها على المهجور (٢)

فالمصاحب في هذين البيتين يتغزل ، وهو في إطار ذلك يستخدم مصطلحاً فقهياً هو
الزكاة ، فيطلب إلى محبوبه الجميل أن يُخْرِجَ زكاة جماله ، ويتصدق بها على المهجور .

وهناك نوع آخر من المصطلحات استخدمه الشيعة في أشعارهم ، وهو مصطلحات
البلاغة ، ومنها الحقيقة والمجاز ، ومن ذلك قول الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ مخاطباً آل البيت :

أَنَا مَنْ كَافَحَ النَّوَاصِبَ عِنْدَكُمْ
وَأَرَاهُمْ أَنَّ الْحَقِيقَةَ فَيْدُكُمْ
بِلِسَانِ كَالشَّارِمِ الْهَزْمَانِ
حِينَ قَامُوا حَقِيقَةً بِمَجَازِ (٣)

يفخر الصَّاحِبُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِأَنَّهُ دَافِعٌ عَنِ آلِ الْبَيْتِ فِي وَجْهِ أَعْدَائِهِمْ
النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يَكْرَهُونَهُمْ ، وَأَرَاهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الْمَاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ ، بَيْنَمَا غَيْرُهُمْ مِنَ
النَّاسِ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُمْ .

وهناك قضية بلاغية أخرى دفلت بال النقاد في العصر العباسي ، وقد خاضوا فيها ،
وهي قضية اللفظ والمعنى ، وقد استخدم الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ مصطلحي اللفظ والمعنى نسي
مديحه ، فقال :

إِلَى سَيِّدِ لَوْلَاهُ كَانَ زَمَانُنَا
وَأَبْنَاؤُهُ لَفْظًا عَرَبِيًّا عَنِ الْمَعْنَى (٤)

- (١) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٣٠٤ .
- (٢) ديوان الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ : ص ٢٣٣ .
- (٣) المصدر نفسه : ص ٢٦ .
- (٤) المصدر نفسه : ص ٢٩٤ .

ففي هذا البيت يشير الشاعر إلى أن اللفظ دون معنى لا قيمة له ، وذلك حين يبين أنه لولا الممدوح لكان زمن الصحب والناس الذين يعيشون فيه لفظاً خالياً من المعنى ويتبين لنا من دراستنا أشعار الشيعة أن علم الكلام قد ترك آثاراً عميقة في أسلوبهم ، وذلك لما كانوا يتصفون به من القدرة على الجدل والمحاجة والبراعة فيهما ، ولذا كثرت في أشعارهم الإشارات إلى مجالس المتكلمين ، وما يجري فيها من الجدل والحجاج ، فأشاروا في أشعارهم إلى الجدل والحجج ، ومن ذلك قول الوزير المغربي :

يَارِبَّ خَصْمٍ قَدْ تَرَكْتُ ذِمَّةَ
وَكَاثِمًا شُقَّتْ لَهُ أَرْمَاسُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ يَطْفَحُ قَوْلُهُ
بَدَأًا وَيَنْغِضُ فِي الْمَقَادِمِ رَأْسُهُ
يَجِدَالِ ذِي غَرَبٍ أَلَدَّ كَأَنَّهَا
يُذَكِّي بِذُعْلَةٍ قَوْلِهِ نِبْرَأْسُهُ (١)

فالشاعر يفتخر بقدرته على الجدل والمحاجة ، فيذكر أنه كثيراً ما يتغلب على الخصوم، فيجعل الخصم كإثما شققت له القبور بعد أن كان متمرساً في الجدل .

ويقول أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي :

مَرَّتْ بِنَا هَيْفًا مَجْدُولَةً
تُرْكِيَّةٌ تُعْزَى لِتُرْكِيٍّ
تَرَبُّو بِطَرْفِ فَاتِنٍ فَاتِيٍّ
أَضْعَفُ مِنْ حُجَّةِ نَحْوِيٍّ (٢)

نلاحظ أن الطابع الكلامي يغلب على هذين البيتين ، فالشاعر يشبه أجناس المحبوبة في ضعفها بحجة النحوي ، وبذلك فهو يشير إلى جو الاحتجاج . ونلمح الطابع الكلامي وأجواء علم الكلام بما فيها من جدل ومناقشة عند شاعر آخر هو الشريف الرضي ، فهو يقول من قصيدة في مدح الصحب بن عباد :

كَمْ حُجَّةٍ لَكَ فِي النَّوَابِلِ نَوَّهَتْ
يُنْعَاءُ دِينَ الْعَدْلِ وَالْتَّوْحِيدِ
وَمُجَادِلِ أَدَمِي جِدَالِكَ قَلْبِيهِ
وَأَعْضَهُ بِجَوَانِبِ الصَّيْخُودِ (٣)

فهو يشير إلى حجة الصحب بن عباد القوي ، وإلى براعته في الجدل التي أدمى بها قلب خصمه .

(١) أئب الخواص : ص ٥١ والنبراس : المصباح والسراج . (انظر : لسان العرب : مادة نبرس) .

(٢) الوافي بالوفيات : ج ٢ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٣) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٢٨٩ . والصيخود : الصخرة العظيمة التي لا يرفعها شيء . (انظر : لسان العرب : مادة صخد) .

ويقول الشريف المرتضى :

لا تسمعوا القول بلا حجة
ولا تزيدوا في أباطيلكم
فقالما بدل أو حسرفنا
فقالما أمرضتم مدنفسنا (١)

فالشاعر يدعو الى عدم تقبل أى قول بلا حجة أو دليل يثبت صحته ، لان الاقوال قد تتغير ويزاد فيها . ويقول المرتضى أيضا طالبا الى أحبته ألا يطلبوا منه دليلا على حبه وهواه ، لان نحول جسمه دليل على ذلك يقول :

فلا تطلبوا مني دليلا على الهوى
كفى بضنى جمعي عليه دليلا (٢)

ففي هذا البيت يذكر الشاعر كلمة " الدليل " وهو من مقتضيات الجدل والمناظرة ، فلا بد من ابراز الأدلة على الدعوى . وكل فكرة لاتعزز بالأدلة التي تثبت صحتها فكرة غير مقبولة ، ولذا أبرز الشعراء " الدليل " في أشعارهم ، وهذا دليل على غلبة النزعة الكلامية على تفكيرهم ، ومن ذلك قول كشافم :

نظرت الى المرأة فروعتني
فأما شيبدة ففرغت منها
وأما شيبدة فصفحت عنها
فيا عجبا لذلك من مريب
طوالع شيبتين ألتا بي
الى المقرض عجبا بالتصابي
لتشهد بالبراءة من الخضاب
أقمت به الدليل على شبابي (٣)

فالطابع الكلامي واضح في هذه الأبيات ، اذ يبين كشافم أنه أبقى شيبدة في رأسه لتكون شاهدا له بأنه لم يخضب شعره ، وأن سواد شعره سواد طبيعي ، لانه ما زال شابا ، ويمجّب الشاعر من اتخاذه الشيب دليلا على شبابه .

ويقول أبو بكر بن تريد في تأبين الشافعي :

واذا تذكر عالم في كتب
متبيننا للدين غير مقلد
أضحت وجوه الحق في صفحتها
من حجة ضمن الوفا بنصرها
ودلالة تخلو مطالع سيرها
حتى ترى متبصرا في دينه
يبغي التقى وشرائط الأيمان
يسمو بهمته الى الرضوان
ترمى اليه بواضح البرهان
نص الرسول ومحكم القرآن
غر القرائح من ذوى الأنهان
مغلول غرب الشك بالايقان (٤)

(١) ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٢٦٢ .
(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٦١ .
(٣) ديوان كشافم : ص ٤٦ .
(٤) ديوان أبي بكر بن تريد : ص ١٠٩ .

فابن نريد يؤبن الشافعي بأسلوب كلامي ، اذ يركز على قوته في البرهـان وبراعته في المحاجة ، وقوة أدلته ، مما يؤدي إلى إقناع سامعه وازالة الشك عنه ، وإيقانه بدين الشافعي الذي يدعو اليه .

ونلمح الطابع الكلامي ، والإشارات إلى علم الكلام ومجالسه ، لدى شعراء آخرين من الشيعة ومنهم أبو بكر الخالدي^(١) . وقد عبر بعض شعراء الشيعة عن الشهود والأدلة بأسلوب هزلي ، ومن ذلك ما يقوله أبو نصر الخبز أُرزي في أثر حريق المرید ارتجالاً :

أنتكم شهود الهوى تشهد	فما تستطيعون أن تجحدوا
جري نفسي صعدا بينكم	فأحرق من ذلك المرید
وهاجت رياح حنيني لكم	فظلت بها ناره توقد
ولولا جرت أدمعي لم يكن	حريقكم أبدا يخمد (٢)

فالتأخر هنا يأتي بشهود قوية على الهوى ، وهي شهود لا تترك للمخاطبين فرصة للشك في هواه أو أن يجحدوه ، وهي أن أنفاسه كانت حارة ، فحرق المرید ، وهاجت رياح حنينه إليهم ، فاستمرت نيران المرید في الاشتعال ، ولولا دموع الشاعر لما أخذ ذلك الحريق أبدا .

ومن الخصائص الأسلوبية التي أوجدها علم الكلام في أسلوب الشيعة الشعري أن شاع في أشعارهم الأسلوب الكلامي المنطقي ، وهو ما يسميه علماء البديع بالمنهج الكلامي ، فلم يعد الشعراء يكتبون بطرح الأفكار والمعاني ، وإنما يحتجون على صحتها ، ويثبتونها ، ويقنعون الآخرين بها ، وذلك عن طريق تقديم الأدلة والحجج والبراهين ، وهذه السمة غالبية في شعر الشيعة ، ونجدها لدى عدد كبير من شعرائهم . ومن ذلك قول أبي الفتح البستي :

لا يتخفن الفتى بعدوه	أبدا وان كان العدو ضيلا
ان القذى يؤدي العيون أقلسه	ولربما جرح البعوض الفيل (٣)

(١) انظر: ديوان الخالدين : ص ٨٢ - ٨٨ ، وبيتمة الدهر : ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٢) بدائع البدائيه : ص ٣٤٨ .

(٣) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٣٦١ .

فالشاعر يدعو المرء الى عدم الاستخفاف بعدوه مهما كان شثيلا صغيرا ، فربما يلحق هذا العدو الاذى بالمرء ، والدليل على ذلك أنّ القذى القليل يؤذي العين ، وكذلك فالبعوض الصغير كثيرا ما يؤذي الفيل العظيم ويجرحه ، وهكذا نجد أنّ المذهب الكلامي سائد في هذين البيتين إذ يورد الشاعر الفكرة ويقدم لها التعليقات والأدلة التي تثبت صحتها .

ونجد المذهب الكلامي عند آخرين من الشيعة ، فيها هو أبو الحسن التهامي يقول راثيا ابنه :

ان يحقر صفرا قرب مفخـم يبدو ضئيل الشخص للنظار
ان الكواكب في علو محلها لترى صفارا وهي غير مغسار (١)

فالشاعر يبين أن ابنه عظيم على الرغم من صغر سنه ، ويستدل على ذلك بأن الكواكب الشوامخ الشاهقات يظهرن صفارا مع أنّهن لسن كذلك في الحقيقة . ويشبهه هذا ما ذكره السري الرفاء في قوله :

لا تعجبوا من علو همتهم وسنه في أو ان منشاها
ان النجوم التي تضيء لنتها أمفرها في العيون أعلاها (٢)

فالسري هنا يستخدم الأسلوب الكلامي والمذهب الكلامي ، فهو يقول : إنّ المدح ذو همة عالية على الرغم من صغر سنه ، ولا غرابة في هذا الامر ، فإن النجوم اللاتي يظن للناس ، واللاتي يظهرن صفارا هن أكثر النجوم ارتفاعا . وهكذا فقد طرح الشاعر معنى ثم استشهد على صحته بالأدلة كي يقنع بصحتها السامعين . ويقول أبو الحسن التهامي في المدح :

يعفو فيفعل حلمه بعدوه ما تفعل الأسياف بالاجسام
والحلم في بعض المواطن نعمة تسطوبها أبدا على الاقوام
والليث أعبس ما بدا وجهها اذا أبصرته في صورة البسام (٣)

(١) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٥٣ .
(٢) ديوان السري الرفاء : ص ٢٧٦ .
(٣) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ١٢٦ .

إِذَا مَا تَوَلَّى أَبْنِيَّ وَوَلَّتْ شَيْبَتِي وَوَلَّى عَزَائِي فَالْسَّلَامُ عَلَى الدَّمْرِ (١)

ومما يتعلّق بشكل القصائد وبنائها طول نفس الشاعر في القصيدة ، ونحن نلاحظ في أشعار الشيعة أنّهم كانوا على قسمين في هذه المسألة :

أ - الأول : الشعراء الذين لهم دواوين ، ومنهم صاحب بن عبّاد والشريف الرضيّ والشريف المرتضى ، والصنوبري ، وأبو فراس الحمدانيّ ، وكشاجم الرملسيّ ، والسري الرفاء ، وهؤلاء يتّسم قصائدهم بشكل عامّ بالطول ، ولعلّ هذا يرجع إلى طبيعة التذكير الشيعيّ ، فالشيعة ذوو جدل وحجاج ، ومبادئ وأصول يدافعون عنها ، وهذا يتطلب منهم أن تكون قصائدهم طويلة من أجل عرض الحجج والمبادئ والاحتجاج لها ، وإقناع الخصوم بها ، وإبطال حجة الخصوم ، وهؤلاء لهم قصائد تتعلّق بالمذهب الشيعيّ .

ب - الثاني : الشعراء من غير أصحاب الدواوين ، ومعظم أشعار هؤلاء مقطوعات قصيرة ، وهي في الغالب لا تتصلّ بالمذهب الشيعيّ ، ونستطيع أن نفرّ ذلك بأن هؤلاء كانت لهم قصائد طويلة في التشييع ، ولكنها ضاعت ، ولم تصل إلينا .

وهكذا يتبيّن لنا أنّ شعراء الشيعة لم يتبعوا منهجاً واحداً في بناء قصائدهم ، ولم يلتزموا بطريقة واحدة ، وإنّما كانوا يختلفون في ذلك تبعاً للغرض الشعري الذي يطرّفونه ، فكانوا يبدأون بعض القصائد بالمقدّمات الطليّة الغزليّة وغيرها ، ويبدأون بعضها بالمقدّمات الفلسفيّة أو بالحكمة أو بالحديث عن الطيف أو التّيب أو بالدعاء للممدوح ، وقد يدخلون الموضوع مباشرة دون أيّ تمهيد ، وكانوا ذوي معرفة واسعة بما تتطلبه الأغراض الشعريّة ، فيكثرون من المعاني المفرحة في التّهانسي ، والمحرّنة في الرّثاء والتّعزيّة ، وقد لآعمهوا بين أجزاء القصائد ، فاتّسمت قصائدهم ببراعة الاستهلال أو المطلع ، وبخسّن التّخلص ، فلا نشعر بفجوة واسعة عندما نخرج من المقدّمة إلى الغرض الأساسي من القصيدة ، بل إنّ مقدّمة القصيدة كثيراً ما تأتي وثيقة الصّلة بالموضوع الأساسي بحيث لا يمكن الاستغناء عنها ، وقد جاءت معظم قصائدهم من القصائد المركّبة التي تشتمل على أكثر من موضوع ، وامتازت قصائدهم بالطول عند أغلب شعراء الدواوين ، بينما لا نجد للشعراء الآخرين إلّا مقطعات قصيرة ، ولعلّ ذلك يرجع إلى ضياع شعرهم وعدم وصوله إلينا .

(١) ديوان أبي الحسن التّهاميّ : ص ٨٣ .

فالشاعر يبين أن حِلْم الممدوح وصفه عن أعدائه نعمة له ، لأن ذلك يؤثر فسي نفوسهم كما تؤثر السيوف ، ولم يكتف الشاعر بذلك ، وإنما جريا على طريقة علماء الكلام جا * بدليل يثبت صحة هذا القول وهو أن الليث أكثر ما يكون عبوسا وشراسة وإيقاعا للرعب في النفوس عندما يبدو في هيئة المتبسم ، فإنه حينئذ يكون مكشرا عن أنيابه .

ويقول نبطوية :

وقالوا شأنه الجدرى فانظروا الى وجه به أشر الكلوم
فقلت : ملاحه نثرت عليـــــه وما حسن السماء بلا نجوم ؟ (١)

فالشاعر يبين أن ما يبدو في وجه محبوبه من آثار الجدرى ليس شيئا شائنا له ، وإنما هو ملاحه نثرت علي وجهه أكسبته جمالا ، ولا حسن لوجهه دون هذه الحبوب من الجدرى ، ولا غرابة في ذلك فالسما * لاجن لها ولا جمال دون النجوم التي تزيتها .
ويقول أبو الحسن بن طباطبا العلوي :

لا تذكر إهدا * نالك منطقا
فالله عز وجل يذكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه (٢)
منك استفدنا حننه ونظامه

فالشاعر يبين أنه قد أفاد من الممدوح حسن المنطق والكلام ، وقد بعث إليه بعضه ، ويطلب الي الممدوح ألا يذكر عليه ذلك ، فلا غرابة فيه ، ويستدل على ذلك بأن الله عز وجل يشكر القارئ للقرآن الكريم ، وهو وحيه وكلامه . وهكذا فقد أقام الشاعر دليلا على دعواه ، على طريقة المتكلمين .
ويقول أبو الحسين الاصبهاني :

أتطمع أن تدوم لك الحياة
فلا ترج البقاء وأنت شيخ
وتجمع ما تفوز به العداة
وهل يبقى إذا ابيض النَّبَاتُ (٣)

فالشاعر يطلب الي الانسان ألا يطمع في البقاء واستمرار الحياة ودوامها وقد أصبح شيخا ، فهذا غير ممكن ، والدليل على ذلك أن النباتات لا يبقى عندما يبيض ، وإنما يزول ويتحلل .

(١) معجم الأدباء : ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢) زهر الاداب : ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) لسان الميزان : ج ١ ، ص ٢٦٢ .

ونلمح هذا المنهج الكلامي عند شاعر آخر هو الشريف المرتضى ، فهو يقول في

التعزية :

- (١) لاتعجبوا منه يصاب فانمسا ندعو الى ثقل الرجال الا بسزلا
(٢) ان العواصف لاتنال من البنسا الا بناء كان منها أطسولا

يبدو الأسلوب الكلامي في هذين البيتين بكل جلاء ، فقد ذكر المرتضى في البيت الأول معنى ، ثم استشهد عليه في البيت الثاني ، فهو يبيّن أنّه ليس عجيباً أن يصاب المعزّي بالمصائب ، فالرجال الثقيلة لا يحملها إلا القوى من الجمال ، وهذا المعزّي رجل قويّ ولذا حلت به الذكبات ، والدليل على ذلك أن العواصف الشديدة والرياح العاتية لاتصيب إلا الابنية المرتفعة الشامخة .

ويقول الشريف المرتضى أيضا :

- (٣) وقد جفاني حتى أن طارقسا في ظلمة الليل عمدا ليس يطرقتني
(٤) ومن يرض بزور منه كيف يدي والثقل للثق يوما فيه ينقضني

يبيّن الشاعر أن المحبوب قد جفاه وبالع في ذلك حتى لقد أصبح خياله لا يزوره ثم يتساءل فيقول : من صنّ بالباطل - ويعني به زيارة الطيف - مع سهولته وخفته كيف لا يرض بالزيارة الحقيقية مع صعوبتها وثقلها ؛ ونلاحظ هنا أن أسلوب الشاعر أسلوب جدلي يرمي الى الاقناع .

ويقول القاضي أبو عليّ المحسن بن عليّ التنوخي :

- متى تصفو لك الدنيا بخير اذا لم ترض منها بالمزاج
ألم ترجوهر الدنيا المصفى ومخرجه من البحر الاجراج
(٥) ورب مخيفة فجأت بهسول ورب مثقف بعد اعوجاج

يرى التنوخي في هذه الأبيات أن الحياة لاتصفو للمرء الا اذا واجه مصاعبها وتحمل عداؤها ، لذا ينبغي أن يكون صلبا في مواجهة مصاعب الحياة ومتاعبها ،

(١) الأبرل من البازل ، وهو من الجمال ابن التاسعة . (انظر : القاموس المحيط : مادة بزله) .

(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٦٥ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٢٦ ، وطيف الخيال : ص ١٣٧ .

(٤) طيف الخيال : ص ١٣٧ .

(٥) الفرج بعد الشدة : ج ٢ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

فهي تصفو بعد الشدائد • ثم يقدم الشاعر أدلة يثبت بها صحة ما يقول ، وهي أن الجواهر الثمينة تستخرج من البحر المالح ، وربما يتعرض المرء لأمر يسبب له الخوف والقلق ، ولكن عاقبته تكون خيرا ، فالسلامة تأتي بعد أن تكون قد استعصت وامتنعته والاستقامة تأتي بعد الاعوجاج ، وهكذا نجد أن التلوخيّ يستخدم أسلوب علماء الكلام من حيث طرح الأفكار ثم الإتيان بالأدلة التي يثبت بها صحتها •

ويقول الطاحب بن عباد :

نبئت أنك منشد ما قلتـــــــه في سب عرضك لاتخاف وعيـــــدي
والكلب لا يخزي اذا أخصأته والقار لا يخشى من التسويد (١)

نلاحظ في هذين البيتين أن الطاحب بن عباد يستخدم أسلوب الاحتجاج والاستشهاد فهو يستشهد على المعنى الأول بمعنى ثان ، وهذا من أحسن ما يتعاطى في أسلوب صناعة الشعر^(٢) . فقد كان الصاحب قد قال شعراً في سب عرض رجل ، ثم بلغه أن الرجل ينشد ذلك الشعر ، دون أن يحسب حساباً لتوعد الصاحب إياه • ثم يأتي الصاحب فسي البيت الثاني بمعنى يعتبر دليلاً على هذا المعنى ، وهو أن الكلب لا يخزي من التحقيره والقار الأسود لا يخشى التلطيخ بالأسود •

وقد اتسم شعر الشيعة بالطابع الكلامي ، فنحن في قراءتنا شعرهم نجد أنفسنا أمام علماء الكلام الذين يقرعون الحجّة بالحجّة ، والدليل بالدليل ، مناقشين مناقدة منطقية كلامية ، مدافعين عما يعتقدون بأقوى أساليب الحجج والجدل • ومن ذلك ما يقوله الشريف المرتمي :

نحن أناس مالنا محلســــة الاقلال الراسيات والقسنن
منا النبي والوصي صنــــتــــوه ثم البتول والحسين والحسن
وعمنا العباس من كعمناــــا أبناؤهُ الغر مصابيح الزمن (٣)

تبدو النزعة الكلامية واضحة في هذه الأبيات ، فالمرتمي يفخر بقومه وبعلو منزلتهم ، فيبين أن محلهم القمم المرتفعة ، فهم خير الناس ، ثم يأتي بالحجج

(١) ديوان الطاحب بن عباد : ص ٢١٢ •

(٢) انظر : الصناعتين : ص ٤١٦ •

(٣) ديوان الشريف المرتمي : ج ٣ ، ص ٣٤٨ •

والبراهين على ذلك ، فيذكر أن منهم الرسول الكريم ووصيه علي بن أبي طالب ، وزوجته فاطمة الزهراء ، وابنيها الحسن والحسين ، وعمهم هو العباس بن عبد المطلب ثم يتساءل : من كعمنا العباس وأبنائه الذين هم مصابيح ينيرون للناس الطريق ، ويهدونهم سواة السبيل .

ويقول الشريف الرضي مخاطباً أعداء آل أبي طالب :

ردوا تراث محمد	ردوا	ليس القضيبي لكم ولا البرد
هل عرقت فيكم كفاطمة	أم هل لكم كمحمد	جد
جل افتخارهم بأنهم	عند الخصام مصارع	لسد
ان الخلائف والألبي فخر	بهم علينا قبل أو بعد	سد
شرفوا بنا ولجدنا خلقوا	وهم صنائعنا اذا عودوا	(١)

يستخدم الشريف الرضي في هذه الابيات أسلوب الجدل والحجاج ، فهو يفضل آل البيت على سواهم ، ويطلب من أعدائهم أن يردوا إليهم الخلافة ، فقضيبي السطوة وصولجانها لآل البيت دون سواهم ، وبردة الرسول الكريم التي كان خلفاء أعداء آل البيت يتوارثونها ويلبسونها في الأعياد ، ليست لهم ، وإنما هي لآل البيت ، وهكذا فال البيت أفضل منهم ، ثم يحتج لذلك ويورد الأدلة ، فليست فيهم امرأة كفاطمة ، وليس لهم جد كمحمد ، وكل ما يفيخر به أعداء آل البيت هو مهارتهم في الجسدل ، علماً بأن فخرهم بالخلفاء والتكامل السابقين ليس فخراً لأن أولئك الخلفاء خلقوا من أجل الرسول جد آل أبي طالب ، وبه شرفوا .

ويقول كشاجم يدعو صديقا له ، وكان قد تقلد البريد :

صرت يا عامل البريد مقيتنا	وقديما التي كنت حبيبنا
كنت تستثقل الرقيب فقد صر	تعلينا بما وليت رقيبنا
شدتك النفوس وانحرفت عن	ك قلوب وكننت سبي القلوبنا
أفلا يعجب الانام لشخص	صار ذئبا وكان ظبيا رهيبنا

(٢)

ففي هذه الابيات يناقش كشاجم صديقه علي طريقة علماء الكلام ، فيذكر له أنه - أي الشاعر - أصبح يكرهه بعد أن كان حبيبا إليه ، وذلك لأنه أخذ يراقب الشاعر

(١) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٤٠٢ .

(٢) ديوان كشاجم : ص ٣٩ .

بعد أن كان يكره الرّقباء ، ممّا جعل النّاس يكرهونه ، ولا غرابة ، فمن حقّ النّاس أن يعجبوا من رجل كان ظلياً وديعاً ثم تحوّل إلى وحش مفترس .

ولمّا كان الشّيعيّة يحرصون على الإقناع واثبات آرائهم ، ولما كانوا لا يقبلون فكرة أو معنى إلا بعد الاستشهاد على صفة ذلك ، فقد وجدت في أشعارهم ظاهرة حسن التعليل ، وهي صناعة ذهنيّة تعتمد على سعة التفكير وانطلاق العقل ، وغلبة الناحية الفكرية ، فمال شعراء الشّيعيّة إلى البحث عن علل وتفسيرات غريبة لبعض الظواهر ، ولم يكتفوا بالعلل القريبة المعروفة ، وهذا مميل إلى الاغراب والتجديد في تفسير الأشياء .

ومن حسن التعليل قول عبدان الأصبهانيّ :

وهو ناع منغص لحياتي	في مشيبي شماتة لعداتي
أي أنس إلى حضور وفاتي	ويعيب الخضاب قوم ، وفيه
ما به رمت خلة الغانيات	لا ومن يعلم السرائر مني
ما ترينيه كل يوم مراتي	انما رمت أن يغيب عني
سره أن يرى وجوه النعاني ؟ (١)	وهو ناع إلى نفسي ، ومن ذا

فالشاعر هنا يحسن تعليل حبه الخضاب ، فهو يحبه لا للمحافظة على خلّة الغانيات وصحبتهن ، وإنما للتخلص من ذلك الشيب الذي ينعي نفس الشاعر إليه كلما نظر في مرآته ، فالشاعر يكره أن يرى وجه الناعي - وهو الشيب - ولذا فقد خضب شعره .

ومن حسن التعليل أيضا قول السّلامي :

تبسطنا على الأثام لمــــا رأينا العفو من ثمر الذنوب (٢)

ففي هذا البيت يبين السّلامي أنّه يحب الأثام ويكثر من اقترافها لانه رأى العفو ثمرة من ثمار الأثام ، لا ينتج إلا عنها ، وهذا من حسن التعليل بمكان .

ونجد حسن التعليل عند شعراء آخرين من الشّيعيّة ، فها هو أبو الحسن التّهمانيّ يقول :

(١) نهاية الأرب في فنون الأرب : ج ٢ ، ص ٢٩ .
(٢) شعر السّلامي : ص ٥٧ ، ومن غاب عنه المطرب : ص ٢٠٦ .

وما كان حزني للشباب لأن هوى
ولكن لقول الناس شيخ ، وليس لي
به الشيب عن طود من الأثر شامخ
على نائبات الدهر صبر المدايخ (١)

فالشاعر يبين أنه عندما أصبح شيخاً حزن ، وليس ذلك الحزن لأنه فقد الشباب
ولكن لأن الناس أخذوا ينعتون الشاعر بأنه شيخ ، وهو ليس ذا صبر على نوائب الدهر
كالمدايخ . ولذلك أن هذا التعليل حسن ، وقد كان مثاراً للاعجاب عند الباحثين (٢) .
ويقول صاحب بن عباد :

يقال : تركت الذي حسنه
فقلت : وشمس الضحى تحتمسي
يكاد يخجل شمس الضحى
إذا بسطت في المصيف الأذى (٣)

يبدو من هذين البيتين أن الصاحب قد أعمل فكره ، وأجهد نفسه من أجل الاتيان
بالتعليلات الحسنة ، فهو يحسن تعليل ابتعاده عن المحبوب الجميل الذي يشبه الشمس
في الجمال والبهاء ، فيبين أنه فعل ذلك كي يتخلص من الام والأسقام التي ألمت به ،
نتيجة لمناهده جمال المحبوب ، فقد آذاه جمال المحبوب كما تؤذي شمس الضحى الناس
في الصيف .

ويقول كشاجم من قصيدة في رجل يقال له أبو القاسم :

لاتلم ان رأيت في هذه الأبيات
فقد اعتلت القرائح مذغيب
بيات ليننا ولايكن انكسار
ت هعوما واختلت الافكار (٤)

فالشاعر يعلل ضعف شعره ولينه بعد أن تغيب عنه أبو القاسم باعتلال قريحته
واختلال فكره ، ولذا طلب إلى أبي القاسم ألا ينكر عليه ضعف شعره . وهذا تعليل
حسن .

وقد كان شعراء الشيعة ذوي معرفة واسعة بما تتطلبه الأساليب الشعرية من
الالفاظ والمعاني ، ولذا كانت أشعارهم المتعلقة بالتشجيع والدفاع عن آل البيت
تتم بقوة الالفاظ وفخامتها ، فكانت الفاظها متخيرة تناسب الغرض الذي تقال فيه ،

(١) شرح درة الغواص : ص ١٧٦ ، والبيتان ليسا مثبتين في ديوان أبي الحسن
التهماني .

(٢) انظر : شرح درة الغواص . ص ١٧٦ .

(٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٣٠٥ .

(٤) ديوان كشاجم : ص ٢١٨ .

بينما كانت أشعارهم في الأغراض الأخرى كالغزل والوصف تتسم بالبساطة والسهولة، وقد مر بنا أمثلة على ذلك الشعر في أغراض شعر الشيعة وفي ترجمتنا لعدد من شعرائهم .

وقد نتج عن ميل الشعراء الشيعة الى الإغراب في التعبير والمعاني أن أخذ شعراؤهم بميلون إلى ما فيه الصناعة العقلية ، وذلك رغبة في أن يُظهروا قدرتهم على نظم الشعر وبراعتهم في ذلك ، ولذا وجد لدى بعض شعرائهم لزوم ما لا يلزم (١) . وقد اتضح هذا لدى الصاحب بن عباد ، فقد نظم بعض القصائد يخلو كل منها من حرف من حروف الهجاء ، ومن ذلك قصيدة تخلو من حرف الألف ، منها قوله :

من ليس يعدوه فكــــــــــــــــري	قد ظل يجرح صــــــــــــــــدى
يزهو به سطر شعــــــــــــــــر	ظبي بصفحة بــــــــــــــــدر
وكم يميل لهجــــــــــــــــر	كم ملت فيه لوصــــــــــــــــل
فكم يجور ويفــــــــــــــــري	يغري همومي بقلــــــــــــــــبي
رحمن سقمي وضــــــــــــــــرى	رعبت زهر نجر نــــــــــــــــوم
(٢) لبست حلقة غــــــــــــــــر	من بعد تجريب كهــــــــــــــــل

وله قصيدة أخرى قالها يمدح بها آل البيت ، ويذم الأمويين وجميعها خالية من حرف السين ، منها قوله :

يا وصل مالك لاتعــــــــــــــــاود	يا هجر مالك لاتبــــــــــــــــاعد ؟
أين التصافح والتعــــــــــــــــا	نق والقلائد والولائــــــــــــــــد
لم غابت الخيلان عــــــــــــــــن	بيض الوجوه ولم تعــــــــــــــــاود
لهفي على شملــــــــــــــــي الجميــــــــــــــــ	ع وعهدنا بين المعاهــــــــــــــــد (٣)

وقد أكثر شعراء الشيعة من البديع في أشعارهم ، فجاءوا بضروب المحسنات البديعية المختلفة كالجناس والطباق وغيرها ، يزينون بها كلامهم ، ويجدون فيها ميدانا يظهرون فيه براعتهم في قول الشعر .

- (١) لزوم ما لا يلزم : " هو أن يأتي المتكلم في أبيات شعره بحرف قبل حرف الروي وحركة مجانسة ، وفي فواصل نثره كذلك ، أو أكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف " . نفحات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ٤٦٨ .
- (٢) ديوان الصاحب بن عباد : ص ١٤٢ - ١٤٨ .
- (٣) المصدر نفسه : ص ١٥٢ .

ومن أنواع التجنيس التي نجدها في شعر الشيعة التجنيس المعنوي ، ومن ذلك قول أبي بكر الخوارزمي في غلام يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لأنني إذا ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفي عني رقادي وإن أغضت أيقظني أبوه (١)

نلاحظ في هذين البيتين أن الشاعر " أضر ركني الجنس ، وأظهر ما يرادف أحدهما ، وذلك لفظ " أبوه " فصل الجنس المعنوي بين برغوث أبي هذا الغلام ، وبرغوث اسم هذا الحيوان المعروف " (٢) .

وقول الصاحب بن عباد في مغن يقال له ابن عذاب :

أقول قولاً بلا احتسام يعقله كل من يعيه
ابن عذاب إذا تغيبني فاني منه في أبيه (٣)

فالجناس المعنوي هو في قوله " في أبيه " ، وذلك لأن أباه مرادف لعذاب الذي هو اسم والد ذلك المعنى ، ويريد الشاعر المعنى الآخر الذي هو العقوبة ، وبهذا فقد حصل الجنس المعنوي بين " عذاب " و " عذاب " ، ولم يسمع للقوم في هذا من الجنس الا النزر اليسير ، وذلك لأنه صعب الملك عزيز الوجود (٤)

ومن فنون البديع التي نجدها في أشعار الشيعة الاستشهاد (٥) ومن ذلك قول عبد المحسن الصوري :

لظلمات تترامى بي الى العرمى القرمي
طرحتني من علي بين الحاظ علي
أنا عبد المحسن الصوري رى لاعبد المرمي (٦)

(١) نجمات الازهار على نسعات الاسرار : ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٣٠٥ .

(٤) نجمات الازهار على نسعات الاسرار : ص ٣٠ .

(٥) الاستشهاد : " هو أن يذكر الشاعر اسمه أو لقبه في أثناء نظامه بأسلوب حسن

تمتدحه الاسماع وتلتذبه الطباع " . انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٨٤ .

(٦) انظر : المصدر نفسه : ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

ومن ذلك أيضا أبيات أبي فراس الحمداني التي خاطب بها ابنته عندما حانت وفاته طالبا إليها ألا تجزع لفقد والدها. (١)

ونجد لدى شعراء الشيعة ضربا آخر من البديع هو تجاهل العارف. (٢) ومن ذلك قول النامي:

أحقا أن قاتلتــــــــــــــــــــتي زرود وأن عهونهما تلك العهود
وقفت وقد فقدت الصبر حتــــــــــــــــــــتي تبين موقفني أنسي الفقيد
وشكك في عذالي فقالــــــــــــــــوا لرسم الدار أيكما العميد (٣)

فالشاعر يتساءل عن قتله ، أهي زرود أم غيرها ، ويتساءل : من هو العميد المضي أهو الشاعر أم هو رسم الدار ، والشاعر يعرف أنه هو العميد لرسم الدار . ومن تجاهل العارف قول السري الرفاء :

إذا ما الراح والاترج لاحتــــــــــــــــا لعينك قلت أيهما الشراب (٤)
فالشاعر يعرف الخمر من الأترج ، ولكنه يريد أن يبيّن أن الشبه بينهما شديد ، إلى حد أصبح المرء معه لا يفرق بينهما .
ومن تجاهل العارف أيضا قول مهيار الديلمي :

سلاظبية الوادي ، وما الظبي مثلها وإن كان مقول الترائب أكلــــــــــــــــلا
أنت أمرت البدر أن يمدع الدجى وعلمت غضن البان أن يتميــــــــــــــــلا (٥)

فالشاعر يعرف أن محبوبته لم تأمر البدر بمدع الدجى ، ولم تعلم غضن البان أن يتميّل ، ولكن يتجاهل ذلك ، فيتساءل تساؤل غير العارف ، كي يبيّن لنا شدّة

- (١) انظر : شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٣٥ .
(٢) تجاهل العارف : " هو أن يسأل المتكلم عن شيء يعرفه سؤال من لا يعرفه ليوهم أنّ شدة الشبه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه به بالمشبه ، وفائدته المبالغة في المعنى ، نحو قولك : أوجهك هذا أم بدر؟ ولا يشترط في تجاهل العارف أن يكون على طريقة التشبيه ، وإنما يأتي لفتكته من مبالغة في المدح أو الذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو تعريض أو من تدلّه في الحب " . نفحات الأزهار على نسفات الأسفار . ص ٦٢ .
(٣) شعر النامي : ص ٥٤ ونفحات الأزهار على نسفات الأسفار . ص ٦٤ .
(٤) ديوان السري الرفاء : ص ٤٠ ونفحات الأزهار على نسفات الأسفار : ص ٦٥ .
(٥) ديوان مهيار الديلمي : ج ٣ - ص ١٩٤ ونفحات الأزهار على نسفات الأسفار : ص ٦٦ .

الشبه بين محبوبه والبدر في الجمال ، وبينه وبين غضن البان في اعتدال القوام
ورشاقتيه .

وقد تجلّى " تجاهل العارف " لدى الأخوين الشريفين الرضّي والمرضى ، يقول
الرضّي :

بين الأضاعن حاجة خلفتهم _____ أودعتها يوم الفراق مودعي
وأظنها لابل يقيني أنها _____ قلبي لاني لم أجد قلبي معي (١)
فالشاعر يعرف أن تلك الحاجة التي خلفها بين الأضاعن هي غير قلبه ، وأن قلبه
معه ، ولكنه يتجاهل ذلك ليقرّر لنا مدى حبه لتلك الحاجة .
ويقول الشريف المرضى :

وتعتني وزاها طرب اللهم _____ هو وزادي تلهسف ونحيب
ورأتني أنرى الدموع فقالت: أبكا . أراه أم شوئب (٢)
في هذين البيتين يبدو تجاهل العارف بصورة جلية ، فالشاعر يصور لنا دموعه
غزيرة جداً عندما ودعت محبوبته ، حتى لقد أصبحت محبوبته لاتدري أدموع الشاعر
ما ترى أم دفعة من المطر !

ومن فنون البديع التي نجدتها في شعر الشّبيبة تشابه الأطراف (٣) ، وهو ضرب من
العمليات الفكرية العقلية التي يجد فيها الشعراء مجالاً لإظهار البراعة والقدرة ،
كما يجدون فيه نشاطاً عقلياً يناسب ما تميز به الشّبيبة من الدقة والمحاكاة في أشعارهم ،
فهو نتيجة لما اتصف به الشّبيبة من المعرفة العميقة بعلم الكلام وبالجدل والمحاكاة .
ومن ذلك قول الشريف المرضى :

حرام على قلبي السلو وقد بدا _____ لعيني عند الرقعتين قضيب
قضيب قضى الله المقير أنه _____ الى كل أبواب الرجال حبيب (٤)
(١) نفات الأزهار على نسيمات الأسفار: ص ٦٦ ، والبيتان غير مثبتين في ديوان
الشريف الرضّي .

- (٢) ديوان الشريف المرضى : ج ١ ، ص ٤٤ .
(٣) تشابه الأطراف : هو " أن يجعل الشاعر قافية بيته الأولى أول البيت الثاني ،
وقافية الثاني أول الثالث ، وهكذا الى نهاية كلامه " نهاية الأرب : ج ٧ ، ص ٤١ .
(٤) ديوان الشريف المرضى : ج ١ ، ص ٤١ .

ونجد في شعر الشبيعة قنناً آخر من الفنون البديعية ، وهو التسميط (١) ، ومن ذلك قول الصنوبري من أبيات يتحدث فيها عن الخمر وساقبها :

في ريقه غسل قلبي به ثمـــــــل في مشبه ميل أربي على الغصن
كأنه قمر ، ما مثله بشـــــــر في طرفه حور يرنو فيجرحني
ياطيب مجلسنا والطير يطربنا والعود يسعدنا ، مع منشد حسن (٢)

ففي هذه الأبيات تسميط ، وهو دليل على براعة الشاعر ، وتملكه ناصية البيان حيث جاء في كل منها بأربعة أقسام ، ثلاثة منها متشابهة في السجع وتخالف قافية البيت .

وقد كثر في شعر الشبيعة لون آخر من البديع هو الجمع مع التقسيم (٣) ، ومنه قول أبي فراس الحمداني :

انا اذا اشتد الزمـــــــا ن وناب خطب وادلهم
ألفت حول بيوتنـــــــا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدى بيض الســـــــيو ف وللندى حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودى دم ويبسراق دم (٤)

فقد جمع في البيت الثاني ، ثم قسم في البيت الثالث ، حيث جعل قومه يخصصون للعدى السيوف اللامعة ، وللكرم والعطاء النعم الحمرة . ومن الجمع مع التقسيم أيضا قول النامي :

فتى قسم الايام بين سيوفه وبين طريقات المعكروم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردي وبيض يوما بالفضائل والمعجد (٥)

(١) التسميط : " هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام ثلاثة منها على جمع

واحد بخلاف قافية البيت " . نفحات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ١٩٠ .

(٢) ديوان الصنوبري : ص ٤٩٦ ونفحات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ١٩١ .

(٣) الجمع مع التقسيم " هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حكم ثم يقسم

ما جمع أو يقسم أولاً ثم يجمع " . نفحات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ٢٢١ .

(٤) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٧٤ ، ونفحات الأزهار على نسعات الأسفار :

ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٥) شعر النامي : ص ٥٠ ، ونفحات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ٢٢٢ .

ففي هذين البيتين تشابه أطراف ، إذ جعل الشاعر قافية بيته الأول أول بيته الثاني .

ومن تشابه الأطراف قصيدة للمّاحب بن عباد ، تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً ، مطلعها قوله :

مسيب عراه لو يدوم مـــــــسيب مـــــــسيب به ثوب الرشاد قـــــــيب (١)
وفي كلّ بيت منها يجعل المّاحب ، قافية كلّ بيت في أول البيت الذي يليه ، إلى نهاية القصيدة .

وقد نظم بعض شعراء الشيعة في تشابه الأطراف المعنويّ (٢) ، ومن ذلك قول السلامي :

بدائع الحسن فيه مفترقة وأعين الناس فيه متفكّقة
سهام الحافظه مفوققة فكل من رام لحظه رشقــــــــــــــــة
قد كتب الحسن فوق عارضــــــــــــــــيه هذا ملبّيح وحق من خلقــــــــــــــــه (٣)
" فالرشق في قافية البيت الثاني يناسب السهام في أوله " (٤) وهذا من تشابه الأطراف المعنوي . ويقول السري الرفاء :

ابريقنا عاكف على قــــــــــــــــدح كأنه الام ترضع الولــــــــــــــــدا
أو عابد من بني المعجوس توهم الكأس شعلة سجــــــــــــــــدا (٥)
فالبيت الثاني فيه تشابه أطراف معنويّ ، وذلك لأنّ " السجود مناسب للعابد في أول البيت " (٦)

-
- (١) ديوان المّاحب بن عباد : ص ١٦٥ .
 - (٢) تشابه الأطراف المعنويّ هو " أن يختتم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى " . نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار : ص ٤٦٠ .
 - (٣) شعر السلامي : ص ٨٤ ، ونفحات الأزهار على نسيمات الاحار : ص ٤٦٠ .
 - (٤) نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار : ص ٤٦٠ .
 - (٥) المصنوع نفسه : ص ٤٦١ ، والبيتان ليسا مثبتين في ديوان السري الرفاء .
 - (٦) نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار : ص ٤٦١ .

فقد جمع الشاعر في البيت الاول ، وقسم في البيت الثاني فجعل للممدوح يوماً
للشدة ، ويوماً للفضائل والكرام . وقد ظهر الجمع مع التقسيم لدى شعراء آخرين ،
ومنهم كشاجم الرملي ، حيث أبدع في التقسيم . (١)
ومن فنون البديع " الترصيع " (٢) وقد وجد في أشعار الشيعة ، ومن ذلك قول
أبي فراس الحمداني :

وأفعاله للراغبين كراماً وأمواله للطالبين نهباً (٣)
ففي هذا البيت ترصيع ، حيث قابل الشاعر كلمة " أفعالنا " في الصدر بكلمة
على وزنها وروبيها وهي كلمة " أموالنا " ، وكذلك قابل كلمة " الراغبين " بكلمة
" الطالبين " .

ومما وجد في أشعار الشيعة " التوهيم " (٤) ، ومنه للشريف الرضي :
إذا هم التلاع رأيت منــــه رضا باقى ثنيات الهضاب (٥)
فقوله : الرضا يوم ثنيات الأسنان ، وإنما هي ثنيات الجبال . (٦)
ومن فنون البديع الأخرى المراجعة (٧) . وقد وجد هذا الفن لدى الكثيرين من
شعراء الشيعة ، ومن ذلك قول ابن الحجاج :
قالت لقد أشمت بي حــــدى إذ بحت بالسر لهم معلنا

- (١) انظر : ديوان كشاجم : ص ٣٤٢ ، وديوان المعاني : ج ١ ، ص ٢٤٠ .
- (٢) " الترصيع " هو عبارة عن مقابلة كل لفظ من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظ
على وزنها وروبيها ، وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد " . خزانة الادب ، ابن
حجة الحموي : ص ٥١٥ .
- (٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٦٧ ، وخزانة الادب ، ابن حجة الحموي : ص ٥١٥ .
- (٤) " التوهيم هو أن تجيء بكلمة توهم أخرى ، مثل قوله تعالى : " يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق " لأن قوله سبحانه : يوفيهم ، يوهم من لا يحفظ دينهم بالفتح"
البديع في نقد الشعر : ص ٨٦ .
- (٥) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ص ١١٤ .
- (٦) البديع في نقد الشعر : ص ٨٦ .
- (٧) المراجعة : " هي أن يحكي الشاعر ما جرى بينه وبين الغير من سؤال وجواب
بأوجز عبارة من اللفظ معنى في أرشق سبك وأسهل لفظ " . نفحات الأزهار على
نسمات الأبحار : ص ١٥٥ .

أهكذا يحكم شرع الهوى
قلت : أنا ؟ قالت : نعم ، أنت هو
قلت : نعم أنت التي صيرت
قلت : فلم طرفك فهو السدى
قلت : قد كان الذي كان من
قلت : فما الاحسان ؟ قلت : اللقا
قلت : فمني سني بتقبيل
قلت : فاني ميتها لك
قلت : فما بحث بسر الهوى
قلت حرام قتل نفس ييلا
من يعشق العينين مكحول
أن تكشف الاعداء على سرنا
قلت : أنا ؟ قالت : والا أننا
جفونها جسمي حليف الضنا
جنا على قلبك ما قد جسني
طرفي فكوني مثل من أحسننا
قلت : لقانا عز أن يمكننا
قلت : أمنيك بطول العننا
قلت : فمت ذاك لقلبي مسني
قلت : ولو بحث لما ضرتنا
جريم ، فقلت : ذاك حل لنا
بالسر لا يؤمن أن يفتننا (١)

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر صوّر حواراً طويلاً بينه وبين محبوبته على طريقة السؤال والجواب بعبارة موجزة ، وألفاظ سهلة واضحة ، تحدثنا فيه عن كشف أسرار الهوى ، وما تركه طرف كل منهما على الآخر من الضنا ، ثم طلب إليها أن تعدّه باللقاء ، ولكنها رفضت ، ثم أخبرها بأنها قتلتها بلا جرم ، وقتل النفس دون ذنب حرام ، فأخبرته أن ذلك حلّ لها .

وهكذا يتبين لنا أن شعراء الشيعة أكثروا من استخدام الفنون البديعية المختلفة ، وقد دفعهم إلى ذلك الرغبة في تجميل أشعارهم وتزيينها وتحسين أساليبهم ، كما أكثروا من البديع لأنهم وجدوا فيه ميداناً فسيحاً لإظهار قدراتهم على نظم الشعر ، وحدد أقصى درجات البراعة في ذلك . ولكنهم لم يكونوا في الغالب يهتمون باللفظ على حساب المعنى ، فقد حرصوا على سلامة المعنى وجودته إلى جانب اهتمامهم بتحسين اللفظ ، وهذا هو الأسلوب الصحيح ، إذ أنه لا يخفى على الباحث أنه لا بد من جودة اللفظ والمعنى كي يكون العمل الأدبي جيداً ، وذا تأثير قوي في النفس .

(١) نفعات الأزهار على نسعات الأسفار : ص ١٥٦ .

الخيال والتصوير

يعتبر الخيال في الشعر من أهم العناصر التي تقوم عليها القصيدة ، فكثيراً ما تكون القدرة على الخيال والتصوير هي التي تميّز شاعراً عن شاعر آخر ، وهي التي تنقلنا إلى أجواء النص ، وتجعلنا نتمثله بإحاطة ودلائله . " فالصورة في القصيدة تشبه سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع وهو يتطور في أوجه مختلفة ، ولكونها صور سحرية ، وهي لاتعكس الموضوع فقط ، بل تعطيه الحياة والشكل ، ففي مقدورها أن تجعل الروح مرئية للعيان " (١).

لقد قال الشيعة أشعاراً كثيرة في الأغراض التقليدية المعروفة ، وفي آرائهم ومعتقداتهم ، وجاءوا في أثناء ذلك بالتبسيهات المختلفة . وقد جاءت معظم أخيلتهم في معرض وصفهم لما يشاهدونه من مظاهر الطبيعة المختلفة ، فقد وصفوا النجوم والمياه ، والبرك ، والانهار ، والرياض، والثمار والفواكه ، كما وصفوا القصور والحروب والمعارك ، وما يتصل بذلك من الأدوات ، ووصفوا المحبوب ، وذكروا ما يتعلق به .

وبلاط من دراسة أشعار الشيعة أنهم تمسكوا في أخيلتهم ببعض الصور التقليدية المعروفة لدى الشعراء ، ولكنهم مالوا إلى الاغراب والتجديد في كثير منها ، ولا عجب ، فقد كان الشيعة - كما رأينا - يتميزون بالجدل والمحاجة في سبيل الدفاع عن آرائهم ومقارعة خصومهم ، وقد أكسبهم هذا عمقاً في التفكير ، وميلاً إلى الغوص وراء العميق من المعاني ، والغريب من الأبيلة والصور . وتضح لنا الصور التقليدية في الكثير من أشعار الشيعة ، فما هو أبو بكر الخالدي يشبه المحبوب بالبدر في حسنه وضيائه ، وبالغصن في لينه واعتدال قوامه ، وبالورد في لونه واحمرار وجنتيه يقول :

وَضِيَاءٌ وَمِثَالًا	يَا سَيِّبَةَ الْبَدْرِ حُسْنًا
وَقَوَامًا وَأَعْتِدَالًا	وَسَيِّبَةَ الْغُصْنِ لِينًا
وَنَيْمًا وَمَلَالًا	أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا

زَارَنَا حَتَّى إِذَا مَرَّ
سَرَّنَا بِالْقُرْبِ زَالًا (١)

ويقول أبو فراس الحمداني :

عَلَيَّ مِنْ عَيْنَيَّ عَيْنَانِ
بِأَطَالِمِي لِلشُّرْبِ كُكْرٌ وَلِي
وَجْهَكَ وَالْبَثْرُ إِذَا أَبْرَزَا
لَأَعْمِينَ الْعَالَمِ بَسْرَانِ (٢)

تَبُوحُ لِلنَّاسِ بِكَيْتَمَانِ
مِنْ غُنْجِ الْعَاظِكُ كُكْرَانِ

فالشاعر هنا يأتي بصورة تقليدية إذ شبه وجه المحبوب بالبدر . وقد مال بعض شعراء الشيعة إلى عكس التشبيه ، فبدلاً من تشبيهه وجنة المحبوب بالورد شبهوا الورد بوجنة المحبوب ، ومرادهم من ذلك أن يبيئوا أن وجه الشبه في الوجنة أكثر منه في الورد ، ومن ذلك قول الناشي الأصغر في وردة :

وَوَرْدَةٌ فِي بَنَانٍ مِعْطَارِ
كَأَنَّهَا وَجَنَةُ الْحَبِيبِ وَقَدْ
وَيَقُولُ أَبُو الْحَسَنِ التَّهَامِيُّ فِي الْغَزْلِ :

حَيَّا بِهَا فِي خَفِيِّ إِسْرَارِ
نَقَطُهَا عَائِقُ يَدِينَتَارِ (٣)

أَلَا يَا غَزَالاً أَعَارَ الْغَزَالَا
بِسُرِّكَ يَا مُنْبِيئِي أَنْ تَسْرِي

وقد شبه الشعراء الممدوح بالسيف القاطع ، ومن ذلك ما بقوله الشريف الرضي في العجاح بن عباد :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ يَعْرِفُ مَنَظِّي
وَيُنْكِرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ مَعْمَدَا (٥)

ومن التشبيهات اللطيفة قول أبي الفتح البستي :

يَوْمٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْإِيْتَامِ
وَالْبَرْقُ يَخْفِقُ مِثْلَ قَلْبِ تَائِيهِ (٦)

مَرَجَ السَّحَابُ ضِيَاءَهُ بِظُلَامِ
وَالْعَيْمُ بِبَيْتِي مِثْلَ قَلْبِ هَامِ (٦)

(١) ديوان الخالديين : ص ٨٢ .

(٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٢٩ .

(٣) بدائع البدائع : ص ١٠٨ .

(٤) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ١٦٩ .

(٥) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٦) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٣٠٣ .

فالشاعر يتحدث عن ذلك اليوم ، فيصوره يوماً مظلماً ملبّداً بالغيوم ، ثم بصور البرق فيه يخفق ويلمع بسرعة بالقلب الهائم الخائف ، فهو قلق مضطرب .

ويقول أبو القاسم الرّاهي في الليل :

الرّيحُ تَعْصِفُ والأَعْصَانُ تَعْتَنِيقُ والمُزْنُ بآكِيةٍ والزَّهْرُ مُعْتَبِقُ (١)
كَأَنَّما اللَّيْلُ جَفَنٌ والْبُرُوقُ لَهُ عَيْنٌ مِنَ الشَّمْسِ تَبْدُو ثُمَّ تَنْطَبِقُ (٢)

فالشاعر يصور لنا الليل تصويراً جميلاً موحياً يعتمد على عنصرَي الصّوت والحركة ، فالريّح عاصف ، والأعصان متمائلة متعانقة ، والسحب تنزل الأمطار ، والزهر نعل من النشوة والشور ، ثم يشبه الشاعر الليل في سواده والبروق تلمع فيه بالجفن له عين من الشمس تفتح ثم تنطبق ، وهذه صورة جميلة .

ومما يتصل بهذا وصف البرق ، وقد أبدع فيه الشعراء الشيعة ، ومن أجمل ما قيل فيه أبيات للشريف المرتضى ، يصور فيها البرق تصويراً رائعاً فيشبهه بسيف ملتهب من النار يلمع ويبرق ، ويبلغ غاية براعته في التصوير عندما يشبه البرق في ظهوره واختفائه وعدم ثباته على حال واحدة بعهد الغواني ، فالغواني متقلبات متغيرات لا يحفظن عهداً ، ولا يرعين وثاً ، وهذا البرق في قلبه كأنه عهدن ، أو كأنه قلب الحيان المرتضى المضطرب في زمن الحرب ، يقول المرتضى :

أرقت لِيضوءِ نارٍ مِنْكَ تَبْدُو وتخبُّو في السَّماءِ يَلا فُخَّانِ
كَمَا لَوَحَّتْ فِي ظَلَماءٍ لَيْسَ لِي إلى الأَبْطالِ في العَصَبِ اليَمَانِي
كَأَنَّكَ لا تَفَرُّ عَلَيَّ طَرِيقِي أَخَذتَ سَنّاكَ مِنْ عَهْدِ العَوَانِي
وَتَخْفِقُ فِي نَوَاحِي الأفقِ حَاسِي كَأَنَّكَ في الوَعْيِ قَلْبُ الجَبانِ (٣)

ومن التشبيهات التقليدية الأخرى التي نجدنا عند الشيعة تشبيه أسنان المحبوب

بقلائد الدرّ ، ومن ذلك قول أبي الحسن التهامي :

وَقَدَّ بَسَمَتَ عَنْ نَعْرِها فَكَأَنَّها قلائدُ درِّ في العَقِيقِ انْتِظامُها

(١) معتبق : من الاغتباق وهو شرب العشي . (انظر : لسان العرب : مادة غبق) .

(٢) سرور النفس بعدارك الحواس الخمس : ص ٢٦ .

(٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

وَقَدْ نَشَرَتْ لُرَّ الْكَلَامِ يَعْتَبِيهَا
فَلَمْ أَدْرِ أَيُّ النَّرِّ أَنْفُسُ قِيَمَةٌ
وَلَذَّ يَسْمَعِي عَتَبِيهَا وَمَلَامَهَا
أَذْمَعِيهَا أَمْ نَعْرَهَا أَمْ كَلَامَهَا
وَقَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا فَكَأَنَّهَا
تَجَسَّرَ عَنْ شَمْسِ النَّهَارِ جِهَا مَهَسَا (١)

فهو يشبه أسنان المحبوب بقلائد الدر في انتظامها وجمالها ، وكذلك فكلامها كالدر المنشور ، ودموعها كالدر ، حتى لقد أصبح القاعر لا يعرف أيها أكثر قيمة ، أهو أسنانها أم دموعها أم كلامها .

وقد شبه شعراء الثعبان الشعر الأسود بالظلمة ، والشيب بالصباح ، ومن ذلك قول الشريف المرتضى من قصيدة يفخر فيها بأبائه :

راعك يا أسما* مني ببارق ضو* أما بين العذار والذقن
لاتنفرى منه ولا تستنكرى فهو صباح طالما كان دجج* (٢)

فقد شبه المرتضى شيبه بالصباح بعد ما كان كالظلمة في سواده ، وهذا من التشبيهات التقليدية المعروفة .

ومن التشبيه اللطيف والتصوير الجميل تشبيه الشريف المرتضى شعره وقصد أبيض معظمه وانتشر وسط شعره الأسود بشي* طريف هو الشعلة من النار التي توضع على رأس جبل كي يستدل بها السائر الذي يضل طريقه في الليل المظلم وهو تشبيه لطيف يذكّر بالكرم العربي المتمثل في إيقاد النار في الليل لإطعام الجائع وتأمين المبيت له . (٣)

ومن التشبيهات اللطيفة أيضا تصوير المرتضى نفسه ومحبيه يوم الفراق ، فقد فقد الصبر وبكيا بكاء* شديدا حتى فقد عقليهما ، فأصبحا لا يعيان ولا يعقلان ، كأنهما شاربا خمر ، وقد زرفت أعينهما دموعا غزارا* ، حتى لقد بدت كفصون الأشجار التي أصابها العطر ، فأخذ الماء* يتساقط من أطرافها إلى الأرض بغزارة وهو تصوير يدل على براعة المرتضى إذ أنه قد نقلنا إلى ذلك الجو ، وصوّر لنا ذلك المشهد حتى ليخيل إلينا أنه يجري أمامنا بصورة واقعية يقول :

- (١) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ١٤٣ .
- (٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٣٤٧ .
- (٣) انظر : المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٠ .

ولما وقفنا للوداع وكلنا
رأينا حلو ما عاربات ولم نجد
فيالك يوماً فاضحاً لمتسليم
كأنا وقد سل الفراق عقولنا
كأن عيوننا يقطر الدمع هديها
يطلق يوم البين عينيه أدمعا
من الصبر الا واهيا متمدعا
ويالك مبكي للعيون ومجزعا
سلكنا جنونا أو كرعنا المدمععا (١)
غصون مطيرات الذوائب هَمَّعَا (٢)

وقد أكثر شعراء الشيعة من وصف مظاهر الطبيعة ، ومن ذلك العياض والأنهار ،
وجاءوا في وصفهم بالتشبيهات الرائعة ، يقول أبو فراس الحمداني .

والماء يُقْصِلُ بَيْنَ زَهْدٍ سرِّ الرَّوْضِ فِي السَّطِينِ فَصَلَا
كَيْسَاطٍ وَشَيْءٍ جَبَّيْنِ أَبْشَدِي الْقُبُورِ عَلَيَّهِ نَصَلَا (٣)

في هذين البيتين جاء أبو فراس بصورة بديعة ، فقد صور الماء يجري لامعاً
صافياً بين الأزهار المحيطة به من جانبه بالسيف الصقيل وقد وضع على بساط مزين
بالألوان الجميلة . وقد عمد بعض الشعراء الشيعة إلى قلب أحد طرفي التشبيه على
الآخر فيشبهون السيوف بالجداول ، ومن ذلك قول السري الترقا :

وكم خرق الحجاب إلى مقام توارى الشمس فيه بالحجاب
كأن سيوفه بين العوالي جداول يطردن خلال غاب (٤)

وقد برع شعراء الشيعة في وصف ضوء القمر على الماء ، وكان منهم أبو القاسم
علي بن محمد التنوخي ، فقد صور القمر وقد ظهر منيراً لامعاً وسط السماء الزرقاء
بالعلامة المذهبة وسط ثوب أزرق ، وقد انعكست هذه الصورة على صفحة ماء جليلة ،
فقال :

لَمْ أَنْسَ رِجْلَةَ وَاللَّحَى مُنْصَوِّبٌ والبدر في أفق السماء مغربٌ
فَكَانَتْهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقٌ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طَرَّازٌ (٥) مُذْمَبٌ (٦)

- (١) المدمعع : الخمر التي مزجت بالماء . (انظر : تاج العروس : مادة شع) .
- (٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ١٣ .
- (٣) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٢٥ .
- (٤) ديوان السري الترقا : ص ٣٤ ، وأسرار البلاغة : ص ١٨٢ .
- (٥) الطراز : علم الثوب فارسي معرب . (انظر : لسان العرب : مادة طرز) .
- (٦) ينقمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

وهذا الوصف يعتبر من أحسن ما قيل في وصف القمر على الماء . (١)
ومن التشبيهات التقليدية قول الشاعر بن عبّاد يصف قمرًا .
يحكي السحاب طلوعه ، فمسيره من برقه ، وصهيله من رعسده (٢)
فالسحاب يشبه الحصان بالبرق في السرعة ، كما يشبه صوته بالرعد في قوته ،
ونلاحظ هنا مهارة الشاعر في التلفيق بين السحاب والرعد والبرق ، فقد لفق بين
الشيء وجنسه وجمع بين الشيء وشكله .

ولم يكتف الشعراء الشيعة في صورهم وأخيلتهم بالصور التقليدية التي ساروا
فيها على نهج غيرهم من الشعراء ، وإنما تجاوزوا ذلك فعالموا إلى الإغراب والطرافة
في تصويرهم ، وهذا ناجم عن تأثرهم بعلماء الكلام ، ورغبتهم في الدقة والغرابية ،
وهكذا فقد أكثروا من التشبيهات الغريبة ، وهي التي تحتاج في إدراكها إلى دقّة
النظر والذكر ، وهذا دليل على جودة شعرهم ، إذ إن الشعر الخالي من الغرابية
يعد من أردأ أنواع الشعر . (٣) ومن التشبيهات الغريبة قول كشاجم :

أرقت أم نمت لظوء بـ سارق مؤتلق مثل الفؤاد الخافق
كأنه اصبع كف السـ يـ سارق يسوقها الرعد بغير سائق (٤)

فالشاعر يشبه البرق في اهتزازة وظهوره واختفائه باصبع كف السارق ، وهو
من التشبيهات الغريبة . (٥) وقريب من هذا التشبيه في غرابته تشبيه السري الرفاء البرق
وهو يلعب وسط السحابة بالأصابع الجميلة . (٦)

ومن التشبيهات الغريبة أيضاً قول أبي الفتح البستي :

ألم تر أن المرء طول حياته معني بأمر لا يزال يعالجـه
كدود غدا للقسز ينسج دائبـا ويهلك غما وسط ما هو ناسجـه

فالشاعر يبين أن المرء يتبقى طول حياته يعمل ويكد ثم يغني نتيجة لذلك ، ويشبهه
بدود القز الذي يبقى دائب العمل في النسج ثم يموت حزينا كتيباً وسط نسيجه ، وهذا من

(١) انظر : غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات : ص ٢٧
(٢) التوفيق للتلفيق : ص ٨٣ ، والبيت ليس مثبتا في ديوان الشاعر بن عبّاد .
(٣) منهاج البلغاء : ص ٧٢ .
(٤) ديوان كشاجم : ص ٣٦٢ .
(٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص ٧١ .
(٦) قراصة الذهب : ص ١٨ .

التشبيهات الطريفة الغريبة •

ونلمح التشبيهات الغريبة لدى شاعر آخر هو الشريف المرتضى ، ومن ذلك قوله في

الهجاء :

ولاحت لنا أبيات آل محرق بها اللؤم ثاو لا يروح ولا يغدو
خيام قصيرات العماد كأنها كلاب على الأذنان مقعبة رُبْدُ (١)

فخيام آل محرق - كم يصفها الشاعر - فيها اللؤم مقيم لا يزول ، وهي خيام ذات أعمدة قصار كأنها الكلاب مقعبة جالسة على أذنانها ، وهو تشبيه غير مألوف . ويقول السري الرفاء في وصف اللينوفر :

حبيب حباك بليدوفر فأكرم به وباهدائه
تأملت فيه ما قانسي إليه تزويق وشيائه
له طلعة بين أوراقه ضحى ثم يكمن في مائه
كفواص لُجَّ على فاقه يحاول أسباب إثرائه (٢)

فالشاعر يأتي بصورة غريبة ، وذلك عندما يشبه اللينوفر في طلوعه بين أوراقه في وقت الضحى ثم كمنه في الماء بعد ذلك بالغواص الفقير الذي غاص في الماء كي يجد شيئاً من الرزق يتجذب به الفاقة . ويقول السري أيضاً مشبهاً الفجر بالراهب الذي طرب فمزق ثيابه :

والغيث قد بان له عارض على يساط السروض مذكوب
والفجر كالراهب قد مزقت من طرب عنقه الجلابيب (٣)

فهذه صورة رائعة غريبة هي صورة الفجر وقد لاح فبدد ظلام الليل ، فقد شبهه الشاعر بالراهب الذي طرب حتى مزق ثيابه . ويقول القاضي أبو القاسم التنوخي يصف الشقائق :

شقائق مثل خدود نقيست شوارب بالمسك فيها ولحسى (٤)

(١) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٤١١ .
(٢) ديوان السري الرفاء : ص ١٣ - ١٤ .
(٣) المصدر نفسه : ص ٥٨ .
(٤) ديوان المعاني : ج ٢ ، ص ٢٥ .

فالشاعر يشبه الشقائق الجميلة وقد انتشر بينها السواد بالخدود الجميلة التي نبت فيها شوارب ولحي ، وهذا التشبيه غريب لأن السواد الذي في الشقائق لا يُشبهه الشوارب (١) . وقريب من هذا أيضا قول التنوخسي في وصف الخرم والشقائق وَمِنْ خَرَمٍ (٢) غَضَّ خِلَالَ شَقَائِرِي بَلُوحٍ كَخَيْلَانٍ عَلَى وَرْدَتِي خَسَدٌ (٣)

في هذا البيت يصور الشاعر الشقائق الحمراء * وقد انتشر بينها نبات الخرم فيشبهها بالخد الأحمر وقد انتشرت عليه الخيلان السود ، وهذا التشبيه غريب وبعيد الوقوع ، وذلك لأنه إذا كان في الخد خيلان متعددة ، فإن الخال الواحد لا يعدُّ جميلا ، وإنما يصبح قبيحا مستكرها (٤) .

ويقول الشريف المرتضى في الشيب :

شَعْرٌ شَفِيعِي فِي الْحَسَانِ سَوَادِهِ حَتَّى إِذَا مَا أَبْيَضَّ بِي لَمْ يَشْفَعْ
عَوَّضْتُ قَسْرًا مِنْ غُدَافٍ (٥) مَفَارِقِي وَهِيَ الْغَبِينَةُ بِالْغَرَابِ الْإِبْقَعِ (٦)

في هذين البيتين يشبه الشاعر الشعر الذي ابيض بعضه وباقيه أسود بالغراب الابقع ، وهو تشبيه غريب وليس بالمتداول المتبذل (٧) .
ويقول المرتضى أيضا :

ولقد أتاني الشيب في عصر الصبا حتى لبت به شاباً أبيضاً
لم ينتقص مني أو ان نزولاً بأساً أظالك على العداة وعرضاً
فكأنما كنت امرأة متبذلاً أثوابه كرهة السواد فبيضاً (٨)

في البيتين الأول والثاني يبيّن الشاعر أنه لما طرقة الشيب قبل كبر سنّه كان ما يرى عليه من بياض الشعر كأنه عباب ، لأنه في زمن الشباب ، وهذا المعنى

-
- (١) انظر : ديوان المعاني : ج ٢ ، ص ٢٥ .
(٢) الخرم : جمع خرمة ، وهي نبات كاللوبيا . (انظر : القاموس المحيط : مادة خرم)
(٣) ديوان المعاني : ج ٢ ، ص ٢٢ .
(٤) انظر : المصدر نفسه ، والجزء * والصفحة نفسيهما .
(٥) الغداف : الشعر الاسود الطويل . (انظر : لسان العرب : مادة غدف) .
(٦) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٧) الشهاب في الشيب والشباب : ص ١٢٨ .
(٨) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ١٥٨ .

يتردد كثيراً في الشعر فلا غرابة فيه ، وإنما الغرابة في البيت الثالث ، لأن تشبيه لون الثياب الذي تعوّض عنه الشاعر بلون المشيب . بمن استبدل أسود بأبيض من نادر التشبيه وبارعه ، لأنّ تبديل الثياب ذات الألوان المختلفة لا يغير جلد الانسان ولا يوهن من عزيمته ، وَوَصَّفُ من تغيّر لون شعره بهذا الوصف يُعتبر الغاية في تحقيق المعنى المقصود . (١)

ويقول أبو الحسن التّهامي :

وَلَمْ تَكُ فِيمَا بَيْنَنَا رِيبةٌ تَجْرِي لَهَا جفن عين قد تكحل بالحر (٢) تواجعتي من وجهها ليلة القدر	وَكَمْ لَذّةٍ لي قد نَعِمْتُ بِطِيبِهَا تَطوَّفُ عَلَيْنَا بِالمدامِ سَبِيّةُ بدت تحت أرواق الظلام كأنما
---------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------

فالشاعر هنا يتغزل بمحبوبته فيشبهها في جمالها وبهاثها بليلة القدر ، وهذا التشبيه غريب ، لأنّ الجمال في وجه المحبوبة لا يشبه جمال ليلة القدر ، فجمال المحبوبة حسيّ أما جمال ليلة القدر فهو جمال معنويّ .

ومن التشبيهات الغريبة اللطيفة قول أبي القاسم علي بن محمد التنوخي :

فحم كيوم الفراق يشعلـــــــــــــــــه أسود قد صار تحت حمرتها	نار كنار الفراق في الكبـــــــــــــــــد مِثْلَ العَيُونِ اِكتَلَنَ بالرمـــــــــــــــــدِ (٣)
------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------

يشبه الشاعر الفحم عندما اشتعلت فيه النّار بيوم الفراق في سواده وظلامه ، وكانت ناره تتوقد كتوقد نار الفراق في قلب المحبّ العاشق ، وهو بهذا ينقل لنا الأحاسيس والمشاعر التي يشعر بها العاشق تجاه يوم الفراق ، والشاعر هنا يخالف التشبيهات المعروفة لدى الشعراء ، فهو لم يشبه يوم الفراق بالأشياء السوداء كظلمة الليل والفحم وغيرها ، وإنما شبهه الفحم بيوم الفراق ، والنّار بنار الفراق ، وهو يهدف من هذا إلى المبالغة في وصف يوم الفراق وناره بالسواد . ثم يشبه فسي البيت الثاني الفحم الأسود وقد علته النّار الملتهبة بالعيون اللواتي اكتلن بالرمّد ، فأصبحت حمر الألوان .

(١) الشهاب في الشيب والشباب : ١٤٣ .

(٢) ديوان أبي الحسن التّهامي : ص ١٣٨ .

(٣) معجم الأدباء : ج ١٤ ، ص ١٢٠ .

ومن التشبيهات الغربية ذات الدقة والحر التشبيهات التي تجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات ، وقد تفتن هذه الحركة بغيرها من الأوصاف كالشكر واللون ، ومن ذلك قول الوزير المهلبى :

الثَّمَرُ مِنْ مُثْرِهَا قَدْ بَدَّتْ مُثْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ
كَأَنَّهَا بَوْتَقَةٌ أَحْيَيْتُ يَجُولُ فِيهَا نَهْبٌ ذَائِبٌ (١)

وذلك لأنَّ الذهب الذائب يتدكّل بأشكال البوتقة فيستدير ، ثم إذا وضعت البوتقة على النار فإنّه يتحرك فيها حركة تدوم وتتصل ، وما في طبع الذهب من النعومة وفي أجزائه من شدة الاتّصال والتّلاحم يمنع أن يحدث فيه غلياناً كما يحدث في الماء وغيره مما يتخلله الهواء ، فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً ، ولكنّ جملة تبقى كأنها تتحرك بحركة واحدة ، ويكون فيها انبساط إلى الجوانب ، حتى يكاد يفيض ثم ينقبض نحو الوسط . (٢)

ومن التشبيهات الغربية قول أبي بكر الخالديّ متحدثاً عن الجوزاء :

وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هي فيه بين تخفّر وتبرّح
كتنفّس الحناء في المرأة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج (٣)

فالشاعر يشبّه الجوزاء وهي تمايل في الظلام بشارب الخمر وهو يتمايل ، ثمّ يصورها وقد اكتست ببعض الغيم الخفيفه ، فتبدو برهة قصيرة وتختفي أخرى خفيرة متبرّجة بالفتاة الجميلة التي تنفّس في المرأة عندما ترى نفسها جميلة فاتنة ولكنها لم تتزوج ، وهذه الصورة بديعة ، وهي تعتبر أبداع ما قيل في الجوزاء . (٤)

ويقول أبو بكر الخالديّ في الصباح :

ما عذرنا في حبنا الاكوابا سقط الندى وصفا الهواء وطابا
فكأنما الصباح المنير وقد بدا باز أطار من الظلام غرابا
فأدم لذاذة عيدنا بعداه زادت على هرم الزمان شبابا (٥)

(١) أسرار البلاغة : ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٥٨ ، ونهاية الإيجاز في نراية الاعجاز : ص ٢٩ .

(٣) ديوان الخالديين : ص ٣٤ .

(٤) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٢٣٧ ، وانظر : من غاب عنه المطرب : ص ٥٢ .

(٥) من غاب عنه المطرب : ص ١٠٥ .

فالشاعر يشبه الصبح وقد بدا مختلطاً بأواخر الليل بالباز الذي أطار غراباً من مكانه ، وهذا تشبيه غريب نلاحظ أنّ الشاعر قد اعتمد فيه على عنصري اللسّون والحركة في تصويره مجيء الصّباح وانقضاء الليل .
ويقول أبو عثمان الخالدي :

كأنّ الرعود خلال البرق
زئوج إذا خفت بينها
ق والرياح تكثر تحريضها
دبّادبها (١) جرّدت بيضها (٢)

فالشاعر يقدم لنا صورة حية ومشهداً نابضاً بالحياة لليلة مظلمة ذات رعد وبرق ورياح عاصف ، فشبّه الرّعود وهي تدوّي من خلال البروق ، يزداد دويّها بفعل الرياح بالزئوج التي تجرّد سيوفها عندما تدقّ بينها طنبول الحرب ، وهو تشبيه غريب كما نلاحظ .

ويقول التّهامي من قصيدة :

وللثرياركوذ فوق أرحلنا
كأنّها قطعة من جلد النمر (٣)

فالشاعر هنا يشبّه الثريا ، وقد بدت فوق مرافقيه في الليل ذات نجوم متفرقة لامعة بالقطعة من فروة النمر ، وهو تشبيه غريب . ويشبّه عبد المحسن الصّوري الثريّا وهي تهوي في الغرب برأس الفهد ، يقول :

والثريّا خفاقة بجناح الـ
غرب تهوي كأنّها رأس فهـ (٤)

ويقول أبو القاسم عليّ بن محمّد التّنوخيّ في وصف المريخ والمشتري أمامه :

كأنّما المريخ والمشتري
منصرف بالليل عن نعو
قدأمه في شامخ الرّفعة
قد أشرجوا قدأمه شمعة (٥)

في هذين البيتين تشبيه غريب ، فالتّنوخيّ يشبّه المريخ والمشتري أمامه بالمنصرف بالليل عن دعوة وقد أوقدت شمعة أمامه ، وهذا التشبيه لانستطيع أن نفرّد أحد جزئيه ، فلا يجوز مثلاً أن نقول : كأنّ المريخ منصرف بالليل عن دعوة ، لأنّنا

(١) الدبب : الطبل ، والدبابب : صوت كأنّه لب لب وهي حكاية الصوت : (انظر : لسان العرب : مادة دبب) .

(٢) ديوان الخالديين : ص ١٣٨ .

(٣) ديوان أبي الحسن التّهامي : ص ٤٢ .

(٤) غرائب التّنبهات على عجائب التّشبيهات : ص ٤٠ ، والبيت ليس مثبتاً في ديوان الصّوريّ

(٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص ٦٨ .

لا نشبّه المرّيخ من حيث هيئته وصورته فقط وإتّما من حيث الهيئة التي تحصل له من وجود المشتري أمامه (١). ومثل هذا التشبيه يسمى تشبيه المركّب بالمركّب (٢)، وهو من أحسن ما قيل في سائر التّجوم من التشبيه (٣) فهو تشبيه شيئين بشيئين، وهو من محاسن التشبيه، وقليل الوقوع في الشعر (٤). ويقول كشاجم واصفاً الهلال، وقد أحسن:

أهلاً وسهلاً بالهلال
أو ما تراه يلوح فسي
لربّكدا لعين المبصر
جو السماء الأخضر
قد ركبت في خنجر
(٥)

فالشاعر يشبّه الهلال وقد لاح في السماء الزرقاء أبيضاً لامعاً بالشعيرة من الفضة قد ركبت في خنجر، وهو تشبيه غريب. ويقول القاضي أبو القاسم التنوخي:

أما ترى الروض قد لاقاك مبتدماً
فاخضر ناضره في أبيض يقسق
ومد نحو الندامى للسلام يدا
واصفر فاقعه في أحمر نضدا
فاحمرّ ذا خجلا واصفرّ ذا كمد
(٦)

هذه الأبيات غريبة التشبيهات رائعة الصّور، فقد جعل الشاعر في البيت الأول الروض حياً عظيماً الحسّن، حتى لقد رحب بالقادم ووافاه مسلماً، وفي البيت الثالث يبلغ الشاعر القمّة في تشخيص الروض، فقد كان بعضه أخضر اللون وبعضه أصفر، كأنّه العاشقين ظهر لهما الرقيب، فاحمرّ أحدهما من الخجل واصفر الآخر من الكمد والحزن. ويقول الوزير المهلب في وصف أحد الأيام:

يوم كأنّ سماء
وكان زهرة أرضه
والشمس تظهر مـ
مثل الحصان الأبرش
فرسّت بأحسن مفرش
وتغيب كالمستوحش

- (١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص ٦٨ .
- (٢) انظر : مفتاح العلوم : ص ١٤٤ .
- (٣) انظر : غرائب التّنبهات على عجائب التّشبيهات : ص ١٢٢ .
- (٤) انظر : نفحات الأزهار على نسيمات الأسفار : ص ٢٩٣ .
- (٥) من غاب عنه المطرب : ص ٩٩ .
- (٦) معجم الأدباء : ج ١٤ ، ص ١٢٩ .

شبهت حمرة وجهها _____ بخمار (١) عين المنتشبي (٢)

فالشاعر يشبه السماء * وقد اكتست بالغيوم والبرق يلعب من خلالها بصورة الحصان الأبرش ، وهو تشبيه غريب ، وكذلك فهو يشبه الشمس ، وهي تغيب مرة وتظهر أخرى حمراء اللون ببقية السكر في عين الشمع .
ويقول أبو الفتح البستي في مدح أحد الوزراء :

قل للوزير الكريم قـ_____ولا يغض من ناظر الكريم _____
دارك لي جنة ولكـ_____ن بوابها مالك الجحيم _____ (٣)

فالشاعر يمدح أحد الوزراء فيشبهه داره بالجنة ، وهذا التشبيه معروف ، ولكنه يغرب بعد ذلك عندما يشبه بوابها بمالك خازن نارجهنم ، وهو تشبيه غريب .
ويقول الشريف المرتضى :

أحب ثرى نجد ونجد بعيدة ألا حبذا نجد وان لم تغد قربا
يقولون نجد لست من شعب أهلها - وقد صدقوا - لكنني منهم حبا
كأني وقد فارقت نجدا شقاوة فتى ضل عنه قلبه يبتغي قلبا (٤)

فهذا تصوير رقيق من الشاعر ، فقد شبه نفسه وقد فارق نجدا بمن ضاع منه قلبه ، فأصبح يطلب قلبا .

ومن التشبيه الغريب الطريف قول السري الرفاء يصف الهلال :

جاءك شهر السرور شـ_____وال وغال شهر الصيام مفتـ_____ال
كأنه قيد فضة حـ_____رج فض عن الصائمين فاخـ_____الوا (٥)

فالسري في هذين البيتين اتقى أن الصائمين كانوا في قيد شديد ، وعندما فزع عنهم انكسر نصفين ، واتسع فصار على شكل الهلال . وتشبيه الهلال بالقيد غير معتاد (٦) ويحسن أن يكون التشبيه معللا ، ومن ذلك ما يقوله ابن الحاج :

(١) خمار الخمر وخمرتها ما خالط من سكرها ، وقيل خمرتها وخمارها ما أصابك من ألمها وصداعها وقيل الخمار ببقية السكر . (انظر: لسان العرب : مادة خمر) .

(٢) من غاب عنه المطرب : ص ١١٢ .

(٣) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٣٦٩ .

(٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ١ ، ص ٥٩ .

(٥) أسرار البلاغة : ص ٢٥٢ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

يا صاحب البيت الذي قد مات فيه الضيف جوعا
مالي أرى فلك الرغيفي فلدك مشترفا رفيعا
كالبدل لانرجو السبي وقت المساء له طلوعا (١)
فقد شبه الرغيف بالبدل لعلتين ، أحدهما الاستدارة ، والثانية طلوعه ما (٢)
وقال أبو الحسن التهامي :

وعصابة مال الكرى برؤوسهم ميل الصبا بنوائب الأغصان (٣)
فهذا التشبيه تشبيه جميل لطيف ، حيث شبه الشاعر النوم ، وقد أمال رؤوس تلك
الجماعة التي يتحدث عنها بالصبا وقد أمالت رؤوس الأغصان ، وهو تشبيه عذب ،
فقد جاء الشاعر بالألفاظ الموحية ، وهي قوله " عصابة " و " رؤوس " و " نوائب " ،
وهي من الألفاظ التي تكاد ترقص بهذا المعنى .

وقال أبو بكر الخالدي في الرعد والبرق والسحاب ، وأجاد :

وسحاب يجز في الأرض ذيلتي مطرف ذره على الجـ و زرا
برقه لمحمة ولكن له رعـ سد بطي يكسوا المسمع وقرا
كخلي منافق للذي يهـ واه يبكي جهرا ويضحك سرا (٤)

فالشاعر يبين أن السحاب كان قد دنا حتى لامس الأرض ، وهو مبرق مرعد ، ولكن
برقه كان سريعا ، ورعده كان بطيئا يصيب الأسماع بالوقر . ثم يأتي الشاعر بصورة
غريبة لهذا السحاب ، فيشبهه بالخلي المنافق الذي يتبع الحب ، وليس بمحب ، ولذا
فهو يبكي في العلن أمام محبوبه ، ويضحك في السر .

وقد جاء شعرا * الشيعة ببعض التشبيهات الغريبة في أسلوبها وحسن اختراعها
وسلامته ، ومن ذلك قول ابن الحجاج ، وقد أبدع فيه :

هذي المعجزة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس (٥)

(١) أسرار البلاغة : ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٥٤ .

(٣) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ١٥٢ .

(٤) ديوان الخالديين : ص ٥٤ وغرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات : ص ٥٠ .

(٥) خزنة الألب ، ابن حجة الحموي : ص ٢١٨ .

فالشاعر يشبه المجرة وقد امتدت أمامها النجوم بالنهر الذي يتدفق فسي
حديقة من نرجس . ويقول أبو الحسن التهامي :

(١) والصبح قد غمر النجوم كأنه سيل طغى فطغى على النوار

فهذا التشبيه يمتاز بالجودة والبراعة ، إذ يصور التهامي الصبح وقد لاح في الأفق فأخفى النجوم عن الأنظار بالسيل الذي زاد ماؤه فطغى على النوار وغرقه . وهذا التشبيه للتهامي من التشبيه المختار . (٢)

ويقول أبو فراس الحمداني :

أغمام ما يدريك كيف قتالنا والخييل تحت النقع كالاشباح
(٢) نظفو ونرسب في الدماء كأننا صور الفوارس في كؤوس المراح

يصور أبو فراس في هذين البيتين إحدى المعارك التي خاضها ، فقد تغطت الخييل بالغبار المتصاعد من أرض المعركة ، وكانت تبدو كالاشباح وكان الفرسان يطفون على الدماء تارة ويرسبون أخرى ، وكأنهم صور الفرسان في كؤوس الخمر ، وهي صورة غريبة .

وقد تجاوز الشبيعة في أخيلتهم وتصويرهم الأمور القريبة المحسوسة إلى الأمور المعنوية ، وهي الأمور الفكرية العقلية التي تعتمد على الفكر لإدراكها ، ولذا شَبَّهوا الأمور المحسوسة الملموسة بالأمور المعنوية ، وبرعوا في ذلك ، وهذا - فسي رأينا - يعود إلى ما أفادوه من عِلْمِ الكلام ومجالس المتكلمين من الدقة والرغبة في الإطراف والإغراب ، كما يعود إلى مبدأ التقيّة عند الشبيعة ، إذ جعلهم هذا المبدأ يغوصون وراء التعابير والصّور والأخيلة الغريبة الطريفة .

ويذهب بعض الباحثين ومنهم أبو هلال العسكري إلى أنّ تشبيه المحسوس بالمعنويّ سيّءٌ ، يقول : " وقد جاء في أشعار المحدثين تشبيه ما يرى العيان بما ينال بالفكره وهو رديءٌ ، وإن كان بعض الناس يستحسنه لما فيه من اللطافة والدقة " (٤) . ونحن

(١) يسر الفصاحة : ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٩٣ .

(٣) نصره الثائر على المثل السائر : ص ٢٠٠ .

(٤) الصناعتين : ص ٢٤٢ .

نخالف أبا هلال فيما ذهب إليه ، ونرى أن هذا النوع من التشبيه دليل على الرقي العقلي ، ودقة التفكير ، ففي هذا النوع من التشبيه لا يكتفي الشاعر بالتشبيهات القريبة المبتذلة ، وإنما يتجاوزها إلى مرحلة عقلية أعلى ، إذ إن وجه الشبه الذي يتخيله المرء مع لا وجود له في الحواس دليل على الرقي العقلي ، وهذا التخيل لا يستنى إلا لمن أوتي حظاً عظيماً من راحة الفكر ، أما التشبيهات القريبة فهي متاحة لجميع الشعراء . ويؤيد رأينا هذا ما ذكره طاحب الطراز من أن تشبيه المحسوس بالمعنوي من أطف التشبيهات وأرقها وأبخلها في باب البلاغة ، لأن فيه إلحاقاً للمعاني بالأمور المحسوسة المشتركة في الظهور والجلال ، فيصير التشبيه كأنه تشبيه محسوس بمحسوس ، وفي هذا نهاية البلاغة . (١)

وقد كثر تشبيه المحسوس بالمعنوي لدى شعراء الشيعة ، وكان للقاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي الحظ الأكبر من ذلك . يقول :

ويوم كأن الشمس من تحت غيميه مفاخر قد غطيتها بعيوب
إذا طلعت من فرجة فيه خلقتها مخيلة جدوى من خلال جود
وقد مدت سراً فوقها فكأنما يُعطي بكفران ثواب مثيب (٢)

يتحدث الشاعر عن الشمس ، فيصورها وقد كانت مغطاة بالغيوم بأمر معنوي هو المفاخر وقد غطيت بالعيوب ، ثم يشبه الغيم ، وقد امتد فوقها فغطاها بالجود والكفران يعطي ثواب مانح مثيب ، وهو أمر معنوي ، وهكذا نلاحظ هنا أن الشاعر قد تجاوز التشبيهات المحسوسة الملموسة إلى الأمور المعنوية . ويقول التنوخي أيضاً في وصف النار :

ويوم كأن الشمس من فرط بئره غدا حرها في الأرض برد جليد
شبتنا به نارا كأن ضرامها تورد خد أو فؤاد حود
تذب ذبيب الراح في الروح والتطت تلطي حقد في ضلوع حفود
يفحم كأيام الوصال فعالمه ومنظره في العين يوم صود
كأن لهيب النار بين خلال بوارق لاحت في غمائم سود (٣)

(١) الطراز : ص ٣٠٦ .

(٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ١٢٣ - ١٢٥ .

(٣) المعصر نفسه : ص ٣٦٩ .

فالتنوّخيّ هنا بصوّر النّار تصويراً غريباً لا يأتى إلى الشعراء الآخرين ، فيشبهه ضرام النّار يتورّد الخدّ أو بفؤاد الحود في حرّه وتوقّده ، ويشبه سيرها بسير السّراح في الجسم ، واشتعالها باشتعال الحقد في ضلوع الحفود ، ثم يغرب في التشبيه بصورة أكبر عندما يشبه الفخّم بالصدور في سواده ، وما يفعله من إيقاد النّار بيوم الوصال في لونه . ومعلوم أنّ الوصال والصدور لا لون لهما ، ولكنّ الشاعر يتخيّل ذلك ، وكأنّما يحاول أن يجسّم الصدود والوصال ، وما للصدود من الأثر الأسود ، وما للوصال من الأثر الأبيض في النفس .

ويقود التنوّخيّ أيضاً في وصف الليل :

وَفِرَاقِي مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعٌ	رَبِّ لَيْلٍ قَطَعْتَهُ بِصُدُودٍ
سُنُّ وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ	مُوحِي كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْنُ
سُنُّ لِحَابِ بَيْنَهُنَّ ابْنِي دَاعٌ	وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهِ
تَقَطَّعُ التَّصَمَّ وَالظَّلَامَ انْقِطَاعٌ (١)	مُفْرِقَاتٍ كَأَنَّهُنَّ حِجَابٌ

في البيتين الأول والثاني تشبيه قريب معروف ، إذ يشبه الشاعر الليل فني وحده بإنسان الثّقل الذي تكره العين رؤيته ، وتنفّر الأذن من الاسقاع لحديثه ، وفي البيتين الثالث والرّابع يغرب الشاعر في التشبيه ، فيشبه أمراً محوساً ملموساً هو الليل المظلم تتخلّله النجوم البيضاء اللامعة بأمر معنويّ عقليّ غير ملموس ، هو السّن الواضحة المشرقة وقد ظهرت بينها البِدْعُ الباطلة . فالشاعر يريد أن يفضّل السّن في الوضوح على النجوم ، وأن يجعل البدع أشدّ إظلاماً من دياجي الليل ، مخالفاً بذلك ما شاع عند الشعراء ، فهم يشبهون بالنجوم الهدى والسّن وكلّ ما هو علم ، ويشبهون بالظلام البدع وكلّ ما هو جهل (٢) . وهو تشبيه فكريّ عقليّ يدلّ على سعة التخيّل ، لأنّ الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة بيضاء في جوانب شيء مظلم أسود لا توجد في السّن والابتداع إلا على طريقة التخييل والتصوّر (٣) . وقول التنوّخيّ هذا من أحسن ما جاء في هذا النوع من التشبيه ، وذلك لأنّه قدر المعقول محوساً ، وهو تصوير

(١) بتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

(٢) انظر : المصباح في علم المعاني والبيان والبديع : ص ٥٣ - ٥٥ .

(٣) انظر : معاهد التنصيص : ج ١ ، ص ١٣٥ .

رائع ، فقد تخيّل الشاعر أنّ السنن كأنّها من الأجناس التي لها إشراق ونور ، وأنّ
البدع نوع من الأنواع التي تتّصف بالظلمة والسواد ، فصار ذلك التشبيه كتشبيه شيءٍ
محسوس بآخر محسوس ، فجاز للشاعر التشبيه (١) .
ومن تشبيه المحسوس بالمعنوي قول التنوخي أيضاً :

وليلة كأنها يوم أمـــــــل	ظلامها كالدمر ما فيه خلل
كأنما الاصبح فيها باطلــــل	أزقه الله بحق فبطــــل
ساعاتها أطول من يوم النــــوى	وليلة الهجر وساعات العــــذل
موصدة على الورى أبوابهــــا	كالنار لا يخرج منها من نخل (٢)

يصوّر الشاعر إحدى الليالي ، فيبيّن أنّها ليلة طويلة ، ظلامها دائم مستمر
كأنّه التهر لاينتهي ، ولاينتظر طلوع فجرها ، فقد زال فجرها كأنّه باطل أتلفه
الله فلم يعد موجوداً . وربما كان الشاعر في هذه الأبيات يحاول أن يجسّم الباطل
والحق ويخرجهما في صورة الأمور المحسوسة .

ويتجلى لنا تشبيه المحسوس بالمعنوي لدى التنوخي في حديثه عن السحاب فيشبهه
بالأمن الذي يأتي بعد القلق والخوف ، ثم يصوره كالإنسان المفكّر في هدوئه وإطراقه ،
وكالنادم في وجوهه ، وقد ترامت أطرافه حتى عمّت أرجاء الأرض ، وعندما ينزل
الأمطار الغزيرة على الأرض ، فيحوّل البرّ إلى بحر زاخر ، ويقلب النهار إلى ليل مظلم
شديد السواد يتألق فيه البرق بين أرجاء الغيوم كأنّه ابتسامه المحتاج طالسب
المعروف في وجه العابس البخيل . وهذا من التشبيهات التي أبدع فيها التنوخي ، فقد
شبه السحاب بالأمن بعد الخوف ، وهو أمر معنوي ، كما أنّه أحسن في تشخيص السحاب
عندما صوّره بالنّادم المطرق ، كما أحسن تصوير امتداد السحاب واشتماله على الأرض
عندما صوّره بالمغرب المرفرف . يقول التنوخي :

سحاب أتى كالأمن بعد تخــــوف	له في الثرى فعل الشفاء بعد نــــف
أكبّ على الافاق اكباب مطــــسرق	يفكّر أو كالنّالام المتلثــــف
وهذّ جناحيه على الأرض جنانحــــاً	فراح عليها كالغراب المرفــــرف

(١) انظر : إتمام التّراية : ص ١٥١ ومختصر المعاني : ص ٢٢٩ ، ومفتاح العلوم نص ١٤٦

ونهاية الأرب : ج ٧ ، ص ٤٠ .

(٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٢٣ .

- (١) غَدَا الْبَرُّ بَحْرًا زَاخِرًا وَائْتَنَى الضَّحَى
يُظْلِمَتِهِ فِي ثَوْبٍ لَيْلٍ مَجَّافٍ
(٢) فَعَبَسَ عَن بَرِّي بِهِ مُتَبَسِّمٌ
عَبُوسٌ بَخِيلٌ فِي تَبَسُّمٍ مُّعْتَفِي
ويقول التَّنُوخِيُّ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ مِنْ أَيْبَاتِ :
وَقَصِيدَةِ الْفَاظِهَا
جَاءتِ إِلَيَّ كَأَنَّهَا التُّ

(٣) فِي النَّظْمِ كَالنُّرِّ النَّثِيرِ
تَوْفِيْقٌ فِي كَلِّ الْأُمُورِ

- ومنها :
فَكَأَنَّهَا أَمَلٌ تَحَافٌ
أَوْ كَالْفَقِيدِ إِذَا أَتَتْ
أَوْ كَالْمَنَامِ لِسَاهِرِ
قَقَّ بَعْدَ يَأْسٍ فِي الصُّدُورِ
يَقْدُومُهُ بُشْرَى الْبَشِيرِ
(٤) أَوْ كَالْأَمَانِ لِمُسْتَجِيرِ

يمور لنا الشاعر في هذه الأبيات مدى إعجابه بتلك القصيدة التي يتحدث عنها فيحببها بالدر المنثور ، ثم تخطى ذلك إلى تشبيهها ببعض الاشيا * المعنوية وهي التوفيق فهي كل الأمور ، وبالأمل الذي انتظره الإنسان طويلا ، فلم يحققه ، ولذا شعر باليأس والقنوط ، ثم يعبر عن مدى فرحه بها ، فيشبهها بالبشارة بعودة فقيده ، وبالنوم بعد السهر الطويل ، وبالأمن الذي يعطي للمستجير الخائف ، وهذه التشبيهات دليل على دقة تفكير القاضي التَّنُوخِيِّ وعمقه .
ويقول التَّنُوخِيُّ أَيْضًا :

- أما ترى البرد قد وافيت عاكِرُهُ
وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فانهض يثار إلى فحم كأنهمَا
في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصَّبِّ حين سلا
بردا فصرنا كقلب الصَّبِّ إذ عثقا
(٥)

في هذه الأبيات يعبر التَّنُوخِيُّ عن رحيل الحر ومجي البرد ، ولذا فهو يدعو إلى إشعال النيران من الفحم ، ويشبه النار والفحم بشيئين معنويين هما الظلم والإنصاف فالنار مضيئة كأنها الإنصاف ، والفحم أسود كأنه الظلم في سواده وإظلامه ، والشاعر

(١) اسجف الليل وأسدف : أظلم . (انظر : لسان العرب : مادة سجد ، وماد سدف) .

(٢) يتيمة النهر : ج ٢ ، مهج ٢٤٠ - ٢٤١ -

(٣) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٥) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

هنا يهدف إلى بيان أن الظلم أشدّ ظلماً من الفحْم ، وأنّ العدل أشدّ ضياءً وإعراقاً من النّار . وهذا يدلّ على أنّ الشّاعر ينزِع إلى النّاحية العقليّة ، فتجاوز الصّور والتشبيّهات القريبة المحسوسة إلى التشبيّهات العقليّة الفكريّة التي لا يصل إليها إلاّ من تمتّع بفكر ناقب وخيال مجتّح ، وفي هذا أيضاً تجسيم للظلم والإنصاف ، إذ جعلهما الشّاعر شيئين أسودين وشبه بهما غيرهما من الأشياء .

ويقول ابن طباطبا في وصف يوم ماطر مظلم :

ويوم نحن ذى ضمير متّهم	مثل سرور شابه عارض هم
أو كمضيّ الرأي يقفوه النّدم	يبرز في زيّ ذوي حمّسٍ وذم
عبوس ذى اللّؤم وبشر ذى الكرم	كقبح " لا " خالطه حسن " نعم "
صحو وغيم وضيا وظلمة	كأنه مستعبر قد ابتسم
مازلت فيه عاكفا على صانم	مهفّف الكشح لذيد الملتمزم
ويحانة وقف على لثم وشم	وخصره وقف على قبض وضم
يا طيبه يوماً تولّى وانصرم	وجوده من قصر مثل العادم (١)

فابن طباطبا يغرب في التشبيّهات ، فهو يتحدّث عن يوم مليّ بالتّحّب ، فيشبهه بأمر معنويّ هو السرور الذي خالطه وشابه همّ عارض ، مما أتى إلى تكديره ، كما يشبّهه أيضاً بأمر معنويّ آخر هو النّدم الذي يشعر به المرء بعد الرّأي غير السّديد . وبعد ذلك يشبّهه بعبوس اللثام وبشر الكرام وسرورهم ، فهو كقبح " لا " التي تسدل على البخل وقد خالطه حسن " نعم " التي تدلّ على الكرم والعطا . وقد كان ذلك اليوم يجمع المتناقضات ، فهو متقلّب من صحو إلى غيم إلى ضيا إلى ظلمة . ويأتي الشّاعر بصورة جميلة ، فهو يشبه ضيا . اليوم وقد لاح من خلال الغيوم المظلمة الماطرة بالإنسان البّاكي ، كوقد ابتسم فأشرق وجهه ، والدموع ما زالت تترقرق في عينيه ، وقد كان الشّاعر في هذا اليوم برفقة محبوبه ، ولذا نجد أنّه يبالح في تصوير قصر ذلك اليوم ، فيشبهه بالعدم ، وهذه مبالغة عظيمة في تصوير قصر ذلك اليوم لطيبه وتمتّع الشّاعر به .

(١) من غاب عنه المطرب : ص ١١٠ .

ويقول محمد بن أحمد بن طاطبا العلوي أيضاً :

رب ليل كأنه عقب البغى —————
سي طويل المدى من التعقيب
لاحت الزاهرات فيه كزهري —————
بتللا غب السحاب السكوب (١)

نلاحظ في هذين البيتين أن الشاعر يشبه المحسوسات بالمعنويات ، فهو يشبه الليل في طوله بأمر معنوي عقلي هو عقب البغي ، وما يترتب على الظلم من النتائج والاثار التي تستغرق فترة طويلة من الزمن .
ويقول أيضاً :

كأن الأكتام المشتري في سحابه —————
وبيعة سري في ضمير مذبذب
كأن سهيلاً والنجوم أمامه —————
بعارضها راع أمام القطيع (٢)

في هذين البيتين تشبيهان لطيفان غريبان ، ففي البيت الأول نلمح دقة فكر الشاعر ورهافة إحساسه ، فهو يشبه المشتري ، وقد تغطي بالسحاب ، فأصبح مكتوماً فيه لا يلبث أن يذكيّف عنه فيظهر بشي* معنوي يدل على سلامة الذوق ولدى الشاعر وهو استبداع السر في ضمير امرئ مذبذب لاحتفظ بما استودع . ثم يشبه في البيت الثاني سهيلاً وقد انتشرت أمامه النجوم بالراعي يقف أمام القطيع .
ويقول الشريف المرتضى في وصف قوافي قصيدة جاءته :

وما كن إلا لشكّ يقيناً —————
ولبس جلاءً ولبيل نهارة (٣)

يشبه المرتضى قوافي تلك القصيدة باليقين الذي يزيل الشك والريبة ، والوضوح الذي يزيل كل لبس ، وهكذا فقد أغرب في التشبيه فشبه القصيدة بأمرين معنويين هما اليقين والوضوح ، وهكداً فإنتاجاً أنته قبل جاء* بالتشبيهات الغريبة التي تقوم على تشبيه المحسوسات بالمعنويات . ثم يشبهها في عجز البيت بالنهار .
ويقول المرتضى أيضاً من قصيدة في رثاء أحد أصدقائه :

أقمت مقام الامن فينا أو الغنى —————
وأقلعت اقلاع الغيوث الهواطل (٤)

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ١٥٠ .

(٢) زهر الاداب : ج ٣ ، ص ٧٧٥ - ٧٧٦ .

(٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٤) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ١٤٩ .

فالمرضى يرثي صديقه فيذكر أنه لم يمكث بينهم إلا مدة قصيرة ثم توفّي ،
فيشبهه بالأمن في سرعة انتقاله ، وبذلك فقد شبه المحسوس بالمعنوي ، وقد أبدع
الشاعر في هذا التشبيه ، إذ جاء به مصريا ، وهو من أحسن أنواع التشبيه عند
علماء البلاغة . (١)

ونلمح تشبيه المحسوسات بالمعنويات لدى شاعر آخر هو الصّاحب بن عبّاد ، ومن
ذلك قوله حين أهدى إلى القاضي أبي الحسن الجرجاني عطرا :

يا أيّها القاضي الذي نفسي له في قرب عهد لقائه متناقصة
أهديت عطرا مثل طيب ثنائيه فكأنّما أهدى له أخلاقه (٢)

في هذين البيتين يشبه الصّاحب ذلك العطر بأخلاق القاضي الجرجاني في لطفها
وطيبها ، وبذلك فقد شبه الشيء المحسوس بالهيء الفكري المعنوي ، وقد أغرب في
التشبيه وعكسه ، لأنّ عادة الشعراء رجفوا على تشبيه الثناء بالعطر ، متعبا أنّ ثناء
الجرجاني وأخلاقه هما الأصل في الطيب واللفظ ، ولذا شبه بهما العطر ، وقد برع
الصاحب في هذا التشبيه ، فكلما أغرب الشاعر في التشبيه كان أجمل وأعجب ، ومثل
هذا التشبيه لدى الصّاحب بن عبّاد دليل على ميله إلى الاغراب بتأثير الطابع
الفكري العقلي الذي كان يتسم به شعرا الشيعة ، وربما كان اهداؤه العطر إلى
الجرجاني ومجيئه بمثل هذا التشبيه دليلا على حياة النعيم التي كان يعيشها الصّاحب ،
فقد كان أحد الذين يقفون على رأس أدباء النعيم (٣) .

ويقول الصّاحب أيضا مخاطبا أحد أصدقائه وقد أهدى إليه عطرا في طبق:
فاقبل من الطيب الذي أهديتك ما يسرق العطار من أخلاقك (٤)

ففي هذا البيت يشبه الشاعر العطر بأخلاق صديقه في لطفها ورقتها ، وهو تشبيه
غريب لأنه من تشبيه المحسوس بالمعنوي .

-
- (١) انظر : المثلث السائر : ج ١ ، ص ١٩٥ .
(٢) ديوان الصّاحب بن عبّاد : ص ٢٥٣ .
(٣) انظر : القاضي الجرجاني الأديب الناقد : ص ٤٦ .
(٤) ديوان الصّاحب بن عبّاد : ص ٢٥٨ .

ويقول أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري ، وقد بعث إليه الوزير المهلبّي يستدعيه ، وألح في استدعائه ، وكان أبو النجيب قد غسل ثيابه فبعث إلى الوزير المهلبّي معذراً :

عبدك تحت الحبل عريان	كأنه - لا كان - شيطان
يغسل أثوابها كأنّ الليلى	فيها خليط وهي أوطان
أرق من ديني وإن كان لبي	دين كما للناس أديان
كأنّها حالي من قبيل أن	يتّضح عندي لك إحسان (١)

فالشاعر يشبه نفسه وهو عريان بالقيطان ، ثم يغرب في التشبيه ، فيشبهه أثوابه وقد أصابها الليلى فأصبحت رقيقة بالية يدين الشاعر ، وهو أمر معنوي ، ثم يشبهها بأمر معنوي آخر هو حال الشاعر قبل أن تصل إليه عطايا الممدوح وإحسانه .
ويقول أبو الفتح البستي :

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ	عن كلّ فضلٍ وبرٍ غير محدود
حكّت معانيه في أثناء أسطره	آثارك البيض في أحوالي السود (٢)

يصف الشاعر في هذين البيتين كتاب الممدوح ، فهو مليٌّ بالفضل والبر ، ويشتمل على المعاني المشرقة الواضحة التي تُشبه في إشراقها الآثار البيض التي خلفتها عطايا الممدوح في الأحوال السود المليئة بالبوؤس التي كان يعاني منها الشاعر فالشاعر شبه المحسوس وهو المعاني القائمة في كلمات الكتاب بأمر معنوي هو الآثار البيض في أحوال الشاعر السود . وكأنّما يريد الشاعر هنا أن يجسّم الآثار والأحوال ، ولذا تخيل الآثار بيضا وتخيل الأحوال سودا وشبه بهما غيرهما .

وقال أبو العباس الضبي في قصر الليل :

ولييلة أقصر من	فكري في مقدارها
بدت لعيني وانجلت	عذراءً فسي قرارها (٣)

(١) معجم الأدباء : ج ٩ ، ص ١٤٠ .
(٢) ديوان أبي الفتح البستي : ص ٢٤٣ .
(٣) يتيمة النهر : ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

يشبه أبو العباس الضبي تلك الليلة التي يتحدث عنها بفكره في قصرها ، وهو أمر معنوي عقلي ، وهذا دليل على جنوح الشاعر إلى الإغراب ، وبعده عما هو قريب مبتذل .
ويقول ابن طباطبا :

ربّ ليلٍ كأنّه أُملي فـــــــي ————— ك وقد رُحِتْ عنه بالحرمانِ
جِبته والنجوم تنعش في الافـــــــق ————— وتطرفن كالعيون الزواني (١)

في هذين البيتين يتحدث ابن طباطبا عن الليل ، فيصفه بالظلمة والسواد الشديد ، ولذا شبهه بأمر معنوي هو أمله في الممدوح الذي انتهى بعدم أخذه شيئاً منه ، إذ أنه " لَمَّا كان يقال في الأمر لايرجى له نجاح : قد أظلم علينا هـــــــذا الأمر ، وهذا أمر فيه ظلمة ، ثم أراد أن يبالح في التباس وجه النجح عليه في أمله تخيل أن أمله شخصٌ شديد السواد ، فقام ليله به . كأنه يقول : تذكّرتُ فيما أعلمه من الأشياء السّود ، فرأيت صورة أُملي فيك رائدةً على جميعها في شدّة السّواد ، فجعلته قياساً في ظلمة ليلي الذي جِبته " (٢)

ويقول السلامي :

هبوا إلى شرب المـــــــدا م فانما الدنيا عُـــــــرور
عذراء يكتمها المـــــــزا ج كأنها فيـــــــه ضمير (٣)

يشبه السلامي الخمر - وهي شي* محسوس - في لطفها ورقتها بالضمير - وهو أمر معنوي - مدلاً على صفاتها ، وبهذا نلمح نزعة الإغراب في التشبيه لدى الشاعر .
ويقول النامي في مدح سيف الدولة :

كأنّه أجَلٌ أوطرفه وجـــــــل أو سيفه قَدَر في الرّوح يحتكّم (٤)

تبدو في هذه الأبيات نزعة الشاعر إلى الإغراب في التشبيه ، وتجاوز الأمور المحسوسة إلى الأمور المعنوية ، فهو يشبه سيف الدولة بالأجل ، ويشبه طرقة بالوجل وسيفه بالقدر المتاح الذي يزهق الأرواح ، وكلّها أمور معنوية .

(١) أسرار البلاغة : ص ٢٠٢ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) شعر السلامي : ص ٦٤ .

(٤) شعر النامي : ص ٧٣ .

ويقول السري الرفاء في وصف الشمعة :

مفتولة مجدولة _____
كأنها عمر الفتى والنار فيها كأجل (١)

يدلل الشاعر في هذين البيتين على سرعة انتها الشمعة ، ولذا يشبها بأمر معنوي هو عمر الفتى ، ويشبه النار المشتعلة فيها بالأجل ، وبهذا فهو يتجاوز التشبيهات القريبة إلى التشبيهات العقلية المعنوية .

وقد ظهر لدى الشعراء الشمعة جمال الاستعارات ، فأكثروا منها من أجل التعبير عما يريدون بصورة جميلة لطيفة ، وفيها طرافة وخرابة ، وعن طريق الاستعارة والتشبيه يستطيع الشاعر أن يركز أوصافه وأفكاره وأن يكتشفها ، وتكون الاستعارة أكثر عمقا في الشعر " حين تلتئم الفكرة أو العاطفة مع الصورة الحسية " (٢) ومن هنا فقد برع شعراء الشمعة في الاستعارات ، و " من مختار الاستعارة قول الشريف الرضي :

وما نطفة مشمولة في جمبئ
من البيض لولا برئها قلت دمعاً
وعاها صفاً من آمن الطود فارح
مرنقة ما اسلمتها المدامع

لأنه استعار لأعلى الجبل الأمن عبارة عن الارتفاع وتعذر الوصول إليه ، وهذا لائق محمود في الصناعة ، ومعلوم عند أهلها " (٣) .
ويقول الصاحب بن عباد يخاطب فخر الملك :

يابانبا للقصر بكل للعلا
لم تبين هذا القصر بل صغته
هملك والفرق قد سيان
تاجا على مفرق جرجان (٤)

في هذين البيتين يصور الصاحب جرجان صورة جميلة ، فقد شبها بالإنسان ، وجعل لشعرها مفرقا ، ثم جعل القصر تاجا موضوعاً على هذا المفرق ، وهذه صورة جميلة لأنها تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز (٥) . فقد بالغ الصاحب في تشخيص

(١) ديوان السري الرفاء : ص ٢٢٩ .

(٢) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ص ٦١ .

(٣) أسرار البلاغة : ص ١٥٥ .

(٤) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٨٨ .

(٥) انظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ص ٩٤ .

جرجان فلم يكتف بتشبيهها بالإنسان وإنما زاد أن جعل القمر تاجاً موضوعاً على مفرقها .

ويقول الصاحب أيضا :

إِنَّ أُمَّ الصَّدْقِ فِي السُّودِ دَلْمَقْلَاةٌ نَسْرُورُ (١)

فالشاعر يقصد في هذا البيت أن الصدق في الود لا يوجد إلا في القليل من الناس وقد عبّر عن ذلك بصورة جميلة ، فجعل للصدق أمّاً ، وبذلك فقد شخصه ، مُظهراً إيّاه بصورة الإنسان .

ويقول الشريف المرتضى :

زارني والرقادُ مِنِّي وَمِنْهُمُ
زورة زوّرت عليّ ولو كسا
داخل في العيون من كل باب
نت يقينا لما شفت بعض ما بي (٢)

يذكر المرتضى أن الطيف قد طرقة في الليل وأصحابه نيام لم يدعروا به ، وقد عبّر عن ذلك تعبيراً رائعاً ، وذلك بأن جعل النوم داخل في عيون أصحابه من جميع الأبواب والجهات ، ويريد من ذلك أن يبيّن أن النوم مستقر في عيون أصحابه ، وتمكّن منهم . (٣)

وهذه صورة فنيّة رائعة جاءت بها الشاعر إذ جعل النوم داخل في عيونهم من كل باب ولم يكتف بالتغييرات القريبة من أن أتباعه كانوا نياماً .
ويقول السري الرفاء :

أقول لحنان العشيّ المغرّد
تبسم عن ربي البلاد حيثُ
يهز صفيح البارق المتوقّد
ولم يبتسم إلا لإنجاز موعده (٤)

وبعده بأبيات يقول :

ويا دبرها الشَّقِيّ لازل رائحُ
عليلةٌ أنفاسِ التّرياح كأنما
يحلّ عقود المزن فيك ويغندي
يعن بما* الورد نرجسها الندى

- (١) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٢٧ .
- (٢) طيف الخيال : ص ١٣٤ - ١٣٥ والبيتان غير مثبتين في ديوان الشريف المرتضى .
- (٣) انظر : طيف الخيال : ص ١٣٥ .
- (٤) ديوان السري الرفاء * : ص ٩٧ .

يشق جيوب الورد في شجراته —————
نسيم متى ينظر إلى الماء يسبرد (١)
وفي هذه الأبيات استعارات جميلة مختارة ، تدلُّ على بَرَاةِ القَاعِ ، " أمَّا
- حنان العشي المفرد - فمعروف ، والعادة جارية باستعارة الحنين والتغريد للغيث
لأنَّ له صوتاً على كلِّ حال ، وكذلك - صفيح البارق - وأعبه شيء بالبرق لمع السيوف ،
والتبسُّم فيه أيضاً - ظاهر لظهور بَرَقَةٍ وفي خلاله ، وعقود المزن لاثقة لتشبيه الماء
مع القطرات والدمع بالعقد اذا وَهَى من سلكه ، وأنفاس الرياح تكاد تكون حقيقة
لوضوحه ، واستعمال العلة فيها كناية عن الضعف والخفوق وقلة الحركة على
وجه التشبيه بالمريض وجيوب الورد مختار لأنَّ التتسيم إذا أظهره من أكمامه ونشره
عن طيبه بعد ذلك كان بمنزلة الجيوب التي تشقُّ ، وعبارته عن سرعة برد الماء بالنسيم
أنه متى نظر إليه برد مَرَضِيَّةً لأنَّ النظر ليس هو الرؤية ، وإنما هو ضرب من المقابلة
والمواجهة تقع الرؤية بعده ، ومثل هذا في النسيم موجود ولائق غير بعيد. " (٢)

وهكذا فقد جاء الشَّيعة في بعض صورهم وأخيلتهم بالتشبيهاً التقليديَّة
المعروفة لدى الشعراء ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، وإنما أغربوا في التصوير
والخيال فجاءوا بالتشبيهاً الطريفة ، وبلغوا أوج إغرابهم بإخراجهم التشبيه عن
إطار الأشياء المحسوسة ، فشبَّهوا الأمور المحسوسة الملموسة بالأمور العقلية المعنوية
التي لا وجود لها إلا في أذهان الشعراء ذوي النزعة العقلية الجامعة .

المعاني

رأينا أن الشَّيعة كانوا فرقة إسلامية كلامية ، اشتهر كثير من علماءها
بالحجاج والمناظرة والمجادلة من أجل الدفاع عن آرائهم ومبادئهم واقتناع
الخصوم بصحتها ، ولذا كان من الأمور الطبيعية أن يميل شعراء هذه الفرقة إلى
استنباط المعاني الجديدة وتوليدها ، وآلا يكتفوا بالمعاني الشائعة عند
الشعراء ، وكان طبيعياً أيضاً أن نجد عندهم ميلاً إلى الإطراف والإغراب والدقة
في التفكير ، ولذا فإننا نجد أن شعراء الشَّيعة قد أغربوا في استنباط المعاني

(١) ديوان السري الرفاء : ص ٩٨ .

(٢) سُرَّ الفصاحة : ص ١٥٦ - ١٥٧ .

الجديدة وعنوا بتوليد غرائبها ، فكثر لدى شعرائهم سلامة الاختراع (١) ، فاخترعوا المعاني الجديدة التي لم يسبقوا إليها ، ومن سلامة الاختراع قول ابن حجاج :
تراني والمولى الذي أنا عبده طريقان في أمر له طرفان
بعيداً تراني منه أقرب ما تسرى كأنني يوم العيد في رمضان (٢)
فالشاعر يشبه نفسه ومولاه بيوم العيد من شهر رمضان فهما بعيدان قريبان ، وهذا من المعاني المبتكرة التي تمتاز بسلامة الاختراع .

ونجد سلامة الاختراع عند كثيرين من شعراء * الشيعة ، يقول المحسن بن عليّ التنوخيّ :

خَرَجْنَا لِنَسْتَقِي بِيَمِينِ نُعَائِيهِ وَقَدِ كَادَ هَدْبُ الْغَيْمِ أَنْ يَبْلُغَ الْأَرْضَا
فَلَمَّا ابْتَدَأَ يَدْعُو تَفَقَّعَتِ السَّمَاءُ فَمَا تَمَّ إِلَّا وَالْغَمَامُ قَدْ انْفَضَّ (٣)

فالتنوخيّ يبيّن أنّه خرج مع بعض الأشخاص يستسقون ، وقد كان الغيم متلبداً في السماء ، يكاد هديه أن يلامس الأرض ، فالسما * كانت على وشك أن تمطر ، فلما ابتدأ ذلك الداعي الذي خرجوا يستسقون بيمين دعائه يدعو تبددت الغيوم وزالت ولم يرجع إلّا وقد ثلاث نهائياً ، ويذكر الثعالبي أنّ هذا المعنى طريق كان القاضي التنوخيّ هو السبّاق إليه دون غيره . (٤)

ومن المعاني المبتكرة قول الصّاحب بن عباد :

قلت قد قيل بدأ شعره بمثل ذلك الشعر لا يدعـر
هل زغبُ الحسن له ضائـر ذا القمر السّمّ به يقمـر (٥)

فالصّاحب يتحدث هنا عن غلام أمرد بدأ شعر وجهه بالظهور ، فيبيّن أن ذلك الشعر لا ينقص من جماله لأنّه ليس إلّا زغب حسنه . وقد ذكر الثعالبي أنه لم يسبق الصّاحب أحدٌ إلى مثل هذا القول ليخطّ العارض . (٦)

- (١) سلامة الاختراع هو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق إليه ، ولم يتبعه أحد فيه " حسن التّوهّل إلى صناعة التّرسّل : ص ٢٩٦ ، ونهاية الأرب : ج ٧ ، ص ١٦٤ .
- (٢) حن التّوهّل إلى صناعة التّرسّل : ص ٢٩٨ ، ونهاية الأرب : ج ٧ ، ص ١٦٥ .
- (٣) معجم الادبا * : ج ١٧ ، ص ٩٥ .
- (٤) يتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٣٤٥ .
- (٥) ديوان الصّاحب بن عباد : ص ٢٣٢ .
- (٦) انظر : شمار القلوب : ص ٥٤٣ .

ومن ذلك أيضاً ما يقوله الشريف المرتضى في طيف المحبوب :

وَجَادَ حِلًّا وَاللَّجَى يِعَارُتَنَا
بِنَائِلٍ لَوْ كَانَ صُبْحًا حَرَمًا (١)

فالشاعر يبيِّن أنَّ المحبوب قد بَدَّلَ له الطيفَ ليزوره ، وبذلك فقد حمى منه
الزيارة الحقيقية المحرَّمة في الصباح . وهذا المعنى - كما يقول المرتضى - معنى
غرب لم يعرف له سابقاً . (٢)

ويقول المرتضى أيضاً :

أَلَمْتَبْنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ وَرَبَّمَا
فِيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ عَطَطْتُ بِيَاضًا
فَحُبِّ بِهِ مِنْ بَاذِلٍ لِي حَلَالًا
وَمَنْ مَلْتَقَى عَنَبَ الْمَذَاوِرِ تَحْتَهُ (٣)

فالمرتضى يبيِّن أنَّ طيفَ المحبوب قد زاره ، وبذلك فقد قدى المحبوب الزيارة
الحقيقية ، وقد بيَّن المرتضى أنَّ البيتينِ الثاني والثالثَ تضمنا معنى في الطيفِ غربياً
لم يظفر له المرتضى حتى وقته بشبيهه ، لأنَّ المتعة بالطيف حلال لا إثم فيها ، وإنما
يُتَكُونُ حراماً وعاراً وإثماً إذا كان في البيضة وعلى الحقيقة . (٤)

ويقول الشريف الرضي :

مَنْ الْقِسِيِّ مِنَ التُّحُولِ فَإِنْ سَمَا
طَلَبَ فَنَنْ مِنَ النَّجَاةِ الْأَسْهُمِ (٤)

فالرضي يشبه النياق بالقسي في تحولها ، ثم يشبها بالأسهم في سرعة
النجا* والخلص ، وهو لم يسبق إلى هذا المعنى لأنه جمع فيه بين القسي والأسهم . (٦)

ويقول مهيار الديلمي :

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ السَّبِيلِ قِيَابَهُمْ
يَتَفَارَعُونَ بِهَا عَلَى الضَّيْفَانِ

- (١) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢١١ .
- (٢) انظر : طيف الخيال : ص ١٥٥ .
- (٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٢٢ .
- (٤) انظر : طيف الخيال : ص ١٤٦ .
- (٥) ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
- (٦) الغيث المصنوع : ج ١ ، ص ٣٠٩ .

ويكاد موقدها وجود بنفسه - حبّ القرى - خطبا على النيران (١)

فالشاعر هنا جاء بمعنى مبتكر هو أنّ الممدوحين قد ضربوا قبا بهم على جانبي الطريق من أجل ضرب القرعة على الضيوف ، فكلّ منهم يحاول أن يفوز في القرعة بتضييفهم ، ثم يجعل الشاعر موقد النار للقرى وإرشاد الضيوف يلقي بنفسه على النيران ، جاعلا من جسده خطبا لها ، وهذا أقصى درجات الكرم ، وهو معنى مبتكر . ويقول أبو الحسن النعماني :

والصبحُ قد أخذتُ أنا ملُ كَفِّهِ في كلِّ جَيْبٍ لِلظَّلامِ مُزَّرِرٍ (٢)

في هذا البيت يعبر الشاعر عن مجيء الصباح واختلاطه بآخر ظلمة الليل ، ولذا نجده قد شخص الصباح ، فجعل له كفاً ، وقد أخذت تحلّ جيوب الظلام المزررة ، وهذا المعنى معنى مبتكر في التعبير عما فعله الصباح بالظلام . ومن المعاني المبتكرة قول أبي بكر الخوارزمي :

عليك بإظهار التجلّد للعـدا ولا يظهرنّ منك الذبول فتحقرا
أست ترى الريحان يشتمّ ناضراً ويطرح في الميضاة لَمّا تَغَيَّرا (٣)

هذا المعنى جديد مبتكر ، فأبو بكر الخوارزمي يطالب المرء بأن يتجلّد أمام الأعداء ، وآلا يظهر أي عجز فيحتقر وتهبط منزلته لديهم ، ويستدل على صدّة ذلك بأنّ الريحان يشتمّه الناس ويحبّونه ويُعلّون منزلته ما دام نضراً أخضر ، ويلقونه بعيداً عندما يتغيّر .

ومن المعاني المبتكرة المخترعة قول أبي العلاء السروي :

مرّنا على الروض الذي قد تبسمت ربا وأرواح الأباريق تسفك
فلم تر شيئا كان أحسن منظرا من الروض يجري دمه وهو يضحك (٤)

فالشاعر هنا جاء بمعنى مبتكر عندما صورّ الروض ضاحكاً باكياً ، فقد كانت رباه مغطاة بالأزهار المختلفة ، وقد نزلت عليه الأمطار الغزيرة ، وبذا كان ضاحكاً باكياً

(١) ديوان مهيار الديلمي : ج ٤ ، ص ٥١ ، والمرقصات المطربات : ص ٦٢ .

(٢) ديوان أبي الحسن النعماني : ص ٢٣١ ، والمرقصات المطربات : ص ٦٢ .

(٣) المرقصات المطربات : ص ٥٩ .

(٤) المصدر نفسة والصفحة نفسها .

ويقول الخيَّاز البلديّ وهو من المعاني المبتكرة: (١)

نُرَى شَجَرٌ لِلطُّبْرِ فِيهِ تَفَاجِيرٌ كَأَنَّ صَنُوقَ النَّوْرِ فِيهِ جَوَاهِرُ
كَأَنَّ الْقَمَارِي ، وَالْبَلَابِلُ حَوْلَنَا قِيَانٌ وَأُورَاقُ الْعُصُونِ سَتَائِرُ (٢)

في هذين البيتين معنى رائع وتشبيه جميل ، فالشاعر يشبه الطيور التي كانت تغرد تغرد حولهم في الروض من وراء أوراق الأشجار بالقيان اللواتي يغنين من وراء الستائر ، وهو معنى طريف مبتكر .

ومن المعاني المبتكرة قول كشاجم الرَّمليّ: (٣)

فُديت زائرة بالعيد واصلية والهجر في غفلة عن ذلك الخبير
فلم يزل خدّها ركنا أطوف به والخال في خدّها يُغني عن الحجر (٤)

فهذا المعنى جديد مخترع ، ابتكره الشاعر عندما تحدّث عن تلك الزائرة التي زارته في العيد فيشبه قدها بالركن والخال في خدّها بالحجر الأسود ، وهو معنى مبتكر لم يتطرق إليه الشعراء ، ولم يأت أحدهم بمثل هذا التشبيه .

ومن المعاني المبتكرة قول أبي فراس الحمدانيّ عندما وجّه سيف الدولة جيشاً فيه أبو فراس فنصّر ، يقول: (٥)

وكنا كالسهم إذا أصابت مرّاميهّا فراميهّا أصابا (٦)

فالشاعر هنا يشبه نفسه وأصحابه وقد أرسلهم سيف الدولة إلى العدو بالسهم التي إذا أصابت أهدافها ، فإن راميهّا يكون قد أصاب ، وهو معنى مبتكر ، قصد الشاعر منه أن يبيّن أنّ سيف الدولة هو الذي انتصر على الأعداء وليس الجيوش ، فسيف الدولة كمن يرمي سهامه فإذا ما أصابت فإنّ الفضل في ذلك عائد إليه لا للسهام .

ومن المعاني المرقعات أي المبتكرة قول السريّ الرّفاّء: (٧)

(١) المرقعات المطربات : ص ٥٩ .

(٢) شعر الخيَّاز البلديّ : ص ١٨ .

(٣) المرقعات المطربات : ص ٥٣ .

(٤) ديوان كشاجم : ص ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٥) المرقعات المطربات : ص ٥٥ .

(٦) شرح ديوان أبي فراس الحمدانيّ : ص ٥١ .

(٧) المرقعات المطربات : ص ٥٧ .

بنفسي من ردّ التَّحِبَّةِ ضاحِكاً
فَجَدَّدَ فِيهِ بَعْدَ يَأْسِي مَطْمَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي (١)

في هذين البيتين معنى مبتكر وصورة عجيبة ، فالشاعر يبيِّن أنَّ محبوبه قد حياهُ ضاحكاً مما جدَّد أملَ الشَّاعر في وصال المحبوب بعد أن كان يائساً ، ولكنَّ فرح الشَّاعر لم يكتب له إذ سرعان ما تساقطت الدُّموع من عينيه ، ممَّا حال بينه وبين رؤيته المحبوب ، فكأنَّ دموع العين تشارك الشَّاعر في حبه محبوبه .

ويقول الشَّريف الرُّضي ، وهو من المعاني المبتكرة : (٢)
وَاسْتَمَلًا حَدِيثٌ مَنْ كَانَ الْخَيْفُ
فَاتَنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرْفِي
فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي (٣)

فالشَّريف المرتضى هنا يبيِّن أنَّه لا يمكن من رؤية الخيف حيث يقيم المحبوب ، ولذا فهو يتمنَّى أن يراه بسمعه وذلك بالاستماع إلى الأحاديث عنه ، ولذا فهو يطلب إلى صاحبه أن يُكثِر من ذكر الخيف وأهله .

ومن المعاني المبتكرة الغريبة ما جاء به أبو فراس الحمداني حين صوّر رجوعه منتصراً من إحدى المعارك ، فقد جعل الخَيْلَ تعرف الفرسان الذين يركبونها ، ولذا فقد أخذ بعضها يتعالى على بعض تبعها لمنزلة الفرسان الذين يركبونها ، يقول :
وَعَدَّتْ أَجْرُ رُحْمِي عَنْ مَقَامِ
تَحَدَّتْ عَنْهُ رَبَّاتُ الْحِجَالِ
كَأَنَّ الْخَيْلَ تَعْرِفُ مَنْ عَلَيْهَا
فَلَمَّا بَعْضُ عَلَيَّ بَعْضُ تَعَالِي (٤)

وهكذا نجد أن الشعراء الشيعة قد جاءوا بالمعاني الغريبة المبتكرة ، ولم يكتفوا بما هو شائع لدى الشعراء الآخرين من المعاني القريبة الشَّهلة .

ومن السمات التي اتسمت بها معاني الشعر لدى الشيعة الغرابة ، فلم يكتسِف شعراؤهم بالمعاني المبتذلة المطروقة ، وإنما أرخوا لعقولهم وقرائحهم العنان ، فجاءوا بالمعاني الغريبة في نسجها وطريقة عرضها ، وقد وجدت هذه المعاني الغريبة

(١) ديوان الشَّريف الرُّضي : ص ١٢٠ .

(٢) المرقعات المطربات : ص ٥٢ .

(٣) ديوان الشَّريف الرُّضي : ج ١ ، ص ٦٥٧ - ٦٥٨ ، والمرقعات المطربات : ص ٥٢ .

(٤) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٢٣ ، والمرقعات المطربات : ص ٥٥ .

عند شعراء الشيعة بصورة عامة ، وعند الشريف المرتضى بصورة خاصة ، فقد أكثر المرتضى من المعاني الغريبة إلى حد كبير ، ولعل ذلك يعود إلى أنه كان من علماء الكلام الذين اشتهروا بالجدل والمنطق ، وإلى ثقافته الواسعة ومعرفته بالكثير من العلوم .

يقول المرتضى متحدثاً عن الشيب :

لَوْنٌ تَرَاهُ نَاصِعاً حَسْبِي إِذَا خَلَفَ الشَّبَابَ فَلَيْسَ بِالْمُسْتَنصَحِ (١)

فهذا البيت " غريب المعنى ، لأن لَوْنَ البياضِ أُنصَعُ الألوانِ وأشرفها وأحسنها ، هذا في الجملة ، وإذا كان البياضُ بدلاً من الشَّبَابِ كان مستقبحاً مستهجناً ، منفوراً عنه متباعداً منه ، وهذا من عجائب لون الشيب ومن لطيف ما نبه عليه وأشير إليه (٢) ويقول المرتضى أيضا :

يَاهِنْدُ إِنْ أَنْكَرْتَ لَوْنَ ذَوَائِي سَبِي وَوَرَاءَ مَا يَدْنَتْهُ عَيْنُكَ مَظْلَمَةٌ أَوْ مِيزُ شَيْبٍ أَمْ وَمِيزُ بِيَوَاتِي سِرٍ وَكَأَنَّ طَلْعَةَ شَيْبَةٍ فِي مَفْزَعِي وَمُعَبَّرِي شَيْبِ الْعِذَارِ وَمَا تَرَى وَيَقُولُ لَوْ غَبَّرْتَ مِنْهُ لَوْنَهُ	فَكَمَا عَهَدْتَ خَلَائِقِي وَطَرَائِقِي مَا يَشُتُّ مِنْ خُلُقِي يَسْرُكُ رَائِي سِقِ قَطَعَنَ عِنْدَ الْعَانِيَاتِ عَلَائِقِي عِنْدَ الْقَوَائِي ضَرْبَةً مِنْ قَالِي سِقِ أَنَّ الشَّبَابَ مَطِيَّةٌ لِلْفَاسِقِ هَيْهَاتَ أَبْدِلْ مُؤْمِنًا بِمُنَافِقِ (٣)
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

في هذه الأبيات معان غريبة ، فالمرتضى يبيّن أنه تغيّر شعره ، ولكن صفاته وأخلاقه لم تتغيّر ، وهو معنى قريب متداول ، وقد أنزل الشاعر في البيت الرابع حلول الشيب في الرأس منزلة حلول الضربة الفالقة ، لأنّ هذا الحُكْمَ موقوف على النساء ، وهن اللواتي يجزغن من حلول الشيب دون الرجال ، فالرأس بعد الشيب كالرأس الفليق لا منفعة فيه ، وقد وصف المرتضى في البيت الخامس الشيب بأنّه مطيئة للفاسق ، وهو معنى قريب ، ولكنه أغرب في المعنى عندما وصّف الخُضَابَ في البيت الأخير بأنّه منافق والشباب بأنه مؤمن فهذا وصف غريب ومعنى غريب ، لا يعرفه نظير

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
(٢) الشهاب في الشيب والشباب : ص ١٢٨ .
(٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

عند الشعراء ، لأن المؤمن لافرق بين ظاهرة وباطنه فهما سوا* ، والشيب إذا لم يخضب كان كذلك لافرق بين ظاهرة وحقيقته والمنافق يختلف ظاهره عن باطنه ، وكذلك الشعر المخبوب فإن ظاهره لايشبه باطنه. (١)

ويقول المرتضى أيضا :

تَقَاسَمَ اللَّيْلُ وَالْإِصْبَاحُ بَيْنَهُمَا
أَعْطَى نَهَارِي وَلَيْلِي جُلَّ مُنْعِيهِمَا
لِللَّيْلِ سُودِي وَلِلصُّبْحِ الْمُنِيرِ إِذَا
فَنَوْبَةُ اللَّيْلِ قَدْ وَلَّتْ كَمَا نَزَلَتْ
عَمْرِي فَمِنْ حَاصِدِ طَوْرًا وَمِمَّنْ زَرِعِ
فَنَسَجُ أَيْدِي الدُّجَى ثُمَّ الضُّحَى خَلَعِي
جَلَاءَ شَيْبِي فَلُومِي فِيهِ أَوْ فَدَعِي
وَنَوْبَةُ الصُّبْحِ مِنْ هَذَا الْمَعِيبِ مَعِي (٢)

فالشاعر يبيّن أنّ الليل والنهار قد تقاسما عمره ، فأصبح نصف شعره أسود ونصفه أبيض ، فلليل شعره الأسود ، وللصبح شعره الأبيض ، وقد ولت نوبة الليل، وبقيت مع الشاعر نوبة الصبح من المعيب . ويقول المرتضى متحدّثاً عن هذه الأبيات : " هذه الأبيات متضمنة لمعنى غريب ، لأنّ هذا القسم والتوزيع على الليل والنهار من الشيب والشباب عبيها ونظيرهما ما وجدته إلى الآن علي هذا الترتيب في شيء من الشعر المأثور" (٣)

ومن المعاني الغريبة قول المرتضى أيضا :

عَجِبْتُ بِأَظْمِيٍّ مِنْ شَيْبٍ غَدَا
قَلْبِي ظُلْمًا كَالثُّغَامِ لَوْنُهُ
صَيْغُ الدُّجَى أَبْعَدُ عَنْ فَاحِشَةٍ
مَنْتَشِرًا فِي مَفْرَقِي مُبْتَدِمًا
وَلَوْ مَا تَبَغَّبِنَ يَحْكِي الفَحْمَا
وَلَمْ يَزَلْ صَيْغُ الدُّجَى مُتَهَمًا (٤)

فهذه الفتاة ظالمة ، لالتشبيها الشيب بالثغام ، وهو أشبه شيء به ، ولكن لأنها بذلك ذمّت الشيب ، ولهذا عورضت بأنّ لون الشباب الذي تهواه يشبه الفحم ، والثغام أفضل منه ، والبيت الثالث معناه غريب وعزيز الوقوع وذلك " لأنّ النهار نفسه وما يشبهه بالنهار من الشيب أبعد من الفواحر والقبائح ، أما النهار فإنّ نفسه يظهرها ويسترها ، والشيب بعضه يزرع عن ركوبها وصاحبه في الأكثر عند الناس مسنّره

- (١) الشهاب في الشيب والشباب : ص ١٣٢ .
(٢) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٢٢١ .
(٣) الشهاب في الشيب والشباب : ص ٢١٩ .
(٤) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢١١ .

عنها ، وصبغ الدجى الذى هو الليل نفسه وما يشبه به الشباب أدنى الى القبائح ، لان الليل يستر القبيح ويخفيه ، والشباب يدعو الى اقتراف القبيح ، ويعلق على صاحبه منه ما يعلق على ذى الذببة " (١) . وقد أكثر المرتضى من المعاني الغريبة في أشعاره . (٢)

ونجد المعاني الغريبة عند العديد من الشعراء الشيعة الآخرين غير المرتضى ومن ذلك ما نجده عند ابن الحجاج عندما عزل عن الحسبة ، فقد بين أن ولاة الامر قد عزلوه وصفعوه (٣) . وهو من المعاني الغريبة . (٤)

ويقول أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي في الخمر :

ومدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء
فالراح شمس والحباب كواكب والكف قطب والانا سماء (٥)

ونلاحظ هنا أن الشاعر يتحدث عن الخمر فيصورها صفراء اللون موضوعة في قارورة زرقاء تحملها يد الساقى البيضاء الجميلة ، ثم يشبه كل واحد من هذه الأشياء ، فيشبه الراح بالشمس ، والحباب الذى على وجهها بالكواكب ، ويشبه كف الساقى بالقطب في بياضها والانا بالسماء في زرقته .

ويقول ابن طباطبا :

انظر الى زهر الرياض كأنه وشي تنشره الاكف منمنم
والنور يهوى كالعقود تبسدت والورد يخجل والاقاحي تبسم
ويكاد يذرى الدمع نرجسها اذا أضحى ويقطر من شقائقها الدم (٦)

- (١) الشهاب في الذبب والشباب : ص ٩١ .
- (٢) انظر : ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٩٨ ، ج ٣ ، ص ٦٩ ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .
- (٣) انظر : الوافي بالوفيات : ج ١٢ ، ص ٣٥٣ .
- (٤) انظر : المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها .
- (٥) ديوان الخالديين : ص ١١ ، والمرقصات المطربات : ص ٥٧ ، وفيه نسب البيتان الى سعيد بن هاشم الخالدي .
- (٦) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٢٢٢ .

فقد جاء الشاعر بهذا المعنى وهو " معنى بديع في تلك الدقائق لم يسبق إليه ، وذلك أنّ الحكما قالوا إنّ لون الماء لون إنائه ، فلما كانت الدقائق كالإناء لطلّها ظهر عليها أحمر كالدم " (١).

ومما نجده في معاني الشعر لدى الشيعة ظاهرة التكرار ، فقد أكثروا من تكرار المعاني سواء لدى الشاعر الواحد أو لدى شعرا مختلفين ، وهذا يدل على وجود مسائل مشتركة تملأ عليهم تفكيرهم ، كما أنّ هذا الأمر طبيعي وبخاصة بين الشعراء الذين ينتمون إلى مذهب واحد أو مدرسة واحدة - وقد شاع هذا التكرار لدى شعرا الشيعة .

يقول الشريف الرضي :

أَصَابُ بَذَا لَقَدْ عَظَمَ الْمَصَابُ	أَعْتَرَا بَارِزَمَانَ وَيَا شَبَّابُ
وَحَلَقَ عَن مَفَارِقِي الْغُرَابُ	وَمَا جَزَعِي لِأَنْ غَرَبَ التَّمَايُوسِي
قَلْبِي وَأَمَّا لِنَبِي عَنهَا اجْتِنَابُ	فَقَبِلَ الشَّيْبَ أَهْلَفْتُ الْغَوَايُوسِي
(٢) الْمَدْيِبُ وَلَمْ يُنَزِّقْنِي الشَّابَابُ	عَفَفْتُ عَنِ الْحِصَانِ فَلَمْ يَرْعَ عَيْنِي

فالمعنى في هذه الأبيات للرضي يشبه معنى بيت آخر له وهو قوله :

(٣) ولم أك قبل وسعك لي محبباً فيبعد بي بياضك عن حبيبي

فالمعنى في الأبيات الأولى وهذا البيت الأخير واحد ، وهو أنّ الرضي لم يكن قبل حلول الشيب محبباً ، ولذا لم يخف عند حلوله ، لأنّه ليس له محبوب يخشى أن يبعده عنه الشيب .

ويقول الصاحب بن عباد متغزلاً :

(٤) قَبْلَ فَمَيِّ إِنْ كُنْتُ لِي مَوْتِيْرَا فَالْيَدِ لَا تَعْرِفُ مَا الْقَبْلِيَّةُ

وقد كرر هذا المعنى في قوله :

(٥) وَشَبَابٍ جَمَالِهِه تَقْصُرُ عَنْهُ صَفِيْتِي
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ بِيْتِي فِقُلْتُ : لَا بَلَّ عَفَايْتِي

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ص ٢٢٢ .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٠٢ ، والشهاب في الشيب والشباب : ص ٢٩ .

(٤) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٦٩ .

(٥) المصدر نفسه : ص ١٧٥ - ١٧٦ .

ومن المعاني التي تكررت لدى الشاعر الواحد تمنّي الشاعر ألا يكون الناعي مادقا في إخباره بوفاة المرثي ، ومن ذلك قول الشريف المرتضى :

أَتَانِي طَرُوقًا وَهُوَ غَيْرُ مُحَسَّبٍ وَكَمْ جَاءَ مَا لَا تَفْتِي النَّفْسُ طَارِقًا
وَدَدْتُ وَدَادًا أَنَّهُ غَيْرُ صَائِقٍ وَكَمْ قَاتَلَ مَا كُنْتَ أَهْوَاءَ مَا دَقَا (١)

وقد كرر هذا المعنى في قوله :

وجهدت كلَّ الجهد وهو مُحَقَّقٌ لمقاله أَنْ كَانَ غَيْرَ مُحَقَّقٍ (٢)

وقد كثر تكرار المعاني بين الشعراء الشيعة ، فكثيراً ما جاء أحدهم بمعنى

ثم كرره الآخر ، ومن ذلك قول الشريف الرضي :

مَا لِلْبَيَاضِ وَالشَّعْرِ مَا كُلُّ بَيْضٍ يَغُرُّ
صَفَقَتُ غَبْنٍ فِي الْهَوَى بَيْعٌ بِبِهِمِ بَاغَرٍ (٣)

فالرضي يقول " ما كل بيض يغرر " وهذا معناه أن بياض اللون قد يشترك فيه

الممدوح والمذموم ، والمحمود والمكروه . ومعنى البيت الثاني هو " أن من باع

الشباب وهو البهيم بالمشيب وهو الأغر فقد غبن ، وموضع العجب أن الأغر أفضل وأنفس

من البهيم ، فكيف انعكس ذلك في الشيب والشباب " (٤) . ونظير هذا المعنى من شعر

الشريف المرتضى ، قوله :

إِنَّ الْبَهِيمَ مِنَ الشَّبَابِ الَّذِي فلتَعَذِّنِي أَوْضَاحُهُ وَحُجُولُهُ (٥)

ويقول الشريف الرضي :

لأَجْعَلَنَّ دَلِيلَ الْمَرْءِ صُورَتَهُ كَمْ مَخْبَرٍ سَمِعَ فِي مَنْظَرٍ حَسَنِ (٦)

فالشاعر يطلب إلى الإنسان ألا يفتخر بالمظهر ، وألا يعتبر صورة المرء دليلاً

عليه ولا مقياساً لأهميته ، فالمهم في ذلك هو جوهر المرء ، وقد كرر هذا المعنى

أبو الحسن التهامي فقال :

(١) ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٣) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ٤١٣ .

(٤) الشهاب في الشيب والشباب : ص ١١٣ - ١١٤ .

(٥) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٤ . والشهاب في الشيب والشباب : ص ١١٤ .

(٦) ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

- (١) يَطُولِهِمْ فِي الْمَعَالِي لِإِطْوَالِهِمْ حُسْنُ الرَّجَالِ بَحْسَانُهُمْ وَفَخْرُهُمْ
ويقول أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي :
- (٢) وَتَنَّتْ بَعْدَ ضُحْكَةٍ يَعْبُؤُوسِ
وَهِيَ الْإِبْنُوسَ بِالْإِبْنُوسِ وَقَفَّتَنِي مَا بَيْنَ هَمٍّ وَبُؤُوسِ
وقد تكرر هذا المعنى عند السري الرفاء ، فقال في ذلك :
- (٣) وَكَانَ جَزَاؤُهُ مِنْهَا الْعُبُوسَا
سَوَادًا لِإِشَاكِلُهُ نَفِيسَا وَرَأَيْتَنِي مَشَطْتُ عَاجًا يَعْجَاجِ
وَالصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :
- (٤) فَهَوَّ أَدْنَى إِلَيَّ مَشِيبِ السُّرُوسِ مَا تِ مَشَطًا إِلَيَّ وَلَيْكَ عَاجَا
فَامْشِطِ الْإِبْنُوسَ بِالْإِبْنُوسِ وَإِذَا مَا مَشَطْتُ عَاجًا يَعْجَاجِ
فالمعنى لدى الشعراء الثلاثة واحد ، وهو تشبيه الشعر الأبيض بالعاج ، وتشبيه الشعر الأسود بالابنوس .

ومن المميزات التي اتسمت بها معاني الشعر لدى الشيعة المبالغة ، فقد أكثروا من ذلك ، ولم يكتفوا بالتعبيرات القريبة المتناول ، وهذا يعود إلى غلو كثير منهم في الأثمة ، فانعكس الغلو على الشعر ، مما جعلهم على التعبير عما يريدون بأقصى ما يستطيعون من أساليب تصوير المعنى ونقله إلى السامع .

يقول أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي :

- (٥) وَأَوْدَعَنِي الْأَحْزَانُ سَاعَةً وَتَعَابَا بِنَفْسِي حَبِيبَ بَانَ صَبْرِي لِبَيْنِيهِ
قَدَّيْ بَيْنَ جَفْنِي أَرْمَدٍ مَا تَوَجَّعَا وَانْحَلَّنِي بِالْهَجْرِ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي

فالشاعر هنا يبالغ في تعبيره عن مدى تحول جسمه نتيجة هجر المحبوب إيَّاه

فقد صور نفسه ضعيفا ناعلا حتى لو أنه قذى ووضع بين جفني أرمدم ما توجع .

- (١) ديوان أبي الحسن التهامي : ص ٣ .
(٢) ديوان الخالدين : ص ١٣٦ وبتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٠١ .
(٣) ديوان السري الرفاء * : ص ١٥٥ ، وبتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٠١ .
(٤) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٣٨ ، وبتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٠١ .
(٥) ديوان الخالدين : ص ١٣٩ .

ويقول ابن نريد :

إِنَّ الَّذِي أَبْقَيْتَ مِنْ جِسْمِهِ
صَبَابَةٌ لَوْ أَنَّهَا قَطْرَةٌ
يَا مُتْلِفَ الصَّبِّ وَلَمْ يَنْدُ سِرًّا
تَجُولُ فِي جَفْنِكَ لَمْ تَقْطُرْ سِرًّا (١)

نلاحظ في هذين البيتين مبالغة عظيمة ، فالشاعر يريد أن يصور مدى نحوله وضعفه نتيجة حبه المحبوب ، فيذكر أنه لم يبق من جسمه إلا بقية كالقطرة التي إذا جالست في جفون المحبوب لم تقطر لصغرها وقتتها .

ويقول الخباز البلدي في وصف الليل :

وَلَيْلٌ كَوَاكِبُهُ لَانْتِيَابُ
كِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي طُولِهِ
وَلَا هُوَ مِنْهَا يُطِيقُ الْبَرَّاحَا
عَلَى مَنْ يُرَاقِبُ فِيهِ الصَّبَّاحَا (٢)

ففي هذين البيتين مبالغة عظيمة ، إذ شبه الشاعر الليل بيوم القيامة في طوله ، وهو يهدف من هذا إلى تصوير هجره وسأمه تجاه طول الليل ، وما كان ينتابه من المشاعر نتيجة ذلك ، حتى لقد كان يتراعى للشاعر أن كواكب الليل ثابتة لاتبرح مكانها . ومن المبالغة العظيمة الموصلة إلى درجة الكفر قول عضد الدولة :

لَيْسَ شَرُّ الرِّاحِ إِلَّا فِي الْمَطَرِ
غَايِبَاتِ سَابِلَاتِ اللَّيْلِ
وَعِنَايَ مِنْ جَوَارِ فِي السَّحَرِ
نَاغِمَاتٍ مِنْ تَضَاعِيفِ الْوَتْرِ
مُبْرَزَاتِ الْكَأْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا
سَاقِيَاتِ السَّرَّاحِ مَنْ فَاقَ الْبَشَرَ
عَضْدُ الدَّوْلَةِ بَانَ رُكْنُهَا
مَلِكِ الْأَمْلَاقِ غَلَّابِ الْقَسْرِ (٣)

فهو يغلو في وصف نفسه وتصوير مقدار عظمته ، فيعتبر نفسه ملك الأملاك وغلاب القدر ، قدر الله تعالى . وقد روي أنه لم يُفْلِحَ بعد هذا القول (٤) . وقد وجدت المبالغة في الكثير من شعر الشيعة (٥) .

- (١) ديوان أبي بكر بن نريد : ص ٦٧ ، وسط اللالي : ج ١ ، ص ١٨٢ .
(٢) نهاية الأرب : ج ١ ، ص ١٣٥ ، والبيت ليس مثبتا في شعر الخباز البلدي .
(٣) خزنة الأرب ، ابن حجة الحموي : ص ٢٨٥ .
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٥) انظر : التوفيق للتلفيق : ص ١٧٦ ، ومحاضرات الأدباء : ج ٣ ، ص ٩١ ، ص ١٢٦ ، ونهاية الأرب : ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

وقد ظهر في معاني الشعر لدى الشعراء الشبيعة سمة فنيّة أخرى هي التأثر الواضح بأقوال الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومن ذلك ما يروى من أن الامام عليّاً قال من خطبة له حاثاً على ترك الدنيا : " فاعلموا - وأنتم تعلمون - بأنكم تاركوها وظاعنون عنها ، واتعظوا فيها بالذين قالوا " من أعد منا قوة " حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا ، وأنزلوا الأحداث فلا يدعون ضيفانا ... جميع وهم آحاد ، وجبرة ، وهم أبعاد " (١) وقد قال الشعراء في هذا المعنى شعراً كثيراً ، ومن ذلك قول الشريف الرضيّ في رثاء أبي إسحاق الصّابي :

أَعَزُّ عَلَيَّ يَا نَزَلَتْ بِمَنْزِلِ	مُتَفَايِهِ الْأَمْجَادِ بِالْأَوْغَادِ
فِي عَصَبِ جُنُبُوا إِلَى آجَالِهِمْ	وَالشَّعْرُ يُعْجِلُهُمْ عَنِ الْإِوْرَادِ
ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الْفَنَاءِ قَبَابَهُمْ	مِنْ غَيْرِ أَطْنَابٍ ، وَلَا أَوْتَادِ
بَادُونَ فِي صُورِ الْجَمِيعِ وَإِنَّهُمْ	مُتَفَرِّدُونَ تَفَرَّدَ الْآحَادِ (٢)

فالشاعر متأثر بخطبة الإمام عليّ ، فهو يبيّن أنّ أبا إسحاق الصّابي قد نزل في المقبرة بين الأموات الذين تتقارب قبورهم فيبدون قريبين من بعضهم بعضاً بينما هم في الحقيقة فرادى متفرقين متباعدين ، وهذا تأثر واضح بقول الامام عليّ: " جمع وهم آحاد " (٣).

وقال الرضيّ أيضاً :

مُتَوَسِّدِينَ عَلَى الْخُدُودِ كَأَنَّمَا	كَرَعُوا عَلَى ظَمَأٍ مِنَ الصَّهْبَاءِ
صُورٌ ضَنَّتْ عَلَى الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا	أَمْسَيْتُ أَوْ قَرُمَا مِنَ الْبُؤْغَاءِ
وَنَوَاطِرٌ كَحَلِّ التُّرَابِ جُفُونَهَا	قَدْ كُنْتُ أَحْرَسَهَا مِنَ الْأَقْدَاءِ
قَرَبْتُ ضَرَائِحَهُمْ عَلَى زُورِهَا	وَتَأَوُّوا عَنِ الطُّلَابِ أَيَّ تَنَاءِ (٤)

فقول الرضيّ " قربت ضرائحهم ... البيت ، هو معنى قوله عليه السلام : " جبيرة وهم أبعاد " بعينه " (٥).

- (١) شرح نهج البلاغة : ج ٧ ، ص ٢٢٨ .
- (٢) ديوان الشريف الرضيّ : ج ١ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
- (٣) شرح نهج البلاغة : ج ٧ ، ص ٢٣٤ .
- (٤) ديوان الشريف الرضيّ : ج ٤ ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- (٥) شرح نهج البلاغة : ج ٧ ، ص ٢٣٥ .

ونلمح هذا التأثير عند الشريف الرضي أيضا في تأثره بقول للإمام عليّ يصف الدنيا في خطبة له ، يقول : " ما أصف من دار أولها عناء ، وآخرها فناء : فسي كلالها حجاب وفي حرامها عقاب " (١) . وقد أخذ الشريف الرضي قول الإمام عليّ " أولها عناء ، وآخرها فناء " فقال :

فَأَوْلُنَا الْعَنَاءُ إِذَا طَلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَآخِرُنَا الدَّهَابُ (٢)

حيث بين أن المرّة يواجه المصاعب منذ مجيئه إلى الدنيا ، ثم تكون نهايته الفناء والزوال .

التأثر بالأقوال المعروفة عند العرب :

ومما نجد في معاني الشعر لدى الشيعة أنهم كانوا متأثرين في بعض أشعارهم بالأقوال الشائعة عند العرب ، وهذا دليل على رجوعهم إلى التراث واستقائهم من معينه ، وأخذهم موادّ تصلح لأن تكون معاني مناسبة للحديث عنها ، ونجد من ذلك بعض الآثار .

ومن الأقوال التي ظهر تأثر شعراء الشيعة بها واضحا ما يروى من أنه كان يقال في تقبيح عمل السلطان وخدمته : " لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خائفة ، وجسم متعب ، ودين منثلم " (٣) وقد ألم أبو الفتح البستي بهذا المعنى فقال :

يا مَنْ رَأَى خِدْمَةَ السُّلْطَانِ عُدَّتَهُ مَا أَرَى كَذَلِكَ إِلَّا الدُّلَّ وَالتَّكْدَمَ
دَعِ الْمُلُوكَ فَخَيْرٌ مِنْ وَجُودِكَ مَا تَرْجُوهُ عَنْهُمْ الْحِرْمَانُ وَالْعَدَمَ
إِنِّي أَرَى صَاحِبَ السُّلْطَانِ فِي ظَلَمِ مَا مِثْلُهُنَّ إِذَا قَاسَ الْقَتَى ظَلَمَ
فَجِسْمُهُ تَعَبٌ وَالنَّفْسُ خَائِفَةٌ وَعَرِضُهُ عُرْضَةٌ وَالدِّينُ مِثْلِيْمٌ (٤)

وقال :

صاحب السلطان لابد لـــــــ
والذي يركب بحرا لـــــــ
من مسموم تعتره وغـــــــ
قم الأموال من بعد قحـــــــ

- (١) شرح نهج البلاغة : ج ٦ ، ص ٨١ .
- (٢) ديوان الشريف الرضي : ج ١ ، ص ١٢٦ ، وشرح نهج البلاغة : ج ٦ ، ص ٨١ .
- (٣) تحسين القبيح وتقبيح الحسن : ص ٩١ .
- (٤) المصدر نفسه : ص ٩١ ، ولم نثبت ما في الديوان لانه مختل الوزن والمعنى .
- (٥) تحسين القبيح وتقبيح الحسن : ص ٩١-٩٢ ، والبيتان ليسا مثبتين في ديوان أبي الفتح البستي .

فالشاعر هنا متأثر بما قيل عن صاحب السلطان ، فقد بين أن صاحب السلطان يقضي وقته في خوف وتعب وذل ، ونقص في الدين .

وممن تأثر ببعض الأقوال الشائعة عند العرب أبو الفضل بن العميد فقال :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَسْتَ تَذْكُرُ بَعْدَ مَا
عَلِقْتَ بِدَاكِ بِيْذِمَةِ الْأَمْرَاءِ
هَيْهَاتَ قَدْ كَذَبْتَكَ فِكْرُكَ السَّنِي
قَدْ أَوْهَمْتِكَ غِنَى عَنِ الْوُزَرَاءِ
لَمْ تَغْنِ عَنْ أَحَدٍ سَمَا لَمْ تَجِدْ
أَرْضًا وَلَا أَرْضٌ يَغْيِرُ سَمَاءُ (١)

فالشاعر هنا يبين أنه لاغنى للأمرء عن الوزراء ، ولاغنى للوزراء عن الأمرء ، وهو في هذا المعنى متأثر بقول معروف عند العرب ، فقد " كان يقال : إذا كان الملك ضعيفاً ، والوزير شريها ، والقاضي جائراً فرقوا الملك شعاعاً . وكان يقال : لاتخف صولة الأمير مع رضا الكاتب ، ولا تثقن برضا الأمير مع سخط الكاتب " (٢)

وهكذا فقد جاء الشعراء الشيعة بالمعاني الجديدة المبتكرة وبالمعاني الغريبة الطريفة ، ومالوا الى التكرار في معانيهم ، كما تأثروا فيها برأيهم في الأئمة فمالوا إلى المبالغة ، وتأثروا بأقوال الإمام علي كرم الله وجهه ، واستلهموا التراث العربي ، فتأثروا ببعض المعاني التي كانت شائعة معروفة عند العرب .

التأثر بالشعراء السابقين :

إن مسألة تأثر الشعراء بعضهم ببعض مسألة صعبة شائكة ، إذ يصعب على المرء أن يقرر ما إذا كان شاعر معين قد تأثر بشاعر آخر في معانيه ، والسبب في ذلك أن معظم المعاني معروضة مطروحة لجميع الشعراء ، يستطيع كل شاعر أن ينتقي منها ما يشاء ثم يعبر عنه بأسلوبه الخاص به . وقد غالى بعض الباحثين القدماء في حديثهم عن مدى تأثر الشعراء بعضهم ببعض ، ومن هؤلاء الباحثين ابن الأثير ، فقد بحث هذا الموضوع في كتابه " القمل السائر " بحثاً مطولاً ، فتحدث عن سرقات الشعراء ، وقسمها إلى أقسام متعددة ، وهو في حديثه يبالغ كثيراً ، فيبحث عن أقل تشابه بين قول شاعر وقول شاعر آخر في اللفظ أو المعنى ، ثم يستنتج من ذلك

(١) شرح نهج البلاغة : ص ١٧ ، ص ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسهما .

أَنَّ المتأخِّر قد سَرَقَ معناه من الشَّاعِرِ المتقدِّم . (١)

ونحن نخالفُ اَيْنَ الأثِيرِ فيما نَهَبَ إليه ، فنقول : إِنَّه لا يمكن أن يكون بعضُ التَّشَابُه في الألفاظِ أو المعاني بين شاعرين دليلاً كافياً على أَنَّ أحدهما قد سَرَقَ معناه من الآخر ، فالمعاني - كما قلنا - معروفة لدى الشُّعراءِ مطروحة لهم ، واللغة التي يكتبون بها وينظمون واحدة ، كما أَنَّ الكثيرين منهم يخضعون لعوامل ثقافية متشابهة ، وقد يكون هذا التَّشابه فيما بينهم أيضاً نتيجة لتوارد الخواطر ، فيتحدث الكثيرون منهم في فترات زمنية متباعدة عن موضوع واحد ، مع أَنَّ بعضهم لم يكن قد رأى نظم الآخر أو سمع به .

ويؤيِّد ما نذهب إليه اثنان من العُلَمَاءِ ، هما : الشريف المرتضى ، وياقوت صاحب معجم الأدباء . أما الشريف المرتضى فقد أشار إلى أَنه كان يظن أَنه قد سبق جميع الشعراء إلى وصف الطيف بأته رسول ، وَأَنه قد انفرد بينهم بهذا المعنى لأنَّه لم يجد فيما تصفحه من الشعر نظيراً له ، إلى أن وجد له نظيراً عند البُحْثَرِيِّ (٢) وأشجع السُّلَمِيِّ (٣) ، ولذلك لا ينبغي لأحد أن يقول : هذا البيت مسروق المعنى من فلان ، لأنَّه لا يأمَن أن يكون هذا القول غير صحيح ، فربما توارد المعنى في البيتين دون قصد ، ودون أن يكون أحدُ الشَّاعرين قد أخذ معناه من الآخر ، والأولى أن يقال هذا نظير هذا وشبيهه . (٤)

وأما ياقوت فقد ذكر أبياتاً للشَّاعر جعفر بن محمد الموصليِّ الشَّافِعِيِّ ، (٥) وهي :

- (١) انظر المثل السائر : ج ٢ ، ص ٣٦٥ - ٣٩٠ .
- (٢) أبو عبادة ، الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد ، الطائفيُّ البُحْثَرِيُّ الشَّاعِرُ المشهور ، ولد بمنبج ، ثم خرج إلى العراق ، ومدح جماعة فيها منهم المتوكل ، وبعد مقتل المتوكل رجع إلى منبج ، وتوفي سنة ٢٨٤ هـ . (انظر : وفيات الأعيان ج ٦ ، ص ٢١ - ٣١) .
- (٣) أشجع بن عمرو السُّلَمِيُّ الشَّاعر ، من أهل الرِّقَّة ، ذهب إلى البصرة وتألبب بها ، ثم نزل بغداد واتصل بالبرامكة ، فحباه جعفر بن يحيى واصطفاه ، ومدحه أشجع بقصائد كثيرة ووصله بهارون الرشيد . (انظر : تاريخ بغداد : ج ٧ ، ص ٤٥) .
- (٤) انظر : طيف الخيال : ص ١٣٩ - ١٤١ .
- (٥) جعفر بن محمد بن حمدان الشَّافِعِيُّ كان شاعراً أديباً فاضلاً ، ولد سنة ٢٤٠ هـ ، وله عدة مؤلفات وكان عارفاً بالكلام والجدل ، وله شعر كثير ، وتوفي سنة ٣٢٣ هـ . (انظر : معجم الأدباء : ج ٧ ، ص ١٩٠ - ٢٠٥) .

أَيُّهَا الْقَرْمُ الَّذِي أَعْدُ سَوَّزْنَا فِيهِمِ النَّدِيدُ
وَأَعَانَتْهُ عَلَيَّ الْمَجْدُ سِدِّ مِصَاعٍ وَجَمْدُودُ
عَجَّلَ النَّجْحَ فَإِنَّ الْـ مَطَّلَ بِالْوَعْدِ وَعَيْدُ (١)

ثم قال ياقوت بعثها : " هذا معني عن لي من قبل أن أقف على هذه الأبيات ، وكنت أعجب كيف فات الأواذل لاشتماله على مطابقة التجنيس وحسن المعنى مدة حتى وقفت على ما مهنا ، فعلمت أن أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات إنما هو توارد الخواطر ، ووقوع حافر . وأما أبياتي فهي :

ياسينا بدمن يمشي على قدم علما وحلما وآبا* وأجـدا
ماذا دعاك الى وعد تصـيره بالخلف والمطل والتسويق إيعانا
لانعجلن بوعد ثم تخلفـه فيثير المطل بعد الود أحقانا
فالوعد بذر ولطف القول منبته وليتر يجدي إذا لم يلق حسادا (٢)

فمن هذين القولين للمرثى وياقوت نلاحظ أنه من الصعب الجزم بأن شاعراً معاصراً لآخر أو متأخراً عنه قد تأثر به في معنى من المعاني إذا ما وجدنا بين الشاعرين تشابهاً في ذلك المعنى .

ولكن ما قلناه لا يعني أنه لا توجد سرقات بين الشعراء ، فقد أخذ بعض الشعراء معاني بعض ، وتأثروا بها ، ولكن ذلك ليس على تلك الدرجة من الكثرة التي صورها الباحثون القدامى ، ونحن نجد في أشعار القبيعة معاني كثيرة ربما يكونون قد تأثروا فيها بالشعراء من غير القبيعة .
قال السري الرفاء :

تلك المكارم لا أرى متأخراً أولى بها منه ولا متقدماً
عفو أطل ذوي الجرائم ظلـه حتى لقد حسد المطيع المجرماً (٣)

فالسري يمدح الممدوحه فيصفه بأنه صاحب المفاخر التي فاق بها جميع المتقدمين والمتأخرين ومن تلك المفاخر العفو ، فعفو الممدوح شامل غامر ، يشمل ذوي الجرائم

(١) معجم الأنبا* : ج ٧ ، صص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) المصدر نفسه : صص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) ديوان السري الرفاء* : ص ٢٣٩ .

والذنوب حتى لقد أخذ الطبع بحسد المجرم العاصي . ويذكر الثعالبي أن السري أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام :

وَتَكَفَّلَ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدَدْنَا أَنَّنَا أُبْتَامُ (١)
وقال السري أيضاً :

وَأَغْيَدَ مَهْتَزٍ عَلَى مَحْنِ خُودِهِ غَلَاثِلُكُ مِنْ صِبْغِ الْحَيَاءِ رِقَاقُ
أَحَاطَتْ عَيْوُنُ الْعَاشِقِينَ بِخَصْمِهِ فَهِنَّ لَهُ دُونَ النَّطَاقِ نِطَاقُ (٢)

فالسري يذكر أن عاشقي محبوبه قد أحاطوا خصره بنظراتهم ، فأصبحت عيونهم نطاقاً لخصره . ويذكر الثعالبي أن السري أخذ هذا المعنى من قول المتنبي :

وَخَصْرٌ تَثَبَّتْ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ نِطَاقِ (٣)
وقال السري أيضاً :

وَطَوَّقَتْ قَوْمًا فِي الرَّقَابِ صَنَائِعًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ الْمُطَوَّقُ (٤)
وهذا القول مأخوذ من قول المتنبي :

أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيْبَارٍ هِيَ الْأَطَوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ (٥)
والمعنى في البيتين يدور حول تشبيه نعم الممدوح بالأطواق التي تطوق الحمام ، وذلك للدلالة على أن نعم الممدوح نعم سابقة شاملة .

وقال المتنبي :

لَيْسَ الْوَشْيَ لِمُتَجَمِّلاتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصَّنَّ بِوِ الْجَمَّالِ (٦)

فالمتنبي يتغزل فيذكر أن الفتيات الجميلات اللواتي يتغزل بهن قد لبسن الثياب الجميلة لا للتزيين بها وإنما للمحافظة بها على الجمال وصيانتها . وقد تأثر بهذا المعنى صاحب بن عبّاد إذ أخذه (٧) فقال :

(١) ديوان أبي تمام : ج ٣ ، ص ١٥٣ ، وبتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) ديوان السري الرقابي : ص ١٨٧ .

(٣) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٢٩٦ ، وبتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(٤) ديوان السري الرقابي : ص ١٩٦ .

(٥) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٧٦ وبتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٦) ديوان المتنبي : ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٧) انظر : معجم الأدباء : ج ٦ ، ص ٢٩١ .

- (١) لَيْسَ بَرُودَ الْوَسْطِيِّ لَا لِتَجَمُّدِ
وقال السري الرفاء :
ولكن لَصَوْنِ الْحُسْنِ بَيْنَ بَرُودِ (١)
- (٢) وَذَ الصِّدِّيقِ فَعَادَ مِنْهَا حَالِيَدًا
وهذا مأخوذ من قول البحتري :
وَذَ الصِّدِّيقِ فَعَادَ مِنْهَا حَالِيَدًا (٢)
- (٣) عَلَيَّ فَأَمْسَى نَارِحَ الْوَدِّ أَجْتَبَا
وقال أبو عثمان الخالدي :
عَلَيَّ فَأَمْسَى نَارِحَ الْوَدِّ أَجْتَبَا (٣)

- يا قضيبا يميم تحت هلال
منك يا مسمنا تعلمت الدهر
وهلا يندنو بعيني غزال
من دنو السنا وبعد المنال (٤)
- قال القاعر يتعزل ، فيصف المحبوب بأنه كالشمس في الجمال ، ومنه تعلمت الدهر
قرب الضياء ، وبعد المنال ، فهي قريبة في ضيائها بعيدة في منالها . ويذكر الثعالبي
أن الخالدي سرق هذا المعنى من قول ابن الرومي :

- (٥) يا شبيهة البثر في الحس
وقال الشريف الرضي في ذم بعض الناس :
من وفي بعد المنال (٥)
- الله يعلم ميلتي عن جناتكم
فكيف بي وعلى عينيك ترجممة
ولو تناهيت لي في البر واللطف
من الحقد وعنوان من السرف (٦)

- قال القاعر يبين أن عيني ذلك الذي يذمه القاعر تدلان على حقد الدفين ، وهو
حقد عظيم ، ولذا فالقاعر لا يمكن أن يصاحبه . ويذكر الثعالبي أن الرضي أخذ هذا
المعنى من قول البحتري :
- (٧) وفي عينيك ترجمة أراها
تدل على الضغائن والحقدود (٧)

- (١) ديوان صاحب بن عبّاد : ص ٢١٥ .
(٢) يتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ١٣٤ ، والبيت ليس شبتاً في ديوان السري الرفاء .
(٣) ديوان البحتري : ج ١ ، ص ٢٠١ ، ويتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ١٣٤ .
(٤) ديوان الخالديين : ص ٥٤٦ .
(٥) ديوان ابن الرومي : ج ٥ ، ص ١٩١٠ ، ويتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٢٠٢ .
(٦) ديوان الشريف الرضي : ج ٢ ، ص ٣٢ .
(٧) ديوان البحتري : ج ١ ، ص ٥٧٦ ، ويتيمة الدهر : ج ٣ ، ص ١٤٨ .

وقال القاضي أبو القاسم التنوخي مخاطباً الوزير المهلبى وقد منعه المطر من

خدمته :

(١) سَحَابٌ عَدَانِي عَنْ سَحَابٍ وَعَمَارِضٍ مُنِعَتْ بِهِ مِنْ عَارِضٍ مُتَكَفِّرٍ

فالقاع يشكو في هذا البيت من السحاب والمطر اللذين منعا من خدمة الوزير المهلبى ، ذلك الوزير الكريم المعطاء الذي يهب المطر في جوده وعطائه . ويذكر الثعالبي أن التنوخي أخذ هذا المعنى من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات :

(٢) لَسْتُ أَتْرِي مَاذَا أَذْمُ وَأَعْمُكَو
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو لَهَا تَيْكُ بِالذُّكُ
مِنْ سَمَاةٍ تَعُوقُنِي عَنْ سَمَاءِ
لِي وَأَدْعُو لِهَيْدِهِ بِالْبَقَاءِ

وقال الصاحب بن عباد في الغزل :

(٣) تَرَدَى النُّفُوسُ يَفْتَرَّتِي عَيْنَيْهِ
فَجَذِبَتْ قَلْبِي مِنْ إِسَارِ يَدَيْهِ
قَالُوا تَرَا جَعَهُ فَقَلَّتْ بَدِيهِ
وَاللَّهِ لَا رَاجِعَتَهُ وَلَوْ أَنِّي
كَالْمَسْرُورِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَبُورِهِ

فالصاحب يذكر أن المحبوب جميل جدا ، وقد أخذ يهجر الصاحب ويقطعه فابتعد عنه ، ثم يؤكد أنه لن يكلمه ولن يعود إلى مصانفته ولو كان كالمسرور أو كالبدر أو كبويه .

ويذكر الثعالبي أن الصاحب أخذ هذا القول من قول ابن المعتز :

(٤) وَاللَّوْ لَا كَلَّمْتُهُ وَلَوْ أَنِّي
كَالْمَسْرُورِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمَكْتَفِي

وقال أبو فراس الحمداني متحدثا عن انتصار سيف الدولة على بني كلاب من أبيات :

(٥) وَعَادُوا سَامِعِينَ لَنَا فَعَدْنَا
وَنَحْنُ مَتَى رَضِينَا بَعْدَ سَخَطِ
أَلَى الْمَعْهُودِ مِنْ شَرَفِ الْفِعَالِ
أَسُونَا مَا جَرَحْنَا بِالنَّسْوَ

(١) معاهد التنصيص : ج ١ ، ص ١٢٧ .

(٢) يتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٣٤١ .

(٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٤) يتيمة الدهر : ج ٣ ، ص ٢٧٧ والبيت غير مثبت في ديوان ابن المعتز .

(٥) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٦٧ ، ويتيمة الدهر : ج ١ ، ص ٤٥ .

فالشاعر بفخرٍ بالحمدِ نبيّن مبيّنًا أنّ عادتَهُم فعل الأفعالِ الحريفةِ الكريمِ ،
فهم عندما يرضون بعد الغضب والسخط يعطون العطايا الكثيرة التي تزيل آثار
ما تسببوا فيه من الجراح والأضرار بمن كانوا ساخطين عليه ، ويذكر الثعالبي
أنّ أبا فراس أخذ هذا المعنى من قول أبي نواس :

(١) وَكَلَّتْ بِاللَّعْمِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ من جود كَفَّكَ تَأْسُو كُلَّ مَا جُرِحَا
وكتب أبو فراس أبياتاً إلى والدته ، منها قوله :

(٢) أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ مَا حَسِبُ يميل مع النَّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
وَصِرْنَا تَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحِسِّنٌ وَأَنْ صَدِيقًا لَا يَضُرُّ خَلِيبُ

فهو يقول إنهم أخذوا يَعتَبِرُونَ الصديقَ الذي لا يضرُّ بأصدقائه محسن وان لهم
ينفعهم ، وذلك لقلّة وفا الناس في زمن الشاعر ، ولعلّ أبا فراس قد ألمّ في ذلك
بقول المتنبي :

(٣) إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِي مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِنْعَامٌ وَإِجْمَالٌ
حَيْثُ يُبَيِّنُ الْمُتَنَبِّيُّ أَنَّ الْقَبَائِحَ قَدْ انْتَشَرَتْ وَعَمَّتْ حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِبْتِعَادُ عَنِ
الْقَبَائِحِ وَالشُّرُورِ يُعْتَبَرُ إِنْعَامًا وَإِثْلًا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ .
ويقول أبو فراس أيضاً :

(٤) كَذَلِكَ الْوَدَادُ الْمَحْضُ لَا يُرْتَجَى لَهُ ثَوَابٌ وَلَا يُغْنَى عَلَيْهِ عِقَابٌ

فهو يبين أن الصداقة الخالصة والحب الصادق ، يكونان حبا للحب ، وصداقة
للصداقة وليس ذلك بغية منافع خاصّة كجلب منفعة وثواب أو دفع مضرة وعقاب ، ولعلّ
أبا فراس ألمّ في هذا البيت بقول المتنبي :

(٥) وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رَشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابٌ

وقال الصحاح بن عبّاد :

تَعْتَنِي عَيْنَاكَ تَحَوُّ الْمَّوْبَا نِعَاءً يُكْرَرُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ

- (١) ديوان أبي نواس : ص ١٧١ ، وبتيممة الذهر : ج ١ ، ص ٤٦ .
- (٢) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٤٥ ، وبتيممة الذهر : ج ١ ، ص ٣٣ .
- (٣) ديوان المتنبي : ج ٢ ، ص ٢٨٧ .
- (٤) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٦٧ ، وبتيممة الذهر : ج ١ ، ص ٦٩ .
- (٥) ديوان المتنبي : ج ١ ، ص ١٩٩ .

وَقَالَ كِفَاجِم :

لم يخفضو القميص تحت قناعه	بأبي وأمي زائر متقنع
(١) حتى ابتدأت عناقه لوداعه	لم استتم عناقه لقدمه

فالشاعر هنا يتحدث عن قصر العدة التي أمضاها مع المحبوب ، فقد كانت لحظات قصيرة جداً ، إذ لم يكّد الشاعر يصل إليه محبوه حتى بدأ بوداعه ، وهذا المعنى مأخوذ من قول العكوك : (٢)

ورعى الشامر حتى هجعاً	راقب الخلوّة حتى أمكنت
(٣) ثم ما سلم حتى وتّعاً	كابد الأهوال في زورتره

وقال السري الرفاء :

يكسوه من دمهِ ثوباً ويَسْلِبُهِ
فالمعنى في هذا البيت هو أنّ المعدوح يسلب عدوه ثيابه بعد أن يقتله ، ويكسوه بدلاً منها ثوباً من دمايته . وقد أخذ السري هذا المعنى من قول البحترى :

محبرة فكأنهم لم يسلبوا	سلبوا وأشرقت الدماء عليهم
(٥)	

حيث يبيّن البحترى أنّ الأعداء قد سلّبوا ثيابهم ، ولكنهم لبسوا ثياباً من الدماء فكأنهم لم يسلبوا .
وقال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يزد عن حوضه سلاحه	بهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
(٦)	

حيث يبيّن زهير أنّ من لا يظلم الناس بالعدوان عليهم يُظلم ويُعتدى عليه . وقد أخذ ابن دريد هذا المعنى فقال :

(١) ديوان كشاجم : ص ٣٤٠ .
 (٢) العكوك : أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن ، المعروف بالعكوك الشاعر المشهور ، ولد أعمى ، وكان أسود أيرس ، وهو أحد فحول الشعراء المبرزين وله أشعار جميلة ، ومدح كثيرين منهم المأمون . (انظره وفيات الأعيان : ج ٣ ، ص ٣٥٠ - ٣٥٤) .
 (٣) فوات الوفيات : ج ٤ ، ص ١٠٠ .
 (٤) ديوان السري الرفاء : ص ١٨ ، والأفضليات : ص ٦٤ .
 (٥) ديوان البحترى : ج ١ ، ص ٧٦ ، والأفضليات ص ٦٤ .
 (٦) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ٨٨ وبهجة المجالس : ج ١ ، ص ٣٦٥ .

- (١) مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامُوا ظُلْمَهُ وعز عنه جانباه واحتمى
وقال لبيد بن ربيعة العامري :
- (٢) ما ان رأيت ولا سمعت ست يعنلهم في العالمين
فمكثت بعدهم وكن ست بطول صحبتهم ضنينين
- (٣) فما أسفت لفي فآيت أسفي من أن أعيش وجيران الهوى غيب
وقال ابن العميد :
- (٤) متى لفظني دار قوم تركتها وسرت ولي منها ومن أهلها بد
فهو يبين أنه لن يقيم على ضيم ، وإنما يرحل عن المكان الذي يتبرم أهله به
ولعله أخذ هذا من قول عنتره العبسي :
- (٥) أحذر محل السوء لا تحل به وإذا نبأ بك منزل فتحوّل
وقال مهيار الديلمي :
- (٦) ما كنت أعلم ما مقدار وملككم حتى هجرتم وبعض الهجر تأديب
وهو مأخوذ من قول أبي تمام :
- (٧) وليس يعرف كنه الوصل صاحبها حتى يغادى بنا أي أو بهجران

فالمعنى لدى الشاعرين ينصب على أنّ المرء لا يعرف قيمة وصل المحبوب إلا عند
الهجر والقطيعة وهكذا فقد تأثر شعراء الشيعة بغيرهم من الشعراء المعاصرين لهم
والمتقدمين عليهم ، فأخذوا منهم الكثير من المعاني ، وهذا أمر طبيعي ، إذ أن من
المعروف أنّ الشعراء يتأثر بعضهم ببعض نتيجة لتمازج ثقافاتهم وتقارب البيئات ،

- (١) بهجة المجالس : ج ١ ، ص ٣٦٥ ، والبيت ليس مثبتاً في ديوان ابن نريد .
(٢) شرح ديوان لبيد : ص ٣٢٣ .
(٣) ديوان مهيار الديلمي : ج ١ ، ص ١٢٩ ، والبديع في نقد الشعر : ص ٢٣١ .
(٤) تمام المتون : ص ٣١٠ .
(٥) ديوان عنتره : ص ١٨٦ وتمام المتون : ص ٣١٠ .
(٦) ديوان مهيار الديلمي : ج ١ ، ص ٢٤ ، وتمام المتون : ص ٧٢ .
(٧) ديوان أبي تمام : ج ٣ ، ص ٣١٠ ، وتمام المتون : ص ٧٣ .

فاذا كان الشعراء في أرض واحدة وفي قبيلة واحدة ، فإنَّ التَّأثُّرَ والتَّأثِيرَ فيما بينهم يكون كبيراً .

التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف :

يلاحظ من دراسة أشعار الشيعة أنهم تأثروا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى حدٍّ بعيدٍ ، فقد أكَرَّوْا من اقتباس الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة (١) ، وهذا يدلُّ على اعتماد الشيعة على القرآن الكريم والحديث النبوي في تفكيرهم ، واعتبارهم إياهما المصدرين الأساسيين في عقيدتهم وفلسفتهم .

وقد اتضح التَّأثُّرُ بالقرآن الكريم عند كبيرين من شعراء الشيعة ، ومنهم عبدُ المُحَنِينِ الصُّورِيُّ ، يقول :

قلت وقد أوردني حبسه موارداً ليس لها مصدر
أفسدت دنياي ولا بين ليبي تفسده فاصدع بما تؤمِّر (٢)

ففي البيت الثاني نلاحظ تأثر الشاعر بقوله تعالى : " فاصدع بما تؤمِّر " وأعرض عن المشركين " (٣)

ومن الشعراء الشيعة الذين تأثروا بالقرآن الكريم عبدان الأصبهاني ، والصاحب ابن عباد ، وأبو الفتح البستي ، وعثمان بن سعيد بن هاشم الخالدي ، والتَّامِي والخَبَّاز البليدي .

يقول عبدان الأصبهاني :

تركنا لخوف الخيل والتُّركِ دُورَنا فله صرف الدهر كيف تـرردنا
هاليزنا ضاقت لخوف نزولهم كأننا يهود ندخل الباب جـداً (٤)

فالشاعر في عجز البيت الثاني متأثر بقوله تعالى : " واخْلُوا الباب سجداً وقولوا حطة " (٥) .

(١) التضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف يسمى اقتباساً (انظر : إتمام التَّرايِقِ : ص ١٦٧) .

(٢) ديوان الصوري : ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ .

(٤) يتيمة النهر : ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٥٧ .

ويقول الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ :

رفقا فني يوم القيامة غنية
ومحمد ووصيه وأبناء قـد
والنار باطنية بسوط عقاب
نهضوا بحكم القاهر الغلاب
والنار تلقاهم بغير حجاب (١)

فالصَّاحِبُ يرى في البيت الثالث أَنَّ الْأُمُويِّينَ الظَّالِمِينَ سيعضون أبا بعهم يوم
الْقِيَامَةِ نَدَمًا وَحُزْنًا ، وذلك بسبب الجرائم التي اقترفوها بحق آل أبي طالب ،
ويبدو الصَّاحِبُ في هذا القول متأثراً بقوله تعالى : " ويوم يعضُّ الظالمُ على يَدَيْهِ
يقول يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا " . (٢)

ويقول الصَّاحِبُ أيضاً :

احذر الغيبة فهـي الـ
انما المفتاب كـالا
فسق لا رخصة فيـه
كل من لحم أخيه (٣)

يحذر الصَّاحِبُ في هذين البيتين من الْغَيْبَةِ ، فيبيِّن أنَّهَا فِسْقٌ ، ثم يبيِّن أنَّ
المفتاب كالأكل لحم أخيه ، وهو في ذلك متأثر بقوله سبحانه : " ولا يغتب بعضكم
بعضاً ، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه " . (٤)
ويقول الصَّاحِبُ أيضاً متحرِّناً عن الحسين بن علي رضي الله عنه :

أخذوا رأسه وَقَدْ بَضَعُوا
إِنَّ سَعْيَ الْكُفَّارِ فِي تَضْلِيلِ (٥)

ويبدو الصَّاحِبُ في هذا البيت متأثراً بقوله تعالى " ألم يجعل كيدهم في تضليل " (٦)
وقد كثُر في شعر الصَّاحِبِ بن عَبَّادِ التَّأثُّرُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . (٧)

ويقول أبو الفتح البستي :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعُرْفِ كَمَا
أُمِرْتَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

(١) ديوان الصَّاحِبِ بن عَبَّاد : ص ١٠٤ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٢٢ .

(٣) ديوان الصَّاحِبِ بن عَبَّاد : ص ١٧١ .

(٤) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٥) ديوان الصَّاحِبِ بن عَبَّاد : ص ٢٦٢ .

(٦) سورة الفيل الآية : ١ .

(٧) انظر : ديوان الصَّاحِبِ بن عَبَّاد : ص ١٢١ ، ص ١٥١ ، ص ٣٣٥ ، ص ٢٩٠ ، ص ٢٩٨ ،

وَلَيْنَ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنْسَامِ فَمُسْتَحَنٌّ مِّنْ ذَوِي الْجَاهِ لِسِينِ (١)
فالشاعر ينصح المرء بالعفو عن المسيء ، وبالأمر بالمعروف ، كما ينصحه بلسين
الكلام وبترك الجاهلين ، وقد أخذ البيت الأول من قوله تعالى : " خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين " (٢).
ويقول الشريف المرتضى :

إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَشْفَعُوا فِي قَبَاحَةٍ وَلَمْ تَشْفَعُوا فِي خَائِفِ بِأَمَانِ
فَمَا أَنْتُمْ إِلَّا سَرَابٌ بِقِيَعَةٍ يُضَلُّ رَأْيِي أَوْ يَغُرُّ عَيَانِي (٣)

يبين المرتضى لمن يخاطبهم أنهم إذا لم يشفعوا في الخائف المستجير بمنحه
الأمان فلا خير فيهم ، فكأنهم السراب في الأرض المستوية ، يخدع الناس ، فعندما
يروته يعتقدون أن فيه ماءً ، وليس الأمر كذلك . ويبدو المرتضى في هذا القول
متأثراً بقوله تعالى : " والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً
حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً " (٤)
ويقول الخباز البلدي :

كَأَنَّ بِيَمِينِي حِينَ حَاوَلْتُ بَشَطَهَا لِيَتَوَدَّعَ إِلَيَّ وَالْهَوَى يَذْرِفُ الدَّمْعَ
بِيَمِينِ ابْنِ عِمْرَانَ وَقَدْ حَاوَلَ الْعَصَا وَقَدْ جُعِلَتْ نِلْكَ الْعَصَا حَيَّةً تَسْعَى
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم فقلت لها لا والذي أخرج المرعى (٥)

فالشاعر في هذه الأبيات متأثر بالقرآن الكريم بكل وضوح ، فهو يشبه يمينه وقد
مدّها لتوديع إلفه بيمين موسى بن عمران عليه السلام عندما ألقى عصاه ، فجعلت العصا
حية تسعى ، ويقسم أنه لا يستطيع أن يصير بعد أحبابه مقسماً بالله تعالى الذي
أخرج المرعى والعصب للناس . والشاعر في كل ذلك متأثر بقوله تعالى : " فألقاها
فإذا هي حيةٌ تسعى " (٦) ، وقوله تعالى : " والذي أخرج المرعى " (٧).

(١) ديوان أبي الفتح البستي ص ٢٧١ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٣) ديوان الشريف المرتضى : ج ٣ ، ص ٢٤٣ .

(٤) سورة التور : الآية ٣٩ .

(٥) شعر الخباز البلدي : ص ٣٤ .

(٦) سورة طه : الآية ٢٠ .

(٧) سورة المرعى : الآية ٣ .

ويقول الخباز البلدي أيضاً :

أَلَا إِنَّ إِخْوَانِي الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ أَفَاعِي رَمَالٍ لَا تُقَصِّرُ فِي لَسْقِي
ظَنَنْتُ بِهِمْ خَيْرًا فَلَمَّا بَلَّوْتُهُمْ نَزَلَتْ بِوَادٍ مِنْهُمْ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (١)

فالشاعر يشبه أصحابه بأفاعي الرمال الخبيثة ، ثم يذكر أنه نزل بينهم طائفاً
بهم الخير ، ولكن اتضح له أنهم لاخير فيهم ، كأنهم الوادي العجيب الخالي من
الزرع ، وهو في ذلك متأثر بقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :
" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ " (٢)

وقد تأثر شعراء الشيعة بالحديث النبوي الشريف ، ومن هؤلاء الصاحب بن عباد ،
فهو يقول :

أقول وقد رأيت له سحاباً من الهجران مقلبة الينا
وقد سحت عز اليها يهطل حوالينا الصدور ولا علينا (٣)

فالصاحب يدعو الله ألا يهجره محبوبه ، وألا تصيبه سحب الهجر والقطيعة التي
أخذت تلوح أمام عيني الشاعر ، وأخذت تهطل أمطارها الغزيرة ، وهو في هذا
متأثر بقول الرسول عليه الصلاة والسلام حين استسقى ونزل مطر عظيم كاد يتسبب في
إحداث أضرار : " اللهم حوالينا ولا علينا " (٤)
ويقول الصاحب أيضاً :

قال لي إن رقيبِي سي الخلق فـسـداره
قلت دعني وجهك الجند سنة حفت بالمكـاره (٥)

فالصاحب في البيت الثاني يشبه وجه محبوبه بالجنة ، ويذكر أنها حفت
بالمكارة . وقد اقتبس هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم : " حُفَّتِ الْجَنَّةُ
بِالشَّهَوَاتِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالْمَعَارِهِ " (٦)

- (١) شعر الخباز البلدي : ص ٢٤ .
- (٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .
- (٣) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٩٧ .
- (٤) مسند أحمد بن حنبل : ج ٣ ، ص ١٠٤ .
- (٥) ديوان الصاحب بن عباد : ص ٢٣٠ .
- (٦) مسند أحمد بن حنبل : ج ٤ ، ص ٢٦٠ ، وانظر : معاهد التنصيص : ج ٢ ، ص ١٥١ .

ويقول صاحب أيضا :

ومهفهف يغني عن القمــــر
خالسه تفتح وجنته
فأخافني قوم فقلت لهم:

قمـر الفؤاد بقاين النطر
من غير ابقا ولا حـ
لاقطع في ثمر ولا كثر

(١)

فقد اقتبس صاحب عجز البيت الأخير من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يقطع في الثمر ولا في الكثر " . (٢)

ويقول عبد المحسن الصوري يهجو:

وأخ سه نزولي عليه
قيل لي إنه جواد كريم
بتضيفا له كما حكم الدهم
فابتداني وقال وهو من الكرم
لم تغربت؟ قلت: قال رسول ال
سافروا تغنموا ، فقال: وقدقا

مثل ما مني من الجوع قرح
والفتى بعتريه بثل وشح
ر وفي حكوه على المرء قبـح
ه وألهم طافح ليس يصحـو
له والقول منه نصح ونجح
ل تمام الحديث : صوموا تصحوا (٣)

فالشاعر يهجو رجلا بخيلا ، فيذكر أنه قد غضب جداً من نزول الشاعر به وحلوله ضيفاً عنده ، ثم أخذ يسائل الشاعر لم تغربت ، فأجابته أنه تغرب امثالاً لـ قول الرسول الكريم : سافروا تغنموا ، فقال له ذلك الرجل ان تمام هذا الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام : صوموا تصحوا . والمصاحب في البيت الأخير متأثر بقول بقول الرسول الكريم: " سافروا تصحوا وتغنموا" (٤) و " صوموا تصحوا" (٥) وهما حديثان ضعيفان .

وهكذا فقد أكثر الشيعة من الاععار التي تأثروا فيها بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (٦) ، وهذا يدل على كثرة مطالعتهم كتاب الله تعالى ورجوعهم إلى

(١) ديوان صاحب بن عباد : ص ٢٣١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ج ٣ ، ص ٤٦٤ .

(٣) ديوان الصوري : ج ١ ، ص ٨٤ .

(٤) ضعيف الجامع الصغير : ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٥) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٦) انظر : شعر النامي : ص ٨٩ - ٩٠ ، وشعر الخباز البلدي : ص ٣٥ ، وحماسة

الظرفاء : ج ١ ، ص ٩٣ ، ومحاضرة الأبرار : ج ١ ، ص ٢٣٢ .

سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد بدا ذلك بكل جلاء* في أشعارهم ، مما يدل على أنهم كانوا مثقفين ثقافة اسلامية ، ومعتمدين على القرآن الكريم والحديث الشريف في ذكركم وعقيدتهم.

الرمزية

ومن السمات الفنية التي نجدها في أشعار الشيعة الرمزية ، فقد نظم شعراؤهم أشعاراً لجأوا فيها إلى الإبهام والرمز لما يريدون دون التصريح به ، والتعبير عنه بصورة غير مباشرة ، وقد اكتسب الشيعة هذه الخاصية نتيجة لما لحق بهم من الاذى والاضطهاد والملاحقة ، مما حملهم على الاخذ بذهب التقية ، لانهم لم يجرؤوا في كثير من الاحيان أن يصرحوا بآرائهم ، وقد ظهرت هذه السمة عند أبي فراس الحمداني بصورة خاصة ، ونلمح هذه الرمزية عنده في أشعار كثيرة ومنها قصيدته التي مطلعها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهي عليك ولا أمر (١)

فقد رمز فيها لابن عمه سيف الدولة الحمداني ، واتضح ذلك في أبيات متعددة ، منها قوله :

معلتي بالوصل والموت دونه إذا متظمنا فلا نزل القطر
حفظت وضيعت المودة بيننا وأحسن من بعض الوفا * لك الغدر
بنفسي من الغادين في الحي عادة هو أي لها ذنب وبهجتها عذر
تروع إلى الواشين في ، وإن لي لأننا بها عن كل واسية وقسر
بدوت وأهلي حاضرون لأنني أرى أن داراً لست من أهلها ، قفسر
وحاربت قومي في هواك وانهم واياي - لولا حبك - الماء والخمر (٢)

فالشاعر يرمز بالمحبوبة التي يتغزل بها الى ابن عمه سيف الدولة ، فهو بعده بالغدا ، ولكن ذلك أمر مستبعد ، ويصف سيف الدولة بالاستماع الى ما يقوله الوشاة في الشاعر ، ومع ذلك فأبو فراس يحبه ، وكل هذا عبر عنه أبو فراس بالرمز .

(١) شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٩ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

ويستمر أبو فراس في الرمز لسيف الدولة بالفتاة ، فسيمتها الغدر ، وهي
تسائل الشاعر وتجاهل منزلته مع أنها عليمة بذلك ويستمر في الرمز (١) السي أن
يقول :

فلا تُنكريني يَا ابْنَةَ الْعَمِّ ، إِنَّنِي ليعرف من أنكرته البدو والحضر
ولاتنكريني ، إِنَّنِي غير منكسر إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَاسْتُنزِلَ النَّصْرُ (٢)

وهكذا فقد استخدم أبو فراس الرمز للتعبير عمّا يجول في نفسه ، ولم يصرح
بذلك ابن عمه سيف الدولة .

الألغاز

ومما يتصل بالرمزية ظاهرة الألغاز في شعر الشيعة ، فقد نظموا في ذلك كثيرا ،
وهذا يعود إلى أخذهم بـمذهب التقيّة ، فانعكس ذلك المنهج على أشعارهم ، ومن
الألغاز قول مهبّار الديلمي في الليل والنهار :

مَا أَسْوَدَ فِي جَوْفِهِ أَبْيَضٌ وَأَبْيَضَ فِي جَوْفِهِ أَسْوَدٌ
مَا افْتَرَقَا قَطُّ وَمَا اسْتَجَمَعَا كلاهما في ضده يولد (٣)

فمهبّار يُلغز في الليل والنهار ، فهما أسود في جوفه شي* أبيض ، وشي* أبيض
في جوفه شي* أسود ، وهما متلازمان لا يفترقان ولا يحدثان في وقت واحد ، وانما كل
منهما يولد في ضده الآخر .

ومن الألغاز ما قيل في السيف " ومنه قول مهبّار على طريق اللغز :

وَابْنُ سِرْرَتِهِ إِذْ قِيلَ لِي ذَكَرٌ فصنّته وِصَانُ الثُّرَى فِي الصَّادِفِ
أَخْبَى الرِّيَّاحِ عَلَيْهِ أَنْ تَهَبَ فَمَا تراه في غير حجرى أو على كتفي
يَتَبَهُ مِنْ قَوْيِ كُرْسِيِّ - وَهَبْتُ لَهُ "من" الحسين " - بقّة قام كالألف" (٤)

(١) انظر : شرح ديوان أبي فراس الحمداني : ص ١٠ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٢٤٣ ، والبيت ليس مثبتا في ديوان
مهبّار الديلمي .

(٤) ديوان مهبّار الديلمي : ج ٢ ، ص ٢٨١ ، والغيث المعجم : ج ٢ ، ص ١٩٢ .

فالشاعر الغزّ في سيفه ، فهو يصونه من كلّ شيء حتى أنّه ليخشى عليه هبوب
الرياح ، ولذا فهو إمّا أن يضعه في حجره وإمّا أن يحمله على كتفه ، وفي بعض
الأحيان يضعه على كرسيّ ، ويدعو على نفسه أن يجعل طعما للسيف بدلا من الحين بن
عليّ رضي الله عنه . ويقول الشريف الرضيّ مُلغزاً في الرّيح :

وَمَا شَيْءٌ وَلَا شَيْءٌ تَسْرَاهُ بِلا جَسَدٍ بِذِي جِسْمٍ لَطِيفِ
بَسِيرٌ فَلَيْسَ تُتْرَكُهُ الْمَهَارَى وَلَا هُوَ بِالشُّكَيْتِ وَلَا الْقَطُوفِ (١)
وَلَا نَصَبٌ عَلَيْهِ إِذَا تَمَادَى وَلَا يَخْشَى مِنَ السَّيْرِ الْعَنِيفِ (٢)

فالشاعر يصف الرّيح بأنّها لا تُرى ، وليست ذات جسدٍ ، كما يصفها بالسرعة في
السّير ، وبقوة تحمّل المشقات دونما تعب .

وقد ظهر الإلغاز عند شاعر شيعيّ آخر هو أبو الفضل بن العميد ، فقد ألغز في
النّار فبيّن أنّ أولّها وآخرها متشابهان تماما ، وبيمينها مشابه تماما ليسارها ،
يعجب منظرها النّاس ، ويرغب المرء في الاقتراب منها ، وعندما يقترب يتحاماها
قال :

مَاذَا تَرَى يَا أَبَا الْعَبَّاسِ فِي عَجَبٍ تَسَابَهَتْ مِنْهُ أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ
مِنْ حَيْثُ وَاجِهَتَهُ أَرْضَاكَ مَنْظَرُهُ وَكَيْفَ قَابَلَتْهُ أَعْيَاكَ مَعْنَاهُ
يَهْوَى الْمُبَاعِدُ عَنْهُ قُرْبَ مَنْزِلِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَفَقَّاهُ تَحَامَاهُ (٣)

ففي هذه الابيات تظهر براعة ابن العميد في الالغاز في النار حيث جاء بهيذا
الوصف الدقيق الذي نعتها به ، والذي يدل على صفاً ذهن الشاعر .

وقد ظهر عند بعض شعراء الشيعة نوع آخر من الالغاز ، ويتمثل ذلك في الاتيان
بكلمة معينة واستخدامها في مواضع متعددة ، كل مرة بمعنى مختلف ، وهذا دليل على
حذق الشاعر ، وسعة معرفته اللغوية ، ومن فلك قول أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي :

- (١) الكيوت : مثل الكميوت الذي يجي* في آخر الحلية من الخيل ، والقطوف من الدواب
البطي* (٢) انظر : لسان العرب : مادة سكت ، ومادة قطف) .
(٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : ص ٣١١ ، والابيات ليست مثبتة في ديوان
الشريف الرضي .
(٣) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ص ٣٦٤ .

بَادَارَ سَعْدَى بِذَاتِ الظَّالِمِ مِنْ إِضْمٍ سَقَاكَ صَوْبٌ حَيًّا مِنْ وَائِكِبِ الْعَيْنِ
فالعين هنا صاحب يندأ من قِبَلِ الْقِبْلَةِ
إِنِّي لَا ذِكْرُ أَيَّامًا بِهَا وَلِنَا
فالعَيْنُ هُنَا هِيَ عَيْنُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ

تدني معنقه منا معتقده
العين هنا هي ما ينبع منه الماء
تسجها عذبة من نابع العين

إِذَا تَمَرَّزَهَا شَيْخٌ بِسَهْ طَرْقٍ سَرَتْ بِقَوَّتِهَا فِي السَّاقِ وَالْعَيْنِ
العين هنا هي عَيْنُ السُّرُكِيَّةِ ، وَالطَّرْقُ ضَعْفُ الرُّكْبَتَيْنِ
وَالرُّقُّ مَلَانٌ بِمَاءِ السُّرُورِ فَلَا
تَخْشَى تَوَلُّهُ مَا فِيمَا مِنَ الْعَيْنِ
العين في هذا البيت ثقب يكون في المزادة ، وتوله الماء أي تسرب

وغاب عذ الناعنا فلا كسر
العين هنا يقصد بها الرقيب

وَفَائِضُ الْمَالِ يُغْنِينَا بِحَاضِرِهِ
العين هنا المال النَّاضِ - أَيِ التَّرَاهِيمِ وَالِدَنَائِيرِ ...

وَالْمُجْمَلُ الْمُجْتَبَى تُغْنِي فَوَائِدَهُ حَفَاطُهُ عَنِ كِتَابِ الْجِيمِ وَالْعَيْنِ (١)
وهو هنا يقصد بالعين كتاب الخليل بن أحمد .

وهكذا يتبين لنا أن شعر الشيعة قد اتسم بسماط خاصة من حيث بناء القصيدة ،
فقد أحسن الشعراء الشيعة مطالع القصائد ، وخواتمها ، كما أحسنوا التخلص من
غرض إلى آخر فيها ، واستخدموا مصطلحات خاصة لم توجد إلا عندهم وعند بعض الشعراء
الآخرين الذين استخدموها بتأثير من الشيعة ، وقد جاء الشيعة بالصور والأخيلة
التقليدية ثم أغربوا في الكثير من صورهم وأخيلتهم ، فشبَّهوا الأشياء المحسوسة
الملموسة بالأشياء المعنوية ، وقد اتسمت معاني الشعر لدى الشيعة بالطرافة والجدة
والابتكار ، وظهر منهم ميل شديد إلى الأغراب والتجديد ، كما تأثر شعراؤهم ببعض
الشعراء الآخرين من سابقينهم ومعاصريهم ، فأخذوا منهم بعض المعاني ، وظهر لديهم

(١) معجم الأدباء : ج ٤ ، ص ٩٠ - ٩١ .

تأثره واضح بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فاقْتَبَسُوا مِنْهَا فِي أشعارهم ،
وَقَدْ تَمَيَّزَ عَنِ الشَّيْخَةِ بِكَثْرَةِ الرُّمُوزِ وَاللُّغَاظِ ، وهذا يعود إلى أَخَذِ الشَّيْخَةِ
بمذهب التقيّة ، فمال شعراؤهم إلى الغرابة والإبهام ، وعدم الإفصاح عما يريدون ،
والإكتفاء بالرُّمُوزِ للتعبير عن ذلك .

خاتمة

هذا عرضٌ للشيعة والتشيع في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، تناولنا فيه نشأة الشيعة وتطورهم ومبادئهم وفِرَقهم ، كما بحثنا في شعرهم وأغراضه وخصائمه الغنيّة ، واستقصينا شعراءهم ، وترجمنا لعددٍ منهم ، وأوضحنا الأثر الذي تركه الشيعة في الشعر العباسي بصورة عامة ، وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية :

أولاً : إنَّ نشأة التشيع تعود إلى الأحداث التي رافقت مقتل عثمان رحمه الله ، أي إلى زمن معركتي الجمل وصفين ، ثم تعمق التشيع ، وظهر الشيعة بذلك أكثر وضوحاً بعد استشهاد الحسين بن عليّ - رحمه الله - في كربلاء ، ولم يكن للتشيع في زمن الرسول الكريم وبعد وفاته بقليل وجود إلا بالمفهوم الفطري العاطفي ، حيث كان بعض المسلمين يشعر أن علياً أحق المسلمين بالخلافة بعد الرسول الكريم ، وذلك لما يتمتع به من المزايا ، مثل قرابته من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسبقه إلى الإسلام .

ثانياً : لقد قوي نفوذ الشيعة في كثير من الأحيان ، وبلغ التشيع أوج عظمته باعتناق الخليفة المأمون إياه ، وقيام بعض الدول الشيعة المستقلة ، كالدولة الحمداوية والدولة الجويهية ، وأصبح التشيع في بعض الأحيان ملجأ يأوي إليه ذوو الأطماع الشخصية ، الذين أفسدوا في الأرض ، وقتلوا الناس ، ونهبوا أموالهم ، وكانوا يتنصرون بالانتماء إلى آل أبي طالب ومن هؤلاء صاحب الزنج .

ثالثاً : للشيعة مبادئ خمسة يقوم عليها مذهبهم ، وهي : العدل ، والتوحيد ، والنبوّة والمعاد ، والإمامة ، وليس الحال كما يذهب إليه معظم الباحثين الذين لا يذكرون من مبادئ الشيعة إلا مبدأ الإمامة ، وبعض المبادئ الفرعية التي تتصل به ومنها التقيّة ، والعصمة ، والمهدي المنتظر .

رابعاً : انقسم الشيعة إلى فرق متعددة ، منها المعتدل في آرائه ، ومنها المضالّي وقد كفر الأئمة من آل البيت ، وعلماء الشيعة الفرقة الغالبة وزعماءها

- واعتبروها فِرْقًا خَارِجَةً عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَلِذَا كَانَ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ يُوصَمَ جَمِيعُ
الشَّيْعَةِ بِالْغُلُوبِ وَالرَّفْضِ ، لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى قِسْمٍ مِنْهُمْ .
- خامسا : كانت الشَّيْعَةُ أَغْزَرَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي نَتَاجِهَا الشَّعْرِيِّ خِلَالَ الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ
وَالخَامِسِ الْهَجْرِيَّيْنِ ، فَقَدْ ظَهَرَ مِنْهَا شُعْرَاءٌ كَثِيرُونَ ، نَظَمُوا الشَّعْرَ فِي
مُخْتَلَفِ الْأَغْرَاضِ وَلَكِنَّهُمْ خَصَّصُوا قِسْمًا كَبِيرًا مِنْ شِعْرِهِمْ لِلْحَدِيثِ عَنْ مَذْهَبِهِمْ فِي
التَّشْيِيعِ وَعَنْ عَقَائِدِهِمُ الدِّينِيَّةِ ، وَارِثَهُمْ فِي الْأُنْثَمَةِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ الْأَمْرَاءُ
وَالْمَجَاهِدُونَ وَالرُّعَمَاءُ مِثْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ وَابْنِ عَمِّهِ أَبِي فِرَاسٍ ،
وَعُضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَالصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَالشَّرِيفِ الرَّضِيِّ ، وَأَخِيهِ الشَّرِيفِ
الْمَرْتَضَى ، كَمَا كَانَ مِنْهُمْ الْقَضَاةُ كَالْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ،
وَابْنَهُ الْقَاضِي الْمُحَسَّنُ بْنُ عَلِيِّ التَّنُوخِيِّ .
- سادسا : كَانَ الْمَذْهَبُ الشَّيْعِيُّ يَمْلِكُ عَلَى الشُّعْرَاءِ الشَّيْعَةِ الْبَابِيَّةِ وَأَفْنَدَتْهُمْ ، وَلِذَا
نَجَدْنَا أَنَّهُمْ لَا يَنْسَوْنَ التَّشْيِيعَ ، وَإِنَّمَا يَسْتَحْضِرُونَهُ فِي أَذْهَانِهِمْ ، وَيَدْخُلُونَهُ إِلَى
أَغْرَاضِ شِعْرِهِمُ التَّقْلِيدِيَّةِ كَالغَزَلِ وَغَيْرِهِ .
- سابعًا : كَانَ لِعِرَاقَةِ نَسَبِ بَعْضِ شُعْرَاءِ الشَّيْعَةِ وَكِرَمِ أَصْلِهِمْ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ
إِذْ جَعَلَهُمْ ذَلِكَ يَبْتَعِدُونَ عَنِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي لَا تَنْسَابُ عِرَاقَةَ نَسَبِهِمْ ، وَمِنْ
هَؤُلَاءِ الشَّرِيفِ الْمَرْتَضَى ، فَقَدْ ابْتَعَدَ عَنِ النِّظْمِ فِي الْخَمْرِ ، وَفِي وَصْفِ
التَّمَانِيْلِ وَالصُّورِ ، لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ لَا تَنْسَابُ وَنَسَبُهُ الْعَرِيقُ حَيْثُ كَانَ
يَنْتَمِي إِلَى آلِ الْبَيْتِ الْكِرَامِ ، وَإِنَّمَا اتَّجَهَ الشُّعْرَاءُ الشَّيْعَةُ فِي أَشْعَارِ
كَثِيرَةٍ إِلَى الْحَدِيثِ عَمَّا أَصَابَ آلَ الْبَيْتِ مِنَ الْعَصَائِبِ .
- ثامنا : اتَّسَمَ شِعْرُ الشَّيْعَةِ بِسِمَاتٍ قَنِيَّةٍ اِكْتَسَبُوهَا مِنَ التَّشْيِيعِ ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِخْدَامُ
بَعْضِ الْمِصْطَلِحَاتِ وَالْأَلْفَافِ الْخَاصَّةِ بِالشَّيْعَةِ ، كَيَوْمِ كَرْبَلَاءَ ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ ،
وَالْإِمَامَةِ ، وَالْإِمَامِ ، وَالْوَصِيِّ ، وَالْوَصِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا ، وَاسْتِخْدَامُ بَعْضِ
الْمِصْطَلِحَاتِ الْخَاصَّةِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ الَّتِي كَانَ مِتْكَلِمُو الشَّيْعَةِ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي
مَجَالِ السُّجُودِ وَالْمُنَاطَرَةِ مَعَ خُصُومِهِمْ ، وَاسْتِخْدَامُ الْإِسْلُوبِ الْكَلَامِيِّ فِي الشَّعْرِ
الشَّيْعِيِّ ، حَيْثُ أَصْبَحَ شُعْرَاؤُهُمْ لَا يَكْتَفُونَ بِعَرْضِ الْأَفْكَارِ ، وَإِنَّمَا يَطَالِبُونَ
بِإِبْرَادِ الْأَدْلَةِ الَّتِي تُثَبِّتُ مَسْئَلَتَهَا . وَقَدْ كَانَ شُعْرَاءُ الشَّيْعَةِ فِي مَعْظَمِ
الْأَحْيَانِ مِيَالِينَ إِلَى التَّجْدِيدِ وَالْإِغْرَابِ فِي مَعَانِيهِمْ وَصُورِهِمْ وَأَخْبِلَتُهُمْ ،

ولذا لم يكتفوا بما هو شائع عند الشعراء من النظم في القريب المبتذل، وإنما جاءوا بالصُّور والأخيلة التي تدلُّ على غلبة النزعة الفكرية العقلية عليهم ، فتجاوزوا في صورهم الصُّور القريبة والامور المحسوسة إلى الأمور العقلية الفكرية ، فشبَّهوا المحسوسات بالمعنويات ، وتخيَّلوا وجوه شبيهة تربط بين المحسوس والمعنوي ، وهذا - كما نرى - دليل على رجاحة تفكيرهم ، ودقته ، إذ إنَّ تخيُّل وجه شبيه بجمع بين شيء محسوس ملمس وآخر معنوي لا وجود له على الحقيقة وهو أمر لا يتأتى إلا لمن وهب عقلاً راجحاً وقريحة صافية .

تاسعا : لقد كان للتشيع أثر كبير في أشعار الشيعة ، وظهر ذلك الأثر في الموضوعات إذ انعكست مبادئ الشيعة في أشعارهم ، فتحدثوا عن التوحيد والعدل والإمامة والمعاد ، وظهر ذلك الأثر جلياً واضحاً في جانب فني مهم هو بناء القصيدة الشيعية ، حيث يرى المرء أنَّ القوائد التي قيلت في الأغراض التقليدية كانت تبدأ - في الغالب - بمقدمة غزلية أو طليئة تقليدية ، أمَّا القوائد التي قيلت في التشيع فإنَّها كانت في الغالب تبدأ بالموضوع مباشرة دون مقدمات ، وذلك - في رأينا - يعود إلى شعور الشعراء الشيعة بجديَّة الموضوع الذي ينظمون فيه ، كما يعود أيضاً إلى قوَّة العواطف لدى الشعراء ، وصنقٍ متأخرهم تجاه ما يتحدثون عنه من مديح آل البيت أو رثائهم وتموير ما حلَّ بهم من التفتيل والتثكيل .

عاشرا : كانت حادثة استشهاده الحسين بن علي في كربلاء أهمَّ الحوادث التي استأثرت باهتمام الشيعة ، فقد رثي الحسين رحمه الله بالأشعار الكثيرة ، واتضح ذلك بشكل خاص عند الشريف الرضي والشريف المرتضى والصاحب بن عباد ، حيث رثي بأشعار تفوق في كثرتها ما رثي به الإمام علي نفسه ، وهذا دليل على عظمة تلك النكبة التي تعرَّض لها الشيعة ، وعلى ما درج عليه الشيعة من الاحتفال كل سنة بذكرى يوم عاشوراء ، يوم استشهد الحسين ، ومن ذلك رثاء الحسين ببعض القوائد .

حادي عشر: اتَّجه شعراء الشيعة إلى النظم في الألغاز والأحاجي ، وكان لأخذهم بمذهب التقيَّة أثر كبير في ذلك ، إذ تسرَّب إليهم هذا المبدأ ، فاتَّجه شعراؤهم

إلى عدم الإفصاح عما يريدون في كثير من الأحيان ، واتجهوا إلى بعض مظاهر الخفاء والإبهام ، ولذا اقتصروا من الرموز ، والألفاظ ، والتنظيم في الأمور التي تدل على براعة الشعراء وقدرتهم على نظم الشعر .

ثاني عشر: اتسم الشعر الشيعي بصورة عامة بطابع الحزن والأسى ، فهو شعر مبيك ينسب للأسى ، ويرجع ذلك إلى ما لحق بال أبي طالب بعامة والحسين بن علي خاصة من القتل والنكبات ، وظهر هذا بوضوح كبير لدى الشريفين الرضي والمرضى ، والصاحب بن عباد .

ثالث عشر: لقد ضاع كثير من شعر الشيعة ، أو فقد نتيجة لنقمة الخصوم على الشيعة ، فعمدوا إلى إتلاف شعرهم ، ويتضح ذلك من أنه لا يوجد لبعض شعراء الشيعة إلا " أبيات قليلة لا تتصل بمذهب التشيع لامن قريب ولا من بعيد، بينما نجد للشعراء الذين لهم دواوين حديثاً كثيراً عن مذهب التشيع ، وهذا دليل على أن الشعراء الشيعة الآخرين ربما نظموا أشعاراً في التشيع ، ولكن خصوم الشيعة قاموا بإتلافها .

رابع عشر: لقد خلفت الشيعة آثاراً عظيمة في الشعر العباسي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومن ذلك أنهم عملوا على تنفيط الحركة الشعرية عندما قاموا بنظم قصائد يهاجمون فيها الصحابة ويطعنون في عدالتهم ، ويذكرون فيها أنهم قد غصبوا علياً حقه في الخلافة ، مما حمل شعراء السنة على الرد عليهم مدافعين عن الصحابة ومبينين ضلال من يهاجمهم وأنه فاسد العقيدة . كما انتقلت آراء الشيعة ومبادئهم إلى الشعراء العباسيين فعبّروا عن آراء الشيعة وأفكارهم في عقيدتهم وفي الأئمة من آل البيت ، ورتبوا الحسين وغيره ، وبكؤهم بكاءً مؤجعاً ، وقد تجلّى الأثر الشيعي لدى عدد كبير من الشعراء العباسيين إذ تحدثوا عن توحيد الله تعالى بمسائله المختلفة ، ومنها قدم اللوسبحانه وتعالى ، فبيّنوا أنه تعالى قديم وما سواه محدث ، وإلى غير ذلك من مسائل التوحيد ، كما تحدثوا عن عدل الله سبحانه وتعالى ، فبيّنوا أنه عادل ، وأنه لا يجبر الناس على أفعالهم ثم يحاسبهم عليها ، فالإنسان حر في أفعاله هخير فيها ، وقالوا إن الأرزاق ليست مقدرّة وإنما على الإنسان أن يسعى في

سبيل تحقيقها لأنها تزيد بالطلب وتنقص بالتواني وقد ظهر عند بعض الشعراء تأثر سلبى بالشيعة في هذه الجوانب .

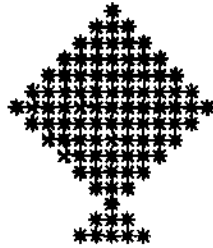
ولقد برز للشيعة أثر عظيم في الجانب الفني للشعراء العباسي فقد أخذ الشعراء مصطلحات الشيعة التي كانوا يستخدمونها في أشعارهم، ومن ذلك الإمامة ، وأخذوا المصطلحات الكلامية التي استخدمها الشيعة في مناظراتهم مع خصومهم . وتأثر الشعراء بالشيعة في أساليبهم الشعرية فباع لديهم الأسلوب الكلامي الذي يعتمد على الجدل والحجاج وضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين ، ومال الشعراء العباسيون في معانيهم إلى الابتكار والتجديد ، والبعد عن المعاني القريبة المبتذلة ، كما اتضح ذلك في صورهم وأخيلتهم أيضاً ، فقد ابتعدوا في كثير من الأحيان عن الصور المحسوسة الملموسة القريبة ، وتجاوزوها إلى مرحلة عقلية أكثر تقدماً ، فمبتهوا الأشياء المحسوسة الملموسة بالأشياء الفكرية العقلية المعنوية . وقد مال الشعراء العباسيون إلى المبالغة وذلك بتأثير الشيعة الذين كانوا يببالغون في كثير من المعاني بسبب مبالغتهم في الأثقة وإعلاهم من شأنهم إلى حد بعيد . كما أخذ كثير من الشعراء العباسيين بعض المعاني من الشيعة فعبّروا عنها في أشعارهم .

وقد مال الشعراء العباسيون إلى النظم في الألفاظ والرموز، وذلك بتأثير شعراء الشيعة الذين عمدوا إلى النظم في ذلك بسبب أخذهم بعنق التقيّة القائم على جواز عدم الإفصاح عمّا في النفس في أحيان كثيرة .

خامس عشر: لقد تأثر الشيعة بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وظهر ذلك الأثر واضحاً جلياً في أشعارهم ، وهذا يدلّ على أنهم قد اعتمدوا على القرآن والحديث في ثقافتهم وعقائدهم ، واعتبروهما المصدرين الأساسيين لثقافتهم فبسل اعتمادهم على أي شيء آخر .

الفهارس

- أ - الأعمال
- ب - الدعوات
- ج - الفرق
- د - القبائل
- هـ - المدن والاماكن
- و - المصادر والمراجع



فهرس الاعلام

(أ)

- ابراهيم (أخو طفرليك) : ص : ٤٦
ابراهيم (أخو علي بن أبي علي العلوي) : ص ٢١
ابراهيم الامام (ابراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس) : ص : ٢١
ابراهيم (الخليل) عليه السلام : ص : ٤ ، ٣ ، ١٢٥
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن : ص : ٢٣ ، ٢٥
ابراهيم علي أبو الخشب : ص : ٢٩٩
ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي : ص : ١٣ ، ١٠٦
ابراهيم بن المهدي : ص : ٢٩ ، ٥٥١
أبي بن كعب : ص : ٨
ابن الاثير (ضياء الدين ، نصر الله بن محمد) : ص : ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٥ ، ٥٤٥
ابن الاثير (عز الدين ، علي بن محمد) : ص : ٣٥ ، ٢٧٠
أبو أحمد (عدنان بن الشريف الرضي) : ص : ٢٣٠
أحمد أمين : ص : ص : ٥ ، ٦ ، ٧
أحمد حسن الزيات : ص : ٢٩٨
أحمد بن حنبل : ص : ٤٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨
أحمد الكيال : ص : ١٣٦
أحمد بن موسى بن جعفر (أخو علي الرضا) : ص : ١٢١
آدم عليه السلام : ص : ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٨ ، ١٤٨
آدم منتر : ص : ١١٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
آزر : ص : ١٤٧
اسحاق (ابن جعفر الصائق) : ص ١١٧
أبو اسحاق الطبري (ابراهيم بن محمد) : ص : ٣٥٤ ، ٣٥٤
الافراييتي : ص : ١١٨
أسماء بنت أبي بكر : ص : ١٩
اسماعيل عليه السلام : ص ١٤٧
اسماعيل (ابن جعفر الصائق) : ص ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦
الاصطخري : ص : ١٠٤
الاطروش (الحسن بن علي) : ص : ٣٦
الافشين : ص : ١٢٦
الافطاح (عبد الله بن جعفر الصائق) : ص ١١٩
ألب أرسلان : ص : ٤٦ ، ٤٧

(ت)

- التقي (محمد بن علي) : ص : ٩٢ ، ١٢١ ، ١٢٢
- التوحيدى (أبو حيان) : ص : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٩

(ث)

- ثعلب : ص : ٢٤٠ ، ٣٤٨ ، ٤٢٢
- ثمال بن صالح بن مرداس (معز الدولة) : ص : ٤٤

(ج)

- جابر بن عبد الله : ص : ٩٤ ، ١١٢
- أبو الجارود (زيد بن المنذر العبدي) : ص : ١١١
- جبريل عليه السلام : ص : ٣٩ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ٤٦٣
- جعفر (أخو الحسن العسكري) : ص : ١٢١
- جعفر الصائغ (جعفر بن محمد) : ص : ١٥ ، ٢٦ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٢٠
- ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠
- ١٥٢ ، ٢٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٠٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩

- جعفر الطيار : ص : ١٣١
- أبو جعفر المنصور : ص : ٢٣ ، ١٣٤
- جعفر بن يحيى البرمكي : ص : ٥٤٥
- الجراح (عيسى بن علي بن داود) : ص : ٢٥٥
- جلال الدولة (أبو طاهر فيروز جردين بها * الدولة) : ص : ٢٧٠
- جندب بن جنادة (يراجع أبو زر الغفاري)
- ابن جني (أبو الفتح عثمان) : ص : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٢
- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) : ص : ٢٦

(ح)

- أبو حاتم السجستاني : ص : ٢٢٦
- الحاكم الفاطمي (منصور بن عبد العزيز بن نزار) : ص : ٤٤ ، ٢٣٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١
- ٣٥٢
- ابن حجة الحموي : ص : ٤٢٢ ، ٤٥٨ ، ٥٠١
- حجر بن عدى : ص : ٣٥٣ ، ٣٥٤

- ابن جبر الهيثمي : ص : ٨٤
- ابن أبي الحديد : ص ٥٦
- جرب بن سعيد بن حمدان (أبو الهيجا ، أخو أبي فراس) : ص ٢١٤
- أبو الحسن الأشعري (علي بن اسماعيل) : ص : ١ ، ٥٥
- الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل : ص : ٣٣
- الحسن بن صالح بن حي : ص : ١١٣
- أبو الحسن العلوي الدمشقي : ص : ٤٢
- الحسن بن علي بن أبي طالب : ص : ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٢
- ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٦٠
- ٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٣٠٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٦ ، ٤٩٢ ، ٤٧٥

- الحسن بن علي العسكري : ص : ٩٢ ، ١٢١ ، ٣٠٥
- الحسن بن علي بن محمد : ص : ٩٤ ، ١٠٨
- الحسن بن القاسم (صهر الأطروش) : ص : ٣٦
- حسن كامل الصيرفي : ص : ٢٧٨
- الحسن بن موسى بن جعفر : ص : ٥٩
- الحسن بن وهب : ص : ٥٤٩

- الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب : ص : ٤٧
- الحسين بن علي بن أبي طالب : ص : ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧

- الحسين بن موسى (والد الشريفين الرضي والمرضى) : ص : ٤٢
- حمدان بن قرمط : ص : ١٢٥
- جنظلة (أخو معاوية) : ص ١٧
- أبو حنيفة : ص : ١٧٣ ، ٢٥٤

(خ)

- خالد بن عبد الله القسري : ص : ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣
- الخازن (أبو العباس) : ص : ٣٢٠
- الخضر عليه السلام : ص : ١٢٢
- أبو الخطاب بن أبي زينب : ص : ١٣٤ ، ١٣٦

- رشيد الصغار : ص : ٢٧٨
- الرشيد (هارون الرشيد بن المهدي) : ص : ٢٦ ، ٢٧ ، ١٢٠ ، ٣٠٣ - ٣٠٥
- الرضا (علي بن موسى) : ص ٢٨ - ٣٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٢
- ركن الدولة (أبو علي الحسن بن بوية) : ص : ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٣١٣

(ز)

- الزبير بن العوام : ص : ٦ - ٩ ، ١١ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٣٦
- زكي مبارك : ص : ٢٥١
- زياد بن معاوية : ص : ٣٥٤
- زيد بن علي بن الحسين بن علي : ص : ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٥
- زين العابدين (علي بن الحسين) : ص : ٢٠
- زينب : ص : ٢٠٦
- ابن الزيات (محمد بن عبد الملك) : ص ٥٤٩

(س)

- سالم بن حفصة : ص : ١٥
- أبو السرايا (السري بن منصور الشيباني) : ص : ٢٨
- أم سعد : ص : ١٢٨
- سعد بن عبادة : ص : ٨
- سعدى : ص : ١٥٧
- أبو سعيد الخدري : ص : ١٤٦
- أبو سعيد السيرافي (الحسن بن عبد الله) : ص : ٢٥٣
- السفاح (عبد الله بن محمد بن علي) : ص : ٢١
- أبو سفيان بن حرب : ص : ٩
- سيار بن عبد العزيز الديلمي : ص : ٢٧٦
- سلطان الدولة : ص : ٢٤٦
- سلامة : ص : ٢٠١
- سلمى : ص : ٢٨٩
- سلمان الفارسي : ص : ٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٧٧ ، ٣٠٣
- سليمان : ص : ٢٠٥
- سليمان بن جرير الزبيدي : ص : ١١٢
- سليمان بن مرد الخزازي : ص : ١٢ ، ١٣ ، ١٨
- سليمان بن عبد الملك : ص : ٢١
- السمعاني : ص : ١٢٣

- السندی بن شاہک : ص : ٩١
- سهل بن أحمد الديباجي : ص ٢٧٦
- سيبويه : ص : ٢٤٢
- ابن السيرافي (الحسن بن عبد الله بن المرزبان) : ص ٢٥٣

(ش)

- الشافعي : ص : ١٧٣ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧
- شرف الدولة (شيرزِيل بن عضد الدولة) : ص : ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٤٥٢
- الشماخ بن ضرار : ص : ٦١
- ابن شهر آشوب : ص : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٢ ، ٢٣٣
- الشهرستاني : ص : ٢٣ ، ٧٤ ، ١٠٧ ، ١٣٧
- شوقي ضيف : ص : ٣٢٨
- الشيخ المفيد (ابن المعلم ، محمد بن محمد بن النعمان) : ص : ١ ، ٥٢ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٨٢ ، ٤٧٤
- شيطان الطاق (أبو جعفر الاحول ، محمد بن النعمان) : ص : ١٣٩

(ص)

- صاحب الزنج (علي بن محمد بن عبد الرحيم) : ص : ٢٣ ، ٣٤ ، ٥٦٤
- ابن ساعد : ص : ٢٤١
- ابن صالح : ص : ٢٣٧
- صالح بن مرداس : ص : ٢٣٧
- الصفدي : ص : ٣ ، ٢٢٨

(ط)

- الطائع (أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله) : ص : ١٦٨
- الطاهر ذو المناقب (أبو أحمد ، والد الشريفين الرضي والمرضى) : ص : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧
- ابن طباطبا العلوي (محمد بن ابراهيم بن الحسن) : ص : ٢٨
- الطبرسي : ص : ٩٥ ، ٣٨٢
- الطبري : ص : ١٦ ، ٢١

- طغرل بك (محمد بن ميكائيل بن سلجوق) : ص : ٤٦
- طلحة : ص : ٧ ، ١١ ، ١١٢ ، ٣٣٦
- الطوسي (محمد بن الحسن) : ص : ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ٣٤٢ ، ١١١٩ ، ١٣٧٢
- ٣٨٢ ، ٤٥٢

(ع)

- عائشة : ص : ١١ ، ٣١ ، ١١٣ ، ٣٤٦
- عباد (والد الصاحب بن عباد) : ص : ٣٢٧
- العباس : ص : ٦ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ٣٠٢ ، ٤٩٢
- عبد الحسين شرف الدين : ص : ١٣٧ ، ١٣٨
- عبد العزيز سيد الأهل : ص : ٢٥٦
- عبد الله (ابن جعفر الصائغ) : ص : ١١٧
- عبد الله بن حسن بن حسين : ص : ٢٣ ، ٢٤
- عبد الله بن حمدان (أبو الهيجا) : ص : ٣٥
- عبد الله بن الزبير : ص : ١٩
- عبد الله بن سبأ : ص : ٧ ، ٨ ، ٩٧ ، ١٢٧
- عبد الله بن عامر : ص : ٤١
- عبد الله بن عباس : ص : ١٩ ، ١٠٨ ، ١٤٣
- عبد الله بن عمر : ص : ٢٧
- عبد الله بن عمرو بن حرب : ص : ١٠٩ ، ١٢٩
- عبد الله فياض : ص : ١٥
- عبد الله بن مسعود : ص : ١٠
- عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ص : ١٠٨ ، ١٣١
- عبد الله نعمة : ص : ٢٧٥
- عبد المطلب : ص : ٤
- عبد الملك بن مروان : ص : ٢٠
- عبد الوهاب عزام : ص : ٣٢٨
- عبد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب : ص : ٢٩
- عبيد الله بن زياد : ص : ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٣٢
- عبيد الله بن العباس : ص : ٣٠٢
- عثمان بن عفان / : ص : ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٦١ ، ٨٤ ، ١١٢ ، ١١٤
- ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ ، ٥٦٤
- العدوي : ص : ١٤٥
- ابن العديم : ص : ١٩٢
- عز الدولة (بختيار بن معز الدولة) : ص : ٤١٥

- عيسى - عليه السلام : ص : ٤ ، ٧٣ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٥٩
- عيسى البيايبي الحلبي : ص : ٢٧٨
- عيسى بن جعفر : ص : ١٢٥
- عيسى بن موسى : ص : ٢٤ ، ٢٥ ، ١٣٤

(ف)

- فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي (زوجة جعفر الصادق) : ص : ١١٩
- فاطمة (الزهراء *) : ص : ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٣ ، ١٠٩ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٣٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨
- فاطمة (ابنة علي بن جعفر) : ص : ١٣١
- فخر الدولة : ص : ٢٣٣ ، ٣١٤ - ٣١٨
- فخر الملك (أبو غالب ، محمد بن علي بن خلف الواسطي) : ص : ٢٤٦ ، ٢٥١
- فرعون : ص : ١٥٨
- فلهوزن : ص : ٦ ، ٧

(ق)

- القائم بأمر الله (عبد الله بن القادر) : ص : ٤٦ ، ٤٧ ، ٢٧٠ ، ٣٥٩
- قابوس بن وشمكير : ص : ٣١٤ ، ٣٦٢
- القادر (أحمد بن اسحاق) : ص : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٤٣١
- أبو القاسم : ص : ٣٩٤
- القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي : ص : ٢٢٧ ، ٢٧٥
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) : ص : ٥٨ ، ٦٠
- فثم بن العباس بن عبد المطلب : ص : ٢٥٤
- قرغويه (غلام سيف الدولة) : ص : ٢٩٤
- القرمانبي : ص : ٣٦
- قرواش بن العقلم (أبو المنيع) : ص : ٤٣ ، ٤٤
- القزويني : ص : ٣٩٦
- قسطنطين بن الدمستق (قسطنطين بن برنس) : ص : ١٧٠ ، ١٩٢
- القمي : ص : ٣ ، ١٠٦ ، ١٠٩
- قنبر : ص : ١٢٨
- قيصر : ص : ٢٦١

(ك)

- كافور : ص : ٤٢ ، ٣٦٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩
- أبو كامل (زعيم الكاملية) : ص : ١٣٠
- ابن كثير : ص : ٨٩ ، ٢٩١
- أبو كرب الضير : ص : ١٠٤
- الكرمانلي : ص : ٢ ، ١٣٩
- كسرى : ص : ١٨٢
- أم كلثوم : ص : ١٠ ، ٤١
- ابن كلس : ص : ٤٢
- الكليني (محمد بن يعقوب) : ص : ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ١٣٨ ، ٣٨٢
- كيسان (صاحب المختار) : ص : ١٠٦
- كيسان (مولى علي بن أبي طالب) : ص : ١٠٦

(ل)

- لوط عليه السلام : ص : ١٤٢
- ليلى (ابنة الصنوبرى) : ص : ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٤٧٧

(م)

- ماسينيون : ص : ٣٤٩
- مالك بن أنس : ص : ٢٤
- مالك (خازن جهنم) : ص : ٥١٥
- المأمون : ص : ٢٨ ، ٣٠ - ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٢٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٤٠٦ ، ٥٥٢ ، ٥٦٤ ، ٣٥٠
- المبرد : ص : ٢٤٠
- المتوكل : ص : ٣١ ، ٣٢ ، ١٨٨ ، ٥٤٥
- ابن مجاهد : ص : ٣٢٨
- محسن الأمين العاملي : ص : ٤
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن : ص : ١
- محمد بن اسماعيل : ص : ١٢٤ ، ١٢٦
- محمد بن جعفر الصائق : ص : ١١٧ ، ١١٩
- محمد جواد مغنوية : ص : ٤ ، ٥ ، ٣٨
- محمد حسن آل ياسين : ص : ٣٢٨ ، ٣٢٩
- محمد بن الحسن بن علي الرضا : ص : ١٢٠
- محمد الحسين آل كاشف الغطاء * : ص : ٤

- محمد حسين الزين : ص : ٤
- محمد حسين المعظفر : ص : ٤
- محمد بن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب) : ص : ١٣ ، ١٩ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢
- محمد أبو زهرة : ص : ٧
- محمد بن زيد : ص : ٣٣ ، ٣٥
- محمد سيد كيلاني : ص : ٢٥١
- محمد بن عبد الله بن طاهر : ص : ١١٢
- محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : ص : ٢٣
- محمد عبده : ص : ٢٥٦
- محمد عبد المنعم خفاجي : ص : ٣٢٩
- محمد بن علي بن الحسن الزينبي : ص : ٢٤٣
- محمد علي أبو ريان : ص : ١٤
- محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : ص : ٢١ ، ١٠٧
- محمد بن علي بن موسى : ص : ٩٥ ، ١٣٩
- محمد أبو الفضل ابراهيم : ص : ٢٧٨
- محمد بن القاسم بن عمر بن علي : ص : ٣١
- محمد مرعي الامين الانطاكي : ص : ٤
- محمد بن المسيب : ص : ٢٤٢
- محمد مصطفى هدارة : ص : ٢٢٠
- محمد مهدي البصير : ص : ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
- محمد بن أبي هاشم العلوي : ص : ٤٧
- محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي : ص : ٢٠١ ، ٢٣٧
- محمد يوسف نجم : ص : ٢٥٦
- محمود اسماعيل : ص : ١٩
- محمود البشبيشي : ص : ٧
- محمود بن سبكتكين : ص : ٤٥
- محمود مصطفى : ص : ٢٥٥
- محمود بن نصير بن صالح بن مرداس : ص : ٤٧
- المختار بن أبي عبيد : ص : ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٤٢
- ابن المرتضى (أحمد بن يحيى) : ص : ٢ ، ١٤ ، ٢٧٥ ، ٣٦٢
- مرتضى مطهرى : ص : ٩٧
- مرحب اليهودى : ص : ١٤٩
- المرزباني (محمد بن عمران بن موسى) : ص : ٢٧٥ ، ٢٧٦
- مروان بن محمد : ص : ٢١
- المستعين : ص : ١١٢

- ابن مسعود : ص : ٩٢
- المسعودي : ص : ١٢
- مسلم : ص : ٨٨
- أبو مسلم الخراساني : ص : ١٠٧ ، ١٤٠
- ابن المسلمة (رئيس الرؤسا *) : ص : ٤٦
- سيلمة الكذاب : ص : ٩٩
- مصطفى البابي الحلبي : ص : ٢٥٥
- مصطفى الشكعة : ص : ١١
- مصعب بن الزبير : ص : ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ١٠٦
- معاوية (ابن هند) : ص : ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ٢٤٧
- أبو المعالي : ص : ٣٨٤
- أبو المعالي بن سيف الدولة : ص : ٢٩٤ ، ٢٩٥
- ابن المعتز : ص : ٣٥
- المعتصم : ص : ١٢٢ ، ١٢٦
- المعتضد : ص : ٣٥
- معز الدولة البويهبي (أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي) : ص : ٤٠ ، ٤١ ، ٢٢٣
- المغيرة بن سعيد العجلي : ص : ١٢٢ ، ١٢٣
- مقداين الاسود الكندي : ص : ٣ ، ٦ ، ١٤
- المقتدر بالله (جعفر بن المعتضد) : ص : ٣٥ ، ٨٠
- المقتدى (عبد الله بن محمد بن القائم) : ص : ٤٧ ، ٤٨
- المقرئزي (أحمد بن علي بن عبد القاهر) : ص : ٦ - ٨ ، ١١٣
- ابن مقله (محمد بن علي بن الحسن) : ص : ٨٠
- المكتفي بالله (علي بن المعتضد) : ص : ٣٥
- ابن ملجم : ص : ١٢٨
- الملطي : ص : ١١٥
- ملكشاه : ص : ٤٧ ، ٤٨
- المنتصر (محمد بن جعفر المتوكل) : ص : ٣٢
- المنصور (عبد الله بن محمد بن علي) : ص : ٢٣ - ٢٦ ، ١٠٨ ، ١٤٠
- أبو منصور العجلي : ص : ١٢٣ - ١٢٤
- المهدي : ص : ٢٦
- المهدي المنتظر (الحجة القائم ، محمد بن الحسن) : ص : ٢٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ - ٩٨ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ - ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٧٧ ، ٣٧٤
- أبو موسى الأشعري : ص : ٣١٨

- موسى (ابن جعفر الملقب) : ص : ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٢١٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
- موسى (ابن عمران) : ص : ٤ ، ٣٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٦ ، ٢٣٦ ، ٣٥٨ ، ٥٥٦ .
- مؤيد الدولة البويهي : ص : ٤١ ، ٢٣٤ ، ٣١٢ ، ٣١٤ .
- ميكاثيل : ص : ١٢٢ ، ١٢٥ .

(ن)

- ناجي حسن : ص : ٣٢٨ .
- ناصر الدولة بن حمدان : ص : ٢٩١ ، ٢٩٢ .
- ناوس (زعيم فرقة الناوسية) : ص : ١١٨ .
- ابن نباتة الفارقي (عبد الرحيم بن محمد) : ص : ٢٧٦ .
- ابن النديم (محمد بن اسحاق) : ص : ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ .
- نشوان بن سعيد الحميري : ص : ٢ .
- نصر بن صالح بن مرداس (عيل الدولة) : ص : ٤٤ .
- النصيبيني (أبو اسحاق) : ص : ٢٧٥ .
- نظام الملك : ص : ٣٥٠ .
- نعيم بن اليعان : ص : ١١٤ .
- النفوس الزكية (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) : ص : ٢٣ - ٢٥ ، ١١٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .
- نكلسن : ص : ٣٠ .
- النونجتي : ص : ١٠٦ .
- نوح عليه السلام : ص : ٤ ، ٧٣ ، ١٤٧ ، ٣٠٣ .

(هـ)

- الهادي (موسى بن محمد بن عبد الله) : ص : ٢٧ .
- هارون : ص : ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
- أبو هاشم (عبد الله بن محمد بن الحنفية) : ص : ٢١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣١ ، ١٤٠ .
- هرقل : ص : ٢٦١ ، ٢٦٢ .
- أبو هريرة : ص : ١٤٣ .
- هشام بن الحكم الرافضي : ص : ٥٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .
- هشام بن سالم الجواليقي : ص : ٥٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .
- هشام بن عبد الملك : ص : ٢٢ ، ١١٠ ، ١٣٤ .
- هند : ص : ٥٣٥ .
- هياج بن عبد الله (أبو محمد الحطيني) : ص : ٤٧ ، ٤٨ .

(و)

- واصل بن عطاء : ص : ١١٠ ، ١١٥
- وصيف (جد الناشي * الاصفر) : ص : ٢٣٤
- الوليد بن عتبة : ص : ١٢
- الوليد بن يزيد : ص : ٢٢

(ي)

- ياقوت : ص : ٥٤ ، ٣١٨ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦
- يحيى بن زيد : ص : ٢٢
- يحيى بن شبيب : ص : ١١٩
- يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ص : ٢٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤
- يحيى هويدى : ٦
- يزيد بن عمر بن هبيرة : ص : ١٣٥
- يزيد بن معاوية : ص : ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢٨١
- يزيد الناقص : ص : ٢٢
- يعقوب (زعيم اليعقوبية) : ص : ١١٤
- يعقوب عليه السلام : ص : ١٤٩ ، ١٥٠
- يعقوب بن داود بن طهمان : ص : ٢٦
- يعقوب بن يوسف ، أبو الفرج : ص : ١٦٤ ، ١٦٥
- يوسف بن عمر الثقفي : ص : ١٣٤
- يوشع بن نون : ص : ١٢٧
- يونس بن عبد الرحيم القمي : ص : ١٣٩

فهرس الدعسرا*

(أ)

- الأبيوردى : ص : ٣٦٧
- أحمد بن فارس بن زكريا اللغوى : ص : ٢٣٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٤٨٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٠ ، ٥٦١
- أحمد بن محمد بن الحسين بن فانشاه : ص : ٣٣٧
- أحمد بن محمد الخطابي : ص : ٣٧٢
- أبو اسحاق المايي (إبراهيم بن هلال) : ص : ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩١
- أبو اسحاق الفارسي (إبراهيم بن علي) : ص : ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢
- اسماعيل بن حيدر العلوى (أبو المحاسن) : ص : ١٩٤ ، ٢٣٦
- أسجع السلمى : ص : ٤٦٩ ، ٥٤٥
- أصهدوست بن محمد بن الحسن الديلمي : ص ٣٤٧
- امرؤ القيس : ص : ٢٩٧ ، ٤٣٠
- الانبارى (أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب) : ص : ٤١٥ ، ٤٢٧

(ب)

- ابن بابك (عبد الصمد بن منصور) : ص : ٤٢٨ ، ٤٣٥
- الباخرزى (علي بن الحسين بن علي) : ص : ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٧٥
- ٣٥٧ ، ٣٨٥
- الببغا* (عبد الواحد بن نصر بن محمد المغزوهي) : ص : ٢٩٨ ، ٣٠٦
- البحتري (الوليد بن عبادة الطائي) : ص : ١٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٢٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٨ ، ٥٥٢
- يدبع الزمان الهمداني (الهمداني) : ص : ٢٢١ ، ٢٤٣ - ٢٤٧
- أبو البركات النحوى (إبراهيم بن محمد بن أحمد) : ص : ٢٣٥ ، ٢٤١
- بشار : ص : ١٩٤
- أبو بشر الجرجاني (الفضل بن محمد) : ص : ٣٦٢
- ابن بشران (محمد بن أحمد بن سهل) : ص : ٣٩٩
- أبو بكر الانبارى (محمد بن القاسم) : ص : ٤٢٧
- أبو بكر الجعابي (محمد بن عمر بن محمد) : ص : ٢٤٠
- أبو بكر الخالدى (محمد بن هاشم) : ص : ١٨١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٦ ، ٤٨٧ ، ٥٠٣
- ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥٣٧

(و)

- الوأوا٠ الدمذقي : ص : ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ،
• ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ،
• الوزير المغرببي : ص : ١٦٦ ، ١٦٢ ، ٢٠١ ، ٢٨٥ ، ٥١٢ ،
• الوزير المهلببي : ص : ٣٩ ، ١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٤٩ ،

(خ)

- الخرمية (الخرمدينية) : ص : ١٢٥ .
الخطابية : ص : ١٣٤ و ١٣٦ .
الخوارج : ص : ١١ و ٥٣ و ٧٣ و ٧٤ و ١١٠ و ٣٣٧ .

(ذ)

- الذمية : ص : ١٤١ .

(ر)

- الرافضة (الروافض) : ص : ١٤ و ٢٢ و ١١٠ و ١١٥ و ١١٨ و ١٣٧ و ٣٤٨ .
الرواندية : ص : ١٠٨ .
الرزامية : ص : ١٤٠ .

(ز)

- الزرارية : ص : ١٣٨ .
الزيدية : ص : ١٤ و ٢٢ و ٢٦ و ٥١ و ٥١ - ٥٢ و ٥٦ و ٦٣ و ٦٨ و ٧٥ و ٧٧ .
٨٠ و ٩٣ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٩ - ١١١ و ١١٣ - ١١٥ .
٢١٨ و ٢٤١ و ٣٢١ و ٣٢٨ .

(س)

- السبئية : ص : ٩٧ و ١١٨ و ١٢٧ - ١٢٩ .
السبعية : ص : ١٢٥ .
السليمانية : ص : ١١٢ - ١١٤ .

(ش)

- الشميطية : ص : ١١٩ .
الشميطانية : ص : ١١٩ .

التيبة

ص : ١ - ٩ - ١١ - ١٥ - ١٧ - ٢٢ - ٢٥ - ٢٨ - ٣٠ - ٣٦ - ٣٧
٣٨ - ٤٠ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠
٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠
٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠
١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠
١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠
١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠
١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠
١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠
٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠

(ع)

العجبية ص : ١٣٦
العمارية ص : ١١٨
العميرية ص : ١٣٦

(غ)

الغرابية ص : ١٤١ ، ٢١٨ ، ٢١٩

(ق)

القرامة ص : ١٢٥
القطعية ص : ١٢٠

(ك)

الكاملية ص : ١٣٠
الكربية ص : ١٠٤
الكيسانية (المختارية) ص : ١٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢١٨
الكيبالية ص :

(م)

- المباركية : ص : ١٢٦ •
المحمرة : ص : ١٢٦ •
المختارية (يراجع الكيسانية) •
المعتزلة : ص : ٤٥ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٥٧ ، ١٦٩ ، ٢٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٦٢ •
٣٨٢ ، ٣٧٨ •
المعمرية : ص : ١٣٥ •
المغيرية : ص : ١٣٢ •
المقطبية : ص : ١٣٦ •
المفوضة : ص : ١٤١ •
الممطورة : ص : ١٢٠ •
المنصورية : ص : ١٣٣ •
الموسوية : ص : ١١٩ •

(ن)

- الناوسية : ص : ١١٨ •
النصيرية : ص : ١٣٩ •
النعمانية : ص : ١٣٩ •
النعيمية : ص : ١١٤ •

(هـ)

- الهاشمية : ص : ١٠٧ •
الهشامية : ص : ١٣٦ •

(ي)

- اليقوبية : ص : ١١٤ •
اليونسية : ص : ١٣٩ •

فهرس القبال

(ت)

• ص : ٣٥٥

تنوخ

(ح)

• ص : ٢٦٧

حمير

(ع)

• ص : ٢٦٧

عاد

(ق)

• ص : ٨٤ و ٨٨ و ١٤٩ و ٢٢١ و ٢٥٦

قريش

(هـ)

• ص : ١٤٤

هوازن

فهرس المدن والاماكن

(أ)

• ٩١ : ص :	الأبـوا
• ٣٦٧ : ص :	أبيـورد
• ٣٣٥ و ٣٣٤ و ٢٨٦ و ١٦٠ : ص :	أحـد
• ٣٨٩ و ١٢٦ : ص :	أذربيجان
• ٤٢ : ص :	الـاكندريـة
• ٣ : ص :	أصبهان (أصفهان)
• ٣٦١	
• ٣١٨ و ٢٣٨ و ٢٣٢ : ص :	الاهـواز
• ٢٨٢ و ٢٦٨ : ص :	ايوان كـسرى
• ٣١٨ و ٣١٣ : ص :	ايـران

(ب)

• ٢٤٠ و ٤٣ : ص :	باب البـصرة
• ٤٢ : ص :	باب الفراديس
• ٥٠ : ص :	باب الكـرخ
• ٢٥٤ : ص :	باب المحـول
• ٢٤٢ : ص :	باخـرز
• ٢٥ : ص :	ياخـمـرى
• ٣٤ : ص :	البحريـن
• ٤٤٢ و ٤٠٦ : ص :	بخـارى
• ٣٣٤ و ٣٠٣ و ٢٨٦ و ١٦٠ : ص :	بـلخ
• ٤٥٣ : ص :	الـبـردان
• ٣٤ : ص :	البـصرة
• ٢٢٦ و ١٨٦ و ١١٨ و ٣٤ و ٣٣ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٥ و ٢١ و ٢٢٧ و ٢٢٦ و ٢٢٥ و ٢٢٤ و ٢٢١ و ١٧٩ : ص :	بغـداد
• ٥٤٥ و ٣٨١ و ٣١٨ و ٢٤٣ و ٢٣٨ و ٢٣١ و ٢٢٧ و ٢٢٦ و ٢٢٥ و ٢٢٤ و ٢٢١ و ١٧٩ : ص :	
• ١٢٠ و ٦٠ و ٥٨ و ٤٦ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٣٨ و ٣٤ و ٣٣ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٥ و ٢١ و ٢٢٧ و ٢٢٦ و ٢٢٥ و ٢٢٤ و ٢٢١ و ١٧٩ : ص :	
• ٥٤٥ و ٤٥٣ و ٤٤٨ و ٤١٦ و ٣٦٤ و ٣٥٠ و ٣٤٧ و ٣٤٦ و ٣٤٥ و ٣٤٤ و ٣٤٣ و ٣٤٢ و ٣٤١ و ٣٤٠ و ٣٣٩ : ص :	
• ٣١٨ و ٢٤٥ و ٨٠ و ٤٢ و ٣٦ : ص :	بلاد فارس (فارس)
• ٢٣٠ : ص :	بلد (مدينة بالجزيرة)

بيروت : ص : ٢٥٦ ، ٢٧٨ ، ٣٣٨ •

(ت)

تبوك : ص : ٨٥ ، ١٥٣ •
تل تويبة : ص : ٢٣٩ •
تونيس : ص : ٥ •

(ج)

جامع المنصور : ص : ٢٧١ •
جاسم : ص : ٧٨٤ •
جبل : ص : ٢٤٣ •
الجفنة : ص : ٨٦ •
جرجان : ص : ٣٦٢ ، ٥٢٨ •
جهرم : ص : ٤٤٧ •

(ح)

الحجاز : ص : ٢٠ ، ٣٥٠ •
الحجون : ص : ٢٨٦ •
حوران : ص : ٢٩٤ •
حطين : ص : ٤٧ •
حلب : ص : ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٥ •
٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٧ •
حمص : ص : ٢٩٤ •
الحميمة : ص : ٢١ •
حنين : ص : ١٦٠ ، ٢٨٦ •
حوران : ص : ٨ •
الحيرة : ص : ٢٨٦ •

(خ)

خراسان : ص : ٣٠ ، ٢١ ، ٢١ ، ٣١ ، ١٤٠ ، ٢٣٧ ، ٣٠٧ •
خوارزم : ص : ٢٨٦ ، ٤٢٠ •
الخورنق : ص : ٢٨٦ •

- ص : ٣١٨
• ص : ٨٣ ، ٤٠ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢٨٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

(د)

- دمشق : ص : ٢٢ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ،
• ٣٦٨ ، ٣٥٤ ، ٣٢٨
ديار مصر : ص : ٢٩٤
دير سمعان : ص : ٢٦٦

(ر)

- رامنة : ص : ٤٢٣
رام هرمسز : ص : ٣
الربيزة : ص : ٣ ، ٢٣
رضوى (جبل رضوى) : ص : ١٠٤
الرقية : ص : ٢٩٤ ، ٥٤٥
الرملة : ص : ٤٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤
الرملة : ص : ٢٩٤
الرسري : ص : ٣ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣١٣

(س)

- سرمين رأى (سامرا) : ص : ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ٤٢٠
سمرقند : ص : ٣٠٢

(ش)

- النمام : ص : ٢١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠ ، ٤٥٤
الشسراه : ص : ٢١ ، ١٠٧
شاطى * جليلة : ص : ٢٤١
شبراز : ص : ٤٢٠

(ص)

• ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٠ ، ١٣٠ ، ١١ ، ٣	: ص :	مفــــــــــــــــين
• ٣٦٨	: ص :	صــــــــــــــــور

(ط)

• ١١٢	: ص :	الطاالقــــــــان
• ٣٦٢ ، ٣٦ ، ٣٣ ، ٢٧	: ص :	طرــــــــــــــــستان
• ٤٧	: ص :	طبريــــــــــــــــا
• ١٢١	: ص :	طرابلســــــــــــــــس
• ٤٧٢ ، ٤٦٦ ، ٣٠٤ ، ٢٨٠ ، ٢٥٩	: ص :	الطــــــــــــــــلف
• ٣١٣	: ص :	طهــــــــــــــــران
• ١٢١	: ص :	طــــــــــــــــوس

(ع)

• ٢٢٠ ، ١٧٩ ، ١٦٨ ، ٦٢ ، ٤٣ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ١٧ ، ٣	: ص :	العــــــــــــــــراق
• ٣٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٣٥ ، ٢٢٢ ، ١٦٢ ، ٥١٦ ، ٥١٥ ، ٤٠٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٣٥ ، ٢٢٢ ، ١٦٢ ، ٥١٦ ، ٥١٥ ، ٤٠٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٣٥ ، ٢٢٢ ، ١٦٢ ، ٥١٦ ، ٥١٥ ، ٤٠٤	: ص :	العقبــــــــــــــــة
• ٨	: ص :	عمــــــــــــــــان
• ٢٢٦	: ص :	عمــــــــــــــــان
• ٢١	: ص :	عمــــــــــــــــان
• ١٢	: ص :	عين الــــــــــــــــوردة

(غ)

• ٣٥٢ ، ٣٣٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١١٦ ، ٨٧ ، ٨٦	: ص :	غديرخــــــــــــــــم (خــــــــــــــــم)
-----------------------------------------	-------	-----------------------------------------------

(ف)

• ٢٧	: ص :	فــــــــــــــــخ
• ٨٣ ، ٣٢	: ص :	فــــــــــــــــدك
• ٢٢٤	: ص :	فلــــــــــــــــطين

(ن)

- ٢٩٨ : ص : النجف الأشرف
• ٢٩٨ : ص : نصيبين
• ٢٥٤ : ص : نهر الدجاج
• ٢٢٧ و ٢٢٧ : ص : نيسابور
• ٢٣٩ : ص : نينوى

(هـ)

- ٣٧٥ و ٣٤٢ : ص : هـراة
• ٤٤٢ و ٣١٣ و ١٨٤ و ١١٣ : ص : هـمذان

(و)

- ٣٦٥ و ٣٥٢ و ٢٤٢ و ٢٣٣ و ٢٥ : ص : واسط

(ى)

- ٣٠٢ و ٢٢٥ و ٨٨ و ٨٧ و ٧ و ٢ : ص : اليمـن
• ١٠٤ : ص : ينـبـع

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- ابن الأثير البلسني ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (- ٦٥٨ هـ) .
— بؤر السقط في خبر السبط ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، وسعيد أحمد
أعراب ، تطوان ، ١٩٧٢ م .
- ٣- الابشيبي ، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (- ٨٥٠ هـ) .
— المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ - ٢ ، الطبعة الأخيرة ، دار احياء
التراث العربي .
- ٤- الآبي ، أبو سعد منصور بن الحسين (- ٤٢١ هـ) .
— نشر الدر ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : محمد علي قرنه ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، ١٩٨١ م .
- ٥- ابراهيم علي أبو الخصب .
— تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، دار الفكر العربي .
- ٦- ابراهيم المشوخي
— المهدي المنتظر ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ١٤٠٣ هـ
- ١٩٨٣ م .
- ٧- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد م (- ٦٣٠ هـ) .
— الكامل في التاريخ ، ج ١ - ١٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
— اللباب في تهذيب الانساب ، ج ١ - ٣ ، مكتبة القلبي ، ١٣٥٦ هـ - ١٣٥٧ هـ
- ٨- ابن الأثير الموصلي ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن
عبد الكريم (- ٦٣٧ هـ) .
— المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : محمد
محيي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
— الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق :
مصطفى جواد ، وجميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦ م -
١٣٧٥ هـ .

- ٩- احسان عباس
— فن الشعر ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت .
- ١٠- أحمد أحمد بدوي
— من النقد والادب ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .
- ١١- أحمد أمين
— المهدي والمهدوية ، دار المعارف للطباعة والنشر بمصر ، ١٩٥١ م .
— فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
١٩٦٥ م .
- ١٢- أحمد حن الزيات
— تاريخ الادب العربي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
- ١٣- أحمد الشايب
— أصول النقد الادبي ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٥ م .
- ١٤- أحمد الشعراوي
— الادب العربي وتاريخه ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .
- ١٥- أحمد بن علي الداودي الحسني
— عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة
الحياة ، بيروت .
- ١٦- أحمد بن محمد الانصاري اليمني ، الشرواني .
— نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى
البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- ١٧- أحمد مغنية
— الامام جعفر الصادق ، الطبعة الثانية ، مكتبة الاندلس ، بيروت ،
١٩٥٨ م .
- ١٨- أحمد الوائلي
— هوية التشيع ، الطبعة الاولى ، دار الزهراء ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- ١٩- أخطب خوارزم ، الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الحنفي (- ٥٦٨ هـ) .
_____ المناقب ، تقديم : محمد رضا الموسوي الخراسان ، المكتبة الحيدريّة
ومطبعتها ، النجف ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٢٠- الأريلي ، بها ، الدين علي أبو الحسن - ٦٩٢ هـ .
_____ التذكرة الفخرية ، تحقيق : نوري حمود القيسي ورفيقه ، مطبعة
المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
_____ رسالة الطيف ، تحقيق عبد الله الجبوري ، المؤسسة العامة للصحافة
والطباعة ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢١- الأريلي ، عبد الرحمن - نبط قنيتو - ٧١٧ هـ .
_____ خلاصة الذهب المسبوك ، توضيح مكي السيد جاسم ، مكتبة المثني ،
بغداد .
- ٢٢- الأريلي الغروي ، محمد بن علي - (١١٠١ هـ) .
_____ جامع الرواة وإزاحة الاشتباه عن الطرق والأسناد ، ج ١ - ٢ ، دار
الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- ٢٣- الأزدي ، علي بن ظافر (- ٦٢٣ هـ) .
_____ بدائع البدائيه ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو
المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
_____ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تحقيق : محمد زغلـول
سلام ورفيقه ، دار المعارف بمصر .
- ٢٤- أسامة بن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي (- ٥٨٤ هـ) .
_____ البديع في نقد الشعر ، تحقيق : أحمد أحمد بدوي ورفيقه ، مكتبة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٢٥- الأسغراييني ، أبوالمظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (- ٤٧١ هـ)
_____ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق
محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثني
ببغداد ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٢٦- اسماعيل مظهر
_____ تاريخ الفكر العربي ، دار الكاتب العربي ، بيروت .

- ٢٧- الأشعري ، أبو الحسين علي بن اسماعيل (- ٣٣٠ هـ)
_____ الإبانة عن أصول الديانة ، ادارة الطباعة المنيرية ، الازهر .
_____ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، تصحيح : حمودة غرابية ، طبعة
مصر ، ١٩٥٥ م .
_____ مقالات الاسلاميين واختلاف العمليين ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : محمد محسيبي
الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٢٨- الاطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاطخري المعروف بالكرخي (- ٥٣٤٦ هـ) .
_____ ممالك المعالك ، ازانتفارات كتانجاناه صدر .
- ٢٩- الاصفهاني ، حمزة بن الحسين ، (- قبل سنة ٣٦٥ هـ)
_____ تاريخ سني ملوك الارض ، مطابع دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- ٣٠- الاصفهاني ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن (- حوالي ٣٣٦ هـ) .
_____ الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ،
الدار التونسية للنشر ، ١٩٥٨ م .
- ٣١- الاصفهاني ، أبو الفراج ، علي بن الحسين (- ٣٥٦) .
_____ الاغاني ، ج ١ - ٢٥ .
ج ١ - ١٤ ، ج ١٩ نشر دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٩ م .
ج ١٥ - ١٨ ، ج ٢٠ - ٢٣ تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ،
بيروت ، ١٩٥٨ - ١٩٦١ م .
_____ مقاتل الطالبين ، قدم له : كاظم المظفر ، الطبعة الثانية ،
منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٣٢- ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد بن اعثم (- ٣١٤ هـ)
_____ الفتوح ، ج ١ - ٣ ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية بحيدر اباد الدكن ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٣٣- ألبير نصرى ناصر
_____ أهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية ، الطبعة الثانية ، المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت .
- ٣٤- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو
_____ ديوان امرؤ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ،
١٩٥٨ م .

- ٣٥- الأفلي ، سيد حيدرأفلي (- القرن ٨ هـ) .
— جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، تصحيح : هنرى كربين ورفيقه ، تهران ،
١٣٤٧ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٣٦- أمير محمد الكاظمي القزويني
— الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، الطبعة الأولى ، مطابع الطليعة ، الكويت
- ٣٧- ابن الأنباري ، كمال الدين ، عبد الرحمن بن محمد (- ٥٧٧ هـ) .
— نزهة الألباء في طبقات الألباء * ، تحقيق : ابراهيم السامرائي ، الطبعة
الثالثة ، مكتبة المنار ، الزرقاء * ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٣٨- الأنصاري الصوفي ، أبو عبد الله محمد ، شيخ الربوة (- ٥٧٧ هـ)
— نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تصحيح أغنطرن بن يحيى ، مطبعة
الأكاديمية الامبراطورية بمدينة بطربورج ، ١٨٦٥ م .
- ٣٩- أنور الرفاعي
— الانسان العربي والحضارة ، دار الفكر .
- ٤٠- أنيس المقدسي
— أمراء العصر العربي في العصر العباسي ، الطبعة العاشرة ، دارالعلم
للملايين ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ٤١- الأبي ، عبد الرحمن بن أحمد
— المواقف ، ج ١ - ٨ الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بجوار محافظة
مصر ، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .
- ٤٢- ابن بابويه ، محمد بن علي بن الحسين (- ٣٨١ هـ)
— إلمنقنق والهداية ، مؤسسة المطبوعات الدينية ، قم ، والمطبعة
الاسلامية ، طهران ، ١٣٧٧ هـ .
— علل الشرائع ، ج ١ - ٢ قدم له محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة
الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
— أمالي الصدوق ، قدم له محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراساني ،
المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
— اكمال الدين واتمام النعمة ، قدم له محمد مهدي السيد حسن الموسوي
الخراساني ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- من لايضره الفقيه ، ج ٩ - ٤ ، تحقيق حسن الموسوي الخراساني ، الطبعة الخامسة ، دار الكتب الاسلامية ، تهران ، بازار سلطاني ، ١٣٩٠ هـ .
- ٤٣- الباخريزي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن أبي الطيب (- ٤٦٧ هـ) .
— دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ج ١ - ٢ ، تحقيق سامي مكي العائلي ، ج ١ مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
ج ٢ مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ٤٤- الباقلاني ، أبو بكر ، محمد بن الطيب (- ٤٠٣ هـ)
— أعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، الطبعة الثالثة ، دارالمعارف بمصر .
— التمهيد ، صححه ونشره البرتشرلد يوسف مكارثي اليسوعي ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٧ م .
- ٤٥- البيهقي ، عبد الواحد بن نصر المخزومي (- ٥٣٩٨ هـ) .
— شعر البيهقي ، تحقيق : سعود محمود عبد الجابر ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والترجمة ، الدوحة ، ١٩٨٣ م .
- ٤٦- البحتري ، الوليد بن عبيد الطائي (- ٢٨٤ هـ) .
— ديوان البحتري ، ج ١ - ٤ ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دارالمعارف القاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٦٤ م .
- ٤٧- بروكلمان
— تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ورفيقه ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ٤٨- بشار بن برد بن يربوخ العقيلي (- ٥١٦٧ هـ) .
— ديوان بشار بن برد ، ج ١ - ٤ ، شرح : محمد الطاهر عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٦٦ م .
- ٤٩- البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (- ٥٢١ هـ) .
— الانتصار ممن عدل عن الاستبصار ، تحقيق : حامد عبد المجيد ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- ٥٠- البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد أمين (- ١٣٣٩ هـ) .
— هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ١ - ٢ ، طبع
بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، استانبول ،
١٩٥١ - ١٩٥٥ م .
- ٥١- البغدادي ، عبد القادر بن عمر (- ١٠٩٣ هـ)
— خزنة الادب ولب لباب لسان العرب ، ج ١ - ٤ ، تحقيق عبد السلام محمد
هارون ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ - ١٩٦٩
- ٥٢- البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي - ٤٢٩ هـ
— الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تصحيح : محمد زاهد
بن الحسن الكوثري ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ٥٣- البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (- ٤٨٧ هـ) .
— سطر اللالي ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م .
— التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، الطبعة الثالثة ، مطبعة
السعادة بمصر ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
— معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج ١ - ٤ ، تحقيق :
مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٥٤- التبريزي ، أبو زكريا بن محمد بن الحسن (- ٥٠٢ هـ)
— شرح مقصورة ابن نريد ، الطبعة الاولى ، المكتب الاسلامي للطباعة
والنشر ، دمشق ، ١٣٨٠ - ١٩٦١ م .
— الوافي في العروض والقوافي ، تحقيق : عمر يحيى ورفيقه ، الطبعة
الاولى ، المطبعة العربية ، حلب ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٥٥- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المعاصم يوسف (- ٨٧٤ هـ) .
— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ - ١٦ ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م .
- ٥٦- التفتازاني ، مسعود بن عمر بن عبد الله (- ٧٩١ هـ) .
— مختصر المعاني ، الطبعة الاولى ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده ، بمصر ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

- ٥٧- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (- ٢٣١ هـ)
— ديوان أبي تمام ، ج ١ - ٤ ، تحقيق : محمد عبده عزام ، دار المعارف
القاهرة ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
- ٥٨- التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي التنوخي - ٣٨٤ هـ
— الفرج بعد الشدة ، ج ١ - ٢ ، يطلب من الصناديق بجوار الأزهر
١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
— نفوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ١ - ٥ ، تحقيق : عبود
الخالجي المحامي ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٥٩- التهامي ، أبو الحسن علي بن محمد (- ٤١٦ هـ)
— ديوان أبي الحسن التهامي ، الطبعة الثانية ، منشورات المكاتب
الإسلامية ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٦٠- التوحيدى ، أبو حيان علي بن العباس (- حوالي ٤٠٠ هـ)
— الامتاع والمؤانسة : ج ١ - ٣ ، صححه أحمد أمين ورفيقه ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .
— مثالب الوزيرين ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق .
- ٦١- التيفاهي ، أبو العباس أحمد بن يوسف (- ٦٥١ هـ) .
— سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، تحقيق : احسان عباس ، الطبعة
الاولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٦٢- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل (- ٤٢٩ هـ) .
— بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج ١ - ٤ ، تحقيق : محمد محيي
الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، مطبعة حجازي ، القاهرة ،
١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
— تنمة البيتيمة ، ج ١ - ٣ ، مطبعة فردين ، طهران ، ١٣٥٣ هـ .
— لطائف اللطف ، تحقيق : عمر الاسعد ، الطبعة الاولى ، دار المسيرة ،
بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
— تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، تحقيق : شاكر العاشور ، الطبعة الاولى ،
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
— من غاب عنه المطرب ، تحقيق : النجوى عبد الواحد شعلان ، الطبعة
الاولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
— التوفيقى للتلفيق ، تحقيق : ابراهيم صالح ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- _____ الاعجاز والايجاز ، شرحه اسكندر آصاف ، الطبعة الاولى ، المطبعة العمومية ، مصر ، ١٨٩٧ هـ .
_____ لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم اليبايري ورفيقه ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
_____ شمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

٦٣- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (- ٢٥٥ هـ)
_____ الحيوان ، ج ١ - ٢ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م .

٦٤- ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الاندلسي (- ٦١٤ هـ) ، دار صادر ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، ١٩٥٩ م .

٦٥- الجرجاني ، محمد بن علي (- ٧٢٩ هـ)
_____ الأشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تحقيق : عبد القادر حسين دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة .

٦٦- جعفر بن أحمد البهلولي اليماني المعتزلي (- ٥٧٣ هـ)
_____ هرح قصيدة المأحب بن عباد في أصول الدين ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

٦٧- ابن جنبي ، أبو الفتح عثمان بن جنبي (- ٥٣٩٢ هـ)
_____ الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي ، تحقيق : محسن غياض ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٣ م .

٦٨- الجهني ، أبو حنبل الله ، محمد بن عبدوس (- ٣٣١ هـ)
_____ الوزرا والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ورفيقه ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

٦٩- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله (- ٥٩٧ هـ)

_____ أخبار الطراف والمتماجنين ، تقديم : محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، الطبعة الثانية ، النجف ، الأشرف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
_____ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج ١ - ١٠ ، الطبعة الاولى ، مطبعة

- دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر اباد الدكن ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٢٠- الجويني ، أبو المعالي ، عبد الملك (- ٤٧٨ هـ) .
— لعمق الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة ، تحقيق فوقية حسين محمود ،
الطبعة الأولى ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٢١- الحاتمي ، محمد بن الحسن (- ٣٨٨ هـ) .
— حلية المحاضرة ، ج ١ - ٢ .
ج ١ : تحقيق : هلال ناجي .
ج ٢ : تحقيق : جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية
العراقية ، ١٩٧٩ م .
- ٢٢- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (- ١٠٦٧ هـ) .
— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ - ٢ ، تصحيح : محمد
شرف الدين بالتقاي ورفيقه ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليّة
في مطبعتها البهية ، ١٩٤١ م - ١٩٤٣ م .
- ٢٣- حازم القرطاجني ، أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن (- ٦٨٤ هـ)
— منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجه ،
تونس ، ١٩٦٦ م .
- ٢٤- ابن حجة الحموي ، أبو بكر بن علي الأزراي (- ٨٣٧ هـ) .
— ثمرات القلوب في المحاضرات ، شرحه وضبطه : مفيد محمد قمبيح
الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
— خزائن الأدب وغايات الأرب ، المطبعة العامرة ، ١٢٩١ هـ .
- ٢٥- ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (- ٨٥٢ هـ) .
— لسان الميزان ، ج ١ - ٦ الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة دائرة المعارف
النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر اباد الدكن ، ١٣٣١ هـ .
— الامابة في تمييز الصحابة ، ج ١ - ٤ ، الطبعة الأولى ، مطبعة
السعادة بجوار محافظة مصر ، ١٣٢٨ هـ .
— تهذيب التهذيب ، ج ١ - ١٢ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة
المعارف النظامية الكائنة بحيدر اباد الدكن ، ١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ .
- ٢٦- ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن حجر (- ٩٧٤ هـ) .

- _____ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تعليق عبدالوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٧٧- ابن أبي حجلة المغربي، شهاب الدين أحمد بن يحيى، (٧٧٦ هـ -)
_____ ديوان الصبابة، ١٣٩١ هـ .
- ٧٨- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (٦٥٦ هـ)
_____ شرح نهج البلاغة، ج ١ - ١٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٩ م - ١٩٦٣ م.
- ٧٩- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي - (٥١٦ هـ)
_____ درة الغواص في أوام الخواص، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٩٩ هـ .
- ٨٠- ابن حزم الظاهري، محمد بن علي (٤٥٦ هـ)
_____ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ - ٥، تحقيق: عبد الرحمن خليفة، الطبعة الأولى، مكتبة محمد علي صبيح ومطبعته، ميدان الأزهر، ١٣٤٧ هـ .
- ٨١- حسن إبراهيم حسن
_____ تاريخ الإسلام السياسي، ج ١ - ٣، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م - ١٩٦٥ م.
- ٨٢- حسن الصلبي
_____ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٨٣- الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي (٤٥٣ هـ)
_____ زهر الآقاب وثمر الآلاب، ج ١ - ٤، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م.
- ٨٤- ابن أبي حينة المعري، الحسن بن عبد الله (٤٥٧ هـ)
_____ ديوان ابن أبي حينة: ج ١ - ٢، تحقيق: محمد أسعد طلس، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.

- ٨٥- الحلبى ، شهاب الدين محمود (- ٧٢٥ هـ) .
— حسن التوصل الى صناعة الترس ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، ١٣٩٦ هـ -
١٩٧٦ م .
- ٨٦- الحمادى اليماني ، محمد بن مالك بن أبي الفضائل (- أواسط القرن " ٥ " هـ)
— كشف أسرار الباطنية الطغام ، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى ،
الطبعة الثانية ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٨٧- الحميرى ، محمد بن عبد المنعم
— الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان،
بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ٨٨- ابن حنبل ، الامام أحمد بن حنبل الشيباني (- ٢٤١ هـ)
— مسند الامام أحمد بن حنبل ، ج ١ - ٦ ، المكتب الاسلامي ودار صادر
للنشر ، بيروت .
- ٨٩- الخالديان ، أبو بكر محمد (- ٣٨٠ هـ) ، وأبو عثمان - عيد (- ٣٩١ هـ) ابني
هاشم .
— ديوان الخالدين ، جمعه وحققه : الدكتور سامي الدهان ، دمشق ،
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٩٠- الخاقاني ، علي بن حسين بن عباس (- ١٣٣٤ هـ) .
— رجال الخاقاني ، تحقيق : محمد صائق بحر العلوم ، الطبعة الاولى ،
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٩١- الخباز البلدى ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن حمدان (- حوالي ٣٨٠ هـ) .
— شعر الخباز البلدى ، جمع وتحقيق : صبيح رديف ، الطبعة الاولى ،
مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٩٢- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (- ٤٦٣ هـ) .
— تاريخ بغداد ، ج ١ - ١٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٩٣- الخفاجي ، أحمد بن محمد (- ١٠٦٩ هـ) .
— شرح برة الفواص في أوام الخواص ، الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب ،
القسطنطينية : ١٣٩٩ هـ .

_____ طراز العجالس ، المطبعة الوهبية المصرية ، ١٢٨٤ هـ .

٩٤- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (- ٨٠٨ هـ) .
_____ تاريخ ابن خلدون ، المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام
العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوى السلطان الاكبر ، ج ١ - ٧
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

٩٥- ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد (- ٦٨١ هـ) .
_____ وفيات الاعيان وأئمة أبناء الزمان ، ج ١ - ٧ ، تحقيق : احسان
عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

٩٦- خليفة ابن خياط - (٢٤٠ هـ)
_____ تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ،
الطبعة الاولى ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

٩٧- خليل مردم بك
_____ صاحب بن عباد ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
_____ ابو فراس الحمداني ، فتوة رومانية ، منشورات دار ومكتبة الهلال ،
بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨١ م .

٩٨- الخوانساري الاصبهاني ، محمد باقر الموسوي
_____ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ١ - ٨ ، مكتبة
اسماعيليان ، تهران ، ١٣٩٠ هـ - ١٣٩٢ هـ .

٩٩- ابن نريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن نريد الأزدي (- ٣٢١ هـ)
_____ ديوان أبي بكر بن نريد الأزدي ، جمعه وحققه : محمد بدر الدين
العلوي ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٥ هـ -
١٩٤٦ م .

١٠٠- لرو ، اليزابيث ،
_____ الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة محمد ابراهيم الحوش ، مكتبة
منيمنة ، بيروت .

١٠١- درويش الجندى
_____ الرمزية في الادب العربي ، مكتبة نهضة مصر بالجالة ، ١٩٥٨ م .

- _____ الشعري في ظل سيف الدولة ، الطبعة الاولى ، مكتبة الرسالة ، ١٩٥٩م .
- ١٠٢- الدينوري ، أبو حنيفة الدينوري (- ٢٨٢ هـ)
_____ الاخبار الطوال ، تحقيق : عبدا المنعم عامر ، الطبعة الاولى ، دار احياء
الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٥م .
- ١٠٣- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (- ٧٤٨ هـ)
_____ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج ١ - ٤ ، تحقيق : علي بن محمد
البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
_____ سير اعلام النبلاء ، ج ١ - ٢٣ ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٩٨١ - ١٩٨٥م .
_____ العبر في خبر من غير ، ج ١ - ٤ .
ج ١ تحقيق : صلاح الدين المنجد ، الكويت - ١٩٦٥م .
ج ٢ - ٣ ، تحقيق : فؤاد السيد ، الكويت ، ١٩٦١م .
ج ٤ ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، الكويت : ١٩٦٣م .
_____ تذكرة الحفاظ ، ج ١ - ٤ ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مجلس دائرة
المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
_____ دول الاسلام ، ج ١ - ٢ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية
بعاصمة الدولة الاصفية حيدر اباد الدكن ، ١٣٦٤ هـ .
_____ المنتقى من منهاج الاعتدال في نفض كلام أهل الرفض والاعتزال ، تحقيق :
محب الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤م .
- ١٠٤- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (- ٦٠٦ هـ)
_____ الاربعين في أصول الدين ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية بحيدر اباد الدكن ، ١٣٥٣هـ .
_____ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨م .
_____ نهاية الايجاز في ترواية الاعجاز ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ،
القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
- ١٠٥- الراغب الاصبهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني (- ٥٥٠٢ هـ) .
_____ محاضرات الانبياء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج ١ - ٤ ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١م .
- ١٠٦- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق (- ٤٥٦ هـ)

- _____ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : محمد
محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة بمصر ،
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- _____ قراصة الذهب في نقد أشعار العرب ، تحقيق : الشاذلي بوليحي ،
الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٢ م .
- ١٠٧- الرقيق النديم ، أبو اسحاق ابراهيم .
_____ قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع
اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٦٩ م .
- ١٠٨- ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (- ٢٨٤ هـ)
_____ ديوان ابن الرومي ، تحقيق : حسين نصار ، ج ١ - ٥ ، مطبعة دارالكتب
١٩٧٣ م - ١٩٧٩ م .
- ١٠٩- الزجاج ، أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم - ٣٣٩ هـ .
_____ الامالي في المشكلات القرآنية والحكم والاحاديث النبوية ، دارالكتاب
العربي ، بيروت ، لبنان .
- ١١٠- زكي مبارك
_____ عبقرية الشريف الرضي ، ج ١ - ٢ ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ -
١٩٥٢ م .
- ١١١- ابن الزملاكي ، عبد الكريم بن عبد الواحد بن خلف (- ٦٥١ هـ)
_____ التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن ، تحقيق أحمد
مطلوب ورفيقتة ، الطبعة الاولى ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٣ هـ -
١٩٦٤ م .
- ١١٢- زهير بن أبي سلمى (- ١٣ قبل الهجرة)
_____ ديوان زهير بن أبي سلمى ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت
بيروت ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ١١٣- الزوزني ، أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني (- ٤٣١ هـ)
_____ حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، ج ١ - ٢ ، تحقيق :
محمد جبار المعيب ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية .

- ١١٤- سبط ابن الجوزي ، يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي (- ٦٥٤ هـ) .
تذكرة الخواص ، المطبعة الحيدرية ومكتبتها ، النجف الاشرف ، ١٣٨٣هـ -
١٩٦٤م .
- ١١٥- السبكي ، أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (- ٧٧١ هـ) .
طبقات الشافعية الكبرى ، ج ١ - ٦ ، الطبعة الاولى بالمطبعة
الحسينية المصرية الشهيرة ، ١٣٢٤ هـ .
- ١١٦- السرى الرفاء ، أبو الحسن السرى بن أحمد الموصلبي (- ٣٦٠ هـ) .
ديوان السرى الرفاء ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ .
- ١١٧- سعد اسماعيل شلبي
الشعر العباسي ، التيار الشعبي ، مكتبة غريب ، الفجالة .
- ١١٨- السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (- ٦٢٦ هـ)
مفتاح العلوم ، مطبعة التقدم العلمية بصر ١٣٤٨ هـ .
- ١١٩- السلامي ، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي (- ٣٩٣ هـ) .
شعر السلامي ، جمع وتحقيق : صبيح رديف ، الطبعة الاولى ، مطبعة
الايمان ، بغداد ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .
- ١٢٠- السلفي ، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد (- ٥٧٦ هـ)
سؤالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي عن جماعة من أهل واسط . تحقيق :
مطاع الطرابيشي ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .
- ١٢١- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (- ٥٦٢ هـ)
الانساب : ج ١ - ١٣ ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية بحيدر اباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٢ - ١٩٨١م .
- ١٢٢- سميرة مختار الليثي
جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٦هـ -
١٩٧٦م .
- ١٢٣- ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد (- ٤٦٦ هـ) .
ديوان ابن سنان الخفاجي ، المطبعة الانسية ، بيروت ، ١٣٠٩ هـ .

— سر الفصاحة ، صححه : عبد المتعال الصعدي ، مكتبة محمد علي صبيح
وأولاده بمصر ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

١٢٤- سيدل دي لويس
— الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيفه الجنابي ورفيقه ، منشورات
وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٢ م .

١٢٥- سيد قطب
— النقد الادبي أصوله ومناهجه

١٢٦- سيد نوفل
— شعر الطبيعة في الابد العربي ، مطبعة مصر ، ١٩٤٥ م .

١٢٧- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (- ٩١١ هـ)
— اتمام الدراية لقراء النقاية ، مطبعة التقدم العلمية بمصر ، ١٣٤٨ هـ
— بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : محمد
أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .
— المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، ج ١ - ٢ ، شرح وتصحيح : محمد
أحمد جاد المولى ورفيقه ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي
الخطبي وشركاه .
— شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، مصطفى البابي الخطبي
وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
— تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
— ضعف الجامع الصغير وزيادته ، ج ١ - ٤ ، المكتبة الاسلامي ، دمشق

١٢٨- ابن شاعر الكتبي ، محمد بن شاعر (- ٧٦٤ هـ)
— فوات الوفيات ، ج ١ - ٥ ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

١٢٩- ابن شرف القيرواني ، أبو عبد الله محمد بن شرف (- ٤٦٠ هـ)
— أعلام الكلام ، صححه : عبد العزيز أمين الخانجي ، الطبعة الاولى ،
مكتبة الخانجي ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .

١٣٠- الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى - ٤٠٦ هـ .
— تليخيص البيان في مجازات القرآن ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
— ديوان الشريف الرضي ، ج ١ - ٢ ، دار صادر ، بيروت .

_____ المجازات النبوية ، تحقيق : محمود مصطفي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

- ١٣١- الشريف المرتضى ، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (- ٤٣٦ هـ) .
_____ أمالي المرتضى " غرر الفوائد ودرر القلائد " ، ج ١ - ٣ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احيا * الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
_____ جمل العلم والعمل ، تحقيق : رشيد الصفار ، الطبعة الاولى ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٧ م .
_____ ديوان الشريف المرتضى ، ج ١ - ٣ ، تحقيق : رشيد الصفار ، دار احيا * الكتب العربية ، القاهرة .
_____ الشهاب في الشيب والشباب ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
_____ طيف الخيال ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، الطبعة الاولى ، دار احيا * الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

١٣٢- الشماخ بن ضرار الذبياني (- زمن عثمان بن عفان) .
_____ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر .

١٣٣- الشمساطي ، أبو الحسين علي بن محمد بن المطهر العدوي (- ٣٨٠ هـ) .
_____ الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق : صالح مهدي العزاوي ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٦ م .

١٣٤- ابن شهر آشوب ، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (- ٥٨٨ هـ) .
_____ معالم العلماء ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
_____ مناقب آل أبي طالب ، ج ١ - ٣ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .

١٣٥- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (- ٥٤٨ هـ) .
_____ الملل والنحل - بها من الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم - ج ١ - ٤ ، تحقيق : عبد الرحمن خليفة ، الطبعة الاولى ، مطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر ، ١٣٤٧ هـ .
_____ نهاية الاقدام في علم الكلام ، تصحيح : الفرد جيوم .

- ١٣٦- شوقي ضيف
_____ العصر العباسي الاول ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .
_____ العصر العباسي الثاني ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .
_____ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف
بمصر ، ١٩٦٥م .
- ١٣٧- الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (- ٤١٣ هـ)
_____ أوائل المقالات في المذاهب المختارات ، دار الكتاب الاسلامي ، بيروت ،
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
_____ الارشاد ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م .
- ١٣٨- الصابي ، أبو اسحاق ابراهيم بن هلال (- ٣٨٤ هـ)
_____ رسائل الصابي والشريف الرضي ، تحقيق محمد يوسف نجم ، الكويت
١٩٦٨م .
- ١٣٩- صاحب بن عباد ، أبو القاسم اسماعيل بن عباد (- ٣٨٥ هـ)
_____ ديوان صاحب بن عباد ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، دار القلم ،
بيروت ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٧٤م .
_____ رسائل صاحب بن عباد ، صححها وقدم لها : عبد الوهاب عزام ورفيقه ،
الطبعة الاولى ، دار الفكر العربي .
_____ الفصول الادبية ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، منشورات وزارة الثقافة
والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٢م .
_____ الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ،
الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .
- ١٤٠- ابن الصباغ ، علي بن محمد بن أحمد المغربي المالكي (- ٨٥٥ هـ)
_____ الفصول المهمة في معرفة أحوال الائمة ، الطبعة الثالثة ، المكتبة
الحيدرية ومطبعتها ، النجف الاشرف ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م .
- ١٤١- صرصر ، أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل (- ٤٦٥ هـ)
_____ ديوان صرصر ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،
١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م .
- ١٤٢- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (- ٧٦٤ هـ)
_____ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل
ابراهيم ، دار الفكر العربي ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

- _____ الغيث المعجم في شرح لامية العجم ، ج ١ - ٢ ، الطبعة الاولى ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- _____ نصره الثائر على المثل السائر ، تحقيق : محمد علي سلطاني ، دمشق ،
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- _____ الوافي بالوفيات
- ج ١ باعتنا* : هلموت ريتر ، يطلب من دار النشر فرانز شتاينس
بغسبادن ، ٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ج ٢ باعتنا* : س . ديدرينغ ، مطبعة وزارة المعارف ، استانبول ،
١٩٤٩ م .
- ج ٥ باعتنا* : س . ديدرينغ ، يطلب من دار النشر فرانز شتاينس
بغسبادن ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- ج ٧ باعتنا* احسان عباس ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ج ٩ باعتنا* : يوسف فان اس ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٤ م
- ج ١٢ باعتنا* : رمضان عبد التواب ، يطلب من دار النشر فرانز شتاينر
بغسبادن ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ج ١٥ باعتنا* : بيرندراتكه ، يطلب من دار النشر ، فرانز شتاينر
بغسبادن ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٤٣- الصنوبري ، أحمد بن محمد بن الحسن الضبي (- ٣٣٤ هـ)
_____ ديوان الصنوبري ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ م
- ١٤٤- الصوري ، عبد المحسن بن محمد بن أحمد (- ٤١٩ هـ)
_____ ديوان الصوري ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : مكّي السيد جاسم ورفيقه ، الطبعة
الاولى ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٤٥- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (- ٣٣٥ هـ)
_____ أدب الكتاب ، صحه : محمد بهجت الاثري ، المطبعة السلفية ، مصر ،
١٣٤١ هـ .
- ١٤٦- ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (- ٥٤٢ هـ)
_____ الافليات ، تحقيق ، وليد قصاب ورفيقه ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ١٤٧- طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى (- ٩٦٨ هـ)
_____ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج ١ - ٣ ، تحقيق : كامل كامل
بكري ورفيقه ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

- ١٤٨- ابن طباطبا ، الشريف النسابة أبو اسماعيل ابراهيم بن ناصر بن طباطبا
(- القرن ٥ هـ)
_____ منتقلة الطالبية ، تحقيق : محمد مهدي السيد حسن الخراسان ، الطبعة
الاولى ، الطبعة الحيدرية في النجف الاشرف ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٤٩- الطبرسي ، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب
_____ الاحتجاج ، ج ١ - ٢ ، تعليق : محمد باقر الخراسان ، دار النعمان
للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ١٥٠- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (- القرن ٦ هـ)
_____ اعلام الوري بأعلام الهدى ، الطبعة الثالثة ، المكتبة الحيدريسة
ومطبعتها ، النجف ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ١٥١- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (- ٣١٠ هـ)
_____ تاريخ الطبري ، ج ١ - ١٠ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار
سويدان ، بيروت ، لبنان .
- ١٥٢- الطبري ، أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي (- القرن ٦ هـ)
_____ بشارة المصطفى لشيعه المرتضى ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية
ومكتبتها ، النجف الاشرف ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١٥٣- الطغرائي ، أبو اسماعيل الحسين بن علي (- ٥١٥ هـ)
_____ ديوان الطغرائي ، تحقيق : علي جواد الطاهر ورفيقه ، منشورات وزارة
الاعلام العراقية ، ١٩٧٦ م .
- ١٥٤- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (- ٥٧٠ هـ)
_____ تاريخ الدول الاسلامية ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ،
بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ١٥٥- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (- ٤٦٠ هـ)
_____ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ،
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
_____ تلخيص الشافي ، تحقيق حسين بحر العلوم ، مطبعة الآداب ، النجف .
_____ الفهرست ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ١٥٦- ابن طولون ، شمس الدين محمد بن طولون (- ٩٥٣ هـ)
— الشذرات الذهبية في تراجم الاثمة الاثني عشر عند الامامية ، تحقيق :
صلاح الدين المنجد ، دار بيروت ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .
- ١٥٧- ابن طيفور ، أحمد بن طاهر الكاتب (- ٢٨٠ هـ)
— بغداد ، تصحيح : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
- ١٥٨- عادل الاديب
— الاثمة الاثنا عشر ، الطبعة الاولى ، الدار الاسلامية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٥٩- العاملي ، محمد بن الحسن (- ١١٠٤ هـ)
— أمل الآمل ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : أحمد الحسيني ، الطبعة الاولى ،
مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٣٨٥ هـ .
- ١٦٠- عباس الجراري
— في الدرر السياسي ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء *
١٩٨٢ م .
- ١٦١- عباس القمي (- ١٣٥٩ هـ)
— جامع الائمة والزيارات ، دار التوحيد الاسلامي ، بيروت ، الكويت .
— سفينة البحار ، ج ١ - ٢ ، آرنشارات كتابخانه سنائي ، ١٣٥٥ هـ .
— الكنى والالقاب ، ج ١ - ٣ ، الطبعة الثالثة ، المطبعة الحيدرية ،
النجف ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٦٢- العباسي ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (- ٩٦٣ هـ)
— شرح شواهد التلخيص " المسمى معاهد التنصيص " ، ج ١ - ٢ ، المطبعة
البيهية ، مصر ، ١٣١٦ هـ .
- ١٦٣- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عمر القرطبي (- ٤٦٣ هـ)
— بهجة المجالس وانس المجالس ، ج ١ - ٣ ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ،
الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
— الاتيعاب في معرفة الاصحاب ، ج ١ - ٤ ، تحقيق علي محمد البجاوي ،
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ، مصر .
- ١٦٤- عبد الحبار بن أحمد المعتزلي (- ٤١٥ هـ)

- شرح الاصول الخمسة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، الطبعة الاولى ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
- ١٦٥- عبد الجليل عبد المهدي
— أبو فراس الحمداني حياته وشعره ، مكتبة الاقصى ، عمان ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٦٦- عبد الحسين شرف الدين
— مؤلفو الشيعة في صدر الاسلام ، مكتبة الاندلس ، بغداد ، ومطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٣٨٥ هـ .
- ١٦٧- عبد الرزاق محي الدين
— اب المرتضى من سيرته وآثاره ، الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٧ م .
- ١٦٨- عبد القاهر الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (٥٤٧١ هـ) .
— أسرار البلاغة في علم البيان ، تصحيح : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
— دلائل الاعجاز في علم المعاني ، تعليق : محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة بميدان الأزهر بعصر ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ١٦٩- عبد الكريم اليافي
— دراسات فنية في الادب العربي ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
— الشموع والقناديل في الشعر العربي ، طبعة جامعة دمشق ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١٧٠- عبد الله الشيخ علي
— نسيم وزوبعة ، الطبعة الاولى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ١٧١- عبد الله الفرهادي
— أحسن الصياغة في حلية البلاغة ، مطبعة سليمان الاعظمي ، بغداد ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ١٧٢- عبد الله فياض
— تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

- ١٧٣- عبد الله نعمه
— فلاسفة الشيعة حياتهم وأراؤهم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
— الأدب في ظل التشيع ، الطبعة الثانية ، دار التوجيه الاسلامي ، بيروت ،
١٤٠٠ هـ - ١٩٨١ م .
- ١٧٤- عبد المحسن الشيخ حسين الخاقاني
— خير الزاد ليوم المعاد ، ج ١ - ٢ ، دار الزهراء للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ .
- ١٧٥- ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرح بن هرون الطبيب المملطي (- ٦٨٥ هـ)
— تاريخ مختصر الدول ، تصحيح أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الرائد
اللبناني ، الحازمية ، لبنان ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٧٦- العبيدي ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد (- القرن ٨ هـ)
— التذكرة السعدية في الامعار العربية ، تحقيق : عبد الله الجبوري ،
مطابع النعمان ، النجف الاشرف ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٧٧- العبيدي ، عبيد الله بن الكافي (- ٧٢٤ هـ) .
— شرح المضمون به علي غير أهله ، مكتبة البيان ، بغداد ، ودار صادر ،
بيروت .
- ١٧٨- ابن العديم ، أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (- ٦٦٠ هـ)
— زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : سامي الدهان ،
دمشق ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ١٧٩- ابن العربي ، القاضي أبو بكر بن العربي (- ٥٤٣ هـ)
— العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة العلمية ،
بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٨٠- ابن عربي ، محي الدين بن عربي (- ٦٣٨ هـ)
— مجازة الابرار ومسامرة الاخيار ، ج ١ - ٢ ، دار النهضة العربية
للتأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٨١- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (- ٥٧١ هـ)
— تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج ١ - ٧ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ
- ١٩٧٩ م .

- ١٨٢- علي أنهم
— على هامش الأدب والنقد ، دار الفكر العربي .
- ١٨٣- علي جواد الطاهر ورفيقاه
— المنهل في الأدب العربي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٢م .
- ١٨٤- علي خان المدني الشيرازي الحسيني (- ١١٢٠ هـ)
— الدرجات الرفيعة في طبقات الامامية من الشيعة ، تقديم محمد صالح بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م .
- ١٨٥- علي سامي النشار
— نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ج ٢ ، الطبعة السابعة ، دارالمعارف القاهرة ، ١٩٧٧م .
- ١٨٦- علي الشابي
— الشيعة في ايران ، الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٨٠م .
- ١٨٧- علي عمر فريج
— الشيعة في التصور الاسلامي ، دار عمار ، عمان ، ١٩٨٥م .
- ١٨٨- علي بن محمد رضا من آل كاشف الغطاء
— النور الساطع في الفقه النافع ، ج ١ ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م .
- ١٨٩- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩ هـ)
— شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ - ٩ ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .
- ١٩٠- عمر أنيس الطباع
— النموذج في البحث الادبي ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٨م .
- ١٩١- ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (- حوالي ٥٨٠ هـ)
— الانبياء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، لايدن ، ١٩٧٣م .
- ١٩٢- العميدى ، أبو سعد محمد بن أحمد (- ٤٣٣ هـ)

- _____ الايانة عن سرقات المتنبي ، تحقيق : ابراهيم الدسوقي البساطامي ،
دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- ١٩٣- عنتره بن شداد العبيسي (- حوالي ٢٢ قبل الهجرة)
_____ ديوان عنتره ، ديوان صائر .
- ١٩٤- غرس النعمة ، أبو الحسن محمد بن هلال الصابي (- ٤٨٠ هـ) .
_____ الهفوات النادرة ، تحقيق صالح الاشر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،
دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م .
- ١٩٥- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥ هـ)
_____ الاقتصاد في الاعتقاد ، الطبعة الاولى ، المطبعة الادبية بسوق الخضار
القديم بمصر .
- ١٩٦- أبو الفتح البيهقي ، علي بن محمد (- ٤٠٠ هـ)
_____ ديوان أبي الفتح البيهقي ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، الطبعة
الاولى ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م .
- ١٩٧- أبو فراس الحمداني ، الحارث بن سعيد بن حمدان (- ٣٥٢ هـ) .
_____ شرح ديوان أبي فراس الحمداني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- ١٩٨- الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة (- ١١٠ هـ)
_____ ديوان الفرزدق ، ج ١ - ٢ ، شرح : ايليا الحاوي ، الطبعة الاولى ،
دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ١٩٨٣م .
- ١٩٩- فلهوزن ، يوليوس
_____ أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام ، ترجمة عبد الرحمن
بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
- ٢٠٠- ابن فورجة : محمد بن أحمد (- ٤٥٥ هـ)
_____ الفتح على أبي الفتح ، تحقيق : عبد الكريم الدجيلي ، مطبعة
الجمهورية ، بغداد .
- ٢٠١- الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب (- ٥٨٧ هـ) .
_____ القاموس المحيط ، ج ١ - ٤ ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ،
بيروت ، لبنان .

- ٢٠٢- القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (-٣٥٦) .
—— الامالي ، ج ١ - ٢ ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية
القاهرة ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .
—— ذيل الامالي والنوادر ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ،
١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٢٠٣- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري (- ٢٢٦ هـ)
—— الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمثبهة ، الطبعة الاولى ،
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٠٤- القزويني ، محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (- ٣٣٩ هـ)
—— تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، الطبعة الاولى ،
مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٢٠٥- القزويني ، زكريا * بن محمد بن محمود (- ١٢٨٣ م)
—— اخبار البلاد وآثار العباد ، دار صادر ، دار بيروت ، بسبيروت ،
١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٢٠٦- القفطي ، علي بن يوسف (- ٦٤٦ هـ)
—— إنباء الرواة على أنباء النحاة ، ج ١ - ٣ ، تحقيق : محمد أبو الفضل
ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م .
—— المحمدون من الشعراء * وأشعارهم ، تحقيق : حسن معمرى ، دار اليمامة ،
الرياض ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٢٠٧- القمي ، سعد بن عبد الله أبو خلف الأشعري (- ٣٥٥ هـ)
—— المقالات والفرق ، تصحيح : محمد جواد مسكور ، مطبعة حيدري ، طهران ،
١٩٦٣ م .
- ٢٠٨- القندوزي الحنفي ، الحافظ سليمان بن ابراهيم (- ١٢٩٤ هـ)
—— ينابيع المودة ، تقديم محمد مهدي السيد حسن الخراسان ، الطبعة
السابعة ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، ١٣٤٨ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٢٠٩- ابن قنفذ القسنطيني ، أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (- ٨٠٩ هـ)
—— الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة
بيروت ، ١٩٧٨ م .

- ٢١٠- القهپائي ، عناية الله بن شرف الدين علي بن محمود
— مجمع الرجال ، ج ١ - ٤ ، جانجانة روش ، اصفهان ، ناشر كتابفروشي
ثقفي ، ١٣٨٤ هـ - ١٣٨٧ هـ .
- ٢١١- ابن القيسراني ، أبو الفضل محمد بن طاهر (- ٥٠٧ هـ) .
— الانساب المتففة .
- ٢١٢- ابن الكازروني ، علي بن محمد البغدادى (- ٦٩٧ هـ)
— مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق
مصطفى جواد ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م .
- ٢١٣- كامل العبد الله
— شعراء من الماضي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
- ٢١٤- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (- ٧٧٤ هـ)
— البداية والنهاية ، ج ١ - ١٤ ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ،
بجوار محافظة مصر ، ١٣٥١ هـ .
- ٢١٥- كثير عزة ، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (- ١٠٥ هـ) .
— ديوان كثير عزة ، جمع وتحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ٢١٦- الكرمانى ، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (- ٧٨٦ هـ)
— الفرق الاسلامية ذيل كتاب شرح المواقف ، تحقيق : سليمة عبد الرسول ،
مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٣ م .
- ٢١٧- كساجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين (- ٣٦٠ هـ)
— ديوان كساجم ، تحقيق : خيرية محمد محفوظ ، مطبعة دار الجمهورية ،
بغداد ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٢١٨- الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (- ٣٢٩ هـ)
— الكافي ، ج ١ - ٨ ، تصحيح علي أكبر الغفارى ، الطبعة الثالثة ،
طهران ، ١٣٨٨ هـ - ١٣٨٩ هـ .
- ٢١٩- لبيد بن ربيعة العامري (- ٤١ هـ) .
— شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق : احسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢

- ٢٢٠- ابن مالك الاندلسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (- ١٨٦ هـ)
_____ المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، الطبعة الاولى ، المطبعة
الخيرية ، ١٣٤١ هـ .
- ٢٢١- متر ، آدم
_____ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ - ٢ ، نقل : محمد
عبد الهادي أبو ريده ، الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٧ م .
- ٢٢٢- المتنبي ، أبو الطيب أحمد بن الحسين (- ٣٥٤ هـ)
_____ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى " التبيان
في شرح الديوان ، ج ١ - ٤ ، تحقيق : مصطفى السقا ورفيقه ، الطبعة
الثانية ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م
- ٢٢٣- محسن الامين (- ١٣٧١ هـ)
_____ اعيان الشيعة ١٤١٨-١٤١٩ هـ ، مطبعة الانصاف ، بيروت ، ١٩٦٠ م - ١٩٦٤ م .
- ٢٢٤- محمد جواد مغنبة
_____ الشيعة في الميزان ، دار الشروق
_____ الشيعة والحاكمون ، الطبعة الخامسة ، دار مكتبة الهلال ودار الجواد
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ٢٢٥- محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي (- ٢٤٥ هـ)
_____ المحبر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة
الاصفية ، حيدآباد الدكن ، ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- ٢٢٦- محمد الحسين آل كاشف الغطاء
_____ أصل الشيعة وأصولها ، الطبعة الثالثة ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .
- ٢٢٧- محمد حسين الزين
_____ الشيعة في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الآثار ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ
- ١٩٧٩ م .
- ٢٢٨- محمد الحسين المعظم
_____ الشيعة والامامة ، دار المهاجر ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ الشيعة ، الطبعة الثانية ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .
- ٢٢٩- محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي
— اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، الطبعة الاولى ، المطبعة العلمية ، حلب ، ١٩٢٣ - ١٩٢٦ م .
- ٢٣٠- محمد أبو زهرة
— تاريخ المذاهب الاسلامية ، ح ١ - ٢ ، دار الفكر العربي .
- ٢٣١- محمد سعيد غربال
— الموسوعة العربية الميسرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مطبعة القاهرة .
- ٢٣٢- محمد سيد كيلاني
— أثر التشيع في الانب العربي ، دار الكتاب العربي بصر ، ١٩٤٧ م .
- ٢٣٣- محمد عبد العزيز الكفراوي
— الشعر العربي بين الجمود والتطور ، الطبعة الثانية ، مكتبة نهضة مصر بالجيزة ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٢٣٤- محمد عبد المنعم خفاجي
— الاداب العربية في العصر العباسي الثاني ، مكتبة الكليات الازهرية .
- ٢٣٥- محمد علي الحسني
— في ظلال التشيع ، الطبعة الاولى ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان .
- ٢٣٦- محمد علي أبو ريان
— تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ م .
- ٢٣٧- محمد علي الفقيه
— كشكول الفقيه ، الطبعة الاولى ، الدار العالمية للطباعة والنشر ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

- ٢٣٨ - محمد محمود قاسم نوفل
_____ المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي ، الطبعة الاولى ،
مطبعة وأوفست النصر ، نابلس .
- ٢٣٩ - محمد مرعي الانطاكي
_____ لماذا اخترت مذهب الشيعة ، مؤسسة الاعلمي للطبوعات ، بيروت ، لبنان .
- ٢٤٠ - محمد مصطفى هدارة
_____ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٦٣م .
- ٢٤١ - محمد مندور
_____ النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .
- ٢٤٢ - محمد مهدي البصير
_____ في الانب العباسي ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعدى ، بغداد ، ١٩٥٥م .
- ٢٤٣ - محمود اسماعيل
_____ الحركات السرية في الاسلام ، الطبعة الاولى ، دار القلم ، بيروت ،
١٩٦٣م .
- ٢٤٤ - محمود البشبيشي
_____ الفرق الاسلامية ، الطبعة الاولى ، المكتبة التجارية الكبرى ، بصر ،
١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢م .
- ٢٤٥ - محمود السمرة
_____ القاضي الجرجاني ، الاديب الناقد ، الطبعة الثانية ، المكتب
التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٢٩م .
- ٢٤٦ - محمود غناوى الزهيرى
_____ الادب في ظل بني بوية ، مطبعة الامانة بشارع الفجالة بصر ، ١٣٦٨ هـ -
١٩٤٩م .
- ٢٤٧ - محمود الملاح
_____ تاريخنا القومي بين السلب والايجاب .

- ٢٤٨- ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى (- ٨٤٠ هـ) .
_____ طبقات المعتزلة ، تحقيق سوسنة ديفلد فلزر ، المطبعة الكاثوليكية ،
بيروت .
_____ المنية والامل في شرح الملل والنحل ، تحقيق : محمد جواد مشكور ، دار
الذکر ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٢٤٩- مرتضى مطهرى
_____ نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ والامداد الغيبي في حياة البشرية ،
ترجمة محمد علي أنرشوب ، دار التربية الاسلامية ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٢٥٠- المسعودى ، أبو الحسن علي بن الحسين (- ٣٤٥ هـ)
_____ التنبيه والاشراف ، عني بتصحيحه ومراجعتها عبد الله اسماعيل الصاوي ،
المكتبة العصرية ، بغداد ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
_____ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ - ٩ اعتناء : باربييه دمينار
ورفيقه ، الطبعة الثانية ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ، تهران ،
ناصر خسرو ، ايران ، ١٩٧٠ م .
- ٢٥١- مصطفى الشكعة
_____ اسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، بيروت .
_____ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٧٨ هـ -
١٩٥٨ م .
- ٢٥٢- المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران (- ٣٨٤ هـ) .
_____ معجم الشعراء ، تصحيح وتعليق د . ف كرنيكو ، مكتبة القدسي ، القاهرة
١٣٥٤ هـ .
_____ نور القبر المختصر من المقتبر في أخبار النحاة والافباء والشعراء
والعلماء ، تحقيق : رودلف زلهاهيم ، يطلب من دار النشر فرانتس
شتاينز بفيسبادن ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢٥٣- المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (- ٤٤٩)
_____ زهر النابح " مقتطفات " ، جمع وتحقيق أمجد الطرابلسي ، الطبعة
الثانية ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
_____ شرح التنوير على سقط الزند ، مطبعة الاسلام بمصر ، ١٣٢٤ هـ .
_____ لزوم ماليلزم ، ج ١ - ٢ ، الطبعة الثانية ، مطبعة التوفيق
الادبية ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م .

- ٢٥٤- المقبلي ، صالح بن مهدي (- ١١٠٨ هـ)
_____ الارواح النوافخ لاثار ايثار الحق على الالباء والمعانيخ ، الطبعة الثانية ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- _____ العلم الشامخ في ايثار الحق على الالباء والمعانيخ ، الطبعة الثانية ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٥٥- المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن مفلح
_____ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مكتبة خياط ، ببيروت ، لبنان
- ٢٥٦- المقدسي الارنبيلي ، أحمد بن محمد (- ٩٩٣ هـ)
_____ زبدة البيان في أحكام القرآن ، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية ، طهران .
- ٢٥٧- مطهر بن طاهر المقدسي (- بعد ١٣٥٥ هـ) .
_____ البدء والتاريخ ، نشره وترجمه من العربية الى الفرنسية كلمان هوار قبضل جنرال الدولة الفرنسية ، ج ١ - ٦ .
ج ١ - ٢ مطبعة شالون على نهرسون ، باريس ١٨٩٩ - ١٩١٩ .
- ٢٥٨- المقرئزي ، أحمد بن علي (- ٨٤٥ هـ)
_____ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروفة بالخطط المقرئزية ، ج ١ - ٢ ، طبعة جديدة بالافست ، مكتبة المثنى ، بغداد .
- ٢٥٩- المكي ، العباس بن علي بن نور الدين (- ١١٨٠ هـ)
_____ نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ، ج ١ - ٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٢٦٠- الملطي ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي (- ٣٧٧ هـ)
_____ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تقديم وتعليق : محمد زاهد بن الحسن الكوشري ، مكتبة المثنى ببغداد ، ومكتبة المعارف ببيروت ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢٦١- ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري (- ٥٧١ هـ) .
_____ لسان العرب ، ج ١ - ١٥ ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

- ٢٦٢- مهيار الديلمي ، مهيار بن مرزويه (- ٤٢٨ هـ)
— ديوان مهيار الديلمي ، ج ١ - ٤ ، الطبعة الاولى ، مطبعة دارالكتب
المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ - ١٩٥٠ م .
- ٢٦٣- النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل (- ١١٤٣ هـ) .
— نفحات الازهار على نسيمات الاحار في مدح النبي المختار ، مطبعة
نهج الصواب ، دمشق ، ١٢٩٩ هـ .
- ٢٦٤- النامي ، أبو العباس أحمد بن محمد النامي المصيصي (- ٣٩٩ هـ)
— شعر النامي ، جمع وتحقيق : صبيح رديف ، الطبعة الاولى ، مطابع دار
البصرى ، بغداد ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٢٦٥- ابن نباتة السعدي ، أبو نصر عبد الرحمن بن عمر (- ٤٠٥ هـ)
— ديوان ابن نباتة السعدي ، ج ١ - ٢ ، تحقيق : عبد الامير مهدي حبيب
الطائي ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧ م .
- ٢٦٦- ابن نباتة المصري ، جمال الدين محمد بن محمد (- ٧٦٨ هـ)
— شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : محمد أبو الفضل
ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
— مطلع الفوائد ومجمع الفرائد ، تحقيق : عمر موسى باشا ، دمشق ،
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٢٦٧- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق (- ٣٨٠ هـ)
— الفهرست ، تحقيق : رضا تجدد ، طهران ، ١٣٩١ هـ .
- ٢٦٨- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (- ٤٣٠ هـ) .
— تهذيب خصائص الامام علي ، تحقيق : أبو اسحاق الجويني الاثري ،
الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٢٦٩- نكلسن ، رينولد ، أ
— تاريخ الادب العباسي ، ترجمة وتحقيق : صفا خلوصي ، المكتبة الاهلية ،
بغداد ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- ٢٧٠- النواجي ، شمس الدين محمد بن حسن النواجي (- ٨٥٩ هـ)
— مقدمة في صناعة النظم والنثر ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، دار
مكتبة الحياة ، بيروت .

- ٢٧١- النويختي ، أبو محمد الحسن بن موسى
— فرق الشيعة ، تصحيح : هـ . ريتز ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٩٣١م .
- ٢٧٢- نور الدين بن علي بن الوزير أبي عمران (- ٦٣٣ هـ)
— المرقعات المطربيات ، دار حمود محيو ، ١٩٣٣م .
- ٢٧٣- النويري ، أحمد بن عبد الله (- ٣٣٣ هـ)
— نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ - ٢٠ .
ج ١ - ١٨ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية
العامة للتأليف والترجمة والنشر .
ج ١٩ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٣٥هـ - ١٩٧٥م .
ج ٢٠ تحقيق : محمد رفعت فتح الله ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٧٥م .
- ٢٧٤- هاشم معروف الحسني
— الشيعة بين الاثاعة والمعتزلة ، الطبعة الاولى ، دار القلم ،
بيروت ، ١٩٧٨م .
— العبادي العامة للفقهاء الجعفري ، دار النشر للجامعيين .
- ٢٧٥- ابن الهبارية ، محمد بن محمد بن صالح العباسي (- ٥٠٩ هـ)
— ديوان المادح والباغم ، نشره وشرح الفاظه : عزت العطار ، مصر ، ١٩٣٩م .
- ٢٧٦- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (- ٣٩٥ هـ)
— الاوائل ، تحقيق : محمد المصري ورفيقه ، منشورات وزارة الثقافة
والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٥م .
— ديوان العسكري ، تحقيق : جورج قناز ، المطبعة التعاونية ، دمشق ،
١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩م .
— الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ورفيقه ، الطبعة الاولى ، دار
احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٢٧٧- الوارجلاني ، أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم (- ٥٢٠ هـ)
— الدليل والبرهان ، ج ١ - ٣ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م .
- ٢٧٨- الواواء دمشقي ، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني (- ٣٢٠ هـ)
— ديوان الواواء دمشقي ، تحقيق : سامي الدهان ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

٢٧٩- الوزير المغربي ، الحسين بن علي بن الحسين (- ٤١٨ هـ)
_____ ألب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب ، أعده للنشر : حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٢٨٠- ياقوت ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (- ٦٢٦ هـ)
_____ المشترك وضعاً والمفترق صفاً .
_____ معجم الأدباء ، ج ١ - ٢٠ ، الطبعة الأخيرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي .
_____ معجم البلدان ، ج ١ - ٥ ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٢٨١- يحيى بن حمزة العلوي (- ٥٩٧ هـ)
_____ الطراز ، ج ١ - ٣ ، مطبعة المقتطف بعصر ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

٢٨٢- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الأخباري (- ٢٩٢ هـ)
_____ تاريخ اليعقوبي ، ج ١ - ٣ ، قدم له وعلق عليه : محمد صائق ، بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
_____ مذاكرة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ملورد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٢٨٣- يوسف البحراني بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد (- ١١٨٦ هـ)
_____ الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، ج ١ - ١٤ ، تحقيق : محمد تقي الأيرواني ، مطبعة النجف ، النجف .

٢٨٤- يوسف البديعي - (١٠٧٣ هـ)
_____ المصحح المبني عن حيثية المتنبي ، تحقيق : مصطفى السقا ورفيقه .

٢٨٥- المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

المخطوطات

١- يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد
_____ نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعره ، معهد أحياء المخطوطات العربية ، رقم المخطوط ٣٤٧٨ ، صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات فسي الجامعة الأردنية .

TITLE OF THESIS
SHI'ISM IN THE ABBASID POETRY DURING
THE FOURTH AND THE FIFTH CENTURIES
A.H.

NAME OF STUDENT :

FARHAN ALI MUOSA AL-QUDAH

NAME OF ADVISOR :

PROFESSOR Dr. MAHMUD SAMRA

SUBMITTED IN PARTIAL FULFILMENT OF THE REQUIRMENTS
FOR THE DOCTOR OF PHILOSOPHY DEGREE IN ARABIC LITERATURE
AT THE FACULTY OF GRADUATE STUDIES, UNIVERSITY OF JORDAN.

١٩٨٧

1987

ABSTRACT

This thesis deals with the Shī'ite during the fourth and the fifth Centuries A.H.

It is composed of an introduction and four chapters:

The Introduction deals with the rise of the Shī'ite movement and its development as a religious sect until the end of the fifth century A.H.

Chapter one deals with the Shī'ite religious principles and their division into religious sects. It also analyzes the Shi'ite poetical topics.

Chapter two discusses the Shi'ite poetry during the period, and focuses on the four famous poets: Al-Sharif Al-Radī, Al-Sharif Al-Murtadā, Abu Firās Al-Hamḍānī And Al-Sahib Ibn 'Abbād.

Chapter three analyzes the impact of Shi'ism on abbasid poetry of the period, and shows how non-Shi'ite poets were influenced by the Shī'ite doctrines, which can be traced in their poetry. Not only that, but the non-Shi'ite poets were also influenced by the Shī'ite poets in the way they composed their poetry and in its syntax.

Chapter four is an artistic evaluation of this poetry. This is followed by a conclusion which sums up the new things which this thesis claims to be a new addition in this field.

The researcher feels that he is indebted to his supervisor professor Mahmud Samra for his directions, sympathy and help.
